لغة

جواهر الأدب

السيد أحمد الهاشمي



جـواهـر الأدب

في أدبيات وإنشاء لغة العرب

تأليف
السيد أحمد الهاشمي

قرأه وعلق عليه
د. يحيى مراد

مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ر للنشر والتوزيع

مقدمة المحقق

ويعد كتاب (**جواهر البلاغة**) للسيد أحمد الهاشمي من الكتب السهلة الممتعة في علم البلاغة، وقد كتبه في الأصل ليكون مرجعا لطلاب المدارس، ثم ما لبث أن نال استحسان الناس فأقبلوا عليه، وعدوه مرجعهم في هذا العلم.

وتتميز لغة الكتاب بالبساطة والوضوح، الأمر الذي يجعل استيعاب مادته أمرا يسيرا على القارئ غير المتخصص، كما أن المؤلف اتبع أسلوبا تعليما جميلاً، حيث يبدأ بتعريف الباب أو المصطلح، ثم يتبعه بالأمثلة والشواهد التي توضحه للقارئ، وفي النهاية يقدم التمارين والنماذج التي يتعلم من خلالها المتلقي مسائل العلم ويستوعبها جيدا.

وقد جعل المؤلف أكثر شواهده من القرآن الكريم، والشعر السهل الفصيح، وما أُثِر عن العرب من الكلام البليغ والأمثال السائرة، والحِكَم المأثورة.

ولكل هذه الأسباب فقد لقي الكتاب استحسانَ الناس وقبولهم له، فطبعت منه الطبعات العديدة، في كل أقطار الوطن العربي، غير أن هذه الطبعات لم تخل من أخطاء مطبعية، وملاحظات فنية، لذا رأت **مؤسسة المختار** أن تقوم بإعادة طبع هذا الكتاب لجمهور القراء في العالم العربي، محاولةً استدراك هذه الهَنات البسيطة، وإخراجه في شكل بديع يليق ـذا الكتاب؛ الذي نرجو أن ينال القبول والثناء الحسن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه

يحيى مراد

ترجمة المؤلف

السيد أحمد الهاشمي
1295- 1362هـ/ 1878- 1943م

اسمه:

هو أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي.

مولده ونشأته:

ذكرت كتب تراجمه أنه ولد بالقاهرة سنة ألف ومائتين وخمس وتسعين للهجرة، و ا عاش ومات سنة ألف وثلاثمائة واثنين وستين من الهجرة.

حياته العلمية:

لم تذكر لنا كتب التراجم شيئًا يذكر عن حياته العلمية، إلا النذر اليسير، مثل أنه كان أزهريا، وعمله التعليمي، وإدارته لأكثر من مدرسة، إلى أن عين مديرا لمدارس الملك فؤاد الأول، ولي عهد مصر سابقًا، واتصاله ببعض شيوخ عصره، وتلمذته عليهم مثل: الشيخ محمد عبده، والشيخ سليم البشري، والشيخ حسونة النواوي، والشيخ حمزة فتح الله.

مصنفاته:

1- جواهر الأدب في إنشاء وأدبيات لغة العرب.
2- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع.
3- السعادة الأبدية في الشريعة الإسلامية.
4- مختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية من البخاري وكتب الحديث المعتبرة.
5- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب.
6- القواعد الأساسية للغة العربية، وهو كتابنا هذا.
7- أسلوب الحكيم، مجموعة مقالات.
8- جواهر الإعراب.
9- المفرد العلم في باب النسب.
10- السحر الحلال في الحكم والأمثال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ

أحلى ما سجعت به بلابل الأقلام، وأعلى ما انتظمت فيه عقود البلاغة والانسجام، وأشهى ما ينعت به $جواهر الأدب# حمد مولانا الذي شرف لغة العرب، وأرسل لنا نبيا عربيا منـزها عن جميع الريب، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله ومن صحب.

$أما بعد# فهذا كتاب سميته: $جواهر الأدب، في أدبيات لغة العرب# أودعته ما وقع عليه اختياري، لا من نثري وأشعاري، فليس لي في تأليفه من الافتخار، أكثر من الاختيار، واختيار المرء قطعة من عقله، تدل على تخلقه وفضله، وفضيلة هذا التأليف هي في جمع ما افترق، مما تناسب واتسق، واختيار عيون، وترتيب فنون، من أحاديث نبوية، ومكاتبات أدبية، وحكم باهرة، وأبيات نادرة، وأمثال شاردة، وأخبار واردة، ووصايا نافعة، ومواعظ جامعة، ومناظرات مستظرفة، ومقامات مستطرفة، وأوصاف علية، وخطب اجتماعية، لينتفع به مقتنيه، ويستغني عن غيره الراغب فيه؛ إذ كان أحسن من الزهر والرياض، والحدائق والغياض، والزبرجد والمرجان، والدر والعقيان، والأكاليل والتيجان، والنـزه والبستان، إن دعي أسرع، وإن تحدث أمتع، وإن سئل أجاب، وإن حكم أصاب، جليس لصاحبه في الحضر، وأنيس له في السفر، نديم ظريف، وسمير حصيف، بالغت في ـذيبه، وبذلت مجهودا في حسن ترتيبه، وأجزلت التحفة، وانتقيت الطرفة، وبالله نستعين، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المؤلف

السيد أحمد الهاشمي

تقريظ

وتقدير العلماء والعظماء لكتاب جواهر الأدب

1- كتب إلي صاحب الفضيلة أستاذي الأكبر شيخ الأزهر الشيخ حسونة النواوي، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على أفصح العرب، وعلى آله وصحبه الذين انتهجوا منهج الأدب $أما بعد# فقد اطلعت على الكتاب المسمى $بجواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب# لمؤلفه الألمعي ولدنا الأستاذ الفاضل السيد الهاشمي، فألفيته مشتملا على فن الإنشاء، والأمثال وافيا بالمقصود واسع ا ال، صحيح العبارة واضح الإشارة، نافعا في بابه، مفيدا لمطالعيه وطلابه، نفع الله به وبمؤلفه ومحبيه، بجاه نبيه وآله وصحبه وتابعيه.

كتبه حسونة النواوي

2- وكتب إلي أستاذي الإمام الحكيم فيلسوف الشرق المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبعه فوالاه $وبعد# فقد اطلعت على مجموع كتاب $جواهر الأدب# المنتخب من حدائق العرب، فإذا هو مجموعة لا بأس ا، وافيا بما تريده الطلبة من الكتابة ووسائلها:

كما أزهرت روضات حسن وأثمرت فأضحت وعجم الطير فيها تغرد

فقد جمع لهم من عيون الكلام وروائع اللفظ ما يحتذون حذوه، وينسجون على منواله، حتى لا تستعصي عليهم الكتابة بل يسلس لهم قيادها، وبعيد أن يصل من يحاول (صناعة الإنشاء) إلى ما يرضى منه بدون أن يرد الطرف في كثير من كلام الفصحاء، ويرد من مناهله كل عذب صاف، ويحيط بشيء عظيم من أساليب الكتاب حتى يتشبع من كلامهم، وتنطبع فيه صورة عن مجموع صورهم، ولم يكن فيما بين أيديهم من الكتب ما يفي ذا الغرض، حتى وفق حضرة ولدنا الأستاذ (الهاشمي) لسد هذه الثلمة بما كابده من التعليم زمنا كبيرا ولا بدع فخير الأطباء من عرف حقيقة الداء، فيصف له أنجع الدواء، ولقد عرف هذا الأستاذ العصامي حاجة العصر وناشئته إلى كتاب موضوع على أسلوب عصري يلائم أذواق بني العصر من معلمين ومتعلمين، فإذا حاول أهل العلم والتعليم أن يشكروا له صنيعه فقد حاولوا عظيما

وطلبوا خطيرا، وحسب العامل أن يقوم بشكره عمله، فالعمل أعرف شيء بجميل عامله، وفقنا الله وإياه، لما يحبه ويرضاه، وأسأله أن ينفع به الطلاب، ويجزل فيه الثواب.

محمد عبده

3- وكتب شيخ الإسلام صاحب الفضيلة أستاذي الأكبر المرحوم الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنشأ العالم على أبدع مثال، ونظم أحواله بمعارف أرباب العلوم حتى بلغ حد الكمال، ونثر عجائب المعارف في أرجائه، وغرائب العوارف في أنحائه، والصلاة والسلام على ينبوع العلم و$جواهر الأدب# سيدنا ونبينا محمد أشرف مخلوق في العجم والعرب، وعلى آله وصحبه ذوي المناصب والرتب $أما بعد# فقد تناولت كتاب $جواهر الأدب في لغة العرب# كما يتناول الكتاب المرقوم، وفضضته كما يفض الرحيق المختوم، واطلعت عليه فوجدته حوى من المباني أدقها، ومن المعاني أرقها، ومن النثر أعلاه، ومن النظم أحلاه؛ ارتحت لعيانه، واهتززت لعنوانه؛ إذ قد جمع فيه الأجناس ومما لا يستحيل الانعكاس ما أدهش قاطبة الناس، فلو شامه (البهائي) قبل تأليف (مخلاته وكشكوله) لاعترف لهذا المؤلف وارعوى من فضله، وهو حضرة العالم الهمام اللوذعي، الإمام ولدنا السيد أحمد الهاشمي - أكثر الله من أمثاله بجاه النبي وآله.

كتبه سليم البشري

4- وكتب إلي فضيلة أستاذي المرحوم الشيخ حمزة فتح الله المفتش الأول بوزارة المعارف العمومية، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم

أي بني الجهبذ النحرير والفذ العبقري (السيد أحمد الهاشمي) قد تصفحت مجموعتك المختارة التي أسميتها (جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب) فإذا هي دائرة معارف كبرى لا يستغني عنها أديب، كلها صحاح وعلم صراح:

وما عسى أن يقال في **وصف صحاح الجوهري**

إي وربي إنه لكتاب صرح على المخض زبده، وأسفر عن الأدب، فلم تتلفع بفضل مئزرها دعد، وانفردت سطوره عن فضل اختيار، وتعرى ليل عن بياض ار، جلاه الفرناس، على صفحات القرطاس.

اختار في كتابه هذا من منتخبات الكتاب والشعراء ما يشفي الغلة، ويروي الصدى، ولقد أتى فيما انتقاه لكتابه الثمين بيوت الكلام من أبوا ا، وميز أبكارها من أترا ا، وأهدى

إلى هؤلاء الشادين كلاما يلطف كالهواء رقة، ويسيل كالماء عذوبة، يمتزج بالنفوس لنفاسته، ويشرب بالقلوب لسلاسته:

أحاديث لو صيغت لألهت بحسنها عن الوشي أو شمت لأغنت عن المسك

(وبعد) فإن سنن مؤلفك العظيم القويم، ما مني بشين، فخشيت عليه العين. وما أطيب الحزامي في قول بعض القدامى:

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يوقيـه مـن العيـن

كيف لا، وقد عرفنا هذا المؤلف النابغة كاتبا مجيدا يفل الحز، ويطبق المفصل، له حلى من البلاغة يتقلدها، فيكاد السحر يحسدها، يدل عليه بيانه، كما يدل على الجواد عنانه فمن عرفه فقد اكتفى - ومن قصد فلينشد:

قـد عرفناك باختيارك إذ كا ن دليلاً على اللبيب اختياره

فما أجدر كتابه أن يختص بسرعة ا ال في ا الس، وخفة المدار في المدارس بل إن $هذا الكتاب يهدي للتي هي أقوم# جزى الله مؤلفه خير الجزاء وأثابه أحسن المثوبة، وأكثر في الأمة من أمثاله، لتبلغ من حسن القول والفعل غاية الكمال.

كتبه الفقير إليه جل شأنه

في ليلة 12 ربيع الأول سنة 1318هـ

حمزة فتح الله

5 - وكتب إلي صديقي المرحوم حسن أفندي توفيق العدل المـدرس بكلية (كمبردج).

عزيزي حضرة الأستاذ الفاضل السيد أحمد الهاشمي.

تشرفت بكتابك المسمى (جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب) فوجدت بين اسمه ومسماه مناسبة اقتضاها طبعك السليم، واتصالا قريبا كاتصال الصديق الحميم، فما أنفس فرائده، وأثمن فوائده، وأفصح مقاله، وأفسح مجاله، صدر هذا الكتاب عن علم سابق، وفكر ثاقب، وذهن رائق، ونفس صادق، وروية ملأت تصانيفها المغارب والمشارق، فأكرم به من كتاب (جواهر) تكونت من ألفاظ عذاب، ومواهب لا تدرك بيد اكتساب، فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب، إذا تدبره الأديب أغنته تلك الأفانين، عن نغمات القوانين وإذا تأمله الأريب نزه طرفه رياض البساتين، قد سور على كل فن من البديع باب، لا يدخله

إلا من خص من البلاغة باللباب، والله تعالى يؤتيه الحكمة وفصل الخطاب.

حسن توفيق العدل

المدرس بمدرسة المعلمين الناصرية بنظارة المعارف العمومية

وقال صاحب الدولة المرحوم سعد باشا زغلول مخاطبا مؤلف هذا الكتاب:

كتاب هذا يا أستاذ $فضل ونعمة#. **ذَلِكَ فَضلُ اللهِ يؤتيهِ من يشاءُ والله ذُو الفَضل العظِيم** .

وإنه لدائرة معارف أدبية كبرى، وأنفس كتاب ألف في اللغة العربية وتاريخ آدا ا، صدر عن تجربة وحكمة. **ومن يؤت الحِكْمةَ فَقَد أُوتي خيرا كَثِيرا** .

كتبه

سعد زغلول

إليكم معشر الكتاب

أما بعد - حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن بعد الملوك المكرمين أصنافا وإن كانوا في الحقيقة سواءً، وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات إلى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم، فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الأدب والمروءة والعلم والرواية، بكم تنتظم للخلافة محاسنها، وتستقيم أمورها، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطا م، ويعمر بلدا م، لا يستغني الملك عنكم، ولا يوجد كافٍ إلا منكم، فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي ا يسمعون، وأبصارهم التي ا يبصرون، وألسنتهم التي ا ينطقون، وأيديهم التي ا يبطشون[1]، فأمتعكم[2] الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضفاه[3] من النعمة عليكم، وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج إلى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم.

أيها الكتاب: إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم، فإن الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات أموره أن يكون حليما في موضع الحلم فهيما في موضع الحكم، مقداما في موضع الإقدام، محجاما في موضع الإحجام[4]، مؤثرا[5] للعفاف والعدل والإنصاف، كتوما للأسرار، وفيا عند الشدائد، عالمًا بما يأتي من النوازل، يضع الأمور مواضعها، والطوارق أماكنها قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه، فإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفي به، يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده، وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره، فيعد لكل أمر عدته[6] وعتاده، ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته. فتنافسوا يا معشر الكتاب صنوف الآداب، وتفقهوا في الدين

---

(1) يدافعون.
(2) أبقاكم.
(3) أفاضه.
(4) التأخر.
(5) مختارا له.
(6) ما أعددته لحواديت الدهر.

وابدءوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية، فإ ا ثقاف[1] ألسنتكم، ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها[2]، فإن ذلك معين لكم ما تسمو إليه هممكم، ولا تضيعوا النظر في الحساب فإنه قوام[3] كتاب الخراج، وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها[4] ودنيها، وسفساف[5] الأمور ومحاقرها فإنه مزلة للرقاب مفسدة للكتاب، ونزهوا صناعتكم عن الدناءة واربأوا[6] بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات، وإياكم والكبر والصلف والعظمة فإ ا عداوة مجتلبة من غير إحنة[7] وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو أليق بأهل الفضل والعدل والنبل[8] من سلفكم، وإن نبا[9] الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع إليه حاله، ويثوب[10] إليه أمره، وإن أقعد أحدا منكم الكبر عن كسبه ولقاء إخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته، وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه أحفظ منه على ولده وأخيه، فإن عرضت في الشغل محمدة فلا يصرفها إلا إلى صاحبه، وإن عرضت مذمة فيحملها هو من دونه، وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال، فإن الغيب إليكم معشر الكتاب أسرع منه إلى الفراء[11] وهو لكم أفسد منه لها، فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبه الرجل يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره، واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سره وتدبير أمره ما هو جزاءٌ لحقه، ويصدق ذلك فعله له عند الحاجة إليه والاضطرار إلى ما لديه، فاستشعروا ذلك وفقكم

(1) العدة.
(2) تعديلها.
(3) نظام.
(4) رفيعها.
(5) الرديء من كل شيء.
(6) أعرضوا وفروا.
(7) إضمار حقد.
(8) الرفعة والسمو.
(9) قصر ونفر.
(10) يرجع.
(11) الجلد، لأنه سريع العطب.

الله من أنفسكم في حالتي الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والإحسان والسراء والضراء، فنعمت الشيمة هذه لمن وسم ا من أهل هذه الصناعة الشريفة، وإذا ولي الرجل منكم أو صير إليه من أمر خلق الله أمر فليرق الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقًا، وللمظلوم منصفًا فإن الخلق عيال الله، وأحبهم إليه أرفقهم بعياله، ثم ليكن بالعدل حاكما وللأشراف مكرما وللفيء[1] موفرا وللبلاد عامرا، وللرعية متألفًا، وعن أذاهم متخلفًا، وليكن في مجلسه متواضعا حليما وفي سجلات خراجه واستقصاء حقوقه دقيقًا، وإذا صحب من أحدكم رجلاً فليختبر خلائقه، فإذا عرف حسنها وقبيحها أعانه على ما يوافقه الحسن، واحتال على صرفه عما يهواه من القبيح بألطف حيلة وأجمل وسيلة، وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة أخلاقها، فإن كانت رموحا لم يهجها إذا ركبها وإن كانت شبوبا اتقاها من بين يديها، وإن خاف منها شرودا توقاها من ناحية رأسها وإن كانت حرونا قمع هواها برفق في طريقها[2] فإن استمرت عطفها يسيرا فيساس[3] له قيادها، وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجر م وداخلهم.

والكاتب بفضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاول من الناس ويناظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق بصاحبه، ومداراته وتقويم أورده من سائس البهيمة التي لا تفقه جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطابا إلا بقدر ما يصيرها إليه صاحبها الراكب عليها؛ ألا فأمعنوا رحمكم الله في النظر، واعملوا فيه ما أمكنكم من الروية والفكر تأمنوا بإذن الله ممن صحبتموه النبوة[4] والاستثقال والجفوة ويصير منكم إلى الموافقة وتصيروا منه إلى المؤاخاة والشفقة إن شاء الله. ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه، فإنكم مع ما فضلكم به الله من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير - واستعينوا على أفعالكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف[5] فإ ما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان أهلهما ولاسيما الكتاب

(1) الغنيمة والخراج.
(2) في مرة من المرات.
(3) وفي نسخة أخرى "يسلس" أي: ينقاد ويسهل.
(4) القبح.
(5) التنعم.

وأرباب الآداب، وللأمور أشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف[1] أعمالكم بما سبقت إليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة وأصدقها حجة وأحمدها عاقبة واعلموا أن التدبير آفة متلفة، وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ علمه ورؤيته، فليقصد الرجل في مجلسه قصد الكافي من منطقه، وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه؛ فإن ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل من إكثاره.

وليضرع إلى الله في صلة توفيقه وإمداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه وعقله وأدبه، فإنه إن ظن منكم ظان أو قال قائل إن الذي برز من جميل صنعته وقوة حركته إنما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره، فقد تعرض بظنه أو مقالته إلى أن يكله الله عز وجل إلى نفسه فيصير منها إلى غير كاف وذلك على من تأمله غير خافٍ.

ولا يقل أحد منكم إنه أبصر بالأمور، وأحمل لعبء التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدنه، فإن أعقل الرجلين عند ذوي الألباب من رمي بالعجب وراء ظهره، ورأى أن صاحبه أعقل منه وأجمل في طريقته.

وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله عليه جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا تكاثر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره، وحمد الله واجب على الجميع، وذلك بالتواضع لعظمته، والتذلل لعزته، والتحدث بنعمته.

وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل (من تلزمه النصيحة يلزمه العمل) وهو (جواهر) هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل. فلذلك جعلته آخره وتممته به؛ تولانا الله وإياكم يا معشر الكتبة بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده، فإن ذلك إليه وبيده، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد الحميد الكاتب.[2]

---

(1) مبدأ.

(2) هو عبد الحميد بن يحيى العامري، كاتب دولـة مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين - قتله السفاح 132هـ.

تمهيد في مبادئ علم الأدب

الأدب عبارة عن معرفة ما يحترز به من جميع أنواع الخطأ وهو قسمان: طبعي وكسبي.

فالطبعي ما فطر عليه الإنسان من الأخلاق الحسنة والصفات المحمودة كالكرم والحلم.

والكسبي ما اكتسبه بالدرس والحفظ والنظر وهو المقصود لنا في هذا الكتاب فحينئذ يعرف بأنه علم صناعي تعرف به أساليب الكلام البليغ في كل حال من أحواله، وهو المدعو (بعلم الأدب).

وموضوعه الكلام المنظوم والمنثور من حيث فصاحته وبلاغته.

وغايته الإجادة في فني- المنظوم والمنثور على أساليب العرب، و ذيب العقل، وتذكيته الجنان.

وفائدته أنه يعصم صاحبه من زلة الجهل، وأنه يروض الأخلاق ويلين الطبائع وأنه يعين على المروءة، وينهض بالهمم إلى طلب المعالي والأمور الشريفة.

وأركانه أربعة:

الأول: قوي العقل الغريزية، وهي خمسة:

الذكاء[١]. والخيال[٢]. والحافظة[٣]. والحس[٤]. والذوق[٥].

الثاني: معرفة الأصول وهي مجموع قوانين الكتابة، وفيها تبيان طرق حسن التأليف وضروب الإنشاء وفنون الخطابة.

وتنقسم هذه الأصول إلى قسمين: عامة وخاصة.

---

(1) الاستعداد التام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر وفي كتب اللغة الذكاء عبارة عن حدة الفؤاد وسرعة الفطنة [القاموس: ذكو].

(2) قوة باطنة تحفظ صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة وهو من أكبر أسباب النجاح في فن الكتابة.

(3) قوة من شأ ا حفظ ما يدركه العقل من المعاني فتذكره عند الحاجة ولذلك سميت ذاكرة.

(4) قوة يتأثر ا الإنسان من صورة المدركات كاللذة والألم وهو من شروط الكتابة إذ يعين الكاتب مما يحدث فيه من التأثير على رسم صورة المحسوسات رسما محكما فيقتدر إذ ذاك على تحريك العواطف واستمالة القلوب، ألا ترى أن الكلام العذب إذا حل في القلب أحدث فيه حركة وهزة!

(5) قوة غريزية لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية وتحصل بالمثابرة على الدرس وبالممارسة لكلام البلغاء وتكراره على السمع والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه وبتنـزيه العقل والقلب عما يفسد الأخلاق والآداب.

فالعامة: كالتآليف الأدبية من منظوم ومنثور في أغراض شتى.

والخاصة: كالتآليف المفردة بالرسائل أو بالأمثال.

الثالث: مطالعة تصانيف البلغاء بالتأني والتبصر فيها، ليدخر الكاتب كل لفظ مؤنق شريف وكل معنى بديع بحيث يتصرف ما عند الضرورة.

وشروطها ثلاثة:

الأول: أن يستقل المطالع بعض علماء اللغة وأئمة الأدب فيقتصر على درسهم حتى ينسخ على منوالهم.

الثاني: أن يطيل النظر في هذه المطالعة ويردد مرارا ما استحسنه من تصانيفهم كي يروض[١] الذهن في حلبة[٢] سباقهم فيقف على غريب أسلو م وعجيب تراكيبهم.

الثالث: أن ينتقي منها شيئًا مما استجاده[٣] من اللفظ الحر والتراكيب الصحيحة والمعاني البليغة ذخرا لذاكرته ومهمازا[٤] لقريحته.

الرابع: الارتياض وهو التدرب بوجوه الإنشاء بأن تتوسع في شرح بعض المعاني فتبينه بأوجه شتى وتنمقه بأشكال البديع وبأن تجتهد في وضع بعض مواضيع وجيزة فتصوغ تارة وصف مدينة أو مدحا أو نئةً، وأخرى تسرد مثلا أو تسبك رواية إلى غير ذلك - وأن تحذو حذو المتقدمين في أوضاعهم باستعمال ألفاظهم ومعانيهم وبأن تحل النظم فتأتي به نثرا أنيقًا[٥] تعقد النثر فتصوغه صوغًا رشيقًا[٦].

(1) يدرب.

(2) ميدان.

(3) وجده جيدا.

(4) حديدة تكون في مؤخر خف الرائد للمهر.

(5) معجبا.

(6) حسنا.

مقدمة في علم الإنشاء

الإنشاء لغة: الشروع والإيجاد والوضع، تقول: أنشأ الغلام يمشي إذا شرع في المشي، وأنشأ الله العالم: أوجدهم، وأنشأ فلان الحديث: وضعه.

واصطلاحا علم يعرف به استنباط المعاني وتأليفا مع التعبير عنها بلفظ لائق بالمقام وهو مستمد من جميع العلوم، وذلك لأن الكاتب لا يستثني صنفًا من الكتابة فيخوض في كل المباحث ويتعمد الإنشاء في كل المعارف البشرية.

وينحصر المقصود منه في ثلاثة أبواب وخاتمة وملحق.

الباب الأول: في أصول الإنشاء

وهي أربعة: مواده وخواصه وطبقاته ومحاسنه:

أما مواده فثلاث: الأولى الألفاظ الفصيحة[١] الصريحة[٢]، الثانية المعاني[٣]، الثالثة إيراد

---

(1) الألفاظ البينة الظاهرة المتبادرة إلى الفهم والمأنوسة الاستعمال لمكان حسنها.

(2) الألفاظ التي تدل على نفس المطلوب بحيث تكون كقالب لمعناها ويتوصل إلى ذلك بمعرفة المترادفات والصفات والأبدال.

(3) بحيث يكون المعنى واضحا، أي سهل المأخذ خاليا من اللبس والإشكال كقول الأخطل:

وإذا افْتقرت إلى الذخائر لم تجد ... ذُخرا يكون كصالح الأعمال

وأن يكون المعنى سديدا أي أن يكون القول مطابقًا للواقع كقول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ ... وكل نعيم لا محـالـةَ زائلُ

وأن يكون مطابقًا لمقتضى الحال كقول أبي العتاهية:

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصِدا ... ندِمت على التفْريط في زمن البذْر

ولهذا قال أبو الفتح البستي:

تكلم وسدد ما استطعت فإنما ... كلامك حي والسكوت جماد

فإن لم تجِد قولاً سديدا تقولـُه ... فصمتك عن غَير السداد سداد

والمراد بمقتضى الحال الأمر الذي يقتضيه الداعي إلى المتكلم على وجه مخصوص الناشئ عن مراعاة أحوال المتكلم والمخاطب ومقام الكلام - والمعنى إما أن يكون مبتكرا أي مخترعا كقول ابن النبيه:

الناس للموت كخيل الطرد ... فالسابِق السابق منها الجواد

وكقول آخر في وصف الشتاء:

والنار فاكهةُ الشتاءِ فمن يرد ... أكلَ الفَواكِهِ شاتيا فلْيصطلِ

أو دقيقًا فهو ما لطف مأخذه وبعد مرامه ودل على توقد فهم قائله كقول ابن عنين في فخر الدين الرازي وكانت قد دخلت إلى مجلسه حمامة خلفها صقر يريد صيدها فاستجارت بحجرته:

جاءت سليمانَ الزمان حمامةٌ ... والموت يلْمح في جناحي خاطِف

من أنبأ الورقَـاءَ أن محِلكم ... حـرام وأنك ملْجأ للخـائِف

أو فطريا وهو ما أورده الطبع السليم بلا تصنع ولا إعمال روية ودل على بعض السذاجة في قائله، كقول أحدهم وقد سئِل هل تسافر بحرا فأنشد:

لا أركَب البحر أخشى ... علي منـه المعاطِب

طِيـن أنـا وهو ماءٌ ... والطين في الماء ذائب

وكقول الصياد:

سبحانَ ربي يعطي ذا ويحرم ذا ... هذا يصيد وهذا يأكلُ السمكة

=

المعنى الواحد بطرق مختلفة، ومرجعها إلى الفصاحة وعلمي المعاني والبيان.

وأما خواصة فهي محاسنه السبعة، وهي:

أولا: الوضوح[١] بأن يختار المفردات البينة الدالة على المقصود أن يعدل عن كثرة العوامل[٢] في الجملة الواحدة، وأن يتحاشى الالتباس في استعمال الضمائر، وأن يسبك الجمل سبكا جليا بدون تعقيد والتباس، وأن يتحاشى كثرة الجمل الاعتراضية.

=

أو لينا وهو ما كان لطيف التعبير سلس الألفاظ دالا على أشياء تطرب المسامع وتبهج القلب كقوله:

إن السماءَ إذا لم تبكِ مقْلتهـا لم تضحكِ الأرض عن شيء مِن الزهر

أو نافذًا وهو ما وصل إلى الفهم بسرعة البرق وأخذ لحدته ومضائه بمجامع القلب كقول عنترة:

وما دانيت شخص الموتِ إلا كما يدنو الشجاع من الجبان

أو جامعا وهو ما أفاد باللفظ القليل المعنى الكثير كقول أبي تمام في المعتصم:

تراه إذا مـا جِئْتـه متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائلُه

تعود بسطَ الكف حتى لو أنه أراد انقباضا لم تطِعه أنامِلُـه

وكقول المتنبي:

قد شرف اللهُ أرضا أنت ساكِنها وشرف الناس إذْ سواك إنسانا

أو متينا وهو ما اتسم بالضبط والحزم وتمكن من ذهن سامعه كقول أبي العتاهية:

لدوا للموتِ وابنوا للخراب فكُلكم يصيـر إلـى ذَهابِ

والموغل والإيغال هو ما فتن بسموه القلب وسبى العقل وبلغ الغاية القصوى من البلاغة، كما قال قائل على لسان ربه:

سألت عبدي وأنت في كنفي وكُل ما قلت قد سَـمِعناه

سلْنـي بلا خشيةَ ولا رهب ولا تـخف إنـي أنا اللهُ

واعلم أنه ليس لهذه المعاني مصدر خاص، وإنما يحصل عليها الأديب من مطالعة كتب البلغاء وإعمال الفكرة الطويلة والتبصر في الموضوع الذي يقصد وصفه ليستخرج منه المعاني اللائقة به، وإنما يلتجئ إلى هذه المعاني عند مسيس الحاجة وذلك يختلف باختلاف أحوال المتكلم، ومقام المخاطب، ومواقع الكلام.

(1) كقوله:

ليس الجمـالُ بأثْوابٍ تزيننـا إن الجمالَ جمالُ العِلمِ والأدبِ

ليس اليتيم الذي قد مات والده بل اليتيم يتيم العِلمِ والحسبِ

(2) كقول بعضهم:

أقسم لا أعود أقوم أخطب فيكم

وثانيا: الصراحة بأن يكون الإنشاء سالمًا من ضعف التأليف وغرابة التعبير بحيث يكون الكلام حرا مهذبا تناسب ألفاظه المعاني المقصودة كما قيل:

تزين معانيه ألفاظه وألفاظُه زائنات المعاني

ويكون الكلام صريحا بانتقاء الألفاظ الفصيحة والمفردات الحرة الكريمة وكذا بإصابة المعاني وتنقيح العبارات مع جودة مقاطع الكلام وحسن صوغه وتأليفه؛ وكذا بمراعاة الفصل والوصل وهو العلم بمواضع العطف والاستئناف والاهتداء إلى كيفية إيقاف حروف العطف في مواقعها.

وثالثًا: الضبط وهو حذف فضول الكلام[١] وإسقاط مشتركات الألفاظ كقول قيس بن الخطيم[٢]:

أرى الموت لا يرعى على ذي قرابةٍ وإن كانَ في الدنيا عزيزا بمقْعـدِ

لعمرك مـا الأيـام إلا معـارة فما استطعت من معروفها فتزود

ورابعا: الطبعية بأن يخلو الكلام من التكلف والتصنع كما قال في رثاء أخيه أبو العتاهية[٣]:

بكيتك يا أخي بـدمع عـيني فلم يغن البكاءُ عليـك شـيا

وكانت في حياتك لي عِظـات وأنت اليوم أوعظُ مِنك حيـا

وذلك لأن من تطبع بغير طبعه نزعته العادة حتى ترده إلى طبعه كما أن الماء إذا أسخنته

(1) الزائد والحشو في الكلام.

(2) قَيس بن الخَطيم (ت. قبل الهجرة بسنتين/٦٢٠م) قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد، شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية، أول ما اشتهر به تتبعه قاتلي أبيه وجده حتى قتلهما، وقال في ذلك شعراً. وله في وقعة بعاث التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعار كثيرة، أدرك الإسلام وتريث في قبوله، فقتل قبل أن يدخل فيه.

(3) أبو العتاهِية: إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العـ ي، أبو إسحاق (١٣٠-٢١١هـ/ ٧٤٧-٨٢٦م) شاعر مكثر، سريع الخاطر، في شعره إبداع، يعد من مقدمي المولدين، من طبقة بشار وأبي نواس وأمثالهما. ولد ونشأ قرب الكوفة، وسكن بغداد. كان في بدء أمره يبيع الجرار ثم اتصل بالخلفاء وعلت مكانته عندهم. توفي في بغداد.. والأبيات من قصيدة قصيرة مطلعها:

ألا من لي بأنسك يا أخيا ومن لي أن أبثك ما لديا

وتركته عاد إلى طبعه من البرودة وحينئذ فالطبع أملك.

وخامسا: السهولة بأن يخلص الكلام من التعسف في السبك وأن يختار ما لان منها كما قال في الأشواق اء الدين زهير اء الدين زهير:[١]

شـــوقي إليـــك شـــديد كمـــا علمـــت وأزيـــد
فكيـــف تنكـــر حبـــا بـــه ضـــميرك يشـــهد

وأن ذب الجمل وأن يأتلف اللفظ مع مراعاة النظير كما قال الشاعر أبو بكر الخالدي[٢] في الوداع:

في **كنـــف الله ظـــاعِن ظَعنـــا أودع قلـــبي وداعـــه حزنـــا**
لا أبصرت مقلـــتي محاســـنه إن كنت أبصرت بعده حسنا

قال بعض البلغاء: أحذركم من التقعير والتعمق في القول وعليكم بمحاسن الألفاظ والمعاني المستخفة المستملحة فإن المعنى المليح إذا كسي لفظًا حسنا وأعاره البليغ مخرجا سهلاً كان في قلب السامع أحلى ولصدره أملأ ، قال البستي أبو الفتح البستي:[٣]

إذا انقاد الكلام فقُده عفـــوا إلى **ما تشـــتهيه مـــن المعـــاني**
ولا تكـــره بيانـــك إنْ تـــأبى فلا إكْـــراه في **ديـــن البيـــان**

(1) زهير بن محمد بن علي المهلبي العتكي اء الدين (٥٨١ - ٦٥٦ هـ / ١١٨٥ - ١٢٥٨ م) شاعر من الكتاب، ولد بمكة ونشأ بقوص، واتصل بالملك الصالح أيوب بمصر، فقربه وجعله من خواص كتابه وتوفي بمصر، والبيتان هما كل المقطوعة.

(2) محمد بن هشام بن وعلة أبو بكر الخالدي (ت ٣٨٠ هـ /٩٩٠ م) شاعر أديب، من أهل البصرة، اشتهر هو وأخوه سعيد بالخالديين وكانا من خواص سيف الدولة بن حمدان، وولاهما خزانة كتبه، لهما تآليف في الأدب، وكانا يشتركان في نظم الأبيات أو القصيدة، فتنتسب إليهما معا، والبيتان هما كل المقطوعة.

(3) علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي (ت ٤٠٠ هـ/١٠١٠ م) ولد في بست (قرب سجستان) وإليها ينسب، وكان من كتاب الدولة السامانية في خراسان وارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين. له ديوان شعر صغير، فيه بعض شعره، وفي كتب الأدب كثير من نظمه غير مدون، والبيتان من مقطوعة من ثلاثة أبيات بعدهما بيت البيت الثالث:

ثم **قالا إلهنا قد سئمنا جمع الريق** في **مكان**

وسادسا: الاتساق بأن تتناسب المعاني كقول المتنبي: [١]

وما زلت حتى قادني الشوق نحوه ... يسايرني في كل ركب له ذكْر[٢]

وأستكبر الأخبـار قبـلَ لقائـهِ ... فلما التقْينا صغر الخـبر الخـبر

وسابعا: الجزالة وهي إبراز المعاني الشريفة في معارض من الألفاظ الأنيقة[٣] اللطيفة كقول الصابئ:[٤]

لك في المحافل منطق يشفي الجَوى[٥] **... ويسوغُ في أذُن الأديبِ سلافُه**[٦]

فكأن لفظك لؤلـؤ متنخـلٌ[٧] **... وكأنمـا آذاننـا أصـدافُه**

وأما عيوبه فسبعة الهجنة بأن يكون اللفظ سخيفًا والمعنى مستقبحا بشار بن برد:[٨]

---

(1) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب (303 - 354 هـ / ٩١٥ - ٩٦٥ م) الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي ولد بالكوفة في محلة تسمى كندة وإليها نسبته، ونشأ بالشام، وفد على سيف الدولة ابن حمدان صاحب حلب فمدحه وحظي عنده. ومضى إلى مصر فمدح كافور الإخشيدي وطلب منه أن يوليه، فلم يوله كافور، فغضب أبو الطيب وانصرف يهجوه، قصد العراق وفارس، فمدح عضد الدولة ابن بويه الديلمي في شيراز. عاد يريد بغداد فالكوفة، فعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي في الطريق بجماعة من أصحابه، ومع المتنبي جماعة أيضاً، فاقتتل الفريقان، فقتل أبو الطيب وابنه محسد وغلامه مفلح بالنعمانية بالقرب من دير العاقول في الجانب الغربي من سواد بغداد، والشعر من قصيدته التي مطلعها:

أُطاعِن خيلاً مِن فَوارِسِها الدهر ... وحيدا وما قَولي كَذا ومعي الصبر.

(2) خبر زلت "يسايرني"، والركب جماعة الراكبين، أي ما زلت أسمع ذكره في كل ركب صحبته حتى قادني الشوق إلى زيارته، والمتنبي يمدح عليا الأنطاكي؛ ومعنى البيت الثاني: إني ما زلت أستعظم ما يذكر لي من أخباره حتى لقيته فصغرت عندي تلك الأخبار بالنسبة إليه لأني وجدته أعظم مما وصفوا.

(3) المعجبة.

(4) الصابئ: هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال كاتب ديوان الإنشاء عن الخليفة وعن عز الدولة بن بويه وهو معدود من رجالات الكتابة توفي سنة ٣٨٤هـ.

(5) الخمرة.

(6) الحرقة.

(7) مصطفى ومختار.

(8) بشار بن برد العقيلي، أبو معاذ. (٩٥ - ١٦٧ هـ / ٧١٣ - ٧٨٣ م) كان ضريراً، أشعر المولدين =

وإذا أدنيـــت منـــها بصـــلا غلب المسك على ريح البصل

والوحشية كون الكلام تمجه الأسماع وتنفر منه الطباع كقول المتنبي: (١)

وما أرضـــى لمقلتِـــهِ بحلـــمٍ إذا انتبهت توهمه ابتشاكا (٢)

والركاكة أي ضعف التأليف وسخافة العبارة كقول المتنبي: (٣)

إن كانَ مثلك كان أو هو كائن فبرئْت حينئذٍ مـــن الإســـلام

والسهو عبارة عن ضعف البصر بمواقع الكلام كقول المتنبي يشبه ممدوحه بالله تعالى (وهو كفر): (٤)

تتقاصر الأفهـــام عـــن إدراكـــه مثل الذي الأفلاك منه والـــدنا(٥)

والإسهاب أي الإطالة الزائدة المملة في شرح المادة والعدول إلى الحشو كقوله:

وأعني فتى لم تذر الشمس طالعة يوما من الدهر إلا ضر أو نفعا

والجفاف والإيجاز والاختصار النخل كقول الحارث بن حلزة المتوفى: (٦)

=

على الإطلاق، أصله من طخارستان غربي نهر جيحون ونسبته إلى امرأة عقيلية قيل أنها أعتقته من الرق، نشأ في البصرة وقدم بغداد، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية، دفن بالبصرة، البيت من مقطوعة من بيتين أولهما:

إن سلمى خلقت من قصبٍ قصبِ السكر لا عظم الجَمل

(1) الشعر من قصيدته التي مطلعها:

فِدى لك من يقصر عن مداكا فلا ملك إذَن إلاّ فَداكا

(2) يقول: وإن حدثه حلم في نومه عن شكري له فلا أرضى به لعله يتوهمه كذبا.

(3) الشعر من قصيدته التي مطلعها:

ذِكر الصِبى ومرابِع الآرامِ جلبت حِمامي قَبلَ وقتِ حِمامي

(4) الشعر من قصيدته التي مطلعها:

الحُب ما منع الكَلام الألسنا وألذ شكوى عاشِق ما أعلنا

(5) الدنيا.

(6) الحارث بن حِلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي. (ت. ٥٤ قبل الهجرة / ٥٧٠ م) شاعر جاهلي من أهل بادية العراق، وهو أحد أصحاب المعلقات، ارتجل معلقته بين يدي عمرو بن هند الملك بالحيرة، جمع بها كثيراً من أخبار العرب ووقائعهم حتى صار مضرب المثل في الافتخار.

فالنوك[١] خير في ظِلا ل العيش مِمن عاش كَدا[٢]

ووحده السياق التزام أسلوب واحد من التعبير وطريقة واحدة من التركيب بحيث تكون للأذهان كلالاً[٣] وللقلوب ملالاً[٤]:

وللكلام عيوب كثيرة منها: اللحن ومخالفة القياس الصرفي وضعف التأليف والتعقيد اللفظي والمعنوي والتكرار وتتابع الإضافات، إلى غير ذلك من الأشياء التي تكون ثقيلة على اللسان مخالفة للذوق والعرف غريبة على السمع[٥].

وأما طبقاته فثلاث:

الأولى: **الطبقة السفلى**: ومرجعها إلى الإنشاء الساذج وهو: ما عرى عن رقة المعاني وجزالة الألفاظ والتأنق في التعبير، فهو بالكلام العادي أشبه لسهولة مأخذه وقرب مورده، ويستعمل في المحافل العمومية ليقرب منال المعاني على جمهور السامعين، وفي المقالات والتآليف العلمية لينصرف الذهن إلى أخذ المعنى وليس دونه حائل من جهة العبارة، وفي المكاتبات الأهلية والرحلات والأسفار والأخبار وما شابه ذلك.

الثانية: **الطبقة العليا**: ومرجعها إلى الإنشاء العالي، وهو ما شحن بغرر الألفاظ، وتعلق بأهداب ا از ولطائف التخيلات وبدائع التشابيه فيفتن ببراعته العقول ويسحر الألباب ويصلح في الترسل بين بلغاء الكتاب وفي ا الس الأدبية وديباجة بعض التصانيف إلى غير ذلك من المواضع التي من شأ ا الزجر وتحريك العواطف والحماسة.

---

(1) بفتح النون وضمها الحمق.

(2) تعبا.

(3) سيئة.

(4) سآمة.

(5) حكي عن الصفي الحلي أن بعض الفضلاء بلغه أنه اطلع على ديوانه وقال لا عيب فيه سوى أنه خال من الألفاظ الغريبة فأجابه الصفي:

إنمـــا الحيزبـــون والـــدردبيس والطخـــا والنقـــاخ والعطلبـــيس

لغـــة تنفـــر المســـامع منـــها حـــين تـــروي وتشـــمئز النفـــوس

وقبـــيح أن يســـلك النـــافر الوحشـــي منـــها ويتـــرك المـــأنوس

إن خـــير الألفـــاظ مـــا طـــرب السامع منه وطـــاب فيـــه الجلـــيس

ولذيذ الألفاظ مغناطيس

الثالثة: **الطبقة الوسطى:** ومرجعها إلى الإنشاء الأنيق[١] وهو ما توسط بين الإنشاء العالي والساذج، فيأخذ من الأول رونقه ورشاقته ومن الثاني جلاءه وسلاسته ويصلح في مراسلات ذوي المراتب وفي الروايات المنمقة والأوصاف المسهبة، وفي خطب المحافل وما أشبه ذلك[٢].

وأما محاسنه فهي أساليب وطرائق معلومة وضعت لتزيين الكلام وتنميقه لغرض أن يتمكن البليغ من ذهن السامع بما يورده من أساليب الكلام المستحسنة، فيحرك أهواء النفس ويثير كامن حركا ا، والغرض أن يكون قوله أشد اتصالاً بالعقل وأقرب للإدراك بتصرفه في فنون البلاغة.

كيفية الشروع في عمل مواضيع الإنشاء

إذا عن[٣] لك أو اقترح عليك إنشاء موضوع فأنت منوط[٤] إذًا بأمرين: التفكر أولاً، والكتابة ثانيا، فإذا أنعمت الفكر مليا[٥] في أجزاء الموضوع بعد استيلاء الإحساس ا على قلبك، وقلبتها على جميع الأوجه الممكنة فيها تولد في خيالك لكل جزء عدة صور[٦] تتفاوت في تأديته كتفاوت صور المنظوم في الحسن والقبح، فبعضها يستميل النفوس بتأثيره في الحواس، وبعضها يوجب نفورها، وبعضها بين بين، وإذا تشخصت الصور في الخيال يتخير العقل منها ما له المكانة الرفيعة في حسن تأدية الغرض المناسب للمقام، فإن كان المقام للتحريض على القتال مثلا انتخب الصورة المهيجة للإحساس[٧]، المشجعة للنفس على اقتحام

---

(1) المحب.

(2) الذي اشتهر بالإنشاء الساذج السيوطي والماوردي والغزالي وأبو الفرج الأصبهاني وابن الأثير وأبو الفداء، والذي اشتهر بالإنشاء الأنيق الثعالبي وابن خلكان وابن خلدون والطبري والفخري وابن المعتز والبهاء زهير وابن المقفع والمسعودي، والذي اشتهر بالإنشاء العالي الحريري والهمذاني والمعري والأخطل وجرير وأبو تمام والبحتري والمتنبي وابن خاقان والعتبي والفارضي، واعلم أن طبقات الإنشاء كثيرا ما تختلط ببعضها فيصعب تعيين طبقتها فربما جاء في القطعة الواحدة أشياء من الطبقات الثلاث لا يميزها إلا المنتقد البصير.

(3) عرض.

(4) ملزم.

(5) ساعة طويلة.

(6) أما إذا تساوت في حسن تأدية الغرض أخذ إحداها فقط ولا يحسن جمعها.

(7) الأحزان.

=

الأخطار وإن كان المقام مقام فرح وسرور انتخب ما يشرح الصدور.

وبعد تشخص الصور وتخير المناسب منها تعتن - أيها المنشئ - بحسن تأليف وترتيب ما تخيرته بأن تجمع الصورة المناسبة التي يرتبط بعضها ببعض بدون تكلف بحيث يكون منسجما يمضي وحده مع النفس دون علاج وتعب في فهم الغرض منه، وحينئذ يمكنك إظهار هذه الصورة المعقولة في صورة محسوسة بواسطة القلم.

أركان الكتابة

اعلم أن للكتابة أركانا لابد من إيداعها في كل كتاب بلاغي ذي شأن:

أولها: أن يكون مطلع الكتاب عليه جدة[1] ورشاقة، فإن الكاتب من أجاد المطلع والمقطع، أو يكون مبنيا على مقصد الكتاب.

الثاني: أن يكون خروج الكاتب من معنى إلى معنى برابطة لتكون رقاب المعاني آخذة بعضها ببعض ولا تكون مقتضبة.

الثالث: أن تكون ألفاظ الكتاب غير مخلوقة بكثرة الاستعمال، ولا أريد بذلك أن تكون ألفاظًا غريبة فإن ذلك عيب فاحش بل أريد أن تكون الألفاظ المستعملة مسبوكة سبكًا غريبا يظن السامع أ ا غير ما في أيدي الناس، وهي مما في أيدي الناس، وهناك معترك الفصاحة التي تظهر فيه الخواطر براعتها والأقلام شجاعتها، وهذا الموضع بعيد المنال كثير الإشكال يحتاج إلى لطف ذوق وشهامة خاطر، وليس كل خاطر براق إلى هذه الدرجة **ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يَشَاءُ واللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ** [الحديد: ٢١] ومع هذا فلا تظن - أيها الناظر في كتابي - أني أردت ذا القول إهمال جانب المعاني بحيث يؤتى باللفظ

=

تنبيه: يراعى حال المخاطب ومنـزلته فإن ما يحسن عند الذكي لا يحسن عند الغبي، وما يناسب ذا الجد لا يناسب الهزلي، وما يصلح للرئيس لا يصلح للمرءوس؛ فخاطب كلا على قدر أ ته وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته ونباهته، فزن اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف إذا عرضت، وعاير الكلمة بمعيارها إذا سنحت فكلما احلولى الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه كان أسهل ولوجا في الأسماع وأشد اتصالاً بالقلوب وأخف على الأفواه، ولاسيما إذا كان المعنى البديع مترجما بلفظ مؤنق شريف ومعايرا بكلام عذب بدون تكلف ولا تعقيد، فالمعنى الخفي أشبه بالروح الخفي واللفظ الظاهر أشبه بالجثمان الظاهر، وإلا تضاءل المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح كتضاءل الحسناء في الأطمار الرثة.

(1) صار جديدا مبتكرا، وهو نقيض الخلق الذائب.

الموصوف بصفات الحسن والملاحة، ولا يكون تحته من المعنى ما يماثله ويساويه فإنه إذا كان كذلك كان كصورة حسنة بديعة في حسنها إلا أن صاحبها بليد أبله، والمراد أن تكون هذه الألفاظ المشار إليها جسما لمعنى شريف، على أن تحصيل المعاني الشريفة على الوجه الذي أشرت إليه أيسر من تحصيل الألفاظ المشار إليها، ولقد رأيت كثيرا من الجهال الذين هم من السوقة أرباب الحرف والصنائع، وما منهم إلا من يقع له المعنى الشريف ويظهر من خاطره المعنى الدقيق، ولكنه لا يحسن أن يزوج بين لفظتين، فالعبارة عن المعاني هي التي ا تخلب العقول، وعلى هذا فالناس كلهم مشتركون في استخراج المعاني، فإنه لا يمنع الجاهل الذي لا يعرف علما من العلوم أن يكون ذكيا بالفطرة.

واستخراج المعاني إنما هو بالذكاء لا بتعلم العلم.

فإذا استكملت معرفة هذه الأركان وأتيت ا في كل كتاب بلاغي ذي شأن فقد استحققت حينئذ فضيلة التقدم، ووجب لك أن تسمي نفسك كاتبا.

(عن $المثل السائر# باختصار)

كيفية نظم الكلام

إذا أردت أن تصنع كلاما فأخطر معانيه ببالك، وتنق له كرائم اللفظ، واجعلها على ذكر منك ليقرب عليك تناولها ولا يتعبك تطلبها، واعمله ما دمت في شباب نشاطك، فإذا غشيك الفتور وتخونك الملال فأمسك، فإن الكثير مع الملال قليل، والنفيس مع الضجر خسيس، والخواطر كالينابيع يسقى منها شيء بعد شيء، فتجد حاجتك من الري، وتنال أربك من المنفعة فإذا أكثرت عليها نضب ماؤها وقل عنك عناؤها، واعلم أن ذلك أجدى عليك ما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطالبة وا اهدة والتكلف والمعاودة، وإياك والتوعر، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك.

ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظًا كريما، فإن من حق المعنى الشريف اللفظ الشريف.

فإذا لم تجد اللفظة واقعة موقعها صائرة إلى مستقرها حالة في مركزها متصلة بسلكها، بل وجد ا قلقة في موضعها نافرة عن مكا ا فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنـزول في غير أوطا ا، فإنك إن لم تتعاط قريض الشعر المنظوم ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور، ولم يعبك بذلك أحد.

وإن تكلفته ولم تكن حاذقًا مطبوعا ولا محكما لشأنك بصيرا، عابك من أنت أقل عيبا

منه، وزرى[1] عليك من هو دونك.

فإن لم تسمح لك الطبيعة بنظم الكلام في أول وهلة، وتعصى عليك بعد إجالة الفكرة، فلا تعجل، ودعه سحابة يومك ولا تضجر، وأمهله سواد ليلتك وعاوده عند نشاطك، فإنك لا تعدم الإجابة والمؤاتاة، فإن تمنع عليك بعد ذلك - مع ترويح الخاطر وطول الإمهال - فتحول من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك وأخفها عليك؛ فإنك لم تشتهها إلا وبينكما نسب، والشيء لا يحن إلا إلى ما شاكله.

وينبغي أن تعرف أقدار المعاني، فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين وبين أقدار الحالات، فتجعل لكل طبقة كلاما، ولكل حال مقاما، حتى تقسم أقدار المعاني المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات.

(من $كتاب الصناعتين# باختصار)

الطريق إلى تعلم الكتابة

إن الطريق إلى تعلم الكتابة على ثلاث شعب:

الأولى: أن يتصفح الكاتب كتابة المتقدمين، ويطلع على أوضاعهم في استعمال الألفاظ والمعاني، ثم يحذو حذوهم: وهذه أدنى الطبقات عندي.

والثانية: أن يمزج كتابة المتقدمين بما يستجيده لنفسه من زيادة حسنة، إما في تحسين ألفاظ، أو في تحسين معانٍ، وهذه هي الطبقة الوسطى، وهي أعلى من التي قبلها.

والثالثة: أن لا يتصفح كتابة المتقدمين، ولا يطلع على شيء منها، بل يصرف همه إلى حفظ القرآن الكريم وعدة من دواوين فحول الشعراء ممن غلب على شعره الإجادة في المعاني والألفاظ، ثم يأخذ في الاقتباس، فيقوم ويقع ويخطئ ويصيب ويضل ويهتدي حتى يستقيم ويفتتحها لنفسه، وأخلق بتلك الطريق أن تكون مبتدعة غريبة لا شركة لأحد من المتقدمين فيها، وهذه الطريق هي طريق الاجتهاد وصاحبها يعد إماما في فن الكتابة، إلا أ ا مستوعرة جدا، ولا يستطيعها إلا من رزقه الله لسانا هجاما وخاطرا رقاما، ولا أريد ذه الطريق أن يكون الكاتب مرتبطا في كتابته بما يستخرجه من القرآن الكريم والشعر، بحيث إنه لا ينشئ كتابا إلا من ذلك، بل أريد أنه إذا حفظ القرآن وأكثر من حفظ الأشعار ثم نقب عن ذلك تنقيب مطلع على معانيه مفتش عن دفائنه وقلبه ظهرا لبطن عرف حينئذ من أين تؤكل

---

(1) زرى: عاب.

الكتف فيما ينشئه من ذات نفسه، واستعان بالمحفوظ على الغريزة الطبيعية.
(عن $المثل السائر# باختصار)

كيفية تهذيب الكلام وأوقات تأليفه

تهذيب الكلام: عبارة عن ترداد النظر فيه بعد عمله - نظما كان أو نثرا - وتغيير ما يجب تغييره، وحذف ما ينبغي حذفه وإصلاح ما يتعين إصلاحه، وتحرير ما يدق من معانيه، واطراح ما يتجافى عن مضاجع الرقة من غليظ ألفاظه، لتشرق شموس التهذيب في سماء بلاغته، وترشف الأسماع على الطرب رقيق سلافته، فإن الكلام إذا كان موصوفا بالمهذب، منعوتا بالمنقح، علت رتبته وإن كانت معانيه غير مبتكرة، وكل كلام قيل فيه: لو كان موضع هذه الكلمة غيرها، ولو تقدم هذا المتأخر وتأخر هذا المتقدم أو لو تمم هذا النقص بكذا، أو لو حذفت هذه اللفظة، أو لو اتضح هذا المقصد وسهل هذا المطلب لكان الكلام أحسن والمعنى أبين - كان ذلك الكلام غير منتظم في نوع التهذيب.

وكان زهير بن أبي سلمى[1] معروفًا بالتنقيح والتهذيب، وله قصائد تعرف بالحوليات - قيل: إنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر، ويهذبها وينقحها في أربعة أشهر، ويعرضها على علماء قبيلته أربعة أشهر، ولهذا كان الخليفة عمر بن الخطاب - مع جلالته في العلم، وتقدمه في النقد - يقدمه على سائر الفحول من طبقته.

وما أحسن ما أشار أبو تمام[2] إلى التهذيب بقوله:

خذْها ابنةَ الفِكْرِ المُهذب في الدجى   والليلُ أسـود رقْعـةَ الجِلْبـاب

فإنه خص تهذيب الفكر بالدجى لكون الليل تهدأ فيه الأصوات وتسكن الحركات، فيكون الفكر فيه مجتمعا ومرآة التهذيب فيه صقيلة، لخلو الخاطر وصفاء القريحة، لاسيما وسط الليل.

---

(1) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني، من مضر (ت. ١٣ قبل الهجرة / ٦٠٩ م) حكيم الشعراء في الجاهلية وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة، قال ابن الأعرابي: كان لزهير من الشعر ما لم يكن لغيره: كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة، أشهر شعره معلقته التي مطلعها:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

(2) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (١٨٨ - ٢٣١ هـ / ٨٠٣ - ٨٤٥ م) أحد أمراء البيان، ولد بجاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي بها.

قال أبو عبادة البحتري: [1] كنت في حداثتي أروي الشعر، وكنت أرجع فيه إلى طبع سليم، ولم أكن وقفت له على تسهيل مأخذ ووجوه اقتضاب حتى قصدت أبا تمام وانقطعت إليه واتكلت في تعريفه عليه، فكان أول ما قال لي: يا أبا عبادة، تخير الأوقات وأنت قليل الهموم، صفر من الغموم.

واعلم أن العادة في الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شيء أو حفظه أن يختار وقت السحر - وذلك أن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عليها ثقل الغذاء؛ واحذر ا هول من المعاني وإياك أن تشين[٢] شعرك بالألفاظ الوحشية وناسب بين الألفاظ والمعاني في تأليف الكلام، وكن كأنك خياط تقدر الثياب على مقادير الأجسام، وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب ولا تنظم إلا بشهوة، فإن الشهوة نعم المعين على حسن النظم، وجملة الحال: أن تعتبر شعرك بما سلف من أشعار الماضين، فما استحسن العلماء فاقصده وما استقبحوه فاجتنبه.

(عن $خزانة الأدب - وزهر الآداب# باختصار)

محاسن الإنشاء ومعايبه

إن للنثر محاسن ومعايب، يجب على المنشئ أن يفرق بينهما محترزا استعمال الألفاظ الغريبة، وما يخل بفهم المراد ويوجب صعوبته - ولابد من أن يجعل الألفاظ تابعة للمعاني دون العكس، لأن المعاني إذا تركت على سجيتها طلبت لأنفسها ألفاظًا تليق ا فيحسن اللفظ والمعنى جميعا، وأما جعل الألفاظ متكلفة والمعاني تابعةً لها، فهو شأن من لهم شغف بإيراد شيءٍ من المحسنات اللفظية فيصرفون العناية إليها، ويجعلون الكلام كأنه غير مسوق لإفادة المعنى، فلا يبالون بخفاء الدلالات وركاكة المعنى.

ومن أعظم ما يليق بمن يتعاطى الإنشاء أن يكتب ما يراد لا ما يريد، كما قيل في

---

(1) حبيب الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي أبو عبادة البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ / ٨٢١ - ٨٩٧ م) شاعر كبير، يقال لشعره سلاسل الذهب، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم، المتنبي وأبو تمام والبحتري، ولد بنمنبج بين حلب والفرات ورحل إلى العراق فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي وتوفي بمنبج، له كتاب الحماسة، على مثال حماسة أبي تمام.

(2) تعيب.

الصاحب[1] والصابئ: أن الصابئ يكتب ما يراد، والصاحب يكتب ما يريد.

(عن $آداب المنشئ# ببعض تصرف)

فصاحة الألفاظ ومطابقتها للمعاني

فصاحة الألفاظ تكون بثلاثة أوجه:

الأول: مجانبة الغريب الوحشي، حتى لا يمجه سمع، ولا ينفر منه طبع.

والثاني: تنكب اللفظ المبتذل، والبعد عن الكلام المسترذل حتى لا يستسفطه خاصي، ولا ينبو عنه فهو عامي، كما قال الجاحظ[2] في كتاب البيان: أما أنا فلم أر قوما أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب: وذلك أ م قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا، ولا ساقطا عاميا.

والثالث: أن يكون بين الألفاظ ومعانيها مناسبة ومطابقة.

أما المطابقة: فهي أن تكون الألفاظ كالقوالب لمعانيها فلا تزيد عليها ولا تنقص عنها.

وأما المناسبة: فهي أن يكون المعنى يليق ببعض الألفاظ - إما لعرف مستعمل، أو لاتفاق مستحسن - حتى إذا ذكرت تلك المعاني بغير تلك الألفاظ كانت نافرة عنها، وإن كانت أفصح وأوضح لاعتياد ما سواها.

(عن $آداب الدين والدنيا# باختصار)

حقيقة الفصاحة

---

(1) إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس أبو القاسم الطالقاني (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ / ٩٣٨ - ٩٩٥ م) وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتدبيراً وجودة رأي. استوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة. ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه. فكان يدعوه بذلك، ولد في الطالقان (من أعمال قزوين) وإليها نسبته، وتوفي بالري ونقل إلى أصبهان فدفن فيها. له تصانيف جليلة، وشعر فيه رقة وعذوبة، وتواقيعه آية الإبداع في الإنشاء له معرفة وإلمام بالتفسير والحديث واللغة والتاريخ.

(2) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ولاءً) الليثي أبو عثمان (١٦٣-٢٥٥هـ/٧٨٠-٨٦٩م) كبير أئمة الأدب، مولده ووفاته بالبصرة فلج في آخر عمره، وكان مشوه الخلقة، مات والكتاب على صدره، قتلته مجلدات وقعت عليه، له تصانيف كثيرة منها: (الحيوان- ط) أربعة مجلدات، (البيان والتبيين-ط)، (سحر البيان - ط)، و(التاج - ط) ويسمى أخلاق الملوك، (والبخلاء -ط) وغيره الكثير.

اعلم أن هذا موضوع متعذر على الوالج[١]، ومسلك متوعر[٢] على الناهج، ولم تزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون القول فيه والبحث عنه، ولم أجد من ذلك ما يعول عليه إلا القليل، وغاية ما يقال في هذا الباب: إن الفصاحة هي الظهور والبيان في أصل الوضع اللغوي - يقال: أفصح الصبح إذا ظهر، ثم إ م يقفون عند ذلك ولا يكشفون عن السر فيه، و ذا القول لا تتبين حقيقة الفصاحة، لأنه يعترض عليه بوجوه من الاعتراضات:

أحدها: إذا لم يكن اللفظ ظاهرا بينا لم يكن فصيحا ثم إذا ظهر وتبين صار فصيحا.

الوجه الثاني: أنه إذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين فقد صار ذلك بالنسب والإضافات إلى الأشخاص؛ فإن اللفظ قد يكون ظاهرا لزيد ولا يكون ظاهرا لعمرو، فهو إذًا فصيح عند هذا، وغير فصيح عند ذاك؛ وليس كذلك بل الفصيح هو فصيح عند الجميع لا خلاف فيه بحال من الأحوال ولأنه إذا تحقق حد الفصاحة وعرف ما هي، لم يبق في اللفظ الذي يختص به خلاف.

الوجه الثالث: أنه إذا جيء بلفظ قبيح ينبو عنه السمع وهو مع ذلك ظاهر بين ينبغي أن يكون فصيحا، وليس كذلك لأن الفصاحة وصف حسن للفظ لا وصف قبح.

ولما وقفت على أقوال الناس في هذا الباب ملكتني الحيرة فيها، ولم يثبت عندي منها ما أعول عليه، ولكثرة ملابستي هذا الفن ومعاركتي إياه، انكشف لي السر فيه - وسأوضحه في كتابي هذا وأحقق القول فيه فأقول: إن الكلام الفصيح هو الظاهر البين، وأعني بالظاهر البين، أن تكون ألفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها إلى استخراج لغة.

وإنما كانت ذه الصفة لأ ا تكون مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرة في كلامهم، وإنما كانت مألوفة الاستعمال دائرة في الكلام دون غيرها من الألفاظ لمكان حسنها، وذلك أن أرباب النظم والنثر غربلوا اللغة باعتبار ألفاظها، وسبروا وقسموا، فاختاروا الحسن من الألفاظ حتى استعملوه وعلموا القبيح منها فلم يستعملوه، فحسن الاستعمال سبب استعمالها دون غيرها، واستعمالها دون غيرها - سبب ظهورها وبيا ا؛ فالفصيح إذًا من الألفاظ هو الحسن.

فإن قيل: من أي وجه علم أرباب النظم والنثر الحسن من الألفاظ حتى استعملوه،

---

(1) الداخل.

(2) صعب.

وعلموا القبيح منها حتى نفوه، ولم يستعملوه؟ قلت في الجواب: إن هذا من الأمور المحسوسة التي شاهدوها من نفسها؛ لأن الألفاظ داخلة في حيز الأصوات، فالذي يستلذه السمع منها ويميل إليه هو الحسن والذي يكرهه وينفر عنه هو القبيح، ألا ترى أن السمع يستلذ صوت البلبل من الطير وصوت الشحرور ويميل إليهما، ويكره صوت الغراب وينفر عنه؟ وكذلك يكره يق الحمار، ولا يجد ذلك في صهيل الفرس؟ والألفاظ جارية هذا ا ری، فإنه لا خلاف في أن لفظة المزنة والديمة حسنة يستلذها السمع، وأن لفظة البعاق قبيحة يكرهها السمع، وهذه اللفظات من صفة المطر، وهي تدل على معنى واحد، ومع هذا فإنك ترى لفظتي المزنة والديمة وما جرى مجراهما مألوفتي الاستعمال - وترى لفظ البعاق، وما جرى مجراه متروكًا لا يستعمل، وإن استعمل فإنما يستعمله جاهل بحقيقة الفصاحة، أو من ذوقه غير ذوق سليم.

ولا جرم أنه ذم وقدح فيه ولم يلتفت إليه وكان عربيا محضا من الجاهلية الأقدمين؛ فإن حقيقة الشيء إذا علمت وجب الوقوف عندها ولم يعرج على ما خرج عنها.

(عن $ابن الأثير# باختصار)

الانسجام

الانسجام لغة: جريان الماء، وعند أهل البلاغة هو أن يأتي الناظم أو الناثر بكلام خال من التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي بسيطًا مفهوما دقيق الألفاظ جليل المعنى، لا تكلف ولا تعسف فيه، يتحدر كتحدر الماء المنسجم، فيكاد لسهولة تركيبه، وعذوبة ألفاظه، أن يسيل رقة.

ولا يكون ذلك إلا في من هو مطبوع على سلامة الذوق، وتوقد الفكرة وبراعة الإنشاء وحسن الأساليب.

وإن فحول هذا الميدان ما أثقلوا كاهل سهولته بنوع من أنواع البديع، اللهم إلا أن يأتي عفوا من غير قصد.

وعلى هذا أجمع علماء البديع في حد هذا النوع، فإ م قرروا أن يكون بعيدا عن التصنع، خاليا من الأنواع البديعية إلا أن يأتي في ضمن السهولة من غير قصد، فإن كان الانسجام في النثر تكون أغلب فقراته موزونة من غير قصد، وإن كان في النظم فتكاد الأبيات أن تسيل رقة وعذوبة وربما دخلت في المطرب المرقص.

(عن $بديعة العميان وبديعة الحموي#)

حل الشعر

حل الأبيات الشعرية إلى ثلاثة أقسام:

الأول: منها وهو أدناها مرتبة أن يأخذ الناثر بيتا من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة، وهذا عيب فاحش. ومثاله كمن أخذ عقدا قد أتقن نظمه وأحسن تأليفه فأوهاه وبدده، وكان يقوم عذره في ذلك أن لو نقله عن كونه عقدا إلى صورة أخرى مثله أو أحسن منه، وأيضا فإنه إذا نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السرقة، فيقال هذا شعر فلان بعينه؛ لكون ألفاظه باقية لم يتغير منها شيء. وقد سلك هذا المسلك بعض العراقيين فجاء مستهجنا، كقوله في بعض أبيات الحماسة: [1]

ولرب ذي حنق علي كأنمــا تغلي عداوةُ صدره في مِرجل

أوجيته عني فأبصــر قصــده وكويته فوق النواظر من عــل

فقال في نثر هذين البيتين: "فكم لقي ألد ذا حنق كأنه ينظر إلى الكواكب من عل، وتغلي عداوة صدره في مرجل، فكواه فوق ناظريه وأكبه لفمه ويديه". فلم يزد هذا الناثر على أن أزال رونق الوزن وطلاوة النظم لا غير.

ومن هذا القسم ضرب محمود لا عيب فيه: وهو أن يكون البيت من الشعر قد تضمن شيئًا لا يمكن تغيير لفظه فحينئذ يعذر ناثره إذا أتى بذلك اللفظ وكذلك الأمثال السائرة فإنه لابد من ذكرها على ما جاءت في الشعر.

(٣- جواهر الأدب ١)

وأما القسم الثاني: - وهو سط بين الأول والثالث في المرتبة - فهو أن ينثر المعنى المنظوم ببعض ألفاظه، ويعبر عن البعض بألفاظ أخر - وهناك تظهر الصنعة في المماثلة والمشا ة، ومؤاخاة الألفاظ الباقية بالألفاظ المرتجلة. فإنه إذا أخذ لفظا لشاعر مجيد، قد نقحه وصححه فقرنه بما لا يلائمه، كان كمن جمع بين لؤلؤة وحصاة، ولا خفاء بما في ذلك من الانتصاب للقدح والاستهداف للطعن. والطريق المسلوك إلى هذا القسم: أن تأخذ بعض بيت من الأبيات الشعرية هو أحسن ما فيه ثم تماثله.

وسأورد ههنا مثالا واحدا - ليكون قدوة للمتعلم - فأقول: قد ورد هذا البيت من

---

(1) ربيعة بن مقروم الضبي (ت. ١٦ هـ / ٦٣٧ م) من شعراء الحماسة، ومن مخضرمي الجاهلية والإسلام، وفد على كسرى في الجاهلية، وشهد بعض الفتوح في الإسلام وحضر وقعة القادسية. والمرجل: وعاء الطبخ، والنواظر: العيون.

شعر أبي تمام في وصف قصيدة له: [1]

حذاء تملأ كلُ أذُن حِكْمـة وبلاغةً وتـدر كـل وريـدِ

فقوله: (تملأ كل أذن حكمة) من الكلام الحسن، وهو أحسن ما في البيت فإذا أردت أن تنثر هذا المعنى فلابد من استعمال لفظه بعينه، لأنه في الغاية القصوى من الفصاحة والبلاغة، فعليك حينئذ أن تؤاخيه بمثله.

وهذا عسر جدا، وهو عندي أصعب منالا من نثر الشعر بغير لفظه، لأنه مسلك ضيق لما فيه من التعرض لمماثلة ما هو في غاية الحسن والجودة، وأما نثر الشعر بغير لفظه فذلك يتصرف فيه ناثره على حسب ما يراه، ولا يكون مقيدا فيه بمثال يضطر إلى مؤاخاته، وقد نثرت هذه الكلمات المشار إليها وأتيت ا في جملة كتاب فقلت: وكلامي قد عرف بين الناس واشتهر، وفاق مسير الشمس والقمر، وإذا عرف الكلام صارت المعرفة له علامة وأمن من سرقته إذ لو سرق لدلت عليه الوسامة - ومن خصاص صفاته أن يملأ كل أذن حكمة، ويجعل فصاحة كل لسان عجمة، وإذا جرت نفثاته في الأفهام، قالت: أهذه بنت فكرة أم بنت كرمة؟

فانظر كيف فعلت في هذا الموضع، فإني حين أخذت تلك الكلمات من البيت الشعري التزمت بأن أؤاخيها بما هو مثلها أو أحسن منها، فجئت ذا الفصل كما تراه، وكذلك ينبغي أن يفعل في ما هذا سبيله.

وأما القسم الثالث: - وهو أعلى من القسمين الأولين - فهو أن يأخذ المعنى فيصاغ بألفاظ غير ألفاظه، ومن ثم يتبين حذق الصائغ في صياغته ويعلم مقدار تصرفه في صناعته، فإن استطاع الزيادة على المعنى فتلك الدرجة العالية، وإلا أحسن التصرف وأتقن التأليف ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الأول.

واعلم أن من أبيات الشعر ما يتسع ا ال لناثره فيورده بضروب من العبارات، وذلك عندي شبيه بالمسائل السيالة في الحساب التي يجاوب عنها بعدة من الأجوبة. ومن الأبيات ما يضيق فيه ا ال حتى يكاد الماهر في هذه الصناعة أن لا يخرج من ذلك اللفظ، وإنما يكون

(1) من قصيدته التي أولها:

أرأيت أي سوالف وخدود عنت لنا بين اللوى فزرود

هذا لعدم النظير فأما ما يتسع المجال في نثره فكقول أبي الطيب المتنبي:[١]

لا تعذُل المُشتاق في أشــواقه حتى **يكونَ حشاك** في **أحشائه**

وقد نثرت هذا المعنى، فمن ذلك قولي: لا تعذل المحب في ما يهواه حتى تطوي القلب على ما طواه، ومن ذلك وجه آخر، وهو: إذا اختلفت العينان في النظر فالعذل ضرب من الهذر، وأما ما يضيق فيه المجال فيعسر على الناثر تبديل ألفاظه - كقول أبي تمام:[٢]

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى **لها الليلُ إلا وهي من سندِس خضر**

قصد أبو تمام: المؤاخاة في ذكر لوني الثياب من الأحمر والأخضر، وجاء ذلك واقعا على المعنى الذي أراده من لون ثياب القتلى وثياب الجنة، وهذا البيت لا يمكن تبديل ألفاظه - وهو وأمثاله مما يجب على الناثر أن يحسن الصنعة في فك نظامه لأنه يتصدى لنثره بألفاظه، فإن كان عنده قوة تصرف، وبسطة عبارة، فإنه يأتي به حسنا رائقًا.

وقد قلت في نثره: لم تكسه المنايا نسيج شفارها حتى كسته الجنة نسج شعارها فبدل أحمر ثوبه بأخضره، وكأس حمامة بكأس كوثره.

وإذا انتهى بنا الكلام إلى ههنا في التنبيه على نثر الشعر، وكيفية نثره، وذكر ما يسهل منه، وما يعسر، فلنتبع ذلك بقول كلي في هذا الباب فنقول: من أحب أن يكون كاتبا أو كان عنده طبع مجيب، فعليه بحفظ الدواوين ذات العدد، ولا يقنع بالقليل من ذلك، ثم يأخذه في نثر الشعر من محفوظاته.

وطريقه أن يبتدئ فيأخذ قصيدا من القصائد فينثره بيتا بيتا على التوالي.

ولا يستنكف في الابتداء أن ينثر الشعر بألفاظه أو بأكثرها فإنه لا يستطيع إلا ذلك.

وإذا مرنت نفسه، وتدرب خاطره، ارتفع عن هذه الدرجة، وصار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده، ثم يرتفع عن ذلك فيكسوه ضروبا من العبارت المختلفة، وحينئذ يحصل لخاطره بمباشرة المعاني لقاح فيستنتج منها معاني غير تلك المعاني.

وسبيله: أن يكثر الإدمان ليلا ونهارا، ولا يزال على ذلك مدة طويلة حتى تصير له

---

(1) من قصيدته التي مطلعها:

القلْب أعلم يا عذولُ بدائه **وأحق منك بجفْنه وبمائه**

(2) من قصيدته التي مطلعها:

كذا فليجِلّ الخَطْب وليفْدح الأمر **فليس لعين لم يفْض ماؤها عذْر**

ملكةً؛ فإذا كتب كتابا أو خطب خطبةً تدفقت المعاني في أثناء كلامه وجاءت ألفاظه معسولة، وكان عليها جدة حتى تكاد ترقص رقصا - وهذا شيء خبرته بالتجربة، ولا ينبئك مثل خبير.

(عن $المثل السائر# باختصار)

التخلص والاقتضاء في مواضيع الإنشاء

التخلص: هو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سببا إليه، فيكون بعضه آخذًا برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه، ويستأنف كلاما آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغًا، وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه، ويكون متبعا للوزن والقافية، تؤاتيه الألفاظ على حسب إرادته.

وأما الناثر فإنه مطلق العنان يمضي حيث شاء، فلذلك يشق التخلص على الشاعر أكثر مما يشق على الناثر، ومما جاء من التخلصات الحسنة قول المتنبي: [1]

خليلي إني لا أرى غيـر شـاعر فلم منهم الدعوى ومني القصائد

فلا تعجبا إن السـيوف كـثيرةٌ ولكن سيف الدولة اليوم واحـد

وهذا هو الكلام الآخذ بعضه برقاب بعض، ألا ترى أن الخروج إلى مدح الممدوح في هذه الأبيات كأنه أفرغ في قالب واحدٍ؟

والاقتضاب: أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه، ويستأنف كلاما آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك، ولا يكون للثاني علاقة بالأول: كقول أبي نواس[2] في قصيدته النونية التي لم يكمل حسنها بالتخلص من الغزل إلى المديح، بل اقتضبه اقتضابا؛ فبينما هو يصف الخمر ويقول:

---

(1) من قصيدته التي مطلعها:

عواذل ذات الخال في حواسد وإن ضجيع الخود مني لماجد.

(2) الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي (١٤٦ - ١٩٨ هـ / ٧٦٣ - ٨١٣ م) شاعر العراق في عصره. ولد في الأهواز من بلاد خوزستان ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها ، وعاد إلى بغداد فأقام ا إلى أن توفي فيها، والشعر من قصيدته التي مطلعها:

يا كثير النوح في الدمن لا عليها بل على السكن

فاسقني كأسـا علـى عـذَل **كرهـت مسـموعه أذُني**
من كُميـت اللـون صـافية **خير ما سلْسـلت في بـدني**
ما استقرت في فُـؤاد فـتى **فـدرى مـا لوعـة الحَـزن**

حتى قال:

تضحك الدنيا إلى ملـك **قـام بالآثـار والسـنن**
سن للنـاس النـدى فندوا **فكـأن البخـل لم يكُـن**

وإذا لم يحسن التخلص، بأن كان قبيحا ممسوخا فالاقتضاب أولى منه.

فينبغي لسالك هذه الطريقة أن ينظر إلى ما يصوغه، فإن أتاه التخلص حسنا كما ينبغي، وإلا فليدعه ولا يستكرهه، حتى يكون مثل هذا.

واعلم أن التخلص غير ممكن في كل الأحوال، وهو من مستصعبات علم البيان فليتدبر الشاعر ذلك.

(عن $المثل السائر# بتصرف)

كيفية افتتاح مواضيع الإنشاء وختامها

الافتتاح أن تجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالا على المعنى المقصود من ذلك الكلام: إن كان فتحا ففتحا، وإن كان هناءً فهناءً، أو كان عزاءٍ فعزاءً وهكذا، وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام ما المراد منه، فإذا نظم الشاعر قصيدته - فإن كان مديحا صرفًا لا يختص بحادثة من الحوداث، فهو مخير بين أن يفتتحها بغزل، وبين أن يرتجل المديح ارتجالاً من أولها - كقول القائل:

إن حارتِ الألباب كيف تقولُ **في ذا المَقامِ فعـذْرها مقْبـولُ**
سامِح بفَضلِك مادِحيك فَما لهم **أبدا إلى ما تسـتحِق سـبيلُ**
إن كان لا يرضيك إلا محسِن **فالمحسنون إذن لـديك قليـلُ**

وأما إذا كان القصيد في حادثة من الحوادث كفتح مقفل، أو هزيمة جيش أو غير ذلك، فإنه لا ينبغي أن يبدأ فيه بغزل؛ ومن أدب هذا النوع أن لا يذكر الشاعر في افتتاح قصيدة المديح ما يتطير منه، أو يستقبح لاسيما إذا كان في التهاني، فإنه يكون أشد قبحا، وإنما يستعمل في الخطوب النازلة، والنوائب الحادثة، ومتى كان الكلام في المديح مفتتحا بشيء من

ذلك، تطير منه سامعه، وإنما خصت الابتداءات بالاختيار لأ ا أول ما يطرق السمع من الكلام، فإذا كان الابتداء لائقًا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استعماله، والختام: أن يكون الكلام مؤذنا بتمامه، بحيث يكون واقعا على آخر المعنى، فلا ينتظر السامع شيئًا بعده؛ فعلى الشاعر والناثر أن يتأنقا فيه غاية التأنق، ويجودا فيه ما استطاعا لأنه آخر ما ينتهي إلى السمع، ويتردد صداه في الأذن، ويعلق بحواشي الذكر فهو كمقطع الشراب، يكون آخر ما يمر بالفم، ويعرض على الذوق، فيشعر منه بما لا يشعر من سواه، ولذلك ينبغي أن يكون الختام مميزا عن سائر الكلام قبله بنكتة لطيفة أو أسلوب رشيق أو معنى بليغ، ويختار له من اللفظ الرقيق الحاشية، الخفيف المحمل على السمع والسهل الورود على الطبع، ويتجافى به عن الإسهاب والتعقيد والثقل، وغير ذلك، وحكم الختام كما سبق أن يكون مؤذنا بتمام الكلام بحيث يكون واقعا على آخر المعنى فلا ينتظر السامع شيئًا بعده، وإذا لم يكن المعنى دالا بنفسه على الختام حسن أن يدل عليه بكلام آخر، يذكر عقب الفراغ من سياقه الأغراض السابقة، وحكمه أن يكون منتزعا مما سبقه فيقتفى به تقريرا لشيء من الأغراض أو إجمالا لمفصلها، موردا على وجه من وجوه البلاغة، أو الكلام الجامع، أو مخرج المثل، أو الحكمة، أو ما شاكل ذلك، مما تعلقه الخواطر وتقيده الأذهان، كقول المتنبي: [1]

وما أخصــك في **بــرءٍ بتهنئـــةٍ**   **إذا سلمت فكُل الناس قد سلموا**

وكقول الزمخشري[2] في ختام إحدى مقالاته: "إن الطيش في الكلام يترجم عن خفة الأحلام، وما دخل الرفق شيئًا إلا زانه، وما زان المتكلم إلا الرزانة".

وأما في غير ذلك، فالأكثر فيه أن يضمن غرضا آخر من الدعاء، أو عرض النفس على خدمة المكتوب إليه، أو توقع الجواب منه، أو غير ذلك مما تحتمله مقامات الكلام، وتقتضيه دواعي الحال.

---

(1) من قصيدته التي مطلعها:

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم   **وزالَ عنك إلى أعدائك الألم**

(2) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري جار الله أبو القاسم (٤٦٧-٥٣٨هـ/ ١٠٧٤ - ١١٤٣ م) من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور ا زمنا فلقب بجار الله، أشهر كتبه (الكشاف) في التفسير، و(أساس البلاغة).

وأكثر ما يختمو ا في النثر بعد الأغراض المذكورة بقولهم:"إن شاء الله" أو "بمن الله وفضله" وما أشبه ذلك.

وكثيرا ما يختم الناثر بقوله: "والسلام" أو "بلا حول ولا قوة إلا بالله" أو بقوله: "والله المستعان" أو بقوله: "والحمد لله أولا وآخرا، باطنا وظاهرا" أو بقوله: والله أعلم" أو غير ذلك.

وربما ختم بمثل، كختام الخوارزمي[1] رسالته بقوله: "ولقد سلك الأمر من الكرم طريقًا يستوحش فيها لقلة سالكها، ويتيه في قفارها لدروس آثارها، وا ندام منازلها، أعانه الله على صعوبة الطريق، وقلة الرفيق، وألهمه صبرا يهون عليه احتمال المغارم، ويقرب عليه مسافة المكارم، فبالصبر تنال العلا، وعند الصباح يحمد السرى".

ومن أمثلته في الشعر قول ابن الوردي: [٢]

سلام عليكم ما ألذ وصـالكم وغايةُ مجهـودِ المقـل سـلام

تقسيم الإنشاء إلى فني النظم والنثر

اعلم أن لسان العرب وكلامهم يدور على فنين: فن الشعر المنظوم، وهو الكلام المقفى الموزون بأوزان مخصوصة، وفن النثر، وهو الكلام غير الموزون، فأما الشعر فمنه المدح والهجاء، والرثاء، وأما النثر فمنه ما يؤتى به قطعا، ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة، ويسمى سجعا، وهو ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يكون الفصلان متساويين، لا يزيد أحدهما على الآخر؛ كقوله تعالى: **فَأما اليَتيم فَلا تقْهر * وأما السائِلَ فَلا تنهر** [الضحى: ٩، ١٠] وهو أشرف السجع منـزلة للاعتدال الذي فيه.

والقسم الثاني: أن يكون الفصل أطول من الأول، لا طولا يخرج به عن الاعتدال خروجا كثيرا، فإنه يقبح عند ذلك، ويستكره، ويعد عيبا، فمما جاء من ذلك قوله تعالى: **بلْ كَذبوا ِبالساعةِ وأعتدنا ِلمن كَذب ِبالساعةِ سعِيرا * ِإذَا رأتهم ِمن مكَانٍ بعِيدٍ**

(1) ت. سنة ٣٨٣هـ.

(2) عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس أبو حفص زين الدين بن الوردي (٦٩١ - ٧٤٩ هـ / ١٢٩٢ - ١٣٤٩ م) شاعر أديب مؤرخ، ولد في معرة النعمان (بسورية) وولي القضاء بمنبج وتوفي بحلب، والبيت من قصيدته التي مطلعها:

بأيمن جرعاءِ الكثيبِ خيام لهن علينا حرمةٌ وذمام

سمعوا لها تغيظًا وزفيرا * وإذا ألقوا منها مكانا ضيقًا مقرنين دعوا هنالك ثبورا[(١)] [الفرقان: ١١-١٣] ، فالفصل الأول ثمان لفظات، والثاني والثالث تسع تسع. ويستثنى من هذا القسم: ما كان من السجع على ثلاث فقر؛ فإن الفقرتين الأوليين تحسبان في عدةٍ واحدة، ثم تأتي الثالثة، فينبغي أن تكون طويلةً طولا يزيد عليهما، وقد تكون الثلاث متساويات، كقوله تعالى: **في سدرٍ**[(٢)] **مخضودٍ**[(٣)] *** وطلحٍ**[(٤)] **منضودٍ * وظلٍ ممدودٍ**[(٥)] [الواقعة: ٢٨-٣٠]. والقسم الثالث أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول وهو عيب فاحش[(٦)]. وأما النثر المرسل، فهو ما يؤتى به قطعا من غير تقيد بقافية ولا غيرها، وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقًا، ولا يقطع أجزاء، بل يرسل إرسالاً من غير تقيد بقافية.

(من $المثل السائر# باختصار)

كيفية عمل الشعر

اعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطًا:

أولها: الحفظ[(٧)] من جنسه - أي من جنس شعر العرب - حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها، ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكثير الأساليب، وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من فحول الإسلام، مثل: ابن أبي ربيعة، وكثير، وذي الرمة، وجرير، وأبي نواس، وأبي تمام، والبحتري، والشريف الرضي، وأبي فراس، وأكثره شعر

(1) ويلا.

(2) شجر النبق.

(3) مقطوع شوكه.

(4) الموز.

(5) متراكم بعضه فوق بعض.

(6) للسجع أربعة شروط: اختيار المفردات الفصيحة واختيار التأليف الفصيح وكون اللفظ تابعا للمعنى لا عكسه - وكون كل واحدة من الفقرتين أو الفقر دالة على معنى لئلا يصبح الكلام طويلاً معيبا.

(7) ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر رديء، ولا يعطيه الرونق والحلاوة إلا كثرة المحفوظ فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر وإنما هو نظم ساقط، واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ، ثم بعد الامتلاء من الحفظ، وشحذ القريحة للنسخ على المنوال، يقبل على النظم وبالإكثار منه تستحكم الملكة وترسخ، وربما يقال: إن من شروطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة، إذ هي صادرة عن استعمالها بعينها، فإذا نسيها، وقد تكيفت النفس ا وانتقش الأسلوب فيها كأنه منوال يأخذ في النسيج عليه بمثالها من كلمات أخرى ضرورة.

"كتاب الأغاني" لأنه جمع شعر أهل الطبقة الإسلامية كله، والمختار من شعر الجاهلية.

ثم لابد له من الخلوة واستجادة المكان المنظوم فيه، باشتماله على مثل المياه والأزهار، وكذا استجادة المسموع، لاستنارة القريحة باستجماعها، وتنشيطها بملاذ السرور، ثم مع هذا كله، فشرطه أن يكون على جمام[1]، ونشاط، فذلك أجمع له وأنشط للقريحة أن تأتي بمثل ذلك المنوال الذي يساعد في حفظه، قالوا: وخير الأوقات لذلك أوقات البكر[2] عند الهبوب من النوم، وفراغ المعدة، ونشاط الفكر، وربما يكون من بواعثه العشق والانتشاء. قالوا: فإن استصعب عليه بعد هذا كله، فليتركه إلى وقت آخر، ولا يكره نفسه عليه، وليكن بناء البيت على القافية من أول صوغه ونسجه، يضعها ويبني الكلام عليها إلى آخره، لأنه إن غفل عن بناء البيت على القافية صعب وضعها في محلها، فربما تجيء نافرة قلقة. وإذا سمح الخاطر بالبيت ولم يناسب الذي عنده، فليتركه إلى موضعه الأليق به، فإن كل بيت مستقل بنفسه، ولم تبق إلا المناسبة، فليتخير فيها كما يشاء، وليراجع شعره بعد الخلاص منه، بالتنقيح[3] والنقد، ولا يضن[4] به على الترك إذا لم يبلغ الإجادة، فإن الإنسان مفتون بشعره، إذ هو بنات فكره، واختراع قريحته، ولا يستعمل فيه الكلام إلا الأفصح من التراكيب، والخالص من الضرورات اللسانية فليهجرها فإ ا تنـزل بالكلام عن طبقة البلاغة، وقد حظر أئمة اللسان على المولد[5] ارتكاب الضرورة، إذ هو في سعة منها بالعدول عنها إلى الطريقة المثلى من الملكة، ويجتنب أيضا المعقد من التراكيب جهده، بحيث تكون ألفاظه على طبق معانيه تسابق ألفاظه إلى الفهم، ويجتنب أيضا الحواشي من الألفاظ، والمقصر، وكذلك السوقي المبتذل، فإنه ينـزل بالكلام عن طبقة البلاغة أيضا، فيصير مبتذلاً، ويقرب من عدم الإفادة، وفي هذا القدر كفاية لمتعاطي صناعة الإنشاء.

(عن $ابن خلدون# باختصار)

(1) الراحة.
(2) جمع بكرة وهو الصباح ووزانه غرفة وغرف.
(3) بالتهذيب.
(4) بفتح الضاد وكسرها لا يبخل.
(5) هو من وجد بعد اختلاط العجم بالعرب كالعباس بن الأحنف ومن بعده.

فنون الإنشاء

فنون الإنشاء سبعةٌ وهي: المكاتبات، والمناظرات، والأمثال والأوصاف، والمقامات، والروايات والتاريخ.

الفن الأول
في المكاتبات والمراسلات

المكاتبة، وتعرف أيضا بالمراسلة، هي مخاطبة الغائب بلسان القلم، وفوائد ا أوسع من أن تحصر من حيث إ ا ترجمان الجنان[١]، ونائب الغائب في قضاء أوطاره[٢]، ورباط الوداد مع تباعد البلاد، وطريقة المكاتبة هي طريقة المخاطبة البليغة مع مراعاة أحوال الكاتب والمكتوب إليه والنسبة بينهما[٣]، وخواصها خمس: السذاجة، والجلاء، والإيجاز، والملاءمة، والطلاوة[٤]، فالسذاجة: تجعل الكلام فطريا سليما من شوائب التكلف، منـزها عن زخرف[٥] القول، بعيدا عن رجة[٦] الكلام. والجلاء: هو العدول عن الكلام المغلق، والتشابيه المستبعدة، والتراكيب الملتبسة إلى الكلام المهذب الصريح. والإيجاز: تنقيح الرسالة من حشو الكلام، وتطويل الجمل، فيبرزها وافية الدلالة على المقصود، مقتصرة على المحسنات القريبة المنال[٧]، والملاءمة: تنـزيل الألفاظ والمعاني على قدر الكاتب والمكتوب إليه، فلا تعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس خسيس الكلام، على أ ا تجعل الرسالة وتعابيرها مستعذبة الأوضاع، حسنة الارتباط، يأخذ بعضها بأزمة بعض. والطلاوة: تكسو الكلام رونقًا

(1) القلب.

(2) الحاجات.

(3) قال إبراهيم بن محمد الشيباني: إذا احتجت إلى مخاطبة أعيان الناس أو أوساطهم أو سوقتهم فخاطب كلا على قدر أ ته وجلالته وعلو مكانته وانتباهه وفطنته، ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن ترعاها في مراسلتك، فلا تكتب لمن أصيب في ماله أو في عياله كما تكتب لمن فرغ باله ووفر ماله، وقال آخر: إن بلاغة الرسالة تستفاد من ملاحظة مقامات الكلام وأوقاته ومراعاة أحوال المخاطبين بالنسبة إلى المتكلم - واعلم أن لكل مقام مقالاً.

(4) بتثليث الطاء.

(5) مزورة.

(6) العدول عن الجادة المقصودة.

(7) ولا يعد مناقضا للإيجاز ما يستدعيه المقام من البسط في الموضوع: إما تعزيزا للمعنى وإما حذرا من الإ ام، أو دلالة على عواطف القلب، أو رغبة في تفكيه الخواطر، قال الأقدمون: "خير الكلام ما قل ودل، ولم يطل فيمل".

وإشراقًا بجودة العبارة، وسلامة المعاني، وسلاسة الألفاظ[1]، وتجعله بذلك أحسن موقعا عند سامعه.

أبواب الرسائل

تنقسم الرسائل باعتبار موضوعها إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الرسائل الأهلية. والثاني: الرسائل المتداولة. والثالث: الرسائل العلمية.

الكلام على الرسائل الأهلية

الرسائل الأهلية - وتعرف برسائل الأشواق - هي ما دارت بين الأقارب والأصدقاء، وأسفرت[٢] عن مكنون[٣] الوداد، وسرائر الفؤاد، ولا حرج على الكاتب إذا بسط فيها الكلام على أحواله، وأخفى السؤال في أحوال أصحابه، وتتفرد هذه الرسائل بأن يطلق الكاتب فيها العنان للأقلام، ويتجافى عن الكلفة، ويعدل عن الانقباض، وقد قيل: "الأنس يذهب المهابة، والانقباض يضيع المودة". هذا، ولابد من مراعاة مقتضى الحال، والاعتصام بركن الفطنة أخذًا بقول أبي الأسود الدؤلي: [٤]

لا تلقيـــن مقالـــةً مشـــهورةً لا تستطيع إذا مضت إدراكهـا

وإلى هذا الباب ترجع مكاتبات الشوق، والتعارف قبل اللقاء، والهدايا، والاستعطاف، والاعتذار وغير ذلك ولنذكر شذرات من أقوال الكتاب[٥].

---

(1) سهولتها.

(2) كشف.

(3) مستور.

(4) ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني (١ قبل الهجرة - ٦٩ هـ / ٦٠٥ - ٦٨٨ م) تابعي، واضع علم النحو، وهو في أكثر الأقوال أول من نقط المصحف، مات بالبصرة كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان، والبيت من قصيدته التي مطلعها:

أكرم صديق أبيك حيثُ لقيته واحب الكرامةَ من بدا فَحباكها

(5) قد أفردنا للرسائل الأهلية كتابا خاصا أسميناه (إنشاء المكاتبات العصرية والمراسلات العربية) وطبعناه عدة طبعات متوالية، فارجع إليه إذا شئت ولهذا نختصر في هذا الكتاب أبواب الرسائل ونذكر ما تمس إليه الحاجة فقط.

الفصل الأول في الشوق

كتب أبو منصور الثعالبي النيسابوري: [١] شوقي إليك رهين قلبي، وقرين صدري، والزعيم[٢] بتعليق فكري، وتفريق صبري، وسمير ذكري، ونديم فكري، زادي في سفري، وعتادي[٣] في حضري، لا يستقل به صدري ولا يقوى عليه صبري، يكاد يكون لزاما ويعد غراما لا يرحل مقيمه، ولا يصرف غريمه، استخف نفسي واستفزها، وحرك جوانحي وهزها، شوقي أخذ بسمع خاطري وبصره، وحال بين مورد[٤] قلبه ومصدره[٥] شوق قد استنفد جلدي[٦] وملك خلدي[٧]، شوق براني بري الخلال[٨]، ومحقني محق الهلال، شوق تركني حرضا[٩]، وأوسعني مضضا[١٠] أراني الصبر حسرة، والوجد يمنة ويسرة، شوق يزيد الأيام[١١] توقدا وتأججا، وتضرما وتوهجا، نار الشوق حشو ضلوعي، وماء الصبابة ملء جفوني، أنا من لواعج الشوق بين غمائم؛ لا تمطر إلا صواعق وسمائم[١٢]، قد قدحت كبدي من الحرقة ـذه الفرقة، ما يفوت أيسره حد الشكاية، ويجوز أضعفه كنه الكتابة، شوق

(1) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ / ٩٦١ - ١٠٣٨م) من أئمة اللغة والأدب، من أهل نيسابور، كان فراءً يخيط جلود الثعالب، فنسب إلى صناعته، واشتغل بالعلم والأدب فنبغ فيهما، وصنف الكتب الكثيرة الممتعة، منها: (يتيمة الدهر) في تراجم شعراء عصره، و(فقه اللغة).

(2) الرئيس.

(3) ما أعددته لحوادث الدهر.

(4) موضع الورود.

(5) الرجوع.

(6) قوتي.

(7) القلب.

(8) الضعف.

(9) مريضا.

(10) وجعا.

(11) بضم الهمزة وكسرها الدخان.

(12) الرياح الحارة.

الروض الماحل[1] إلى الغيث الهاطل.

وكتب في تشبيه الشوق: ما الأعرابية حنت إلى نجد، وأنت من وجد، بأشد مني كلفًا[2]، وأتم مني شغفًا، أنا في شدة الشوق إليك كالعطشان كشف له عن ماء عذب، ومنع منه بمانع صعب، شوق لو فرق على القلوب الخالية لاشتغلت، ولو قسم على الأكباد الباردة لاشتعلت، أنا أشتاقك مع كل صباح طالع، وضياء شارق ونجم طارق[3].

وكتب في أثر الفراق: وجد يتكرر على كر الجديدين[4]، ويستغرق ساعات الملوين[5]، قد تحملت مع يسير الفرقة، عظيم الحرقة، ومعل قليل البعد، كثير الوجد، قد انثنيت بجسم ناحل، وصرت من صبري على مراحل، فأرقتني[6] وفرقت جميع صبري واستصحبت فريقًا من قلبي، فرقت بين عيني والرقاد[7] وجنبي والمهاد[8]، ما أعول إلا على العويل[9] لو كان يغني، ولا أستنصر غير الوجد لو كان يجدي[10]، يدي لا تساعدني، وخطي لا يشبه في الدقة إلا بدني، لولا حصانة[11] الأجل، لخرجت روحي على عجل؛ فارقتني فتفرق عني شمل أنس منتظم، وتمكن مني برح شوق مضطرم؛ فارقتني ففرقت بين الروح والبدن، وتركتني والنـزاع في قرن[12]، قد صرت حليف وحشة وإن كنت ثاويا[13] في وطن، وقرين كربة وإن كنت بين جيرة وسكن.

---

(1) ا ـدب.

(2) كلفًا مصدر كلف من باب فرع: التغير.

(3) الآتي ليلاً.

(4) الليل والنهار.

(5) الليل والنهار أيضا.

(6) أسهرتني.

(7) النوم.

(8) مكان النوم.

(9) رفع الصوت بالبكاء.

(10) ينفع.

(11) حفظ وهو مصدر.

(12) قرن وقرن من باب فرع: التقى.

(13) مقيما.

عسى الدهر يدنينا ويدني دِياركم ... ويجمع ما بيني وبينكمو الشملا
فأشكو تباريح الغرام إليكمو ... وحر جوى يبلي عِظامي وما يبلى

وكتب البسطامي:[1]

قلبي بنار الهوى معذب ... يخطُر إلى حضرةِ المهذب
شوقًا إلى ماجدٍ كريمٍ ... يخطر لي ذِكْره فَأطْرب

وبعد فالعبد ينهى من لواقح[٢] شوقه، ولوافح[٣] توقه[٤]، إلى شهود ذاتكم الجميلة، ومشاهدة صفاتكم الجليلة، لينشق عرفكم[٥] الفائح، وبخور عرفكم[٦] الفاتح، مد الله سبحانه وتعالى ظلكم، وأدر وبلكم[٧] وطلكم[٨].

أحِب الوعد منك وإن تمادى ... وأقْنع بالخَيال إذا ألما
عسى الأيام تسمح لي بوصل ... وتأخذُ لي من الهُجران سلما

والجناب منذ طوى عنا أبواب ملاقاته، وزوى منا أطايب أوقاته، قبض العبد عنان مقاله وخفض لسانه حاله:

شكَوت وما الشكْوى بمثلي عادةٌ ... ولكن تفيض العين عند امتلائها

فجلس الفراق بعظيم حجابه، وأليم عذابه، على ذروة[٩] عرشه، وافترس بقوة بطشه، وصار للسر جارا، وأوقد للحرب نارا جهارا:

طَوعا لقاضٍ أتى في حكْمِه عجبا ... أفْتى بسفْكِ دمِي في الحِلّ والحَرِمِ

وهذه حالته، المفصح عنها مقالته:

(1) ت. سنة ٣٣٢هـ.
(2) الرياح.
(3) الرياح الحارة.
(4) الشوق الطيب.
(5) الريح الطيبة.
(6) نبت يقال له النمام طيب الرائحة.
(7) المطر الكثير.
(8) الندى.
(9) بضم الدال وكسرها أعلاه.

إن الأمور إذا التوت وتعقدت جاء القضاءُ من الكريم فحلها
فلعل يسرا بعد عسـرٍ علهـا ولعل من عقد العقود يحِلهـا

فلعل غروس التمني قد أثمرت، وليالي الحظ قد أقمرت.

سألت أحبتي ما كـان ذنـبي أجابوني وأحشـائي تـذوب
إذا كان المحب قليـلَ حـظ فمــا حســناته إلا ذُنــوب

فرعى الله أياما لاحت[١] فيها أقمار[٢] غروزها وفاحت فيها أطراز طروزها، من اء سمائها، على منار ضيائها، من ذات جلالها، وصفات دلالها، في جنات عواطفها وحنات تعاطفها.

فإن كنت لا أطرق[٣] رحب[٤] فنائكم[٥]، فقد أطرق باب ثنائكم:

لئن غَيبتني عن ذُراك حوادِث فليس ثَنائي عن فناك بغائِـب

وكتب عبد الرحمن محمد بن طاهر:[٦]

كتبت - أعزك الله - عن ضمير اندمج[٧] على سر اعتقادك دره، وتبلج[٨] في أفق ودادك بدره، وسال على صفات ثنائك مسكه، وصار في راحتي سنائك[٩] ملكه، ولما ظفرت بفلان حملته من تحيتي زهرا جنيا، يوافيك عرفه ذكيا، ويواليك أنسه نجيا[١٠]، ويقضي من حقك فرضا مأتيا[١١]، على أن شخص جلالك لي ماثل[١]، وبين ضلوعي نازلٌ، لا يمله

(1) ظهرت.
(2) مراده ما تخرجه الأغصان من النوار.
(3) آتي ليلا.
(4) المتسع.
(5) بكسر الفاء متسع البيت.
(6) ت. سنة ٩٣١هـ.
(7) خفي واستتر.
(8) أضاء.
(9) رفعتك.
(10) مناجيا.
(11) آتيا.

خاطر ولا يمسه عرض دائر[٢]، إن شاء الله عز وجل.

وكتب أبو الفضل بن العميد: [٣]

قد قرب (أيدك الله) محلك على تراخيه، وتصاقب[٤] مستقرك على تنائيه، لأن الشوق يمثلك، والذكر يخيلك، فنحن في الظاهر على افتراق، وفي الباطن على تلاق، وفي النسبة متباينون، وفي المعنى متواصلون، ولئن تفارقت الأشباح لقد تعانقت الأرواح.

وكتب بديع الزمان الهمذاني: [٥]

يعز علي - أطال الله بقاء مولاي - أن ينوب في خدمته قلمي عن قدمي، ويسعد برؤيته رسولي دون وصولي، ويرد مشرعة الأنس به كتابي قبل ركابي ولكن، ما الحيلة والعوائق جمة!!

وعلي أن أسعى وليس علي إدراك النجاح

وقد حضرت داره، وقبلت جداره، وما بي حب الحيطان، ولكن شغفا بالقُطان، ولا عشق الجدران ولكن شوقا إلى السكان:

أمر على الديار ديار ليلى   أقبلُ ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفْن قلبي   ولكن حب من سكَن الديارا[٦]

وحين عدت العوادي عنه، أمليت ضمير الشوق على لسان القلم، معتذرا إلى مولاي على الحقيقة عن تقصير وقع، وفتور في الخدمة عرض، ولكني أقول:

إن يكُن تركي لقَصدِك ذنبا   فكفى أن لا أراك عقابا

=

(1) متمثل.

(2) هالك.

(3) ت. سنة ٣٦٠هـ.

(4) حاذى وجاور.

(5) أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني أبو الفضل (٣٥٨ - ٣٩٨ هـ / ٩٦٩ - ١٠٠٨ م) أحد أئمة الكتاب له (مقامات) أخذ الحريري أسلوب مقاماته عنها وكان شاعراً ، ولد في همذان وانتقل إلى هراة سنة ٣٨٠ه فسكنها وله (ديوان شعر) و(مقامات).

(6) البيتان لقيس بن الملوح، مجنون ليلى، (ت. ٦٨هـ) وهما كل المقطوعة.

وكتب أبو محمد عبد الله البطليوسي: [١]

يا سيدي الأعلى، وعمادي الأسنى، وحسنة الدهر الحسنى، الذي جل قدره وسار مسير الشمس ذكره، ومن أطال الله بقاءه، لفضل يعلي مناره، وعلم يحيي آثاره نحن- أعزك الله- نتدانى إخلاصا، وإن تناءينا أشخاصا، ويجمعنا الأدب، وإن فرقنا النسب، فالأشكال أقارب، والآداب مناسب، وليس يضر تنائي الأشباح، إذا تقاربت الأرواح:

نسيبي في **رأي وعلمي ومـذهبي** **وإن باعدتنا** في **الأصول المناسب**

وكتب بديع الزمان الهمذاني:

أراني أذكر (مولاي) إذا طلعت الشمس، أو هبت الريح، أو نجم النجم أو لمع البرق، أو عرض الغيث، أو ذكر الليث، أو ضحك الروض، وأنى[٢] للشمس محياه[٣] وللريح رياه[٤]، وللنجم حلاه وعلاه، وللبرق سناؤه[٥] وسناه[٦] وللغيث نداه[٧] ونداه[٨]، وفي كل صالحة ذكراه، وفي كل حادثة أراه، فمتى أنساه؟ وا شدة شوقاه، عسى الله أن يجمعني وإياه.

وكتب الشيخ إبراهيم اليازجي: [٩]

ما زلت أدافع النفس عما تتقاضاني من شكوى أشواقها، وفي الشكوى شفاء،

(1) ت. سنة ٦٢٧هـ.
(2) أي من أين.
(3) وجهه.
(4) رائحة طيبة.
(5) الرفعة.
(6) بالقصر الضوء.
(7) بضم النون وكسرها أشهر الصوت.
(8) العطاء.
(9) إبراهيم بن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط (١٢٦٤-١٣٢٤هـ / ١٨٤٧ - ١٩٠٦ م) عالم بالأدب واللغة، ولد ونشأ في بيروت، وقرأ الأدب على أبيه. وتولى تحرير جريدة النجاح سنة ١٨٧٢م، وانتدبه المرسلون اليسوعيون للاشتغال في إصلاح ترجمة الأسفار المقدسة وكتب أخرى لهم فقضى في هذا العمل تسعة أعوام، وخدم العربية باصطناع حروف الطباعة فيها ببيروت ومات في القاهرة ثم نقل إلى بيروت ودفن فيها، وله ديوان شعر و(الفرائد الحسان من تلائد اللسان) معجم في اللغة.

واستنـزال أثر من لدنك تتعلل به مسافة البين[١]، إلى أن يمن الله باللقاء، ومن دون إجابتها مشاده[٢] قد شغلت الذرع[٣]، وشواغل قد أفرغ من دو ا الوسع، إلى أن غلب جيش الوجد على معاقل الصبر، وزاحم مناكب العدواء حتى ضرب أطنابه[٤] بين الحجاب[٥] والصدر، فاتخذت هذه الرقعة أزجيها[٦] إليك، وفيها من وِقر[٧] الشوق ما ينوء[٨] برسولها، ومن رقة الصبابة ما يكاد يطير ا، أو يخلفها فيصافح الأعتاب قبل وصولها، راجيا لها أن تتلقى بما عهد في سيدي من الطلاقة والبشر، وأن لا يضن[٩] عليها بما عودني من تمهيد العذر، ويصلني من بعدها بأنبائه[١٠] الطيبة، عائدة عنه بما يكون للناظر قرة، وللخاطر مسرة، إن شاء الله تعالى بمنه وكرمه.

وكتب أيضا:

وافاني كتابك العزيز - فأهلا بأكرم رسول: جاء ببينات الإخلاص والوفاء، مصدقا لما بين يديه من ذمة الوداد والإخاء، يتلو علي من حديث الشوق، ما شهد بصحته سقمي، وهتف مؤذنه في كل مفصل من جسمي، ويذكرني من عهدك، ما طالما أذكرنيه البرق إذا لمع، والبدر إذا طلع، والقمري[١١] إذا سجع، وإنما عداني عنك ما أنا فيه من مجاذبة الشواغل، ومساورة[١٢] البلابل[١٣]:

---

(1) البعد.
(2) مشاغل.
(3) بسط اليد.
(4) الحبل يشد به سرادق البيت.
(5) لحمة رقيقة بين الجنبين.
(6) ارفعها.
(7) بكسر الواو الحمل الثقيل.
(8) يثقل به.
(9) أي لا يبخل.
(10) أخباره.
(11) طير من جنس الحمام يقال لأنثاه قمرية، وللذكر ساق أحمر.
(12) ملابسة.
(13) الأحزان.

وفي القلب ما في القلب من شجن الهوى تبدلت الحـالات وهـو مقـيم

وأنا - على ما بي من غل البنان[١]، وشغل الجنان[٢] - ما زالت أنباؤك[٣] عندي، لا يخطئني بريدها، ولا ينقطع عني ورودها، أهنئ النفس منها بما تتمنى لك من سلامة لا يرث[٤] لها شعار، وإقبال لا يعترضه بإذن الله إدبار.

وقصارى المأمول في كرمك: أن تعاملني بما سبق لك من جميل الصلة، إلى أن يمن الله بالاجتماع، ويغني بالعيان عن السماع، وما ذلك على الله بعزيز.

وكتب أبو العباس الغساني: [٥]

سر إلى مجلس يكاد يسير شوقا، ويطير بأجنحة من جواه حتى يحل بين يديك، فلله در[٦] كماله: إن طلعت بدرا بأعلاه، وجماله: إن ظهرت غرة بمحياه، فهو أفق قد حوى نجوما تتشوق إلى طلوع بدورها، وقطر قد اشتمل على أ ار تتشوق إلى بحرها، لنستمد منها - إن مننت بالحضور، وإلا فيا خيبة السرور.

وكتب الصاحب إسماعيل بن عباد:

مجلسنا يا سيدي مفتقر إليك، معول في شوقه عليك، ولقد توردت خدود بنفسجه، وفتقت فأرة[٧] نارنجه[٨]، وانطلقت ألسن الأوتار، وقامت خطباء الأطيار، وهبت رياح الأقداح، ونفقت[٩] سوق الأنس والأفراح، وقد أبت راحته أن تصفو إلا أن تتناولها يمناك، وأقسم غناؤه لا طيب حتى تعيه أذناك، ووجنات أترجه قد احمرت خجلا لإبطائك، وعيون نرجسه قد حدقت[١٠] تأميلا للقائك، ونحن لغيبتك كعقد ذهبت واسطته[1]، وشباب قد

---

(1) الأصابع.
(2) القلب.
(3) أخبارك.
(4) لا يبلى.
(5) ت. سنة ٤٩٨هـ.
(6) كلمة تعجب.
(7) فجآت المسك.
(8) ثمر، معرب باربك.
(9) راجت.
(10) تاقت.

أخذت جدته[٢]، وإذا غابت شمس السماء عنا، فلأن تدنو شمس الأرض منا. فإن رأيت أن تحضر لتتصل الواسطة بالعقد، ونحصل بك في جنة الخلد، فكن إلينا أسرع من السهم في ممره، والماء إلى مقره، لئلا يخبث من يومي ما طاب، ويعود من نومي ما طار.

وكتب أبو بكر الخوارزمي:

كتابي وأنا بما يبلغني من صالح أخبار (السيد) مغتبط مسرور، وبما يعرفه الزمان وأهله من اعتضادي[٣] به مصون موفور، والله على الأولى محمود، وعلى الأخرى مشكور، التطفل وإن كان محظورا في غير مواطنه، فإنه مباح في أماكنه، وهو وإن كان في بعض الأحوال يجمع عارا ووزرا، فإنه في بعضها يجمع فخرا وذخرا، ورب فعل يصاب به وقته فيكون سنة، وهو في غير وقته بدعة، وقد تطفلت على (السيد) ذه الأحرف، أخطب ا مودته إليه، وأعرض فيها مودتي عليه وأسأله أن يرسم في لساني وقلبي رسما، ويختم عليهما ختما، فقد جعلتهما باسمه وقصر ما على حكمه، وسأضعهما تحت ختمه، وبرئت إليه منهما، وصرت وكيله فيهما، فهما على غيره حمى[٤] لا يقرب، وبحيرة[٥] لا تحلب، ولا تركب، ولما نظرت إلى آثار السيد على الأحرار، ونشرت طراز محاسنه من أيدي القاصدين والزوار، ورأيت نفسي غفلا[٦] من سمة[٧] مودته، وعطلا[٨] من جمال عشرته حميتها من أين يحمي عليها ورد مورود، ويحسر[٩] عنها ظل على الجميع ممدود، وعجبت من:

سحاب خطـاني جـوده[١٠] وهـو **وبحر عداني سيله وهو مفْعـم[١١]**

=

(1) الجوهرة التي في وسطه وهي أجوده.

(2) الطريقة.

(3) استعانتي.

(4) محظور.

(5) الشاة التي إذا نتجت عشرة أبطن شقوا أذ ا فكانت حراما لحمها ولبنها وركو ا.

(6) من لا علامة عليه.

(7) العلامة.

(8) من لا حلى عليها.

(9) يكشف.

(10) المطر الشديد.

(11) ذو المطر.

وبدر أضـاءَ الأرض شـرقاً ومغربـاً   وموضِع رِجلي مِنه أسـود مظلِـم[٢]

كتب الشيخ حمزة فتح الله: [٣]

مولاي: أما الشوق إلى رؤيتك فشديد، وسل فؤادك عن صديق حميم[٤] وود صميم[٥]، وخلة لا يزيدها تعاقب الملوين[٦] وتألق[٧] النيرين[٨] إلا وثوقا في العرى، وإحكاما في البناء، ونماء في الغراس وتشييدا في الدعائم[٩] ولا يظنن سيدي أن عدم ازدياري[١٠] ساحته الشريفة واجتلائي طلعته المنيفة لتقاعس[١١] أو تقصير، فإن لي في ذلك معذرة اقتضت التأخير، والسيد (أطال الله بقاءه) أجدر[١٢] من قبل معذرة صديقه وأغضى عن ريث[١٣] استدعته الضرورة.

وبعد: فرجائي من مقامكم السامي أن لا تكون معذرتي هذه عائقا لكم عن زيارتي فلكم مننا طوقتمونيها، ولكم فيها فضل البداءة، وعلي دوام الشكران والسلام.

وكتب المرحوم محمد بك دياب: [١٤]

كتابي إليك وقد طال بي الانتظار، وشوقي يجل عن الكيف والانحصار فشخصك دائم

=

(1) ممتلئ.

(2) الشعر للبحتري (٢٠٦-٢٨٤هـ) من قصيدته التي مطلعها:

على أي أمرٍ مشكِلٍ أتلوم   أقيم فأشوى أم أهم فأعزم

(3) ت. سنة ١٣٣٦هـ.

(4) القريب الذي يهتم لأمره.

(5) الخالص.

(6) الليل والنهار.

(7) لمعان.

(8) الشمس والقمر.

(9) الأركان.

(10) زيارتي.

(11) تأخير.

(12) أحق.

(13) بطء.

(14) ت. سنة ١٣٣٩هـ.

المثول[١] أمام إنساني[٢]، وعن سواك من الأخلاء ألهاني وأنساني. فله أيام قضيناها، وليال من الدهر اختلسناها[٣]، كان السرور فيها ضاربا خيامه، والأنس ناشرا أعلامه - طوي بساطها، وكأن الأمر ما كان غير أ ا زرعت بفؤادي شجرة الأشجان[٤]، لكن عودها حليف أوبتك[٥] وتجددها رهين إشارتك، فمتى يقرب المزار، وتنجلي سحب الأكدار؟ فاضرب لعودك أجلا، فالعود لا شك أحمد، واكتب بقربك وصلا فالوصل أضمن للعهد، وعهدي من خلقك الوفاء، وحسن الولاء، فلا تجعل صفقة[٦] شوقي إليك خسرا بل هبني بعد العسر يسرا.

وكتب وفاء أفندي محمد: [٧]

أما بعد سلامي عليك، فهذا كتابي إليك، ينبئك[٨] عني وعن شوقي وعن ودي[٩] ولا أزيدك علما أني ما كتبته من دواة، ولا أجريت عليه قلما، ولكنها دموع وشوق سالت على القرطاس، وجرت على حركات الخواطر والأنفاس وهبت عليه حرارة كبدي بالأشواق، ووجدي بالفراق، فبينما هي عقيقة حمراء، إذ صارت فحمة سوداء! ألا وإن كتابي هو قلبي ولساني. أما تراه على رقته، ولطف عبارته، وصدق طويته، بين يديك مقبلا عليك؟ ينشره الشوق ويطويه، لا يخفي عليك أمرا ولا يكتم عنك سرا، وتلك صفات لساني وقلبي معك، فما الذي أبتغيته بعد؟! وقد بعثت إليك بالأصغرين![١٠] وما أنا إلا ذين! نعم أرجو بقاك، ممتعا بنعماك، لأكون على الدوام محل نظرك والسلام.

وكتب مؤلف هذا الكتاب:

كتابي لديك، يصف شوقي إليك، ولا يخفى عليك، فمذ فارقتني فرقت بين أنسي

---

(1) القيام منتصبا.
(2) إنسان عيني وهو ما يرى في السواد.
(3) انتهزنا فرصتها.
(4) الأحزان.
(5) رجوعك.
(6) أصلها لعقد البيع.
(7) ت. سنة ١٣١٩هـ.
(8) يخبرك.
(9) بتثليث فائه.
(10) القلب واللسان.

ونفسي، بل بين روحي وجسمي، ولا تعجب إذا كنت أغدو وأروح فالطير يمشي من الألم وهو مذبوح، وإني أشكو إليك من ألم الوحشة غراما لا يشعر به إلا من ذاق أنسك وعرف مقدار نفسك وشاهد جمال لطفك، ورأى كمال أدبك وظرفك، ولقد أودع الله في شخصك نورا لعيني، وفي حديثك سرورا لفؤادي، وفي صفاتك ترويحا لروحي، وفي كرم خلقك تفريحا لنفسي:

وإذا وصف الناس أشـواقهم فشوقي ﻟِوجهك لا يوصـف

فعندي لك من المحبة والشوق، والتلهف والتوق، ما لا يصفه الواصفون ولا يعتبر عن حقيقته العارفون:

الشوق فَوق الذي أشكو إليك وهلْ تخفى عليك صباباتي وأشواقي؟!

فيا شوقي لي لقياك! وواهفي على جمال محياك! قيدت أملي عن سواك و ﺑرت ناظري بنظرة سناك وكسرت جيش قراري؛ وتركتني لا أفرق بين ليلي و ﺎري:

فُؤادي والهَوى سِلْم وحـرب وسلْواني أقام علـى جِيـادِه

وشوقي كاملٌ ما فيـه نقْـص فَلَست عليه أطْمع في الزياده

فليت شعري، ماذا أصنع في شوقٍ أنا مدفوع إليه من صادق حبي، بعوامل صادفت مني قلبا خاليا، فتمكنت بالتعارف، ولم تدع للسلوان سبيلا؟

عرفْت هواه قَبلَ أن أعرِف الهَوى فَصادف قَلْبـا خاليـا فتمكنـا

إي وربي، إن شوقي إليك شوق الظمآن إلى برد الشراب، وحنيني لك حنين الشيخ إلى زمن الشباب، فما الإبل وقد حنت إلى أعطا ﺎ، والغرباء وقد أنت إلى أوطا ﺎ، بأعظم مني حنينا، ولا أكثر أنينا.

ولكن التفَـرق طـالَ حتـى توقد في الضلوع لـه حريـق

فكلما تخطر ببالي، في أي وقت من الأوقات، يمثل لي التذكر منك محاسن ولطائف، تجذبني ميلا إليك، وتطربني شغفا بك واغتباطا بإخائك، فلا عجب أن كان شوقي لرؤيتك عظيما، لأنه كما قيل: (من كرم الرجل حنينه إلى أوطانه، وشوقه إلى إخوانه):

يا خلاص الأسير يا صيحةَ المُد نفِ يا زورةً على غَير وعـدِ

يا نجاةَ الغريق يا فَرحــةَ الأو بةِ يا قُفْلَةً أتــت بعــد كَــد

ارض عني فَدتك نفْســي إني لك عبد أذَل مِن كُل عبــدِ[1]

ناشدتك الله أن ترفق بحالي، وتعيد وصالي؛ وارع الود القديم، وأبدل شقاء محبك بالنعيم؛ وأغمد سيف ظلمات القطيعة المسلول، وأوف بالعهد إن العهد كان مسئولا.

(1) الشعر لابن الرومي (٢٢١-٢٨٣هـ) من مقطوعة من أربعة أبيات أولها:

يا خلاص الأسير يا صيحةَ المُد

الفصل الثاني: في التعارف قبل اللقاء

كتب أبو منصور الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩هـ:

نحن في الظاهر على افتراق، وفي الباطن على تلاق، نحن نتناجى بالضمائر ونتخاطب بالسرائر، إذا حصل القرب بالإخلاص، لم يضر البعد بالأشخاص، أنا أناجيك بخواطر قلبي، وإن كان قد غاب شخصك عني، إن أخطأتك يدي بالمكاتبة، ناجاك سري بالمواصلة، رب غائبٍ بشخصه حاضر بخلوص نفسه، إن تراخى اللقاء، فإننا نتلاقى على البعاد، ونتلافى[١] نظر العين بالفؤاد.

وكتب أيضا:

أنا أشتاقك كما تشتاق الجنان، وإن لم تتقدم لها العينان، أنا وإن كنت ممن لا يسعد بلقائك، فقد اشتمل علي الأنس ببقائك، والشوق إلى محاسنك التي سارت أخبارها، ولاحت آثارها، لا زالت الأيام تكشف لي من فضلك، والأخبار تعرض علي من عقلك، ما يشوقني إليك، وإن لم أرك، ويزيدني رغبة في ودك وقد سمعت خبرك.

وكتب الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٦هـ:

كما أن شغف[٢] الجنان[٣] بالحسن والإحسان، تكون داعيته المشاهدة وتسريح الأنظار، في محيا الكمال، ومجتلى الجمال، فترى العين من تلك الغرة، ما يملؤها قرة، فكذلك السماع يستدعي هذا الشغف؛ فيتأثر الفؤاد بما يشنف[٤] الأذن، مما تهديه إليه طرائف[٥] الأخبار، حتى كأن حاستي السمع والبصر في ذلك صنوان[٦]، بل أخوان في هيكل هذا الجثمان[٧].

وقد يعلم السيد (أطال الله بقاءه وأدام ارتقاءه) أن ذلك الأمر (أي الشغف بالسماع) ليس بالحديث العهد، ولا القريب الجدة[٨]، بل هو أمر عرف قديما أن يهدي السماع إلى

---

(1) نتدارك.
(2) دخول الحب في غلاف القلب.
(3) القلب.
(4) يزين.
(5) المستملحة.
(6) هما فرعا النخلة.
(7) بالثاء والسين، والجسم.
(8) الخطوة.

سويداء القلب لاعج[١] الحب سعره[٢] من الأنباء[٣] عرف[٤] شميم[٥] فتهيم[٦] بمجرد استنشاق ذلك الشميم[٧] حتى يقول الشاعر العربي:

والأذن تعشق قبل العين أحيانا

أجل![٨] والقدرة في هذا المعنى، والأس[٩] لذلك المبنى، قوله ج: $إني لأشم نفس[١٠] الرحمن من قبل اليمن# لما أملته العناية الربانية، والملك الروحاني، على قلبه الشريف من نبأ[١١] القرني[١٢] أويس[١٣]، ولم يكن رآه بعد.

ألا وإن محاسن السيد الأجل، لما سارت ا الركبان، وأثنى عليها كل لسان، ما بين أخلاق أ ى من الروض النضير[١٤]، وأعراق أشهى من عذيب النمير[١٥] قد احتلت من فؤادي، لا أقول منـزلا رحيبا، ولا واديا خصيبا، بل منـزلة شماء[١٦]، ودارة[١٧] علياء،

(1) المتردد.
(2) أوقده.
(3) الأخبار.
(4) الريح الطيبة.
(5) مشموم.
(6) تذهب.
(7) المرتفع.
(8) حرف جواب مثل نعم.
(9) الأصل.
(10) كناية عن الوحي.
(11) الخبر.
(12) نسبة إلى قرن وهي قبيلة.
(13) هو سيد التابعين أويس بن عامر قتل في وقاعة صفين مع علي كرم الله وجهه وخبره قوله ج يأتيكم أويس بن عامر مع أعداد اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرئ منه إلا موضع درهم وله والدة هو ا بار ولو أقسم على الله لأبره.
(14) الحسن.
(15) الماء الزاكي.
(16) مرتفعة.
(17) دارا.

وأوجا[١] بطوالعها السعيدة يسعد، ويلوح ا من ذكراه كل حين فرقد[٢] فلم أنشب[٣] أن قدمت كتابي هذا لمولاي بين يدي اللقاء عله أن يسمح به الزمان، وتسفر[٤] عنه الليالي والأيالم ليتاح[٥] لي ري الفؤاد بما أرويه من حديث زيد الخيل، الذي سماه رسول الله ج زيد الخير، وقال له: $ما وصف لي أحد فرأيته إلا وجدته دون ما وصف لي سواك، وإن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة#. مقتديا بالإمام (محمود جار الله) في تقديم هذا الحديث الشريف، على ما أنشده إياه (الشريف بن الشجري) أول ما لقيه، وكانا قد تحابا بالسماع:

كانت مسـاؤلة الركبـان تخبرنـا **عن جابر بن رباح أطيـب الخـبر**

حتى **اجتمعنا فلا والله مـا** سمعـت **أذني بأحسن مما قـد رأى بصـري**

وكتب حفني بك ناصف المتوفى سنة ١٣٣٧هـ - ١٩١٩م:

يعلم الله ما عندي من الشوق إلى لقاء السيد، وإن لم يره البصر، والشوق إلى شهوده، وإن لم يكتحل بإثمد[٦] محاسنه النظر، والشغف بسماع الحديث منه، كما سمعته عنه، فقد سبقت ذكرى محاسنه إلى السمع، ووصل خبر لطائفه إلى النفس (وما المرء إلا ذكره ومآثره) وحسدت العين عليه الأذن وودت لو أ ا السابقة إلى اجتلاء رقائقه، وشهود حقائقه.

فللعين عشق مثل ما يعشق السمع

لا جرم أن ما تعارف من الأرواح ائتلف، وما تناكر منها، كما قيل، اختلف، ونحن - وإن بعدت بيننا الشقة[٧]، ولم يسبق لنا باللقاء عهد - فلحمة[٨] الأدب تجمعنا، ووحدة الوجهة تضمنا، ولحمة الأدب أقوى من لحمة النسب، وجامعة الوجهة فوق اجتماع الوجوه؛ وقد رأيت أن أزدلف[٩] إليك بالمكاتبة، وأتوسل إلى شرف التعرف بالمراسلة، حتى لم يبق في

(1) علوا.
(2) النجم.
(3) لم تزل.
(4) تكشف.
(5) يعطي.
(6) كحل بالحجاز.
(7) بالضم والكسر الناحية.
(8) قرابته.
(9) أتقرب.

الصبر على الافتراق مسكة[1]، ولبى الجسم دعوة الروح، فاندفع إلى طلب الاجتماع، أكون قد مهدت له سبيلا، ووطأت[2] له طريقا، فلا تبهرني[3] فرحة اللقيا، ولا يغرني[4] طرب الظفر (فمن فرح النفس ما يقتل، ومن نشوة[5] الراح[6] ما يزهق الأرواح).

فإن رأى السيد أن يكاتب عبده، ويعتقه من رق الفرقة، عجل بجواب هذا الكتاب، ليعلم العبد أن نميقته صادفت[7] قبولا، وأن وسيلته اتخذت إلى سيده سبيلا، قرب الله زمن اللقاء وقصر أمد النوى[8]، حتى أنشد في الختام:

تطابق الخبر في علياك والخبر وصدق السمع في أوصافك البصر

وكتب أحمد أفندي سمير المتوفى سنة ١٣٢٩هـ:

يعلم سيدي أن المودة لا تباع ولا تشرى، وإنما هي نتيجة الاجتماع والتعارف، وقد خلق الإنسان مضطرا إليهما، لأن انتظام العمران عليهما موقوف، ولهذا شهد العيان بأن المنفرد بأعماله المستبد بآرائه، عرضة للخطأ، مظنة لعدم الثقة، بخلاف ما إذا كان الاشتراك في الفكر قاعدة للعمل فلابد أن الصواب يتمحض منه، لضعف التفرد وقوة الاجتماع، إذ لا جرم أن المرء كما قيل: (قليل بنفسه كثير بإخوانه).

وقد سمعت عن السيد، وقرأت من آثاره المأثورة ما حببه إلي، وشاقني للتعرف به، لنشترك في منفعة تبادل الأفكار، فإني لا أكتفي بمجرد السماع ولا أقول: (أن الأذن تعشق قبل العين) فإنما هي جارحة صغيرة - ولكن كلي ميال إليه، محب لاستجلاء مرآه، عالم أني إذا دخلت إلى مودته من باب التلاقي، لا أجد دهري.

يقرب مني كل شخص كرهته وبعد عني من إليه أميل

فإن لم يتيسر أن يراني أو أراه، فليسعدني ببضعة أسطر تضمن لي رضاه عن هذه المعرفة

(1) قوة أو عقد.
(2) بالتخفيف والتشديد هيأت.
(3) لا تغلبني.
(4) لا يعلوني.
(5) بفتح النون وكسرها السكر.
(6) الخمر.
(7) وجدت.
(8) البعد.

الترسلية، لنتراءى بأعين الطروس[١]، قبل أعين الرؤوس، ونتجاذب أحاديث المراسلة، إن عزت المقابلة، وقد وقفت عليه خالص ودي، واخترته من بين رجال العصر، سعيا لكسب المعالي بمعرفته، فكل امرئ بما كسب رهين[٢]، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى.

عن المرء لا تسألْ وسلْ عن قرينـه   فكـل قـرين بالمقـارن يقتـدي

وكتب الشيخ أحمد مفتاح المتوفى سنة ١٣٢٩هـ:

لم أكن فيما أكتبه لك إلا ساريا في ليل التعارف على ضياء خلالك[٣]، التي أملاها علي لسان المدح، الذي شرق وغرب، وطبق الأرض صيته، وإني وإن لم أكن أسعدت من قبل باجتلاء طلعتك الزاهرة، واجتناء مفاكهتك الغضة[٤]، فقد دلني على الليث زئيره[٥] وعلى البحر خريره[٦]،وعلى العقل أثره، وعلى السيف أثره[٧]. ولئن لم تجمعنا لحمة[٨] النسب، فقد جمعتنا حرفة الأدب، أو لم يضمنا قبل مصيف ومرتع، فالطيور على أشكالها تقع، وشبه الشيء منجذب إليه، وأخو الفضائل هو المعول عليه.

وهذه الرقعة وإن وصفت لك بعض ما أنا مطوي عليه من التهافت على رؤيتك، والميل إلى صداقتك، فقلما تنوب عن المشافهة، أو تقضي حاجات في النفس طالما تردد صداها، وفي ظني أن (سيدي) يود ما أوده، وعما قليل يسفر صبح اللقاء، ونتجاذب أهداب المعرفة، وأرى من (سيدي) فوق ما توسمته وسمعته، ويرى مني ما يرضيه والسلام.

وكتب الشيخ طه محمود المتوفى سنة ١٣٢٥هـ:

أيها (السيد) العزيز الجناب، الغزير الآداب:

قد علمت - ولا أزيدك علما، زادك الله ولا نقصك - أن الإنسان كما اشتق اسمه من الأنس، كذلك جبل عليه مسماه، وأن ا تمع الإنساني عقد يتحلى به صدر الزمان، نظامه

---

(1) الصحائف.
(2) مرهون.
(3) مصادقتك وإخائك.
(4) اللينة.
(5) صوته.
(6) صوته أيضا.
(7) جوهره.
(8) القرابة.

متآلف، ووساطته[١] التعارف، فهذا الأمران هما قطب المدار في هذه الدار، لهذا العالم، من لدن آدم، وليس إلا بما يحسن الحال وينعم البال، وتدر ضروع المنافع، وتتفجر عيون الفؤائد، ومن ثم كان أوفر الناس حظا من مغنم الإنسانية، من يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا ... ولا، وناهيك بخلق امتن الله به على عباده، إذ قال عز من قائل: **وجعلناكُم شعوبا وقَبائِلَ لِتعارفُوا** [الحجرات: ١٣].

ذلك - (أيها السيد) هو الذي بعثني أن أكتب إليك، أستفتح باب مودتك بمفتاح الترسل واستصبح في سبيل صحبتك بمصباح التوسل، لا أبالي بما ينسب إلي وينتقم علي، ممن عسى أن يقول: مالك ولهذا الفضول! وكيف تتطفل على مأدبة أدبية لم تدع إليها!! وهل هذا منك ألا أشبه بالتبرج[٢] لغير خاطب؟

أيها المنتقد: هون عليك ما تجد، فلو علمت أن ظل الآداب شامل، ودعوة المودة الجفلى[٣] لا يذاد[٤] عنها واغل[٥]: لأسرعت معي إلى الوغول[٦]، ولم تر في التودد إلى أهل الفضل من فضول، وأي عيب على النكرة في التحلي بحلية المعرفة؟ ومصاحبة الأعلام؟! أما سمعت قول القائل:

بصحبتك الكرام تعد منهم وتأمن من ملمات الزمان!

وكيف أضع نفسي بحيث يقول الأول:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها[٧] واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي!

وشتان ما بين الرجلين: رجل يهوى المكارم وبنيها، ويبتغي المناقب وذويها، ويقف نفسه على مسألة يعلمها، وفضيلة يتحلى بها، وآخر يبذل وجهه المصون، في ملء الحقائب[٨] والبطون!

(1) الجوهرة التي في وسط العقد وهي أجوده.
(2) إظهار المرأة زينتها للرجال.
(3) العامة للجماعة.
(4) لا يطرد.
(5) المتطفل.
(6) التطفل.
(7) بكسر الباء الطلب وبضمها الحاجة.
(8) الزكائب.

هذا: وقد رجوت أن أكون الرجل الأول بصحبتك (أيها السيد) فكم روي لنا من أحاديث فضائلك الصحاح، وتلي علينا من آيات فضائلك الحسان، ما[1] أشخص إليك القلوب قبل قوالبها وأوفد عليك الأرواح قبل أشباحها، وأعجلني أن أكتب إليك بهذا الرقيم، التمس بالتعرف إلى جنابك الكريم، ما التمس الكليم من صحبة ذي الوجه النضر[2]، أبي العباس الخضر، وإني وإن كنت والحمد لله من آمنوا بالغيب، وليس عندي في صدق هذه الآيات مرية[3] ولا ريب، بيد[4] أن للصحبة فضلا لا ينكر، وللمؤاخاة مزية لا يتمارى[5] فيها اثنان:

فإذا ورد على السيد كتابي هذا: وانشرح صدره - شرح الله صدره - إلى إجابة سؤلي، وارتاحت نفسه إلى اصطناعي كتب إلى عبده بما يكون آية جلية على ارتياحه، لتحقيق هذه الأمنية.

حتى أقولَ لوجه آمالي ابتهج لأولّينك قِبلةً ترضاها

وكتب المرحوم محمود بك أبو النصر المتوفى سنة ١٩٣٠م:

المودة - وصل الله بأجفان الأشواق أهدابها، وفتح لنا أبوابها - أم عزيز المرتقى، على من يصطفي صديقه، ويرعى حقوقه، وإني اصطفتيك على الناس برسالتي هذه، وعهدي بكرم سجاياك أن تصافحها براحة القبول، وتتخذها فاتحة ود طارت به إليك رياح فضلك، بعدما مثلت آياته لك في القلوب معنى ظهرت في مرآة الأعين صورته.

فإن أبيت ودادي غير مكترث فعنك ما دمت حيا لا أرى بدلا

وحاشاك عن مثل ذلك الإباء، ونحن وإن لم تحظ أشباحنا باللقاء، فأرواحنا من قبل جنود، وأعيننا شهود، فإن أنت منحتني ولاء خالصا، وإخاءً صادقًا، (وإلا فهبني أمرءًا هالكًا) ولا إخائك ترضاه، وإن كنت المتطفل على مائدة مودتك، فلي نفس أديت لا ترى العز إلا في الترامي على ذري الكمال، لا زلت على مرقي الجلال، والسلام.

---

(1) ما: فاعل روى.
(2) الحسن.
(3) شك.
(4) غير.
(5) لا يختلف.

وكتب الفاضل السيد محمد البيلاوي:

سيدي: إن مكارم الأخلاق ومعالي الهمم مما تسترق القلوب، وتسرق العقول، وتمتلك الأرواح، وإن لم تتلاق الأشباح، فإني مذ سرى إلي النسيم بأخلاقكم الغراء، وابتسم لي ثغر هذا العصر عن آثاركم الزهراء، وتواترت الأخبار بحبكم للفضل وأهله، وارتياحكم للعلم وذويه، وأنا مشغوف الفؤاد بالتعرف بسيادتكم، مشغول البال بالتوسل إلى رياض مودتكم، ولعلمي أن للصداقة حقوقًا، وللمصاحبة شروطًا، ربما صعبت على من حولها، وعزت على من أراد الوفاء ا، كنت أرى الوحدة لي أولى، والانفراد بي أسلم، ولكن ما زالت تنمي[١] إلي أحاسن شمائلكم المشرفة، وتتوارد على مسامعي محاسن سيركم المطهرة، فينمو الوجد ويزداد الشوق (والأذن تعشق قبل العين أحيانا) وما كنت أجد سبيلا للتعرف ولا سببا للتودد، ولا تجسر نفسي على المراسلة ابتداء: إلى أن رأيت سيدي قد اهتم للأدب فأعلى مناره، ونظر للإنشاء فرفع مقداره: ونصر دولته وأحيا صولته، وأعاد شبابه، وفتح لأدباء هذا العصر بابه فعلمت أن الدهر قد ساعدني، والفرصة قد أمكنتني من مصافحة ما أملت ومصافاة ما أردت، من اجتناء ثمار مودة سيدي، والتعرف به والتمسك بأهداب فضائله والتزود من آدابه، فإن الأدب أحسن ما يستصبح بأنواره[٢]، وأشرف ما يتسابق لاقتطاف أثماره[٣] ويحمد التطفل على موائده، ويمدح التنافس في التقاط فوائده، فجعلت طلب الانتظام في سلك أرباب الأقلام وسيلة لورود عذب وداده، ونمير[٤] التعرف به، فإن رأى سيدي أن يعد نفس حر في عداد معارفه، ويقابل رسالته ما اشتهر من لطائفه حتى تتمتع بالرؤية الأبصار، كما تمتعت المسامع بطيب الأخبار، كنت مديم الشكر لأفضاله، مستمر الثناء على كماله.

وكتب الشيخ عبد الكريم سلمان المتوفى سنة ١٣٣٦هـ:

أما بعد - فهذه رسالة أكتبها إلى من لم تكن لي به جامعة جسمية، ولم تضمني وإياه حفلة تعارف شخصية، وهي وإن كانت في عرف غيري تعد هجوما، أو تحس فضولا، إلا أني أعتقد أ ا أوفدت على كريم يكرم وفاد ا ويتقبل ما ديه إليه من زعيم تحية وجليل

(1) تزيد.
(2) أضوائه.
(3) أزهاره.
(4) الزاكي.

إجلال، ويجتلي من خلالها إرادة ود، ورجاء ولاء وبغية فضل ورغبة في إخاء، فيحلها منه محل القبول ويدرأ[١] عنها وصمة[٢] الفضول، إن لسيدي آثارا شاهدناها، فاستفدناها، ومآثر سمعناها، فرويناها أو تناقلناها، ولا مرية[٣] في أن ما غاب عنا منها، أكثر مما وعينا، وأوفى مما سمعنا، ونحن - والله يعلم - طلاب كمالٍ، ومنتجعو أفضالٍ[٤]، ورواد[٥] ما خصب من فيحاء العلوم، وقد توسمنا[٦] في السيد - أطال الله بقاءه - طلبتنا، ووجدنا لديه ضالتنا، فحثثنا إلى رحابه مطية المكاتبة، ولنا أمل كبير في نوال المأمول لعله يجنح[٧] إلى مقابلة المثل بالمثل، فيكتب لأخيه بعض كليمات، يعرف منها أنه قبل الإخاء، ومال إلى مقتضى طبعه من الوفاء، ولا أظن إلا وقد كان أقرب ما يكون من الزمان، فإن الأرواح ما تعارف منها ائتلف، كما برهنه الأصحاب في معاشرا م خلفًا عن خلف.

وكتب مؤلف هذا الكتاب:

لقد سمِعنا بأوصافٍ لكم كملت فسرنا ما سمعناه وأحيانا

من قبل رؤيتكم نلنا محبتكم والأذْنُ تعشق قبل العين أحيانا

سيدي ومولاي:

لقد بلغني في وفائك وفضلك، ما يدعوني لخطب ودك؛ ويرغبني في إخائك، ويحببني في التوسل إلى معرفة جنابك، وإن لم تجمعنا جامعة شخصية، ولم تضمنا حفلة تعارف ذاتية، إلا أن أحاديث فضائلك الصحاح، أوفدت عليك الأرواح قبل الأشباح، والولاء والإخلاص، قبل الأجسام والأشخاص، ولا غرابة في ذلك، فإن من سنة الله في خلقه: أن يؤلف بين الأرواح وأمثالها، وإن لله ملائكة، يسوقون الأشكال إلى أشكالها، وشبه الشيء منجذب إليه، وأخو الفضائل هو المعول عليه.

---

(1) يدفع.

(2) العار.

(3) بضم الميم وكسرها الشك.

(4) طالبو معروف.

(5) طالبون له.

(6) تفرسنا.

(7) بتثليث النون: يميل.

إنّ القُلــوب لأجنــاد مجنــدةٌ للهِ في الأرض بالأهواءِ تعتــرف

فما تعارف منها فهــو مؤتلــف وما تناكر منها فهــو مختلــف

فلذا اصطفيتك لنفسي، واخترك لمودتي وأنسي، نتناجى بالضمائر ونتخاطب بالسرائر، وإن بعدنا في الظاهر فرب غائب بنفسه، حاضر بخلوص نفسه.

فإن أبيت ودادي غــير مكتــرثٍ فعنك ما دمت حيــا لا أرى بــدلا

وحاشاك عن مثل هذا الإباء، والهجرِ والجفاءِ.

لكلّ امرىءٍ شكلٌ من النــاس وكل امرىءٍ يهوى إلى من يشــاكله

ناشدتك الله أن تقبل مني الإخاء، وتضمن لي الوفاء، وأنا أرضى بك من الدنيا نصيبا، وأختارك من العالمين حبيبا.

الفصل الثالث: في رسائل الهدايا

وكتب سعيد بن حميد المتوفى سنة ١٠٥هـ يوم النيروز إلى بعض أهل السلطان:

أيها الشريف:

عشت أطول الأعمار بزيادة من العمر، موصولة بفرائضها من الشكر، لا ينقضي حق نعمة حتى يجدد لك أخرى، ولا يمر بك يوم إلا كان مقصرا عما بعده، موفيا عما قبله.

إني تصفحت أحوال الأتباع الذين يجب عليهم الهدايا إلى السادة، والتمست التأسي م في الإهداء، وإن قصرت بي الحال عن الواجب - فوجدت أني إن أهديت نفسي فهي ملك لك، لا حظ فيها لغيرك، ورميت بطرفي إلى كرائم مالي، فوجد ا منك، فإن كنت أهديت منها شيئًا، فإني لمهدٍ مالك إليك، ونزعت إلى مودتي، فوجد ا خالصة لك قديمة غير مستحدثة، فرأيت إن جعلتها هديتي، أني لم أجدد لهذا اليوم الجديد برا ولا لطفًا، ولا أميز منـزلة من شكري بمنـزلة من نعمتك، إلا كان الشكر مقصرا عن الحق، والنعمة زائدة على ما تبلغه الطاقة، فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك، هدية إليك، والإقرار بالتقصير عما يجب لك، برا أتوصل به إليك، وقلت في ذلك:

إن أهـد مـالاً فهـو واهبـه … وهو الحقيـق عليـه بالشـكْر

أو أهد شكري فهـو مـرتهن … بجميل فعلـك آخـر الـدهر

والشمس تسـتغني إذا طلعـت … أنْ تستضيءَ بِسـنة[1] الـدهر

وكتب حفني بك ناصف المتوفى سنة ١٣٣٧هـ - ١٩١٩م:

الهدية في نظر الأصفياء جليلةٌ، وإن كانت في نفسها قليلة، ومكانتها خطيرة، وإن كانت يسيرة، وسنة حسنة اجتمعت على فضلها الألسنة

مضتِ الدهور وأمرها مستحسـن … وتعاقبـت بمـديحها الأيـام

اللهم إلا إن لبست جلباب[٢] الرياء، وولجت[٣] أبواب الارتشاء، ولا مراء[٤] إن الأوداء من ذلك براءٌ.

---

(1) الوجه.
(2) القميص.
(3) دخلت.
(4) جدال.

وما زالت الهدية شعار الأصدقاء، وعنوان تذكار الولاء، وكم جددت بين الأصحاب عهود التحاب.

وتعهــدت ودا فعــاد شــبيبته ولشمله بعد البــداد[١] نظــام

قد وصلتني يد العصا فحبذا الإهداء، وأهلا بتلك اليد البيضاء، وليست هذه أول أياديك علي، ولا أكبر عارفة جاءت من ناديك إلي، أمنت ا النوب[٢] واعتضدت ا[٣] على تفريق شمل الكرب.

فإذا طغا[٤] بحر الهموم ضــربته بعصاي فاجتازت[٥] به الأقــدام

تنفلق ا الأيام صخور، فتنبجس[٦] منها عيون السرور، ونلقف ما يصنع الأعداء، فتذهب بسحر البغضاء، وإذا اشتد هجير[٧] الوحشة، نشرت ظلال أنسها، أو عصى فرعون الدهر، راعته[٨] بيأسها[٩].

فكأنما أوصى الكليم[١٠] لنا ــا حــتى يــرى آياتــه الأقــوام

وقد فكرت ماذا أقابل به طرفتك[١١]، وأتلقى به تحفتك، إلى أن هداني الله، أن يد المنعم إنما تقابل بالأفواه ليعزز القبول بالقبول، ويؤدى الرسم باللثم، فأرسلت لك فم سيجارة، وجعلته لهذا المعنى إشارة، وقلت:

مولاي كم فاضت يمينك بالنــدى[١٢] حتى غدوت غريــق بحــر الأنعــم

---

(1) التفريق.
(2) جمع نائبه: مصيبة.
(3) استعنت.
(4) سلكت.
(5) علا.
(6) تنفجر.
(7) حرها.
(8) أزعجته.
(9) بشد ا.
(10) سيدنا موسى عليه السلام.
(11) إحسانك.
(12) العطاء.

والشكر أوجب أن أقبـل راحهـا فكنيت عن هـذا بإهـداء الفـم

وقد علمت أن المنظر البهيج، يتم بالتدبيج(١)، فاخترت أن يكون مبدأه كالليل إذا عسعس(٢)، ومنتهاه كالصبح إذا تنفس(٣)، إيذانا(٤) بزوال الشرور بالسرور، ورمزا إلى الخروج من الظلمات إلى النور.

وكتب المرحوم محمود بك أبو النصر:

يـــا أيهـــا المـــولى الـــذي عمـــت أياديـــه الجميلـــه

إقبـــلْ هديـــة مـــن يـــرى في حقـــك الـــدنيا قليلـــه

غرة وجه السعود وقرة عين الوجود - الأمير الجليل.

يا جليل الفضائل - إليك توجه الآمال، ويا جميل الشمائل بساحتك تحط الرحال، تلك هي الساحة الفيحاء(٥)، والشيمة(٦) الحسناء، والهمة العلياء، واليد البيضاء، والأعمال التي تضرب ا الأمثال، كم من نعم أسديتها(٧)، ومكارم أوليتها وعلوم أحييتها، فأنت المصدر والمورد، والمقصد والموعد، إليك أقدم تلك الهدية المرضية، وأرفع ذلك الكتاب المستطاب، مشفعا في قبوله كرم سجاياك، وعظم مزاياك وإن كنت أعلم أن مقامك العلي يجل عن أن يرفع إليه مثله، فقد عرفناك، متواضعا في علاك، قريبا مع اعتلاك.

دنوت تواضـعا وعلـوت مجـدا فشـــأناك انخفـــاض وارتفـــاع

كذاك للشمس يبعد أن تسـامى(٨) ويدنو الضـوءُ مِنـها والشـعاع

وحاشاك أن أهدي للقمر نورا، أو للشمس ضياء، أو أبعث ببينة القطر(٩) إلى ذلك

(1) التزين.
(2) أقبل بظلامه.
(3) أضاء.
(4) إعلاما.
(5) الواسعة.
(6) الخلق.
(7) أعطيتها.
(8) تفاخر.
(9) المطر.

البحر، ولكني أحببت أن يحظى بلثم بنانك[١]، وينال من كرمك وإحسانك، وقد عهدناك تهتز للمكارم اهتزاز الصارم[٢]، وترتاح لإسداء الجميل، كما يرتاح للكرم النـزيل، وللشفاء العليل، وما هو إلا من نور فكرك مقتبس[٣] فعساه يحظى بالقبول، فأبلغ غاية المأمول والسلام.

وكتب الأستاذ عبد الله بك الأنصاري المتوفى سنة ١٩٣٢م:

المولى - أدام الله وجوده ممتعا بهدايا الأيام، وتحف الأعوام - طالما أوفد[٤] من الرفد[٥] إلي، ووجه من الخيرات ما أفعم[٦] يدي، حتى أصبحت - وله الفضل والمنة - أجر ذيول النعماء[٧] على غبراء[٨] البأساء[٩] وأجتلي[١٠] معارف السراء بعوارفه البيضاء، التي لا يوازيها ثناء وحمد، ولا يوازيها عطاء ورفد، ولا يطاولها سماء وبحر، ولا يغالبها بؤس وفقر، وإن لي من آلاء[١١] السيد - حفظه الله وأدام علاه - ما أينع وأزهر، وأورق وأثمر، حدائق قامت لشكره عيدانها، وسجدت لفضله أغصانها، وترنمت طربا، وتمايلت عجبا بنفحات هي عرفه[١٢]، وبركات هي عرفه، ولي أمل في جنابه - وأنا سليل[١٣] نعمته - وعهدي بأخلاقه - وأنا ابن مودته أن يمن بقبول ما أهديته، وهو من مال نفسه، وثمرة غرسه، (باكورة تفاح) يرفعها إجلال وإعظام، وتصحبها تحية وسلام.

وكتب الشيخ أحمد مفتاح المتوفى سنة ١٣٢٩هـ:

---

(1) الأصابع.
(2) السيف القاطع.
(3) مأخوذ.
(4) أرسل.
(5) العطاء والصلة.
(6) ملأها.
(7) بالفتح النعمة.
(8) الأرض.
(9) الداهية.
(10) أنظر إليها مجلوة.
(11) نعم.
(12) بالفتح الريح الطيبة.
(13) ابن نعمته.

الهدية - غمرك الله بالمعروف - تبسط يد المودة، وتدر ا أخلاف[١] القرب وتغرس بين المتحابين من الائتلاف، بقدر ما تقطع بينهما من شجر الخلاف، وما أنا فيما أهديه إليك إلا كمستبضع[٢] تمرا إلى أرض خيبر[٣]، أو كالواهب الماء للبحر، والضوء للبدر، والملك لسليمان[٤]، والمال لقارون[٥]، والحلم لأحنف[٦]، والذكاء لإياس[٧]، والتفسير لابن عباس[٨]، وما ذاك إلا كتاب كما تراه ضرب في الإحكام بسهم، ووعى من الأحكام، ما خلت منه مفعمات[٩] الأسفار[١٠]، وموجزات الرسائل، فهو كما قيل: $كل الصيد في جوف الفرا#[١١].

تـــزين معانيــــهِ ألفاظـــــه   وألفاظـــه رائقـــات المعـــاني

على أني وإن تطفلت عليك، وسقت لك هذا الكتاب مزدلفًا[١٢] إلى جنابك الرحب، ومقامك الأسنى، فقد أصبت كبد الصواب، ووضعته حيث يعرفه أهلوه، ويتقبله من باذله عالموه، علما بأنك عماد العلوم، وأساس الفضائل، لا تغادر[١٣] شاردة إلا وعيتها، ولا نادرة إلا رويتها، ولا:

لو كان يهدى على قدري وقدركم   لكنت أهدي لك الدنيا وما فيهـا

---

(1) جمع خلف بالكسر الضرع.
(2) جاعله بضاعة.
(3) موضع بالحجاز.
(4) ابن داود النبي عليهما الصلاة والسلام.
(5) من قوم موسى عليه السلام أعطاه الله من الكنوز ما لم يعطه لغيره.
(6) هو أبو بحر صخر بن قيس تابعي كبير يضرب به المثل في الحلم توفي سنة ٦٧هـ.
(7) هو أبو وائلة بن معاوية بن مرة المزني يضرب به المثل في الذكاء توفي سنة ١٢٢هـ.
(8) هو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ج صحابي جليل يلقب ترجمان القرآن توفي سنة ٩٨هـ.
(9) مملوآت.
(10) الكتب.
(11) حمار الوحش، ومعناه - كل ما عداه دونه. قاله النبي ج تطمينا لرجل خرج يصطاد مع أصحابه فلم يصب غير الحمار الوحشي.
(12) متقربا.
(13) لا تترك.

وكتب مؤلف هذا الكتاب إلى أستاذه الحكيم محمد عبده:

سيدي مولاي - أطال الله بقاءك، ورفع في الدارين علاك - الهدية مفتاح باب المودة، وعنوان تذكار المحبة، يتسابق إليها كرام السجايا[١]، ويتسارع إلى إحياء شعائرها عشاق المزايا حرصا على حفظ عهود الوداد والتآلف، وإذهابا لوحشة التقاطع والتخالف:

هدايا الناس بعضهم لبعض ... تولد في قلوبهم الوصالا

وتزرع في القلوب هوى وودا ... وتكسوك المهابة والجلالا

ولقد وجدتك إماما حكيما، وفيلسوفًا عليما، تقدر الأعمال حق قدرها، وتضع الأشياء في مواضعها، سباقًا إلى نشر العلوم والمعارف، في المشارق والمغارب:

يبقى الثّناءُ وتنفَد الأموال ... لكل دهرٍ دولةٌ ورجال

ما نال محمدة الرجال وشكرهم ... إلا الصبور عليهم المفضال

فلذا أهديك كتابي (جواهر الأدب، في أدبيات لغة العرب) جمع فأوعى من الآداب والحكم، ما خلت منه الأسفار[٢]، فهو بلا شك ولا مرا، كل الصيد في جوف الفرا:

تزين معانيه ألفاظه ... وألفاظه زائنات المعاني

على أني - وإن تطفلت عليك، ووضعت كتابي هذا بين يديك - لقد ولجت الأمور من الأبواب وأصبت كبد الصواب، حيث يعرف الفضل من الناس ذووه، ويتقبله بقبول حسن عالموه:

شكرا وحمدا إنْ قبلْت هديتي ... وجعلت لي فضلاً على أقْراني

فتنازلك بقبوله يكون الإقبال عليه جليلا، ويعجز لساني على أن أشكرك شكرا جزيلاً، والسلام.

وكتب مؤلف هذا الكتاب إلى المرحوم (سعد باشا زغلول) يهديه كتابه جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب:

مولاي، أطال الله بقاءك في أهنإ عيشة، وأرغدها، وأتم نعمة وأسعدها، وأعم عافية وأزيدها، وأولاك من الآلاء بأمدها مزيدا، ومن السلامة بأسبلها سترا، ومن السرور بأوفره

(1) الأخلاق.

(2) الكتب الكبيرة.

حظًا، ومن العز بأشده ركنا، والعمر بأبعده مدى، تولاك المولى بحفظه وحياطته، وحرسك تحت جناح السلامة بكلائته ورعايته.

إن الله تعالى قد خصك بالعز المنيع، والشرف الرفيع، والخلق السني، والفخر البهي، والرأي والحزم، والبلاغة والفهم، والبراعة والكمال، والبذل والنوال، والجود والإفضال، والحمد والثناء، والكرم والوفاء، والمذهب الجميل، والقدر الجليل.

فأنت - أدام الله كرامتك، وأكرم حياطتك - معدن الفضائل وزين المحامل غياث اللاجئ إليك، وسند المعول عليك، لا يجحد فضلك ولا ينسى ذكرك، عرفك شائع، وجودك واسع، ومعروفك ذائع، وفضلك شامل، ولبك كامل سلم لأوليائك، وحرب لأعدائك، سحائب كفيك تمطر ديم الإنعام، وشآبيب يديك تفوق أفعال الكرام، زادك الله أيها الرئيس عقلا إلى عقلك، وفخرا إلى فخرك، وفضلاً إلى فضلك، وطولاً إلى طولك، وسؤددا إلى سؤددك، إنه لطيف كريم.

لما رأيتك - أدام الله علوك، وأجزل من كل خير حظك وقسمك - تغني عن التوسل إليك بكريم أخلاقك، وشريف أعراقك، جعلت كرمك ذريعتي إليك، لما دلني من فضلك عليك، وكفى به عن اللبيب شاهدا، وإلى الكريم قائدا، فأطمعني فيك ما رأيت من جودك وسماحتك، وحسن بشرك وطلاقتك، ولئن أملتك عند الشدائد، ودفعت بك صولة النوائب ورجوتك لكشف الملمات، والحوادث الطارقات، واستغثت بسيبك وجدواك على غير شافع، أطمع في شفاعته إليك، أو متوسل في ما لديك، فإني أقوال كما قال الشاعر:

من غير ما سبب يدني كفي سـببا ... للحر أن يجتدي حرا بـلا سـببِ

ولما كانت الوسيلة إلى السادات، وأهل الأخطار والمروءات، إنما هي وكيد حرمة أو قديم خدمة: وكنت صفرا من ذلك كله، غير داخل في جملة أهله توسلت بكتابي (جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب)، إذ كان المتوسل ا على ثقة ممن عرف قدرها، لأن الآداب عند ذوي الكرم، أعطف من صلة الرحم، وهو سبب بين الكرام موصول ينـزعون إليه، وحق يتعاطفون عليه، وفيه قال الشاعر:

أدب بيننـا تولّـد منـه ... نسب والأديب صنو الأديـب

وقال الآخر:

حق الأديب وإنْ لم يدنـهِ نسـب ... فرض على كلّ من أمسى لـه أدب

وقد ضمنت كتابي هذا من الآداب أظرافها، ومن الأشعار أفضلها وأجملها وجعلته سببا أمت به إليك، وهدية أضعها بين يديك، فتنازل دولتكم بشرف القبول يكون غاية مطلوبي و ساية المأمول.

الفصل الرابع في رسائل الاستعطاف والاعتذار

كتب أبو منصور الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩هـ :

الكريم إذا قدر غفر، وإذا أوثق أطلق، وإذا أسر أعتق، قد هربت منك إليك، واستعنت بعفوك عليك، فأذقني حلاوة رضاك عني، كما أذقتني مرارة انتقامك مني، الحر كريم الظفر، إذا نال أقال[١]، واللئيم إذا نال استطال[٢] قد هابك من استتر، ولم يذنب من اعتذر، تكلف الاعتذار بلا زلة[٣]، كتكلف الدواء بلا علة، مولاي يوجب الصفح عند الزلة[٤] كما يلتزم البذل عند الخلة[٥] مولاي يوليني صفيحة[٦] صفحه، ويؤتيني العفو من عفوه، زللت وقد يزل العالم الذي لا أساويه، وعثرت وقد يعثر الجواد الذي لا أجاريه، لا تضيقن عني سعة خلقك، ولا تكدرن علي صفو ودك، مالي ذنب يضيق عنه عفوك، ولا جرم يتجافى تجاوزك وصفحك. والسلام.

وكتب عبد الله بن معاوية المتوفى سنة ١٣٤هـ إلى أبي مسلم:

من الأسير في يديه، بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه. (أما بعد) فقد آتاك الله حفظ الوصية، ومنحك نصيحة الرعية، وألهمك عدل القضية فإنك مستودع الودائع، ومولى الصنائع، فاحفظ ودائعك، بحسن صنائعك، فالودائع عارية، والصنائع مرعية، وما النعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها، ولا بمبلوغ مداها، فنبه للتفكير قلبك، واتق الله ربك وأعط من نفسك من هو تحتك، ما تحب أن يعطيك من فوقك - من العدل والرأفة، والأمن من المخافة، فقد أنعم الله عليك، بأن فوض أمرنا إليك، فاعرف لنا لين شكر المودة، واغتفار من الشدة، والرضا بما رضيت والقناعة بما هويت، فإن علينا من سمك الحديد وثقله أذى شديدا، مع معالجة الأغلال، وقلة رحمة العمال، الذين تسهيلهم الغلظة، وتيسيرهم الفظاظة، وإيرادهم علينا الغموم، وتوجيههم إلينا الهموم، زيارتهم الحراسة، وبشارتهم الإياسة! فإليك - بعد الله - نرفع كربة الشكوى، ونشكو شدة البلوى، فمتى تمل إلينا طرفًا، وتولنا منك عطفًا

---

(1) ترك.

(2) تملك وتمسك.

(3) بالفتح السقطة.

(4) بالفتح الغلطة.

(5) بفتح الخاء الحاجة والفقر.

(6) صفيحة - عريضة. أي عظيم صفحه.

تجد عندنا نصحا صريحا وودا صحيحا، لا يضيع مثلك مثله، ولا ينفي مثلك أهله، فارع حرمة من أدركت بحرمته، وأعرف حجة من فلجت بحجته[1] فإن الناس من حوضك رواءٌ، ونحن منه ظماء، يمشون في الأبراد، ونحن نحجل في الأقياد، بعد الخير والسعة، والخفض والدعة؛ والله المستعان، وعليه التكلان.

وكتب بدر محمد بن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٩٩هـ:

رفقًا بمن ملك الوجد قياده، وعطفًا على من أذاب الشوق فؤاده، متيم[2] أقلقه فرط صدودك، ومغرم أغراه بحبك قول حسودك، وسقيم لا شفاء له دون مزارك، ومقيم على عهدك ولو طالت مدة نفارك: إلام هذا التنائي[3] والنفور؟! وعلام يادا القد العادل تجور؟! لقد تضاعف الأسف والأسى، وتطاول التعلل بلعل، وعسى:

هبني تخطّيت لي زلة ولم أكُن أذْنبت فيما مضى
أليس لي من بعدها حرمةٌ؟ توجب لي منك جميل الرضا!

ولست ألوذ إلا باب نعمك، ولا أعتمد في محو الإساءة إلا على حلمك وكرمك، وما جل[4] ذنب يضاف إلى صفحك ولا عظم جرم[5] يسند إلى عفوك، ومثلك من يقيل العثرات، ويتجاوز عن الهفوات:

وكُنت أظن أن جبال رضوى[6] تزولُ وأن ودك لا يزول
ولكن القلوب لها انقلاب وحالات ابن آدم تستحيل

طالما آنستني بقربك، ودنوت مني مفارقًا ظباء ربك، وأنجزت وعودي، وأطلعت نجوم سعودي:

وكنت إذا ما جئت أدنيت مجلسي ووجهك من ماء البشاشةِ يقطُر

---

(1) فلج بحجته: أثبتها.
(2) مستعبد ذليل.
(3) التباعد.
(4) ما عظم.
(5) ذنب.
(6) جبل بالمدينة.

فمن ليّ بالعين الـتي كنـت مـرة إلي ا في سـالف الـدهر تنظـر

قيدت أملي عن سواك، و رت ناظري بنظرة سناك[1]، وكسرت جيش قراري، وتركتني لا أفرق بين ليلي و اري، أحوم حول الديار، وأعوم في بحر الأفكار، وأتمسك بعطف عطفك، وأتعلق بأذيال مكارمك ولطفك، أما علمت أن الكريم إذا قدر غفر؟ وإذا صدرت من عبده زلةٌ أسبل عليها رداء العفو وستر؟ وأن شفيع المذنب إقراره؟ ورفض خطيئته عند مولاه استغفاره؟

ومن كان ذا عذرٍ لـديك وحجـةٍ فعذْري إقراري بأنْ ليس لي عـذر

لهفي على عيش بسلاف[٢] حديثك سلف! وأوقات حلت، ثم خلت وأورثت التلف! وآها لأيام بطيب أنسك مضت! وبروق ليال لولا قربك ما أومضت[٣].

قد كنت أعرف في الهوى مقـدارها رحلت وبالأسف المبرح عوضـت

كيف السـبيل إلى إعـادة مثلـها وهي التي بالبعد قلـبي أمرضـت

فجد بالتداني، واسمح بنيل الأماني، وألن قلبك القاسي، وعد عن التنائي والتناسي، وارع الود القديم، وأبدل شقاء محبك بالنعيم، ولا تعدل عن منهاج المعدلة، وسلم فقد أخذت حقها المسألة، وأغمد سيف حيف[٤] صيرته مسلولا وأوف بالعهد إن العهد كان مسئولا.

وكتب أبو عثمان عمر بن الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥هـ:

ليس عندي - أعزك الله - سبب ولا أقدر على شفيع، إلا ما طبعك الله عليه من الكلام والرحمة والتأميل الذي لا يكون إلا من نتاج حسن الظن، وإثبات الفضل بحال المأمول، وأرجو أن أكون من الشاكرين، فتكون خير معتب[5]، وأكون أفضل شاكر، ولعل الله يجعل هذا الله الأمر سببا لهذا الإنعام، وهذا الإنعام سببا للإنقطاع إليكم، والكون تحت

(1) ضوئك.
(2) الخمر.
(3) ما لمعت.
(4) الجور.
(5) مسر بعد إساءة.

أجنحتكم[١]، فيكون[٢] لا أعظم بركة ولا أنمى بقية من ذنب أصبحت فيه، ومثلك (جعلت فداك) عاد الذنب وسيلةً والسيئةُ حسنةً، ومثلك من انقلب به الشر خيرا، والغرم غنما[٣].

من عاقب فقد أخذ حظه وإنما الأجر في الآخرة، وطيب الذكر في الدنيا، على قدر الاحتمال، وتجرع المرائر، وأرجو أن لا أضيع (وأهلك) فيما بين كرمك وعقلك، وما أكثر من يعفو عمن صغر ذنبه، وعظم حقه، وإنما الفضل والثناء العفو عن عظيم الجرم، ضعيف الحرمة، وإن كان العفو العظيم مستطرفًا[٤] من غيركم فهو تلاد[٥] فيكم، حتى ربما دعا ذلك كثيرا من الناس إلى مخالفة أمركم، فلا أنتم عن ذلك تنكلون[٦]، ولا على سالف إحسانكم تندمون، ولا مثلكم إلا كمثل عيسى ابن مريم؛ حين كان لا يمر بملأ من بني إسرائيل إلا أسمعوه شرا، وأسمعهم خيرا؛ فقال له (شمعون الصفا)[٧]: ما رأيت كاليوم! كلما أسمعوك شرا، أسمعتهم خيرا؟! فقال: $كل امرىء ينفق مما عنده# وليس عندكم إلا الخير، ولا في أوعيتكم إلا الرحمة، وكل إناء بالذي فيه ينضح.

وكتب ابن مكرم إلى بعض الرؤساء:

نبت[٨] بي غرة الحداثة، فردتني إليك التجربة، وأفادتني الضرورة، ثقة بإسراعك إلي، وإن أبطأت عنك، وقبولك لعذري وإن قصرت عن واجبك، وإن كانت ذنوبي سدت علي مسالك الصفح عني، فراجع في مجدك وسؤددك[٩]، وإني لا أعرف موقفًا أذل من موقفي، لولا أن المخاطبة فيه لك، ولا خطة أدنأ من خطتي، لولا أ ا في طلب رضاك - والسلام.

وكتب أبو بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٧٤٠هـ:

لو بغير المـاء حلقـي شـرق　　　كنت كالغصان بالماء اعتصـاري

---

(1) حمايتكم.
(2) ما يلزم أداؤه.
(3) الغنيمة.
(4) مستحدثًا.
(5) المال القديم.
(6) ترجعوا.
(7) شمعون الصفا: هو أحد حواري عيسى عليه السلام.
(8) أبعدتني.
(9) السيادة.

كيف يقدر (يقي الله السيد) على الدوام، من لا يهتدي إلى أوجه الداء، وكيف يداري أعداءه؟ من لا يعرف الأصدقاء من الأعداء! وكيف يعالج علة القرحة العمياء؟ أم كيف يسري بلا دليل في الظلماء؟! أم كيف يخرج الهارب من الأرض والسماء؟! الكريم إذا قدر غفر، وإذا أوثق أطلق، وإذا أسر أعتق، ولقد هربت من السيد إليه، وتسلحت[١] بعفوه عليه، وألقيت ربقة[٢] حياتي ومماتي بيديه، فليذقني حلاوة رضاه عني كما أذاقني مرارة انتقامه مني، ولتلح[٣] على حالي غرة عفوه؛ كما لاحت عليها مواسم[٤] غضبه وسطوه؛ وليعلم أن الحر كريم الظفر، إذا نال أقال؛ وأن اللئيم لئيم الظفر إذا نال استطال، وليغنم التجاوز عن عثرات الأحرار، ولينتهز[٥] فرص الاقتداء، ولتيحمد الله الذي أقامه مقام من يرتجي ويخشى، وركب نصابه في رتبة شاب الزمان ومجدها فتي، وأخلق العالم وذكرها طري، وليعتقد أنه قد هابه من استتر، ولم يذنب إليه من اعتذر، وأن من رد عليه عذره، فقد أخرج إلى الشجاعة بعد الجبن وأخرج ذنبه إلى صحن اليقين من سترة الظن، وفق الله السيد لما يحفظ عليه قلوب أوليائه، وعصمه مما يزيد في عدد جماجم أعدائه.

وكتب بعضهم إلى رئيسه:

وجدت استصغارك لعظيم ذنبي أعظم بقدر تجاوزك عني، ولعمري! ما جل ذنب يقاس إلى فضلك، ولا عظم جرم يضاف إلى صفحك، ويعول فيه على كرم عفوك، وإن كان قد وسعه حلمك فأصبح جليله عندك محتقرا، وعظيمه لديك مستصغرا، إنه عندي لفي أقبح صور الذنوب، وأعلى رتب العيوب، غير أنه لولا بوادر[٦] السفهاء، لم تعرف فضائل الحلماء، ولولا ظهور نقص بعض الأتباع، لم يبن جمال الرؤساء، ولولا إلمام الملمين بالذنب، لبطل تطول المتطولين[٧] بالصفح، وإني لأرجو أن يمنحك الله السلامة بطلبك لها، ويقيلك العثرات بإقالتك أهلها، وما علمت أني وقفت منك على نعمة أتدبرها، إلا وجد ا تشتمل

(1) استعنت.

(2) العروة التي يربط ا والمراد ا الزمام.

(3) تظهر.

(4) العلامات.

(5) ليغتنم.

(6) جمع بادرة: وهي الحدة عند الغضب.

(7) تطول المتطولين: فضلهم.

على فائدة فضل، تتبعها عائدة عقل.

وكتب فقيد اللغة الشيخ إبراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٣٠٦هـ:

بم يعتذر إليك من لا يرى لنفسه عذرا؟! وكيف يستتر من عتبك من لا يستطيع لذنبه سترا؟! بل كفاني من العتب: تعنيف نفسي على ما ألقيت عليها من تبعة تقصيره، وما حلت به من التفريط بينها وبين معاذيري، والله يعلم ما كان تقصيري شيئًا أردته وكان تفريطي أمرا قصدته، ولكنها الأيام! إن صاحبتها لم تصحب، وإن عاتبتها لم تعتب فلقد عبرت بي هذه البرهة كلها، وأنا بين شواغل لا يشغلها عني شاغل، وبلابل[١] قد اختلط حابلها بالنابل، فتنازعتها هذه النهزة[٢] اليسيرة، أجدد فيها التذكرة، إلى أن يمن الله بصلة الحبل واجتماع الشمل، وأستنـزل أحرفا من خطك يكتحل ا الناظر، ويأنس إليها الخاطر، متوقعا بعد ذلك أن أبقى بين يدي مودتك مذكورا، وألا يكون عجزي لديك شيئًا منظورا، وأن تجري بي على عادة حلمك، إلى أن يجمع الله الشتيتين ويغني العين[٣] عن الأثر بالعين[٤] إن شاء الله تعالى - والسلام.

وكتب أيضا:

وافاني كتابك العزيز، والنفس نازعة[٥] إلى ما يزيل نفارها، والقريحة[٦] تائقة[٧] إلى ما يشحذ[٨] غرارها[٩]، فكان روضة باسمة[١٠] الكمائم[١١] فاتحة النسائم، وقد ردت على النفس

---

(1) هموم، والحابل: قيل ناصب الحبالة للصيد، وقيل: سدى الثوب والنابل: صاحب النبال، وقيل: لحمة الثوب ولفظ المثل (اختلط الحابل بالنابل) وهو مثل يضرب في ارتباك الأمر.

(2) بضم النون الفرصة.

(3) الباصرة.

(4) الذات.

(5) مشتاقة.

(6) الملكة التي يقتدر ا على استنباط العلم بحدة الطبع.

(7) مشتاقة.

(8) يحد، وأصله السكين.

(9) بكسر الغين والمراد أن الملكة مشتاقة إلى ما يجعلها قوية مصيبة.

(10) ضاحكة.

(11) الزهر.

انبساطها وأحيت البادرة فاستأنفت نشاطها فأنا منه ما بين وشي[١] يخجل طراز العبقرية[٢] وزخرف[٣] دونه نضرة[٤] السابرية[٥] تناجيني منه رشاقة[٦] ألفاظ تفضح قدود[٧] الحسان، وغضاضة[٨] أنفاس يغار منها ورد الجنان، ورقة خطاب يشف[٩] عن ود صفي، ولطف خفي[١٠]، وكرم وفي، وعتب أعذب من الماء القراح[١١] وأرق من نسمات الصبا في الصباح، حتى لقد حبب إلي تقصيري، وشفع عند نفسي في قبول معاذيري؛ على أن ما عندي من الولاء لا يعتريه - معاذ الله!- وهن[١٢]، ولا يخلقه[١٣] تمادي زمن، أو ترامي وطن، ولكن صروف الأحداث[١٤] قد قصرت الجهد[١٥] وصرفت جواد العزيمة عن القصد، والله يعلم أني لو نزلت على حكم نوازل الدهر، ولم أدافع طلائعها بما بقي من ساقه[١٦] الصبر، لما كان في همتي إلا كسر اليراع[١٧] وهجر المحابر والرقاع[١٨]، وحسبي من العذر ما أعرفه من حلمك المألوف، وما ألفته من كرمك المعروف.

---

(1) نقش الثوب.
(2) ثياب تبلغ الغاية في الحسن.
(3) كمال الحسن.
(4) الحسن.
(5) ثياب رقيقة جيدة وأصلها للدروع السابرية نسبة إلى سابور كورة بفارس بينها وبين شيراز ستة عشر فرسخا.
(6) لطافة.
(7) جمع قد وهو القامة الرشيقة.
(8) الحسن.
(9) يحكى.
(10) ظاهر فهو من الأضداد.
(11) بفتح القاف الخالص.
(12) ضعف.
(13) لا يبليه.
(14) كلاهما مصائب الدهر.
(15) بفتح الجيم وضمها أي الطاقة.
(16) آخره.
(17) الأقلام.
(18) الرقاع بكسر الراء مفرده رقعة وبضمها القطعة من الورق التي تكتب.

والله أسأل أن يبقيك لي من الدهر نصيبا، ويمتعني بلقائك قريبا، بمنه وكرمه.

وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥هـ:

أما بعد: فنعم البديل من الزلة والاعتذار، وبئس العوض من التوبة الإصرار، فإنه لاعوض من إخائك ولا خلف من حسن رأيك، وقد انتقمت مني في زلتي بجفائك، فأطلق أسير تشوقي إلى لقائك، فإنني بمعرفتي بمبلغ حلمك وغاية عفوك، ضمنت لنفسي العفو من زلتها عندك، وقد مسني من الألم ما لم يشفه غير مواصلتك.

وكتبت زبيدة زوجة الرشيد المتوفاة سنة ٢١٦هـ إلى المأمون:

كل ذنب - يا أمير المؤمنين - وإن عظم صغير في جنب عفوك، وكل إساءة وإن جلت يسيرة لدى حلمك، وذلك الذي عودكه الله أطال مدتك، وتمم نعمتك وأدام بك الخير، ودفع عنك الشر والضير.

وبعد: فهذه رقعة الولهي - التي ترجوك في الحياة لنوائب الدهر، وفي الممات لجميل الذكر - فإن رأيت أن ترحم ضعفي واستكانتي وقلة حيلتي، وأن تصل رحمي، وتحتسب فيما جعلك الله له طالبا، وفيه راعيا - فافعل وتذكر من لو كان حيا لكان شفيعي إليك.

وكتب إليها المأمون جواب المواساة الآتي:

وصلت رقعتك يا أماه - أحاطك الله وتولاك بالرعاية[١] - ووقفت عليها وساءني - شهد الله[٢] جميع ما أوضحت فيها، لكن الأقدار نافذة[٣] والأحكام جارية، والأمور متصرفة، والمخلوقون في قبضتها، لا يقدورن على دفاعها[٤]، والدنيا كلها إلى شتات[٥] وكل حي إلى ممات، والغدر والبغي حتف الإنسان[٦] والمكر راجع إلى صاحبه.

وقد أمرت برد جميع ما أخذ لك، ولم تفقدي ممن مضى إلى رحمة الله إلا وجهه، وأنا بعد ذلك على أكثر مما تختارين[٧] والسلام.

---

(1) يعني حفظ الله وصانك برعايته.
(2) جملة معترضة يقصد ا تأكيد ما يقول.
(3) يعني ما قدره الله لا بد أن يكون.
(4) يعني أن المخلوقات مستسلمة لأحكام الله وأقداره.
(5) مآلها التفرق.
(6) يعني أن البغي فيه هلاك الباغي.
(7) يعني أقوم لك بجميع ما تحبين وزيادة.

وكتب بعضهم:

إني وإن جنيت على نفسي، وخرجت عن حد الأدب، فيما يجب على العبد لسيده - فإني عبد نعمتك وصنيع إحسانك، وذنبي وإن عظم، وضاق باب التوبة عن قبول المعذرة، فالعفو عنه بعض حسناتك، التي فطرت عليها والإغضاء عني سر من أسرارك التي تميل إليها، فاجعل العفو عني قربة إلى مولى الموالي، واترك العبد عتيق مكارم الأخلاق، وإلا فضع سيف نقمتك، في نحر عبد نعمتك، وأنت حل من دم أراقه أهله، أو آل أمره إلى وارث لا يسعه إلا النـزول عن المطالبة به، ألا وهو مقام جلالتكم السامي.

وحاشاك أن تعدم الصادق في خدمتك هفوة لم يقصدها، وذنب أقلع عنه، وعلى كل فالعبد بين يديك، وأمره منك وإليك، فقد ألقى إليك مقاليد الأجل، فافعل ما تشاء، واتق الله عز وجل.

استعطاف أم جعفر[1] بن يحيى الرشيد
لأجل يحيى زوجها

قال سهل بن هارون:

كانت أم جعفر بن يحى أرضعت الرشيد مع جعفر[٢] وربته في حجرها وغذته برسلها[٣] وكان الرشيد يشاورها مظهرا لإكرامها، والتبرك برأيها، وكان آلى وهو في كفالتها ألا يحجبها ولا استشفعته لأحد إلا شفعها وآلت أم جعفر أن دخلت عليه إلا مأذونا لها، ولا شفعت لأحد مقترف ذنبا؛ فكم أسير فكت، ومبهم عنده فتحت، ومستغلق[٤] منه فرجت فلما قتل ابنها جعفرا وحبس يحى زوجها وسائر أهل بيته طلبت الإذن عليه، ومتت[5] بوسائلها إليه، فلم يأذن ولا أمر بشيء فيها؛ فلما طال ا خرجت كاشفة وجهها، واضعة لثامها محتفية في مشيتها، حتى صارت بباب قصر الرشيد، فدخل عبد الملك الحاجب فقال: ظئر[٦] أمير المؤمنين بالباب، في حالة تقلب شماتة الحاسد، إلى شفقة أم الواحد، فقال الرشيد: ويحك يا عبد الملك، أو ساعية؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، حافية، قال: أدخلها يا عب الملك فرب كبدٍ غذ ا، وكربة فرجتها، وعورة ستر ا، فدخلت، فلما نظر الرشيد إليها داخلة محتفية قام محتفيا حتى تلقاها بين عمد ا لمس وأكب على تقبيل رأسها ومواضع ثدييها ثم أجلسها معه فقالت: يا أمير المؤمنين أيعدو علينا الزمان؟ ويجفونا خوفًا لك الأعوان، ويحردك[٧] علينا البهتان، وقد ربيتك في حجري، وأخذت برضاعك الأمان من عدوي ودهري؟ فقال لها: وما ذلك يا أم الرشيد؟ فقالت: ظئرك يحى وأبوك بعد أبيك، ولا أصفه

---

(1) ذكر صاحب العقد أن اسمها فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قحطبة، وذكر الطبري أن اسمها زينب بنت منير، وذكر ابن خلكان أن اسمها عتابة وكذا صاحب نجباء الأبناء، وذكر بعضهم أن اسمها عادة والله أعلم.

(2) كذا ذكر صاحب العقد وقال الطبري إ ا أرضعته مع الفضل ويؤيده قول سليمان الأعمى يرثي جعفرا ويستعطف الرشيد للفضل:

أمين اللـه في **الفضـل بـن** يحـيى **رضـيعك، والرضـيع لـه ذمـام**

(3) الرسل: اللبن.

(4) المستغلق.

(5) مت إليه: توسل بقربة أو نحوها.

(6) الظئر: المرضعة.

(7) أحرده: أغضبه.

بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين من نصيحته وإشفاقه عليه وتعرضه للحتف في شأن موسى أخيه[1]، فقال لها: يا أم الرشيد أمر سبق وقضاء حم[2] وغضب من الله نفذ، قالت: يا أمير المؤمنين: **يمحوا الله ما يشاءُ ويثْبِت وعِنده أم الكِتابِ** [الرعد:٣٩][3]. قال: صدقت، فهذا مما لم يمحه الله. فقالت: الغيب محجوب عن النبيين فكيف عنك يا أمير المؤمنين؟ فأطرق الرشيد مليا ثم قال:

وإذا المنيــة أنشــبت أظفارهــا ألفيت كل تميمــة لا تنفــع[4]

فقالت بغير روية: ما أنا ليحيى بتميمة يا أمير المؤمنين وقد قال الأول:

وإذا افتقرت إلى الــذخائر لم تجــد ذخرا يكــون كصــالح الأعمــال

هذا بعد قول الله عز وجل: **والكاظِمِين الغيظَ والعافِين عن الناس والله يحِب المحسِنين** [آل عمران: ١٣٤] فأطرق مليا ثم قال: يا أم الرشيد أقول:

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكــد إليـــه بوجـــهٍ آخـــر تقْبِـــلُ

فقالت: يا أمير المؤمنين وأقول:

ستقْطَع في الدنيا إذا مــا قطعــتني يمينك فــانظر أي كــف تبــدل[5]

قال هارون: رضيت، قالت: فهبه لي يا أمير المؤمنين فلقد قال رسول الله ج: $من ترك شيئًا لله لم يوجده[6] الله لفقده# فأكب هارون مليا ثم رفع رأسه يقول: $لله الأمر من قبل ومن بعد#. قالت: يا أمير **ويومئذٍ يفْرح الْمؤمِنونَ * بِنصر اللهِ ينصر من يشاءُ وهو العزيز الرحِيم** [الروم: ٤، ٥]. واذكر يا أمير المؤمنين أليتك[7]: ما استشفعتك إلا شفعتني.

---

(1) تشير إلى ما كان أراده الهادي وهو موسى بن المهدي من حرمان أخيه الرشيد الخلافة من بعده ونقلها إلى ولده واحتيال يحيى بن خالد في رد الهادي عن عزمه باذلاً في ذلك جهده.

(2) حم الأمر: قضي ونفذ.

(3) أم الكتاب أصله أو اللوح المحفوظ.

(4) التميمة: ما يعلق للأولاد من كتابة أو غيرها دفعا للعين أو للمرض.

(5) البيتان من قصيدة معن بن أوس الآتية في باب العتاب.

(6) أوجده: أحزنه.

(7) الألية: الحلف.

قال: واذكري يا أم الرشيد أليتك أن لا شفعت لمقترف ذنبا. فلما رأته صرح بمنعها، ولاذ[١] عن مطلبها أخرجت حقًا من زمردة[٢] خضراء فوضعته بين يديه، فقال الرشيد: ما هذا؟ ففتحت عنه قفلاً من ذهب، فأخرجت منه خفضه وذوائبه وثناياه قد غمست جميع ذلك في المسك، فقالت: يا أمير المؤمنين أستشفع إليك وأستعين بالله عليك وبما صار معي من كريم جسدك، وطيب جوارحك ليحيى عبدك، فأخذ هارون ذلك فلثمه ثم استعبر[٣] وبكى بكاء شديدا وبكى أهل ا لمس. فلما أفاق رمى جميع ذلك في الحق وقال لها: لحسن ما[٤] حفظت الوديعة، فقالت: وأهل للمكافأة أنت يا أمير المؤمنين. فسكت وأقفل الحق ودفعه إليها وقال: **ـإن الله يأمركُم أنْ تؤدوا الأماناتِ ـإلى أهلِها** [النساء: ٥٨] قالت: والله يقول: **وإذَا حكَمتم بين الناسِ أنْ تحكُموا ـبالْعدل** [النساء: ٥٨]. ويقول: **وأوفُوا ـبعهدِ اللهِ ـإذَا عاهدتم** [النحل: ٩١] قال: وما ذلك يا أم الرشيد؟ قالت: أو ما أقسمت لي أن لا تحجبني ولا تمتهني[٥] قال: أحب يا أم الرشيد أن تشتريه محكمة[٦] فيه. قالت: أنصفت يا أمير المؤمنين وقد فعلت غير مستقبلة لك ولا راجعة عنك. قال: بكم؟ قالت: برضاك عمن لم يسخطك. قال: يا أم الرشيد أمالي عليك من الحق مثل الذي لهم؟ قالت: بلى يا أمير المؤمنين أنت أعز علي، وهم أحب إليّ، قال: فتحكمي في تمنية[٧] بغيرهم قالت: كلا. قد وهبتكه وجعلتك في حل منه وقامت عنه وبقي مبهوتا ما يحير[٨] لفظة.

قال سهل بن هارون: وخرجت فلم تعد، ولا والله ما رأيت لها عبرة، ولا سمعت لها أنةً.

---

(1) لاذ، يلوذ: راغ وانحرف.
(2) الزمرد: من الأحجار النفيسة.
(3) استعبر: جرت عبرته وهي الدمعة قبل أن تفيض.
(4) ما مصدرية.
(5) امتهنه: ابتذله وأهانه.
(6) يقول أحب أن تلطبـي ما تشائين إزاء هذا القسم.
(7) التمنية والمنية: بمعنى واحد.
(8) يقال: هو لا يحير جوابا أي لا يرد.

استعطاف إبراهيم بن المهدي[١] للمأمون

أمر المأمون بإبراهيم بن المهدي فأدخل عليه فلما وقف بين يديه قال: هيه[٢] يا إبراهيم! فقال: يا أمير المؤمنين ولي الثأر محكم في القصاص (والعفو أقرب للتقوى) ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب الشفاء أمكن عادية الدهر من نفسه وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب، كما جعل كل ذي ذنب دونك فإن أخذت فبحقك، وإن عفوت فبفضك. ثم قال:

ذنـــبي إليـــك عظـــيم وأنـــت أعظـــم منـــه

فخــــذْ بحقّــــك أو لا فاصـــفح بفضـــك عنـــه

إن لم أكُـــــن في فعــــالي مـــن الكـــرام فكُنـــه

فقال المأمون: شاورت أبا إسحاق[٣] والعباس في قتلك فأشاروا به، فقال: فما قلت لهما ياأمير المؤمنين؟ قال المأمون: قلت لهما نبدؤه بإحسان، ونستأمره[٤] فيه، فإن غير، فالله يغير ما به. قال: أما أن يكونا قد نصحا في عظيم بما جرت عليه السياسة، فقد فعلا وبلغا ما يلزمهما وهو الرأي السديد، ولكنك أبيت أن تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله، ثم استعبر باكيا. فقال له المأمون: ما يبكيك؟ قال: جذلا إذ كان ذنبي إلى من هذه صفته في الإنعام، ثم قال: إنه وإن كان قد بلغ جرمي استحلال دمي فحلم أمير المؤمنين وفضله يبلغاني عفوه، ولي بعدهما شفاعة الإقرار بالذنب، وحق الأبوة بعد الأب، فقال المأمون: يا إبراهيم لقد حبب إلي العفو حتى خفت أن لا أوجر عليه، أما لو علم الناس ما لنا في العفو من اللذة لتقربوا إلينا بالجنيات. لا تثريب[٥] عليك، يغفر الله لك، ولو لم يكن حق نسبك ما يبلغ الصفح عن جرمك لبلغك ما أملت حسن تنصلك، ولطف توصلك، ثم أمر برد ضياعه

(1) كان إبراهيم بن المهدي أخو الرشيد لأبيه قد ادعى الخلافة بعد قتل الأمين وقبل عودة المأمون من خراسان إلى بغداد وأعانه على ذلك كثير من أهل بغداد ثم خلع وغلب على أمره فاختفى حتى ظفر به المأمون. وكان إبراهيم بارعا في الأدب حسن الغناء جيد الشعر توفي سنة ٢٤٢هـ في خلافة أخيه المعتصم.

(2) هيه مثل إيه للاستزادة أو للاستنطاق فهي اسم فعل.

(3) أبو إسحاق هو المعتصم بن الرشيد، والعباس هو ابن المأمون ولقد أحسن إبراهيم في تصويب رأيهما لأن ذلك أنجع في طلب الرضا وأبلغ في دفع المكروه من الإزدراء عليهما في رأيهما.

(4) أصل الاستئمار: المشاورة. والمراد هنا التجربة.

(5) التثريب: اللوم والتعيير بالذنب.

وأمواله. فقال إبراهيم:

رددت مالي ولم تبخل علـي بـه **وقبل ردك مالي قد حقنت دمـي**[1]

وقام عِلْمك بي فاحتج عنـدك لي **مقام شاهد عدل غـير مـتهم**

فلو بذلت دمي أبغي رضـاك بـه **والمال حتى أسل النعل من قـدمي**

ما كان ذاك سوى عارية سـلفت **لو لم تهبها لكنت اليوم لم تلـم**

(1) حق الدم: صانه.

استعطاف إسحاق بن العباس للمأمون

قال المأمون لإسحاق بن العباس: تحسبني أغفلت أمر ابن المهدي وتأييدك له وإيقادك لناره؟ فقال والله يا أمير المؤمنين لأجرام قريش إلى رسول الله ج أعظم من جرمي إليك، ولرحمي بك أمتن من أرحامهم، وقد قال لهم كما قال يوسف - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لإخوته: **قَالَ لا تَثْرِيب عَلَيْكُمُ الْيَوم يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُو أَرْحَمُ الرَّاحِمِين** [يوسف:٩٢] وأنت يا أمير المؤمنين أحق وارث لهذه الأمة في الطول، وممتثل[1] لخلال العفو والفضل.

قال: هيهات! تلك أجرام جاهلية عفا عنها الإسلام وجرمك جرم في أسلافك وفي دار خلافتك.

قال: يا أمير المؤمنين فوالله للمسلم أحق بإقالة العثرة وغفران الذنب من الكافر وهذا كتاب الله بيني وبينكم إذ يقول: **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُم وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين * الَّذِين يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِين الْغَيْظَ وَالْعَافِين عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين** [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤] والناس يا أمير المؤمنين نسبة دخل فيها المسلم والكافر والشريف والمشروف.

قال: صدقت، ورت[2] بك زنادي، ولا برحت أرى من أهلك أمثالك.

---

(1) امتثل طريقته: تبعها فلم يعدها.

(2) ورت بك زنادي ووقدت بك زنادي مثلان يقالان لمن أنجدك أو أرشدك والمراد بهما الدعاء.

استعطاف الفضل[1] بن الربيع للمأمون

قال المأمون للفضل بن الربيع لما ظفر به: يا فضل، أكان من حقي عليك وحق آبائي ونعمهم عند أبيك وعندك أن تثلبني[٢] وتسبني وتحرض على دمي؟! أتحب أن أفعل بك ما فعلته بي؟

فقال: يا أمير المؤمنين، إن عذري يحقدك إذا كان واضحا جميلاً، فكيف إذا أخفته العيوب وقبحته الذنوب! فلا يضيق عني من عفوك ما وسع غيري منك، فأنت كما قال الشاعر[٣] فيك:

صفُوح عن الأجرام حتى كأنه ... من العفو لم يعرف من الناس مجرما

وليس يبالي أن يكون به الأذى ... إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلما

---

(1) هو الفضل بن الربيع بن يونس حاجب الرشد ثم وزيره بعد نكبة البرامكة ثم وزير الأمين في خلافته. ويقال: إنه هو الذي أوغر صدر الرشيد على البرامكة حسدا لهم على منزلتهم وفيه يقول أبو نواس:

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

توفي الفضل سنة ٢٠٨هـ.

(2) ثلبه، تنقصه وصرح بعينه. قال الشاعر:

لا يحسن التعريض إلا ثلبا

(3) القائل هو الحسن بن رجاء.

استعطاف تميم بن جميل للمعتصم

كان تميم بن جميل السدوسي[١] قد خرج بشاطئ الفرات، واجتمع إليه كثير من الأعراب، فعظم أمره، وبعد ذكره، ثم ظفر به، وحمل موثقًا إلى باب المعتصم، فقال أحمد بن أبي دؤاد: ما رأيت رجلاً عاين الموت، فما هاله[٢] ولا شغله عما كان يجب عليه أن يفعله إلا تميم بن جميل، فإنه لما مثل بين يدي المعتصم، فأحضر السيف والنطع[٣]، وأوقف بينهما، تأمله المعتصم - وكان جميلاً وسيما - فأحب أن يعلم أين لسانه وجنانه من منظره، فقال: تكلم يا تميم. فقال: أما إذا أذنت يا أمير المؤمنين فأنا أقول: الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماءٍ مهين، جبر بك صدع[٤] الدين، ولم بك شعث[٥] المسلمين، وأوضح بك سبل الحق، وأخمد بك شهاب الباطل. إن الذنوب تخرس الألسنة الفصيحة وتعيي الأفئدة الصحيحة، ولقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة، وساء الظن، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك، وأرجو أن يكون أقر بما منك وأسرعهما إلي أشبههما بك وأولاهما بكرمك، ثم قال - على البديهة - :

أرى الموت بين السيف والنطع كامنـا	**يلاحظـني مـن حيثمـا أتلفـت**
وأكبر ظني أنـك اليـوم قـاتلي	**وأي امرىء مما قضى الله يفْلِـت؟**[٦]
وأي امرئ يـأتي بعـذر وحجـةٍ	**وسيف المنايا بين عينيه مصـلت**[٧]
وما جزعِي من أن أمـوت وإنـني	**لأعلم أن المـوت شـيء موقـت**
ولكن خلفي صِبيةً قـد تـركْتهم	**وأكبادهم مـن حسـرة تتفتـت**
كأني أراهم حـين أنعـي إلـيهم	**وقد خمشوا**[٨] **تلك الوجوه وصـوتوا**

(1) سدوس: بطن من بني شيبان ثم من بني بكر.

(2) هاله: أفزعه.

(3) النطع: بساط من الجلد يفرش تحت من يراد قتله حتى لا يسقط دمه على الأرض.

(4) الصدع الشق في الحائط ونحوه.

(5) الشعث: انتشار الأمر والأشياء المتطرفة.

(6) أفلت: تخلص ونجا.

(7) أصلت السيف: استله من غمده.

(8) خمش وجهه: لطمه وهو من باب ضرب ونصر.

فإن عِشت عاشوا خافضين بغبطـة أذود الردى عنهم وإن مت موتـوا[١]
وكم قائلٍ لا يبعِـد اللـه روحـه وآخر جـذْلانٍ يسـر ويشـمت

فتبسم المعتصم وقال: كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل، قد وهبتك للصبية، وغفرت لك الصبوة[٢]، ثم أمر بفك قيوده وخلع[٣] عليه.

وكتب الجاحظ إلى ابن الزيات يستعطفه وكان قد تنكر[٤] له وتلون عليه:

أعاذك الله من سوء الغضب، وعصمك من سرف[٥] الهوى، وصرف ما أعادك من القوة إلى حب الإنصاف، ورجح في قلبك إيثار الأناة[٦] فقد خفت - أيدك الله! أن أكون عندك من المنسوبين إلى نزق[٧] السفهاء، ومجانبة سبل الحكماء، وبعد فقد قال عبد الرحمن[٨] بن حسان بن ثابت:

وإن آمرءًا أمسى وأصـبح سـالما من الناس إلا مـا جـنى لسـعيد

وقال الآخر[٩]:

ومـن دعـا النـاس إلى ذمـه ذمـوه بـالحق وبالباطـل

فإن كنت اجترأت - أصلحك الله! - فلم أجترئ إلا لأن دوام تغافلك عني شبيه بالإهمال الذي يورث الإغفال، والعفو المتتابع يؤمن من المكافأة ولذلك قال عينية[١٠] بن

(1) موتوا: كثر فيهم الموت.
(2) الصبوة: الزلة وجهلة الشباب.
(3) خلع عليه خلعة: منحه بعض ثيابه وقد يراد به مطلق العطاء.
(4) تنكر له: تغير.
(5) السرف: مجاوزة الحد.
(6) الأناة: الحلم والوقار.
(7) النـزق: الخفة والطيش.
(8) هكذا يقول الجاحظ وغيره ينسب البيت لحسان نفسه؛ راجع الأغاني.
(9) من الناس من يروي هذا البيت في جملة أبيات لكعب بن زهير، ومنهم من يرويه لمحمد بن حازم الباهلي، راجع الأغاني.
(10) هو سيد بن ذبيان في صدر الإسلام وهي سلالة حذيفة بن بدر الفزاري الذي كان السبب في حرب داحس والغبراء.

حصن بن حذيفة لعثمان رحمه الله عمر كان خيرا لي منك؛ أرهبني فأتقاني[1] وأعطاني فأغناني، فإن كنت لا ب عقابي - أيدك الله! - لخدمة فهبه لإياديك عندي، فإن النعمة تشفع في النقمة، وإلا تفعل ذلك فعد إلى حسن العادة، وإلا فافعل ذلك لحسن الأحدوثة[2]، وإلا فأت ما أنت أهله من العفو دون ما أنا أهله من استحقاق العقوبة، فسبحان من جعلك تعفو عن المتعمد وتتجافى[3] عن عقاب المصر[4] حتى إذا صرت إلى من هفوت ذكره[5]، وذنبه نسيان، ومن لا يعرف الشكر إلا لك والإنعام إلا منك هجمت عليه بالعقوبة. واعلم - أيدك الله! - أن شين غضبك علي كزين صفحك عني، وأن أموت ذكري مع انقطاع سببي منك كحياة ذكري مع اتصال سببـ ـي بك[6] واعلم أن لك فطنة عليم وغفلة كريم والسلام.

(1) أتقاه: صيره تقيا.
(2) الأحدوثة: الحديث والسيرة، جمعها أحاديث.
(3) تتجافى: تتباعد.
(4) أصر على الذنب استمر.
(5) يقول: هفوته هي تذكر الهفوة أو جريها على لسانه.
(6) التشبيه في هاتين الفقرتين من قبيل قولهم في التفضيل: العسل أحلى من الخل. يقول: إن مقدار قبح الغضب كمقدار حسن الصفح وإن مقدار موت الذكر عند الإنقطاع مثل مقدار حياته عند الاتصال.

استعطاف رجل من أهل الشام للمنصور

يا أمير المؤمنين، من انتقم فقد شفى غيظه وانتصف، ومن عفا تفضل، ومن أخذ حقه لم يجب شكره، ولم يذكر فضله، وكظم الغيظ حلم والتشفي طرف من الجزع، ولم يمدح أهل التقوى والنهي من كان حليما بشدة العقاب ولكن بحسن الصفح والاغتفار وشدة التغافل. وبعد: فالمعاقب مستودع لعداوة أولياء المذنب(1) والعافي مستودع لشكرهم آمن من مكافأ م، ولئن يثنى عليك باتساع الصدر خير من أن توصف بضيقه، على أن إقالتك عثرات عباد الله موجبة لإقالة عثرتك من ر م موصولة بعفوه، وعقابك إياهم موصول بعقابه، قال الله عز وجل: **خذِ العفْو وأمر ِبالعرفِ وأعرِض عن الجاهِلِين** [الأعراف: ١٩٩].

---

(1) الأولياء: الأهل والأقارب.

روح بن زنباع يستعطف معاوية

أراد معاوية معاقبة روح بن زنباع، فقال: يا أمير المؤمنين أنشدك الله تعالى ألا تضع مني خسيسة أنت رفعتها أو تنقص مني مريرة[1] أنت أبرمتها[2] تشمت بي عدوا أنت كبته[3]، وحاسدا بك وقمته[4] وأسألك بالله إلا أربي حلمك على خطئي وصفحك على جهلي، فقال معاوية: إذا الله سنى[5] عقد شيء تيسرا؛ وعفا عنه.

وقد ألم المتنبي بقول روح إذ يقول:

أزل حسد الحُساد عني بكبتهم فأنت الذي صيرتهم لي حسدا

إذا شد زندي حسن رأيك في يدي ضربت بسيفٍ يقطع الهام مغمدا

---

(1) المريرة: الحبل الشديد الفتل.

(2) أبرم الحبل: أجاد فتله، والأمر: أحكمه.

(3) كبته: أذله وغاظه وصرعه لوجهه.

(4) وقمه: قهره.

(5) سني الشيء: فتحه وسهله، وهذا شطر بيت وهو:

وأعلم علما ليس بالظن أنه إذا الله سنى عقد شيء تيسرا

ابن الرومي يستعطف القاسم[1] بن عبيد اللّه

كتب ابن الرومي يستعطف القاسم بن عبيد الله:

ترفع عن ظلمي إن كنت برئيا، وتفضل بالعفو إن كنت مسيئًا، فوالله إني لأطلب عفو ذنب لم أجنه، وألتمس الإقالة مما لا أعرفه، لتزداد تطولا[٢] وأزداد تذللا، وأنا أعيذ حالي عندك بكرمك من واشٍ يكيدها، وأحرسها بوفائك من باغ يحاول إفسادها، وأسأل الله أن يجعل حظئ منك بقدر ودي لك، ومحلي من رجائك بحيث أستحق منك. والسلام.

وكتب إليه:

لو كان في الصمت موضع يسع حالي لخففت عن سمع الوزير ونظره، ولم أشغل وجها من فكره، وما زالت الشكوى تعرب عن لسان البلوى. ومن اختلت حالته كان في الصمت هلكته[٣]، وقد كان الصبر ينصرني على ستر أمري حتى خذلني.

---

(1) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وبيته بيت وزارة، وكتابة وأدب فقد كان وزيرا أما الكتابة فهو فيها معرق لأنه يرثها عن ثمانية آباء متعاقبين منذ خلافة يزيد بن معاوية وكان عظيم الهيبة شديد الإقدام سفاكًا للدماء وهو الذي دس لابن الرومي السم في الطعام خوفًا من لسانه، توفي سنة ٢٩١هـ وعمره نيف وثلاثون.

(2) التطول: الإنعام.

(3) الهلكة: الهلاك.

استعطاف للخوارزمي

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري[١]

كيف يقدر - أبقى الله السيد! - على الدواء، من لا يهتدي إلى أوجه الداء؟ وكيف يداري أعداءه من لا يعرف الأعداء من الأصدقاء؟ أم كيف يسري بلا دليل في الظلماء؟ أم كيف يخرج الهارب من بين الأرض والسماء؟ الكريم - أيد الله مولاي! - إذا قدر غفر، وإذا أوثق أطلق، وإذا أسر أعتق، ولقد هربت من الشيخ إليه، وتسلحت بعفوه عليه، وألقيت ربقه[٢] حياتي ومماتي بيديه، فليذقني حلاوة رضاه عني كما أذاقني مرارة انتقامه مني، ولتلح[٣] على حالي غرة[٤] عفوه كما لاحت عليها مواسم[٥] غضبه وسطوه، وليعلم أن الحر كريم الظفر، إذا نال أقال، وأن اللئيم لئيم الظفر إذا نال استطال[٦]، وليغتنم التجاوز عن عثرات الأحرار، ولينتهز فرص الاقتدار، وليحمد الذي أقامه مقام من يرتجي ويخشى، وركب نصابه في رتبة شاب الزمان ومجدها فتى، وأخلق العالم وذكرها طري، وليعتقد أنه قد هابه من استتر، ولم يذنب إليه من اعتذر، وفق الله تعالى الشيخ لما يحفظ عليه قلوب أوليائه، وعصمه مما يزيد به في جماجم أعدائه.

---

(1) الشرق بالماء: كالغصة بالطعام. والاعتصار: معالجة الغصص بشرب الماء قليلاً قليلاً، والبيت لعدي بن زيد العبادي الشاعر الجاهلي من قصيدة يستعطف ا النعمان بن المنذر يقول: إن الإنسان إذا غص الطعام عالجه بالماء فماذا يصنع إذا كانت غصته بالماء نفسه؟!.

(2) الربقة: العروة التي يربط ا ويراد ا الزمام.

(3) لاح: ظهر.

(4) الغرة: بياض في وجه الحيوان والمراد هنا الأثر.

(5) المواسم: العلامات.

(6) استطال: تطاول واعتدى.

اعتذار لسعيد بن حميد

كتب سعيد[1] بن حميد يعتذر:

أنا من لا يحاجك عن نفسه، ولا يغالطك عن جرمه، ولا يلتمس رضاك إلا من جهته، ولا يستدعي برك إلا من طريقته، ولا يستعطفك إلا بالإقرار بالذنب، ولا يستميلك إلا بالاعتراف بالجرم، نبت بي عنك غرة الحداثة، وردتني إليك الحنكة[2]، وباعدتني منك الثقة بالأيام، وقادتني إليك الضرورة، فإن رأيت أن تستقبل الصنيعة بقبول العذر، وتجدد النعمة بإطراح الحقد، فإن قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة، وإن أيام الحياة وإن طالت قصيرة، والمتعة ا وإن كثرت قليلة.

(1) هو من أولاد الدهاقين، كاتب شاعر مترسل حسن الكلام فصيح، أخذ عن الإمام الأعرابي ويؤخذ عليه أنه كثير الأخذ لكلام غيره.

(2) الحنكة: خبرة التجارب.

اعتذار لأبي علي البصير

كتب أبو علي البصير يعتذر:

أنا أحد من أسكنته ظلك، وأعلقته حبلك[١]، وحبوته بلطيف برك وخاص عنايتك، وانتصف بك من الزمان، واستغنى بإخائك عن الإخوان، فهو لا يرغب إلا إليك، ولا يعتمد إلا عليك، ولا يستنجح[٢] طلبه إلا بك، وقد كان فرط مني قول إن تأولته[٣] لي أراك وجه عذري وقام عندك بحجتي فأغناني عن توكيد الأيمان على حسن نيتي، وإن تأولته علي أحاق[٤] بي لائمتك[٥] وحبسني على أسوأ حال عندك، وقد أتيتك معترفًا بالزلة، مستكينا[٦] للموجدة[٧] عائذًا بالصفح والإقامة، فإن رأيت أن تقر عينا قرت بنعمتك عندي، ولا تسلبني ما ألبستني، وأن تقتصر من عقوبتي على المكروه الذي نالني بسبب عتبك علي، وتأمر بتعريفي رأيك بما يطامن[٨] هلعي وتسكن إليه نفسي ويأمن به روعي[٩] فعلت إن شاء الله.

كتب البديع إلى القاسم الكرخي يعتذر:

يعز علي - أطال الله بقاء الرئيس! - أن ينوب في خدمتك قلمي، عن قدمي، ويسعد برؤيته رسولي، دون وصولي - ويرد شرعة[١٠] الأنس به كتابي قبل ركابي، ولكن ما الحيلة والعوائق جمة:

وعلى أن أسعى وليس علي إدراك النجاح

---

(1) وصلته وقيدته بزمام مودتك.

(2) استنجح حاجته وتنجحها: تنجزها وطلب نجحها.

(3) أول الكلام وتأوله: فسره.

(4) أحاق: أنزل.

(5) اللائمة: اللوم.

(6) استكان: خضع، وهو من الكون فوزنه افتعال بزيادة الألف للإشباع كما قالوا في انظر (انظور) ويرى بعض الناس أنه من الكون وليس بوجيه لأن المعنى لا يعنيه.

(7) الموجدة: الغضب.

(8) يطامن: يخفض ويخفف.

(9) الروع: القلب وهو أيضا الفزع والخوف.

(10) الشريعة والشرعة والمشرعة مورد الشاربة من الماء.

وقد حضرت داره، وقبلت جداره، وما بي حب الجدران، ولكن شغفًا بالقطان، ولا عشق الحيطان، ولكن شوقًا إلى السكان[1]، وحين عدت العوادي[2] عنك أمليت ضمير الشوق على لسان القلم معتذرا إلى مولاي عن تقصير وقع، وفتور في الخدمة عرض، ولكني أقول:

إن يكن تركي لقصدك ذنبا فكفى أن لا أراك عقابا

(1) هذا من البديع وهنا يقول الشاعر (مجنون ليلى):

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

(2) منعت الموانع.

الباب الثاني

الفصل الثاني[1] في رسائل حسن التقاضي والطلب

كتب عبد الله بن سليمان أبو العيناء: [٢]

أنا - أعزك الله! - وعيالي زرع من زرعك، إن أسقيته راع[٣] وزكا، وإن جفوته ذبل وذوى[٤]، وقد مسني منك جفاءٌ بعد بِر، وإغفالٌ بعد تعاهد، حتى تكلم عدو، وشمت حاسد، ولعبت بي ظنون رجال كنت لهم لاعبا، ولهم مخرسا.

لا تُلهني بعد أن أكرمتني وشديد عادةٌ منتزعه[٥]

وكتب المرحوم عبد الخالق ثروت:

إليك (يا من قد استأسر النفوس بكرمه، واسترق الأحرار بجميل صنعه، وأولى النعم والخيرات، وأسدى المعروف والمبرات) أرفع كتابا، تبعثه إلى ناديك العالي عوامل الحاجة، وتزجيه[٦] إلى ساحتك دواعي الشدة، آمل أن يكون تذكرةً بأمري **فإن الذكرى تنفع المؤمنين** [الذريات: 55] وتذكرة بحالي **إن الله لا يضيع أجر المحسنين** [التوبة: ١٢٠] فقد كان سيدي رفع الله قدره، وأعلى مرتبته، وعدني (ومثله من يتمسك من الوفاء بالعروة[٧] الوثقى، ويقطع حبل الإخلاف بسيف الوفاء، ويطرز خلعة الوعد بوشي العطاء) أن يرسل إلي من خيراته ويوليني من آلائه وحسناته، ويضاعف لي من مننه، ويزيدني من

---

(1) والفصل الأول في الرسائل التجارية التي أغفلناها في كتابنا هذا لأن لها مؤلفات خاصة بها فارجع إليها إذا شئت.

(2) ت. سنة ٢٨٢هـ.

(3) نما وزاد.

(4) ذبل.

(5) الشعر لابن نباتة المصري وهو: محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري أبو بكر جمال الدين (٦٨٦ - ٧٦٨ هـ / ١٢٨٧ - ١٣٦٦ م) شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب، مولده ووفاته في القاهرة، له (ديوان شعر) و(سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون)، (سجع المطوق -خ) تراجم وغيرها، والبيت من قصيدة له مطلعها:

شاب فود الصب حزنا مثلما هم بالهَجر حبيب ودعه.

(6) تدفعه.

(7) من الحبل الوثيق المحكم.

عطائه ما أشد به أزري[١] على الزمان، وأطاول به نوائب الحدثان[٢]، فقد بارزني الدهر بسيوفه، ورماني بسهامه، وأناخ[٣] علي بكلاكله[٤]، وقد طال الأمد[٥] على حاجتي عند سيدي - أطال الله بقاءه! - حتى شاب غراب شبا ا، وصاح بجانب ليلها، فخفت أن تكون هبت عليها ريح النسيان، وعصفت[٦] ا عاصفة[٧] الحدثان[٨]، فكتبت إلى سيدي ومولاي تلك الرقعة، أستعجل ا بره، وأستدر ا ضرع عطائه، علما بأن التعجيل يكبر العطية، وإن كانت صغيرة، ويكثرها، وإن كانت يسيرة، فعسى أن يكون قد لاح نجم النجاح، وهب نسيم الفلاح، فيرسل إلي سيدي سحاب كرمه، ويمطرني من غياث فضله فترف[٩] غصون آمالي بعد ذبولها، وتضحك وجوه مطالبي بعد عبوسها، وأملي في ذلك فسيح، فإن سيدي من أكرم الناس نسبا وأشرفهم حسبا، ومثله جدير[١٠] بحفظ العهد، وإنجاز الوعد. فإن رأى سيدي أن يخفف ثقل الحاجة عني، ويرد ما سلبه الدهر مني بقطرة من بحر عطائه، ومنةٍ[١١] من بعض آلائه[١٢]، ويجبر ما كسره الفقر من جناحي، ويرد عني النوائب التي تفتأ[١٣] تتولاني، عقدت لساني على مدحه، ووقفت نفسي على شكره، فيحرز من الله أجرا جزيلاً، ومني شكرا جزيلاً، إن شاء الله بمنه وكرمه.

وكتب المرحوم أحمد بك رأفت:

(1) ظهري.
(2) بفتح الحاء والدال أو بكسر الحاء وسكون الدال حوادث الدهر.
(3) مال.
(4) مصائبه.
(5) الغاية.
(6) اشتدت.
(7) الريح.
(8) حوادث الدهر.
(9) تتلألأ.
(10) حقيق.
(11) نعمة.
(12) آلائه: أفضاله.
(13) تستمر.

السيد الكامل - أدام الله علاءه، وأطال بقاءه، وجعله موئل[١] الكرم، ومسدي النعم - قد غمرني بنعمائه، وطوقني بآلائه، حتى قصرت حمدي عليه، وأمسكت لساني عن الشكر إلا إليه، وكان من مِنِه علي وأياديه البيضاء لدي أن وعدني يقلدني في أول العام وظيفة عالية، ومرتبة سامية، فاخضل[٢] روض الأمل بعد ذبوله، وبزغ[٣] كوكبه بعد أفوله[٤] واتسع نطاقه[٥] واستبشر القلب بنيل أمنيته، والحصول على طلبته، واشتد أزري[٦] على مقارعة كتائب[٧] الزمان، وقوى جناني على صد جيوش الحدثان وما زالت بي الأيام حتى حان أول العام، وما تحقق الوعد، أو أُوفي العهد. ومثل السيد من إذا وعد وفى، أو تعهد أوفى:

أوفى دين ذي المعروف يجملُ أنـني **تنوءُ بي البؤسى ويـثقِلُني العسـر**
وأنت الذي أعطى المكـارم حقهـا **ولم يحك جدواك السحاب ولا البحـر**
فعجل فخير البر يحمـد عـاجلاً **وأوف فوعد الحر دِين بـه الحـر**

هذا؛ ولكنني رجعت وحكمت العقل، فعذرت السيد، وحملت ذلك على أنه إنما لم يعجل بإنجاز وعده، وإيفاء عهده، إلا لتقليد عبده وظيفةً أسمى ومرتبةً أعلى، عله يستدرك ما فات، ويحسن إلى عبده فيما هو آت.

وكتب الفاضل عبد العزيز بك محمد:

عهدي بالسيد الجليل - أدامه الله مصدرا للمكارم تشتق منه صفا ا، ومظهرا للفضال تتجلى فيه آيا ا - سباقًا إلى غايات ا د دراكًا لمطالب الحمد، أريحيا[٨] لا يصبو[١] إلا إلى

---

(1) ملجأ.
(2) صار نديا.
(3) طلع.
(4) غيبته.
(5) ثوبه.
(6) ظهري.
(7) الجيوش.
(8) يرتاح للعطاء.

إسداء المنن[٢]، جوادا لا يطمع طرفه في بث عوارفه إلى ثمن، ما أمه[٣] أسير فاقة[٤] إلا وألفى[٥] لديه كهفًا منيعا؛ وجاها رفيعا، وما قصده ذو حاجة إلا وصدر[٦] عن مورد[٧] فضله شاديا[٨] بثنائه، معلنا بولائه وإن لي إلى السيد حاجةً إن لم يسعف بقضائها فيا حسرة نفسي وطول شقائها، وليست هذه بأول مرة استمحت[٩] فيها عالي مروءته، واستمطرت صيب[١٠] همته، فإنه طالما طوقني قلائد نعمه، وأرسل علي مدرار[١١] كرمه، فليجر في هذه أيضا عادته ويقابلني بما عودني من كرامته. ومعاذ الله أن أسأله ما ليس في وسعه، أو أن أستقضيه شيئًا يحرص على منعه. ولكنني:

أريد بسطةَ كفٍ أستعين بها ... على قضاءِ حقوق للعلى قِبلي[١٢]

والذي يكفل لي البسطة: أن يقلدني سيدي وظيفة مناسبة لحالتي، حتى تكون لي درعا أتقى بها مهانة الفقر، وسيفًا أكف به عوادي الدهر، ومالي والإقسام عليه في إنالتي هذه البغية، بنفيس وقت قضيته في خدمة العلم، واقتناء أبكاره، وطويل العناء تحملته في مزاولة[١٣]

=

(1) لا يميل.
(2) إحسان.
(3) قصد.
(4) فقر.
(5) وجد.
(6) رجع.
(7) مكان الورود.
(8) مترنمًا.
(9) سأله العطاء.
(10) السحاب.
(11) ما يدر بالمطر.
(12) الشعر للطغرائي، وهو: الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد أبو إسماعيل مؤيد الدين الأصبهاني الطغرائي (٤٥٥-٥١٣ هـ/١٠٦٣-١١٢٠م) شاعر من الوزراء الكتاب، له (ديوان شعر)، وأشهر شعره (لامية العجم) والشعر منها ومطلعها:

أصالة الرأي صانتني من الخطل

(13) معاناته.

الأدب واكتشاب أسراره، ونفس ارتاضت[١] بالفضل، وآثرت[٢] غصة الفقر على منة البذل، وله من سنيات[٣] الفضائل[٤] وعليات الفواضل[٥] وجليات المآثر، وجليلات المفاخر، ما لو أقسم به عليه في إنالة أعز المطالب، لألزمه كرم سجاياه بر ذلك القسم، وإجابة دواعي الهمم، وإنك لفاعل إن شاء الله تعالى.

وكتب فقيد الأدب حسن أفندي توفيق العدل: [٦]

كتابي إلى رب النعماء، واليد البيضاء، وقد أصبحت كما قال الحريري: خاوي[٧] الوفاض[٨] بادي[٩] الإنفاض[١٠]، لا أملك بلغة[١١]، ولا أجد في جرابي مضغة[١٢] - قد التوى علي أمري، وثقل من حاجتي ظهري ومد الاحتياج إلي أطنابه[١٣]، وسربلني[١٤] الافتقار إهابه[١٥] والدنيا مكدرة بأحداثها[١٦] وقصورها منغصةٌ بأحداثها، نعيمها يضفو[١٧] ولكن لا يصفو. وأنت - كما أعلم - مفرج كربتي، ومنقذي من شدتي، بطرفة[١٨] من

(1) تمرنت.
(2) اخترت.
(3) عاليات.
(4) جمع فضيلة، وهي الدرجة.
(5) جمع فاضلة، وهي النعمة الجليلة.
(6) توفى بلندن سنة ١٣٢٢هـ.
(7) خالي.
(8) بكسر الواو جراب الزاد.
(9) ظاهر.
(10) فناء الزاد والمال.
(11) بضم الباء المؤنثة القليلة.
(12) انتهى كلام الحريري.
(13) حبال الخيمة.
(14) ألبسنيه قميصا.
(15) جلده.
(16) مصائبها.
(17) يكسر.
(18) بنعمة.

طرف رفدك[١] ولمحة من لمحات برك[٢] فإن استدررت[٣] حلوبة[٤] مالك، فقد لاذ غيري بجاهك، ما يممت[٥] غيرك. وكيف يقصد النهر، من جاور البحر، ويحتاج إلى النجم من يسري في ضوء البدر؟ فأستهز عطف[٦] جودك وأستمطر سحاب كرمك. كيف لا وأنت قبلة المعروف! وملاذ الملهوف! إليك تشد الرحال، وبك تناط الآمال، أولياؤك منك في ظل ممدود، وهناء وسعود، أفأنت الشمس عمت بالإشراق؟! أو الغيث والى الاندفاق؟! - لكن:

مـن قـاس جـدواك يومـا ... بالسـحب أخطـأ مـدحك

فالسـحب تعطـي وتبكـي ... وأنـت تعطـي وتضـحك

نسب الكرم بك عريق، وروض المجد أنيق، أصل راسخ، وفرع شامخ، تهتز للمكارم اهتزاز الحسام، وتثبت أمام الشدائد بثغر بسام:

تـراه إذا مـا جئتـه متـهللاً ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله[٧]

حكمت الآمال في أموالك، واستعبدت الأحرار بفعالك، ينابيع الجود من أملك تتفجر، وربيع السماح بك ضاحك لا يضجر، فلا زلت مولاي ممتعا بشرف سجاياك وشيمك، مستمدا الشكر غراس نعمك، ولا زالت الأنام تنتفع بتلك الشيم وتجني ثمار ذلك الكرم، ودمت للمكارم بدر تمٍ لا يناله خسوف، وشمس فضلٍ لا يلحقها كسوف، أطال الله لك البقاء، كتطول يديك بالعطاء، آمين.

---

(1) عطائك.
(2) إحسانك.
(3) استجلبت.
(4) ما تحلت.
(5) ما قصدت.
(6) جانب.
(7) الشعر لزهير بن أبي سلمى (سبق ترجمته) من قصيدته التي مطلعها:

صحا القَلب عن سلمى وأقصر باطِلُه ... وعري أفراس الصِبا ورواحِلُه.

استمناح رجل لعبد الملك بن مروان

وفد رجل من بني ضبة[١] على عبد الملك بن مروان[٢] فقال:

والله مــا نــدري إذا مــا فاتنــا ... طلب إليك من الــذي نتطلــب؟

فلقد ضربنا[٣] في البلاد فلم نجــد ... أحدا سواك إلى المكــارم ينســب

فاصــبر لعاداتنــا الــتي عودتنــا ... أو لا فأرشــدنا إلى مــن نــذهب؟

فقال عبد الملك: إليّ! إليّ! وأمر له بألف دينار، ثم أتاه في العام المقبل فقال:

يرب[٤] الذي يأتي من الخــير أنــه ... إذا فعــلَ المعــروف زاد وتممــا

وليس كبــانٍ حــين تــم بنــاؤه ... تتبعــه بــالنقْض حــتى تهــدما

فأعطاه ألفي دينار. ثم أتاه في العام الثالث فقال:

إذا استمطروا كانوا مغازير[٥] في النــدى ... يجودون بالمعروف عودا على بــدءِ

فأعطاه ثلاثة آلاف دينار.

---

(1) قبيلة عربية.

(2) الخليفة الأموي المشهور.

(3) ضرب في الأرض: سافر.

(4) رب: زاد وأصلح.

(5) أغزر المعروف جعله غزيرا. والمغازير لا يكون إلا جمعا لمغزار أو مغزير من صيغ المبالغة ولم أجدهما في اللسان والقاموس، وفي المخصوص سحابة مغزار: غزيرة فيكون جمعا لمغزار.

استمناح العتابي لأحد أصدقائه

كتب كلثوم بن عمرو العتابي[١] إلى صديق له:

أما بعد - أطال الله بقاءك، وجعله يمتد بك إلى رضوانه والجنة - فإنك كنت عندنا روضة من رياض الكرم، تبتهج النفوس ا، وتستريح القلوب إليها، وكنا نعفيها من النجعة[٢] استتماما لزهر ا، وشفقة على خضر ا، وادخارا لثمر ا، حتى أصابتنا سنة كانت عندي قطعة من سني يوسف، واشتد علينا كلبها[٣]، وغابت قطتها وكذبتنا غيومها، وأخلفتنا بروقها، وفقدنا صالح الإخوان فيها، فانتجعتك، وأنا بانتجاعي إياك شديد الشفقة عليك، مع علمي بأنك موضع الرائد[٤]، وأنك تغطي عين الحاسد، والله يعلم أني ما أعدك إلا في حومة[٥] الأهل، واعلم أن الكريم إذا استحيا من إعطاء القليل ولم يمكنه الكثير لم يعرف جوده ولم تظهر همته. وأنا أقول في ذلك[٦]:

إذا تكرمت عن بـذْل القليـل ولم ... تقْدِر على سـعةٍ لم يظْهـر الجـود

بـث النـوالَ ولا تمنعـك قِلتـه ... فكلّ ما سد فقـرا فهـو محمـود

قيل: فشاطره جميع ماله.

استمناح أعرابية لعبد الله بن أبي بكرة

دخلت أعرابية على عبد الله بن أبي بكرة[٧] بالبصرة، فوقفت بين السماطين[١]، فقالت:

---

(1) من سلالة عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة، وكان شاعرا مترسلاً بليغا مطبوعا متصرفًا في فنون الشعر من شعراء الدولة العباسية ومن شعره في الشكر:

فلو كان للشـكر شـخص يـبين ... إذا مـا تأملـه النـاظر

لمثلتـه لـك حـتى تـراه ... لـتعلم أني امـرؤ شـاكر

وله مع الرشيد والمأمون والبرامكة أخبار ونوادر.

(2) النجعة: طلب الكلأ في موضعه.

(3) الكلب: القحط.

(4) الرائد: الطالب.

(5) الحومة هنا: الجماعة والطائفة.

(6) كذا ذكر القالي في أماليه وقد حذفنا من روايته ثلاثة أبيات قليلة الاتصال بالغرض. هذا والمعروف أن هذه الأبيات لشاعر يسمى حماد عجرد أو لبشار بن برد لا للعتابي وتبعه على هذا القالي.

(7) هو ابن أخي زياد ابن أبيه.

أصلح الله الأمير وأمتع به - حدرتنا إليك سنة اشتد بلاؤها، وانكشف غطاؤها، أقود صبية صغارا، وآخرين كبارا، في بلدة شاسعة، تخفضنا خافضة، وترفعنا رافعة، لملمات من الدهر أذهبن لحمي وبرين عظمي وتركتني والهة[٢] أدور بالحضيض، وقد ضاق بي البلد العريض فسألت في أحياء العرب، من الكاملة فضائله، المعطي سائله، الكافي نائله؟ فدللت عليك - أصلحك الله تعالى- وأنا امرأة من هوازن[٣]، قد مات الوالد، وغاب الرافد وأنت بعد الله غياثي ومنتهى أملي، فاصنع بي إحدى ثلاث خصال: إما أن تردني إلى بلدي، أو تحسن صفدي[٤]، أو تقيم أودي[٥].

فقال: بل أجمعهن لك، ولم يزل يجري عليها كما يجرى على عياله حتى ماتت!

=

(1) السماط: الصف.

(2) الوالهة والولهي الشديد الحزن.

(3) هوازن قسم من قيس وعبد الله بن أبي بكرة نسبه في ثقيف وهم من هوازن فهي تريد أن تميله بعاطفة القرابة.

(4) الصفد: العطاء.

(5) الأود: الاعوجاج.

استمناح حكيم فارسي للمهلب

قال الهيثم بن عدي: قدم حكيم من حكماء أهل فارس على المهلب[1] فقال: - أصلح الله الأمير! - ما أشخصتني الحاجة، وما قنعت بالمقام، ولا أرضى منك بالنصف إذ قمت هذا المقام. قال: ولم ذلك؟ قال: لأن الناس ثلاثة: غني وفقير ومستزيد؛ فالغني من أعطي ما يستحقه، والفقير من منع حقه، والمستزيد الذي يطلب الفضل بعد الغني، وإني نظرت في أمرك فرأيت أنك قد أديت إلي حقي، فتاقت نفسي إلى استزادتك، فإن منعتني فقد أنصفتني وإن زدتني زادت نعمتك علي. فأعجب المهلب كلامه وقضى حوائجه.

---

(1) المهلب بن أبي الصفرة.

تلطف رجل من أهل الشام في استمناح المنصور

قدم رجل من أهل الشام على أبي جعفر المنصور فتكلم معه كلاما حسنا، فقال له أبو جعفر: حاجتك؟ فقال: يمليك الله يا أمير المؤمنين. قال: حاجتك، فإنه ليس كل ساعة يمكنك هذا ولا تؤمر به. فقال: والله ما أستقصر عمرك، ولا أخاف بخلك، ولا أغتنم مالك، وإن سؤالك لشرف، وإن عطاءك لزين، وما بامرئ بذل وجهه إليك نقص ولا شين، فأمر له المنصور بمنحة سنية.

وقد ألم الرجل في أكثر معانيه بقول أمية بن أبي الصلت[١] يستمنح عبد الله بن جدعان[٢] القرشي:

عطاؤك زين لامرئ إنْ حبوته ... ببذل وما كلّ العطاء يزين

وليس بشين لامرئ بذل وجهه ... إليك كما بعض السؤال يشين

ومن ألف الاستمناح قول أمية يخاطب ابن جدعان أيضا:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء

وعلملك بالأمور وأنت قرم ... لك الحسب المهذب والسناءُ[٣]

كريم لا يغيره صباح ... عن الخُلق الجميل ولا مساءُ

تباري الريح مكْرمة ومجدا ... إذا ما الكلب أجحره الشتاءُ[٤]

إذا أثنى عليك المرء يوما ... كفاه من تعرضه الثناءُ[٥]

---

(1) أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي (ت. ٥ هـ / ٦٢٦ م) شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف تعبدا وهو من حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين ظهر في أثنائها الإسلام. وعاد إلى الطائف فسأل عن خبر الرسول ج، وقدم مكة وسمع منه آيات من القرآن ولكنه لم يسلم، والبيتان هما مجمل مقطوعة له.

(2) عبد الله بن جدعان من تيم رهط سيدنا أبي بكر الصديق وهو جواد مشهور، وكان أمية مداحا له منقطعا إليه.

(3) القرم: السيد، والسناء: الشرف.

(4) أحجره: ألجأه.

(5) يقول: إنك لا تجشم المحتاج مئونة السؤال لأنك تستغني بثنائه عن استجدائه.

استمناح عبد العزيز بن زرارة لمعاوية

قال العتبي: وفد عبد العزيز بن زرارة[١] على معاوية، فلما أذن له وقف بين يديه وقال: يا أمير المؤمنين! لم أزل أهز ذوائب[٢] الرحال إليك، إذ لم أجد معولا إلا عليك، أمتطي الليل بعد النهار، وأسم[٣] ا اهل بالآثار يقود في إليك أمل وتسوقني بلوى، وا تهد يعذر، وإذا قد بلغتك فقطني[٤]، فقال معاوية: أحطط عن راحلتك.

ولما ولي الخليفة المهتدي سليمان بن وهب[٥] وزارته قام إليه رجل من ذوي حرمته فقالت: أعز الله الوزير! - أنا خادمك المؤمل لدولتك، السعيد بأيامك، المنطوي القلب على ودك، المنشور اللسان بمدحك، المر ن بشكر نعمتك، وقد قال الشاعر: [٦]

وقَيـت كـلّ صـديق ودني ثمنـا ... إلا مؤمـل دولاتي وأيـامي

فَـإنني ضامن ألّـا أكافئَـه ... إلّا بتسويغِهِ فَضـلي وإنعـامي [٧]

وإني لكما قال القيسي[٨]: ما زلت أمتطي النهار إليك واستدل بفضلك عليك، حتى

(1) عبد العزيز بن زرارة الكلابي (ت. ٥٠ هـ / ٦٧٠ م) عبد العزيز بن زرارة الكلابي، قائد من الشجعان المقدمين في زمن معاوية، وغزا القسطنطينية، وأبلى في قتال الروم البلاء العجيب، وقتل في إحدى الوقائع، ولما نعي لمعاوية، قال: هلك والله فتى العرب!

(2) الذوائب: ذوائبه وهي الجلدة المعلقة على آخرة الرحل.

(3) أسم الأرض: ترك فيها أثرا.

(4) قطني: اسم فعل بمعنى يكفيني ومثلها قدني.

(5) سليمان بن وهب من كبار وزراء الدولة العباسية، وقد تقدم ذكر ابنه عبيد الله وحفيد القاسم. توفي سليمان سنة ٢٧٢هـ .

(6) الشعر للخليل، وهو: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (١٠٠ - ١٧٠ هـ / ٧١٨ - ٧٨٦ م) من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفاً ا وهو أستاذ سيبويه النحوي، ولد ومات في البصرة، وهو الذي اخترع علم العروض وأحدثَ أنواعاً من الشعر ليست من أوزان العرب وكان سبب موته أنه فكر في ابتكار طريقة في الحساب تسهلُه على العامة فدخل المسجد وهو يعمل فكره فصدمته سارية وهو غافل فكانت سبب موته، من مؤلفاته: (كتاب العين) و(جملة آلات العرب)، و(النغم)، وغير ذلك.

(7) سوغه: أناله.

(8) يريد بالقيسي عبد العزيز بن زرارة المتقدم لأنه من بني عامر ثم من قيس. وقد ذكر عبارته بمعناها لا بلفظها.

إذا اجتن الليل فغض البصر، ومحا الأثر، قام الرجاء يدني سائر أملي والنفس راغبة والاجتهاد عاذر وإذ قد بلغتك فقدني، فقال سليمان: لا عليك فإني عارف بوسيلتك محتاج إلى اصطناعك وكفايتك، ولست أؤخر عن يومي هذا توليتك ما يحسن عليك أثره، ويطيب لك خبره.

وكتب رجل من أهل البصرة إلى أخ له:

أما بعد فإنه يسهل علي طلب الحاجة أمران فيك، وأمران لي، وأمر من قبل الله وبه تمامها، فأما اللذان فيك: فاجتهادك في النجاح، ومبالغتك في الاعتذار، وأما اللذان لي: فإني أضيق عليك بعذري، ولا أصون عنك شكري، وأما الذي من قبل الله عز وجل فإيماني بأن كل مقدر كائن والسلام.

وكتب المرحوم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي: [(١)]

أنا إن سألتك حاجتي - أعزك الله! - وبسطت إليك يد رجائي فقد طرقت باب المكارم، واستمطرت غيث المراحم، ورجوت واحد الدهر همة وحزما، ونادرة الوجود كرما وفضلاً، فإن أنجز ا فليست أولى الهمم، ولا واحدة النعم، فلكم سبقت إلي منك أياد تخرس دو ا ألسنة الشكر، وتضيق ا جرائد[(٢)] الحصر ولقد مثلت - أيدك الله! - بين أن استشفع إليك بذوي الجاه عندك، والزلفى[(٣)] لديك، وبين[(٤)] أن أَكِلَ ذلك إلى كرمك وفضلك وما طبعت عليك نفسك الشريفة من خلال الخير وسجايا البر، فرأيت أن الثانية بك أحرى وبفضلك أجدر والسلام.

---

(1) مصطفى لطفي بن محمد لطفي بن محمد حسن لطفي المنفلوطي (١٢٨٩ - ١٣٤٣ هـ / ١٨٧٢ - ١٩٢٤ م) نابغة في الإنشاء والأدب، انفرد بأسلوب نقي في مقالاته وكتبه، له شعر جيد فيه رقة وعذوبة، تعلم في الأزهر واتصل بالشيخ محمد عبده اتصالاً وثيقاً وسجن بسببه ستة أشهر وابتدأت شهرته تعلو منذ سنة ١٩٠٧ بما كان ينشره في جريدة المؤيد من المقالات الأسبوعية تحت عنوان النظرات، وولي أعمالاً كتابية في وزارة المعارف سنة ١٩٠٩ ووزارة الحقانية ١٩١٠، له من الكتب (النظرات) و(في سبيل التاج) و(العبرات).

(2) الجرائد: جمع جريدة وهي السعفة وكان يكتب فيها، فالمراد الصحائف.

(3) الزلفى: القربة والمنـزلة.

(4) كرر الكاتب بين توكيدا، وهو جائز مسموع وأنا أستحسنه إذا طال ما قبل المعطوف كما هنا.

استمناح الصابئ لبعض الرؤساء

وكتب أبو إسحاق الصابئ[١] إلى بعض الرؤساء:

قد جرت العادة - أطال الله بقاء الأمير! - بالتمهيد للحاجة قبل موردها وإسلاف[٢] الظنون الداعية إلى نجاحها، وسالك هذه السبيل يسيء الظن بالمسئول، فهو لا يلتمس فضله إلا جزاء، ولا يستدعي طوله إلا قضاء. والأمير بكرمه الغريب ومذهبه البديع، يؤثر أن يكون السلف له، والابتداء منه، ويوجب على المهاجم برغبته إليه حق الثقة به، فالحمد لله الذي أفرده بالطرائق الشريفة، ووحده بالخلال المنيفة، زمانه البصيرة، ولمعته[٣] الباقية المنيرة.

وكتب محمد بن عباد إلى جعفر بن محمد وزير المعتز وكان يتقرب إليه:

ما زلت - أيدك الله تعالى! - أذم الدهر بذمك إياه، وانتظر لنفسي ولك عقباه، وأتمنى زوال من لا ذنب له، إلى عاقبة محمودة تكون بزوال حاله، وأترك الإعذار[٤] في الطلب على الاختلال[٥] الشديد ضنا بالمعروف عندي إلا عن أهله، وحبا لرجائي إلا عن مستحقه.

ومن أرق الاستماحة[٦] ما كتبه عبيد الله بن طاهر إلى سليمان بن وهب:

أبى دهرنـــا إســعافنا في نفوســنا ... وأسعفنا فــيمن نحــب ونكـْـرم

فقلت لــه: نعمــاك فيهــا أتِمهــا ... ودع أمرنـــا إن المهـــم المقـــدم

فأعجب سليمان بلطف طلبه في نئته وقضى حوائجه.

وقال أعرابي لرجل: ما ا مت حسن ظني بك، منذ توجه رجائي نحوك، ولا قعدت بجد قائل[٧] باعتمادي عليك، ولا استدعتني رغبة عنك إلى من سواك ولا أراني الاختيار غيرك عوضا منك.

---

(1) الصابئ: هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال كاتب ديوان الإنشاء عن الخليفة وعن عز الدولة بن بويه وهو معدود من رجالات الكتابة توفي سنة ٣٨٤هـ.

(2) الإسلاف: التقديم.

(3) اللمعة: البقعة والقطعة من الجسد تبرق.

(4) أعذر: بالغ.

(5) الاختلال: الاحتياج.

(6) الاستماحة: الاستمناح.

(7) الجد: الحظ. والقائل المخطئ.

وكتب بديع الزمان الهمذاني في بابه إلى بعض أصحابه:

لك - أعزك الله! - عادة فضل، في كل فضل، ولنا شبه مقت، في كل وقت، ولعمري أن ذا الحاجة مقيت[1] الطلعة، ثقيل الوطأة، ولكن ليسوا سواء.

(1) المقيت والمقوت: البغيض والمكروه.

الفصل الثالث في رسائل الشكر

كتب أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ :

الشكر ترجمان النية، ولسان الطوية، وشاهد الإخلاص، وعنوان الاختصاص، عندي من إنعامه، وخاض بره وعامه، ما يستغرق منه الشكر، ويستنفد قوة النشر، شكر الأسير لمن أطلقه والمملوك لمن أعتقه؛ شكر كأنفاس الأحبار، أو أنفاس الرياض غب الأمطار.

وكتب الحسن بن وهب المتوفى سنة ٤٨٢هـ :

من شكرك على درجة رفعته إليها، أو ثروة أقدرته عليها فإن شكري لك على مهجة أحييتها، وحشاشة أبقيتها، ورمق أمسكت به؛ وقمت بين التلف وبينه، فلكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهي إليه؛ ومدى تقف عنده، وغاية من الشكر لا يسمو إليها الطرف؛ خلا هذه النعمة التي فاقت الوصف، وأطالت الشكر وتجاوزت قدره. وأنت من وراء كل غاية: رددت عنا كيد العدو وأرغمت أنف الحسود، فنحن نلجأ منك إلى ظل ظليل، وكنف[١] كريم، فكيف يشكر الشاكر، وأين يبلغ ا تهد؟!

وكتب الأمير أبو الفضل الميكالي المتوفى في سنة ٤٣٦هـ :

فأما الشكر الذي أعارني رداءه، وقلدني طوقه وسناءه[٢] فهيهات أن ينتسب إلا إلى عادات فضله وإفضاله! أو يسير إلا تحت رايات عرفه[٣] ونواله[٤] وهو ثوب لا يحلى إلا بذكر طرازه، واسم حقيقته، ولسواه مجازه، ولو أنه (حين ملك رقي بأياديه، وأعجز وسعي عن حقوق مكارمه ومساعيه) خلى لي مذهب الشكر وميدانه ولم يجاذبني زمامه وعنانه - لتعلقت في بلوغ بعض الواجب بعروة طمع، و ضت فيه ولو على وهن ظلع[٥] ولكنه يأبى إلا أن يستولي على أمد الفضائل، ويتسنم[٦] ذرى[٧] الغوارب[٨] منها والكواهل[٩]، فلا يدع

(1) جانب.
(2) رفعته.
(3) معرفة.
(4) عطائه.
(5) كلاهما الضعف.
(6) يعلو.
(7) أعالي.
(8) جمع غارب ما بين الظهر والعنق.
(9) جمع كاهل ما بين الكتفين.

في ا د غاية إلا سبق إليها فارطًا[١] وتخلف سواه عنها حسيرا[٢] ساقطًا، لتكون المعالي بأسرها مجموعة في ملكه، منظومة في ملكه، خالصة له من دعوى القسم وشركه[٣].

وكتب أستاذي الشيخ محمد عبده[٤] يشكر للمرحوم حافظ إبراهيم تعريبه كتاب البؤساء:

لو كان لي أن أشكرك لظن بالغت في تحسينه، أو أحمدك لرأي لك فينا أبدعت في تزيينه - لكان لقلمي مطمع أن يدنو من الوفاء بما يوجبه حقك، ويجري في الشكر إلى الغاية كما يطلبه فضلك، لكنك لم تقف بعرفك[٥] عندنا، بل عممت به من حولنا، وبسطته على القريب والبعيد من أبناء لغتنا. زففت إلى أهل اللغة العربية عذراء من بنات الحكمة الغربية، سحرت قومها وملكت فيهم يومها، ولا تزال تنبه منهم خامدا و ز فيهم جامدا، بلا لا تنفك تحيي من قلو م ما أماتته القسوة، وتقوم من نفوسهم ما أعوزت فيه الأسوة[٦] حكمة أفاضها الله على رجل منهم، فهدى إلى التقاطها رجلاً منا، فجردها من ثو ا الغريب، وكساها حلة من نسج الأديب، وجلاها للناظر، وحلاها للطالب، بعدما أصلح من خلقها وزان من معارفها، حتى ظهرت محببة إلى القلوب، رشيقة[٧] إلى مؤانسة البصائر، ش[٨] للفهم وتبش[٩] للطف والذوق - وتسابق الفكر إلى موطن العلم، فلا يكاد يلحظها الوهم، إلا وهي من النفس في مكان الإلهام.

---

(1) سابقًا.

(2) كليلاً.

(3) مشاركته.

(4) هو الأستاذ الإمام مفتي الديار المصرية سابقًا ولد سنة ١٢٥٨هـ وتوفي سنة ١٣٢٣هـ وكتب هذا المكتوب شكرا لمترجم كتاب البؤساء وقد نظم قصيدة أثناء مرضه ومنها:

ولســت أبــالي أن يقــال محمــد ... أبــل أو اكتظــت عليــه المــآتم

ولكــن دينــا قــد أردت صــلاحه ... أحاذر أن تقضــي عليــه العمــائم

(5) المعروف.

(6) بالكسر والضم: القدوة.

(7) لطيفة.

(8) بفتح التاء: تصل إليه بسهولة.

(9) بفتح الباء: من البشاشة.

حاول قوم من قبلك أن يبلغوا من ترجمة الأعجم مبلغك فوقف العجز بأغلبهم عند مبتدأ الطريق، ووصل منهم فريق إلى ما يحب من مقصده، ولكنه لم يعن بأن يعيد إلى اللغة العربية ما فقدت من أساليبها، ويرد إليها ما سلبه المعتدون عليها من متانة التأليف، وحسن الصياغة، وارتفاع البيان فيها إلى أعلى مراتبه.

أما أنت، فقد وفيت من ذلك ما لا غاية لمزيد بعده، ولا مطمع لطالب أن يبلغ حده، ولو كانت ممن يقول بالتناسخ، لذهبت إلى أن روح (ابن المقفع) كانت من طيبات الأرواح، فظهرت لك اليوم في صورة أبدع، ومعنى أنفع. ولعلك قد سننت بطريقتك في التعريب سنة يعمل عليها من يحاوله بعد ظهور كتابك ويحملها الزمان إلى أبناء ما يستقبل منه. فتكون قد أحسنت إلى الأبناء كما أجملت في الصنع إلى الآباء، وحكمت للغة العربية أن لا يدخلها بعد من العجمة سوى ما هو في أسماء (أسماء الأماكن والأشخاص، لا أسماء المعاني والأجناس) ومثلى من يعرف قدر الإحسان إذا عم، ويعلي مكان المعروف إذا شمل، ويتمثل في رأيه الحكيم العربي أبي العلاء المعري:

ولو أني حبيـت الخلـد فـردا ... لما أحببـت بالخلـد انفـرادا

فلا هطلت علـي ولا بأرضـي ... سحائب ليس تنـتظم الـبلادا

فما أعجز قلمي عن الشكر لك! وما أحلقك بأن ترضى من الوفاء باللقاء!.

وكتب أيضا في الشكر مع توثيق المودة إلى أصحابه:

لك في قلوبنا من المودة ما يزكيه سناؤك، وفي مناطقنا من الحمد ما يوجبه كمالك، وفي صدورنا من الإجلال ما يرفعه [illegible]اؤك!

وما بيننا من المودة لا تحده مدة، ولا تخلق له جدة، نعيذه من حاجة للتجديد واستدعاء للمزيد، فلا المواصلة تربيه، ولا [illegible]اهلة توهيه - نعم إن ما يحفظ لك في الأنفس هو تجلي فضلك، ومثال علائك ونبلك، وذلك الخالد بخلود الأرواح والباقي في تفاني الأشباح.

وبعد - فقد تلقيت منك كتابا يبوح بسر المحبة، وينشر طي الصداقة، فيه تبيان وجدانك مما وجدنا، وتأثرك على ما فقدنا، فكان نبأ عما نعلم، وقضاء بما نحكم، ولكن شكرنا لك فضل المراسلة، وأريحية [illegible]املة، والله يتولى إيفاءك، مثوبة تكافئ وفاءك.

وكتب أيضا في الشكر لآخر:

لو كان في الثناء، وملازمة الدعاء، وحفظ الجميل، والقيام بالخدمة جهد المستطيع ما

يفي بشكر من يفتح باب المحبة، ويبدأ بصنائع المعروف، لكنت والحمد لله من أقدر الناس عليه ولكن أنى يكون في ذلك وفاءٌ؟ والمحبة سر نظام الأكوان! والإحسان قوام عالم الإمكان! والقائم على كنه جميعه قيوم السموات والأرض! والمقتوحون لأبواب العرف على هذه النسبة الجليلة منه فليس لي إلا أن ألجأ إلى الله في مكافأة فضيلتكم، على ما كان منكم أيام الإقامة بينكم، ثم أسلي نفسي عن عجزي بما أتخيل أن أكرمكم سيروي:

سيكفي الكريم إخـاءُ الكـريم ويقنــع بــالود منــه نــوالا

وبعد هذا أرجو عفوكم عن التقصير في المبادرة إلى المكاتبة، لأني شغلت بما شغلني عن نفسي، ولكن زالت العوارض (والحمد لله) وفاتني لهذا العذر نئتكم بالعيد. وإنما للمؤمن في كل يوم بربه عيد، فنهنئكم برضاء الله عنكم وتقبله صالح الأعمال منكم. وسلامي على نجلكم ومن ينتمي إليكم.

الفصل الرابع في رسائل النصح والمشورة

كتب بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨هـ:

اسمــع نصــيحة ناصــح جمــع النصــيحة والمِقــه[١]

إيــاك واحــذر أن تكــو ن مــن الثقــاتِ علــى ثقْــه

صدق الشاعر وأجاد، وللثقات خيانة في بعض الأوقات: هذه العين تريك السراب[٢] شرابا، وهذه الأذن تسمعك الخطأ صوابا. فلست بمعذور إن وثقت بمحذور، وهذه حالة الواثق بعينه، السامع بأذنه.

وأرى فلانا يكثر غشيانك[٣] وهو الدنيء دخلته[٤]، الرديء جملته، السيئ وصلته، الخبيث كلمته، وقد قاسمته في زرك[٥]، وجعلته موضع سرك، فأريني موضع غلطك فيه، حتى أريك موضع تلافيه[٦]: أفظاهره غرك؟ أم باطنه سرك؟؟

---

(1) المحبة.

(2) ما تراه نصف النهار عند اشتداد الحرب كالماء يلصق بالأرض وهو مثل في المخادع الكاذب.

(3) إتيانك.

(4) بتثليث الدال: نيته.

(5) قوام القلب.

(6) تداركه.

يا مولاي: يوردك[١] ثم لا يصدرك[٢] ويوقعك ثم لا يعذرك. فاجتنبه ولا تقربه، وإن حضر بابك، فاكنس جنابك[٣]. وإن مس ثوبك فاغسل ثيابك، وإن لصق بجلدك، فاسلخ إهابك. ثم افتتح الصلاة بلعنه، وإذا استعذت بالله من الشيطان فاعنه[٤].

وكتب الإسكندر المقدوني إلى أستاذه الحكيم أرسطو يستشيره فيما يفعله بأبناء ملوك فارس بعد أن قتل آباءهم وتغلب على بلادهم:

عليك أيها الحكيم منا السلام. أما بعد فإن الأملاك الدائرة والعلل السماوية وإن كانت أسعدتنا بالأمور التي أصبح الناس لنا ا دائنين - فإنا مضطرون إلى حكمتك، غير جاحدين لفضلك والاجتباء[٥] لرأيك، لما بلونا من إجداء[٦] ذلك علينا، وذقنا من جني[٧] منفعته، حتى صار ذلك بنجوعه[٨] فينا، وترسخه في أذهاننا، كالغذاء[٩] لنا. فما ننفك نعول عليه، ونستمد منه استمداد الجداول من البحار، وقد كان مما سبق إلينا النصر، وبلغنا من النكاية في العدو ما يعجز القول عن وصفه، والشكر على الإنعام به، وكان من ذلك أنا جاوزنا أرض سورية والجزيرة، إلى أرض بابل وفارس، فلما نزلنا بأهلها، لم يكن إلا ريثما[١٠] تلقانا نفر منهم برأس ملكهم هدية، وطلبا للحظوة عندنا، فأمرنا بصلب من جاء به وشهرته، لسوء بلائه، وقلة ارعوائه ووفائه، ثم أمرنا بجمع من كان هنالك من أولاد ملوكهم وأحرارهم، وذوي الشرف منهم، فرأينا رجالا عظيمةً أجسامهم وأحلامهم[١١]، حاضرة ألبا م وأذها م، رائقة[١٢] مناظر م ومناطقهم، دليلاً على أن وراء ذلك ما لم يكن معه سبيل إلى

(1) يوصلك إلى مكان ورد الماء.
(2) لا يرجعك.
(3) الفناء والناحية.
(4) أقصده.
(5) الاختيار.
(6) إعطاء.
(7) ما يجنى ويؤخذ من الثمر.
(8) بتأثيره.
(9) بكسر الغين ما يتغذى به.
(10) مقدار ما.
(11) جمع حلم بكسر الحاء العقل وبضمها المنام ليلا (الرؤيا).
(12) زائدة.

غلبتهم، لولا أن القضاء أدالنا[1] منهم، وأظهرنا عليهم، ولم نر بعيدا من الرأي في أمرهم أن تستأصل[2] شأفتهم[3]، ونجتث[4] أصلهم، ونلحقهم بمن مضى من أسلافهم لتسكن القلوب بذلك إلى الأمن من جرائرهم[5] وبوائقهم[6]، فرأينا أن لا نعجل ببادرة[7] الرأي في قتلهم، دون الاستظهار بمشورتك فيهم. فارفع إلينا رأيك في ما استشرناك فيه بعد صحته عندك، وتقليبك إياه بجلي نظرك.

والسلام على أهل السلام، فليكن علينا وعليك.

فكتب أرسطو المتوفى قبل الميلاد إلى الإسكندر المقدوني:

إن لكل تربة (ولا محالة) قسما من كل فضيلة، وإن لفارس قسمها من النجدة والقوة، وإنك إن تقتل أشرافهم، تخلف الوضعاء منهم على أعقا م وتورث سفلتهم[8]، منازل عليتهم، وتغلب أدنياءهم، على مراتب ذوي أخطارهم، ولم تبتل الملوك قط ببلاء هو أعظم عليهم من غلبة السفلة وذل الوجوه، واحذر الحذر كله أن تمكن تلك الطبقة من الغلبة، فإ م إن نجم منهم ناجم على جندك وأهل بلادك، دهمهم ما لا روية فيه، ولا منفعة معه - فانصرف عن هذا الرأي إلى غيره، واعمد إلى من قبلك من العظماء والأحرار، فوزع بينهم مملكتهم، وألزم اسم الملك كل من وليته منهم ناحية، واعقد التاج على رأسه، وإن صغر ملكه، فإن المستمى بالملك لازم لاسمه، والمعقود له التاج لا يخضع لغيره، ولا يلبث ذلك أن يوقع بين كل ملك منهم وصاحبه، تدابرا وتغالبا على الملك وتفاخرا بالمال والجند، حتى ينسوا بذلك أضغا م عليك، وتعود بذلك حر م لك حربا بينهم، ثم لا يزدادون بذلك بصيرة إلا أحدثوا هنالك استقامة لك فإن دنوت منهم كانوا لك، وإن نأيت عنهم تعززوا بك، حتى يثب كل منهم على جاره باسمك، وفي ذلك شاغلٌ لهم عنك، وأمانٌ لأحدائهم

(1) جعل لنا الكرة عليهم.
(2) نقطع.
(3) عداو م.
(4) نقتلع.
(5) كناية عن شرورهم.
(6) الدواهي.
(7) ما يظهر عند الغصب.
(8) بفتح السين وكسر الفاء السقاط من الناس، وبعض العرب يخفف فينقل كسرة الفاء إلى السين.

بعدك، (وإن كان لا أمان للدهر) وقد أديت للملك ما رأيته حظًا، وعلي حقًا، والملك أبعد روية، وأعلى عينا في ما استعان بي عليه.

والسلام الذي لا انقضاء له ولا انتهاء ولا غاية ولا فناء، فليكن على الملك.

ومن رسالة للإمام علي المتوفى سنة ٤٠هـ كرم الله وجهه:

دع الإسراف مقتصدا، واذكر في اليوم غدا، وأمسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل[١] ليوم حاجتك، أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين؟ أو تطمع وأنت متمرغ في نعيم تمنعه الضعيف والأرملة، أن يوجب[٢] لك ثواب المتصدقين؟ وإنما المرء مجزي بما أسلف[٣] وقادم على ما قدم، والسلام.

وكتب أيضا كرم الله وجهه إلى عبد الله عباس رضي الله عنهما:

أما بعد - فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوء فوت ما لم يكن ليدركه، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، وليكن أسفك على ما فات منها. وما نلت من دنياك فلا تكثر فيه فرحا، وما فاتك منها فلا تأسف عليه جزعا، وليكن همك فيما بعد الموت.

وكتب بطل الوطنية السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤هـ:

لا حول ولا قوة إلا بالله اشتبه المراقب باللاهي[٤] واستبدل الحلو بالمر، وقدم الرقيق على الحر! وبيع الدر بالخزف! والخز بالخشف[٥]، وأظهر كل لئيم كبره! إن في ذلك لعبرة! سمعا، فالوشاة إن سعوا لا يعقلون، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فكيف تشترون منهم القار[٦] في صفة العنبر؟ وقد بدت[٧] البغضاء من أفواههم، وما تخفي صدورهم أكبر! وكيف تسمع الأحباب لمن ى منهم وزجر؟ ولقد جاءهم من الأنباء[٨] ما فيه مزدجر![٩] عجبت

---

(1) ما فضل عندك من مال وأعمال فقدمه.

(2) أن ومدخولها مجرور بحرف جر محذوف متعلق بتطمع.

(3) قدمه في سالف أيامه.

(4) باللاهي: الذي يكون ملهيا وغالبا الشيطان.

(5) بفتح الخاء أو بضمها الرديء من الصوف.

(6) الزفت.

(7) ظهرت.

(8) الأخبار.

(9) النهي بشدة.

لهم وقد دخلوا دارنا وهم عنها معرضون! فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون! فقابلوهم بنبال الطرد في الأعناق، حتى إذ أثخنتموهم[١] فشدوا الوثاق[٢]، أيدخلون بما لا ينفع، في بيوت أذن الله أن ترفع! سيعلمون مقام الهبوط والعروج[٣] **يوم يسمعونَ الصيحةَ بِالْحق ذَلِك يوم الْخروج** [ق: ٤٢] ويقولون إذا لم يجدوا ملاذًا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا! فإ م عزموا على الإقامة مدة، ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة[٤]، وأنت عزيز العليا، ووحيد الدنيا قد بينت لك فعلهم، فبما[٥] رحمة من الله لنت لهم، ولكنهم طمعوا في عميم طولك[٦]، ولو كنت فظًا[٧] غليظ القلب[٨] لانفضوا[٩] من حولك. أتراهم يعقلون كلامك أم يفهمون، لعمرك[١٠] إ م لفي سكر م يعمهون[١١] لهم قلوب لا يدرون ا للحسد قرارا، لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا، وإني قد شيدت[١٢] لك بقلبي حصنا[١٣] صعبا[١٤] ما اسطاعوا أن يظهروه[١٥] وما استطاعوا له نقبا[١٦] نسيت بالعاذل[١٧] جميل الصوت[١٨]، وأنكره، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره[١٩] رميت أيها العاذل بسيف الغدر

(1) أكثرتم القتل فيهم.
(2) ما يربط به.
(3) الطلوع.
(4) ما أعده الإنسان لحواديث الدهر من المال والسلاح.
(5) فبرحمة وما للتوكيد وللدلالة على أن لينه ما كان إلا برحمة من الله.
(6) إحسانك.
(7) سيئ الخلق.
(8) قاسية.
(9) لتفرقوا.
(10) لحياتك واللام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف تقديره قسمي.
(11) يتحيرون.
(12) زينت.
(13) موضعا حصينا.
(14) لا يقدر أحد أن يدخله والمراد المبالغة في تحصين المحبة.
(15) لا يقدون أن يعلوا ظهره لارتفاعه ونعومته.
(16) خرقًا لصلابته وسمكه.
(17) اللائم.
(18) الذكر الجميل ولا يستعمل الصوت ذا المعنى إلا في الجميل.
(19) أنساني ذكره.

في نحرك! أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك، فإن لم ترجع عن السحر وفعله، فلنأتينك بسحر مثله، كيف يسعى العاذل بين النديم وإلفه، وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه! فيا سادتي دعوني من المعجب والمطرب! ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب. واجعلوا سيف ثباتكم للعذال مسلولا، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا، فإ م إن قالوا كذب النديم أو بطر، سيعلمون غدا من الكذاب الأشر[١]. وها قد صار أمر الحزين عندك جليا، فأي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا[٢] أتظن عهد العاذل عند غضبك لا ينكث[٣] مثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث؛ إنه لكم عدو كبير، ففروا إلى الله إني لكم منه نذير، فإنه جمع لقتالك الأولاد، والأحفاد[٤] وآخرين مقرنين[٥] في الأصفاد[٦]، تركوا أمر الله واشتغلوا بما يرضونه، فأعقبهم نفاقًا في قلو م إلى يوم يلقونه، وظني إن وصل إليك كتابي، أ م يطردون ويردعون، وحرام علي قرية أهلكناها أ م لا يرجعون، أيعجبك إذا مشى هذا اللاه، ثاني عطفه[٧] ليضل عن سبيل[٨] الله.

وإنك وإن فرحت بعلم ما يجهلون، قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون. فإن قلت إن اجتماعي م لأجل الصدقة أو شيء من هذا القبيل، إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين[٩] عليها والمؤلفة قلو م[١٠]، وفي الرقاب[١١]، والغارمين[١٢]، وفي سبيل الله[١٣] وابن

(1) المتكبر.
(2) مجلس القوم.
(3) لا ينقض.
(4) أولاد الأبناء.
(5) مشدودين.
(6) القيود.
(7) لأوي عنقه تكبرا.
(8) عن دين الله.
(9) السعاة الذين يقبضون الصدقات بأمر الحاكم.
(10) أشراف من العرب كان النبي ج يتألفهم للإسلام.
(11) المكاتبون من العبيد.
(12) من تحملوا الدين.
(13) الفقراء في الجهاد.

السبيل[١]، على أنه لا تحل الصدقة لذميم[٢] هماز[٣] مشاء بنميم[٤]، وطباعهم كما تعلم منكرة مستقذرة، كأ م حمر[٥] مستنفرة[٦] فرت من قسورة[٧].

وقد قال وفائي: خاطب عزيزك هذه المرة، وإن لم يعمل فيك فكرا، وما يدريك لعله يزكى[٨]، أو يذكر فتنفعه الذكرى.

فقال لساني: إن الود هو الرسول المأمون، فأرسله معي ردءًا[٩] يصدقني إني أخاف أن يكذبون. فقلت: سيروا مع المحبة ذات الفتوة[١٠] ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة، وقولوا له عند الغاية قد جئناك بآية. ولا ابوا الجيش وإن كبر، سيهزم الجمع ويولون الدبر[١١] ولا تظنوا من ظاهر الأمر حلول البلوى، إذ أنتم بالعدوة[١٢] الدنيا[١٣] وهم بالعدوة القصوى[١٤]، بل قاتلوهم قتال المستشهدين، وليجدوا فيكم غلظة، واعلموا أن الله مع المتقين.

وإذا اشتبك القتال فليذب كل منكم عن مولاه[١٥]، وإن جنحوا[١٦] للسلم[١٧] فاجنح

---

(1) المسافر والمنقطع عن ماله.
(2) القبيح والمراد قبيح الفعال ذميم الخصال.
(3) عياب يعيب الناس.
(4) ساع بالنميمة والفساد.
(5) جمع حمار.
(6) نافرة.
(7) الأسد.
(8) يتطهر من الذنوب.
(9) معينا.
(10) الكرم والتسامح.
(11) الظهر.
(12) بضم العين وكسرها جانب الوادي.
(13) القريبة.
(14) البعيدة.
(15) صاحبه.
(16) مالوا.
(17) الصلح.

لها وتوكل على الله، فسيروا ودعوا الأولاد والجنة[١]، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة، ولا تسألوا عن الميرة[٢] من أصله، وإن خفتم عيلة[٣] فسوف يغنيكم الله من فضله، فإن الله قد أثاركم[٤] لقتال العذال العائبين، ليقطع طرفًا من الذين كفروا أو يكتبهم[٥]، فينقلبوا خائبين.

واحملوا عليهم فإ م متى طعنوا في جنو م رضوا أن يكونوا مع الخوالف[٦] وطبع[٧] الله على قلو م، ولا تدبروا إذا رأيتموهم قدامكم[٨]، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.

وإذا أخذتم أسرى فقاتلوا أنصارها، فإما منا[٩] بعد وإما فداء حتى تضع الحرب[١٠] أوزارها[١١] فإن أطعتم رفعتم وأصلح الله بالكم، وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم.

وسأتلو في خطبتكم عند قدومكم سالمين: فقطع دابر[١٢] القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

وكتب أستاذنا الإمام الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٣٣هـ :

عرض لي ما منعني من قراءة الجرائد نحو أسبوع، وكنت أسمع فيه بحادثة (ميت غمر) من بعض الأفواه، أظنها من الحوادث المعتاد وقوعها، حتى تمكنت من مراجعة الجرائد ليلة

(1) المراد ا هنا النساء وأصلها لما تغطي ا المرأة وجهها.
(2) جلب الطعام.
(3) فقرا.
(4) نشركم.
(5) يصرفهم ويذلهم.
(6) النساء.
(7) كناية عن إعماء بصائرهم.
(8) سابقيكم.
(9) تمنون عليهم بإطلاقهم من غير شيء.
(10) أهل الحرب.
(11) أثقالها من سلاح وغيره.
(12) أهلكوا عن آخرهم.

الخميس الماضي، فإذا لهب ذلك الحريق يأكل قلبي أكله لجسوم أولئك المساكين: سكان (ميت غمر). ويصهر[١] من فؤادي ما يصهره من لحومهم، حتى أرقت[٢] تلك الليلة، ولم تغميض عيناني إلا قليلاً. وكيف ينام من يبيت يتقلب في نعم الله، وله هذا العدد الجم من إخوة وأخوات يتقلبون في شدة البأساء؟![٣] فأردت أن أبادر بما أستطيع من المعونة (ما أستطيعه قليل لا يغني من الحاجة ولا يكشف البلاء) ثم رأيت أن أدعو جمعا من أعيان العاصمة ليشاركوني في أفضل أعمال البر في أقرب وقت، وكان ذلك يوم السبت فحضر منهم سابقون، وتأخر آخرون، وكتب بعضهم يعتذرون، فشكر الله سعي من حضر، وجزى خيرا من اعتذر، وغفر لمن تأخر، على أنه ليس الحادث بذي الخطب اليسير، فالمصابون خمسة آلاف وبضع[٤] مئين منهم الأطفال الذين فقدوا عائليهم[٥] والتجار والصناع الذين هلكت آلا م ورؤوس أموالهم، ويعتذر عليهم أن يبتدئوا الحياة مرة أخرى إلا بمعونة من إخوا م، وإلا أصبحوا متلصصين أو سائلين، والذين فقدوا بيو م ولا يجدون ما يأوون إليه، ولا مال لهم يقيمون ما يؤويهم من مثل بيو م المتخربة - لهذا رأيت ورأى كل من تفكر في الأمر، أن يجمع مبلغ وافر يتمكن به من تخفيف المصاب عن جميع أولئك المصابين.

وكتب أيضا في الغرض المذكور:

قد بلغكم (ولا ريب) من أخبار الجرائد، ما عليه أهل (ميت غمر) بعد الحريق الذي أصاب مدينتهم، فهم بلا قوت ولا ساتر ولا مأوى، فليتصور أحدكم أن الأمر نزل بساحته، أفما كان يتمنى أن يكون جميع الناس في معونته؟ فليطالب الآن كل منا نفسه بما كان يطالب به الناس، لو نزل به ما نزل م، ولينفق مما له ما يدفع الله به عنه مكروه الدهر... فأرجوا من همتكم أن تدفعوا شيئًا من مالكم في مساعدة إخوانكم، وأن تبذلوا ما في وسعكم لحث من عندكم على مشاركتكم في هذا العمل المبرور والسلام.

---

(1) يذيب.

(2) سهرت.

(3) الضرر والفقر.

(4) بكسر التاء أو بفتحها ما بين الثلاث إلى التسع - وبالضم الفرج.

(5) من ينفقون.

الفصل الخامس في رسائل الملامة والعتاب

كتب بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٧هـ:

لقد سرني أني خطرت ببالك **أئن ساءني أن نلتني بمساءة**[١]

الأمر أطال الله بقاءه، في حالي بره وجفائه متفضل، وفي يومي إدنائه وإبعاده متطول، وهنيئًا له من حمانا من يحله[٢]، ومن عرانا ما يحله[٣] ومن أعراضنا ما يستحله.

بلغني أنه - أدام الله عزه! - استزاد[٤] صنيعه[٥]، فكنت ظنني مجنيا[٦] عليه مساء إليه، فإذا أنا في قرارة الذنب، ومثارة[٧] العتب، وليت شعري[٨] أي محظور[٩] في العشرة حضرته، أو مفروض من الخدمة رفضته[١٠]، أو واجب في الزيارة أهملته، وهل كنت إلا ضيفًا أهداه منـزع[١١] شاسع[١٢] وأداه أمل واسع، وحداه[١٣] فضل وإن قل، وهداه رأي وإن ضل، ثم لم يلق إلا في آل ميكال رحله[١٤] ولم يصل إلا م حبله، ولمن ينظم إلا فيهم شعره، ولم يقف إلا عليهم شكره.

ثم ما بعدت صحبة إلا دنت مهانة، ولا زادت حرمة إلا نقصت صيانة، ولا تضاعفت منة إلا تراجعت منـزلة، ولم تزل الصفة بنا حتى صار وابل[١٥] الإعظام قطرة، وعاد قميص

---

(1) هذا البيت لعبد الله بن عبيد الله أحد بني عامر المشهور بابن الدمينة من قصيدة والخطاب لمؤنث.
(2) ينـزل فيه.
(3) يفكه.
(4) زاد.
(5) معروفه وإحسانه.
(6) المؤاخذة بجنايته.
(7) مكان الثوران.
(8) ليتني أشعر وأخبر بالحقيقة والواقع.
(9) ممنوع.
(10) أبطلته.
(11) مصدر ميمي بمعنى البعد.
(12) بعيد.
(13) ساقه ودفعه.
(14) ما يأخذه المسافر من الأثاث وحوائج السفر.
(15) المراد به الكثير من الأنعام وأصله المطر.

القيام صدره[١]، ودخلت مجلسه وحوله من الأعداء كتيبة[٢]، فصار ذلك التقريب ازورارا[٣]، وذلك السلام اختصارا، والاهتزاز إيماءً، والعبارة إشارة، وحين عاتبته آمل أعتابه[٤]، وكاتبته أنتظر جوابه، وسألته أرجو إيجابه، أجاب بالسكوت فما ازددت له إلا ولاء، وعليه ثناءً، ولا وجرم[٥] أني اليوم أبيض وجه العهد، واضح حجة الود، طويل لسان القول، رفيع حكم العذر. وقد حملت فلانا من الرسالة ما تجافى القلم عنه.

والأمير الرئيس - أطال الله بقاءه! ينعم بالإصغاء لما يورده موفقًا إن شاء الله تعالى.

وكتب أيضا إلى القاسم الكرجي المتوفى سنة ٤٠٠هـ:

أنا - وإن لم ألق تطاول الإخوان إلا بالتطول، وتحامل الأحرار إلا بالتحمل - أحاسب مولاي - أيده الله! - على أخلاقه، ضنا[٦] بما عقدت يدي عليه من الظن به، والتقدير في مذهبه، ولولا ذلك، لقلت في الأرض مجالٌ، إن ضاقت ظلالك[٧]، وفي الناس واصلٌ، إن رثت[٨] حبالك، وآخذه بأفعاله.

فإن أعارني أذنا واعية، ونفسا مراعية، وقلبا متعطّفًا، ورجوعا عن ذهابه ونزوعا[٩] عن هذا الباب الذي يقرعه[١٠]، ونزولاً عن الصعود الذي يفرعه[١١]. فرشت لمودته خوان[١٢] صدري، وعقدت عليه جوامع خصري، ومجامع عمري[١٣] وإن ركب من التعالي غير

---

(1) ثوب يلبس فيغطي الصدر.

(2) جماعة.

(3) انحرافًا.

(4) إزالة عتبة وملامته.

(5) كلمة كانت في الأصل بمنـزل لا بد ولا محالة فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى معنى القسم وصارت بمنـزلة حقًا.

(6) بكسر الضاد وفتحها حرصا.

(7) أماكن الظل.

(8) بليت وذابت.

(9) انتهاء وتركا.

(10) يدقه بيده ليفتح له.

(11) يصعده ويعلوه.

(12) بضم الخاء أو بكسرها ما يؤكل عليه الطعام ومراده تمكين مودته من صدره.

(13) مراده التمسك بمودته مدة حياته.

مركبه[١] وذهب من التغالي في غير مذهبه[٢]، أقطعته خطة[٣] أخلاقه، ووليته جانب إعراضه.

لا أذود[٤] الطير عـن شـجر قد بلـوت المُـر مـن ثمـره

فإني وإن كنت في مقتبل السن والعمر، قد حلبت شطري الدهر[٥] وركبت ظهري البر والبحر[٦]، ولقيت وفدي[٧] الخير والشر، وصافحت يدي النفع والضر، وضربت إبطي العسر واليسر، وبلوت طعمي الحلو والمر، ورضعت ضرعي العرف والنكر[٨]، فما تكاد الأيام تريني من أفعالها غريبا وتسمعني من أحوالها عجيبا، ولقيت الأفراد، وطرحت الآحاد[٩]، فما رأيت أحدا إلا ملأت حافتي[١٠] سمعه وبصره، وشغلت حيزي[١١] فكره ونظره وأثقلت كتفه في الحزن، وكفته في الوزن، وود لو بادر القرن[١٢] صحيفتي[١٣] أو لقي صفحتي[١٤] فمالي صغرت هذا الصغر في عينه، وما الذي أزري[١٥] بي عنده حتى احتجب وقد قصدته، ولزم أرضه وقد حضرته.

وأنا أحاشيه[١٦] أن يجهل قدر الفضل، أو يجحد فضل العلم، أو يمتطي[١٧] ظهر التيه[١٨]

(1) مراده وإن تكبر.
(2) طريقه.
(3) بضم الخاء الطريقة، مراده أن يتركه وإن أخذ في غير طريق طباعه.
(4) لا أطرد.
(5) مراده مر به من خيره وشره وجرب نفعه وضره.
(6) مراده أنه جرب الأمور في البر والبحر.
(7) الوفد الجماعة التي ترد على الأمير أو غيره، ومراده أنه عرف الخير والشر.
(8) المعروف والمنكر ضده.
(9) هذا والذي قبله كله بمعنى أنه جرب الأيام واختبرها من أول نشأته.
(10) جانبي.
(11) ناحيتي.
(12) المقارن الكفء عند ملاقاة الأبطال.
(13) كتابي.
(14) وجهي معناه تمنى لقائي.
(15) حط من قدري وشأني.
(16) أنزعه.
(17) يركب.
(18) الكبر والعجب.

على أهليه، وأسأله أن يختصني من بينهم بفضل إعظام، إن زلت بي مرة قدم في قصده، وكأني به وقد غضب لهذه المخاطبة ا حفة(١) والرتبة المتحيفة(٢) وهو في جنب جفائه يسير، فإن أقلع(٣) عن عادته وترع عن شيمته(٤) في الجفاء، فأطال الله بقاء الأستاذ الفاضل، وأدام عزه وتأييده.

وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥هـ :

والله يا قليب: لولا أن كبدي في هواك مقروحة(٥)، وروحي مجروحة لساجلتك(٦) هذه القطيعة وماددتك حبل المصارمة(٧) وأرجو أن الله تعالى يديل(٨) لصبري من جفائك، فيردك إلى مودتي وأنف القلي(٩) راغم.

فقد طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند اللقاء والسلام.

وكتب أبو بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣هـ إلى تلميذه:

كتابي، وقد خرجت من البلاء خروج السيف من الجلاء(١٠)، وبروز البدر من الظلماء، وقد فارقتني المحنة، وهي مفارق لا يشتاق إليه، وودعتني وهي مودع لا يبكي عليه، والحمد لله تعالى على منحة يجليها، ونعمة ينيلها ويوليها، كنت أتوقع أمس كتاب مولاي بالتسلية، واليوم بالتهنئة، فلم يكاتبني في أيام البرحاء(١١) بأ ا غمته، ولا في أيام الرخاء بأ ا سرته! وقد اعتذرت عنه إلى نفسي وجادلت عنه قلبي. فقلت: أما إخلاله بالأولى، فلأنه شغله الاهتمام ا عن الكلام فيها. وأما تغافله عن الأخرى فلأنه أحب أن يوفر علي مرتبة السابق إلى

(1) من الإجحاف وهو الذهاب بالشيء.
(2) من التحيف وهو الظلم والجور.
(3) رجع.
(4) خلقه.
(5) مجروحة.
(6) معناه لقابلتك.
(7) المقاطعة.
(8) الغلبة والنصر.
(9) أنف صاحب البغض.
(10) صقله بإزالة ما عليه حتى يرى له لمعان.
(11) البلية.

الابتداء، ويقتصر بنفسه على محل الاقتداء، لتكون نعم الله سبحانه علي موفورة من كل جهة ومحفوفة بي من كل رتبة، فإن كنت أحسنت الاعتذار عن سيدي، فليعرف لي حق الإحسان، وليكتب إلي بالاستحسان، وإن كنت أسأت. فليخبرني بعذره، فإنه أعرف مني بسره وليرض مني بأني حاربت عنه قلبي، واعتذرت عن ذنبه، حتى كأنه ذنبي، وقلت يا نفس اعذري أخاك، وكفاك منه من أعطاك، فمع اليوم غد - والعود أحمد.

وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر المتوفى سنة ٨٠هـ :

أما بعد: فقد عاقني الشك في أمرك، عن عزيمة الرأي فيك، وذلك أنك ابتدأتني بلطفك عن غير خبرة، ثم أعقبته جفاء من غير ذنب فأطمعني أولك في إخائك، وأيأسني آخرك من وفائك. فسبحان من لو شاء لكشف بإيضاح الرأي في أمرك عن عزيمة الشك فيك، فاجتمعنا على ائتلاف وافترقنا على اختلاف والسلام.

وكتب صديقي زعيم الوطنية المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش:

سيدي - مالي أراك كمن نسي الخليط[١] وتجرد في الصحبة على المحيط والمخيط فإذا ما صادفتك[٢] صدفت[٣] أو أنصفتك ما نصفت[٤] أتظن أني قعيدة بيتك[٥]، أو رهين كيتك وذيتك[٦] فوحقك إذا آنست[٧] من يدي مللا، أو من قدمي كللا[٨]؛ لنجز ا[٩] البتات[١٠] وكلت بنقضها الذات. ولو أني آنست من الزاد فترة[١١] أو من الشراب عسرة، لطعمت

---

(1) شدة الأذى.

(2) الصاحب.

(3) وجدتك.

(4) أعرضت.

(5) كلاهما بمعنى ساعدتك.

(6) المرأة التي في البيت.

(7) كلاهما بمعنى كذا وكذا والمراد أني لست رهين قولك أفعل كذا وكذا.

(8) علمت.

(9) إعياء وضعفا.

(10) قضيتها.

(11) القطع المستأصل.

الطوى[١] واستقيت الجوى[٢] فكيف أداعب[٣] وتصاعب؟ وأحالف وتخالف وأواصل وتفاصل؟ وأجالب وتجانب؟ لبئست مطيتك التي اقتدعت[٤] وشرعتك[٥] التي شرعت[٦] فوالله لولا أن الحب حادثٌ لا يتقي بالتروس، ومعنى لا يدب إلا في النفوس، وسهام لا ترمى إلا من قسي الحواجب ونحو أوله المعية وآخره الجوازم، لما افترست الظباء الصيد[٧] الأسود ولا ملكت الأحرار العبيد. ولولا أني كرعت[٨] من صابه[٩] والتحفت ببردة أوصابه[١٠] لتعوذت منك بسورة الفلق ونبذتك[١١] نبذ الرداء الخلق[١٢] ولهان[١٣] علي أن أدعك أو أسمعك.

تمرون على الديار ولن تعرجـوا[١٤] كلامكـــم علـــي إذًا حـــرام

غير أن لي نفسا شبت على الحب فلم أفطمها وتقادعت[١٥] على ناره فلم أعصمها. حتى بلغ السيل الزبي[١٦] وتبددت[١٧] النفس أيدي سبا[١٨] إلا حشاشة غفل عنها الوجد،

(1) ضعفًا وقلة.
(2) الجوع.
(3) الحرقة.
(4) أمازح.
(5) دفعت.
(6) مكان الماء.
(7) دخلت.
(8) المترفعة.
(9) بكسر الراء وفتحها شربت بفمي.
(10) مائه المر وأصله عصارة شجر مر.
(11) أمراضه.
(12) رميتك.
(13) هان: صار من الهوان.
(14) لن تقيموا.
(15) تسابقت.
(16) مثل يضرب لما جاوز الحد.
(17) ذهبت.
(18) هو مثل يقال، وتبددوا أيدي سبا معناه ذهبوا متفرقين، وأصله في الذين ذهبت جنا م وغرق مكا م وقد ذكرهم الله في القرآن قال: لَقَد كَانَ لِسبإٍ إلى آخر الآيات.

وبقية رمق ألفيتها[١] من بعد. وكلما رأيت منك الشطط[٢] واعتساف[٣] الخطط[٤] عمدت إلى أن أثني[٥] من رسنها[٦] وأذود[٧] عن عطنها[٨] وشخصت إلى المكافحة والمكافأة، وأن لا أكيلك إلا مثلا، ولا أسقيك إلا وشلا[٩]، ولا أزيدك إلا فشلا.

ولست أجزيك الجـزاء الـذي على فـاء الصـنع لا بخسـه

وليس يبكي صـاحبا مـن إذا أهين لا يبكـي علـى نفسـه

على أني بالرغم أصبح في ار أحلك[١٠] من ليل، وأمسي في ليل أشق على النفس من ويل.

وليلٍ كموج البحر أرخى سـدوله[١١] علي بـأنواع الهمـوم ليبتلـي[١٢]

فإن تخلصت من لقائك، فإلى الشقاء، وإذا لجأت من عسفك، فإلى العناء، وإذا استجرت بفراقك، فقد استجرت من الرمضاء[١٣]، وكأنك لم تدر أن دولة الحسن سريعة التقويض[١٤] وأنه لا بد من هبوط القمر إلى الحضيض ولسوف تبلى بعارض[١٥] بيد[١٦] أنه

---

(1) وجد م.
(2) تجاوز الحد.
(3) الميل عن الطريق المألوف.
(4) الأمور.
(5) أرد.
(6) زمامها.
(7) أمنع.
(8) مكا ا.
(9) الماء القليل في هذا الموضع والماء الكثير في غيره.
(10) أشد سوادا.
(11)أستاره.
(12) البيت لامرئ القيس من معلقته.
(13) الأرض الحارة.
(14) التفرق.
(15) السحاب الذي يعترض في الأفق.
(16) غير أنه.

غير ممطر، وبساعة مقبلك فيها مدبر، وستصبح عما قريب قد عفت[1] رسومك[2]، ولم تجد في سوق الصحبة من يسومك، والعاقل من لا يختال بنفسه، ولا يبني على غير أسه[3] فإنك ما نضت[4] لؤلؤه مبسمك، ولا نضرت[5] صورة معصمك[6]، ولا شئت فخلقت كما تشاء ولا اتخذت عند الله عهدا وهذا الوفاء. ولكن مثلك من أفرغه الله في القالب الذي اختار، وجعله مرتقع النفوس ومسرح الأبصار، وإني أيها العزيز قد تقدمت إليك:

ولي أمل قطعـت بـهِ الليـالي أراني قـد فنيـت بـه وداما

فلا تحرمني من سائع العفو وسابغه، ولا تجعلني كباسط كفّيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه:

فأشد ما لقيت مـن ألم الجَـوى[7] قرب الحبيبِ ومـا إليـه وصـولُ

كالعيس[8] في البيداء يقتلها الظمـا[9] والمـاء فـوق ظهورهـا محمـول

فاعمل في يومك لغدك، واستجز غير ببسط يدك، ولا تأخذني بجرم الجاني المتلبس، ولا تبتغ مني صحيفة المتلمس[10] بيد أني أنشدك الذي بلى العاشق المعشوق، وكلفه في الحب بيض الأنوق[11] وسهد[12] طرفه بنواعس العيون، وخول[13] للحسن إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، كما قرن الهوى بالنوى[14]، والقلب بالجوى[15] وقضى على المحب، ونشر

(1) درست وذهبت.
(2) آثارك.
(3) أساسه.
(4) ما ظهرت.
(5) ولا حسنت.
(6) موضع السوار من اليد.
(7) الحزن.
(8) الإبل البيض يخالط بياضها شقرة أو ظلمة خفية.
(9) العطش.
(10) الطالب مرة بعد أخرى.
(11) الأنوق العقاب، ولفظ المثل: هو أعز من بيض الأنوق، وهو مثل يضرب للمحال أو لما لا سبيل إليه.
(12) أسهره.
(13) ملكه.
(14) البعد.
(15) الحرقة.

العشق فلم يحتجب، ما الذي أغرى بك إلى الاعتساف، وعدم الإنصاف؟

ألين الأعطاف! أم فتور[١] الأجفان؟ أم تكسر الكلام؟ أم هيف القوام!؟ لقد شددت أزرك[٢] (والله) بضعاف! واستسمنت تلك العجاف، وهل حدا[٣] إلى قطيعتي بك! أني خشن الملمس؟ رث الملبس؟ ولم أمنح[٤] كما منحت نضرة، ولم ألبس برقع البياض والحمرة، فاعلم أنك إن نظرتني بعين الرضا[٥]، ورحمت فؤادا يتقلب منك على جمر الغضا[٦] فستجدني صديقك الذي لا يبطره الوفاء، ولا يثنيه الجفاء، أملك لك من لسان، وأطوع لأمرك من بنان.

أكتب، فأين لعبد الحميد الكاتب قلمي؟ وأشعر، فأين الشعراء إلا تحت علمي؟ وأبذل، فأين حاتم[٧] من كرمي؟ وأحلم، فأين أحنف[٨] من حلمي.

وحسبك فخرا أن يجـود بنفسـه ... على رغمٍ من ليس يأمل في الشـكر

ومن يحتمل في الحب ما فـوق كـاهلي[٩] ... فحسبك حلما أن يقيم على الهجـر

فإن أصخت[١٠] إلى الداعية[١١] ووعيت كلماتٍ لا تسمع فيها لاغية[١٢]، فإليك الجزاء وعلي الوفاء، وإلا فالفرار إلى الموت أمر يسير، والقبر للعشاق قليل من كثير.

وكتب معاوية إلى ابنه يزيد يؤنبه ويعاتبه:

أما بعد فقد أدت ألسنة التصريح إلى أذن العناية بك، ما فجع الأمل فيك وباعد الرجاء

---

(1) ذبولها.
(2) ظهرك.
(3) ساق إلى.
(4) أعطى.
(5) حسنا.
(6) شجر خشبة فيه صلابة.
(7) أبو عدي: حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي وبه يضرب المثل في الكرم من شعراء الجاهلية.
(8) الأحنف بن قيس يضرب به المثل في الحلم.
(9) ما بين الكتفين.
(10) استمعت.
(11) مراده به الواشي العاذل.
(12) اللغو من الكلام.

منك، إذ ملأت العيون جة، والقلوب هيبة، وترامت إليك آمال الراغبين، وهمم المنافسين. فسخت بك فتيان قريش، وكهول أهلك، فما يسوغ لهم ذكرك إلا على الجرة المهوعة[١]، والكظ الجشء[٢]. اقتحمت البوائق[٣] وانقدت إلى المعاير، واعتضتها من سمو الفضل، ورفيع القدر. فليتك - يزيد - إذا كنت لم تكن، سررت يافعا ناشئًا وأثقلت كهلا ضائعا[٤]، فواحزنا عليك يزيد! وياحر صدر المثكل بك. ما أشمت فتيان بني هاشم! وأذل فتيان بني عبد شمس عند تفاوض المفاخر ودراسة المناقب! فمن لصلاح ما أفسدت ورتق ما فتقت؟ هيهات. خمشت[٥] الدربة[٦] وجه التصبر بك، وأبت الجناية إلا تحدرا على الألسن، وحلاوة على المناطق، ما أربح فائدة نالوها، وفرصة انتهزوها! انتبه يزيد للعظة، وشاور الفكرة ولا تكن إلى سمعك أسرع منها إلى عقلك، واعلم أن الذي وطأك وسوسة الشيطان، وزخرفة السلطان مما حسن قبحه واحلولي عندك مرة، أمر شركك فيه السواد[٧] ونافسكه الأعباد، فأضعت به من قدرك، وأمكنت به من نفسك - فمن لهذا كله؟

واعلم يا يزيد أنك طريد الموت، وأسير الحياة، بلغني أنك اتخذت المصانع وا الس للملاهي والمزامير كما قال تعالى: **أتبنونَ بِكُل رِيعٍ آيةً تعبثُونَ * وتتخِذُونَ مصانِعَ لَعلكُم تخلُدونَ** [الشعراء: ١٢٨، ١٢٩][٨]، وأجهرت الفاشحة حتى اتخذت سرير ا عندك جهرا.

اعلم يا يزيد أن أول ما سلبكه السكر معرفة مواطن الشكر لله تعالى على نعمه المتظاهرة وآلائه المتواترة، وهي الجرحة العظمى، والفجعة الكبرى ترك الصلوات المفروضات في أوقا ا، وهي من أعظم ما يحدث من آفا ا، ثم استحسان العيوب، وركوب الذنوب،

(1) الجرة: ما يفيض به البعير فيأكله ثانية، وكذا غيره من النعم. والمهوعة: من هوعه أي قيأه وهذا تمثيل، أي أ م يستقلون ذكرك.

(2) الكظ: الامتلاء من الطعام، والجشء: الكثير وهذا تمثيل أيضا.

(3) البوائق: جمع بائقة وهي الداهية.

(4) الضائع والضليع: القوي.

(5) خمش: لطم.

(6) الدربة: التجربة.

(7) السواد: العامة.

(8) تقدم شرح غريب الآية في خطبة قطري.

وإظهار العورة وإباحة السر، فلا تأمن نفسك على سرك، ولا تعقد[1] على فعلك، فما خير لذة تعقب الندم، وتعفي[2] الكرم؟ وقد توقف أمير المؤمنين بين شطرين من أمرك لما يتوقعه من غلبة الآفة واستهلاك الشهوة، فكن الحاكم على نفسك، واجعل المحكوم عليه ذهنك ترشد إن شاء الله تعالى، وليبلغ أمير المؤمنين ما يرد شاردا من نومه، فقد أصبح نصب[3] الاعتزاء من كل مؤانس ودريئة[4] الألسن الشامتة، وفقك الله فأحسن.

وكتب أعرابي لابنه وسمعه يكذب:

يا بني عجبت من الكذاب المشيد بكذبه، وإنما يدل على عيبه، ويتعرض للعقاب من ربه: فالآثام له عادة، والأخبار عنه متضادة، إن قال حقا لم يصدق، وإن أراد خيرا لم يوفق، فهو الجاني على نفسه بفعاله، والدال على فضيحته بمقاله، فما صح من صدقه نسب إلى غيره، وما صح من كذب غيره نسب إليه. فهو كما قال الشاعر:

حسب الكذوب من المها نة بعض ما يحكى عليه
فإذا سمعت بكذبة من غيره نسبت إليه

وكتب المرحوم حفني بك ناصف إلى سماحة السيد توفيق البكري:

كتابي إلى السيد السند؛ ولا أجشمه[5] الجواب عنه! فذلك ما لا أنتظره منه، وإنما أسأله أن ينشط إلى قراءته، ويتنزل إلى مطالعته، وله الرأي بعد ذلك أن يحاسب نفسه أو يزكيها، ويحكم عليها أولها:

فقد تنفع الذكرى إذا كان هجرهم دلالاً فأما إن ملالا فلا نفعا

زرت (السيد) ويعلم الله أن شوقي إلى لقائه كحرصي على بقائه، وكلفي بشهوده، كشغفي بوجوده، فقد بعد (والله) عهد هذا التلاق، وطال أمد الفراق وتصرم الزمان، وأنا من رؤيته في حرمان. فسألت عنه، فقيل لي: إنه خرج لتشييع[6] زائر، وهو عما قليل حاضر،

(1) يقول: تفقد بالشراب الإرادة والعزيمة.
(2) تعفي: تذهب.
(3) النصب هنا: الغرض والهدف.
(4) الدريئة: التي يتعلم الرامي الطعن والرمي عليها.
(5) لا أكلفه.
(6) لتوديع.

فانتظرت رجوعه، وترقبت طلوعه ولم أزل أعد اللحظات وأستطيل الأوقات، حتى بزغت الأنوار، وارتج صحن الدار، وظهر الاستبشار على وجوه الزوار، وجاء السيد في موكبه، وجلالة محتده[١] ومنصبه، فقمنا لاستقباله، وهينمنا[٢] بكماله، فمر يتعرف وجوه القوم حتى حازاني وكبر على عينه أن يراني، فغادرني[٣] ومن على يساري، وأخذ في السلام على جاري وجر السلام الكلام، وتكرر القعود والقيام، وأنا في هذه الحال أوهم جاري أني في داري، وأظهر للناس أن شدة الألفة، تسقط الكلفة، ومر السيد بعد ذلك من أمامي ثلاث مرات، ومن الغريب أنه لم يستدرك ما فات:

تمرون على الديار ولم تعوجوا كلامكم علي إذنْ حرام

وكنت أظن أن مكانتي عند السيد لا تنكر، وأن عهدي لديه لا يخفر[٤] فإذا أنا لست في العير[٥]، ولا في النفير[٦] وغيري عند السيد كثير، وذهاب صاحب أو أكثر عليه يسير.

ومن مدت العليا إليه يمينها فأكبر إنسان لديه صغير

ولا أدعي أني أوازي السيد (صانه الله) في علو حسبه، أو أدانيه في علمه وأدبه، أو أقاربه في مناسبه ورتبه، أو أكاثرة في فضته وذهبه، وإنما أقول: ينبغي للسيد أن يميز بين من يزوره لسماع الأغاني والأذكار، وشهود الأواني على مائدة الإفطار، وبين من يزوره للسلام، وتأييد جامعة الإسلام، وأن يفرق بين من يتردد عليه استخلاصا للخلاص ومن يتردد إجابة لدعوة الإخلاص. وأن لا يشتبه عليه طلاب الفوائد بطلاب العوائد، وقناص[٧] الشوارد[٨]. بنقباء الموالد، ورواد الطرف[٩]، بأرباب الحرف:

(1) أصله من جهة النسب.
(2) تكلمنا بصوت خفي.
(3) تركني.
(4) لا ينقض.
(5) الجماعة.
(6) الجماعة أيضا.
(7) جمع قانص بفتح القاف: الصائد.
(8) المتفرقات والمراد طالبو متفرقات العلوم.
(9) جمع طرفة: وهي ما ترى مليحة، والمراد أهل المراتب العالية.

فما كل من لقيت صاحب حاجـةٍ ولا كل من قابلت سائلك العرفـا[١]

فإن حسن عند السيد أن يغضني عن بعض الأجناس، فلا يحسن أن يغضي عن جميع الناس وإلا فلماذا يطوف على الضيوف، ويحييهم بصنوف من المعروف ويتخطى[٢] الرقاب (لصروف)[٣] ويخترق لأجله الصفوف؟ فإن زعم السيد أنه أعلم بتصريف الأقلام، فليس بأقدم هجرة في الإسلام وإن رأى أنه أقدر مني على إطرائه[٤]، فليس بممكن أن يتخذه من أوليائه!

ولا أروم بحمد اللـه منـزلةً غيري أحق بها منـي إذا رامـها

وإنما أصون نفسي عن المهانة والضعة، وأن أعرضها للضيق وفي الدنيا سعة:

وأكرم نفسي إنـني إن أهنتـها وحقك لم تكرم على أحد بعدي

فلا يصعر[٥] السيد من خده، فقد رضيت بما ألزمني من بعد، ولا يغض[٦] عني عينه، فهذا فراق بيني وبينه، وليتخذني صاحبا من بعيد، ولا يكلمني إلى يوم الوعيد.

كلانا غني عـن أخيـه حياتـه ونحن إذا متنـا أشـد تغانيـا

ومني على السيد السلام على الدوام، ومبارك إذا لبس جديدا، وكل عام وهو بخير إذا استقبل عيدا، ومرحى[٧] إذا أصاب، وشيعته[٨] السلامة إذا غاب، وقدوما مباركًا إذا آب[٩]، وبالرفاء والبنين[١٠] إذا أعرس[١١]، وبالطالع المسعود إذا أنجب[١]، ورحمه الله إذا عطس، ونوم

(1) المعروف.
(2) يتجاوز.
(3) هو الدكتور يعقوب صروف المتوفى في آخر يوليه سنة ١٩٢٧م وهو أحد أصحاب مجلة المقتطف وجريدة المقطم اليومية.
(4) الثناء عليه.
(5) لا يميل خده كبرا وخيلاء.
(6) لا يغمض.
(7) كلمة تقال عند الإصابة في الرمي مدحا للمصيب.
(8) ودعته.
(9) رجع.
(10) كلمة تقال لمن تزوج ومعناه بالالتئام وجمع الشمل.
(11) تزوج.

ونوم العافية إذا نعس، وصح نومه إذا استيقظ وهنيئا إذا شرب، وما شاء الله إذا ركب، ونعم صباحه إذا انفجر الفجر، وسعد مساؤه إذا أذن العصر، وبخ بخ[٢] إذا نثر، ولا فض[٣] فوه إذا شعر[٤] وأجاد وأفاد إذا خطب، وأطرب وأغرب إذا كتب، وإذا حج البيت فحجا مبرورا، وإذا شيع جنازتي فسعيا مشكورا والسلام.

وكتب القاضي الفاضل إلى أخيه عبد الكريم يؤنبه على إيذائه علم الدين ابن النحاس:

سبب إصدار هذه المكاتبة إلى الأخ - أصلحه الله! - إعلامه ما صح عندي من الأحوال التي أخفاها، والله مبديها، في حق علم الدين.

وبالله أقسم لئن لم تداو ما جرحت وتستدرك ما فعلت، وتمح ما أثبت، وتستأنف ضد القبيح الذي كتبت به وشافهت، وتعتذر بالجميل فيما قاطعت الله به وبارزت، ليكونن الحديث مني بغير الكتاب، ولأزيلن السبب الذي قدرت به على مضرة الأصحاب، وما أشد معرفتي بأن الطباع لا تتغير، وبأنك ستحوجني بعد هذا الكتاب إلى ما لا يتأخر، وبالجملة فاستدرك بفعلك لا بإيمائك لي وتنصلك إلي.

فالدم في النصل شاهد عجب

وويل لمن كانت غنيمته من الأيام عقد القلوب على البغضاء، وإطلاق الألسنة بالمذام، ولولا أنني شريكك في كل ما تستوجبه من الناس، لألقيت حبلك على غاربك وتركتك، وما اخترت لنفسك، ولكن كيف بمن يرمي وليس برام؟

ولكن سكوت الناس عن قبيحك مقابلة مقابلة لجميل كثير مني، فإذا أنت لا تنفق إلا من كيسي، فأشفق على نفسك، إن كنت تنظر في غد، وعلى بيتك، إن كنت تنظر في أمس، وعلى مكانك مني، إن كنت لا تنظر إلا في اليوم، ولا تجاوبني إلا بلسان الرجل شاكرا لك، فإنه وإن كان (والله) ما ذمك فقد ذممتك به عنه وما أظن أنك تذكر أنني كتبت إليك كتابا، ولا كنت أوثره، ولولا حافظ غليظ ما كتبته، ولولا علمي أن الكثير مما قيل

=

(1) ولد له.

(2) كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء أو عند الفخر والمدح وكررها للمبالغة.

(3) لا كسرت أسنانه.

(4) قال الشعر.

عنك في أمر الرجل هو القليل مما فعلته لأضربت عن هذا كما أضربت عن غيره وستعرفك الأيام ما كنت تجهل.

والله يأخذ بناصيتك إلى رضاه ويغمد سيف جليلتك عن مقلتك، والسلام.

الفصل السادس في رسائل الشكوى

كتب الأمير أبو الفضل الميكالي المتوفى سنة ٤٣٦هـ:

إنما أشكو إليك زمانا سلب ضعف ما وهب، وفجع بأكثر مما متع، وأوحش فوق ما آنس، وعنف في نزع ما ألبس، فإنه لم يذقنا حلاوة الاجتماع حتى جرعنا مرارة الفراق، ولم يمتعنا بأنس الالتقاء، حتى غادرنا[١] رهن التلف، والاشتياق.

(والحمد لله تعالى على كل حال) يسوء ويسر، ويحلو ويمر، ولا أيأس من روح[٢] الله في إباحة صنع[٣] يجعل ربعه[٤] مناخي[٥]، ويقصر مدة البعاد والتراخي، فألاحظ الزمان بعين راض، ويقبل إلي حظي بعد إعراض، وأستأنف[٦] بعزته عيشا عذب الموارد[٧] والمناهل[٨]، مأمون الآفات والغوائل[٩].

وكتب عبد الحميد بن يحيى المقتول سنة ١٣٢هـ إلى أهله وهو منهزم مع مروان[١٠]:

أما بعد: فإن الله تعالى جعل الدينا محفوفة بالكره والسرور، فمن ساعده الحظ فيها سكن إليها، ومن عضته[١١] بنا ا ذمها ساخطًا عليها، وشكاها مستزيدا لها.

وقد كانت أذاقتنا أفاويق[١٢] استحليناها، ثم جمحت[١٣] بنا نافرة ورمحتنا[١٤] مولية،

---

(1) تركنا.

(2) من رحمة الله.

(3) المعروف.

(4) دار.

(5) مكان النوم ومراده أنه لا ييأس من معروف يحظى به مدة حياته.

(6) أجدد.

(7) أمكنة إتيان الماء.

(8) المواضع التي فيها والمراد أنه يجدد عيشا هنيئًا لا حزن معه.

(9) الدواهي.

(10) هو مروان بن محمد بن الحكم بن أبي العاص الأموي آخر ملوك بني أمية المعروف بالجعدي قتل سنة ١٣٢هـ.

(11) كناية عن تسلطها عليه بنوائبها ومصائبها.

(12) ألبا ا والمراد نعيمها وخيرا ا.

(13) أسرعت غالبة إيانا.

(14) طعنتنا برمحها والمراد مصائبها.

فملح عذ ا، وخشن لينها، فأبعدتنا من الأوطان وفرقتنا عن الإخوان، فالدار نازحة[١]، والطير بارحة[٢]، وقد كتبت والأيام تزيدنا منكم بعدا، وإليكم وجدا، فإن تتم البلية إلى أقصى مد ا يكن آخر العهد بكم وبنا، وإن يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم، نرجع إليكم بذل الإسار[٣]، والذل شر جار.

نسأل الله الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة في دار آمنة، تجمع سلامة الأبدان، والأديان، فإنه رب العالمين، وأرحم الرحمين.

وكتب أستاذنا الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده، وهو مسجون بسبب الحوادث العرابية:

تلقدتني الليالي وهـي مـدبرةٌ ... كأنني صارم في كـف منهـزم

عزيز (هذه حالتي) اشتد ظلام الفتن حتى تجسم بل تحجر، فأخذت صخوره من مركز[٤] الأرض إلى المحيط[٥] الأعلى، واعترضت ما بين المشرق والمغرب وامتدت إلى القطبين[٦] فاستحجرت في طبقا ا طباع الناس إذ تغلبت طبيعتها وامتدت على المواد الحيوانية أو الإنسانية، فأصبحت قلوب الثقلين[٧] كالحجارة أو أشد قسوة، فتبارك الله أقدر الخالقين، انتثرت نجوم الهدى وتدهورت[٨] الشموس والأقمار، وتغيبت الثوابت النيرة، وفر كل مضيء منهزما من عالم الظلام، ودارت الأفلاك دورة العكس، ذاهبة بنيرا ا إلى عوالم غير عالمنا هذا، فولى معه آلهة الخير أجمعين وتمحصت السلطة لآلهة الشر فقلبوا الطباع، وبدلوا الخلق، وغيروا خلق الله، وكانوا على ذلك قادرين.

---

(1) بعيدة.

(2) البارح: من الطير من يمر من اليمين إلى الشمال والعرب تتشاءم به؛ وذلك أنه كان من عادا م إذا أراودا أمرا عمدوا إلى الطير فأطاروها فإن طارت شمالاً يتشاءمون ويرجعون وتسمى بارحات وإن طارت يمينا تفاءلوا باليمين ومضوا في أمرهم وتسمى سانحات.

(3) الأسر: هو القبض على الرجل وأخذه أسيرا.

(4) وسط دائر ا.

(5) الدائرة المحيطة بالكرة الأرضية.

(6) الشمالي والجنوبي وهما طرفا محور الأرض والمحور هو القطر الوهمي الذي تدور عليه الأرض.

(7) الإنس والجن.

(8) أدبرت.

رأيت نفسي اليوم في مهمة[١] لا يأتي البصر على أطرافه، في ليلة داجية[٢] غطي فيها وجه السماء بغمام سوء فتكاثف[٣] ركاما ركاما[٤] لا أرى إنسانا ولا أسمع ناطقًا! ولا أتوهم مجيبا، أسمع ذئابا تعوي وسباعا تزأر[٥] وكلابا تنبح![٦] كلها يطلب فريسة واحدة، هي ذات الكاتب، والتف على رجلي تنينان[٧] عظيمان، وقد خويت[٨] بطون الكل، وتحكم فيها سلطان الجوع، ومن كانت هذه حاله، فهو لا ريب من الهالكين.

تقطع الأمل، وانفصمت[٩] عروة الرجاء، وانحلت الثقة بالأولياء، وضل الاعتقاد بالأصفياء، وبطل القول بإجابة الدعاء، وانفطر[١٠] من صدمة الباطل كبد السماء، وحقت على أهل الأرض لعنة الله والملائكة والأنبياء وجميع العالمين.

سقطت الهمم، وخربت الذمم، وغاض[١١] ماء الوفاء، وطمست معالم الحق، وحرفت الشرائع، وبدلت القوانين، ولم يبق إلا هوى يتحكم، وشهوات تقضي، وغيظ يحتدم[١٢] وخشونة تنفذ (تلك سنة القدر) والله لا يهدي كيد الخائنين.

ذهب ذوو السلطة في بحور الحوادث الماضية، يغوصون لطلب أصداف من الشبه، ومقذوفات من التهم، وسواقط من اللمم[١٣] ليموهوها[١٤] بمياه السفسطة ويغشوها بأغشية من معادن القوة، ليبرزوها في معرض السطوة ويغشوا ا أعين الناظرين، لا يطلبون ذلك

(1) مفازة واسعة.
(2) مظلمة.
(3) كثر وتراكم.
(4) السحاب المتراكم.
(5) بفتح عينه أو بكسرها تصوت.
(6) بفتح عينه أو بكسرها تصوت.
(7) تثنية تنين وهو الحية العظيمة.
(8) خلت.
(9) انقطعت.
(10) انشق.
(11) ذهب.
(12) يتحرك ويشتد.
(13) المتقارب من الذنوب، واللمم أيضا طرف من الجنون.
(14) من التمويه وهو التلبيس.

لغامض يبينونه، أو لمستور يكشفونه، أو لحق خفي فيظهرونه، أو خرق بدا فيرقعونه، أو نظام فاسد فيصلحونه! كلأ، بل ليثبتوا أ م في حبس من حبسوا غير مخطئين، وقد وجدوا لذلك أعوانا من حلفاء الدناءة وأعداء المروءة، وفاسدي الأخلاق، وخبثاء الأعراق[١]، رضوا لأنفسهم قول الزور، وافتراء البهتان، واختلاق الإفك[٢]، وقد تقدموا إلى مجلس التحقيق بتقارير محشوة من الأباطيل ليكونوا ا علينا من الشاهدين.

كل ذلك لم تأخذني فيه دهشة، ولم تحل قلبي وحشة، بل أنا على أتم أوصافي التي تعلمها، غير مبال بما يصدر به الحكم أو يبرمه القضاء، عالمًا بأن كل ما يسوقه القدر، وما ساقه من البلاء فهو نتيجة ظلم لا شبهة للحق فيه، لأن الله تعالى يعلم كما أنت تعلم أنني بريء من كل ما رموني به ولو اطلعت عليه لوليت منه رعبا، وكنت من الضاحكين.

نعم خنقني الغم، وأحمي فؤادي الهم، وفارقني النوم ليلة كاملة عندما رأيت اسمك الكريم، واسم بقية الأبناء والإخوان، تنسب إليهم أعمال لم تكن، وأقوال لم تصدر عنهم، لقصد زجهم في المسجونين.

لكن اطمأن قلبي، وسكن جأشي[٣] عندما رأيت تواريخ التقارير متقادمة ومع ذلك لم يصلكم شرر الشرر فرجوت أن الحكومة لم ترد أن تفتح بابا لا يذر[٤] الإحياء ولا الميتين.

قدم فلان وفلان تقريرن، جعلا فيهما تبعات الحوادث الماضية على عنقي ولم يتركا شيئا من التخريف إلا قالاه، وذكرا أسماءكم في أمور أنتم جميعا أبعد الناس عنها، لكن لا حرج عليهما؛ فإني أراهما من ا انين؛ ولم أتعجب من هذين الشيخين إذ يعملان مثل ذلك الذنب القبيح، ويرتكبان هذا الجرم الشنيع! ولكن أخذني العجب (كل العجب غاية العجب بالغ ما شئت في عجبي) إذ أخبرني المدافع عني بتقرير قدمه فلان، الذي أرسلت إليه السلام، وأبلغته سروري عندما سمعت باستخدامه، وأنا في هذا الحبس رهين.

إلى هذا الوقت لم يصلني التقرير، ولكن سيصل إلي، إنما فيما بلغني أنه شهادة بأقبح شيء، لا يشهد به إلا عدو مبين.

---

(1) الأخلاق.

(2) الكذب.

(3) اضطراب القلب عن الفزع.

(4) لا يدع ولا يترك.

هذا اللئيم الذي كنت أظن أنه يألم لألمي، ويأخذه الأسف لحالي، ويبذل وسعه إن أمكنه في المدافعة عني! فكم قدمت له نفعا، ورفعت له ذكرا، وجعلت له منـزلة في قلوب الحاكمين! كم سمعني أقاوم هجاء الجرائد؟! وأوسع محرريها لوما وتقريعا؟ وأهزأ بتلك الحركات الجنونية، وكان هو علي في بعض أفكاري هذه من اللائمين! كان ينسب فلانا لسوء القصد اتباعا لرأي فلان، وأعارضه أشد المعارضة. ثم لم أنقض له عهدا ولم أبخس له ودا، وحقيقة كنت مسرورا لوجوده موظفًا فما باله أصبح من الناكثين؟!

آه ما أطيب هذا القلب الذي يملي هذه الأحرف! ما أشد حفظه للولاء، ما أغيره على حقوق الأولياء ما أثبته على الوفاء ما أرقه على الضعفاء ما أشد اهتمامه بشئون الأصدقاء ما أعظم أسفه لمصائب من بينهم وبينه أدنى مودة وإن كانوا فيها غير صادقين! ما أبعد هذا القلب من الإيذاء ولو للأعداء! ما أشده محافظة على العهد! ما أعظم حذره من كل ما توبخ عليه الذمم الطاهرة! ما أقواه على العمل الحق، والقول الحق لا يطلب عليه جزاء! وكم اهتم بمصالح قوم وكانوا عنها غافلين؟! هذا القلب الذي يؤلمونه بأكاذيبهم، هو الذي سر قلو م بالترقية، وملأها فرحا بالتقدم ولطف خواطرهم بحسن المعاملة وشرح صدورهم بلطيف ا املة ودافع عنهم أزمانا خصوصا هذا اللئيم!

أفنشرح الصدور وهم يحرجون؟ ونشفي القلوب وهم يؤلمون؟ ونفرحها وهم يحزنون؟ تالله قد أضلوا وما كانوا مهتدين. هذا القلب ذاب معظمه من الأسف على ما يلم بالهيئة العمومية من مصائب هذه التقلبات، وما ينشأ عنها من فساد الطباع الذي يجعل العموم في قلق مستديم وما بقي من هذا القلب فهو في خوف على من يعرفهم على عهد موته فإن تسللوا جميعا بمثل هذه الأعمال أصبحوا من مودته خالين. واتخذوه وقاية لهم من المضرة، وجعلوه ترسا يعرضونه لتلقي سهام النوائب التي يتوهمون تفويقها إليهم، كما اتخذوه قبل ذلك سهما يصيبون به أغراضهم فينالون منها حظوظهم - فقد أراحوا تلك البقية من الفكر فيهم، والله يتولى حسا م وهو أسرع الحاسبين.

آه - ما أظن أن تلك البقية تستريح من شاغل الفكر في شئون الأحبة وإن جاروا في تصرفهم.

إن طبيعة هذا القلب لطبيعة ناعم الخز إذا اتصل بذي الود (وإن كان خشنا) فصعب أن ينفصل ولو مزقته خشونته، وإن هذا القلب في علاقة مع الأوداء كالضياء مع الحرارة، أيما حاديث حديث، وأيما كيماوي يدقق، لا يجد للتحليل بينهما سبيلا. وأظنك في العلم بثبوت

تلك الطبيعة فيه كنت من المتحققين.

وكتب المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم[1] إلى أستاذنا الإمام الحكيم الشيخ محمد عبده:

كتابي إلى سيدي: وأنا من وعده بين الجنة والسلسبيل[٢]، ومن تيهي[٣] به فوق النثرة[٤] والإكليل[٥] وقد تعجلت السرور، وتسلقت الحبور[٦] وقطعت بيني وبين النوائب.

وبشرت أهلي بالذي قد سمعتــه   فما محنتي[٧] إلا ليــالٍ قلائــل

وقلت لهم للشيخ فينــا مشــيئة   فليس لنا من دهرنا ما نــنـازلُ[٨]

وجمعت فيه بين ثقة الزبيدي[٩] بالصمصامة[١٠]، والحارث بالنعامة[١١]، فلم أقل فيه ما قال الهذلي[١٢] لصاحبه، حين نسي وعده[١٣] وحجب رفده[١٤]: (يا دار عاتكة التي أتغزل) بل أناديه نداء الأخيذة[١٥] في عمورية[١٦] شجاع الدولة العباسية، وأمد صوتي بذكر

(1) يشكو إليه حاله وهو ضابط بالسودان.

(2) عين في الجنة وهو الشراب السهل في الحلق.

(3) عجبي.

(4) كوكبان متقاربان بينهما قدر شبر وفيهما لطخ بياض كأنه قطعة سحاب.

(5) من منازل القمر أربعة أنجم مصطفة.

(6) الفرح ومعنى تسلق تسور أي أتى الفرح من غير بابه ويروى تسلفت بالفاء.

(7) محنتي: بليتي.

(8) نضارب لأن الشيخ كفانا صدمات الدهر.

(9) أبو ربيعة عمرو بن معدي كرب ينتهي نسبه إلى قطحان صحابي من شجعان الجاهلية والإسلام وزبيدي نسبة إلى زبيد بضم الزاي قوم من اليمن.

(10) اسم سيف عمرو.

(11) اسم فرس للحارث بن عباد البكري شيخ من العرب.

(12) نديم الخليفة أبي جعفر المنصوري العباسي كان لا يكلم الخليفة إلا جوابا.

(13) وعده ولم يوف ولما مرا على دار عاتكة بنت عوف قال الهذلي هذه دار عاتكة التي قال فيها الشاعر - يا دار عاتكة إلخ فعجب الخليفة كيف بدأه بالكلام على غيره عادة ثم نظر الملك في قصيدة الشاعر فوجد فيها (وأراك تفعل ما تقول) فتذكر الخليفة الوعد.

(14) عطاء.

(15) الأسيرة ويريد ا امرأة من بني هاشم أسرها الروم فنادت وامعتصماه تعني المعتصم من خلفاء بني العباس فوصل الخبر إلى المعتصم فقال: لبيك! لبيك! وهم فحار م وخلصها.

(16) بلدة من بلاد الروم.

إحسانه، مد المؤذن صوته في أذانه وأعتمد عليه في البعد والقرب، اعتماد الملاح[١] على نجمه القطب[٢].

وقال أصيحابي هالني النوى[٣] **وهالهم أمري متى أنت قافل[٤]**
فقلت إذا شاء الإمام فأوبتي[٥] **قريب وربعي[٦] بالسعادة آهل**

وها أنا متماسك حتى تنحسر[٧] هذه الغمرة[٨] وينطوي أجل تلك الفترة[٩] وينظر إلي سيدي نظرة ترفعني من ذات[١٠] الصدع[١١] إلى ذات[١٢] الرجع[١٣] وتردني إلى وكري[١٤] الذي فيه درجت[١٥]، رد الشمس قطرة المزن[١٦] إلى أصلها، ورد الوفي الأمانة إلى أهلها:

فإن شاء فالقُرب الذي قد رجوته **وإن شاءَ فالعز الذي أنا آهل**

---

(1) صاحب السفينة.
(2) كوكب في السماء تدور عليه الكواكب وهو ثابت مكانه ينظر إليه صاحب السفينة فيعرف الجهة التي هو قاصدها.
(3) البعد.
(4) راجع.
(5) رجعتي.
(6) داري.
(7) تنكشف.
(8) الشدة.
(9) يريد المدة بينهما.
(10) الأرض.
(11) الشق.
(12) السماء.
(13) صوت الرعد.
(14) يريد وطنه وأصله عش الطائر.
(15) مشيت.
(16) المطر.

وإلا فـإني فـاف رؤبـة[١] لم أزل بقيد النوى حتى تغـول الغوائـلُ

فقد حللت السودان حلول الكليم[٢] في التابوت[٣]، والمغاضب[٤] في جوف الحوت، بين الضيق والشدة، والوحشة والوحدة، لا بل حلول الوزير[٥] في تنور العذاب، والكافر في موقف الحساب، بين نارين: نار القيظ[٦] ونار الغيظ:

فناديت باسم الشيخ والقيظ جمـرةٌ تذيب دماغ الضب والعقل ذاهـل

فصِرت كأني بـين روض ومنـهل تهب الصبا فيه وتشـدو البلابـل

واليوم أكتب إليه وقد قعدت همة النجمين، وقصرت يدا الجديدين[٧] عن إزالة ما في نفس ذلك الجبار العنيد، فلقد نمى ضب[٨] ضغنه[٩] علي، وبدرت[١٠] بوادر[١١] السوء منه إلي، فأصبحت كما سر العدو وساء الحميم[١٢] وآلامي كأ ا جلود أهل الجحيم، كلما نضج منها أديم تجدد أديم[١٣] وأمسيت وملك آمالي إلى الزوال، أسرع من أثر الشهاب في السماء، ودولة صبري إلى الاضمحلال، أحث[١٤] من حباب[١٥] الماء، فنظرت في وجوه تلك العباد، وإني لفارس العين والفؤاد، فلم تقف فراستي على غير بابك.

---

(1) رجل من العرب كان أكثر روي أراجيزه على القاف الساكنة.
(2) سيدنا موسى عليه السلام.
(3) الذي وضعته أمه فيه وألقته في البحر.
(4) سيدنا يونس بن متى عليه السلام.
(5) محمد الزيات وزير الخليفة مروان الحمار أدخله تنور العذاب الذي اصطنعه لتعذيب من يأمر بتعذيبه.
(6) شدة الحر.
(7) الليل والنهار.
(8) بكسر الضاد الغيظ.
(9) حقده.
(10) أسرعت.
(11) جمع بادرة الحدة عند الغضب.
(12) القريب الذي يهتم لأمره.
(13) الجلد.
(14) أسرع.
(15) ما يرى على وجه الماء من الفقاقيع.

وإني أهديك سلاما لو امتزج بالسحاب، واختلط منه باللعاب، لأصبحت تتهادى[١] بقطره الأكاسرة[٢] وأمست تدخر معه الرهبان في الأديرة، ولأغني ذات الحجاب، عن الغالية[٣] والملاب[٤].

ولا بدع إذا جاد السيد بالرد، فقد يرى وجه المليك في المرآة، وخيال القمر في الإضاءة، وإن حال حائل، دون أمنية هذا السائل، فهو لا يذم يومك، ولا ييأس من غدك، فأنت خير ما تكون حين لا تظن نفس بنفس خيرا، والسلام.

(1) تجعله هدية.
(2) الملوك.
(3) الطيب.
(4) الزعفران.

الفصل السابع في رسائل العيادة

كتب ابن الرومي المتوفى سنة ٢٨٤هـ إلى بعضهم:

أذن الله في شفائك، وتلقى داءك بدوائك، ومسح بيد العافية عليك، ووجه وفد السلامة إليك، وجعل علتك ماحية لذنوبك مضاعفة لثوابك.

وكتب أبو بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣هـ:

وصل كتابك يا سيدي، فسرني نظري إليه ثم غمني اطلاعي عليه، لما تضمنه من ذكر علتك، جعل الله أولها كفارة، وآخرها عافيةً، ولا أعدمك على الأولى أجرا، وعلى الأخرى شكرا.

وبودي لو قرب علي متناول عيادتك، فاحتملت عنك العهد والمساعدة بعض أعباء[1] علتك، فلقد خصني من هذه العلة قسم كقسمك، ومرض قلبي فيك لمرض جسمك، وأظن أني لو لقيتك عليلاً، لانصرفت عنك، وأنا أعل منك فإني بحمد الله جلد[2] على أوجاع أعضائي، غير جلد على أوجاع أصدقائي - شفاك الله وعافاك.

(1) جمع عبء.
(2) شديد.

الفصل الثامن في رسائل التهاني

كتب في التهنئة بميلاد الأولاد أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ :

أهلا وسهلا بعقيلة[١] النساء، وأم الأبناء، وجالبة الأصهار، والأولاد الأطهار:

ولو كان النسـاءُ كمثـل هـذي لفضلت النساءُ علـى الرجـال

فما التأنيث لاسم الشمس عيـب ولا التـذكير فخـر للـهلال

والله يعرفك البركة في مطلعها، والسعادة بموقعها، فالدنيا مؤنثة، والناس يخدمو ا، والذكور يعبدو ا، والأرض مؤنثة، ومنها خلقت البرية، وفيها كثرت الذرية، والسماء مؤنثة، وقد زينت بالكواكب، وحليت بالنجوم الثواقب[٢] والنفس مؤنثة، وهي قوام الأبدان، وملاك الحيوان، والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الأجسام ولا تحرك الأنام، والجنة مؤنثة، و ا وعد المتقون وفيها تنعم المرسلون فهنيئًا هنيئًا ما أوليت وأوزعك[٣] الله شكر ما أعطيت، وأطال بقاءك ما عرف النسل وبقي الأبد.

وكتب بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨هـ إلى الداوردي يهنئه بمولود:

حقا لقد أنجز الإقبال وعده، ووافق الطالع سعده، وإن الشأن لفيما بعده. وحبذا الأصل وفرعه، وبورك الغيث وصوبه[٤] وأينع الروض ونوره[٥]، وحبذا سماءٌ أطلعت فرقدا، وغابة[٦] أبرزت أسدا، وظهر وافق سندا، وذكر يبقى أبدا، ومجد يسمى ولدا، وشرف لحمة وسدى[٧].

أنجب[٨] كل مـن والديـه بـه إذا نجـلاه فـنعم مـا نجـلا

فألفياه[٩] شهاب ذكاء، وبدر علاء.

ووجـداه ابن جـــلا[١] أبيض[٢] يدعى الجفلى[٣]

(1) كريمتهن.

(2) المضيئات.

(3) أقدرك.

(4) مطرد وهنا كناية عن الولد.

(5) زهرة الشجر وهو كناية عن الولد أيضا.

(6) موضع الأسد الذي يألفه والمراد أصوله.

(7) كلاهما من لحمة الثوب وسداه وهو كناية عن الصرف وظاهرا وباطنا.

(8) ولداه كريما.

(9) وجداه.

لمثلــــه أولى فــــلا   إذا النــدى(٤) احــتفلا

وكتب في التهنئة بالقدوم أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ :

أهنئ سيدي، ونفسي تطيب بما يسر الله من قدومه سالماً، وأشكر الله على ذلك شكرا دائما، جعل الله قدومك مقرونا بالخيرة التامة العامة، والكفاية الشاملة الكاملة.

غيبة المكارم مقرونة بغيبتك، وأوبة النعم موصولة بأوبتك، فوصل الله قدومك من الكرامة، بأضعاف ما قرن به مسيرك من السلامة، وهناك بإيابك، وبلغك غاية محابك، ما زلت بالنية معك مسافرا، وباتصال الذكر والفكر ملاقيا إلى أن شمل سروري بأوبتك، وسكن نافر قلبي بعودتك.

وكتب أيضا في التهنئة برمضان:

ساق الله إليك سعادة إهلاله، وعرفك بركة كماله، لقاك فيه ما ترجوه ورقاك إلى ما تحب في ما تتلوه، جعل الله ما يطول من هذا الصوم مقرونا بأفضل القبول، مؤذنا بدرك البغية ونجح المأمول. ولا أخلاك من بر مرفوع، ودعاء مسموع، قابل الله بالقبول صيامك، وبعظيم المثوبة جدك وقيامك، أعاد الله إلى مولاي أمثاله، وتقبل فيه أعماله، وأصح في الدين والدنيا أحواله وبلغه منها آماله. أسعد الله مولاي ذا الشهر، ووفاه فيه أجزل المثوبة والأجر.

وكتب أبو الفرج الببغاء المتوفى سنة ٣٩٨هـ نئة:

سيدي - أيده الله! - أرفع قدرا، وأنبه ذكرا، وأعظم نبلا، وأشهر فضلا - من أن نئه بولاية، وإن جل خطرها، وعظم قدرها، لأن الواجب نئة الأعمال بفائض عدله، والرعية بمحمود فعله، والأقاليم بآثار رياسته، والولايات بسمات سياسته، فعرفه الله يمن ما تولاه ورعاه في سائر ما استرعاه، ولا أخلاه من التوفيق فيما يعانيه، والتسديد فيما يبرمه ويمضيه.

وكتب أستاذنا المرحوم الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٥هـ :

=

(1) واضح الأمر.

(2) نقي العرض شريفا.

(3) دعاهم بجماعتهم وعامتهم.

(4) مكان اجتماع الناس والاحتفال هو التجمع: أي، لمثله نصوغ التهاني أولى فلا يحسن أن تصاغ لغيره:

بشرى فقد أنجز الإقبال مـا وعـدا   وكوكب ا د في أفق العـلا صـعدا

أي جهابذة[١] الكنانة[٢] نبال الجنانة[٣] مياه الإجانة[٤] أبناء تلك اللغى، صناديد هذه الوغى، إليكم يساق الحديث، في القديم والحديث، عن هذا النبأ العظيم، وا د الصميم، ما لي أرى في لغتنا الشريفة (ويعلم أولو النهى أية من اللغات أحق ذا النبر[٥] أن يصرف إليها عند الإطلاق) هبوبا غب خمول، وترة[٦] بعد نحول، ونورا عقيب أفول، ونورا إثر ذبول، وصبا وراء قبول، وعدلا ولا حيف[٧] وقوة ولا ضعف، وما يشاء المطري[٨] في هذا القبيل من العطف آمنت بالقدر المقدور، والبعث والنشور، كذلك يحيي الله الموتى.

أليس رجل واحد أسفرت[٩] عنه عناية التوفيق، فألقت إليه المقاليد[١٠] بلى[١١] ولكنه الواحد الذي يقول في مثله صاحب بني ميكال:

والناس ألـف منـهم كواحـد وواحد كـالألف إن أمـر[١٢]

إي[١٣] ورب تلك البنية[١٤]، بارئ[١٥] نسم البرية، إنه لرجل البلاد رجل الحزم والسداد: ألم نر جنانه[١٦]، وحنانه، وبنانه[١٧] وبيانه، عوامل لهذه اللغة: لغة الفرقان[١٨]، لغة الأوطان! لا - بل أمضى من العوامل حتى ظلت (آدا ا) فرائض، وقد كانت وما بالعهد من

(1) الحذاق ذوو النقد.
(2) ما يوضع فيها السهام والمراد أ م نقادون للمسائل.
(3) بضم الجيم الترس التي يتقي ا.
(4) الإجانة بالكسر: إناء تغلي فيه الثياب وما حول الغراس شبه الأحواض والجمع أجاجين.
(5) اللقب الرفيع.
(6) امتلاء الجسم بالسمن.
(7) الظلم والجور.
(8) المدح.
(9) ظهرت.
(10) المفاتيح.
(11) حرف جواب تثبت المنفي.
(12) أهم الناس وأقلهم.
(13) حرف جواب مثل نعم.
(14) بفتح الباء وزن غنية الكعبة.
(15) خالق.
(16) قلبه.
(17) أنامله: أصابعه.
(18) لغة القرآن الكريم.

قدم (نوافل) وما حليها أجياد[١] اللهجات عواطل، اللهم إلا بقية ثمد، قد منيت[٢] صحفها الأود[٣]، ففقدت الجلد والجلد[٤] وبعد أن راج سوق الرطانة[٥] ونضب[٦] ماء الإبانة، وخبت[٧] أنوار البلاغة، وذوت[٨] أنوار[٩] النباغة، وكسد البيان، وقوض[١٠] منه البنيان، وأصبحت العربية لقي[١١] ملقاة، وبضاعة مزجاة[١٢] فأي هذا اليراع[١٣] لا أقل من نفثات في صوغ كليمات تقدر هذه النعمة قدرها، وتمنحها[١٤] شكرها.

ويحك![١٥] هب[١٦] من سنتك[١٧]، في حلية مقتك[١٨]، وانض[١٩] حسامك[٢٠]، واشحذ كهامك[٢١]، وانثل[١] كنانتك[٢]، واعمل بنانتك[٣] وصغ إن استطعت انئ غرا،

---

(1) الأعناق.

(2) اختبرت.

(3) الأود: الكد والتعب ومراده اعتى الناس ا لا عن بذل جهد.

(4) القوة.

(5) كل لسان يخالف العربية.

(6) غار وذهب.

(7) خفيت.

(8) ذبلت.

(9) جمع نور بالفتح الزهر.

(10) نقض.

(11) بالقصر مطروحة.

(12) قليلة.

(13) القلم.

(14) تعطيها.

(15) كلمة رحمة.

(16) استيقظ.

(17) نومك.

(18) محبتك.

(19) سله من غمده.

(20) السيف القاطع.

(21) شحذه حده، والكهام بفتح الكاف السيف الكليل.

بل عقودا درا، بل أنجما زهرا، مشتارا[٤] من خلايا ذلك الأري[٥] الشهي[٦] الندي الذكي، ما جرست[٧] نحله الشيح[٨] والخزامي[٩] وأطايب الثمار، وأزاهي الأزهار ـدين أولئك المصاقع[١٠] شكرانا لتلك النعم، تجميعاً لشواردها وتقييدا لأوابدها[١١].

كما شبهها رسول الله ج وهو الصادق المصدوق، وإشفاقًا عليها من الجماح[١٢]، بعد ذلك من الارتياح.

فإليكم بني هذه اللغة (كتابي هذا) ـنئة بتلك النهضة العربية في إبان -كما تعلمون- وجهه مكفهر[١٣] وبدنه مقشعر، وثناء على العناية (التوفيقية) والعزمة (الرياضية).

على أن لهذا المولى الوزير سوى ذلك، أيادي[١٤] مبرورة، ومساعي مشكورة أكسبت الوطن وأهليه ـضات، وأقالته كثيرا من العثرات - لكنني آثرت[١٥] تلكم النهضة العربية بتهنئتكم ـا. أي بني جلدتي[١٦]. وأخوان حرفتي لكو ا فيما إخال، لا، بل فيما أتيقن ويتيقن أولو الحجا[١٧] أعظم النهضات وأيمن[١] ما اجتازه[٢] الوطن من العقبات، ولو كان في نطاق

=

(1) استخرج ما فيها من النبال.

(2) الجراب الذي توضع فيه النبال والسهام.

(3) أصبعك.

(4) كثير الشرى.

(5) العسل.

(6) ما يشتهي.

(7) أكلت وأصله جرس الشيء جرسا لحسه بلسانه.

(8) نبت طيب الرائحة.

(9) بضم الخاء نبت زهرة أطيب الأزهار.

(10) جمع مصقع البليغ.

(11) لغرائبها.

(12) الذهاب بسرعة.

(13) متعبس.

(14) نعما من ذلك الوزير الخطير مصطفى باشا رياض المتوفى سنة ١٣٣١هـ.

(15) اخترت.

(16) بني عشيرتي.

(17) العقل.

نطاق الإمكان زيادة البيان، في هذا الشأن، لأسهبت[٣] وأوسعت، وأطريت[٤] وأطنبت، ولو لم يكن في تلك النهضة إلا أن حياه الأمة حياة لغتها فحسب لكفاك، وشفاك، وأغناك، وكان ذلك قصاراك[٥] وحماداك[٦].

وكتب المرحوم الأستاذ محمود بك أبو النصر:

إنسان عين الفضائل، عزيزي فلان المحترم:

نور على نور، وشفاء لما في الصدور شفاؤك أيها العزيز من ذلك الرمد. قد أنجز الإقبال ما وعد، وابتهجت النفوس وتزينت الطروس واهتزت الأقلام وأعلنت بالسلام.

ولاح فجـر التـهاني بالبشـائر إذ   حيت فأحيت ربوع الفضـل والأدب

وكيف لا! وأنت واحد الكتاب وإنسان عين الآداب! رمدت فرمدت وشفيت فاهتزت وربت. وقد كان طرفها كليلاً، وفؤادها عليلاً واليوم زال العناء، وحق الهناء ووافى الشفاء، فكان بردا وسلاما على القلوب وقميص يوسف في أجفان يعقوب:

فلك الهنـاءة بصـحة ميمونـة   أبدا على مـر الـدهور تـدوم

وإن الله ما قضى بما قد مضى، إلا ليعرف سيدي مكانته من القلوب ومنـزلته من الفضل. وهذه حلل العافية قد خلعت عليك، وثياب السلامة سبقت إليك فوافى السرور، وعم الحبور. والله يبلغك بالصحة والأعمال، منتهى الآمال والسلام.

وكتب الوزير المرحوم عبد الله باشا فكري المتوفى سنة ١٣٠٨هـ في تهنئة العيد:

هذا يوم نشر البشر فيه أعلامه، وإضاءت الدنيا وازدانت الآفاق، ببهجة هذا العيد السعيد، وأخذ الأحبة يتهادون رسائل البشائر فيما بينهم، وكل حزب فرحون بما لديهم، بما أودع فيهم من روابط المحبة وعوامل الاتحاد السارية في النفوس؛ أما أنا فعيدي، و بهجة نفسي، وسرور فؤادي دوام إقبال الزمان عليك بوجه النصر وعود أعياد السرور على جنابك

=

(1) أكثر بركة.
(2) سلكه.
(3) لأكثرت الكلام.
(4) مدحت.
(5) مبلغ جهدك وغايتك.
(6) غاية ما تحمد عليه.

الرفيع. فمثلك تشرق الدنيا بطلعته، وتفرح الأعياد برؤيته:

وأرى الحيــاة لذيــذةً بحياتــه وأرى الوجود مشرقًا بوجــودِهِ

لو أنني خيرت من دهري المــنى لاخترت طول بقائه وخلودِهِ[1]

أعاد الله عليك أيها الأخ أمثاله وأمثال أمثاله في صفاء وهناء.

(1) البيتان محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني، شمس الدين، المعروف بالشاب الظريف (٦٦١ -٦٨٨ هـ/ ١٢٦٣- ١٢٨٩ م) شاعر مترقق، ولد بالقاهرة، والبيتان من قصيدته التي مطلعها:

أأخاف صرف الدهرِ أم حدثَانِهِ والدهرِ للْمنصورِ بعض عِبيدِهِ.

الفصل التاسع في رسائل التعازي والتأبين

كتب أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ :

خبر عز علي مستمعه، وأثر في قلبي موقعه. خبر تستاء[١] له المسامع وترتج منه الأضالع، خبر يهد الرواسي[٢] ويقلق الحجر القاسي. كادت له القلوب تطير، والعقول تطيش، والنفوس تطيح[٣]. خبر يشيب الوليد، ويذيب الحديد، قد كاد من الحزن أن تنقبض الألسن عن هذا النعي الفادح[٤] وتخرس، وتقصر الأيدي عن التعزية ذا الرزء الفادح[٥] وتيبس.

وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨هـ :

إذا ما الدهر جر على أناس مصائبه أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

أحن ما في الدهر عمومه بالنوائب، وخصوصه بالرغائب، فهو يدعو الجفلى[٦] إذا ساء، ويخص بالنعمة إذا شاء. فليفكر الشامت: فإن كان أفلت[٧] له أن يشمت. ولينظر الإنسان في الدهر وصروفه، والموت وصنوفه، من فاتحة أمره إلى خاتمة عمره، هل يجد لنفسه أثرا في نفسه؟ أو لتدبيره عونا على تصويره؟ أم لعمله تقديما لأمله؟ أم لحيله تأخيرا لأجله؟ كلا. بل هو العبد لم يكن شيئًا مذكورا، خلق مقهورا، فهو يحيا جبرا، ويهلك صبرا، وليتأمل المرء كيف كان قبلا؟! فإن كان العدم أصلا، والوجود فضلا، فليعلم الموت عدلا.

والموت -أطال الله بقاء مولاي- خطب قد عظم حتى هان، وأمر قد خشن حتى لان، ولعل هذا السهم قد صار آخر ما في كنانتها[٨] وأزكى[٩] ما في خزانتها، ونحن معاشر التبع

---

(1) تتألم وتتأثر من أجله.

(2) الجبال.

(3) لك.

(4) الذي يثقل الناس ويهمهم.

(5) المصيبة.

(6) يدعو الناس بعامتهم وجماعتهم.

(7) أطلق وخلص وسلم من نوائب الدهر.

(8) الجراب الذي توضع فيه السهام.

(9) أطهر وأنفس لأنه لا يحرز إلا ما كان نفيسا.

نتعلم الأدب من أقواله، والجميل من أفعاله، فلا نحثه على الجميل وهو الصبر، ولا نرغبه في الجزيل وهو الأجر، فلير فيهما رأيه.

وكتب أيضا:

يا سيدي، المصاب لعمر الله كبير، وأنت بالجزع جدير، ولكنك بالصبر أجدر. والعزاء على الأعزة رشد كأنه الغي، وقد مات الميت، فليحي الحي.

وكتب فقيد اللغة الشيخ إبراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٩٠٦م:

أشباح تروح وتجيء، وآجال تمسي وتغتدي، وأنفاس تتقطع من دو ا حزنا وأسفًا، وعبرات تتفطر وجدا ولهفًا، وما عمدت الأقدار إلى استنـزاف مدمع، ولا أرادت أيام إيلام موجع. إنما هي سنة الخلق: كون يليه زوال وعقد يسبقه انحلال، وإن لكل شيء أجلا موقوتا، وإن لكل أجل سببا مقدورا، وإن الإنسان لفي كل ذلك شاهد، يسمع لاهيا ويبصر ساهيا، وليس في ديه أن يسترد ماضيا، ولا أن يرد آتيا. ولقد وددت أن أعزيك، لولا ما يغالبني على العزاء من كبد حرى، ومقلةٍ شكرى، وزفرة تترى. ثم وددت أن أستبكيك، لولا أني بكيت حتى لم أدع في البكاء من واد وأحييت ليالي بالنوح حتى ألم بي ما بالنجم من سهاد، لم لم يزدني البكاء على سقم جسدي، ولم يزدني النوح على صفر يدي إلا من كبدي، وإن الأقدار سهام إذا انطلقت لم ترد، وإن المتطلع إلى الفائت لطويل شقة الكمد، وإن الخطوب لهي هي وإنما تتفاوت عند الجلد:

وإن الحصى عند الجزوع ثقيلة ... وضخم الصفا عند الصبور خفيـف

والله المسئول في إطالة بقائك قرة للعيون، وجبرا لخاطر المحزون بمنه وكرمه.

تأبين الأحنف[١] بن قيس:

مات الأحنف بن قيس بالكوفة فمشى مصعب بن الزبير في جنازته بغير رداء[٢] وقال قوم: مات سيد العرب. فلما دفن قامت امرأة على قبره فقالت: لله درك[٣] من مجن[٤] في

(1) اسمه الضحاك وكان سيد تميم في عهده معروفًا بالعقل والدهاء والعلم والحلم إلى ثبات جنان وحسن بيان. وحياته مملوءة بجلائل الأعمال وكريم الفعال توفي سنة ٦٧هـ.

(2) كانت عاد م في جنائز العظماء.

(3) الدر: اللبن والعمل، ولله درك: كلمة تعجب.

(4) أجنه: ستره والجنن: القبر ومن بدائع العربية أن مادة (ج ن ن) تدل على الستر كالجن والجنون والجنة وا ن والجنان والجنين.

جنن ومدرج في كفن، فنسأل الذي فجعنا بموتك وابتلانا بفقدك أن يجعل سبيل الخير سبيلك، ودليل الرشد دليلك، وأن يوسع لك في قبرك، ويغفر لك يوم حشرك، فوالله لقد كنت في المحافل شريفًا، وعلى الأرامل عطوفًا، ولقد كنت في الحي مسودا، وإلى الخليفة موفدا. ولقد كانوا لقولك مستمعين، ولرأيك متبعين.

ثم أقبلت على الناس فقالت: ألا إن أولياء الله في بلاده، شهود عباده، وإني لقائلة حقا، ومثنية صدقًا، وهو أهل لحسن الثناء، وطيب البقاء، أما والذي كنت من أجله في عدة ومن الحياة إلى مدة، ومن المقدار إلى غاية، ومن الآثار إلى اية، الذي رفع عملك، لما قضى أجلك، لقد عشت حميدا مودودا، ومت سعيدا مفقودا[1]، ثم انصرفت وهي تقول:

لله درك يــــا أبــــا بحــــر	**ماذا تغيــب منــك في القــبر**
لله درك أي حشــــو ثــــرى	**أصبحت من عرف ومن نكــر**
إن كان دهر فيــك جــد لنــا	**حدثانه ووهت قوي الصــبر[2]**
فلكــم يــد أســديتها ويــد	**كانت تــرد جرائــر الــدهر**

ثم انصرفت فسئل عنها فإذا هي امرأته وابنة عمه[3] فقال الناس: ما سمعنا كلام امرأة قط أصدق ولا أبلغ منه.

تأبين الإسكندر:

لما جعل الإسكندر في تابوت من ذهب تقدم إليه أحد الحكماء فقال:

كان الملك يخبئ الذهب وقد صار الآن الذهب يخبؤه.

وتقدم إليه آخر والناس يبكون ويجزعون فقال: حركنا بسكونه.

وتقدم إليه آخر فقال: كان الملك يعظنا في حياته وهو اليوم أوعظ منه أمس[4] وتقدم إليه آخر فقال: قد طاف الأرضين وتملكها ثم جعل منها في أربعة أذرع. ووقف عليه آخر فقال: انظر إلى حلم النائم كيف انقضى، وإلى ظل الغمام وقد انجلى. ووقف عليه آخر

---

(1) يقولون مات فلان غير حميد ولا فقيد أي غير مكترث لفقدانه فقولها: مفقودا تريد يحزن الناس فقدك.

(2) حدثان الدهر: نوائبه.

(3) ذكر صاحب بليغات النساء أن اسمها صفية بنت هشام المنقروية.

(4) أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال:

وكانــت في حياتــك لي عظــات	**وأنت اليــوم أوعــظ منــك حيــا**

فقال: ما لك لا تقل عضوا من أعضائك وقد كنت تستقل ملك العباد؟

وقال آخر: مالك لاترغب بنفسك عن ضيق المكان وقد كنت ترغب ا عن رحب البلاد؟

الفصل العاشر في رسائل الأجوبة

كتب المرحوم عبد الله باشا فكري المتوفى سنة ١٣٠٧هـ:

سيدي سلمك الله وحياك وأسعدني برؤية حمياك، وزاد عزك وعلياك وحرس دينك ودنياك، وجمعني على بساط المسرة وإياك، ولا حرمني دوام لقياك، ولا برح الدهر مبتسم الثغر بمحاسن معاليك، مباهيا أعصار الأوائل بأيامك ولياليك، محليا أجياد المفاخر بزواهر لآليك - ورد علي كتابك الكريم مورد إعزاز وتكريم، فبل بعض ما في الجوانح من الصدى، وأنعشني ولا انتعاش الزهر بمباكرة الندى، وجلا علي من البلاغة روضا غضا، وأدار لدي صفوا من سلاف المحبة محضا؛ وهزني هزة النشوان شوقًا وطربا، واستفزني بمعجز آياته الحسان عجبا وعجبا ونثر علي من محاسن لفظ الحر وكلماتك الغر، ما يخجل الدراري ويفضح الدر.

كلام كسته بهجة الحُسن رونقًا هو السحر لا بل جلّ قدرا عن السحر

وكتب أيضا وهو بالأستانة العلية في يوم برد كثير الأمطار:

كتبت إليك والأمطار ساجمة[1] بطلها[2] ووبلها[3]، وعساكر البرد والبرد هاجمة بخيلها ورجلها[4] والسماء متلفعة بأذيال السحاب، وكأن الشمس خافت من الطل فتوارت بالحجاب، والجو مسكي الرداء، عنبري الأرجاء، كأنه وعليه ثوب الغيم مزرور، قد وجل[5] من صولة البرد فلبس فروة السنور، والغمام قد أناخ على الأفق بكلاكله[6]، وهز من البرق بيض مناصله[7]، ونشر في الجو طرائق مطارفه[8]، وجاد على الأرض بتليده[9] وطارفه، وثقل على كاهل الهواء كالطير بل جناحه بالماء، وقرب حتى كاد يمسك باليدين ويعتصر بالراحتين

---

(1) سائلة.
(2) الندى.
(3) المطر الكثير.
(4) المشاة على أرجلهم.
(5) خلف.
(6) بجماعاته.
(7) سيوفه.
(8) ثياب من خز مربعة والمراد أنه كثر حتى غطى السماء.
(9) المال القديم والطارف ضده والمراد كثر عطره.

أو كأنه مرآة مذهبة تبدو وتخفى، أو جذوة[١] ملتهبة توقد وتطفي والرعد يهدد بزواجير زماجره السحائب فيبكيها، والطير يتلو سطور الندى في طروس الثرى[٢] فيمليها، ويطرب بأفنان[٣] الألحان أفنان[٤] البان فيعليها ويثنيها، ويقرأ على رؤوس الأغصان أوراده الحسان فيقربها ويرقيها، وقوس السماء يرمي ام وبله[٥] جنوب الشقائق[٦] فيصميها[٧] ويدميها، والريح تمسح أخلاف[٨] الغمائم فتمريها[٩]، وترضع بدرها بنات النبات في جحور أراضيها فتربيها وتربيها، وترصع بدرها تيجان القضبان، وتارة تجعله عقودا في تراقيها[١٠]، أو دموعا في أماقيها، وكأن الحر خاف من بنادق البرد، ومدافع الرعد، ففر إلى مصر ونواحيها، وأصبح نزل من فيها لكرم أهليها، وكأن غيرها بخلت عليه فلم تقبله عندها ضيفًا، أو غلط الناس في حساب الفصول فظنوا شتاها صيفًا.

وكتب المرحوم حفني بك ناصف إلى المرحوم الشيخ على الليثي المتوفى سنة ١٣١٤هـ :

وصل يا مولاي إلى هذا الطرف، ما خصصت به العبد من الطرف (قفص) من عنب كاللؤلؤ في الصدف، تتألق عناقيده كأ ا من صناعة (النجف) ولعمر الحق إ ا تحفة من أحلى التحف لا يعثر على مثلها إلا بطريق الصدف فقابلناه لثما بالأفواه ورشفًا بالشفاه، واحتفينا[١١] بقدومه كل الاحتفاء، ولم نفرط في حبة عند اللقاء، بل حللنا له الحبى[١٢]، وقلنا له أهلاً وسهلاً ومرحبا وأوسعناه عضا ولثما، وتناولناه تجميشا[١٣] وضما، وحفظنا في

(1) بتثليث الجيم الجمرة.
(2) الأرض.
(3) جمع فنن الغصن.
(4) الأغصان الناعمة.
(5) المطر الكثير.
(6) شقائق النعمات نبت أحمر.
(7) ليرميها ومراده أنه يرميها بالمطر حتى تزهو فتحمر.
(8) جمع خلف بالكسر الضرع.
(9) مرى الناقة يمريها إذا مسح ضرعها لتدر اللبن.
(10) أعناقها.
(11) بالغنا في إكرامه وأظهرنا الفرح والسرور.
(12) الحبال.
(13) المغازلة والملاعبة.

صدورنا سره المكنون وطويناه في غضون[1] البطون، فطربت من تعاطيه الأرواح ولاغرو فهو أصل الراح[2]، وانتشينا[3] ولم نحمل وزرا، وثملنا[4] ولم نذق طعما مرا، فهو كبيان مهديه سحر ولكنه حلال، ولعب إلا أنه كمال، فإن أكسبت الشمول شار ا قوة في الجنان، ونفحت[5] ذائقها طلاقة في اللسان، فقد سرت في أجسامنا من حرارته شجاعة (ليثية) ودبت في كلامنا من مذاقته فصاحة (علوية) وخلصت إلينا منه فوائد لا يحيط ا العلم، ونجمت[6] عنه منافع ليس يصحبها إثم - فإن زعم الأولون أن في الخمر معنى ليس في العنب، فقد تغير الحال في هذه الهدية وانقلب، وانكشف للمتأخرين حقيقة الأمر، أن في العنب معنى ليس في الخمر. وكان الأحرى ذا العنب أن يناط[7] بالنحور أو تزين به الصدور، فما هو إلا اللؤلؤ، لكنه سلم من سجن البحار، وما هو إلا الدر، لكن ليس فيه صغار[8].

ومن كنت بحرا لـه يـا علـي لا يلقـط الـدر إلا كبـارا

وما ضره أن ضمه القفص حصة من الحصص، فإن كريم الطير يودع في الأقفاص، والقلب ليس له من حنايا الضلوع خلاص، فلا بدع أن تستقل في حباته حبات القلوب، ويستملح في جنب حلاوته رضاب[9] المحبوب، وكأن الثريا لما أخذت شكله فغر[10] الهلال فاه لعنقودها يريد أكله، فهو يطاردها في السماء ويأخذ عليها الطريق من الوراء، وهي تجري من الإمام مخافة الالتهام، هذا رد تشابه في الشكل، فيكف بالثريا، لو أشبهته حلاوة وريا[11] فلله تلك العناقيد ما أشد تألقها! وأصفى ماءها وأحسن رونقها! من كل عنقود، تخاله عمود الصبح أحاطت به الدراري، أو غصن البان تعلقت به القماري.

(1) طيات البطون.
(2) الخمرة.
(3) سكرنا.
(4) سكرنا أيضا.
(5) أعطت.
(6) أظهرت.
(7) يعلق.
(8) بضم الصاد: الصغيرة.
(9) ريقه.
(10) فتح.
(11) منظرا حسنا.

فسقى الغيث أرضا أنبتته، ولا ثل[1] الدهر عروشا حملته، وأرضا عرفتنا بأثمارها حلاوة الجنة، وأبرزت لنا لمحة من محاسنها المستكنة، وأنسانا عنبها ذكرى دمشق[2] وإزمير، وأنبأنا غارسها أن مصر خير مستقر، ولا ينبئك مثل خبير، وعروسا كالعروس، تتيه[3] في الحلي والملبوس، تحسدها ا ـرة[4] في السماء وتود لو تكون لها هذه البهجة والرواء[5]، لا زال مولاي يهدي ويهدي وصنائعه تعيد في ثنائه وتبدي.

وأجابه المرحوم الشيخ علي الليثي المتوفى سنة ١٣١٣هـ:

وبعد، فقد وصل كتاب القاضي الفاضل، وأرج الإرجاء بلطيف فواضله، وشريف الفضائل، وما كنت أظن أن يحصل من زبيبه خماره، حتى رأيت القاضي الفاضل سبكه في قوالب شتى وصاغه وأتى بم أدهش اللب من أساليب البلاغة فتارة عقدا على النحور، وتارة في ميادين الطلب تطارده البدور وآونة درا مكبرا، ومرة خمرا معنبرا، وساعة دوالي (نجفة) وساعة غصنا تعلق به الهزار[6] وألفه:

تكاثرت الظّباء علـى خِـراش فما يدري خراش مـا يصـيد

عجبا لك أيها الفاضل! هذا مع اشتغال بالك، وإقبالك على ما لديك من مراعاة عدلك واعتدالك! فكيف لو تفرغت لهذا الأمر؟! ولإراحة النفس، اعتصرت من العنقود قدحا من خمر، وامتطيت[7] طرف اليراع منتهجا مناهج الطرس، ودبجت[8] بياض صفحاته بمحاسن حلى النفس[9] فلله أنت من بليغ بلغ ما يريد، وقلد فرائد آدابه كل جيد! وأفاد السحر منثورا في فواصله، وأقام بعوامل أقلامه تثقيف عوامله! وأوجب علينا الشهادة له بالسبق، فأذعنا مسلمين والحق أحق - هذا، ولولا أن يقال فلان جفا، وما احتفل بكتاب

---

(1) لا هدم.
(2) عاصمة الشام سميت باسم بانيها دمشاق بن دمشاق بن كعنان.
(3) تتبختر.
(4) نجوم كثية لا تدرك بمجرد البصر وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء.
(5) بضم الراء حسن المنظر.
(6) بفتح الهاء طائر يقال له العندليب.
(7) علوت.
(8) نقشت.
(9) بكسر النون الحبر.

أخيه ولا احتفى[1]، وإن كان شيبـي يلزمني ذلك، كما أن شباب (البيك) يسلك به أقوم المسالك، لسترت عيبـي وما أشرت، ورأيت طيي خيرا لي ما نشرت، وجعلت كتاب سيدي في عنقي تميمة[2] وروحت النفس تيمنا[3] بمس آياته الكريمة، وقلت: كفاني ما أحاط بالعنق من قلائده، حيث العبد لا يبلغ في الفخامة كمال سيده:

وهبني قُلْت هذا الصـبح ليـلٌ أيعمى العالمون عـن الضـياءِ؟

لازالت برد الترسل بيننا مستمرة، ومدد التوصل على جناح التقرب مستقرة، ولا برح الجناب في كل بداية، يترقى كما يحب من غاية إلى غاية والسلام.

---

(1) ولا سأل.
(2) ما تكتب وتعلق في عنق الصبيان للحرز.
(3) تبركا.

الفصل الحادي عشر في رسائل الوصايا والشفاعات

من كلام النبي عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب في غزوة الفرس:

"إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرةٍ ولا قلة، وهو دين الله الذي أظهره وجنده الذي أعده وأمده، حتى بلغ ما بلغ، وطلع حيثما طلع، ونحن على موعد من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده، ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه، فإذا انقطع النظام تفرق الخرز وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا.

والعرب اليوم، وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام، عزيزون بالاجتماع، فكن قطبا، واستدر الرحى بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك.

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا يقولوا هذا أصل العرب، فإذا قطعتموه استرحتم؛ فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك، فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين فإن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره. وأما ما ذكرت من عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة."

ومن وصية له عليه الصلاة والسلام:

أما بعد؛ فقل جعل الله لي عليكم حقًا بولاية أمركم، ولكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم، فالحق أوسع الأشياء في التواصف، وأضيقها في التناصف لا يجري لأحد إلا جرى عليه، ولا يجري عليه إلا جرى له، ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه، لقدته على عباده، ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه، ولكنه جعل حقه على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه وتوسعا بما هو من المزيد أهله، ثم جعل الله سبحانه من حقوقه حقوقًا! افترضها لبعض الناس على بعض؛ فجعلها تتكافأ في وجوهها، ويوجب بعضها بعضا، ولا يستوجب بعضها إلا ببعض، وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق، حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها سبحانه لكل على كلٍ، فجعلها جمعا لألفتهم وعزا لدينهم، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية، فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها، عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل وجرت على أذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء

الدولة، ويئست مطامع الأعداء، وإذا غلبت الرعية واليها، وأجحف الوالي برعيته، اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور، وكثر الإدغال في الدين، وتركت محاج السنن، فعمل بالهوى وعطلت الأحكام وكثرت علل النفوس فلا يستوحش لعظيم حق عطل ولا لعظيم باطل فعل؛ فهنالك تذل الأبرار، وتعز الأشرار، وتعظم تبعات الله عند العباد فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه، فليس أحد وإن اشتد على رضاء الله حرصه، وطال على العمل اجتهاده، ببالغ حقيقة ما الله أهله من الطاعة، ولكن من واجب حقوق الله على عباده، النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحق بينهم وليس امرؤ وإن عظمت في الحق منـ ـزلته، وتقدمت في الدين فضيلته، بفوق أن يعان على ما حمله الله من حقه، ولا امرؤ وإن صغرته النفوس، واقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك، أو يعان عليه.

فأجابه عليه الصلاة والسلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر من الثناء ويذكر سمعه وطاعته، فقال عليه الصلاة والسلام: إن من حق من عظم جلال الله في نفسه، وجل موضعه من قلبه، أن يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه، وإن أحق من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف إحسانه إليه، فإنه لم تعظم نعمة الله على أحد إلا ازداد حق الله عليه عظما، وإن من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس، أن يظن م حب الفخر ويوضع أمرهم على الكبر، وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أني أحب الإطراء واستماع الثناء، ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أحب أن يقال ذلك لتركته انحطاطًا لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء، وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء، فلا تثنوا علي بجميل ثناء لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم من التقية في حقوق لم أفرغ من أدائها، وفرائض لابد من إمضائها، فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالا في حق قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي فإنه من استثقل الحق أن يقال له، أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل ما أثقل عليه، فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب رب غيره، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدي، وأعطانا البصيرة بعد العمي.

ومن وصية له عليه الصلاة والسلام وصى ا جيشا بعثه إلى العدو:

فإذا نزلتم بعدو، أو نزل بكم، فليكن معسكركم في قبيل الأشراف، وسفاح الجبال، أو

أثناء الأ ار، كيما يكون لكم ردءًا، ودونكم مردا، ولتكن مقالتكم من وجه واحد أو اثنين، واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال، ومناكب الهضاب، لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن. واعلموا أن مقدمة القوم عيو م وعيون المقدمة طلائعهم - وإياكم والتفرق، فإذا نزلتم فانزلوا جميعا، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا، وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة، ولا تذوقوا النوم إلا غرارا أو مضمضة.

ومن وصية له عليه الصلاة والسلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات:

انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلما، ولا تجتازن عليه كارها، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله. فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبيا م، ثم امض إليهم بالسكينة والوقاء، حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تخدج بالتحية لهم. ثم تقول: عباد الله، أرسلني إليكم ولي الله وخليفته، لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه؟ فإن قال قائل منهم: لا، فلا تراجعه. وإن أنعم لك منعم. فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده، أو تعسفه أو ترهقه. فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة. فإن كان له ماشية أو إبل، فلا تدخلها إلا بإذنه، فإن أكثرها له. فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه، ولا عنيف به، ولا تنفرن يمة، ولا تفزعنها، ولا تسوأن صاحبها فيها، واصدع المال صدعين ثم خيره، فإذا اختار فلا تتعرض لما اختاره، ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره، فإذا اختار فلا تتعرض لما اختار، ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره، فإذا اختار فلا تتعرض لما اختاره، فلا تزال بذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله فاقبض حق الله منه، فإن استقالك فأقله، ثم اخلطها ثم اصنع مثل الذي صنعت أولا حتى تأخذ حق الله في ماله، ولا تأخذن عودا ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار، ولا تأمنن عليها إلا من تثق بدينه رافقًا بمال المسلمين حتى يوصله إلى وليهم فيقسمه بينهم، ولا توكل ا إلا ناصحا شفيقًا وأمينا حفيظًا غير معنف ولا مجحف ولا مغلب ولا متعب، ثم احذر إلينا اجتمع عندك نصيره حيث أمر الله، فإذا أخذها أمينك، فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وبين فصيلها، ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بولدها، ولا يجهد ا ركوبا. وليعدل بين صواحبا ا في ذلك وبينها، وليرفه على اللاغب، وليستأن بالنقب والظالع وليوردها ما تمر به من الغدر، ولا يعدل ا عن نبت الأرض إلى جواد الطرق وليروحها في الساعات، وليمهلها عند النطاف والأعشاب حتى تأتينا بإذن الله بدنا منقيات، غير متبعات ولا مجهودات لنقسمها على كتاب الله وسنة بينه (صلى الله عليه وعلى آله) فإن

ذلك أعظم لأجرك، وأقر لرشدك إن شاء الله.

وقال عليه الصلاة والسلام وقد سمع رجلا يذم الدنيا:

أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها، المخدوع بأباطيلها، أتغتر بالدنيا ثم تذمها؟ أنت المتجرم عليها أم هي المتجرمة عليك؟ متى استهوتك؟ أم متى غرتك! أبمصارع آبائك من البلى، أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟ كم عللت بكفيك؟ وكم مرضت بيديك؟ تبغي لهم الشفاء، وتسوصف لهم الأطباء، لم ينفع أحدهما إشفاقك، ولم تسعفه بطلبتك، ولم تدفع عنه بقوتك وقد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك.

إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غني لمن تزود منها، ودار موعظة لمن اتعظ ا، مسجد أحباء الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها، ونادت بفراقها، ونعت نفسها، وأهلها فمثلت لهم ببلائها البلاء، وشوفتهم بسرورها إلى السرور، راحت بعافية، وابتكرت بفجيعة، ترغيبا وترهيبا، وتخويفًا وتحذيرا، فذمها رجال غداة الندامة، وحمدها آخرون يوم القيامة ذكر م الدنيا فتذكروا، وحدثتهم فصدقوا، ووعظتهم فاتعظوا.

عهد الإمام علي المتوفى سنة ٤٠هـ لمالك بن الحارث الأشتر النخعي، حين ولاه مصر وجباية خراجها وجهاد عدوها وإصلاح أهلها وعمارة بلادها:

اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل من كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك كما كنت تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسنة عباده، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك؛ وشح بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت، وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم واللطف م. ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإ م صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق. يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل ويؤتي على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك، مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك، وقد استكفاك أمرهم وابتلاك م، ولا تنصبن نفسك لحرب الله، فإنه لا قبل لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته، ولا تندمن على عفوٍ، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسر عن إلى بادرة

وجدت عنها مندوحة، ولا تقولن إني مؤمر آمر فأطاع، فإن ذلك إدغال في القلب، ومنهكة للدين، وتقرب من الغير، وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أ ة أو مخيلة، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فإن ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكف عنك من غربك، ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك، وإياك ومساماة الله في عظمته، والتشبه به في جبروته، فإن الله يذل كل جبار، ويهين كل مختال، أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إن لم تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان الله حربا عليه حتى ينـزع ويتوب، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم فإن الله سميع دعوة المظلومين، وهو للظالمين بالمرصاد وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضاء الرعية. فإن سخط العامة يجحف برضاء الخاصة وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضاء العامة، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة في البلاء، وأكره للأنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقل شكرا عند الإعطاء وأبطأ عذرا عند المنع، وأخف صبرا عند ملمات الدهر، من أهل الخاصة: وإنما عماد الدين، وجماع المسلمين، والعدة للأعداء، العامة من الأمة، فليكن صفوك لهم وميلك معهم، وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك، أطلبهم لمعايب الناس فإن في الناس عيوبا الوالي أحق من سر ا، فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك - أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنك سبب كل وتر، وتغاب عن كل ما لا يصح لك - ولا تعجلن إلى تصديق ساع، فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين - ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعيدك الفقر، ولا جبانا يضعفك عن الأمور، ولا حريصا يزين لك الشر بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى، يجمعها سوء الظن بالله: إن شر وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيرا ومن شركهم في الآثام، فلا يكونن لك بطانة، فإ م أعوان الآثمة، وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم، ممن لا يعاون ظالمًا على ظلمه أو آثمًا على إثمه، أولئك أخف عليك مؤونة وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفًا، وأقل لغيرك إلفًا، فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم لك بمر الحق وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه، واقعا

ذلك من هواك حيث وقع، والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على أن لا يطروك، ولا يبجحوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو، وتدني من العزة. ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنـزلة سواء، فإن في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريبا لأهل الإساءة على الإساءة وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه - واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن والٍ برعيته من إحسانه إليهم، وتخفيفه المؤونات عليهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم؛ فليكن منك في ذلك أمر يجمع لك حسن الظن برعتيك؛ فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلاً. وإن أحق من حسن به ظنك لمن حسن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به، لمن ساء بلاؤك عنده، ولا تنقض سنة صالحة عمل ا صدور هذه الأمة، واجتمعت ا الألفة، وصلحت عليها الرعية، ولا تحدثن سنة تضر بشيء مما مضى من تلك السنن، فيكون الأجر لمن سنها، والوزر عليك بما نقضت منها. وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك. واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكلاً قد سمى الله سهمه، ووضع على حده فريضة في كتابه، أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله عهدا منه عندنا محفوظًا، فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاة، وعز الدين، وسبل الأمن وليس تقوم الرعية إلا م، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله تعالى لهم من الخراج، الذي يقوون به في جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم - ثم لا قوام لهذين الصنفعين لا بالصنف الثالث من القضاة، والعمال، والكتاب، لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها، ولا قوام لهم جميعا إلا بالتجار، وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفو م من الترفق بأيديهم، وما لا يبلغ رفق غيرهم. ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم، وفي الله لكل سعة، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه. وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك، إلا بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزومه الحق والصبر عليه، فيما خف عليه أو ثقل، فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأطهرهم جيبا وأفضلهم حلما ممن يبطئ عن

الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء، ممن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف، ثم الصق بذوي المروآت والأحساب، وأهل البيوتات الصالحة، والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة، والسخاء والسماحة، فإ م جماع من الكرم، وشعب من العرف، ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمن في نفك شيء قويتهم به، ولا تحقرن لطفًا تتعاهدهم به وإن قل، فإنه داعية إلى بذل النصيحة لك، وحسن الظن بك، ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها، فإن لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به، وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه - وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهلهم حتى يكون همهم همًا واحدا في جهاد العدو فإن عطفك عليهم يعطف قلو م عليك، وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية، وإنه لا تظهر مود م إلا بسلامة صدورهم، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم، وقلة استثقال دولهم، وترك استبطاء انقطاع مد م، فأفسح في آمالهم، وواصل في حسن الثناء عليهم، تعديل ما أبلى ذوو البلاء منهم، فإن كثرة الذكر لحسن فعالهم ز الشجاع وتحرض الناكل إن شاء الله تعالى - ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى، وتضيفن بلاء امرئ إلى غيره، ولا تقصرن به دون غاية بلائه ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا ولا ضعة امرئ أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما، واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور، فقد قال سبحانه لقوم أحب إرشادهم **يا أيها الذِين آمنوا أطِيعوا الله وأطِيعوا الرسولَ وأولي الأمر مِنكُم فَإِنْ تنازعتم فِي شيءٍ فَردوه إِلى اللهِ والرسول** [النساء:٥٩] فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرد على الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر عن الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، أوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشيف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم، ممن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل. ثم أكثر تعاهد قضائه، وأفسح في البذل ما يزيح علته وتقل معه حاجته إلى الناس وأعطه من المنـزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك، لتأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك. فانظر في ذلك نظرا بليغا، فإن هذا الدين قد كان أسيرا في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا. ثم انظر في أمور

عمالك، فاستعملهم اختبارا، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإن ذلك جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام، فإ م أكرم أخلاقًا وأصح أعراضا، وأقل في المطامع إشراقًا، وأبلغ في عواقب الأمور نظرا: ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو خانوا أمانتك. ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم قدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية. وتحفظ من الأعوان فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت ا عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة. وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا م، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله - وليكن نظرك في عمارة الأرض، أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً، فإن شكوا ثقلا أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اعتمرها غرق، أو أجحف ا عطش، خفف عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلدك وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمدا فضل قو م بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم، والثقة منهم بما عود م من عدلك عليهم في رفقك م، فربما حدث من الأمور ما إذا عول فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به، فإن العمران يحتمل ما حملته: وإنما يأتي خراب الأرض من إعاوز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفاس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر، ثم انظر في حال كتابك فول على أمورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ ا عليك في خلاف لك بحضرة ملأ، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك، وإصدار جوابا ا على الصواب عنك فيما يأخذ لك ويعطي منك، ولا يضعف عقدا اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور، فإن الجاهل بقدر نفسه، يكون بقدر غيره أجهل. ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك، فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم، وليس وراء من النصيحة

والأمانة شيء، ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم في العامة أثرا، وأعرفهم بالأمانة وجها، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره. واجعل لرأس كلٍ من أمورك رأسا منهم لا يقهره كبيرها، ولا يتسلط عليه صغيرها، ومهما كان في كتابك من عيب تغابيت عنه ألزمته، ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص م خيرا المقيم منهم والمضطرب بماله، والمترفق ببدنه فإ م مواد المنافع، وأسباب المرافق وجلا ا من المباعد والمطارح، في برك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترئون عليها فإ م سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته. وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقًا فاحشا وشحا قبيحا، واحتكارا للمنافع، وتحكما في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة، وعيب على الولاة. فامنع من الأحتكار، فإن رسول الله ج منع منه، وليكن البيع بيعا سمحا، بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع. فمن قارف حكرةً بعد يك إياه فنكل به وعاقب في غير إسراف - ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين، والمحتاجين، وأهل البؤسى والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسما من بيت مالك، وقسما من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم، فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعر خدك لهم، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحتقره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم. ثم اعمل فيها بالإعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه، وتعهد أهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة ثقيل، والحق كله ثقيل، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم - واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك. وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك، حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع، فإني سمعت رسول الله ج يقول في غير موطنٍ: $**لن تقدس أمةٌ لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع**#.

ثم احتمل الخرق منهم والعي ونح عنهم الضيق والأنف، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته، وأعط ما أعطيت هنيئًا في إجمال وإعذار.

ثم أمور من أمورك لابد لك من مباشر ا، منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك مما تحرج به صدور أعوانك، وامض لكل يوم عمله، فإن لكل يوم ما فيه، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى أفضل تلك المواقيت، وأجزل تلك الأقسام، وإن كانت كلها لله إذا صلحت النية وسلمت منها الرعية، وليكن في خاصة ما تخلص لله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة، فأعط الله في بدنك، في ليلك و ارك، ووف ما تقربت به إلى الله سبحانه من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص بالغا من بدنك ما بلغ، وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرا ولا مضيعا. فإن في الناس من به العلة وله الحاجة؛ وقد سألت رسول الله ج حين وجهني إلى اليمن: كيف أصلي م؟ فقال: $**صل م كصلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيما**#.

أما بعد - فلا تطولن احتجابك عن رعيتك، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم الأمور، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن، ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على الحق سمات تعرف ا ضروب الصدق من الكذب، وإنما أنت أحد رجلين: إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق، ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه! أو فعل كريم تسديه؟! أو مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا منك، مع أن أكثر حاجت الناس إليك، مما لا مؤنة فيه عليك، من شكاة مظلمة، أو طلب إنصاف في معاملة.

ثم إن للوالي خاصة وبطانة، فيهم استئثار وتطاول، وقلة إنصاف في معاملة فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال، ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وخاصتك قطيعة، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك، يحملون مؤونته على غيرهم، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والآخرة. وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابرا محتسبا، واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإن مغبة ذلك محمودة، وإن ظنت الرعية بك حيفًا فأصحر لهم بعذرك، واعدل عنك ظنو م بإصحارك، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقًا برعيتك، وإعذارا تبلغ به حاجتك من تقويم على الحق، ولا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك، ولله فيه رضا، فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك، وأمنا لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم، واتسهم

في ذلك حسن الظن، وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمة، فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم، وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين، لما استوبلوا من عواقب الغدر، فلا تغدرن بذمتك، ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي، وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته وحصنا يسكنون إلى منعته، ويستفيضون إلى جواره فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه، ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته، خير من غدر تخاف تبعته، وأن تحيط بك فيه من الله طلبةٌ، فلا تستقيم فيها دنياك ولا آخرتك.

إياك والدماء، وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شيء أدعى لنقمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة، وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقها، والله سبحانه وتعالى يتولى الحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأن فيه قود البدن، وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك، أو سيفك، أو يدك، بعقوبة، فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك، عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم.

وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها، وحب الإطراء، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه، ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين وإياك والمن على رعيتك بإحسانك، أو التزيد فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فإن المن يبطل الإحسان والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس، قال الله سبحانه وتعالى: **كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** [الصف:٣].

وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها، أو التسقط فيها عند إمكانها، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت، أو الوهن عنها إذا استوضحت، فضع كل أمر موضعه وأوقع كل عمل موقعه. وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوةٌ، والتغابي عما يعني به مما قد وضح للعيون، فإنه مأخوذ منك لغيرك وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور، وينتصف منك للمظلوم، واملك حمية أنفك،

وسورة حدك وسطوة يدك، وغرب لسانك، واحترس من كل ذلك بكف البادرة، وتأخير السطوة، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار، ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة، أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أو فريضة في كتاب الله فتقتدى بما شاهدت مما عملنا به فيها، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك من عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي دليلك لكيلا يكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها، وأنا أسأل الله تعالى بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة، أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه من حسن الثناء في العباد، وجميل الأثر في البلاد، تمام النعمة، وتضعيف الكرامة، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة إنا إلى الله راغبون، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين.

وكتب أبو بكر الصديق المتوفى في ٧ جمادى الثانية ١٣هـ إلى بعض قواده:

إذا سرت فلا تعنف أصحابك في السير ولا تغضبهم، وشاور ذوي الآراء منهم واستعمل العدل، وباعد عنك الجور، فإنه ما أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم **﴿إِذَا لَقِيتم الذِين كفَروا زحفًا**[1] **فَلا تولوهم الأدبار**[2] *** ومن يولهم يومئذٍ دبره إلا متحرفًا**[3] **لِقتالٍ أو متحيزا**[4] **إِلى فِئَةٍ فَقَد باءَ بِغضبٍ مِن اللهِ﴾** [الأنفال: ١٥، ١٦] وإذا نصرتم عليهم، فلا تقتلوا شيخا، ولا امرأة، ولا طفلاً، ولا تحرقوا زرعا، ولا تقطعوا شجرا، ولا تذبحوا بهيمةً، إلا ما يلزمكم للأكل، ولا تغدروا إذا هادنتم[5] ولا تنقضوا إذا صالحتم، وستمرون على أقوام في الصوامع، ورهبان ترهبوا لله، فدعوهم وما انفردوا إليه وارتضوه لأنفسهم، فلا تهدموا صوامعهم ولا تقتلوهم - والسلام.

وكتب عمر بن الخطاب المتوفى في ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٢هـ إلى بعض قواده:

أما بعد: فإني أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وأن تكون أنت ومن معك أشد احتراسا

(1) مجتمعين لكثرتهم يزحفون.

(2) الانهزام.

(3) منعطفًا.

(4) منضما إلى جماعة يستنجد بهم.

(5) صالحتم.

من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة (وإلا ننصر عليهم بطاعتنا، لم نغلبهم بقوتنا) واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم واسألوا الله العون على أنفسكم، كما تسألون النصر على عدوكم.

وأقم بمن معك في جمعة يوما وليلة، حتى تكون لهم راحةٌ يحيون فيها أنفسهم، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم، ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق به - وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع، وتبث السرايا بينك وبينهم، ثم أذك أحراسك على عسكرك، وتيقظ من البيات جهدك، والله ولي أمرك ومن معك، وولي النصر لكم على عدوكم.

وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨هـ إلى ابن أخته:

أنت ولدي ما دمت: والعلم شأنك، والمدرسة مكانك، والمحبرة حليفك، والدفتر أليفك، فإن قصرت ولا إخالك، فغيري خالك، والسلام.

ومن وصية ابن سعيد المغربي المتوفى سنة ٩٦٧هـ لابنه، وقد أراد السفر:

أودعك الرحمن في غُربتك مرتقبا رحماه في أوبتك

فلا تطِل حبلَ النوى إنني والله أشتاق إلى طلْعتك

واختصر التوديع أخذًا فما لي ناظِر يقوي على فُرقتك

واجعل وصاتي نصب عين ولا تبرح مدى الأيام من فكرتك

خلاصة العمر التي حنكت في ساعة زفت إلى فطنتك

فللتجاريب أمور إذا طالعتها تشحذ من غفلتك

فلا تنم عن وعيها ساعة فإنها عونٌ إلى يقظتك

وكل ما كابدته في النوى إياك أن يكسِر من همتك

فليس يدري أصل ذي غربة وإنما تعرف من شيمتك

وامش الهوينا مظهرا عفة وابغ رضا الأعين عن هيئتك

وانطق بحيث العي مستقبح … واصمت بحيث الخير في سكتتك
ولجْ على رزقك من بابه … واقصد له ما عِشت في بكرتك
ووف كلاً حقه ولْتكن … تكْسِر عند الفجر من حدتك
وحيثما خيمت فاقصد إلى … صحبة من ترجوه في نصرتك
وللرزايا وثبةٌ ما لها … إلا الذي تذخر من عدتك
ولا تقُلْ أسلم لي وحدتي … فقد تقاسي الذل في وحدتك
ولتجعل العقْل محكا وخذ … كُلاً بما يظهر في نقدتك
واعتبر الناس بألفاظهم … واصحب أخا يرغب في صحبتك
كم من صديق مظهر نصحه … وفكره وقْف على عثرتك
إياك أن تقربه إنه … عونٌ مع الدهر على كُربتك
وانم نمو النبت قد زاره … غِب الندى واسم إلى قدرتك
ولا تضيع زمنا ممكنا … تذكاره يذكي لظى حسرتك
والشر مهما اسطعت لا تأته … فإنه جور على مهجتك

يا بني، الذي لا ناصح له مثلي، ولا منصوح لي مثله - قد قدمت لك في هذا النظم ما إن أخطرته بخاطرك في كل أوان رجوت لك حسن العاقبة - إن شاء الله تعالى - وإن أخف منه للحفظ، وأعلق بالفكر، وأحق بالتقدم قول الأول:

يزين الغريب إذا ما اغترب … ثلاثٌ فمنهن حسن الأدب
وثانية حسن أخلاقه … وثالثةُ اجتناب الريب

واصغ يا بني إلى البيت الذي هو يتيمة الدهر، وسلم الكرم والصبر:

ولو أنّ أوطان الديار نبت بكم … لسكنتم الأخلاق والآدابا

إذ حسن الخلق أكرم نزيل، والأدب أرحب منزل، ولتكن كما قال بعضهم في أديب متغرب، وكان كلما طرأ على ملك فكأنه معه ولد، وإليه قصد، غير مستريب بدهره، ولا منكر شيئًا من أمره.

وإذا دعاك قلبك إلى صحبة من أخذ بمجامع هواه، فاجعل التكلف له سلما، وهب في روض أخلاقه هبوب النسيم، وحل بطرفه حلول الوسن، وانزل بقلبه نزول المسرة، حتى يتمكن لك وداده، ويخلص فيك اعتقاده وطهر من الوقوع فيه لسانك، وأغلق سمعك، ولا ترخص في جانبه لحسود لك منه، يريد إبعادك عنه لمنفعة، أو حسود له يغار لتجمله بصحبتك، ومع هذا، فلا تغتر بطول صحبته، ولا تتمهد بدوام رقدته، فقد ينبهه الزمان، ويتغير منه القلب واللسان، وإنما العاقل من جعل عقله معيارا، وكان كالمرآة يلقى كل وجه بمثاله؛ وفي الأمثال العامة: (من سبقك بيوم سبقك بعقل) فاحتذ بأمثله من جرب، واستمع إلى ما خلد الماضون بعده جهدهم وتعبهم من الأقوال، فإ ا خلاصة عمرهم، وزبدة تجار م، ولا تتكل على عقلك، فإن النظر فيما تعب فيه الناس طول أعمارهم، وابتاعوه غاليا بتجار م، يربحك، ويقع عليك رخيصا، وإن رأيت من له عقل ومروءة وتجربة، فاستفد منه، ولا تضيع قوله ولا فعله، فإن فيما تلقاه تلقيحا لعقلك، وحثا لك واهتداء.

وليس كل ما تسمع من أقوال الشعراء يحسن بك أن تتبعه، حتى تتدبره، فإن كان موافقًا لعملك، مصلحا لحالك، فراع ذلك عندك، وإلا فانبذه نبذ النواة فليس لكل أحد يبتسم، ولا كل شخص يكلم، ولا الجود مما يعم به، ولا حسن الظن وطيب النفس مما يعامل به كل أحد، ولله در القائل:

ومـــا ليَ لا أوفي البريـــة قِســـطها على قَدر ما يعطي وعقلي ميـزانُ

وإياك أن تعطي من نفسك إلا بقدر، فلا تعامل الدون بمعاملة الكفء، ولا الكفء بمعاملة الأعلى، ولا تضيع عمرك فيمن يعاملك بالمطامع، ويثيبك على مصلحة حاضرة عاجلة، بغائبة آجلة، ولا تجف الناس بالجملة، ولكن يكون ذلك بحيث لا يلحق منه ملل، ولا ضجر، ولا جفاء، فمتى فارقت أحدا، فعلى حسنى في القول والفعل، فإنك لا تدري هل أنت راجع إليه! فلذلك قال الأول:

ولما مضى سلم بكيت على سلمٍ

وإياك والبيت السائر:

وكنت إذا حللْت بـدار قَـومٍ رحلْت بخزية وتركْـت عـارا

واحرص على ما جمع قول القائل: (ثلاثة تبقى لك الود في صدر أخيك: أن تبدأه بالسلام، وتوسع له ا لمس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه)، واحذر كل ما بينه لك القائل:

(كل ما تغرسه تجنيه، إلا ابن آدم، فإذا غرسته يقلعك). وقول الآخر: (إن ابن آدم ذئب مع الضعف، أسد مع القوة) وإياك أن تثبت على صحبة أحد قبل أن تطيل اختباره، ويحكي أن ابن المقفع خطب من الخليل صحبته؛ فجاوبه: (إن الصحبة رق، ولا أضع رقي في يديك حتى أعرف كيف ملكتك) واستمل من عين من تعاشره، وتفقد في فلتات الألسن، وصفحات الأوجه، ولا يحملك الحياء على السكوت عما يضرك أن لا تبينه، فإن الكلام سلاح السلم، وبالأنين يعرف ألم الجرح، واجعل لكل أمر أخذت فيه غاية تجعلها ـاية لك:

وخذ من الدهر مـا أتـاك بـه ... من قـر عينـا بعيشـة نفعـه

إذ الأفكار تجلب الهموم، وتضاعف الغموم، وملازمة القطوب، عنوان المصائب والخطوب، يستريب به الصاحب، ويشمت العدو وا ـانب، ولا تضر بالوسواس إلا نفسك، لأنك تنصر ـا الدهر عليك - ولله در القائل:

إذا ما كنت للأحـزان عونـا ... عليك مع الزمان فمن تلـوم؟!

مع أنه لا يرد عليك الغائب الحزن، ولا يرعوي بطول عتبك الزمن.

ولقد شاهدت (بغرناطة) شخصا قد ألفته الهموم، وعشقته الغموم، ومن صغره إلى كبره ولا تراه أبدا خليا من فكره، حتى لقب (بصدر الهم).

ومن أعجب ما رأيته منه أنه يتنكد في الشدة، ولا يتعلل بأن يكون بعدها فرج، ويتنكد في الرخاء خوفًا من أن لا يدوم، وينشد:

توقّع زوالاً إذا قيـلَ تـم

وينشد:

وعِند التناهي يقصر المُتطاول

وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب، ومثل هذا عمره محسور يمر ضياعا.

ومتى رفعك الزمان إلى قوم يذمون من العلم ما تحسنه حسدا لك وقصدا لتصغير قدرك عندك، وتزهيدا لك فيه، فلا يحملك ذلك على أن تزهد في علمك وتركن إلى العلم الذي مدحوه؛ فتكون مثل الغراب الذي أعجبه مشي الحجلة فرام أن يتعلمه فصعب عليه، ثم أراد أن يرجع إلى مشيه فنسيه فبقي مخبل المشي كما قيل:

إن الغراب وكان يمشي مِشـية ... فيما مضى من سالف الأجيـال

حسد القطا وأراد يمشي مشيها ... فأصابه ضـرب مـن العقـال

فأضلّ مشيته وأخطأ مشيها فلذاك كنوه (أبا مرقال)

ولا يفسد خاطرك من جعل يذم الزمان وأهله، ويقول، ما بقى في الدنيا كريم ولا فاضل، ولا مكان يرتاح فيه، فإن الذين تراهم على هذه الصفة أكثر ما يكونوا ممن صحبهم الحرمان، واستحقت طلعتهم للهوان، وأبرموا على الناس بالسؤال فمقتوهم، وعجزوا عن طلب الأمور من وجوهها، فاستراحوا إلى الوقوع في الناس، وأقاموا الأعذار لأنفسهم بقطع أسبا م، ولا تزل هذين البيتين من فكرك:

لِـــن إذا مـــا نِلْـــت عـــزا فـــأخو العـــز يلـــين

فـــإذا نابـــك دهـــر فكمـــا كنـــت تكـــون

والأمثال تضرب لذي اللب الحكيم، وذو البصر يمشي على الصراط المستقيم، والفطن يقنع بالقليل، ويستدل باليسير. والله سبحانه خليفتي عليك لا رب سواه.

وصية هارون الرشيد لمعلم ولده الأمين:

يا أحمر - إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه؛ فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين.

أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة.

وصية بعض نساء العرب إلى ابنها وقد أراد السفر:

قال أبان بن تغلب، وكان عابدا من عباد أهل البصرة: شهدت أعرابية وهي توصي ولدا لها يريد سفرا، وهي تقول له:

أي بني: إجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك، فإن الوصية أجدى[1] عليك من كثير عقلك. قال أبان: فوقفت مستمعا لكلامها، مستحسنا لوصيتها فإذا هي تقول: أي بني إياك والنميمة، فإ ا تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين، وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا[2]

(1) أنفع.

(2) هدفًا.

وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام وقلما اعتورت[١] السهام غرضا إلا كلمته[٢] حتى يهي[٣] ما اشتهد من قوته.

وإياك والجود بدينك، والبخل بمالك، وإذا هززت فاهزز كريما يلن لهزتك، ولا ـزز اللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها.

ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك، فاعمل به، وما استحقبحت من غيرك فاجتنبه فإن المرء لا يرى عيب نفسه.

ومن كانت مودته بشره، وخالف ذلك منه فعله، كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها، والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم، ومن جمع الحلم والسخاء، فقد أجاد الحلة ريطتها وسر بالها.

نصيحة رجل لهشام بن عبد الملك:

خرج الزهري يوما من عند هشام بن عبد الملك، فقال: ما رأيت كاليوم، ولا سمعت كأربع كلمات تكلم ـن رجل عند هشام، دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين احفظ عني أربع كلمات، فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيتك، قال: ما هن؟ قال: لا تعد عدة ولا تثق من نفسك بإنجازها، ولا يغرنك المرتقى، وإن كان سهلا إذا كان المنحدر وعرا، واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب، وأن للأمور بغتات[٤]، فكن على حذر، قال عيسى بن دأب: فحدثت ـذا الحديث (المهدي) وفي يده لقمة قد رفعها إلى فيه فأمسكها وقال: ويحك! أعد علي، فقلت: يا أمير المؤمنين: أسغ[٥] لقمتك، فقال حديثك أعجب إلي.

نصيحة أعرابي لسليمان بن عبد الملك:

قال أعرابي لسليمان بن عبد الملك: إني أكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله؛ فإن وراءه إن قبلته ما تحبه، قال: هاته يا أعرابي، فنحن نجود بسعة الاحتمال على من لا نأمن غيبته، ولا نرجو نصيحته، وأنت المأمون غيبا الناصح جيبا[٦]، قال: فإني سأطلق لساني بما

---

(1) تداولت.

(2) جرحته.

(3) يضعف.

(4) البغتات: جمع بغتة وهي الفجأة.

(5) أساغ اللقمة: ابتلعها.

(6) فلان ناصح الجيب: يراد به قلبه وصدره أي أمين، قال الشاعر:

=

خرست عنه الألسن تأدية لحق الله تعالى، إنه قد اكتنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم، وابتاعوا[١] دنياك بدينهم، ورضاك بسخط ر م، وخافوك في الله، ولم يخافوا الله فيك فهم حرب للآخرة، وسلم للدنيا فلا تأمنهم على اما ائتمنك الله عليه، فإ م لم يألوا[٢] الأمانة تضييعا، والأمة كسفًا وخسفًا، وأنت مسئول عما اجترموا، وليسوا مسئولين عما اجترمت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس عند الله غبنا من باع آخرته بدنيا غيره، فقال سليمان: أما أنت يا أعرابي فقد سللت لسانك وهو سيفك، قال: أجل يا أمير المؤمنين! لك لا عليك.

نصيحة فتاة لأبيها:

قالت أعرابية- تنصح أباها بمجانبة السرف: حبس المال أنفع للعيال من بذل الوجه في السؤال، فقد قل النوال، وكثر النجال[٣]، وقد أتلفت الطارف والتلاد[٤] وبقيت تطلب ما في أيدي العباد، ومن لم يحفظ ما ينفعه، أوشك أن يسعى فيما يضره.

نصيحة البديع الهمذاني لوارث مال:

كتب البديع إلى بعض إخوانه يعزيه وينصح له:

وصلت رقعتك (يا سيدي) والمصاب لعمر الله كبير، وأنت بالجزع جدير ولكنك بالصبر أجد، والعزاء عن الأحبة رشد كأنه الغي، قد مات الميت فليحي الحي؛ فاشدد على مالك بالخمس[٥]؛ فأنت اليوم غيرك بالأمس، قد كان ذلك الشيخ رحمه الله وكيلك، تضحك ويبكى لك، وقد مولك[٦] مما ألف بين سراه[٧] وسيره، وخلفك فقيرا إلى الله غنيا

=

وحصنت صدرا جيبه لك ناصح

(1) ابتاع: اشترى.

(2) ألا يألوا ألوا: قصر. يقال إني لا آلوك نصحا لا أقصره. وقال تعالى: **لا يألونكم خبالاً** [آل عمران: ١١٨] أي لا يقصرون في خبالكم وفسادكم.

(3) النجال: جمع نجل وهو الولد.

(4) الطارف: المستحدث من المال وغيره والتلاد: جمع تليد وهو عكس الطارف.

(5) يريد بالخمس الأصابع وهي مؤنثة في الأكثر.

(6) موله: اتخذ له مالاً.

(7) السرى: سير الليل.

عن غيره، وسيعجم[1] الشيطان عودك، فإن استلانك رماك بقوم يقولون: خير المال ما تتلفه بين الشراب والشباب، وتنفقه بين الحباب[2] والأحباب، والعيش بين القداح والأقداح[3] ولولا الاستعمال لما أريد المال؛ فإ م أطعتهم فاليوم في الشراب وغدا في الخراب، واليوم واطربا للكأس، وغدا واحربا[4] من الإفلاس، يا مولاي: ذلك الخارج من العود يسميه الجاهل نقرا، والعاقل فقرا، وذلك المسموع من الناي[5] هو في الآذان زمر، وفي الأبواب سمر، وإن لم يجد الشيطان مغمزا في عودك من هذا الوجه، رماك بآخرين يمثلون الفقر حذاء عينيك، فتجاهد قلبك، وتحاسب بطنك، وتناقش عرسك[6]، وتمنع نفسك وتبوء في دنياك بوزرك، وتراه في الآخرة في ميزان غيرك، لا - ولكن قصدا بين الطريقين، وميلاً عن الفريقين لا منع ولا إسراف، والبخل فقر حاضر، وضير عاجل، وإنما يبخل المرء خيفة ما هو فيه.

ومن ينفق الساعات في جمع **مالـه** **مخافة فقر فالذي فعـل الفقـر**

فليكن لله من مالك قسم، وللمروءة قسم، فصل الرحم ما استطعت وقدر[7] إذا قطعت، فلأن تكون في جانب التقدير، خير من أن تكون في جانب التبذير.

وصية الرياحي لقومه

قال الرياحي في خطبته بالمربد[8]:

يا بني رياح - لا تحقروا صغيرا تأخذون عنه، فإني أخذت من الليث بسالته ومن الحمار صبره، ومن الخنـزير حرصه، ومن الغراب بكوره، ومن الثعلب روغانه[9]، ومن السنور ضرعه[10]، ومن القرد حكايته، ومن الكلب نصرته، ومن ابن آوى حذره، ولقد تعلمت من القمر سير الليل، ومن الشمس ظهور الحين بعد الحين.

---

(1) عجم العود: عضه ليعرف مبلغ صلاته.
(2) حباب الماء والشراب: فقاقيعه التي تطفو كأ ا القوارير.
(3) القداح: سهام الميسر، واحدها قدح كقرد. والأقداح: جمع قدح، كجبل وهو وعاء الشراب.
(4) الحرب: أن يسلب الرجل ماله، وقد حرب ماله أي سلب ومن هذا قولهم: واحربا.
(5) الناي: آلة للزمر، فارسي معرب، وقد مز ياؤه، وقد جمعوه على نايات.
(6) العرس: الزوجة.
(7) التقدير: التروي والتفكير في تسوية أمر.
(8) المربد: الجرين، ثم صار علما على موضع بالبصرة.
(9) الروغان: الميل عن الشيء لتجنب الضرر.
(10) الضرع: الخضوع.

وصية ذي الأصقع[1] لابنه

لما احتضر ذو الأصبع العدواني دعا ابنه (أسيدا) فقال له:

يا بني: إن أباك قد فني وهو حي، وعاش حى سئم العيش، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته: ألن جانبك لقومك يحبوك وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم، ويكبر على مودتك صغارهم. واسمح بمالك، واعزز جارك[٢] وأعن من استعان بك، وأكرم ضيفك وأسرع النهضة في الصريخ[٣] فإن لك أجلاً لا يعدوك وصن وجهك عن مسألة أحد شيئًا، فبذلك يتم سؤددك.

وصية عبد اللّه بن شداد[4] لابنه

قال الكبي: لما حضرت عبد الله بن شداد الوفاة دعا ابنا له يقالك له محمد فقال: يا بني، إني أرى داعي الموت لا يقلع، وأرى من مضى لا يرجع، ومن بقي فإليه ينـزع[٥]، وإني موصيك بوصية فاحفظها.

عليك بتقوى الله العظيم، وليكن أولى الأمور بك شكر الله، وحسن النية في السر والعلانية، فإن الشكور يزداد والتقوى خير زاد، وكن كما قال الحطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مـال ... ولكـن التقـي هـو السـعيد

وتقوى الله خير الـزاد ذخـرا ... وعنـد اللـه للأتقـى مزيـد

ومـا لا بـد أن يـأتي قريـب ... ولكـن الـذي يمضـي بعيـد

أي بني: لا تزهدن في معروف، فإن الدهر ذو صروف، والأيام ذات نوائب، على الشاهد والغائب، فكم من راغب قد كان مرغوبا إليه، وطالب أصبح مطلوبا ما لديه. واعلم أن الزمان ذو ألوان، ومن يصحب الزمان ير الهوان وكن أي (بني) كما قال أبو الأسود الدؤلي:

---

(1) هو حرثان بن الحارث، خطيب حكيم، شاعر فارس، وهو أحد المعمرين في الجاهلية.

(2) الجار: ا اور والذي أجرته من أن يظلم.

(3) الصريخ: صوت المستغيث وهو أيضا المغيث واحدا أو أكثر.

(4) هو عبد الله بن شداد بن الهادي الليثي كان من رجالات العراق ومن ذي المكانة عند الحجاج، ثم خرج عليه مع ابن الأشعث، ويقال إنه قتل سنة ٨٣هـ.

(5) نزع إليه كجلس: اشتاق.

وعد من الرحمن فضلاً ونعمـة **عليك إذا ما جـاء للعـرف[١] طالـب**

وإن امرأ لا يرتجى الخير عنـده **يكن هينا ثقيلاً على من يصـاحب**

فلا تمنعن ذا حاجة جاء طالبـا **فإنك لا تدري متى أنـت راغـب**

رأيت التِوا[٢] هذا الزمان بأهلـه **وبينـهم فيـه تكـون النوائـب**

أي بني: كن جوادا بالمال في موضع الحق، بخيلا بالأسرار عن جميع الخلق فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر، وإن أحمد بخل الحر الضن بمكتوم السر، وكن كما قال قيس ابن الخطيم[٣] الأنصاري:

أجود بمكنـون الـتلاد وإنـني **بسِرك عمن سـالني لضـنين[٤]**

إذا جاوز الاثـنين سـر فإنـه **بنثّ وتكثير الحـديث قمـين[٥]**

وعندي له يوما إذا ما ائتمنـتني **مكان بسوداءِ الفؤاد مكـين[٦]**

أي بني: وإن غلبت يوما على المال، فلا تدع الحيلة على حال، فإن الكريم يحتال، والدني عيال، وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً، وأقل ما تكون في الباطن مالاً، فإن الكريم من كرمت طبيعته، وظهرت عند الإنفاذ[٧] نعمته، وكن كما قال ابن خذاق[٨] العبدي:

وجدت أبي قـد أورثـه أبـوه **خلالا قد تعد مـن المعـالي[٩]**

فأكرم ما تكون علـي نفسـي **إذا ما قلّ في الأزمـات مـالي**

---

(1) العرف: المعروف.

(2) التوا مصدر التوى وقصره للضرورة. والتوى به الزمان: اعوج. وألوى به: أهلكه.

(3) شاعر من أهل يثرب وبينه وبين حسان بن ثابت مناقضة.

(4) سهل الشاعر همزة سأل للوزن.

(5) قطع همزة اثنين للضرورة ونث الحديث: أفشاه.

(6) سوداء الفؤاد أو القلب وسويداؤه وأسوده: حبته.

(7) الإنفاذ: الفقر.

(8) اسمه يزيد وهو شاعر قديم.

(9) نقلت حركة الهمزة من أورث إلى الواو وحذفت هي للوزن، والخلال: جمع خلة وهي الخصلة.

فتحسن سيرتي **وأصون عِرضي** **ويحمل عند أهل الرأي حالي**
وإن نلت الغنى لم **أغلُ فيه** ولم **أخصص** بجفوتيَ **الموالي**[١]

أي بني: وإن سمعت كلمة من حاسد، فكن كأنك لست بالشاهد، فإنك إن أمضيتها حيالها[٢] رجع العيب على من قالها، وكان يقال: الأريب العاقل هو الفطن المتغافل[٣]، وكن كما قال حاتم الطائي:

وما من شيمتي شتم ابن عمي **وما أنا مخلِف من يرتجيني**
وكلمةٍ حاسد في **غير جرم** سمعت **فقلت سري فانفذيني**[٤]
فعابوها علي ولم **تسؤني** ولم **يعرق لها يوما جبيني**
وذو اللونين يلقاني طليقًا **وليس إذا تغيب يأتليني**[٥]
سمعت **بعيبه فصفحت عنه** محافظة **على حسبي وديني**

أي بني: لا تؤاخ امرءًا حتى تعاشره، وتتفقد موارده ومصادره، فإذا استطعت العشرة، ورضيت الخبرة[٦]، فواجه على إقالة العثرة، والمواساة في العسرة وكن كما قال المقنع الكندي[٧]:

ابلُ الرجالَ إذا أردت إخاءهم **وتوسمن فعالهم وتفقد**
فإذا ظفرت بذي اللبابة والتقى **فبه اليدين قرير عين فاشدد**[٨]

---

(1) غلا في الأمر غلو: جاوز الحد. والموالي: الأقارب. يقول: إن كثر مالي لم أجف أقاربي.
(2) خيال ظرف في معنى إزاء أي تركتها تذهب في طريقها إلخ.
(3) في معنى هذا قول الشاعر:

ليس الغبي بسيد في قومه **لكن سيد قومه المتغابي**

(4) نفذه: جازه.
(5) ائتلى كألا أي قصر: يقول إذا غاب عني فلن يقصر في نكايتي.
(6) الخبرة، وبغير هاء، العلم بالشيء كالاختبار.
(7) هو محمد بن عمرة والمقنع لقب شاعر رصين المباني حكيم المعاني من شعراء الدولة الأموية.
(8) اللبابة: مصدر لب أي صار ذا لب وهو العقل؛ وكل ما قبل (فاشدد) من الشطر الثاني معمول له وتكررت الفاء للربط - وكذا في البيت التالي.

وإذا رأيــت ولا محالــة زلــة ... فعلى أخيك بفضل حلمك فـاردد

أي بني: إذا أحببت فلا تفرط، وإذا أبغضت فلا تشطط[1]، فإنه قد كان يقال أحبب حبيبك هونا ما[2] عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما، وكن كما قال هدبة[3] بن الخشرم العذري:

وكن معقلاً للحلم واصفح عن الخنـا ... فإنك راء ما حييـت وسـامع

واحبب إذا أحببت حبا مقاربـا ... فإنك لا تدري متى أنت نـازع[4]

وابغض إذا أبغضت بغضا مقاربـا ... فإنك لا تدري متى أنت راجـع

---

(1) شط وأشط: جاوز الحد.

(2) الهون: الرفق، وما: إما زائدة، وإما صفة لهونا مثلها في قوله تعالى: ﴿**إن الله لا يستحيي أنْ يضرب مثلاً ما**﴾ [البقرة: ٢٦].

(3) هو شاعر من شعراء الدولة الأموية جيد البديهة وهو القائل:

ولست بمفـراح إذا الـدهر سـرني ... ولا جـازع مـن صـرفه المتقلـب

ولا أتمـنى الشـر والشـر تـاركي ... ولكن متى أحمل على الشر أركـب

(4) نزع من الأمر نزوعا: انصرف وانتهى عنه.

الفصل الثاني عشر في رسائل التنصل والتبرؤ

كتب أبو الحسن علي بن الرومي[1] إلى القاسم بن عبيد الله:

ترفع عن ظلمي إن كنت بريئًا، وتفضل بالعفو إن كنت مسيئًا، فوالله لأطلب عفو ذنب لم أجنه، وألتمس الإقالة مما لا أعرفه، لتزداد تطولاً، وأزداد تذللاً، وأنا أعيذ حالي عندك بكرمك من واش يكيدها، وأحرسها بوفائك ممن يحاول إفسادها.

وأسأل الله أن يجعل حظي منك بقدر ودي لك، ومحلي من رجائك بحيث أستحق منك والسلام.

وكتب أبو الوليد أحمد بن زيدون:[2]

يا مولاي[3] وسيدي الذي ودادي له، واعتمادي عليه، واعتدادي[4] به، وامتداي[5] منه، ومن أبقاه الله ماضي[6] حقد العزم[7] واري[8] زند[9] الأمـل، ثابت[10] عهد[11]

11) علي بن العباس بن جريج الرومي (221 - 283 هـ / 836 - 896 م) شاعر كبير، من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل، كان جده من موالي بني العباس، ولد ونشأ ببغداد، ومات فيها.

(2) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي، أبو الوليد (394 - 463 هـ / 1003 - 1070م) وزير، كاتب وشاعر من أهل قرطبة، انقطع إلى ابن جهور من ملوك الطوائف بالأندلس، فكان السفير بينه وبين ملوك الأندلس فأعجبوا به، وفي الكتاب من يلقبه بحتري المغرب، أشهر قصائده: أضحى التنائي بديلاً من تدانينا.

ومن آثاره غير الديوان رسالة في التهكم بعث ا عن لسان ولاّدة بنت المستكفي إلى ابن عبدوس.

(3) المولى له معان كثيرة والأليق منها هنا السيد أو المنعم ومنها العبد أيضا قال أبو تمام:

مولاك يا مـولاي صـاحب لوعـة في **يومـــه وصــبابة** في **أمســه**

دنــف يجــ**ود بنفســه حـ**تى **لقــد** **أمســى ضــعيفًا أن** يجــ**ود بنفســه**

(4) عدتي ليوم حاجتي.

(5) مزيد خيري.

(6) قاطع.

(7) قوة الإرادة أي لا يعزم على أمر إلا أمضاه.

(8) الورى: خروج النار من الزند وقت الاقتداح.

(9) مقدحه.

(10) متمكن ومتوثق.

(11) ميثاق أي أن نعمته ثابتة ومحفوظة عليه أبدا وأن محبته مقصورة عليه، وأنه يطلب من الله أن يبقيه، وعزمه سيف قاطع وأمله نور لامع وخيره غيث متتابع وأنه لحسن افتتاح وبراعة استهلال.

النعمة، إن سلبتني[1] أعزك[2] الله لباس[3] نعمائك، وعطلتني[4] من حلي[5] إيناسك[6] وأظمأتني[7] إلى برود[8] إسعافك[9] ونفضت[10] بي كف حياطتك[11] وغضضت[12] عني طرف[13] حمايتك، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي[14] لك، وسمع الأصم ثنائي[15] عليك وأحس الجماد باستحمادي[16] إليك. فـلا غـرو[17] قد يغص[18] بالماء شاربه، ويقتل

(1) انتزعت مني.
(2) أعزك الله، جملة اعتراضية الغرض منها الدعاء لسيده بالعزة والإشارة إلى ما يستلزمه سلب اللباس من المذلة وتنبيها له على ذلك.
(3) ما يواري الجسم أي جردتني من نعمتك المحيطة بي.
(4) العطل في الأصل خلو جيد المرأة من القلائد.
(5) ما يتحلى به.
(6) أنسك، أي حرمتني من لذيذ أنسك.
(7) أعطشتني.
(8) بارد.
(9) إنجادك.
(10) طرحت.
(11) أحاطتك أي طرحتني من كفء حوزك لي.
(12) خفضت.
(13) نظر، أي خفضت طرف وقايتك عني فتركتني غرضا لصائبات الحوادث.
(14) التأميل أمر معنوي لا يشاهد وإنما ذلك مبالغة في شدة التلبس والاتصاف به.
(15) مدحي، مبالغة في انتشار مدحه.
(16) استحمادي مبالغة في تأثير حمده يشير إلى تعداد ما حل به من المصائب وأحدق به من كل جانب ألا وهو تجريده من نعم الأمير المحيطة به إحاطة الثياب وحرمانه من الأنس بذلك الجناب وإعطاشه إلى سريح إغاثته وإخراجه من محيط دائرته وصرفه عنه نظر ملاحظته خصوصا بعد أن صير تأميله فيه جسما مخترعا ولذا رآه الأعمى وجلا مدحه بما جذب إليه الآذان فدخلها بدون استئذان ولذا سمعه الأصم وبذل قصارى جهده في حمد حتى كان مؤثرا في كل الكائنات ولذا أدركه الجماد، وفيه من المبالغة ما في قول المتنبي:

أنا الـذي نظـر الأعمـى إلى أدبي وأسمعت كلمـاتي مـن بـه صـمم

وإنما أكثر من تعداد مصائبه ليكون ذلك أدل على توجعه وتألمه، وأسرع لتلبية ندائه وأمكن لجلب الصفاء وإزالة الجفاء.
(17) فلا عجب: الفاء واقعة في جواب أن من قوله إن آسليتني.
(18) غصصت بالماء أغص غصا إذا شرقت به وأغصصته أنا.

الدواء المستشفى به، ويؤتى الحذر[1] من مأمنه[2]، وتكون منية[3] المتمني في أمنيته[4]، والحين[5] قد يسبق جهد[6] الحريص.

كل المصائب قد تمر على الفـتى فتهون غير شماتة[7] الحسـاد[8]

وإني لأتجلد[9] وأرى للشامتين (أني لريب[10] الدهر لا أتضعضع)[11] فأقول: هل أنا إلا يد

---

(1) المتيقظ.

(2) من حيث لا يتوقع الضرر.

(3) موت.

(4) ما يتمناه.

(5) الهلاك.

(6) طاقة.

(7) الفرح في مصائب الغير، يقول: إن انتزعت مني ما أعطيت، وأحللت بي من المصائب ما أحللت، بعد غلوي في الثناء عليك، والتجائي في كل الأمور إليك، فليس ذلك بالأمر العجيب ولا بالنادر بل كثير النظائر والأمثال، فالماء الذي به زوال الغصص قد يكون هو المغص وأن الأمنية قد تكون فيها المنية وأنه يشير في عبارته لقول بعضهم:

قد كنت عدتي الـتي أسـطو بـها ويدي إذا اشتد الزمـان وسـاعدي

فرميـت منـك بغـير مـا أملتـه والمـرء يشـرق بـالزلال البـارد

ولقول الآخر:

تجري الأمور على وفق القضـاء وفي طي الحـوادث محبـوب ومكـروه

فربمـا سـرني مـا بـت أحـذره وربمـا سـاءني مـا بـت أرجـوه

(8) البيت من قصيدة مطلعها:

من مبلغٌ عني الأمير رسالةً محصورةً عندي عن الإنشادِ

وهي لعبد الله بن أبي عيينة أبو جعفر، عاش في اية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري، وكان على علاقة بطاهر بن الحسين. من الشعراء الكبار الذين تم طمس أد م بسبب الجو السياسي المتأجج والذي تغير بعد فتنة البرامكة..

(9) أتكلف الصبر والقوة.

(10) ريب الدهر: نوائبه.

(11) أتضعضع: أتزلزل، وهذا حل بيت لأبي ذؤيب الهذلي وهو:

وتجلـدي للشـامتين أريهـم أني لريـب الـدهر لا أتضعضـع

=

أدماها[1] سوارها[2]، وجبين عض به إكليله[3] ومشرفي[4] ألصقه بالأرض صاقله[5]، وسمهري[6] عرضه على الناس مثقفه[7] وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول:

فقسا ليَزْدجروا[8] ومن يك حازمـًا فليقس أحيانا علـى مـن يـرحم

هذا العتب[9] محمود عواقه، وهذه النبوة[10] غمرة[11] ثم تنجلي[12]، وهذه النكبة[13]

=

من قصيدة له هي أشهر شعره عينية رثى ا خمسة أبناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد مطلعها:

أَمِن المَنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتبٍ من يجزع

وأبوذؤيب هو: خويلد بن خالد بن محرث أبو ذُؤيب من بني هذيل بن مدركة المضري (ت.27هـ/648 م) شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وسكن المدينة واشترك في الغزو والفتوح، وعاش إلى أيام عثمان فخرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي السرح إلى إفريقية سنة (26 هـ) غازيا.

(1) أسال دمها.

(2) نوع من الحلي يلبس في الساعد.

(3) تاجه.

(4) سيف.

(5) جاليه.

(6) رمح.

(7) مقومه.

(8) يزدجروا: يمتنعوا، يخاطب نفسه ويسليها ويضرب لها الأمثال ويمنيها ويسهل عليها ما تعانيه، ويجيبها ما تعاديه مع مزيد استعطاف قلب سيده واستجلاب رحمته حيث لم يستهجن فعله وعمله معه فقد أنزل نفسه منـزلة الحسناء التي أجرى دمها السوار، والجبين الذي أثر فيه تاج الافتخار، والسيف الذي وضعه على التراب صاقله لصقله لا لهوانه، والرمح الذي وضعه على النار مثقفه لتقويمه لا لإحراقه، والعبد الذي قسا عليه سيده رحمة به وإحسانا لا استخفافًا به وهوانا، والبيت لأبي تمام.

(9) اللوم.

(10) الجفوة.

(11) شدة.

(12) تنكشف.

(13) المصيبة.

سحابة صيف عن قليل تقشع[1]، ولن يريبني[2] من سيدي إن أبطأ سيبه[3] أو تأخر، غير ضنين[4] غناؤه[5]، فأبطأ الدلاء فيضا[6] أملؤها، وأثقل السحائب مشيا أحفلها[7]، وأنفع الحيا[8] ما صادف جدبا[9] وألذ الشراب ما أصاب غليلا[10]، ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب.

له الحمد على اهتباله[11]، ولا عتب عليه في اغتفاله[12]:

فإن يكن الفعلُ الذي ساء واحـداً   فأفعاله اللائي سـررْن ألـوف[13]

وأعود فأقول: ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك، والجهل الذي لم يأت من ورائه

---

(1) تقلع، يقول: أرجو أن يكون هذا اللوم ختام الجفاء، مبدأ الألفة والصفاء وأن هذه الجفوة شدة وتحول وسحابة لا تلبث أن تزول، يشير إلى قول المتنبي:

لعـل عتبـك محمـود عواقبـه   وربما صـحت الأجسـام بالعلـل

وإلى المثلين العربيين (غمرات ثم تنجلي) و(سحابة صيف عن قليل تقشع) والأول يضرب في حصول اليسر بعد العسر والثاني في سرعة التغير.

(2) يجعلني شاكًا.

(3) عطاؤه.

(4) غير ضنين: احتراس يريد به حمل سيده على العطف ودفع ما يتوهم من أن التأخير للإيقاع به.

(5) نفعه.

(6) الفيض: صعود الماء على الضفة، والمراد هنا مجرد الصعود، أي أن أبطأ الدلاء صعودا أكثرها امتلاء.

(7) أملؤها.

(8) المطر.

(9) الأرض التي لا نبات ا.

(10) العطش بحرارة؛ لما ذكر أن هذا العتب محمود العاقبة وأن ما حل به عن قريب يزول، ورأى أن تأخير الرحمة به وعدم إنقاذه من ورطته ربما يوهم الريبة في محمدة العاقبة، دفع ذلك معتذرا عن سيده في هذا التأخير معللاً بقوله فأبطأ الدلاء فيضا أملؤها وأثقل السحاب مشيا أحفلها وغير ذلك مما يدل على أن في التأخير ما ينعم البال ويقر الأعين، ثم ختم عبارته بما هو أمثل في التسلية وأدعى للتصبر من حيث يقول: ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب.

(11) اغتنامه.

(12) تغافله: وهو تركه على ذكر منه بعد أن اعتذر من سيده بما اعتذر وأخذ يمدحه على إيقاعه به وتغافله عنه علة أن يرأف به ويعطف عليه.

(13) البيت للمتنبي من قصيدة له مطلعها:

ومنتسِبٌ عِندي إلى من أحِبه   وللنبل حولي مِن يديهِ حفيف

حلمك، والتطاول[1] الذي لم يستغرقه تطولك[2] والتحامل[3] الذي لم يف به احتمالك؟![4]
ولا أخلو من أن أكون بريئا فأين عدلك؟ أو مسيئًا فأين فضلك.

إلا يكن ذنبٌ فعدلك واسعٌ **أو كان لي ذنبٌ ففضلك أوسع**

فهبني مسيئًا كالذي قلت ظالما **فصاصا[5]فأين الأخذ يا عز[6] بالفضل**

حنانيك[7]، قد بلغ السيل الزبى[8]، ونالني ما حسبي به وكفى.
وما أراني إلا لو أمرت بالسجود لآدم فأبيت[9] واستكبرت!!

(1) الكبر.
(2) فضلك.
(3) التكليف بما لا يطاق.
(4) الاحتمال كالحمل إلا أنه في الأمور العظيمة، قال النابغة الذبياني:

فحملت برا واحتملت فجارا

(5) عقابا.
(6) عز: اسم امرأة، رجع بعد أن عود نفسه في مخاطبة الأمير الصبر والانتظار التفت منه إلى ما في ضميره من بقايا العتاب فقال يستفهم مريدا بذلك إلزامه بالصفح عنه بتصغير ذنبه وتكبير عفو سيده فكأنه يقول: ما هذه الحركة التي زلزلت طودك، وما هذه الجيفة التي عكرت بحرك، ولم لا يشملني كرمك وجودك مع أن فضلك وعدلك أكبر، شفيع للعاصي والمطيع، وذكر البيتين تأييدا لما قاله في نثره، والأول للبحتري والثاني مأخوذ من قول الحماسي:

هبيني ظلومـا نلتـه بمسـاءة **فصاصا فأين الأخذ يا عز بالفضل**

(7) تثنية حنان، وهو الرحمة.
(8) الزبى: جمع زبية، وهي حفرة تحفر لصيد الأسد في مكان مرتفع لا يعلوه الماء فإذا وصل إليه السيل كان مجحفًا: يريد بذلك مزيد استرحام سيده من حيث يقول له: حنانيك، أي رحمة إثر رحمة أطلبها منك إن الذل والهوان قد وصلا الغاية، والصغار والاحتقار قد بلغا الغاية: وقوله بلغ السيل الزبى مثل عربي يضرب في بلوغ الشيء غايته.
(9) أبيت: امتنعت، ولقد أحسن كل الإحسان وتلطف ما شاء في عطف قلب سيده وطلب العفو عما اجترح من جريمته بأبلغ عبارة وأدق إشارة مبدعا في وصف ما لاقاه من العقاب والنكال، وأنه لو قسم على ذوي الذنوب من الأولين والآخرين لكان كافيا لتكفير تلك الذنوب جزاء وفاقًا، ملمحا إلى ذوى الذنوب المشهورة ووقائع الآثام المأثورة. فقال: وما أراني... إلخ يشير إلى ذنب إبليس وهو امتناعه واستكباره عن السجود لآدم من حيث أمره الله بذلك **فأبى واستكبر وكان من الكافرين، وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين** .

وقال لي نوح: اركب معنا، فقلت: سـآوي[1] إلى جـبل يعـصمني[2] من المـاء، وأمـرت ببنـاء صـرح[3] لعـلـي أطـلـع إلى إلـه موسـى، وعـكفـت[4] على العجل، واعتديت[5] في السبـت، وتعاطيت[6] فعقرت[7]، وشربت من النهر الذي ابتلى[8]

---

(1) سألجأ.

(2) يعصمني: يحفظني، يشير إلى ذنب ابن نوح، وهو مخالفته لأبيه من حيث قال له لما عم الطوفان وصعد السفينة هو ومن آمن معه: **يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين** فخالف أباه وقال: سآوي... إلخ.

(3) صرح: قصر، يشير إلى ذنب فرعون، وهو إنكاره الإله وادعاؤه أنه هو الإله الحقيقي؛ وذلك حينما أتاه موسى عليه السلام بالإيمان بالله، فقال فرعون **يا أيها الملأ ما علِمْت لكُمْ مِنْ إلهٍ غيْري فأوْقدْ لي يا هامانُ على الطين فاجْعلْ لي صرْحا** [القصص: 38].

(4) عكفت: واظبت، يشير إلى ذنب بني إسرائيل وهو عبادة العجل، وذلك أنه لما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه قام رجل صائغ من قبيلة يقال لها سامرة كانت تعبد البقرة وقال لبني إسرائيل إن الحلى الذي استعرتموه من المصريين وبقي معكم بعد غرقهم لا يحل لكم فادفنوه حتى يأتي موسى ويرى رأيه فيه، ففعلوا، فأخذه وصاغه عجلاً ووضع فيه القبضة التي أخذها من أثر حافر فرس الحياة فرس جبريل عليه السلام، فصار العجل يمشي ويخور، فقال لبني إسرائيل هذا إلهكم وإله موسى نسيه وذهب لطلبه؛ فافتن به كثير منهم واتبعوه.

(5) اعتديت: جاوزت، يشير إلى ذنب بني إسرائيل وهو انتهاك حرمة السبت، وذلك أ م وا عن الاصطياد فيه وكانت الحيتان تأتي فيه بكثرة رافعة خراطيمها حتى تغطي الماء ولا تأتي في غيره فتحيلوا بعمل حيضان متصلة بالبحر فإذا جاءت عشية الجمعة فتحوا الاتصال فتدخل الحيتان في الحيضان فيأخذو ا يوم الأحد، ولما أمهل الله عقوبتهم استحلوا الصيد يوم السبت فحاق م العذاب.

(6) تعاطي: قام على أطراف أصابع رجليه، ثم رفع يديه وضرب.

(7) عقر البعير بالسيف فانعقر، أي ضرب به قوائمه. يشير إلى ذنب قدار وهو قتل ناقة صالح عليه السلام، وذلك أن امرأة يقال لها عنيزة لها مال وبنات حسان، وأخرى يقال لها صدوق بنت المحيا صاحب أوثا م، كان زوجها أسلم وأنفق ماله على صالح واتباعه، وكانتا من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام، فدعت صدوق مصدعًا لنفسها على قتل الناقة، ودعت عنيزة قدارا على ذلك أيضا فذهبا وتبعهما أشقياء ثمود وكمن كل منهما في أصل صخرة، ولما مرت الناقة رماها بسهم فأصاب ساقها، وشد عليها قدار بسيفه فأبان عروقها، ثم نحروها.

(8) ابتلى: اختبر، وهو يشير إلى ذنب معظم جيش طالوت عليه السلام وهو مخالفتهم له حينما اشتكوا له قلة الماء، وهم ذاهبون للقتال، فقال لهم: **إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس** مني **ومن** لم **يطعمه فإنه** مني **إلا من اغترف غرفة بيده** فخالفوا وشربوا إلا قليلاً منهم.

الله به جيش طالوت، وقدت الفيل لأبرهة[1]، وعـاهـدت[2] قريشا على ما في الصحيفة، وتأولت[3] في بيعة العقبة[4]، واستنفرت إلى العير[5] ببدر، وانخذلت[6] بثلث الناس يوم أحد[7]، وتخلفت[8] عن صلاة العصر في بني قريظة[9]، وجئت بالإفك[10] على عائشة الصديقية،

(1) كان عامل اليمن من قبل النجاشي، يشير إلى ذنب أبرهة وهو ذهابه لهدم الكعبة، وسبب ذلك أنه بنى كنيسة بصنعاء ليصرف الناس عن الكعبة فأتى رجل كناني ولوثها بالعذرة، وأتى أقوام من تجار قريش وأضرموا نارا بجانبها فهبت الرياح فأحرقتها، فغضب النجاشي لذلك؛ وقام أبرهة وأخذ الفيلة وفي مقدمتها فيل النجاشي المسمى محمودا ليهدم الكعبة إرضاء له، ولما وصل إليها وجه الفيل نحوها فأبى، فوجهه إلى اليمن فقام مهرولاً، وبعد ذلك أرسل الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، فأهلكتهم.

(2) أعطيتهم عهدا وميثاقًا، يشير إلى ذنب قريش، وهو اتحادهم على عدم نصرة الدين، وذلك أ م لما رأوا أن الدين أخذ في النمو وأن حمزة وعمر أسلما تعاهدوا على مهاجرة بني هاشم وبني عبد المطلب، وعلى قطع العلائق بينهم تماما وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة عهدا لذلك.

(3) خالفت.

(4) طريق وعر في الجبل، يشير إلى ذنب من نقض بيعة العقبة، وبيعات العقبة ثلاث، ولم يتأول فيها أحد، فذكره لها على سبيل الفرض، أي هب أني خالفت الإجماع وتعديت الحد وفعلت ما لم يفعله أحد.

(5) العير - بالكسر - الإبل التي تحمل الميرة، وهو يشير إلى ذنب ضمضم الغفاري وهو استنهاض قريش لأبي سفيان، وذلك أن أبا سفيان بن حرب كان آتيا من الشام في عير، فذهب رسول الله ج لقتاله، فشعر بذلك أبو سفيان، فاستأجر ضمضما المذكور ليخبر قريشا، فذهب وصرخ ببطن الوادي واقفًا على جمل قد جدعه، وحول رحله وشق قميصه قائلا: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث، فتجهزوا جميعا وذهبوا إليه، وحصلت الواقعة الشهيرة المسماة بغزوة بدر الكبرى، وفيها انتصر النبي ج انتصارا باهرا.

(6) خذله: ترك عونه ونصرته.

(7) أحد، جبل بالمدينة يشير إلى ذنب أبي ابن سلول رأس المنافقين، وهو رجوعه من الجيش هو ومن معه من المنافقين، وذلك أن النبي ج لما خرج إلى أحد ومعه ألف من أصحابه لقتال أعدائه، وكان من رأي أبي أن يمكث النبي في المدينة، فأبى عليه الصلاة والسلام قبول رأيه موافقًا لمعظم الصحابة؛ فرجع هو ومن معه من المنافقين، وقال أطاعهم وعصاني.

(8) تأخرت.

(9) طائفة من اليهود يشير إلى حادثة بني قريظة؛ وذلك أنه عليه الصلاة والسلام بعد رجوعه من غزوة الخندق قال: من كان سميعا مطيعا؛ فليصل العصر في بني قريظة، فبعض الصحابة أخذ بظاهر الحديث وصلى العصر هناك بعد مغيب الشمس، والبعض الآخر رأى أن المقصود الإسراع فصلى في الطريق، ولما اختلف الفريقان في تعيين المصيب، ترافعا إلى الرسول فحكم بإصابتهما وإذا تكون عبارته كناية عن فداحة التخلف عن الذهاب.

(10) الكذب؛ يشير إلى ذنب مسطح وحسان ومن معهما في مجاهر م بالسوء لزوجة عليه الصلاة

=

وأنفت[1] عن إمارة أسامة، وزعمت أن خلافة أبي بكر كانت فلتة[2] ورويت رمحي من كتيبة[3] خالد، ومزقت[4] الأديم[5] الذي باركت يد الله عليه وضحيت بأشمط[6] عنوان

=

والسلام، وذلك أنه لما ذهب عليه الصلاة والسلام إلى غزوة بني المصطلق؛ كانت معه السيدة عائشة، حيث كانت قرعتها ففي العودة ذهبت السيدة لقضاء حاجتها ففا ا الركب ولم ينظر في هودجها فمر صفوان وكان قد تأخر لأمر ما، فأركبها بعيره وقاده فأشاع هؤلاء ما أشاعوا فبرأها الله تعالى بالآيات البينات.

(1) استكبرت، يشير إلى بعض الصحابة، من حيث استكبروا على أسامة وذلك أن النبي ج جهز جيشا ليذهب به إلى الشام وقال له: سر إلى مقتل أبيك فتكلم قوم قالوا: أيؤمر هذا الغلام على المهاجرين الأولين فغضب عليه الصلاة والسلام من ذلك وخرج في مرضه عاصبا وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وقال ما معناه: ولئن طعنتم في أسامة فقد طعنتم في أبيه من قبل وأنه لأهل لها فاستوصوا به خيرا.

(2) أي من غير إحكام ولا روية يشير إلى ذنب الشيعة وهو اعتقادهم أن عليا هو الأحق بالخلافة. ومن سواه غاصب ويقولون ما تقدم. وفي حديث عمر: "إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها" فقيل: المراد بالفلتة الخلسة أي الإمامة يوم السقيفة مالت الأنفس إلى توليها وكثر فيها التشاجر فانتزعها واختلسها أبو بكر اختلاسا ومثل هذه البيعة مهيجة للشر والفتنة فعصم الله تعالى من ذلك ووقى.

(3) جيش، يشير إلى ذنب أبي شجرة السلمي وهو فتكه بجيش خالد في حرب الردة ويشير إلى قوله في ذلك:

ورويت رمحي مـن كتيبـة خالـد   وإني لأرجـو بعـدها أن أعمـرا

(4) قطعت.

(5) الأديم: الجلد، يشير إلى ذنب أبي لؤلؤة وهو قتل عمر عليه الرضوان وذلك أن أبا لؤلؤة طلب منه أن يخفف عنه جعل سيده فقال له: إنه ليس بكثير وإنك لصانع مجيد وأريد أن تصنع لي رحى. فقال: سأصنع لك رحى يسمع دويها أهل المشرق والمغرب وكمن له حتى طعنه في صلاة الصبح ومات بسبب ذلك ويشير إلى ذلك ما قاله بعضهم في رثائه:

جزى الله خيرا من إمام وباركـت   يـد اللـه في ذاك الأديم الممـزق

(6) أشم: مختلط شعر الرأس، يشير إلى ذنب بعضهم وهو قتل عثمان عليه الرضوان وذلك أنه وفد عليه وفود كثيرة من الجهات يشكون عماله فأرضاهم وأرسل محمد بن أبي بكر ليكون واليا على مصر فبينما هو ذاهب إذ رأى عبدا على هجين يستحثه فأحضره وفتشه فوجد معه كتابا من الخليفة إلى عامل مصر يقول: إذا أتاك محمد ومن معه فتحيل في قتلهم، فرجع محمد وأعطى الجواب لعثمان فأقر بأنه خط كاتبه وهذا ختمه وعبده وهجينه وأنه لم يرسله، فطلب منه أحد الأمرين: الاعتزال أو اعطاءه كاتبه الحكم فأبى فحصلت الفتنة وحاصروه إلى أن قتل، ويشير إلى ما قاله بعض نعاته:

ضحوا بأشمط عنوان السـجود بـه   يقطـع الليـل تسـبيحا وقرآنـا

السجود به، وبذلت لقطام[1]:

ثلاثــة آلافٍ وعبــدٌ وقينــةٌ[2] وضرْب علي بالحسام المســمم

وكتبت إلى عمر بن سعد: أن جعجع[3] بالحسين، وتمثلت عندما بلغني من وقعة الحرة[4]:

ليت أشـياخي ببـدر شـهدوا جزع الخزرج من وقْع الأسـل

ورجـمت[5] الكـعبة، وصلبت العائذ[6] على الثنية[7]، لكـان فيما جرى علي[8] ما يحتمل أن يكون نكالا[9]، ويدعى ولو على المجاز عقابا.

---

(1) اسم امرأة.

(2) قينة: جارية، يشير بذلك إلى ذنب ابن ملجم وهو قتل علي كرم الله وجهه وذلك أن هذه المرأة أعجبته لنضارتها فأراد أن يتزوجها فطلبت ما في البيت. فقال لها: لك ما طلبت. وقال البيت وبعده:

فلا مهر أغلى من علي وإن غـلا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

(3) ضيق: يشير إلى ذنب عبيد الله بن زياد وهو تحريضه على قتل الحسين، وذلك أنه أبى مبايعة يزيد وأراد الذهاب إلى الكوفة من حيث أنهم طلبوا مبايعته فأخبر يزيد عامله هناك عبيد الله بن زياد بذلك فأرسل لقتاله عمر بن سعد ولما أبطأ جهز له (شمرا) وكتب عبيد الله له ما تقدم فانتشبت الحرب بينهما وانتهت باستشهاده رضي الله عنه.

(4) أرض بظاهر المدينة كانت بها الوقعة بين عقبة بن مسلم وأهل المدينة. يشير إلى ذنب يزيد وهو تشفيه من أهل المدينة وذلك أنه أرسل عقبة بن مسلم إلى محاربة أهل المدينة وإباحتها ثلاثة أيام فتقل وأسرف وأباح. فلما بلغ يزيد ذلك قالت بيت ابن الزبعري المذكور مظهرا لما في الضمير المستتر وهو كراهة الأنصار والمهاجرين.

(5) رميت بالحجارة.

(6) الملتجئ.

(7) طريق العقبة: يشير إلى ذنب الحجاج وهو رجمه الكعبة وصلبه عبد الله بن الزبير وذلك أنه لما حار به التجأ عبد الله وأصحابه إلى الكعبة فنصب الحجاج المنجنيق عليها ورجمها وبعد ما انتصر عليه صلبه منكسا وآلى أن لا ينـزله إلا إذا شفعت أمه فيه فبعد سنة مرت عليه أمه وقالت: أما آن لهذا الفارس أن يترجل، فاعتبر قولها شفاعة وأنزله. ومن قولها لابنها يوم مقتله: يا بني لا تقبلن منهم خطة تخاف منها على نفسك الذل مخافة القتل، فوالله لضربة بالسيف في عز، خير من ضربة بالسوط في مذلة. فقال لها: إنما أخاف المثلة. قالت: يا بني إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها.

(8) حصل لي.

(9) عذابا يريد أني لو أتيت بهذه الذنوب كلها لكان ما حصل لي من التعذيب والإهانة والذل والاستكانة كافيا لتمحيص هذه الذنوب كيف لا وقد صرت إلى حالة يرثي لها العدو والحبيب والبعيد والقريب،

=

وحسبك من حادثات بـامريء[1] تـرى حاسـديه لـه راحمينـا

فكيف ولا ذنب إلا نميمة[2] أهداها كاشح[3] ونبأ[4] جاء به فاسق وهم الهمازون[5] المشاؤون[6] بنميم، والواشون[7] الذين لا يلبثون[8] أن يصدعوا[9] العصا، والغواة[10] الذين لا يتركون أديما[11] صحيحا، والسعاة الذين ذكرهم الأحنف بن قيس[12] فقال: (ما ظنك بقوم الصدق محمود إلا منهم؟).

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة[13] وليس وراء الله للمرء مذهب[14]

=

وذلك أدل على طلب الرحمة وأحكم في الاستعطاف والبيت الذي ذكره للعتبي.

(1) الأصح: وحسبك من حادث بامرئ.

(2) نقل الكلام للإفساد.

(3) مضمر العداوة (أهداها كاشح) كناية عن حسن سبك هذه النميمة وأنه معتني ا كما يعتني بالهدية للأمير.

(4) خبر.

(5) المغتابون.

(6) النمامون.

(7) الذين يزينون الحديث للإفساد.

(8) لبث بالمكان: أقام به.

(9) يشقوا.

(10) المضلون.

(11) الأديم: الجلد، يريد سعي النمام وخبر الفاسق وتزيين الغواة والذين يشقون عصا الألفة ويمزقون أعراض الناس ويلمح في عبارته إلى قوله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا إنْ جاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنبإٍ فَتبينوا** [الحجرات: 6] وإلى قول كثير عزة:

ولا يلبث الواشون أن يصدعوا العصـا إذا هي لم يصلب على الـبري عودهـا

(12) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي المنقري التميمي (3 قبل الهجرة - 72 هـ/ 619 - 691 م) وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين، يضرب له المثل في الحلم . ولد في البصرة وأدرك النبي ج. ولم يره . ووفد على عمر ، حين آلت الخلافة إليه ، في المدينة ، شهد صفين مع علي، ولما انتظم الامر لمعاوية عاتبه ، فأغلظ له الاحنف في الجواب ، فسئل معاوية عن صبره عليه ، فقال : هذا الذي إذا غضب غضب له مئة ألف لا يدرون فيم غضب . وولي خراسان.

(13) شبه: يريد حلفت فلم أترك شبهة في نفسك من براءتي وليس بعد الله من يصدق القسم به حتى أقسم به وأذهب إليه والبيت للنابغة الذبياني من اعتذارياته للنعمان.

(14) البيت من قصيدة مطلعها:

=

والله ما غششتك بعد النصحة ولا انحرفت[1] عنك بعد الصاغية[2] إليك، ولا نصبت[3] لك بعد التشيع فيك، ولا أزمعت[4] يأسا منك. مع ضمان تكفلت به الثقة عنك، وعهد أخذه حسن الظن عليك، ففيم عبث[5] الجفاء بأذمتي[6]، وعاث[7] العقوق[8] في مواتي[9]، وتمكن الضياع[10] من وسائلي؟[11] ولم ضاقت مذاهبي[12]، وأكدت[13] مطالبي؟ وعلام رضيت من المركب[14] بالتعليق[15]؟ بل من الغنيمة بالإياب؟[16] وأنى غلبني الغلب[17]، وفجر[18] على العاجز الضعيف، ولطمتني[19] غير ذات سوار؟ وما لك لم تمنع من قبل أن أفترس؟ وتدركني ولما

=

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصب

وهي للنابغة الذبياني.

(1) ملت.
(2) الإصغاء.
(3) الناصبي في العرف من كان عدوا لعلي كرم الله وجهه وهو ضد الشيعي.
(4) خفت، يقول أقسم بالله أني مقيم على النصح لك ثابت على الميل لك ولم أتخذ مذهب الناصبية مذهبا ولم يستفزني اليأس بالرجاء في عفوك، وهذا الكلام من الاستقصاء البديعي بمكان فإنه استوفى جميع عوارض المحبة بحيث لم يبق لقائل قول لو ولا ليت استجلابا للرحمة وطلبا للعفو.
(5) لعب وهزل.
(6) حرمان.
(7) أفسد.
(8) عدم البر.
(9) أرض موات: لا مالك لها.
(10) الفقد.
(11) طرقي.
(12) حيلي.
(13) ردت.
(14) الركوب.
(15) المراد تعليق الأمتعة.
(16) الرجوع.
(17) المغلوب مرارا.
(18) اجترأ.
(19) ضربتني على خدي.

أمزق؟! أم كيف لا تضطرم[1] جوانح[2] الأكفاء[3] حسدا لي على الخصوص لك؟ وتنقطع أنفس النظراء[4] منافسة[5] لي على الكرامة فيك، وقد زانني اسم خدمتك، وزهاني[6] وسم[7] نعتك، وأبليت[8] البلاء الجميل في سماطك[9]، وقمت المقام المحمود على بساطك؟!

ألست الموالي[10] فيك غُـر قصـائد هي الأنجُم اقتادتْ مـع الليـل أنجمـا

ثنـاءٌ يظـل الـروض منـه منـورا ضحى ويخال الوشي[11] فيه منمنما[12]؟!

وهل لبس الصباحُ إلا بُردا[13] طرزته[14] بفضائلك، وتقلدت[15] الجوزاء[16] إلا عقدا فصلتهُ[17] بمآثرك، واستملى[18] الربيعُ إلا ثناءً أمليته في محاسنك.

---

(1) تشتعل.
(2) الأضلاع، مفردها: جانحة.
(3) جمع كُفء، ويريد الأشباه والنظراء.
(4) جمع نظير وهو: الشبيه والمثيل.
(5) الاستباق.
(6) الزهو: الكبر.
(7) علامة.
(8) جربت.
(9) السمط: الصف من الناس.
(10) المتابع.
(11) ضرب من الحرير ذو ألوان.
(12) ثوب موشى بألوان فيها البياض - لقد أتى ابن زيدون من كلام السحر وسحر الكلام بما يكبو دونه قلم البليغ – وذلك من الاعتراف لسيده بأنه قد أوقد النار في قلوب الحساد والنظراء بتعهده له بالإنعام بالصلات حتى أنطق لسانه فيه بالمدائح التي طلعت من الليل أنجما والثناء الذي زهرت به الرياض ووشيت به حلل الفضل والبيتان من قصيدة للبحتري يعاتب ا الفتح بن خاقان، مطلعها:

يهونُ عليها أن أبيت متيما أعالج وجْدا في الضمير مكتما

(13) رداء.
(14) علمته.
(15) لبست.
(16) برج.
(17) تفصيل العقد: جعل خرزة بين كل لؤلؤتين.
(18) طلب الإملاء.

وبثّ(1) المسك إلا حديثًا أذعته(2) في محامدك؟ ما يوم (حليمةَ بسر) وإن كنت لم أكسك سليبا(3)! ولا حليتك عُطلا! ولا وسمتك غفلاً(4) بل وجدت آجُرا(5) وجصاً(6) فبنيت. ومكان القول ذا سعة فقلت: حاشا(7) لك أن أعد من العامِلة الناصبة(8)، وأكون كالذبالة(9) المنصوبة، تضيء للناس وهي تحترقُ. فلك المثلُ الأعلى(10)،

---

(1) نشر.
(2) أشعته: والمعنى أن فضائلك التي نشر ا في مدائحك ظهرت للعين ظهور الصباح حتى أنه لا يضيء إلا بسببها: وأن عقد الجوزاء لم يحسن في مرأى العين إلا لكوني فصلته في محامدك وكذلك الربيع لم تتضوع الأزهار بنشرها فيه إلا لكونه استملى من الثناء المملوء بمحاسنك ثم أثبت أن ما تقدم حقائق ثابتة بقوله ما يوم حليمة بسر وهو مثل عربي يضرب في فشو الأمر وانتشاره.
(3) مسلوبا.
(4) عدم العلامة.
(5) الطين المحروق.
(6) الجير: أراد دفع ما يتوهم من أنه يتفضل عليه بإذاعة المحاسن ونشر المدائح وأنه اخترع له هذه السجايا والخلال حيث يقول له: إني لم أمدحك إلا بما هو فيك من خصائص الخصال وجميل الخلال وإنما أنا صغتها في القالب الذي يلفت الأنظار ويجلي صدأ الأفكار.
(7) ت يها لك.
(8) من النصب: وهو التعب.
(9) الفتيلة.
(10) الصفة العليا - بعد أن عمل جهد المستطيع في الثناء عليه أراد أن يستميله بلطف ليجعل لعمله فائدة ونتيجة فنزهه على أن يجعل مثله معه كمثل الكفار حيث عملوا وتعنوا في الدنيا فيما لم يعد عليهم منه فائدة في الأخرى، ويشير إلى قوله تعالى: **وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى نارا حامية** الآية والى قول العباس بن الاحنف:

صرت كأني ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق

وبالغ في التلطف بقوله: فلك المثل الأعلى والصفة العليا من التجاوز والصفح وأنت أولى من صفح عن زلة المسيء، وأنا أولى من ادخرت مودته بالصفح عنه، وما أحسن قوله وهو بك الخ، كأنه يقول هو بك أولى وهو بي كذلك إذا كان فيك فكلا الحالين مخصوص بك وما ألطف ما ينسب إلى الإمام الشافعي ﷺ في الإمام أحمد بن حنبل:

قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله
إن زرته فلفضله أو زارني فلفضله فالفضل في الحالين له

وهو بك وبي فيك أولى. ولعمرُك[1] ما جهلت أن (صريح الرأي) أن أتحول إذا بلغتني الشمس و (نبا بي المنـزل[2]) واصفح[3] عن المطامع التي تقطع أعناق الرجال فلا أستوطئ العجز[4] ولا أطمئن[5] إلى الغُرُور[6] ومِن الأمثال المضروبة: خامري[7] أم عامر[8].

وإني مع المعرفة أن الجلاء[9] سباءٌ[10] والنقلةَ[11] مثلةٌ[12]:

ومن يغتربْ عن قومه لم **يزل يـرى** **مصـارع مظلـوم مجـرا ومحسـبا**

وتدفَن منه الصـالحات وإن يسـئ **يكن ما أساء النار** في **رأس كبكبـا**[13]

---

(1) حياتك.

(2) نبا بي المنـزل: لم يوافقني.

(3) أعرض.

(4) أستوطئ العجز: أجده لينا سهلاً.

(5) أميل.

(6) ما يغتر به من متاع الدنيا.

(7) اشترى.

(8) كنية الضبع، يقسم بحياة سيده أنه جهل أن سديد الرأي وجوب التحول عن مقام الإهانة متى شعر بلحاقها به كما أنه لم يجهل أن الطمع مورد الهلكة وذريعة الخذلان ومقطع أعناق الرجال وأنه كان عليه أن يرحل ولا يستسهل العجز ولا يميل إلى الغرور ولكن خابت آماله وانعكست أحواله فكان الغرور نصيبه والأمل قائده فاغتر كما اغتر الضبع بقول القائل خامري أم عامر. يشير إلى قول أبي تمام:

وإن صريح الرأي والحـزم بـامرئ **إذا بلغته الشـمس أن يتحـولا**

وإلى المثل العربي "العجز وطيء" يضرب لمن استلان فراش العجز وقعد عن طلب المكاسب؛ وقوله: خامري الخ مثل يضرب لمن عرف الدنيا وتقلبا ا ثم يميل إليها ويغتر ا.

(9) الخروج عن الوطن

(10) أسر.

(11) الانتقال.

(12) تنكيل.

(13) كبكبا: جبل، والبيتان من قصيدة للأعشى مطلعها:

كفى بالذي تولينه لو تجنبا **شفاءً لسقمٍ بعدما عاد أشيبا**

غير أن قوله في البيت الأول: " **ومن يغتربْ عن قومه** لم **يزل يرى** " في قصيدة الأعشى:

"**ويحطَم بظُلمٍ لا يزالُ يرى لَه**".

عارف أن الأدب الوطنُ لا ُيخشى فراقه، والخليط[1] لا يتوقع زياله[2] والنسيب[3] لا يخفى، والجمال لا ُيجفى[4].

ثم ما قران[5] السعد بالكواكب أ ى أثراً، ولا أثنى خطراً[6] من اقتران غِنى النفس به، وانتظامها نسقًا[7] معه، فإن الحائز[8] لهما الضارب بسهم فيهما، - وقليلٌ ما هم[9] - أينما توجه، ورد منهل[10] بر، وحط في جناب[11] قبول، وضوحك قبل إنزال رحله، وأعطى

(1) المخالط.

(2) مفارقته.

(3) ذو النسب.

(4)لا ُيجفى: لا يهجر، وهو بعد أن بين لسيده أنه لا يجهل أن الصواب التحول أراد أن يبين له أنه يعرف أيضا أن الانتقال فيه التمثيل والنكال وأن الغربة كربة والنوى توى وأن حسنات الغريب مهجورة وسيئاته منشورة فقال: إني مع معرفتي بأن خروجي من وطني أسر لي ودفن لمحاسني وانتقالي منه إلى غيره مع عدم معرفة أهل هذه الجهات بما أنا متحل به من العلوم والأدب والكمالات تنكيل بمحاسني وتضييع لبهجة كمالاتي فيجهل قدري وتضم حقوقي وتدفن مني الصالحات وتشاع على قتلها السيئات غير أني لا أعد ذلك البناء هو الوطن الحقيقي بل وطني الذي أعول عليه إنما هو ملازم لي أينما حللت وترتحلت اخشى فراقه وهو سميري الملازم لي فلا اتوقع غيابه وأن النسيب أينما حل فهو معروف والجمال أينما وجد فهو مألوف وحيث هو كذلك فلا يخشى من الانتقال بأسا ولا من التحول.

(5) مصاحبة.

(6) قدرا.

(7) النسق من الكلام وغيره ما جاء على نظام واحد.

(8) الجامع.

(9) قليل ماهم: يريد بذلك التعريض لسيده بأنه لا نظير لا في أخلاقه وآدابه.

(10) عين.

(11) ناحية بعدان بين أن الأدب كبير النفع عظيم الفائدة حتى جعله وطنا في الغربة وفرجة عند الكربة بين أنه يكون أكبر نفعا وأعظم جدوى إذا صاحبه غني النفس فإن المتحلي بحلاهما القابض على زمامهما أينما يمم فالسعد قرينه والناس أهله يقبلون عليه من كل جانب ويعظمونه كل التعظيم لأول وهلة أو مجرد نظرة ويعطونه حكم الصبـي على أهله يفعل ما يريد كالسيد بالعبيد ويقولون له لقيت أهلا ونزلت مكانا سهلاً واسعا رحبا فأنس ولا تستوحش وكن كما تحب وتختار فأنت رب الدار. وقوله ما قران السعد إلخ أخذه من قوله البستي:

وأتم الأشـياء نـورا وحسـنا بكر شكر زفت إلى صدـهربر

=

حكم الصبـي على أهله

وقيل له أهـلاً وسـهلاً ومرحبـا فهـذا مبيـتٌ صـالح ومقيـل

غير أن الوطن محبوب، والمنشأ مألوف، واللبيبُ يحن إلى وطنه، حنين النجيب[1] إلى عطَنه[2]. والكريمُ لا يجفو أرضا بها قوابله[3]، ولا ينسى بلدا فيها مراضعهُ – قال الأول:

أحب بلاد الله ما بين مَنْعِجٍ[4] إليّ وسلمى أن يصوب سحابا

بلاد بها حل الشباب تمائمي[5] وأول أرض مس جلدي ترابها[6]

هذا إلى مُغالاتي[7] بعقد جوارك، ومُنافستي[1] بلحظةٍ من قربك واعتقادي الطمع في

=

ما قران السعد بالحوت أبهى منظرا من قران بدر وشكر

وقوله أعطى حكم الصبـي إلخ: عبارة كانت تقولها العرب في مدح من نزلوا عنده وأكرمهم وأصل البيت المذكور:

فقلت له أهلاً وسهلا ومرحبا فهذا مبيت صالح وصديق

(1) النجيب من الإبل: الفحل الكريم.

(2) مبرك الإبل حول الماء.

(3) جمع قابلة وهي من تتلقى المولود عند خروجه.

(4) اسم مكان.

(5) تميمة وهو ما يعلق للطفل حفظًا له؛ بعد أن بين له أن سديد الرأي الانتقال وأنه لا يخاف عاقبة ذلك لأدبه وغنى نفسه أراد أن يبين له السبب الحامل على المكث فقال: إن الوطن محبوب والمنشأ مألوف.

ما من غريب وإن أبدى تجلـده إلا سيذكر عند الغربـة الوطنـا

ولا غرو فهو أول أرض وجد بها وأول تربة تضمخ بها جسده وأول بقعة نما فيها فكره وأول جهة قضى فيها الشباب مآربه مع إخوان وأحباب وخلان وأتراب – فإذا تذكر هذه الجهات تخيل له رغد العيش وحسن الحال ورأى أغصان شبابه تميد على تلك الأوطان وتتمايل مع النسيم تمايل البان فيحن إليها حنين الغريب إلى وطنه وأنه ليس من كرم الأصل وشرف المحتد أن يهجر الإنسان قوابله ومراضعه لما لهن عليه من الخير العميم والفضل الجسيم أثناء الصغر فالواجب عليه أن يصلهن في إبان الكبر حتى يجنين ثمرات أتعابهن ويسررن بحسن معاملته لهن والبيتان لبعض الأعراب.

(6) البيتان من مقطوعة من ثلاثة أبيات أولها:

ألم تعلمي يا دار ملحأ أنه إذا أجدبت أو كانَ خصباً جنابها

وهي لشاعرة جاهلية اسمها جمل السلمية من بني عامر غير معروف تاريخ ولادتها ولا تاريخ وفاتها.

(7) مجاوزتي الحد.

غيرك طبع[2] والغنى ممن سواك عناءٌ، والبدل منك أعور، والعوض لغاءٌ[3]، وكل الصيد في جوفِ الفرا[4].

وإذا نظـــرت إلى أمـــيري زادني ... ضنا بــه نظــري إلى الأمــراءِ[5]

وفي كل شجر نار، وأستمجد (المرخ والعفار)[6]، فما هذه البرآءةُ ممن يتولاك[7]؟ والميلُ

=

(1) رغبتي فيك على وجه المباراة.

(2) دنس.

(3) خسيس.

(4) حمار الوحش.

(5) البيت لعدي بن الرقاع العاملي (ت. 95 هـ /714 م) كان معاصراً لجرير، من قصيدة مطلعها:

لِمن المَنازِلُ أقفَرت بِغباءِ ... لَو شِئت هيجتِ الغداة بكائي

(6) نوعان من الشجر سريعا الوري. وأستمجد: أستفضل وقيل أقتدح على الهوينا – بعد أن بين محبة الوطن وألفة المنشأ. وسبب ذلك الطبيعي: أراد أن يبين للأمير أن ذلك ليس هو السبب الوحيد الحامل على المكث بل انضم إليه ما هو أشد منه تأثيرا وأعظم خطرا ألا وهو شدة محبتي لجوارك وحظوتي بقربك، وأنت أكرم من حفظ للجوار حرمته، وأوضح محجته. واعتقادي بأن الطمأنينة إلى غيرك غرور والثقة بخلافك خذلان وعدم رضائي بسواك بدلا ولا بغيرك عوضا وكيف استبدل لغث بالسمين والتعب بالراحة أم كيف أنظر إلى غيرك من الأمراء، وغيرك فيك:

ولـــيس علـــى الله بمســـتنكر ... أن يجمـــع العـــالم في واحـــد

نعم وإن اشتركوا معك في اللقب إلا أ م لم يشتركوا معك في كمال الأدب وفي كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وفي ذلك من استمالة القلب ما يدهش اللب وقد جمعت هذه العبارة من الأمثال ما يذري بالآل – فأولها: "رب طمع يجر إلى طبع" وثانيها "كل الصيد في جوف الفرا" وهو يضرب لمن يفضل نفسه على أقرانه وثالثها "البدل منك أعور" يضرب لكل ما لا يرتضي به، وأصله أن يزيد بن المهلب لما صرف عن خراسان بقتيبة بن مسلم الباهلي وكان شحيحا أعور قال الناس هذا بدل أعور – ورابعها "رضي من الوفاء باللقاء" يضرب لمن يرضى بالقليل من الكثير – خامسها "وفي كل شجر نار وأستمجد المرخ والعفار" يضرب في تفضيل بعض المشتركين في صفة على بعض.

(7) مضارع تولاه صار وليه.

عمن لا يميلُ عنك؟! – وهلا[1] كان هواك[2] فيمن هواه فيك؟ ورضاك فيمن رضاه لك؟؟

يا مـن يعـز علينـا أن نفـارقهم وجْداننا كلّ شيء بعدكم عـدم[3]

أعيذك ونفسي من أن أُشيم[4] خلبا[5]، وأستمطر جهاما[6]، وأكدِم[7] في غير مكدم، وأشكو شكْوى الجريح إلى الغربان والرخم[8] فما أبسستُ[9] لك إلا لِلدُر، ولا حركت لك الحُوار[10] إلا لِلتحن، ولا نبهتك إلا لأنام، ولا سريتُ إليك إلا لأحمد السرى[11] لديك.

---

(1) كلمة تحضيض.

(2) ميل النفس: بعد أن يبين له أنه لا يرضى سواه وأنه يفضل جواره على ما عداه وهو مع ذلك يعرض عنه ولا يميل إليه رجع ينكر عليه ذلك بطريق الاستفهام كما هو الأدب من حيث يقول كيف تتبرأ مني وأنا أواليك وتميل عني و جرني وأنا لا أميل إلا إليك وهلا هويت من يهواك ورضيت من يرضاك والبيت للمتنبي.

(3) البيت من قصيدة لابن نباتة المصري (686 - 768 هـ / 1287 - 1366 م) وسبقت ترجمته ومطلع القصيدة:

بكى لك العاليان القدْر والهمم والماضِيان سنانُ الرأي والقلم

(4) شام البرق: نظر إلى سحابته أين تمطر.

(5) البرق الذي لا يعقبه مطر.

(6) السحاب الذي لا ماء فيه.

(7) أعض.

(8) طائر ضعيف.

(9) الإبساس: الرفق.

(10) ولد الناقة.

(11) السير ليلا - يطلب منه أن يجعل لأعماله نتيجة يجني ثمر ا وأن يكون سيده غارس دوحتها وأن يجعله كالمسيح الماء من الصخر، والمستجير عند كربته بعمرو والمستمطر الجهام والناظر إلى الربق الخلب بل يرسل عليه عطفه مدرارا، وأن يصل رحم الجوار بعد القطيعة ويقر عينا أضرها سهاد الجفوة وأن يحمد إليه سراه ويحسن عقباه، ولقد رصع عبارته بجواهر الأمثال وصاغها في قالب غريب المثل بشير فيها إلى قول معد يكرب:

لا تهنـي بعـد إكراهـك لي فشـديدٌ عـادةٌ مُنتـَزعـه

لا يكـن برْقُـك برقًـا خلبـا إن خير البرق مـا الغيـث معـه

وإلى المثل العربي "كدمت في غير مكدم" يضرب لمن يطلب شيئًا من غير أهله وإلى قول المتنبـي:

=

وإن كان سنيت[1] عقْد امرئ تيسر، ومتى أعذرت[2] في فك أسرى لم يتعذر، وعلمك محيط بأن المعروف ثمرة النعمة، والشفاعة زكاة المروءة. وفَضل الجاه[3] يعوذُ به صدقه.

وإذا امروٌ أسْدى[4] إليك صنيعةً من جاهه فكأ ـا من مـ ـاله[5]

لعلى ألقي العصا بذاك[6] وتستقر بي النوى[7] في ظلك، وأستأنف[8] التأدب بأدبك، والاحتمال على مذهبك، فلا أُوجدُ للحاسد مجالَ[9] لحظِه[10] ولا أدعُ للقادح[11] مساغَ[12] لفظه.

=

ولا تشكو إلى خلق فتشـ ـمتهم شكوى الجريح إلى العقبـ ـان والـ ـرخم

وإلى الأمثال العربية: "الإبساس قبل الإيناس" وهو يضرب في الرفق "حرك لها حوارها تحن" وهو يضرب في استنهاض الهمة، و"ولها عمرا ثم نم" يضرب فيمن يعتمد على غيره، و"عند الصباح يحمد القوم السرى" وهو يضرب عند حمد العاقبة.

(1) سهلت.

(2) بالغت في طلب العذر.

(3) المنـ ـزلة - يقول لسيده: إني ما كلفتك أيها السيد بارتكاب متون الأهوال ولا بمعاناة الأحوال ولا بعدد نجوم السماء ولا رمال الدهناء، وإنما هو أمر يكبر في عين سائله ويصغر عند باذله وهو في يدك وقبضتك وأنت قادر عليه وإن سهلت عسيره سهل وإن التمست المعذرة انتفت الصعوبة، وأنت تعلم - زادك الله علما - أن النعمة شجرة ثمرها المعروف وأن المروءة مال زكا ا الشفاعة وشفاعة اللسان أفضل زكاة الإنسان وبذل الجاه رفد المستعين - وأيد ذلك بالبيت بعده وقوله إن سنيت مأخوذًا من قول بشار:

فبالله ثق إن عز ما تبتغي وقـ ـل إذا الله سنى عقـ ـد أمـ ـر تيسـ ـرا

(4) أهدى.

(5) البيت هو الثاني من مقطوعة من بيتين لابن نباتة المصري والأول:

صدق الذي قد سار في أمثاله بيت بديع النظم في أفواله

(6) كل ما استترت به.

(7) ما ينويه المسافر من قرب أو بعد.

(8) ابتدى.

(9) جال: طاف.

(10) نظره.

(11) الطاعن.

(12) ساغ: الشراب سهل مدخله في الحلق – يقول أرجو من سيدي أن يعفو عن ذنبي وتقصيري ويلبي =

والله مُيسرك من إطلابي[1] هذه الطلبةَ[2] وإشكائي من هذه الشكوى، بصنيعة تُصيب منها مكان المصنع، وتستودعها أحفظ مُستودع حسبما أنت خليق[3] له، وأنا منك حري[4] به، وذلك بيده وهين عليه.

مكاتبات متفرقة

كتب رئيس الجمهورية التركية إلى إحدى الدول الأوربية:

أيها الوزير الأفخم - إن لفظة تقسيم (تركيا) إفك لا يفوه به عاقل، ولا يتصوره إنسان، تكاد تنفطر له السماء دهشة، وترتج له الأرض وحشة، بل تخر دونه الجبال، وتنفك عنده الآمال، كأن أوربا تستطيعه، ولكنها لم تفعله ولن تفعله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، فـ **قُل اللهم مالِك المُلْكِ تؤتي المُلْك من تشاءُ وتنزع المُلْك مِمنْ تشاءُ وتعِز من تشاءُ وتذِل من تشاءُ بيدِك الخَيْر إنك على كُل شيْءٍ قَدِيرٌ** [آل عمران: 26].

تقسيم تركيا: كلمة ليست أكبر من أوربا فقط، بل هي أكبر من منظومة هذا العالم الشمسي، الذي تراه، أو تسمع به، إن كنت تراه، فلا يليق أن يفوه به إلا فم القدرة الإلهية القائم على كل نفس بما كسبت **واللهُ غَالِبٌ على أمْرِهِ ولكِن أكْثَر الناس لا يعْلمونَ** [يوسف: 21].

=

ندائي، هذا كي أسكن في ظلك وكنفك ولا أذهب إلى غيرك وتكون غاية آمالي ومنتهى أسفاري وأتوب عما كنت مرتكبه ومتمسكًا به مما لا يرضيك وأتخلق بأخلاقك وأتمسك بطريقتك وأحذو حذوك، واتبع مذهبك وبذلك لا يجد عدوي في مدار لحظه ولا الطاعن ما يسوغ من لفظه وقوله لعلي ألقى إلخ حل بيت للمعز بن أوز وهو:

وألفت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

(1) إسعافي.

(2) ما أطلبه.

(3) جدير.

(4) حقيق: يقول لسيده والحمد لله الذي سهل لك مطلبي وإسعافي وإزالة ما أشكوه من آلام السجن بمعروف تبذله لأهله وتحفظه عند أمين لوقته حسبما يقتضيه كرم أخلاقك وجميل صفاتك وأنا أحق الناس به لمودتي لك وإخلاصي في ولائك وما ذلك عليك بعزيز:.

إن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى تصيب بها مكان المصنع

تقسيم تركيا: ربما يكون، ولكن متى يكون؟ حينما يتحلى وجه البسيطة بدمائنا الطاهرة الزكية، يوم ترى الأرض لابسة تلك الحلة الأرجوانية الثمينة، حيث تتمشى الدماء على فيروز الفضاء، محاطة كواكب الوجود بكتائب جنود العدم المطلق، لا أرض لمن تِقِلّ، ولا سماء لمن تظل، ولا قائم موجود، ولا دائم مقصود – هنالك تتحدث شياطين الخيال في أندية المحال بحديث ذلك التقسيم المشئوم، ولا من سميع، ولا من مجيب، فالويلُ ثم الويل يوم ذلك التقسيم الموهوم، والثّبور ثم الثبور إذا تنـزلت السماءُ بقضاء ذلك الهول المقسوم: **إنّ في ذلك لبلاغًا لقومٍ يتفكرون** .

وكتب ابن العميد[1] في شكر صديق له على مراسلته إياه:

وصل ما وصلتني به[2] جعلني الله فداك[3] من كتابك، بل نعمتك التامة، ومنتك العامة[4] فقرت عيني بوروده[5]، وشفيت نفسي بوفوده[6]، ونشرته فحكى نسيم الرياض غِب المطر[7]، وتنفس الأنوار في السحر[8]، وتأملت مفتتحه وما اشتمل عليه من لطائف كلمك، وبدائع حكمك[9]؛ فوجدته قد تحمل من فنون البر عنك[10]، وضروب الفضل منك[11]؛ جدا وهزلا[12] ما ملأ عيني، وغمر قلبي[13]، وغلب فكري، فبقيت لا أدري!

---

(1) ت. سنة 360هـ.

(2) ورد إلي كتابك الذي ربطتني به معك.

(3) فداك: أي وضعني الله مكانك في كل مكروه حتى تخلص منه.

(4) أي الذي ورد إلي هو خطابك الذي أعده بمنـزلة نعمتك العمومية وجميلك الشامل.

(5) فاطمأن قلبي بوصوله إلي.

(6) وطابت نفسي بمجيئه إلي.

(7) ونشرته أي فتحته فحكى نسيم الرياض عب المطر أي يشبه الريح التي ب من البساتين بعدما نزل المطر عليها.

(8) وأشبه تفتح الأزهار في أواخر الليل.

(9) أي وتدبرت في صدره رقي الكلمات اللطيفة التي أودعتها فيه والحكم البديعة التي نثر ا فيه.

(10) أي شاهدت منه أنواعا من الإكرام أثبتها فيه، وأصنافًا من الأفضال دونتها فيه.

(11) أي شاهدت منه أنواعا من الإكرام أثبتها فيه، وأصنافًا من الأفضال دونتها فيه..

(12) من الأمور الهامة الجديدة والأمور المفرحة المازحة.

(13) ملأ عيني: يعني صرفها عن النظر إلى غير إحسانك – وغمر قلبي أي: لم يدع له منصرفًا إلى غير أفضالك.

أسموط در خصصتني ا[1]؟ أم عقود جوهر[2] منحتنيها[3]؟ ولا أدري: أجدك أبلغ وألطف؟ أم هزلك أرفع وأظرف؟ وأنا أوكل بتتبع ما انطوى عليه نفسا لا ترى الحظ إلا ما اقتنيته منه[4]، ولا تعد الفضل إلا فيما أخذته عنه، وأمتع بتأمله عينا لا تقر إلا بمثله، مما يصدر عن يدك، ويرد من عندك. وأعطيه نظرا لا يمله، وطرفًا لا يطرف دونه[5]، وأجعله مثالاً أرتسمه وأحتذيه[6]، وأمتع خلقي برونقه، وأغذي نفسي ببهجته، وأمزج قريحتي برقته، وأشرح صدري بقراءته، ولئن كنت عن تحصيل ما قلته عاجزا، وفي تعديد ما ذكرته متخلفًا، لقد عرفت أنه ما سمعت به من السحر الحلال.

ومن كتاب للمرحوم السيد توفيق البكري في سفرته إلى الآستانة العلية:

كتابي إلى السيد الأجل، وأنا أحمد الله إليه، وأدعوه أن يديم النعمة والسلامة عليه، وبعد: فلما اعتزمت على الرحلة هذا العام، إلى قبة السلام، ودار خلافة الإسلام، وفارقت مصر، وساكنها، وأرباضها[7]، ومواطنها، ركبت سفينة عدوليه[8] إلى الثغور الفرنجية؛ فجرت في خضم[9] عجاج، ملتطم الأمواج، له دوي من جرجرة[10] الآذي[11] أخضر الجلد، كأنه إفرند[12] تصخب[13] فيه النينان[14]، وتجري في جوفه الدعاميص[15] والحيتان،

---

(1) وغلب في فكري أي: استحوذ على عقلي، و ،رني أي راع عقلي وسباه.
(2) أي عقود در قصر ا علي.
(3) أعطيتنيها.
(4) اكتسبته.
(5) الطرف العين، يطرف: يطبق جفنا على الآخر.
(6) أرسمه في فكري وأقتدي به.
(7) مساكنها.
(8) نسبة إلى قرية عدولى بالبحرين أو نسبة إلى صانعها، والمقصود أ ا أضخم سفينة.
(9) البحر.
(10) الصوت.
(11) الموج.
(12) جوهر السيف.
(13) تختلط أصوا ا.
(14) جمع نون وهو الحوت.
(15) جمع دعموص دودة لها رأسان ترى في الماء إذا قل.

إذا مازجه الأصيل[1] بالعشي خلته كُسرت[2] عليه الحُلى، أو مزج بالرحيق[3] القُطْربلي[4]، وإن لاحت به نجوم السماء، خلته صفائح من فضة بيضاء سمرت بمسامير صغار نضار[5]، وأخذت السفينة تشق عبابه[6]، وتفلق حبابه[7] بين ريـح رخاء[8]، أو زعزع[9] هوجاءَ[10]؛ فهي تارة في طريق معبد[11]، ورميث[12] مسرد[13]، وطورا فوق حزن[14] وقردد[15]، أو على صرحٍ[16] ممرد[17]، وكان معنا في الفُلك رهط من العرب والترك، فكنا نتوارد معهم في جوائب[18] الأخبار، وطُرف[19] الأحاديث والأسمار[20]، ما يزري[21] بالمنهل العذْب، واللؤلؤ الرطب، إلى أن يميلَ ميزان النهار، وتغرق ذُكاء[1] في

(1) الوقت بعد العصر حتى تغرب الشمس.

(2) رددت ووضعت.

(3) الخمر.

(4) بضم القاف وسكون الطاء وضم الراء وتشديد اللام الخمر المنسوب إلى قطر بل قرية بين بغداد وعكبرا مشهورة بالخمر الجيدة.

(5) الذهب.

(6) الموج.

(7) بفتح الحاء ما يعلو.

(8) بضم الراء الريح اللينة.

(9) بفتح الزاءين الريح الشديد.

(10) بفتح الهاء الريح القوية تقلع الأشجار والبيوت.

(11) مذلل ومسهل.

(12) الأرض السهلة.

(13) منتظم لا صعوبة فيه.

(14) الأرض الصعبة.

(15) الأرض المرتفعة الغليظة.

(16) القصر.

(17) مرد البناء: ملسه حتى صار ناعما.

(18) الأخبار الطارئة.

(19) المحاسن.

(20) الأحاديث وأصله لأحاديث الليل.

(21) يعيب ويحقر.

البحار، ويمسي الكونُ من السواد، في لَبوس حديد[2] أو لِباس حداد، وتبرق نجوم السماء في أكناف الظلماء، كأ ا سِكاك[3] دلاص[4]، أو فلق رصاص، أو عيون دراد، أو جمر في خلال رماد، أو در في بحر أو ثُقب في قُبة الديجور[5]، يلوح منها النور، ويبدو الهلال كأنه خنجر من ضياء، يشق طيالس الظلماء، أو قلادة أو دُمْلُج[6] غادةٍ[7]، أو سنان[8] لواه الضراب، أو الليل فيل وهو ناب، فنأخذ مجلسا نسمه[9] الكافور، وأرضه عنبر مذرور[10]، رقمت فيه زرابي مبثوثات[11]، ومنابذ[12]، وحسبانات[13]، وأنماطٌ[14] مفروشة، وبسط منقوشة:

بسـط أجـاد الرسـم صـانعها وزهـا عليـه الـنقْش والشـكْلُ

فيكاد يقطـف مـن أزهارهـا ويكاد يسـقط فوقهـا النحـل

وحوله شموع تزهو، وأضواءٌ تبهر[15]، وقد دارت عليه سقاةٌ[16]، كجماع[17]

=

(1) بضم الذال ممنوعة من الصرف اسم للشمس.

(2) بفتح اللام الدرع.

(3) جمع سك المسار.

(4) بكسر الدال الذي يبرق ويلمع.

(5) الظلام.

(6) بكسر الدال وزن درهم أو بضمها مع ضم اللام: حلى للنساء يلبسنه في أيديهن.

(7) المرأة الناعمة لينة الأعطاف.

(8) حديدة الرمح.

(9) نسيمه.

(10) منشور.

(11) منشورات.

(12) جمع منبذة وزن مكنسة الوسادة التي يتكأ أو ينام عليها.

(13) جمع حسبانة الوسادة الصغيرة التي يتكأ عليها أيضا.

(14) جمع نمط، ثوب من صوف يطرح على الهودج ذو لون من الألوان.

(15) تزهر وتبهر كلاهما بمعنى تضيء وبا ما منع.

(16) جمع ساق.

(17) بالضم ما جمع وانضم بعضه إلى بعض ومراده الغلمان.

الثريا[1]، بأقداح الحُميا[2]، وأكـوابٍ[3] الفانيذ[4] المروق، وقوارير[5] الجُـلاب[6] المُصفق[7]، ثم تجيء قينةٌ[8] في يدها ناي، كأنه صور إسرافيل، يحيي الرفات[9]، وينشر[10] الأموات، حتى إذا بدأ الضياءُ، كابتسام الشفة اللمياء، دخلنا المضجع لنهجع، وهلُم جرا، في أيامنا الأخرى.

وكتبت السيدة وردة اليازجية[11] إلى السيدة عائشة تيمور[12]:

سيدتي ومولاتي – أعرض أنني بينما أنا ألهج بذكر ألطافكم السنية، وأتنسم شذا أنفاسكم العبقرية، وأترقب لقاء أثر من لدنكم يتعلل به الخاطر، ويكتحل بإثمدِ مداده الناظر.

وصلتني مكاتبتكم، فَجلَت عن العين أقذاءها، وردت إلى النفس صفاءَها، فتناولتها بالقلب لا بالبنان، وتصفحت ما في طيها من سحر البيان، فقلت:

---

(1) سبعة كواكب منضمة بعضها إلى بعض.
(2) الخمر والمراد الشراب.
(3) جمع كوب الكوز المستدير الرأس لا عروة له أو لا خرطوم.
(4) نوع من الحلوى فارسي معرب بانيذ.
(5) جمع قارورة: ما يوضع فيها الشراب من الزجاج.
(6) ماء الورد فارسي معرب.
(7) المروق الصافي.
(8) المغنية.
(9) الحطام البالي، والمراد الأموات.
(10) يحييها.
(11) وردة بنت ناصيف اليازجي (1253 - 1342 هـ / 1838 - 1924 م) أديبة، من أهل كفر شيما (بلبنان) تعلمت في مدرسة البنات الأميركية ببيروت، وقرأت الأدب على أبيها، ونظمت الشعر، فاجتمع لها ديوان صغير سمته (حديقة الورد - ط)، واقترنت بفرنسيس شمعون سنة 1866م، وسكنت الإسكندرية وتوفيت فيها، أكثر شعرها في المراثي.
(12) عائشة عصمت بنت إسماعيل باشا بن محمد كاشف تيمور (1256 - 1320 هـ / 1840 - 1902 م) شاعره أديبة من نوابغ مصر كانت تنظم الشعر بالعربية والتركية والفارسية مولدها ووفا ا بالقاهرة، وتوفي والدها سنة 1289هـ وبعده زوجها سنة 1292هـ فعكفت على الأدب ونشرت مقالات في الصحف وعلت شهر ا، وهي شقيقة أحمد تيمور باشا، لها (حلية الطراز) وهو ديوان شعر و(نتائج الأحوال) في الأدب.

هذا الكتاب الذي هام الفؤاد بـه يا ليتني قلـم في كـف كاتبـه

ولعمري إنه كتاب حوى بدائع المنثور والمنظوم، وتحلى من درر الفصاحة فأخجلب لديه دراري النجوم، وقد تطفلْت على مقامكم العالي بهذا الجواب ناطقًا بتقصيري، وضمنته من مدح سجاياكم الغراء، وما يشفع لدى مكارمكم في قبول معاذيري، لازلتم للفضل معدنا، وللأدب كنـزا وفخرا.

وكتبت السيدة عائشة تيمور إلى السيدة وردة اليازجية:

أستهل براعة سلامٍ حمل الشوق رسالته، وتقلد الشفق ما نشقَت ناشقةُ[1] عرفِ الوداد كفالته، ولو رضيت البراعة بالارتجال، في صدق المقال، لنطق بخالص الوفاء مِداد حروفه، وأقام بأداء التحية العاطرة قبل فض ختام مظروفه، ولعمري قد توجته أزهار الثناء، بلآلئ غراء، وكللته زواهِر الوفاء، من خالص الوداد إلى حضرة من لا تزال تستروح الأسماع بنسيم أنبائها صباح مساء، وتتشوق الأرواح إلى استطلاح بدرِ إنسانها الكامل أطراقًا وآناءً، ومما زادني شوقًا إلى شوق، حتى لقد شب فيه طفل الشفق عن الطوق، اجتلائي حديقة "الورد" القدسية ونافجة[2] الأدب المسكية[3]؛ فيالها من حديقة رمتها[4] أحداق الأذهان، فاقتبست نورا وانتشقَتها[5] مسام الآذان، فتمايلت طربا وسرورا، ومنذ سرحت في أرجاء تلك اليانعة إنسان العين، وشرحت بأفكار البصيرة أسرار ذلك الدر المصون، لم أزل بين طَرب أتوشح[6] بوشاحه، وأتعجب من حسن اختتامه وافتتاحه، وجعلت أغازل من نرجس تلك الروضة عيونا ملكت مِني الحواس وهصرت[7] من غصون ألفاظها كل مشوق أهيف[8] مياس[9]، وأتأدب في حضرة وردها خوفًا من شوكة سلطانها، وأن حياتي بجميل الالتفات ضاحكةٌ عن

(1) الشق: صب الدواء في الأنف.
(2) نفجت الريح: جاءت بقوة.
(3) نسبة إلى المِسك.
(4) تطلعت إليها.
(5) استنشقتها.
(6) أرتدي.
(7) هصرت الغصن: أخذته وأملته إليك.
(8) ضامر البطن رشيق.
(9) متبختر.

نفيس جمانة[1]، وإذا بالياسمين الغض قد ألقى نفسه على الثرى[2] ونادى بلسان الإفصاح: هل لهذه النضرة نظيرة يا ترى؟! فأشار المنثور بكفه الخضيب أن لا نظير لتلك الغادة، ونطق الزنبق[3] بلسان البيان: لا تكتموا الشهادة، فعند ذلك صفق الطير[4] بأكف الأجنحة وبشر، وجرى الماءُ لإذاعة نبإ السرور فعثر بذَيل النسيم وتكسر، وتمايلت أغصا ا المُورقة لسماع هذا الحديث، وأخذت نسماتها العاطرة في السير الحثيث إذاعةً لتلك البشائر في العشائر، ونشرا لهذه الفضائل التي سارت مسير المَثل السائر، فقلت بلسان الصادق الأمين، بعد تحقق هذا النبأ اليقين، هكذا هكذا تكون الحديقة وإلا، وكذلك كذلك لتكْتب الفضائل وتملى:

وحدثتني يا سعد عنـهم فـزدتني غراما فزدني من حديثك يا سعد[5]

فتحمل عني أيها الصديق تحيةً إلى ربة هاتيك الحديقة، واشرح لديها حديث شغفي بفضلها الباهر على الحقيقة، واعتذر عن كتابي هذا فقد جاء يمشي على استحياء، وكلما حركه الشوق يبطئُه الحياء. وكيف وقد حل في منبع الفضائل والمقام لم يدع مقالاً لقائل، فكأني إنما أهدي التمر إلى هجر، وأمنح البحر الخضم بالمطر؛ أدام الله معالي تلك الحضرة وزادها في كل جة ونضرة، ما لاح جبين هلال، وبلغ غاية الكمال.

وكتب المرحوم السيد عبد الله النديم سنة 1314هـ:

أُستاذي وقدوتي، وملاذي وعمدتي – ربيت، فأحسنت، وغَذيت، فأسمنت، مؤدبا ليِّنًا، ولِنت فسودت، وجدت فعودت، مهذبا غيِّثًا، وعلمت فأفهمت، وأشرت فألهمت غَرض سهمك، وقد نلت ما أملت، فيمن عليه عولت بحسن فهمك:

من صـار في البيــان كالنسيــم غلامــك الشــهير بالنــديم

وكيف لا يكون لساني قوس البديع، وكلامي السهم السريع، وأنت باريه وراميه! أم كيف لا يكون مقامي الحِصن المنيع، وقدري العزيز الرفيع، وأنت معليه وبانيه! فوجه جمال

---

(1) الجمان من الفضة يتخذ كاللؤلؤ.

(2) التراب المبلل بالماء.

(3) رائحة الياسمين.

(4) ضرب بجناحيه.

(5) البيت أول مقطوعة تعدادها ثلاثة أبيات وهي للعباس بن الأحنف بن الأسود اليمامي، أبو الفضل (ت. 192 هـ / 807 م) أصله من عرب خراسان ومنشؤه ببغداد.

العلم أنت غُرته، وإنسانُ عين العلمِ أنت قُرنه، وحاليه وجاليه. وجبين العقل أنمت طُرته، وكتاب الفَضل أنت صورته، وطاليه وتاليه:

على بابك العالي مــن الفضــل رايــةٌ **على رأس أرباب المعــارف تخفُــق**

فعِلمــك جنــات وحِلمــك جنــةٌ **وكَفُّك خيرات وعَينُــك مغــدِق**

أرى غُصن من يدعو إلى الفضل نفســه **مِن الفَضل عريانا وغُصنك مــورق**

إذا رمت إنشاءً فعــن صِــدق فكــرة **تهادى بأبكــارٍ وغَيــرك يســرِق**

وكتب أيضا في التودد:

بينما أنا راكب لّجة[1] بحر الفكر، مجِد في طلب فريدةٍ بكر، تارة أغوص ومرةً أسبح وآونةً أقف وطورا أصفح، لا يقر لي قرار، ولا يمكنني الفرار، ولا يقصر عن طرح شباكي ذراع، ولا مطوى لسفينتي شراع، كلما أدركني الملل هاجت علي رياح الأمل، حتى دخلت في بحر عجاج[2]، متلاطم[3] الأمواج، فاقتحمت هذا المركب الصعب، و ت بين الجزائروالشعب، فتعلقت أفكاري بالسواري والحبال، وبت بليلة نجومها كواحل، لا يرى فيها بر ولا سواحل، وقلت: اشتداد الأمر يستدعي ضده، ولا يأتي الفرج إلا بعد الشدة؛ وعينيك ما سلْ سيفها على مفرق مساها، حتى سمعت "باسم الله مجريها ومرساها" فكان من تمام حظي وسعودي، أن تركت لُجة اليم واستوت على الجودي[4]، وانصرف خوفي وارتباكي، وبادرت بطرح شباكي، فإذا قد ملئت بأصداف الجوهر، وعلقت ا شجرة العنبر، فتفتح الصدف عن در يستخدم الأقمار، وفاح العنبر بما أذهب شذى[5] الأزهار.

وصرت ما بينها كِسرى الزمان لــه **شمــس تنادِمــه في مجلــس عطــر**

ونلت أقصى أمان كنــت آملــها **الأنس في خلدي والنور في نظــري**

---

(1) لجة البحر: معظمه.

(2) له صوت شديد من شدة أمواجه.

(3) يضرب بعضها بعضا.

(4) الجبل الذي رست عليه سفينة نوح عليه السلام بعد انتهاء الطوفان.

(5) رائحة.

ولما جلوت الطرف[1]، بما فيها من الظرف، ووقعت عندي الموقع الحسن، أردت أن أسومها[2] بثمن، فإذا هي درة يتيمة، لا يقدر لها أحد على قيمة، فاستهديتها من ر ا، لشغفي بحبها، وجعلت القلب لها كنـزا، والفؤاد لها حرزا، ألا وهي (محبة العزيز الحافظ) أبدع مرثي وأبلغ لافظ.

وكتب إبراهيم بك المويلحي[3] يعزي محمود باشا البارودي:

أنت يا فوق أن تعزى عن الأحبـا ... ب فوق الـذي يعزيـك عقـلا

وبألفاظك اهتـدى فـإذا عـزا ... ك فـال الذي لـه قالـت قـبلا

وقتلت الزمان علما فمـا يغـر ... ب قـولاً ولا يجـدد فعـلا[4]

نعم إنك يا "محمود" الخصال و "سامي" الفِعال، لأنت الشهم المُجرب لصروف الحدثان، والعالم الخبير بأحوال الزمان، قد أعددت لنوازل المقْدور نزلاً من الصبر المأجور، وصرفت ضيف الشجون والهُموم، إلى قُرى الفضائل والعلوم، وأخذت بسنة السلف الصالح، في مقابلة الخطوب الفوادح، وأنت لا شك عندنا آخذ فيما دهمك اليوم من المصاب العظيم، بسيرة ذلك الفيلسوف الحكيم: بينما هو جالس يوما في الدرس بين تلاميذه، إذ جاءه من أخبره بأن ابنه الوحيد مات، وهو رطب الشباب غض العمر، فلم يتوله الفزع، ولم يظهر عليه الاضطراب، ولم يبد على وجهه الكدر، وما زاد على أن استرجع، واستمر في قراءة درسه كما كان فلما انتهى منه بادره أحد الحاضرين من أصحابه ممن حير م الدهشة في أمره، يسأله: كيف لم يسلبه الحزن ثوب الثبات برهةً عند مفاجأته بالخبر؟ فقال له: "لو فاجأتني النازلةُ على غِرة مني لجزعت وحزنت ولكني ما زلت أقدر لابني منذ يوم ولادته، حلول أجله في كل يوم من أيام حياته، ولمثل هذا اليوم كنت أعده من زمانٍ طويلٍ، وكان كلما مضى عام من أعوامه اعتبرته خلسة اختلستها من الدهر، حتى مضى على هذه العارية عشرون عاما، فشكري لله اليوم على أن أبقاها في يدي طول هذه المدة، يوم مقام الحزن عند

(1) العين.

(2) اضع لها سعرا.

(3) توفي سنة 1323هـ.

(4) الشعر للمتنبي من قصيدة مطلعها:

إن يكُن صبر ذي الرزية فَضلاً ... تكُن الأفضلَ الأعز الأجلاَّ

غيري لدى استردادها"، وعن النبي ﷺ "إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: أقبضتم ثمرة قلبه؟ فيقولون: نعم فيقول الله تعالى: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة، وسموه بيت الحمد" وأنت يا محمود – صلوات الله عليك ورحمته لقوله تعالى: **ولنبلونكم بشيءٍ من الخوفِ والجوعِ ونقصٍ من الأموالِ والأنفسِ والثمراتِ وبشرِ الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنا للهِ وإنا إليه راجعونَ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمةٌ وأولئك هم المهتدونَ** [البقرة: 155-157] أول من يمتثل لحكم القضاء، ويسترجع عند نزول البلاء، ويعمل بأدب الدين في التجلد والتصبر، ويأخذ بسيرة الحكماء في التدبر والتصبر:

ومن كان ذا نفس كنفسك حـرةً ففيه لهـا مغن وفيها لـه مسـل

وكتب سهل بن هرون[1] في البخل:

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلح الله أمركم، وجمع شملكم، وعلمكم الخير، وجعلكم من أهله. قال الأحنف بن قيس: معشر بني تميم؛ لا تسرعوا إلى الفتنة، فإن أسرع الناس إلى القتال، أقلهم حياء من الفرار، وقد كانوا يقولون: إذا أرادت أن ترى العيوب جمة، فتأمل عيابا. فإنه يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب. ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب، وقبيح أن تنهى مرشدا، وأن تغرى بمشفق، وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقديم فاسدكم، وإبقاء النعمة عليكم، وما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم، وقد تعلمون أنا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لكم، ولأنفسنا قبلكم، وشهرنا به في الآفاق دونكم، ثم نقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه: **وما أريد أنْ أخالفكُم إلى ما أنهاكُم عنه إنْ أُريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا باللهِ عليه توكلت وإليه أُنيب** [هود: 88] فما كان أحقنا منكم في حرمتنا بكم، أن ترعوا حق قصدنا بذلك إليكم على ما رعيناه من واجب حقكم، فلا العذر المبسوط بلغتم، ولا بواجب الحرمة قمتم، ولو كان ذكر العيوب يراد به فخر، لرأينا في أنفسنا عن ذلك شغلا.

عبتموني بقولي لخادمي: أجيدي العجين فهو أطيب لطعمه، وأزيد في ريعه[1] وقد قال

(1) هو من أبناء الفرس وكان من رجالات البلاغة والعلم والحكمة في دولتي الرشيد والمامون وقد وضع كتابا حاكى به كتاب "كليلة ودمنة" وسماه "ثعلة وعفرة" وكان قيم بيت الحكمة "مدير دار الكتب" في عهد المأمون وتوفى سنة 649.

عمر بن الخطاب ﷺ: "املكوا[2] العجين، فإنه أحد الريعين".

وعبتموني حين ختمت على ما فيه شيء ثمين من فاكهة رطبة نقية، ومن رطبه غريبة، على عبدٍ م، وصبي جشع، وأمة لكعاء[3]، وزوجةٍ مضيعة.

وعبتوني بالختم، وقد ختم بعض الأئمة على مزود سويق[4] وعلى كيس فارغ. وقال: "طينة خير من طية"[5] فأمسكتم عمن ختم على لا شيء، وعبتم من ختم على شيء.

وعبتموني أن قلت للغلام: "إذا زدت في المرق فزد في الإنضاج، ليجتمع مع التأدم باللحم طيب المرق".

وعبتموني بخصف[6] النعل، وبتصدير[7] القميص، وحين زعمت أن المخصوفة من النعل أبقى وأقوى وأشبه بالشد، وإن الترقيع من الحزم، والتفريط من التضييع، وقد كان رسول الله ﷺ يخصف نعله ويرقع ثوبه، ويقول: "لو أهدى إلي ذراع لقبلت، ولو دعيت إلى كُراع لأجبت". وقالت الحكماء: لا جديد لمن لم يلبس الخلق، وبعث زياد رجلا يرتاد له محدثًا واشترط عليه أن يكون عاقلا، فأتاه به موافقًا، فقال له: أكنت به ذا معرفة؟ قال: لا. ولكني رأيته في يوم قائظ، يلبس خلقًا، ويلبس الناس جديدا. فتفرست فيه العقل والأدب. وقد علمت أن الخلق في موضعه، مثل الجديد في موضعه، وقد جعل الله لكل شيء قدرا، وسما به موضعا، كما جعل لكل زمان رجالا، ولكل مقام مقالا. وقد أحيا الله بالسم، وأمات بالدواء، وأغص بالماء. وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكاسبين، كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين. وقد جبر الأحنف بن قيس يد عنـز، وأمر مالك بن أنس بفرك النعل. وقال عمر بن الخطاب ﷺ: من أكل بيضة فقد أكل دجاجة؛ ولبس سالم بن عبد الله جلد أضحية. وقال رجل لبعض الحكماء: أريد أن أهدي إليك دجاجة، فقال: إن كان لابد

=

(1) الربع النماء والزيادة.

(2) إملاك العجين: إنعام عجينه.

(3) اللكعاء: الحمقاء.

(4) المزود: وعاء الزاد والسويق: شراب يتخذ من الحنطة أو الشعير.

(5) طينة من طان الشيء أي ختمه بالطين و "طية" من الطوى وهو الجوع.

(6) خصف النعل: خرزها.

(7) تصدير القميص : أن يجعل لصدره بطانة.

فاجعلها بيوضا.

وعبتموني حين قلت: من لم يعرف مواضع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد في الممتنع الغالي. ولقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية وأشد من الكفاية، فلما صرت إلى تفريق أجزائه على الأعضاء، وإلى التوفير عليها من وضيعة[1] الماء، وجدن في الأعضاء فضلاً عن الماء، فعلمت أن لو كنت سلكت الاقتصاد في أوائله لخرج آخره على كفاية أوله، ولكان نصيب الأول كنصيب الآخر. فعبتموني بذلك وشنعتم علي، وقد قال الحسن: وذكر السرف: "أما إنه ليكون في الماء، والكلأ" فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه الكلأ.

وعبتموني أن قلت: لا يغترن أحدكم بطول عمره، وتقويس ظهره، ورقة عظمه، ووهن قوته. وأن يرى نحوه أكثر ذريته! فيدعوه ذلك إلى إخراج ماله من يده، وتحويله إلى ملك غيره، وإلى تحكيم السرف فيه، وتسليط الشهوات عليه، فلعله يكون معمرا وهو لا يدري، وممدودا له في السن وهو لا يشعر. ولعله أن يرزق الولد على اليأس، ويحدث عليه من آفات الدهر ما لا يخطر على بال ولا يدركه عقل، فيسترده ممن لا يرده، ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه، أصعب ما كان عليه الطرب، وأقبح ما كان به أن يطلب، فعبتموني بذلك. وقد قال الأول:

"اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا".

وعبتموني بأن قلت: بأن، الشرف والتبذير إلى مال المواريث، وأموال الملوك، وإلى ما لا يمرض فيه بذهاب الدين. واهتضام العرض، ونصب البدن، واهتضام القلب أسرع، وأن الحفظ للمال المكتسب، والغنى المحتلب أقرب، ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله، ومن لم يحسب الدخل، فقد أضاع الأصل ومن لم يعرف للغنى قدره، فقد أوذن بالفقر، وطاب نفسا بالذل.

وعبتموني بأن قلت: إن كسب الحلال، يضمن الإنفاق في الحلال، وإن الخبيث ينـزع الخبيث، وإن الطيب، يدعو إلى الطيب، وإن الإنفاق في الهوى حجاب دون الهدى، فعبتم علي هذا القول، وقد قال معاوية: لم أر تبذيرا قط إلا وإلى جنبه تضييع، وقد قال الحسن: إن أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله، فانظروا في ماذا ينفقه، فإن الخبيث إنما ينفق في السرف، وقلت لكم بالشفقة عليكم، وحسن النظر مني لكم، وأنتم في دار الآفات، والجوائح غير مأمونات فإن أحاطت بمال أحدكم آفة لم يرجع إلا إلى نفسه، فاحذروا النقم باختلاف

(1) الوضيعة هنا: النقص.

الأمكنة فإن البلية لا تجري في الجميع، إلا بموت الجميع.

وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ في العبد والأمة والشاة والبعير: فرقوا بين المنايا. وقد قال ابن سيرين لبعض البحريين: كيف تصنعون بأموالكم؟ قالوا: نفرقها في السفن: فإن عطب بعض سلم بعض، ولولا أن السلامة أكثر ما حملنا أموالنا في البحر، قال ابن سيرين: "تحسبها خرقاء وهي صناع"[1].

وعبتموني بأن قلت لكم عند إشفاقي عليكم: إن للغنى لسكرا، وللمال لنـزوة[2]، فمن لم يحفظ الغنى من سكره، فقد أضاعه، ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد أهمله.

فعبتموني بذلك، وقد قال زيد بن جبلة: ليس أحد أقصر عقلاً من غني أمن الفقر، وسكر الغنى أكثر من سكر الخمر، وقد قال الشاعر في يحيى بن خالد بن برمك:

وهوب تلاد المـال فيمـا ينوبـه منوع إذا ما منعـه كـان أحزمـا

وعبتموني حين زعمتم أني أقدم المال على العلم، لأن المال به يفاد العلم، وبه تقوم النفس، قبل أن تعرف فضل العلم. فهو أصل، والأصل أحق بالتفضيل من الفرع. فقلتم: كيف هذا؟ وقد قيل لرئيس الحكماء: الأغنياء أفضل أم العلماء؟ قال: العلماء. قيل له: فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتي الأغنياء أبواب العلماء؟ قال: ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال، وجهل الأغنياء بحق العلم. فقلت: حالهما هي القاضية بينهما: وكيف يستوي شيء حاجة العامة إليه، وشيء يغني فيه بعضهم عن بعض؟

وكان النبي ﷺ يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم، والفقراء باتخاذ الدجاج. وقال أبو بكر ﷺ: إني لأبغض أهل بيت ينفقون نفقة الأيام في اليوم الواحد. وكان أبو الأسود الدؤلي يقول لولده: إذا بسط الله لك الرزق فابسط، وإذا قبض فاقبض.

وعبتموني حين قلت: فضل الغنى على القوت إنما هو كفضل الآلة تكون في البيت إذا احتيج إليها استعملت، وإن استغني عنها كانت عدة. وقد قال الحصين بن المنذر: وددت أن لي مثل أحدٍ ذهبا لا أنتفع منه بشيء. قيل له: فما كنت تصنع به؟ قال: لكثرة من كان يخدمني عليه، لأن المال مخدوم. وقد قال بعض الحكماء: عليك بطلب الغنى: فلو لم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك وذلّ في قلب عدوك، لكان الحظ فيه جسيما والنفع فيه عظيما.

---

(1) هذا مثل يضرب لمن تظن فيه الغفلة وهو فطن يقظ.

(2) النـزوة: الثورة - أو الوثبة.

ولسنا ندع سيرة الأنبياء، وتعليم الخلفاء، وتأديب الحكماء، لأصحاب اللهو ولستم علي تردون ولا رأيي تفندون. فقدموا النظر قبل العزم. وأدركوا مالكم قبل أن تدركوا ما لكم. والسلام عليكم.

الكلام على الرسالات العلمية

الرسالات العلمية هي: مقالات في المطالب العلمية أو المسائل الأدبية، وإنما سميت بالرسالات، لأن أصحا ا يرسلو ا إلى من اقترحها عليهم، ويسلك فيها صاحبها مناهج الاسترسال، والمخاطبات البليغة. وقد أفردنا لها كتابنا "أسلوب الحكيم - في منهج الإنشاء القويم" فارجع إليه إن شئت.

الفن الثاني في المناظرات

للمناظرة ثلاثة شروط: (الأول): أن يجمع بين خصمين متضادين، أو متباينين في صفا ما، بحيث تظهر خواصها كالربيع، والخريف، والصيف، والشتاء. (والثاني): أن يأتي كل من الخصمين في نصرته لنفسه، وتفنيد مزاعم قرنه، بأدلة من شأ ا أن ترفع قدره، وتحط من مقام الخصم، بحيث يميل بالسامع عنه إليه. (والثالث): أن تصاغ المعاني والمراجعات صوغًا حسنا. وترتب على سياق محكم ليزيد بذلك نشاط السامع، وتنمى فيه الرغبة في حل المشكل.

ولنذكر لك عليها شذرات من أقوال الكتاب فنقول:

مناظرة النعمان بن المنذر وكسرى أنو شروان في شأن العرب

روى ابن القطامي عن الكلبي قال: قدم النعمان بن المنذر على كسرى: وعنده وفوده الروم، والهند، والصين، فذكروا من ملوكهم وبلادهم - فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم، لا يستثني فارس ولا غيرها، فقال كسرى وأخذته عزة الملك: يا نعمان، لقد فكرت في أمر العرب وغيرهم من الأمم، ونظرت في حالة من يقدم علي من وفود الأمم – فوجدت للروم حظًّا في اجتماع ألفتها، وعظم سلطا ا، وكثرة مدائنها ووثيق بنيا ا. وإن لها دينا يبين حلالها وحرامها، ويرد سفيهها ويقيم جاهها – ورأيت الهند نحوا من ذلك في حكمتها وطبها، من كثرة أ ار بلادها وثمارها، وعجيب صناعتها، وطيب أشجارها، ودقيق حسا ا، وكثرة عددها، وكذلك الصين في اجتماعها، وكثرة صناعات أيديها وفروسيتها، وهمتها في الحرب وصناعة الحديد، وأن لها ملكًا يجمعها – والترك والخزر على ما م من سوء الحال في المعاش، وقلة الريف والثمار والحصون، وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس، لهم ملوك تضم قواصيهم، وتدبر أمرهم؛ ولم أر للعرب شيئًا من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا، ولا حزم، ولا قوة؛ ومع أن مما يدل على مهانتها وذلها، وصغر همتها، محلتهم التي هي ا مع الوحوش النافرة، والطيور الحائرة يقتلون أولادهم من الفاقة، ويأكل بعضهم بعضا من الحاجة، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشار ا ولهوها ولذا ا، فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الإبل التي يعافها كثير من السباع لثقلها، وسوء طعمها، وخوف دائها، وإن قرى أحدهم ضيفًا عدها مكرمة، وإن أطعم أكلة عدها غنيمة، تنطق بذلك أشعارهم، وتفتخر بذلك رجالهم، ما خلا هذه التنوخية التي أسس جدى اجتماعها وشد مملكتها، ومنعها من عدوها، فجرى لها ذلك إلى يومنا هذا، وإن لها مع ذلك آثارا

ولبوسا، وقرى وحصونا، وأمورا تشبه بعض أهور الناس (يعني اليمن).

ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من المذلة، والقلة، والفاقة، والبؤس، حتى تفتخروا، وتريدون أن تنـزلوا فوق مراتب الناس.

قال النعمان: أصلح الله الملك. حق لأمة الملك منها أن يسمو فضلها، ويعظم خطبها، وتعلو درجتها، إلا أن عندي جوابا في كل ما نطق به الملك في غير ردٍ عليه، ولا تكذيب له، فإن أمنني من غضبه نطقت به. قال كسرى: قل فأنت آمن، قال النعمان: أما أمتك أيها الملك: فليست تنازع في الفضل لموضعها الذي هي به من عقولها وأحلامها وبسطة محلها، وبحبوحة عزها، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك. وأما الأمم التي ذكرت فأية أمة تقر ا بالعرب إلا فضلتها. قال كسرى: بماذا؟ قال النعمان: بعزها ومنعتها، وحسن وجوهها وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها، وشدة عقولها وأنفتها ووفائها.

فأما عزها ومنعتها، فإ ا لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ووطدوا الملك، وقادوا الجند، لم يطمع فيهم طامع، ولم ينلهم نائل، حصو م ظهور خيلهم ومهادهم الأرض، وسقوفهم السماء، وجنتهم السيوف، وعد م الصبر – إذ غيرها من الأمم، إنما عزها الحجارة والطين، وجزائر البحور.

وأما حسن وجوهها وألوا ا، فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة، والصين المنحفة، والترك المشوهة، والروم المقشرة.

وأما أنسا ا وأحسا ا: فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيرا من أولها، حتى أن أحدهم ليسأل عمن وراء أبيه دنيا فلا ينسبه، ولا يعرفه. وليس أحد من العرب إلا يسمي آباءه أبا فأبا، حاصوا بذلك أحسا م، وحفظوا به أنسا م، فلا يدخل رجل في غير قومه، ولا ينتسب إلى غير نسبه ولا يدعى إلى غير أبيه.

وأما سخاؤها: فإن أدناهم رجلاً الذي تكون عنده البكرة والناب، عليها بلاغه في حمول، وشبعه وريه، فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة، ويجتزي بالشربة فيعقرها له، ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحدوثة، وطيب الذكر.

وأما حكمة ألسنتهم: فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم، ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه، مع معرفتهم بالأشياء وضر م للأمثال وإبلاغهم في الصفات ما ليس لشيءٍ من ألسنة الأجناس – ثم خيلهم أفضل الخيل، ونساؤهم أعف النساء ولباسهم أفضل اللباس، ومعاد م الذهب والفضة، وحجارة جبالهم الجزع ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سفر ولا

يقطع بمثلها بلد قفر.

وأما دينها وشريعتها: فإ م متمسكون به حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم أشهرا حرما وبلدا محرما، وبيتا محجوبا، ينسكون فيه مناسكهم، ويذبحون فيه ذبائحهم، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه، وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك رغمه منه، فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بأذى.

وأما وفاؤها: فإن أحدهم يلحظ اللحظة، ويومئ الإيماءة، فهي ولت (أي عهد) وعقدة لا يحلها إلا خروج نفسه، وإن أحدهم يرفع عودا من الأرض فيكون رهنا بدينه، فلا يغلق رهنه، ولا تخفر ذمته. وإن أحدهم ليبلغه أن رجلاً استجار به، وعسى أن يكون نائيا عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي أصابته، أو تفنى قبيلته لما أخفر من جواره. وإنه ليلجأ إليهم ا رم المحدث من غير معرفة ولا قرابة، فتكون أنفسهم دون نفسه، وأموالهم دون ماله.

وأما قولك أيها الملك يئدون أولادهم فإنما يفعله منهم بالإناث أنفة من العار، وغيرة من الأزواج.

وأما قولك إن أفضل طعامهم لحوم الإبل على ما وصفت منها، فما تركوا ما دو ا إلا احتقارا له، فعمدوا إلى أجلها وأفضلها، فكانت مراكبهم وطعامهم مع أ ا أكثر البهائم شحوما، وأطيبها لحوما، وأرقها ألبانا، وأقلها غائلة، وأحلاها مضغة، وأنه لا شيء من اللحمان يعالج ما يعالج به لحمها إلا استبان فضلها عليه.

وأما تحار م وأكل بعضهم بعضا وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا أنست من نفسها ضعفًا، وتخوفت وض عدوها إليها بالزحف، وإنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحدٍ يعرف فضلهم على سائر غيرهم، فيلقون إليهم أمورهم، وينقادون لهم بأزمتهم.

وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكًا أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج والوطث (أي الضرب الشديد بالرجل على الأرض) بالعسف.

وأما اليمن التي وصفها الملك، فإنما أتى جد الملك إليها الذي أتاه عند غلبة الحبش له على ملك متسق، وأمر مجتمع، فأتاه مسلوبا طريدا مستصرخا، ولولا ما وتر به من يليه من العرب لمال إلى مجال، ولوجد من يجيد الطعان، ويغضب للأحرار، من غلبة العبيد الأشرار.

قال: فعجب كسرى لما أجابه النعمان به، وقال: إنك لأهل لموضعك من الرياسة في

أهل إقليمك، ثم كساه من كسوته وسرحه إلى موضعه من الحيرة.

فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب و جين أمرهم، بعث إلى أكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميين، وإلى الحارث بن عباد، وقيس بن مسعود البكريين، وإلى خالد بن جعفر، وعلقمة بن علاثة، وعامر بن الطفيل العامريين، وإلى عمرو بن الشريد السلمي، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي، والحارث بن ظالم المري[1] ، فلما قدموا عليه في الخورنق قال لهم: قد عرفتم هذه الأعاجم، وقرب جوار العرب منها، قد سمعت من كسرى مقالات، تخوفت أن يكون لها غور، أو يكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولاً كبعض طماطمته في تأديتهم الخراج إليه، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله - فاقتص عليهم مقالات

(1) أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث ابن مخاشن بن معاوية التميمي (ت9هـ/630 م) حكيم العرب في الجاهلية ، وأحد المعمرين . عاش زمنا طويلا ، وأدرك الإسلام.

حاجب بن زرارة بن عدس الدارمي التميمي (توفي 3 هـ /625 م) من سادات العرب في الجاهلية، كان رئيس تميم في عدة مواطن، وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به، وأدرك الإسلام وأسلم، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات بني تميم ، فلم يلبث أن مات.

الحارث بن عباد بن قيس بن ثعلبة البكري، أبو منذر (توفي نحو 50 قبل الهجرة/570م) حكيم جاهلي، كان شجاعا، من السادات، شاعرا، انتهت إليه إمرة بني ضبيعة وهو شاب وعمر الحارث طويلا.

خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة العامري (توفي نحو 30 قبل الهجرة/595م) من هوازن، من عدنان، فارس وشاعر جاهلي، انتهت إليه رياسة قومه (هوازن) وهو الذي قتل زهير بن جذيمة العبسي، وقتله الحارث بن ظالم المري، في خبر طويل ، بمكان يسمى (بطن عاقل) على طريق حاج البصرة، بين رامتين وإمرة.

عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي (توفي 21 هـ /642 م) فارس اليمن ، وفد على المدينة سنة 9 هـ فأسلم ، ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو في اليمن، ثم رجع إلى الإسلام توفي على مقربة من الري . وقيل : قتل عطشا يوم القادسية.

الحارث بن ظالم بن غيظ المري ، أبو ليلى (توفي نحو 22 قبل الهجرة/600 م) أشهر فتاك العرب في الجاهلية، وآلت إليه سيادة غطفان بعد مقتل زهير بن جذيمة، ووفد على النعمان بن المنذر (ملك الحيرة) فالتقى بقاتل أبيه، فلما كان الليل أقبل الحارث على خالد وهو في مبيته فقتله، ثم هرب، وكانت له في كل حي يأوي إليه حادثة، وانطلق الحارث فجعل يطوف في البلاد حتى أتى الشام ، فقتل في حوران.

كسرى، وما رد به عليه فقالوا: أيها الملك وفقك الله، ما أحسن ما رددت، وأبلغ ما حججته، فمرنا بأمرك، وادعنا إلى ما شئت.

قال: إنما أنا رجل منكم، وإنما ملكت وعززت بمكانكم وما يتخوف من ناحيتكم، وليس شيء أحب إليّ مما سدد الله به أمركم، وأصلح به شأنكم، وأدام به عزكم – والرأي أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط، وتنطلقوا إلى كسرى فإذا دخلتم: نطق كل رجل منكم بما حضره ليعلم أن العرب على غير ما ظن، أو حدثته نفسه، ولا ينطق رجل منكم بما يغضبه، فإنه ملك عظيم السلطان كثير الأعوان، مترف معجب بنفسه، ولا تنخذلوا له انخذال الخاضع الذليل، وليكن أمر بين ذلك، تظهر به دماثة حلومكم[1]، وفضل منـزلتكم، وعظيم أخطاركم، وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام (أكثم بن صيفي) ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم ا، فإنما دعاني إلى التقدمة إليكم علمي بميل كل رجل منكم إلى التقدم قبل صاحبه، فلا يكونن ذلك منكم فيجد في آدابكم مطعنا، فإنه ملك مترف، وقادر مسلط. ثم دعا لهم بما في خزانته من طرائف حلل الملوك وأعطى كل رجل منهم حلة، وعممه عمامة، وختمه بياقوتة، وأمر لكل رجل منهم بنجيبة مهرية، وفرسٍ نجيبةٍ؛ وكتب معهم كتابا:

أما بعد: فإن الملك ألقى إليّ من أمر العرب ما قد علم، وأجبته بما قد فهم مما أحببت أن يكون منه على علم، ولا يتلجلج في نفسه أن أمة من الأمم التي احتجزت دونه بمملكتها، وحمت ما يليها بفضل قو ا، تبلغها من الأمور التي يتعزز ا ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة - وقد أوفدت أيها الملك رهطًا من العرب، لهم فضل في أحسا م وأنسا م، وعقولهم وآدا م، فليسمع الملك وليغمض لا عن جفاء إن ظهر من منطقهم، وليكرمني بإكرامهم وتعجيل سراحهم.

وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشائرهم.

فخرج القوم في أهبتهم، حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن، فدفعوا إليه كتاب النعمان، فقرأه وأمر بإنزالهم إلى أن يجلس لهم مجلسا يسمع منهم؛ فلما أن كان بعد ذلك بأيام، أمر مرازبته، ووجوه أهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسي عن يمينه وشماله، ثم دعا م على الولاء والمراتب التي وصفهم النعمان ا في كتابه وأقام الترجمان ليؤدي إليه كلامهم، ثم أذن

(1) قوة وزانة عقولكم.

لهم في الكلام.

فقام أكثم بن صيفي فقال: إن أفضل الأشياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكها، وأفضل الملوك أعمها نفعا، وخير الأزمنة أخصبها، وأفضل الخطباء أصدقها.

الصدق منجاة، والكذب مهواة، والشر لجاجة، والحزم مركب صعب والعجز مركب وطيء – آفة الرأي الهوى، والعجز مفتاح الفقر، وخير الأمور الصبر، حسن الظن ورطة، وسوء الظن عصمة، وإصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي، من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء.

شر البلاد بلاد لا أمير ا، وشر الملوك من خافه البريء، المرء يعجز لا محالة، أفضل الأولاد البررة، خير الأعوان من لم يراء بالنصيحة، أحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته، يكفيك من الزاد ما بلغك المحل، حسبك من شر سماعه، الصمت حكمة وقليل فاعله، البلاغة الإيجاز، من شدد نفر، ومن تراخى تألف.

فتعجب كسرى من أكثم؛ ثم قال: ويحك يا أكثم ما أحكمك وأوثق كلامك! لولا وضعك كلامك في غير موضعه، قال أكثم: الصدق ينبئ عنك لا الوعيد. قال كسرى: لو لم يكن للعرب غيرك لكفى. قال أكثم: رب قول أنفذ من صول.

ثم قال **حاجب بن زرارة التميمي** وقال: ورى زندك، وعلت يدك، وهيب سلطانك - إن العرب أمة قد غلظت أكبادها، واستحصدت مر ا ومنعت در ا، وهي لك وامقة[1] ما تألفتها، مسترسلة ما لاينتها، سامعة ما سامحتها، وهي العلقم مرارة، وهي الصاب غضاضة، والعسل حلاوة، والماء الزلال سلاسة.

نحن وفودها إليك، وألسنتها لديك، ذمتنا محفوظة، وأحسابنا ممنوعة، وعشائرنا فينا سامعة مطيعة، إن نؤب لك حامدين لك خيرا، فلك بذلك عموم محمدتنا وإن نذم لم نخص بالذم دو ا؛ قال كسري: يا صاحب، ما أشبه حجر التلال بألوان صخرها؛ قال حاجب: بل زئير الأسد بصولتها، قال كسرى: كفى ذلك؛ ثم قام الحارث البكري فقال: دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها، وعلو سنائها، من طال رشاؤه كثر متحه[2]، ومن ذهب

---

(1) محِبة.

(2) المتح: الاستقاء.

ماله قل منحه، تناقل الأقاويل يعرف اللب، وهذا مقام سيوجف[1] بما تنطق به الركب، وتعرف به كنه حالنا العجم والعرب، ونحن جيرانك الأدنون، وأعوانك المعينون، خيولنا جمة، وجيوشنا فخمة، إن استنجدتنا فغير ربضٍ[2]، وإن استطرقتنا فغير جهضٍ[3] وإن طلبتنا فغير غمض، لا ننثني لذعر، ولا نتنكر لدهر؛ رماحنا طوال؛ وأعمارنا قصار، قال كسرى: أنفس عزيزة وأمة ضعيفة، قال الحارث: أيها الملك وأنى يكون لضعيف عزة أو لصغير مرة[4]؟ قال كسرى: لو قصر عمرك لم تستول على لسانك نفسك، قال الحارث: أيها الملك، إن الفارس إذا حمل نفسه على الكتيبة مغررا بنفسه على الموت؛ فهي منية استقبلها، وجنان استدبرها؛ والعرب تعلم أني أبعث الحرب قدمًا، وأحبسها؛ وهي تصرف ا[5] حتى إذا جاشت نارها، وسعرت لظاها وكشفت عن ساقها، جعلت مقادها رمحي، وبرقها سيفي، ورعدها زئيري، ولم أقصر عن خوض خضخاضها، حتى أنغمس في غمرات لججها وأكون فلكا لفرساني إلى بحبوحة كبشها، فأستمطرها دما، وأترك حما ا جزر السباع وكل نسر قشعم.[6] ثم قال كسرى لمن حضره من العرب: أكذلك هو؟ قالوا: فعاله أنطق من لسانه، قال كسرى: ما رأيت كاليوم وفدا أحشد ولا شهودا أوفد.

ثم قام **عمرو بن الشريد السلمي** فقال: أيها الملك، نعم بالك، ودام في السرور حالك، إن عاقبة الكلام متدبرة، وأشكال الأمور معتبرة، وفي كثير ثقلة وفي قليل بلغة، وفي الملوك سورة العز، وهذا منطق له ما بعده: شرف فيه من شرف، وخمل فيه من خمل، لم نأت لضيمك، ولم نفد لسخطك، ولم نتعرض لرفدك، إن في أموالنا منتقدا، وعلى عزنا معتمدا، إن أورينا[7] نارا أثقبنا، وإن أود دهر بنا اعتدلنا، إلا أنا مع هذا لجوارك حافظون، ولمن رامك كافحون حتى يحمد الصدر، ويستطاب الخبر. قال كسري: ما يقوم قصد منطقك بإفراطك ولا مدحك بذمك. قال عمرو: كفى بقليل قصدي هاديا، وبأيسر إفراطي مخبرا ولم

(1) أوجفته: أجريته.
(2) ربض الأسد على فريسته: وقع عليها وتمكن منها.
(3) جهضه: غلبه.
(4) قوة.
(5) ا: أي بالعرب.
(6) القشعم من النسور: كبير السن.
(7) أشعلنا.

يلم من غربت نفسه عما يعلم، ورضي من القصد بما بلغ. قال كسرى: ما كل ما يعرف المرء ينطق به، اجلس.

ثم قام **خالد بن جعفر الكلا**بي فقال: أحضر الله الملك إسعادا، وأرشده إرشادا، إن لكل منطق فرصة، ولكل حاجة غصة، وعي المنطق أشد من غي السكوت، وعثار القول أنكأ عن عثار الوعث، وما فرصة المنطق عندنا إلا بما وى، وغصة المنطق بما لا وى غير مستساغة، وتركي ما أعلم من نفسي ويعلم من سمعي أنني له مطيق، أحب إلي من تكلفي ما أتخوف ويتخوف مني. وقد أوفدنا إليك ملكنا النعمان: وهو لك من خير الأعوان ونعم حامل المعروف والإحسان، أنفسنا بالطاعة لك باخعة[1]، ورقابنا بالنصيحة خاضعة، وأيدينا لك بالوفاء رهينة. قال كسرى: نطقت بعقل، وسمرت بفضل، وعلوت بنبل.

ثم قام علقمة بن علاثة العامري فقال: جت لك سبل الرشاد، وخضعت لك رقاب العباد، إن للأقاويل مناهج، وللآراء موالج[2]، وللعويص مخارج، وخير القول أصدقه، وأفضل الطلب أنجحه، إنا - وإن كانت المحبة أحضرتنا، والوفادة قربتنا- فليس من حضرك منا بأفضل ممن عزب عنك، بل لو قست كل رجل منهم وعلمت منهم ما علمنا، لوجدت له في آبائه دنيا أندادا وأكفاء، كلهم إلى الفضل منسوب، وبالشرف والسؤدد موصوف، وبالرأي الفاضل، والأدب النافذ معروف، يحمى حماه، ويروي نداماه، ويذود أعداه، لا تخمد ناره، ولا يحترز منه جاره؛ أيها الملك من يبل العرب يعرفه فضلهم، فاصطنع العرب فإ ا الجبال الرواسي عزا، والبحور الزواخر طميا والنجوم الزواهر شرفا، والحصى عددا فإن تعرف لهم فضلهم يعزوك، وإن تستصرخهم لا يخذلوك؛ قال كسرى، وخشي أن يأتي منه كلام يحمله على السخط عليه: حسبك أبلغت وأحسنت.

ثم قام **قيس بن مسعود الشيبا**ني فقال: أطاب الله بك المراشد، وجنبك المصائب، ووقاك مكروه الشدائد، ما أحقنا إذ أتيناك بإسماعك ما لا يحنق صدرك ولا يزرع لنا حقدا في قلبك، لم نقدم أيها الملك لمساماة، ولم ننتسب لمعاداة ولكن لتعلم أنت ورعيتك، ومن حضرك من وفود الأمم، أنا في المنطق غير محجمين، وفي الناس غير مقصرين، إن جورينا فغير مسبوقين، وإن سومينا فغير مغلوبين؛ قال كسرى: غير أنكم إذا عاهدتم غير وافين، وهو

---

(1) بخع نفسه: قتلها غما.

(2) مداخل، من ولج الشيء إذا دخله.

يعرض به في تركه الوفاء بضمانه السواد؛ قال قيس: أيها الملك، ما كنت في ذلك إلا كواف غدر به، أو كخافر أخفر بذمته؛ قال كسرى: ما يكون لضعيف ضمان، ولا لذليل خفارة. قال قيس: أيها الملك، ما أنا فيما أخفر من ذمتي أحق بإلزامي العار منك فيما قتل من رعيتك، وانتهك من حرمتك، قال كسرى: ذلك لأن من ائتمن الخونة واستنجد الأثمة، ناله من الخطأ ما نالني، وليس كل الناس سواء – كيف رأيت حاجب بن زرارة لم يحكم قواه فيبرم، ويعهد فيوفي، ويعد فينجز؟؟ قال: وما أحقه بذلك وما رأيته إلا لي، قال كسرى: القوم بزل[1] فأفضلها أشدها.

ثم قام **عامر بن الطفيل العامري** فقال: كثر فنون المنطق، وليس القول أعمى من حندس[2] الظلماء، وإنما الفخر في الفعال والعجز في النجدة، والسؤدد مطاوعة القدرة، وما أعلمك بقدرنا، وأبصرك بفضلنا، والحرى، إن أدللت الأيام وثابت الأحلام، أن تحدث لنا أمورا لها أعلام، قال كسرى: وما تلك الأعلام؟ قال: مجتمع الأحياء من ربيعة ومضر على أمر يذكر؛ قال كسرى: وما الأمر الذي يذكر؟ قال عامر: ما لي علم بأكثر مما خبرني به مخبر؛ قال كسرى: متى تكاهنت يا ابن الطفيل؟! قال: لست بكاهن، ولكني بالرمح طاعن؛ قال كسرى: فإن أتاك آت من جهة عينك العوراء، ما أنت صانع؟ قال: ما هيبتي في قفاي بدون هيبتي في وجهي وما أذهب عيني عيث، ولكن مطاعة العبث.

ثم قام **عمرو بن معد يكرب الزبيدي** فقال: إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فبلاغ المنطق الصواب، وملاك النجدة الارتياد، وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الخيرة، فاجتبذ طاعتنا بلفظك واكتظم بادرتنا بحلمك، وألن لنا كنفك يسلس لك قيادنا، فإنا أناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير من أراد لنا قضما، ولكن منعنا حملنا من كل من رام لنا هضما.

ثم قام **الحارث بن ظالم المري** فقال: إن من آفة المنطق الكذب، ومن لؤم الأخلاق الملق، ومن خطل الرأي خفة الملك المسلط، فإن أعلمناك أن مواجهتنا لك عن ائتلاف، وانقيادنا لك عن تصاف، فما أنت لقبول ذلك منا بخليق، ولا للاعتماد عليه بحقيق، ولكن الوفاء بالعهود، وإحكام العقود، والأمر بيننا وبينك معتدل، ما لم يأت من قبلك ميل أو زلل؛ قال

(1) جمع بازل: وهو البعير الذي بلغ تسع سنوات.

(2) الليل الشديد الظلمة.

كسرى: من أنت؟ قال: الحارث بن ظالم، قال: إن في أسماء آبائك لدليلاً على قلة وفائك، وأن تكون أولى بالغدر، وأقرب من الوزر؛ قال الحارث: إن في الحق مغضبة، والسر في التغافل، ولن يستوجب أحد الحلم إلا مع القدرة، فلتشبه أفعالك مجلسك؛ قال كسرى: هذا فتى القوم، ثم قال: قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم، وتفنن فيه متكلموكم، ولولا أني أعلم أن الأدب لم يثقف أودكم[1]، ولم يحكم أمركم، وأنه ليس لكم ملك يجمعكم، فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة: فنطقتم بما استولى على ألسنتكم وغلب على طباعكم لم أجز لكم كثيرا مما تكلمتم به، وإني لأكره أن أجبه وفودي، أو أحنق صدورهم. والذي أحب من إصلاح مدبركم، وتآلف شواذكم، والإعذار إلى الله فيما بيني وبينكم، وقد قبلت ما كان في منطقكم من صواب وصفحت عما كان فيه من خلل، فانصرفوا إلى ملككم فأحسنوا مؤازرته والتزموا طاعته واردعوا سفهاءكم وأقيموا أودهم، وأحسنوا أد م، فإن في ذلك صلاح العامة.

روي عن الكلبي أنه قال: كان كسرى يحفل بالعرب، ويستأنس بمشاهد م ويرغب في سماع محادثا م، ومفاخرا م ومنافرا م، ولم يدخر وسعا إلا بذله للحصول على ذلك (ومما اتفق له) أن النعمان بن المنذر، كان بمجلسه يوما، فقال له: هل في العرب من قبيلة تشرف على قبيلة؟ قال: نعم. قال: فبأي شيء؟ قال: من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء، واتصل ذلك بمزية رابعة، فبيته أشرف بيت. وإليه تنسب القبيلة، وبه تعلو على غيرها. قال: أحضر من هذه صفتهم. فطلبهم النعمان فلم يصبهم إلا في آل حذيفة بن بدر، وآل ذي الجدين؛ وآل الأشعث بن قيس بن كندة؛ فأحضرهم في جملة من عشائرهم؛ فعقد لهم كسرى مجلسا عاما حضره الحكام والعدول والأعيان. ثم قال: ليتكلم كل منكم بمآثر قومه وليصدق.

فانتصب حذيفة بن بدر قائما وكان ألسن القوم فقال: قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم والفخر الأعظم. فقيل له: لم ذاك يا أخا فزارة؟ قال: ألسنا الدعائم[2] التي لا ترام؟! والعز الذي لا يضام؟! فقيل له: صدقت ثم قام شاعرهم فقال:

فَزارةُ بيـت العِـزّ والعِـزّ فـيهم ... فزارةُ بدرٍ حسـب بـدر نضـالها[3]

---

(1) اعوجاجكم.

(2) الأركان.

(3) محاما ا ودفاعها.

لها العِزة القَسعاء[1] والحَسب الذي بناه لبكرٍ في القديم رجالهُا

فهيهات قَد أعيا القُرونَ التي مضت مآثر بكرٍ مجدها وفعالُها

وهل أحد إن مد يوماً بكفه إلى الشمس في مجرى النجوم ينالها؟!

فإن يصلُحوا يصلُح لذاك جميعنا وإن يفْسدوا يفْسد على الناس حالها

ثم قام الأشعث بن قيس[2] فقال: لقد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر ونقهر جمعها الأكبر وأنا غياث اللزبات[3] وبناة المكرمات. فقيل له: لم يا أخا كندة؟ قال: لأنا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه وتقلدنا منكبه الأعظم؛ وتوسطنا بحبوحه[4] الأكرم. ثم قام شاعرهم فقال:

إذا قِست أبيات الرجال ببيتنا وجدت له فضلا على من يفاخر

فمن قال: كلا أو أتانا بخطّة ينافرنا يوماً فنحن نخاطر

تعالوا قِفوا كي يعلم الناس أينا له الفضل فيما أورثَته الأكابر

ثم قام بسطام بن قيس[5] فقال: قد علمت العرب أنا بناة بيتها الذي لا يزول ومغرس عزها الذي لا يحول؛ فقيل له: ولم يا أخا شيبان؟ قال: لأنا أدركهم للثأر وأضر م للملك

(1) الرفيعة.

(2) الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، أبو محمد (23 قبل الهجرة- 40 هـ/600 - 661 م) أمير كندة في الجاهلية والاسلام، كانت إقامته في حضرموت ، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ظهور الاسلام ، في جمع من قومه ، فأسلم ، وشهد اليرموك فأصيبت عينه، ولما ولي أبو بكر الخلافة امتنع الأشعث وبعض بطون كندة من تأدية الزكاة ، فتنحى والي حضرموت بمن بقي على الطاعة من كندة ، وجاءته النجدة فحاصر حضرموت ، فاستسلم، وأرسل الاشعث موثوقا إلى أبي بكر في المدينة ليرى فيه رأيه، فأطلقه أبو بكر فأقام في المدينة وشهد الوقائع، ثم كان مع سعد بن أبي وقاص في حروب العراق، ولما آل الأمر إلى علي كان معه يوم صفين، وحضر معه وقعة النهروان، وتوفي على أثر اتفاق الحسن ومعاوية.

(3) بتسكين الزاي: الشدائد.

(4) وسطه.

(5) بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني، أبو الصهباء (توفي قبل الهجرة) سيد شيبان ، ومن أشهر فرسان العرب في الجاهلية . يضرب المثل بفروسيته ، أدرك الاسلام ولم يسلم.

الجبار، وأقولهم للحق، وألدهم للخصم.

ثم قام شاعرهم فقال:

لعمري بسطام أحق بفضلها ... وأول بيت العز عز القبائل

فسائلْ أبيت اللعن عن عِز قومها ... إذا جد يوم الفَخر كل مناضِل[1]

فيخبرك الأقوام عنها فإنها ... وقائع جد لا ملاعب هازل

ألسنا أعز الناس قوما وأسرةً ... وأضرم للكبش يوم التخاذُل

وقائع عز كلها ربعيةٌ[2] ... تذل لهم فيها رقاب المحافل

إذا ذُكرت لمن ينكر الناس فَضلها ... وعاذ ا، من شرها، كل قائل

وإنا ملوك الناس في كل بلْدةٍ ... إذا نزلَت بالناس إحدى النوازل

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي، فقال: قد علمت العرب أنا فرع دعا م، وقادة زحوفها؛ فقيل له: لم ذلك يا أخا بني تميم؟ قال: لأنا أكثر الناس عديدا، وأنجبهم طرا وليدا، وأعطاهم للجزيل، وأحملهم للثقيل.

ثم قام شاعرهم فقال:

لقد علمت أبناء خِندف أننا ... لنا العز قُِدما في الخُطوب الأوائل

وأنا كِرام أهلُ مجدٍ وثَروة ... وعز قَديم ليس بالمُتضائِل

فكم فيهم من سيدٍ وابن سيد ... أغَر نجيب ذي فِعال ونائل

فسائلْ أبيت اللعن[3] عنا فإننا ... دعائم هذا الناس عند الجلائل

ثم قام قيس بن عاصم السعدي[4] فقال: لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في المكرمات

(1) ا ادل.

(2) نسبة إلى قبيلة ربيعة.

(3) أبيت اللعن: بغضته ومنعته أي أنك لا تفعل ما يوجب لعنك بل تفعل ما تحمد وتمدح به.

(4) قيس بن عاصم بن سنان المقريزي السعدي التميمي، أبو علي (توفي حوالي 20 ه /640 م) أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة فيهم، كان شاعرا، اشتهر وساد في الجاهلية، وهو من حرم على نفسه الخمر فيها، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد تميم (سنة 9هـ) وتوفي البصرة.

وأثبتهم في النائبات، فقيل له: لم ذاك يا أخا بني سعد؟ قال: لأنا أدركهم للثأر، وأمنعهم للجار، لا ننكل إذا حملنا، ولا نرام إذا حللنا، ثم قام شاعرهم فقال:

لقد علمت قيس وخنـدف أننـا وجل تميم والجمـوع الـتي تـرى
بأنا ليوثُ البـأس في كُـل مـأزق إذا جز بالبيض الجماجم والطلـى
وأنـــا إذا داع دعانـــا لنجـــدة أجبنا سِراعا في العلائم مـن دعـا
فهيهات قد أعيا الجميـع فعـالُهم وقامو بيوم الفَخر مسعاة من سـعى

فقال كسرى حينئذ: ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه، ثم أعظم صِلا م أجمعين، وردهم إلى أقوامهم معظمين.

مناظرات المهدي ومشاورته لأهل بيته في حرب خراسان

هذا ما تابع فيها المهدي ووزراؤه، وما دار بينهم من تدبير الرأي في حرب خراسان، أيام تحاملت عليهم العمال وأعنفت، فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من المكانة على أن نكثوا بيعتهم ونقضوا موثقهم وطردوا العمال، والتووا بما عليهم من الخراج، وحمل المهدي ما يحب من مصلحتهم ويكره من عنتهم، على أن أقال عثر م واغتفر زلتهم واحتمل دالتهم تطولاً بالفضل واتساعا بالعفو وأخذًا بالحجة ورفقًا بالسياسة، ولذلك لم يزل مذ حمله الله أعباء الخلافة وقّلده أمور الرعية رفيقًا بمدار سلطانه، بصيرا بأهل زمانه، باسطًا للمعدلة في رعيته تسكن إلى كنفه وتأنس بعفوه، وتثق بحمله، فإذا وقعت الأقضية اللازمة والحقوق الواجبة، فليس عنده هوادة ولا إغضاء ولا مداهنة، أثرةً للحق، وقياما بالعدل، وأخذًا بالحزم، فدعا أهل خراسان الاعترار بحلمه والثقة بعفوه: أن كسروا الخراج وطردوا العمال وسألوا ما ليس لهم من حق، ثم خلطوا احتجاجا باعتذار، وخصومة بإقرار، وتنصلاً باعتلال؛ فلما انتهى ذلك إلى المهدي خرج إلى مجلس خلائه، وبعث إلى نفرٍ من لُحمته ووزرائه، فأعلمهم الحال واستفهمهم للرعية، ثم أمر الموالي بالابتداء؛ وقال للعباس بن محمد: "أي عم" تعقب قولنا وكن حكما بيننا وأرسل ولديه: (موسى وهارون) فأحضرهما الأمر وشاركهما الرأي، وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم وإثبات مقالتهم في كتاب.

فقال سلام صاحب المظالم:

أيها المهدي، إن في كل أمر غاية، ولكل قوم صناعة، استفرغت رأيهم، واستغرقت أشغالهم، واستنفدت أعمارهم، وذهبوا ا وذهبت م، وعرفوا ا وعرفت م، ولهذه

الأمور التي جعلتنا فيها غاية، وطلبت معونتنا عليها أقوام من أبناء الحرب، وساسة الأمور، وقادة الجنود، وفرسان الهزاهز، وإخوان التجارب، وأبطال الوقائع، الذين رشحتهم سجالها، وفيأ م ظلالها، وعضتهم شدائدها وفرمتهم نواجذها[1] فلو عجمت ما قبلهم وكشفت ما عندهم لوجدت نظائر تؤيد أمرك، وتجارب توافق نظرك وأحاديث تقوي قلبك؛ فأما نحن معاشر عمالك وأصحاب دواوينك فحسن بنا، وكثير منا أن نقوم بثقل ما حملتنا من عملك واستودعتنا من أمانتك وشغلتنا من إمضاء عدلك وإنفاذ حكمك وإظهار حقك.

فأجابه المهدي: إن في كل قوم حكمة، ولكل زمان سياسة، وفي كل حال تدبيرا يبطل الآخر الأول، ونحن على علم بزماننا وتدبير سلطاننا.

قال: نعم أيها المهدي أنت متبع الرأي، وثيق العقدة، قوي المنة، بليغ الفطنة معصوم النية، محضور الروية، مؤيد البديهة، موفق العزيمة، معان بالظفر[2]، مهدي إلى الخير، إن هممت ففي عزمك مواقع الظن، وإن اجتمعت صدع فعلك ملتبس الشك، فاعزم يهد الله إلى الصواب قلبك، وقل ينطق الله بالحق لسانك، فإن جنودك جمة وخزائنك عامرة، ونفسك سخية، وأمرك نافذ.

فأجابه المهدي: إن المشاورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة، لا يهلك عليهما رأي ولا يتغيل معها حزم فأشيروا برأيكم وقولوا بما يحضركم، فإني من ورائكم، وتوفيق الله من وراء ذلك.

قال الربيع: أيها المهدي إن تصاريف وجوه الرأي كثيرة، وإن الإشارة ببعض معاريض القول يسيرة، ولكن خراسان أرض بعيدة المسافة، متراخية الشقة متفاوتة السبيل، فإذا ارتأيت من محكم التدبير ومبرم التقدير ولباب الصواب رأيا، قد أحكمه نظرك، وقلبه تدبيرك؛ فليس وراءه مذهب طاعن، ولا دونه معلق لخصومة عائب، ثم خبت البرد به، وانطوت الرسل عليه، كان بالحرى أن لا يصل إليهم محكمه، إلا وقد حدث منهم ما ينقضه، فما أيسر أن ترجع إليك الرسل، وترد عليك الكتب بحقائق أخبارهم وشوارد آثارهم ومصادر أمورهم، فتحدث رأيا غيره وتبتدع تدبيرا سواه، وقد انفرجت الحلق، وتحللت العقد، واسترخى الحقاب، وامتد الزمان ثم لعلمك موقع الآخرة كمصدر الأولى ولكن الرأي

---

(1) أسنا ا .

(2) النصر.

أيها المهدي، وفقك الله، أن تصرف إجالة النظر وتقليب الفكر فيما جمعتنا له، واستشرتنا فيه من التدبير لحر م والحيل في أمرهم إلى الطلب لرجل ذي دين فاضل وعقل كامل وورع واسع ليس موصوفًا وى في سواك، ولا متهما في أثرةٍ عليك، ولا ظِنينا[1] على دخلة مكروهة ولا منسوبا إلى بدعة محذورة، فيقدح في ملكك ويريض[2] الأمور لغيرك، ثم تسند إليه أمورهم وتفوض إليه حر م وتأمره في عهدك، وصيتك إياه بلزوم أمرك ما لزمه الحزم، وخلاف يك إذا خالفه الرأي عند استحالة الأمور واشتداد الأحوال التي ينقض[3] أمر الغائب عنها ويثبت رأي الشاهد لها، فإنه إذا فعل ذلك؛ فواثب أمرهم من قريب وسقط عنه ما يأتي من بعيد، تمت الحيلة، وقويت المكيدة، ونفذ العمل وأحد النظر إن شاء الله.

قال الفضل بن عباس:

أيها المهدي، إن ولي الأمور وسائس الحروب ربما نحى جنوده وفرق أمواله في غير ما ضيق أمرٍ حزبه، ولا ضغطه حالٍ اضطرته فيقعد عند الحاجة إليها وبعد التفرقة لها عديما منها فاقدا لها، لا يثق بقوة ولا يصول بعدة، ولا يفزع إلى ثقة؛ فالرأي لك أيها المهدي وفقك الله أن تعفي خزائنك من الإنفاق للأموال وجنودك من مكابدة الأسفار ومقارعة الأخطار وتغرير القتال، ولا تسرع للقوم في الإجابة إلى ما يطلبون، والعطاء لما يسألون، فيفسد عليك أد م وتجرئ من رعيتك غيرهم، ولكن اغزهم بالحيلة وقاتلهم بالمكيدة وصارعهم باللين وخاتلهم[4] بالرفق، وأبرق لهم بالقول، وأرعد نحوهم بالفعل، وابعث البعوث وجند الجنود وكتب الكتائب واعقد الألوية وانصب الرايات، وأظهر أنك موجه إليهم الجيوش مع أحنق قوادك عليهم وأسوئهم أثرا فيهم، ثم ادسس الرسل، وابثث الكتب، وضع بعضهم على طمع من وعدك وبعضا على خوف من وعيدك، وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم واغرس أشجار التنافس بينهم، حتى تملأ القلوب من الوحشة، وتنطوي الصدور على البغضة، ويدخل كلا من كل الحذر والهيبة، فإن مرام الظفر بالغيلة والقتال بالحيلة والمناصبة بالكتب، والمكايدة بالرسل، والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل في القلوب، القوي الموقع من النفوس، المعقود بالحجج الموصول بالحيل المبني على اللين الذي يستميل القلوب، ويسترق العقول

(1) متهما.
(2) يسهل.
(3) ينقض: ينهدم.
(4) خادِعهم.

والآراء، ويستميل الأهواء، ويستدعي المواتاة – أنفذ من القتال بظبات[1] السيوف وأسنة الرماح، كما أن الوالي الذي يستـ ل طاعة رعيته بالحيل، ويفرق كلمة عدوه بالمكايدة أحكم عملاً وألطف منظرا وأحسن سياسة، من الذي لا ينال ذلك إلا بالقتال والإتلاف للأموال والتغرير والخطار[2].

وليعلم المهدي، أنه إن وجه لقتالهم رجلاً لم يسر إلا بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة، وتقدم على أسفار ضيقة وأموال متفرقة وقواد غشة إن ائتمنهم استنفدوا ماله، وإن استنصحهم كانوا عليه لا له. قال المهدي: هذا رأي قد أسفر نوره، وأبرق ضوءه، وتمثل صوابه للعيون ومجد حقه في القلوب ولكن فوق كل ذي علم عليم. ثم نظر إلى ابنه علي فقال: ما تقول؟

قال علي: أيها المهدي، إن أهل خراسان لم يخلعوا عن طاعتك، ولم ينصبوا من دونك أحدا يقدح في تغيير ملكك ويربض الأمور لفساد دولتك، ولو فعلوا لكان الخطب أيسر والشأن أصغر والحال أدل، لأن الله مع حقه الذي لا يخذله وعند موعده الذي لا يخلفه، ولكنهم قوم من رعيتك وطائفة من شيعتك الذين جعلك الله عليهم واليا وجعل العدل بينك وبينهم حاكما، طلبوا حقًّا وسألوا إنصافًا فإن أجبت إلى دعو م ونفست عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال، أو يحدث من عندهم فتق، أطعت أمر الرب وأطفأت ثائرة الحرب، ووفرت خزائن المال وطرحت تغرير القتال، وحمل النائي محمل ذلك على طبيعة جودك وسجية حلمك وأسجاع خليقتك، ومعدلة نظرك، فأمنت أن تنسب إلى ضعف، وأن يكون ذلك فيما بقي دربة، وإن منعتهم ما طلبوا ولم تجبهم إلى ما سألوا اعتدلت بك و م الحال، وساويتهم في ميدان الخطاب – فما أرب المهدي أن يعمد إلى طائفة من رعيته مقرين بمملكته مذعنين بطاعته لا يخرجون أنفسهم عن قدرته، ولا يبرئو ا من عبوديته فيملكهم أنفسهم، ويخلع نفسه عنهم ويقف على الحيل معهم، ثم يجازيهم السوء في حد المنازعة ومضمار المخاطرة – أيريد المهدي وفقه الله الأموال؟ فلعمري لا ينالها، ولا يظفر ا إلا بإنفاق أكثر منها مما يطلب منهم، وأضعاف ما يدعي قبلهم، ولو نالها فحملت إليه أو وضعت بخرائطها بين يديه، ثم تجافى لهم عنها أطال عليهم ا، لكان مما إليه ينسب وبه يعرف

(1) أسنان.

(2) رمح خطار: ذو اهتزاز.

من الجود الذي طبعه الله عليه وجعل قرة عينه و مة نفسه فيه، فإن قال المهدي هذا رأي مستقيم سديد في أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا، وتحامل ولاتنا فأما الجنود الذين نقضوا مواثيق العهود وأنطقوا لسان الإرجاف، وفتحوا باب المعصية وكسروا قيد الفتنة، فقد ينبغي لهم أن أجعلهم نكالاً لغيرهم وعظةً لسواهم، فيعلم المهدي أنه لو أتي م مغلولين في الحديد، مقرنين في الأصفاد[1]، ثم اتبع لحقن دمائهم عفوه ولإقالة عثر م صفحه واستبقاهم لما فيه من حزبه، أو لمن بإزائهم من عدوه لما كان بدعا من رأيه ولا مستنكرا من نظره.

لقد علمت العرب أنه أعظم الخلفاء والملوك عفوا وأشدها وقعا وأصدقها صولةً وأنه لا يتعاظمه عفو، ولا يتكابده صفح، وإن عظم الذنب وجل الخطب، فالرأي للمهدي وفقه الله تعالى أن يحل عقدة الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم، وأن يذكر أولى حالا م وضيعة عيالا م برا م وتوسعا لهم؛ فإ م إخوان دولته وأركان دعوته، وأساس حقه الذين بعز م يصول، وبحجتهم يقول، وإنما مثلهم فيما دخلوا فيه من مساخطه وتعرضوا له من معاصيه، وانطووا فيه عن إجابته، ومثله في قلة ما غير من رأيه فيهم أو نقل من حاله لهم، أو تغير من نعمته م- كمثل رجلين أخوين متناصرين متوازرين: أصاب أحدهما خبل عارض ولهو حادث، فنهض إلى أخيه بالأذى وتحامل عليه بالمكروه، فلم يزدد أخوه إلا رقةً له ولطفًا به واحتيالا لمداواة مرضه ومرجعة حاله عطفًا عليه وبرا به ورحمة له.

فقال المهدي: أما علي فقد كوى سمت اللبان وفض القلوب في أهل خراسان ولكل نبأ مستقر، ثم قال: ما ترى يا أبا محمد؟ (يعني موسى ابنه).

فقال موسى:

أيها المهدي، لا تسكن إلى حلاوة ما يجري من القول على ألسنتهم، وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم، الحال من القوم ينادي بمضمرة شر وخفية حقد، قد جعلوا المعاذير عليها سترا واتخذوا العلل من دو ا حجابا، رجاء أن يدافعوا الأيام بالتأخير، والأمور بالتطويل، فيكسروا حيل المهدي فيهم ويفنوا جنوده عنهم، حتى يتلاحم أمرهم، وتتلاحق ماد م، وتستفحل حر م وتستمر الأمور م؛ والمهدي من قولهم في حال غرة ولباس أمنة، قد فتر[2] لها وأنس ا، وسكن إليها، ولولا ما اجتمعت به قلو م، وبردت عليه جلودهم من

(1) القُيود.
(2) ضعف.

المناصبة بالقتال، والإضمار للقراع عن داعية ضلال أو شيطان فساد لرهبوا عواقب أخبار الولاة، وغب سكون الأمور، فليشدد المهدي – وفقه الله – أزره لهم، ويكتب كتائبه نحوهم وليضع الأمر على أشد ما يحضره فيهم، وليوقن أنه لا يعطيهم خطة يريد ا صلاحهم إلا كانت دربة إلى فسادهم، وقوة على معصيتهم، وداعيةً إلى عود م وسببا لفساد من بحضرته من الجنود، ومن ببابه من الوفود، الذين إن أقرهم وتلك العادة وأجراهم على ذلك الأرب، ولم يبرح في فتق حادث، وخلاف حاضر، لا يصلح عليه دين، ولا تستقيم به دنيا، وإن طلب تغييره بعد استحكام العادة، واستمرار الدربة لم يصل إلى ذلك إلا بالعقوبة المفرطة، والمؤونة الشديدة، والرأي للمهدي وفقه الله أن لا يقيل عثر م، ولا يقبل معذر م حتى تطأهم الجيوش، وتأخذهم السيوف، ويستحر م القتل ويحدق م البلاء ويطبق عليهم الذل، فإن فعل المهدي ذلك كان مقطعةً لكل عادة سوء فيهم، وهزيمةً لكل بادرة شرٍ منهم، واحتمال المهدي في مئونة غزو م هذه تضع عنه غزواتٍ كثيرة، ونفقات عظيمة. فقال المهدي: قد قال القوم، فاحكم يا أبا الفضل!.

فقال العباس بن محمد:

أيها المهدي: أما (الموالي) فأخذوا بفروع الرأي وسلكوا جنبات الصواب وتعدوا أمورا قصر بنظرهم عنها أنه لم تأت تجار م عليها – وأما (الفضل) فأشار بالأموال أن لا تنفق، والجنود أن لا تفرق، وبأن لا يعطى القوم ما طلبوا ولا يبذل لهم ما سألوا، وجاء بأمرٍ بين ذلك استصغارا لأمرهم، واستهانة بحر م، وإنما يهيج جسيمات الأمور صغارها، وأما (علي) فأشار باللين، وإفراط الرفق وإذا جرد الوالي لمن غمط أمره وسفه حقه اللين بحتا، والخير محضا، لم يخلطهما بشدة تعطف القلوب عن لينه، ولا بشرٍ يحبسهم إلى خيره، فقد ملكهم الخلع لعذرهم، ووسع لهم الفرجة لثني أعناقهم، فإن أجابوا دعوته وقبلوا لينه من غير خوف اضطرهم ولا شدة، فنـزوة في رؤوسهم، يستدعون ا البلاء إلى أنفسهم، ويستصرخون ا رأي المهدي فيهم، وإن لم يقبلوا دعوته ويسرعوا لإجابته باللين المحض والخير الصراح، فذلك ما عليه الظن م، والرأي فيهم، وما قد يشبه أن يكون من مثلهم لأن الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النعيم المقيم، والملك الكبير ما لا يخطر على قلب بشر ولا تدركه الفكر، ولا تعلمه نفس، ثم دعا الناس إليها ورغبهم فيها، فلولا أن خلق نارا جعلها لهم رحمة يسوقهم ا إلى الجنة لما أجابوا ولا قبلوا.

وأما (موسى) فأشار بأن يعصبوا بشدة لا لين فيها، وأن يرموا بشرٍ لا خير معه؛ وإذا

أضمر الوالي لمن فارق طاعته وخالف جماعته الخوف مفردا، والشر مجردا ليس معهما طمع ولا لين يثنيهم اشتدت الأمور م، وانقطعت الحال منهم إلى أحد أمرين: إما أن تدخلهم الحمية من الشدة، والأنفة من الذلة، والامتعاض من القهر، فيدعوهم ذلك إلى التمادي في الخلاف، والاستبسال في القتال والاستسلام للموت، وإما أن ينقادوا بالكره ويذعنوا بالقهر على بغضةٍ لازمةٍ، وعداوة باقية تورث النفاق وتعقب الشقاق، فإذا أمكنتهم فرصة أو ثابت لهم قدرة أو قويت لهم حال عاد أمرهم إلى أصعب وأغلظ وأشد مما كان.

وقال في قول الفضل: أيها المهدي أكفى دليل وأوضح برهان، وأبين خبر بأن قد أجمع رأيه وحزم نظره على الإرشاد ببعثة الجيوش إليهم، وتوجيه البعوث نحوهم مع إعطائهم ما سألوا من الحق، وإجابتهم إلى ما سألوه من العدل.

قال المهدي: ذلك رأي.

قال هارون: ما خلطت الشدة أيها المهدي باللين، فصارت الشدة أمر فطامٍ لما تكره، وعاد اللين أهدى قائدٍ إلى ما تحب، ولكن أرى غير ذلك.

قال المهدي: لقد قلت قولاً بديعا، وخالفت فيه أهل بيتك جميعا، والمرء مؤتمن بما قال وظنين بما ادعى، حتى يأتي ببينة عادلة وحجة ظاهرة فاخرج عما قلت.

قال هارون:

أيها المهدي: إن الحرب خدعة، والأعاجم قوم مكرة، وربما اعتدلت الحال م، واتفقت الأهواء منهم فكان باطن ما يسرون على ظاهر ما يعلنون وربما افترقت الحالان، وخالف القلب اللسان، فانطوى القلب على محجوبة تبطن، واستسر بمدخولة لا تعلن، والطبيب الرفيق بطبه، البصير بأمره العالم بمقدم يده وموضع ميسمه، لا يتعجل بالدواء حتى يقع على معرفة الداء، فالرأي للمهدي وفقه الله أن يفر باطن أمرهم فر المسنة ويمخض ظاهر حالهم مخض السقاء بمتابعة الكتب ومظاهرة الرسل، وموالاة العيون، حتى تك حجب عيو م وتكشف أغطية أمورهم، فإن انفرجت الحال وأفضت الأمور إلى تغيير حال، أو داعية ضلال اشتملت الأهواء عليه، وانقاد الرجال إليه وامتدت الأعناق نحوه بدين يعتقدونه وإثم يستحلونه عصبهم بشدة لا لين فيها، ورماهم بعقوبة لا عفو معها، وإن انفرجت العيون واهتصرت السطور ورفعت الحجب والحال فيها فيها مريعة، والأمور م معتدلة في أرزاق يطلبو ا وأعمال ينكرو ا، وظلامات يدعو ا وحقوق يسألو ا بمعاتبة سابقتهم ودالة مناصحتهم، فالرأي للمهدي وفقه الله أن يتسع لهم بما طلبوا، ويتجافى لهم عما كرهوا

ويشعب من أمرهم ما صدعوا، ويرتق من فتقهم ما قطعوا، ويولي عليهم من أحبوا ويداوي بذلك مرض قلو م. وفساد أمورهم، فإنما المهدي من أمته وسواد أهل مملكته بمنـزلة الطبيب الرفيق والوالد الشفيق والراعي ا رب الذي يحتال لمرابض غنمه[1]، وضوال رعيته حتى يبرئ المريضة من داء علتها ويرد الصحيحة إلى أنس جماعتها؛ ثم إن خراسان بخاصة الذين لهم دالة محمولة، ومعاتبة مقبولة، ووسيلة معروفة، وحقوق واجبة؛ لأ م أيدي دولته وسيوف دعوته وأنصار حقه وأعوان عدله، فليس من شأن المهدي الاضطغان[2] عليهم ولا المؤاخذة لهم، ولا التوعر[3] م ولا المكافأة بإساء م، لأن مبادرة حسم الأمور ضعيفة قبل أن تقوى، ومحاولة قطع الأصول ضئيلةً قبل أن تغلظ، أحزم في الرأي وأصح في التدبير من التأخير لها والتهاون ا حتى يلتئم قليلها بكثيرها وتجتمع أطرافها إلى جمهورها.

قال المهدي: ما زال هارون يقع وقع الحيا حتى خرج خروج القدح من الماء وانسل انسلال السيف فيما ادعى، فدعوا ما سبق موسى فيه فإنه هو الرأي وثنى بعده هارون؛ ولكن من لأعنة الخيل وسياسة الحرب وقادة الناس إن أمعن م اللجاج وأفرطت م الدالة؟!

قال صالح بن علي: لسنا نبلغ أيها المهدي بدوام البحث وطول الفكر أدنى فراسة رأيك وبعض لحظات نظرك، وليس ينفض عنك من بيوتات العرب ورجالات العجم ذو دين فاضل ورأي كامل وتدبير قوي تقلده حربك وتستودعه جندك، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ويضطلع بالأعباء الثقيلة، وأنت بحمد الله ميمون النقيبة مبارك العزيمة، مخبور التجارب، محمود العواقب، معصوم العزم. فليس يقع اختيارك ولا يقف نظرك على أحد توليه أمرك وتسند إليه ثغرك إلا أراك الله ما تحب وجمع لك منه ما تريد.

قال المهدي: إني لأرجو ذلك لقديم عادة الله فيه وحسن معونته عليه، ولكني أحب الموافقة على الرأي والاعتبار للمشاورة في الأمر المهم.

قال محمد بن الليث: أهل خراسان قوم ذوو عزة ومنعة وشياطين خدعة، زروع الحمية فيهم نابتة، وملابس الأنفة عليهم ظاهرة، فالروية عنهم عازبة والعجلة عنهم حاضرة، تسبق سيولهم مطرهم سيوفهم عذلهم لأ م بين سفلة لا يعدو مبلغ عقولهم منظر عيو م، وبين

(1) مكان إراحة الغنم .
(2) من الضغن وهو الحقد.
(3) التشدد .

رؤساء لا يلجمون إلا بشدة، ولا يفطمون إلا بالمر، وإن ولى المهدي عليهم وضيعا لم تنقد له العظماء، وإن ولى أمرهم شريفًا تحامل على الضعفاء، وإن أخر المهدي أمرهم ودافع حر م حتى يصيب لنفسه من حشمه ومواليه أو بني عمه أو بني أبيه، ناصحا يتفق عليه أمرهم وثقة تجتمع له أمراؤهم بلا أنفة تلزمهم ولا حمية تدخلهم ولا مصيبة تنفرهم، تنفست الأيام م وتراخت الحال بأمرهم، فدخل بذلك من الفساد الكبير، والضياع العظيم ما لا يتلافاه صاحب هذه الصفة وإن جد، ولا يستصلحه وإن جهد، إلا بعد دهر طويل، وشر كبير، وليس المهدي – وفقه الله – فاطما عادا م ولا قارعا صفا م بمثل أحد رجلين لا ثالث لهما ولا عدل في ذلك ما: أحدهما لسان ناطق موصول بسمعك ويد ممثلة لعينك وصخرة لا تزعزع و مة لا تثنى، وبازل لا يفزعه صوت الجلجل[1]، نقي العرض نزيه النفس جليل الخطر، قد اتضعت الدنيا عن قدره، وسما نحو الآخرة متة فجعل الغرض الأقصى لعينه نصبا، والغرض الأدنى لقدمه موطئًا، فليس يقبل عملا، ولا يتعدى أملا وهو رأس مواليك وأنصح بني أبيك، رجل قد غُذي بلطيف كرامتك، ونبت في ظل دولتك ونشأ على قوائم أدبك، فإن قلدته أمرهم وحملته ثقلهم وأسندت إليه ثغرهم، كان قفلا فتحه أمرك وبابا أغلقه يك، فجعل العدل عليه وعليهم أميرا، والإنصاف بينه وبينهم حاكما. وإذا حكم المنصفة وسلك المعدلة فأعطاهم ما لهم وأخذ منهم ما عليهم، غرس في الذي لك بين صدورهم وأسكن لك السويداء داخل قلو م، طاعة راسخة العروق باسقة الفروع متماثلة في حواشي عوامهم. متمكنة من قلوب خواصهم، فلا يبقى فيهم ريب[2] إلا نفوه ولا يلزمهم حق إلا أدوه، وهذا أحدهما. والآخر عود من غيضتك[3]، أو نبعة من أرومتك[4] فتي السن كهل الحلم راجح العقل محمود الصرامة مأمون الخلاف يجرد فيهم سيفه ويبسط عليهم خيره بقدر ما يستحقون وعلى حسب ما يستوجبون وهو "فلان" أيها المهدي – فسلطه أعزك الله عليهم، ووجهه بالجيوش إليهم ولا تمنعك ضراعة سنه وحداثة مولده؛ فإن الحلم والثقة مع الحداثة خير من الشك والجهل مع الكهولة، وإنما أحداثكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه، واختصكم به

---

(1) الجرس.
(2) شك.
(3) مجتمع الشجر.
(4) الحسب والأصل.

من مكارم الأخلاق ومحامد الفعال ومحاسن الأمور وصواب التدبير وصرامة الأنفس كفراخ عتاق الطير[1] المحكمة لأخذ الصيد بلا تدريب، والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب، فالحلم، والعلم، والعزم، والحزم، والتؤدة، والرفق، ثابت في صدوركم مزروع في قلوبكم، مستحكم لكم متكامل عندكم، بطبائع لازمة، وغرائز ثابتة.

قال معاوية بن عبد الله.

أفتاء[2] أهل بيتك أيها المهدي في الحلم على ما ذكر، وأهل خراسان في حال عز على ما وصف، ولكن إن ولى المهدي عليهم رجلا ليس بقديم الذكر في الجنود ولا بنبيه الصوت في الحروب ولا بطويل التجربة للأمور، ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة في الأعداء، دخل ذلك أمران عظيمان، وخطران مهولان:

أحدهما: أن الأعداء يغتنمو ا منه ويحتقرو ا فيه ويجترئون ا عليه في النهوض به والمقارعة له والخلاف عليه قبل الاختبار لأمره، والتكشف لحاله والعلم بطباعه. والأمر الآخر: أن الجنود التي يقود، والجيوش التي يسوس، إذا لم يختبروا منه البأس والنجدة ولم يعرفوه بالصيت والهيبة انكسرت شجاعتهم وماتت نجد م واستأخرت طاعتهم، إلى حين اختبارهم ووقوع معرفتهم، وربما وقع البوار قبل الاختبار، بباب المهدي – وفقه الله – رجل مهيب نبيه حنيك صيت له نسب زاكٍ[3] وصوت عالٍ قد قاد الجيوش وساد الحروب وتألف أهل خراسان، واجتمعوا عليه بالمقة[4] ووثقوا به كل الثقة، فلو ولاه المهدي أسرهم لكفاه الله شرهم.

قال المهدي: جانبت قصد الرمية وأبيت إلا عصبية، إذ رأي الحدث من أهل بيتنا كرأي عشرة حلماء من غيرنا؛ ولكن أين تركتم ولي العهد؟

قالوا: لم يمنعنا من ذكره إلا كونه شبيه جده ونسيج وحده، ومن الدين وأهله، بحيث يقصر القول عن أدنى فضله، ولكن وجدنا الله عز وجل حجب عن خلقه وستر دون عباده علم ما تختلف به الأيام، ومعرفة ما تجري عليه المقادير من حوادث الأمور، وريب المنون

---

(1) عتاق الطير: الجوارح منها.

(2) أفتاء: أصحاب القوة من الشبان، جمع فتي، كيتيم وأيتام.

(3) طاهر.

(4) المقة: المحبة.

المخترمة لخوالي القرون، ومواضي الملوك فكرهنا شسوعه عن محلة الملك ودار السلطان، ومقر الإمامة والولاية، وموضع المدائن والخزائن، ومستقر الجنود ومعدن الجود، ومجمع الأموال التي جعلها الله قطبا لدار الملك، ومصيدة لقلوب الناس، ومثابة لإخوان الطمع وثوار الفتن، ودواعي البدع، وفرسان الضلال، وأبناء الموت؛ وقلنا: إن وجه المهدي ولي عهده فحدث في جيوشه وجنوده ما قد يحدث بجنود الرسل من قبله، لم يستطيع المهدي أن يعقبهم بغيره إلا أن ينهد إليهم بنفسه، وهذا خطر عظيم وهول شديد، إن تنفست الأيام بمقامه واستدارت الحال بإمامه، حتى يقع عرض لا يستغنى عنه، أو يحدث أمر لا بد منه صار ما بعده مما هو أعظم هولاً، وأجل خطرا له تبعا، وبه متصلاً.

قال المهدي: الخطب أيسر مما تذهبون إليه، وعلى غير ما تصفون الأمر عليه، نحن أهل البيت نجري من أسباب القضايا ومواقع الأمور على سابق من العلم، ومحتوم من الأمر، قد أنبأت به الكتب ونبأت عليه الرسل، وقد تناهى ذلك بأجمعه إلينا وتكامل بحذافيره عندنا، فيه ندبر وعلى الله نتوكل إنه لا بد لولي عهدي وولي عهد عقبي بعدي، أن يقود إلى خراسان البعوث ويتجه نحوها بالجنود؛ أما الأول فإنه يقدم إليهم رسله ويعمل فيهم حيله ثم يخرج نشطًا إليهم حنقًا عليهم، يريد أن لا يدع أحدا من إخوان الفتن ودواعي البدع، وفرسان الضلال إلا توطأه بحر القتل وألبسه قناع القهر، وقلده طوق الذل، ولا أحدا من الذين عملوا في قص جناح الفتنة وإخماد نار البدعة ونصرة ولاة الحق إلا أجرى عليهم دائم فضله وجداول له، فإذا خرج مزمعا به مجمعا عليه لم يسر إلا قليلاً حتى تأتيه أن قد عملت حيله، وكدحت كتبه ونفذت مكايده، فهدأت نافرة القلوب ووقعت طائرة الأهواء واجتمع عليه المختلفون بالرضا فيميل نظرا لهم وبرا م وتعطفًا عليهم إلى عدو قد أخاف سبيلهم وقطع طريقهم ومنع حجاجهم بيت الله الحرام، وسلب تجارهم رزق الله الحلال، وأما الآخر، فإنه يوجه إليهم، ثم تعقد له الحجة عليهم بإعطاء ما يطلبون وبذل ما يسألون، فإذا سمحت الفرق بقرابا ا له وجنح أهل النواحي بأعناقهم محوه، فأصغت إليه الأفئدة واجتمعت له الكلمة وقدمت عليه الوفود قصد الأول ناحية نجعت بطاعتها وألقت بأزمتها، فألبسها جناح نعمته وأنزلها ظل كرامته وخصها بعظيم حبائه، ثم عم الجماعة بالمعدلة وتعطف عليهم بالرحمة فلا تبقى فيهم ناحية دانية ولا فرقة قاصية إلا دخلت عليها بركته ووصلت إليها منفعته فأغنى فقيرها وجبر كسيرها ورفع وضيعها وزاد رفيعها، ما خلا ناحيتين: ناحية يغلب عليها الشقاء، وتستميلهم الأهواء، فتستخف بدعوته، وتبطئ عن إجابته وتثاقل عن حقه، فتكون

آخر من يبعث وأبطأ من يوجه، فيصطلي عليها موجدة ويبتغي لها علة، لا يلبث أن يجد بحق يلزمهم وأمر يجب عليهم، فتستلحمهم الجيوش وتأكلهم السيوف ويستحر م القتل ويحيط م الأسر ويفنيهم التتبع حتى يخرب البلاد وييتم الأولاد. وناحيةٍ لا يبسط لهم أمانا ولا يقبل لهم عهدا ولا يجعل لهم ذمة؛ لأ م أول من فتح باب الفرقة وتدرع جلباب الفتنة وربض في شق العصا، ولكنه يقتل أعلامهم ويأسِر قوادهم ويطلب هرا م في لجج البحار وقلل الجبال[1] وحميل الأودية وبطون الأرض تقتيلاً وتغليلاً وتنكيلاً حتى يدع الديار خرابا والنساء أيامى – وهذا أمر لا نعرف له في كتبنا وقتا لا نصحح منه غير ما قلنا تفسيرا – وأما (موسى ولي عهدي) فهذا أوان توجهه إلى خراسان وحلوله بجرجان وما قضى الله له من الشخوص إليها والمقام فيها خير للمسلمين مغبة، وله بإذن الله عاقبة من المقام بحيث يغمر في لجج بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع أمواجنا، فيتصاغر عظيم فضله ويتذاءب مشرق نوره ويتقلل كثير ما هو كائن منه، فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من الناس؟

قال محمد بن الليث: أيها المهدي – إن ولي عهدي أصبح لأمتك وأهل ملتك علما قد تثنت نحوه أعناقها، ومدت سمته أبصارها، وقد كان لقرب داره منك ومحل جواره لك عطل الحال غفل الأمر واسع العذر، فأما إذا انفرد بنفسه وخلا بنظره وصار إلى تدبيره، فإن من شأن العامة أن تتفقد مخارج رأيه، وتستنصت لمواقع آثاره، وتسأل عن حوادث أحواله في بره ومرحمته ومعدلته، وتدبيره وسياسته ووزرائه وأصحابه، ثم يكون ما سبق إليهم أغلب الأشياء عليهم وأملك الأمور م وألزمها لقلو م وأشدها استمالةً لرأيهم، وعطفًا لأهوائهم، فلا يفتأ المهدي وفقه الله ناظرا له فيما يقوي عمد مملكته، ويسدد أركان ولايته، ويستجمع رضاء أمته بأمر هو أزين لحاله، وأظهر لجماله، وأفضل مغبة لأمره، وأجل موقعا في قلوب رعيته، وأحمد حالاً في نفوس أهل ملته، ولا أدفع مع ذلك باستجماع الأهواء له، وأبلغ في استعطاف القلوب عليه من مرحمة تظهر من فعله، ومعدلة تنتشر عن أثره، ومحبةٍ للخير وأهله – وأن يختار المهدي وفقه الله من خيار أهل كل بلدة، وفقهاء أهل كل مصر، أقواما تسكن العامة إليهم إذا ذكروا، وتأنس الرعية م إذا وصفوا، ثم تسهل لهم عمارة سبل الإحسان، وفتح باب المعروف؛ كما قد كان فتح له وسهل عليه.

قال المهدي: صدقت ونصحت؛ ثم بعث في طلب ابنه موسى، فقال له: أي بني – إنك

(1) أعالي الجبال، مفردها: قُلة.

قد أصبحت لسمت وجوه العامة نصبا، ولمثى أعطاف الرعية غاية، فحسنتك شاملة وإساءتك نائية، وأمرك ظاهر، فعليك بتقوى الله وطاعته، فاحتمل سخط الناس فيهما، ولا تطلب رضاهم بخلافهما، فإن الله عز وجل كافيك من أسخطه عليك إيثارك رضاه، وليس بكافيك من يسخطه عليك إيثارك رضا من سواه – ثم اعلم أن لله تعالى في كل زمان فترة من رسله، وبقايا من صفوة خلقه وخبايا لنصرة حقه يجدد حبل الإسلام بدعواهم ويشيد أركان الدين بنصر م ويتخذ لأولياء دينه أنصارا، وعلى إقامة عدله أعوانا، يسدون الخلل ويقيمون الميل، ويدفعون عن الأرض الفساد، وإن أهل خراسان أصبحوا أيدي دولتنا، وسيوف دعوتنا، الذين نستدفع المكاره بطاعتهم، ونستصرف نزول العظائم بمناصحتهم، وندافع ريب الزمان بعزائمهم، ونزاحم ركن الدهر ببصائرهم، فهم عماد الأرض إذا أرجفت لففها وخوف الأعداء إذا برزت صفحتها وحصون الرعية إذا تضايقت الحال ا، فقد مضت لهم وقائع صادقات، ومواطن صالحات أخمدت نيران الفتن، وقسمت دواعي البدع، وأذلت رقاب الجبارين، ولم ينفكوا كذلك ما جروا مع ريح دولتنا، وأقاموا في ظل دعوتنا، واعتصموا بحبل طاعتنا التي أعز الله ا ذا م ورفع ا ضعتهم، وجعلهم ا أربابا في أقطار الأرض وملوكًا على رقاب العالمين، بعد لباس الذل وقناع الخوف، وإطباق البلاد ومخالفة الأسى وجهد البأس والضر، فظاهر عليهم لباس كرامتك، وأنزلهم في حدائق نعمتك ثم اعرف لهم حق طاعتهم، ووسيلة دالتهم وماتة سابقتهم، وحرمة مناصحتهم بالإحسان إليهم، والتوسعة عليهم، والإثابة لمحسنهم، والإقالة لمسيئهم.

أي بني، ثم عليك العامة فاستدع رضاها بالعدل عليها، واستجلب مود ا بالإنصاف لها، وتحسن بذلك لربك، وتوثق به في عين رعيتك، واجعل عمال العذر وولاة الحجج مقدمة بين يدي عملك ونصفة منك لرعيتك، وذلك أن تأمر قاضي كل بلد، وخيار أهل كل مصر أن يختاروا لأنفسهم رجلاً توليه أمرهم، وتجعل العدل حاكما بينه وبينهم فإن أحسن حمدت، وإن أساء عذرت، هؤلاء عمال العذر وولاة الحجج، فلا يقسطن عليك ما في ذلك، إذا انتشر في الآفاق وسبق إلى الأسماع من انعقاد ألسنة المرجفين وكبت قلوب الحاسدين وإطفاء نيران الحروب، وسلامة عواقب الأمور، ولا ينفكن في ظل كرامتك نازلاً، وبعرى حبلك متعلقًا رجلان:

أحدهما: كريمة من كرائم رجالات العرب وأعلام بيوتات الشرف، له أدب فاضل وحلم راجح ودين صحيح.

والآخر: له دين غير مغموز، وموضع غير مدخول، بصير بتقليب الكلام، وتصريف الرأي، وأنحاء العرب ووضع الكتب، عالم بحالات الحروب وتصاريف الخطوب، يضع آدابا نافعة وآثارا باقية من محاسنك وتحسين أمرك وتحلية ذكرك فتستشيره في حربك وتدخله في أمرك، فرجل أصبته كذلك فهو يأوى إلى محلتي ويرعى في خضرة جناني، ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان وخيار الأمصار أقواما يكونون جيرانك وسمارك، وأهل مشاورتك فيما تورد، وأصحاب مناظرتك فيما تصدر، فسر على بركة الله، أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلاً يهدي إلى الصواب قلبك، وهاديا ينطق بالخير لسانك.

وفود بكّارة الهلالية[1] على معاوية

استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن أبي سفيان فأذن لها، وهو يومئذ بالمدينة فدخلت عليه، وكانت امرأة قد أسنت وعشي بصرها وضعفت قو ا، ترعش بين خادمين لها؛ فسلمت وجلست، فرد عليها معاوية السلام، وقال: كيف أنت يا خالة؟ فقالت: بخير يا أمير المؤمنين، قال: غيرك الدهر، قالت: كذلك هو ذو غِيرٍ، من عاش كبر، ومن مات قبر، فقال عمرو بن العاص: هي والله القائلة يا أمير المؤمنين:

يا زيد دونك فاحتفِر مــن دارنــا ... سيفًا حســاما في التــراب دفينــا

قد كنت أذخــره ليــوم كريهــة ... فــاليوم أبــرزه الزمــان مصــونا

وقال مروان: وهي والله القائلة يا أمير الؤمنين:

أترى ابن هِنــدٍ للخلافــة مالكًــا ... هيهــــات ذاك وان أراد بعيــــد

منتك نفسك في الخــلاءِ ضــلالةً ... أغْــراك عمــرو للشــقا وســعيد

وقال سيد بن العاص: هي والله القائلة:

قد كنت أطمع أن أمــوت ولا أرى ... فوق المنــابر مــن أميــة خاطبــا

فــالله أخــــر مــــدتي فتطاولــــت ... حتى رأيت مِــن الزمــان عجائبــا

في كل يــوم لا يــزال خطيــبهم ... بــين الجميــع لآل أحمــد عائبــا

ثم سكتوا، فقالت: يا معاوية، كلامك أعشى بصري، وقصر حجتي، أنا والله قائلة ما

(1) شاعرة إسلامية لا يعرف لها تاريخ مولد ولا تاريخ وفاة، ولها شعر ضد بني أمية.

قالوا، وما خفي عليك مني أكثر، فضحك معاوية وقال: ليس يمنعنا ذلك من برك، اذكري حاجتك، قالت: أما الآن فلا.

مناظرة السيف والقلم

لزين الدين عمر بن الوردي المتوفى سنة 749هـ

لما كان السيف والقلم عدتي العمل والقول، وعمدتي الدول، فإن عدمتهما دولة فلا حول، وركني إسناد الملك المعربين عن المخفوض والمرفوع، ومقدمتي نتيجة الجدل الصادر عنهما المحمول والموضوع فكثرت أيهما أعظم فخرا وأعلى قدرا فجلست لهما مجلس الحكم والفتوى، ومثلتهما في الفكر حاضرين للدعوى، وسويت بين الخصمين في الإكرام، واستنطقت لسان حالهما للكلام:

فقال القلم: بسم الله مجريها ومرساها، والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها، أما بعد فحمد الله بارئ القلم، ومشرفه بالقسم، وجاعله أول ما خلق، وجمل الورق بغصنه، كما جمل الغصن بالورق، والصلاة على القائل جفت الأقلام، فإن القلم قصب السباق، والكاتب بسبعة أقلام من طبقات الكتاب في السبع الطباق، جرى بالقضاء والقدر، وناب عن اللسان فيما ى وأمر، طالما أربى على البيض والسمر في ضرا ا وطعا ا، وقاتل في البعد، والصوارم في القرب ملء أجفا ا، وماذا يشبه القلم في طاعة ناسه؟ ومشيه لهم على أم راسه؟

قال السيف: بسم الله الخافض الرافع، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع، أما بعد فحمد الله الذي أنزل آية السيف، فعظم ا حرمة الجرح وآمن خيفة الحيف، والصلاة على الذي نفذ بالسيف سطور الطروس، وخدمته الأقلام ماشية على الرءوس، وعلى آله وصحبه الذين أرهفت سيوفهم، وبنيت ا على كسر الأعداء حروفهم، فإن السيف عظيم الدولة، شديد الصولة، محا أسطار البلاغة، وأساغ ممنوع الإساغة، من اعتمد على غيره في قهر الأعداء تعب، وكيف لا وفي حده الحد بين الجد واللعب؟ (فإن كان القلم شاهدا، فالسيف قاض، وإن اقتربت مجادلته بأمرٍ مستقبل قطعه السيف بفعل ماض، به ظهر الدين، وهو العدة لقمع المعتدين، حملته دون القلم يد نبينا، فشرف بذلك في الأمم شرف أبينا، الجنة تحت

ظلاله، ولا سيما حين يسل فترى ودق الدم يخرج من خلاله، زينت بزينة الكواكب سماء غمده، وصدق القائل "السيف أصدق إنباءً من ضده" لا يعبث به الحامل، ولا يتناوله كالقلم بأطراف الأنامل، ما هو كالقلم المشبه بقوم عروا عن لبوسهم، ثم نكسوا كما قيل على رءوسهم، فكأن السيف خلق من ماء دافق، أو كوكب راشق مقدرا في السرد، فهو الجوهر الفرد، لا يشترى كالقلم بثمنٍ بخسٍ، ولا يبلى كما يبلى القلم بسواد وطمسن كم لقائمه المنتظر، من أثرٍ في عين أو عين في أثرٍ، فهو في جراب القوم قوام الحرب، ولهذا جاء مطبوع الشكل داخيل الضرب.

قال القلم: أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين، يفاخر وهو القائم عن الشمال، وأنا الجالس على اليمين؟! أنا المخصوص بالرأي وأنت المخصوص بالصدى، أنا آلة الحياة وأنت آلة الردى، ما لنت إلا بعد دخول السعير، وما حددت إلا عن ذنبٍ كبير، أنت تنفع في العمر ساعة، وأنا أفني العمر في الطاعة، أنت للرهب، وأنا للرغب؛ وإذا كان بصرك حديدا فبصري ماء ذهب: أين تقليدك من اجتهادي، وأين نجاسة دمك من تطهير مدادي؟

قال السيف: أمثلك يعير مثلي بالدماء؟! فطالما أمرت بعض فراخي – وهي السكين– فأصبحت من النفاثات في عقدك يا مسكين، فأخلت من الحياة جثمانك، وشقت أنفك وقطعت لسانك. ويك! إن كنت للديوان فحاسب مهموم، أو للانشاء فخادم لمخدوم، أو للتبلغ فساحر مذموم، أو للفقيه فناقص في المعلوم، أو للشاعر فسائل محروم، أو للشاهد فخائف مسموم، أو للمعلم فللحي القيوم. أما أنا فلي الوجه الأزهر والحلية والجوهر، والهيبة إذ أشهر، والصعود على المنبر، ثم إني مملوك كمالك، فإنك كناسك، أسلك الطريق، وأقطع العلائق.

قال القلم: أما أنا فابن ماء السماء، وأليف الغدير وحليف الهواء، أما أنت فابن النار والدخان وباتر الأعمار وخوان الإخوان تفصل ما لا يفصل وتقطع ما أمر الله به أن يوصل، لا جرم أن صعر السيف خده وصقل قفاه، وسقي ماء حميما، فقطع معاه، يا غراب البين، ويا عدة الحين، ويا معتل العين، ويا ذا الوجهين، كم أفنيت وأعدمت؟ وأرملت وأيتمت؟

قال السيف: يا ابن الطين، ألست ضامرا وأنت بطين، كم جريت بعكس، وتصرفت في مكس، وزورت وحرفت، ونكرت وعرفت، وسطرت هجوا وشتما، وخلدت عارا ودما، أبشر بفرط روعتك، وشدة خيفتك، إذا قست بياض صحيفتي بسواد صحيفتك، فألن خطابك فأنت قصير المدة، وأحسن جوابك فعندي حدة، وأقلل من غلظتك، وجبهك،

واشتغل عن دم في وجهي بقبح في وجهك، وإلا فأدنى ضربةٍ مني بروم أرومتك، فتستأصلك وتجتث جرثومتك، فسقيا لمن غاب لك عن غابك، ورعيا لمن لو أهاب بك لسلخ إهابك.

فلما رأى القلم السيف قد احتد، ألان له من خطابه ما اشتد..

وقال: أما الأدب فيؤخذ عني، وأما اللطف فيكتسب مني، فإن لنت لنت، وإن أحسنت أحسنت، نحن أهل السمع والطاعة، ولهذا نجمع في الدواة الواحدة من جماعة، وأما انتم فأهل الحدة والخلاف ولهذا لا يجمعون بين سيفين في غلاف.

قال السيف: أمكرا ودعوى عفةٍ؟ لأمر ما جدع قصير أنفه! لو كنت كما زعمت ذا أرب، لما قابلت رأس الكاتب بعقدة الذنب، أنا ذو الصيت والصوت، وغراري لسان مشرفي يرتجل غرائب الموت، أنا من مارجٍ من نارٍ، والقلم من صلصالٍ كالفخار، وإذا زعم القلم أنه مثلي، أمرت من يدق رأسه بنعلي.

قال القلم: صه فصاحب السيف بلا سعادة، كأعزل.

قال السيف: مه فقلم البليغ بغير حظ مغزل،

قال القلم: أنا أزكى وأطهر.

قال السيف: أنا أ ى وأ ر.

فتلا ذو القلم لقلمه: إنا أعطيناك الكوثر، وتلا صاحب السيف لسيفه: فصل لربك وانحر. فتلا ذو القلم لقلمه: إن شانئك هو الأبتر،

قال: أما وكتابي المسطور، وبيتي المعمور، والتوراة والإنجيل، والقرآن ذي التبجيل، إن لم تكف عني غربك، وتبعد مني قربك، لأكتبنك من الصم البكم، ولأسطرن عليك بقلمي سجلاً ذا الحكم،

قال السيف: أما ومتني المتين، وفتحي المبين، ولساني الرطبين، ووجهي الصلبين، إن لم تغب عن بياضي بسوادك، لأمسخن وجهك بمدادك، ولقد كسبت من الأسد في الغابة، توقيح العين والصلابة، مع أني ما ألوتك نصحا، أفنضرب عنكم الذكر صفحا؟

قال القلم: سلم إلي مع من سلم إن كنت أعلى فأنا أعلم، وإن كنت أحلى فأنا أحلم، وإن كنت أقوى فأنا أقوم، أو كنت ألوى فأنا ألوم، أو كنت أطرى فأنا أطرب، أو كنت أغلى فأنا أغلب، أو كنت أعتى فأنا أعتب، أو كنت أقضى فأنا أقضب.

قال السيف: كيف لا أفضلك، والمقر الفلاني شاد أزري؟!

قال القلم: كيف لا أفضلك وهو (عز نصره) ولي أمرني؟!

قال الحكم بين السيف والقلم: فلما رأيت الحجتين ناهضتين، والبينتين بينتين متعارضتين، وعلمت أن لكل واحدٍ منها نسبةً صحيحة، إلى هذا المقر الكريم، وروايةً مسندةً عن حديثه القديم، لطفت الوسيلة، ودققت الحيلة حتى رددت القلم إلى كنه، وأغمدت السيف فنام ملء جفنه، وأخرت بينهما الترجيح وسكت عما هو عندي الصحيح، إلى أن يحكم المقر بينهما بعلمه، ويسكن سورة غضبهما الوافر ولجاجهما المديد ببسط حلمه.

مناظرة للآمدي
بين صاحب أبي تمام وصاحب البحتري

صاحب أبي تمام: كيف يجوز لقائل أن يقول: إن البحتري أشعر من أبي تمام، ومن أبي تمام أخذ، وعلى حذوه احتذى، ومن معانيه استقى! حتى قيل الطائي الأكبر، والطائي الأصغر!

صاحب البحتري: أما الصحبة له فما صحبه ولا تتلمذ له، ولا روى ذلك أحد عنه ولا نقله، ولا رأى قط أنه محتاج إليه، ودليل ذلك الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند (أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري) وقد دخل عليه البحتري بقصيدته التي أولها:

أأفاق صب مِن هوى فَأُفيقا(1)

وأبو تمام حاضر فلما أنشدها علق أبو تمام منها أبياتا كثيرة، فلما فرغ من الإنشاد أقبل أبو تمام على محمد بن يوسف فقال: أيها الأمير، ما ظننت أحدا يقدم على أن يسرق شعري، وينشده بحضرتي حتى اليوم. ثم اندفع ينشد ما حفظه، حتى أتى على أبيات كثيرة من القصيدة. فبهت البحتري، ورأى أبو تمام الإنكار في وجه أبي سعيد. فحينئذ قال له أبو تمام: أيها الأمير والله ما الشعر إلا له؛ وإنه أحسن فيه الإحسان كله، وأقبل يقرظه ويصف معانيه ويذكر محاسنه، ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى ضاعف له الجائزة.

فمن كان يقول مثل هذه القصيدة التي هي من عين شعره وفاخر كلامه قبل أن يعرف أن أبا تمام جدير به أن يستغني عن أن يصحبه أو يتتلمذ له أو لغيره من الشعراء، على أنني لا أنكر أنه استعار بعض معاني أبي تمام، لقرب البلدين وكثرة ما كان يطرق سمع البحتري من شعره وليس ذلك بمقتضٍ أن يكون أبو تمام أستاذ البحتري، ولا بمانع أن يكون البحتري

---

(1) تتمة البيت: " أم خانَ عهداً أم أطاع شفيقا".

أشعر من أبي تمام فهذا "كثير"[1] قد أخذ من "جميل"[2] واستقى من معانيه، فما رأينا أن أحدا قال إن "جميلاً" أشعر منه بل هو عند أهل العلم بالشعر والرواية أشعر من جميل.

صاحب أبي تمام: إن البحتري نفسه يعترف أن أبا تمام أشعر منه، فقد سئل عنه وعن أبي تمام فقال: إن جيده خير من جيدي، وجيد أبي تمام كثير.

صاحب البحتري: إن كان هذا الخبر صحيحا فهو للبحتري لا عليه لأن قوله هذا يدل على أن شعر أبي تمام كثير الاختلاف وشعره شديد الاستواء، والمستوي من الشعر أولى بالتقدمة من المختلف الشعر، وقد اجتمعنا نحن وأنتم على أن أبا تمام يعلو علوا حسنا وينحط انحطاطًا قبيحا، وأن البحتري يعلو بتوسط ولا يسقط، ومن لا يسقط ولا يسف أفضل ممن يسقط ويسف.

صاحب أبي تمام: إن أبا تمام انفرد بمذهب اخترعه وصار فيه أولاً، وإماما متبوعا، وشهر له حتى قيل هذا مذهب أبي تمام وطريقة أبي تمام، وسلك الناس جه، واقتفوا أثره، وهي فضيلة عري عن مثلها البحتري.

صاحب البحتري: ليس الأمر على ما وصفت، وليس أبو تمام صاحب هذا المذهب، ولا بأول فيه ولا سابق إليه، بل سلك فيه سبيل مسلم بن الوليد[3] واحتذا حذوه، وأفرط في ذلك وأسرف، حتى زال عن النهج المعروف، والسنن المألوف.

بل إن مسلما غير مبتدع، ولكنه رأى هذه الأنواع التي وقع عليها اسم البديع متفرقة في أشعار المتقدمين فقصدها، وأكثر في شعره منها، ولكنه حرص على أن يضعها في

(1) كثير عزة وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن مليح من خزاعة (40 - 105 هـ / 660 - 723 م) شاعر متيم مشهور، من أهل المدينة، وكفله عمه بعد موت أبيه وكلفه رعي قطيع له من الإبل حتى يحميه من طيشه وملازمته سفهاء المدينة، واشتهر بحبه لعزة فعرف ا وعرفت به، وتوفي في الحجاز هو وعكرمة مولى ابن عباس في نفس اليوم فقيل: مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس.

(2) جميل بثينة وهو جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي، أبو عمرو (توفي 82هـ/701م) شاعر من عشاق العرب، افتتن ببثينة شعره يذوب رقة، أقل ما فيه المدح، وأكثره في النسيب والغزل والفخر.

(3) مسلم بن الوليد الأنصاري بالولاء أبو الوليد صريع الغواني (توفي 208 هـ/823 م) شاعر غزل، من أهل الكوفة نزل بغداد فاتصل بالرشيد وأنشده، فلقبه صريع الغواني فعرف به، اتصل بالفضل ابن سهل فولاه بريد جرجان فاستمر إلى أن مات فيها، وهو أول من أكثر من البديع في شعره وتبعه الشعراء فيه.

مواضعها، ولم يسلم مع ذلك من الطعن عليه، حتى قيل إنه أول من أفسد الشعر، فجاء أبو تمام على أثره واستحسن مذهبه، وأحب أن يجعل كل بيت من شعره غير خال من هذه الأصناف فسلك طريقًا وعرا واستكره الألفاظ والمعاني استكراها، ففسد شعره وذهبت طلاوته ونشف ماؤه، فقد سقط الآن احتجاجكم باختراع أبي تمام لهذا المذهب وسبقه إليه، وكل ما في المسألة أنه استكثر منه وأفرط فكان إفراطه من أعظم ذنوبه، وأكبر عيوبه.

أما البحتري فإنه ما فارق عمود الشعر، وطريقته المعروفة على كثرة ما جاء في شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة، فكان انفراده بحسن العبارة وحلاوة اللفظ وصحة المعنى والبعد عن التكلف والتعمل سببا في إجماع الناس على استحسان شعره واستجادته وتداوله، ونفاق شعر الشاعر دليل على علو مكانته، واضطلاعه بما يلائم الأذواق، ويلامس القلوب، من أساليب الكلام ومناهجه.

صاحب أبي تمام: إنما أعرض عن شعر أبي تمام من لم يفهمه لدقة معانيه وقصور فهمه عنه، أما النقاد والعلماء فقد فهموه وعرفوا قدره، وإذا عرفت هذه الطبقة فضيلته لم يضره طعن من طعن بعدها عليه.

صاحب البحتري: لا يستطيع أحد أن ينكر منـزلة ابن الأعرابي، وأحمد بن يحيى الشيباني، ودعبل الخزاعي من الشعر، ومنـزلتهم من العلم بكلام العرب، وقد علمتم مذهبهم في أبي تمام وازدرائهم بشعره، حتى قال دعبل: إن ثلث شعره محال وثلثه مسروق وثلثه صالح، وقال: ما جعل الله أبا تمام من الشعراء، بل شعره بالخطب والكلام المنثور أشبه منه بالشعر. وقال ابن الأعرابي في شعر أبي تمام: إن كان هذا شعرا فكلام العرب باطل. وهذ محمد بن يزيد المبرد: ما علمناه دون له كبير شيء.

صاحب أبي تمام: إن دعبلاً كان يشنأ أبا تمام ويحسده على ما هو معروف ومشهور فلا يقبل قول شاعر في شاعر. وأما ابن الأعرابي فكان شديد التعصب عليه لغرابة مذهبه، ولأنه كان يرد عليه من معانيه ما لا يفهمه ولا يعلمه، فكان إذا سئل عن شيء منها يأنف أن يقول لا أدري فيعد إلى الطعن عليه.

ولا مانع أن يكون جميع من تذكرونه على هذا القياس.

صاحب البحتري: لا عيب على ابن الأعرابي في طعنه على شاعر عدل في شعره عن مذاهب العرب إلى الاستعارات البعيدة المخرجة للكلام إلى الخطأ والإحالة، والعيب في ذلك يلحق أبا تمام إذ عدل عن المحجة إلى طريقة يجهلها ابن الأعرابي وأمثاله من المضطلعين

بالسليقة العربية.

صاحب أبي تمام: إن العلم في شعر أبي تمام، أظهر منه في شعر البحتري، والشاعر العالم، أفضل من الشاعر غير العالم.

صاحب البحتري: كان الخليل بن أحمد عالمًا شاعرا، وكان الأصمعي شاعرا عالمًا، وكان الكسائي كذلك، وكان خلف بن حيان الأحمر أشعر العلماء، وما بلغ م العلم طبقة من كان في زما م من الشعراء غير العلماء، والتجويد في الشعر ليست علته العلم، والشائع المشهور أن شعر العلماء دون شعر الشعراء، وقد كان أبو تمام يعمل على أن يدل في شعره على علمه باللغة وكلام العرب. أما البحتري فلم يقصد هذا ولا اعتمده، ولا كان يعده فضيلة ولا يراه علما، بل كان يرى أنه شاعر، لا بد له أن يقرب شعره من فهم سامعه، فلا يأتي بالغريب إلا أن يتفق له في اللفظة بعد اللفظة في موضعه من غير طلب له ولا حرص عليه، على أن هذا العلم الذي تؤثرون به أبا تمام لم ينفعه، فقد كان يلحن في شعره لحنا يضيق العذر فيه، ولا يجد المتأول له مخرجا منه، إلا بالحيلة والتحمل الشديد.

صاحب أبي تمام: لسنا ننكر أن يكون صاحبنا قد وهم في بعض شعره، وعدل عن الوجه الأوضح في كثير من معانيه، وغير غريب على فكرٍ نتج من المحاسن ما نتج وولد من البدائع ما ولد، أن يلحقه الكلال في الأوقات، والزلل في الأحيان وبل من الواجب لمن أحسن إحسانه أن يسامح في سهوه، ويتجاوز له عن أخطائه وما رأينا أحدا من شعراء الجاهلية سلم من الطعن، ولا من أخذ الرواة عليه الغلط والعيب، وكذلك ما أخذته الرواة عن المحدثين المتأخرين من الغلط والخطأ، واللحن أشهر من أن يحتاج إلى أن نبرهنه أو ندل عليه، وما كان أحد من أولئك وهؤلاء مجهول الحق ولا مجحود الفضل، بل عفا إحسا م على إساء م وتجويدهم عن تقصيرهم.

صاحب البحتري: أما أخذ السهو والغلط على من أخذ عليهم من المتقدمين والمتأخرين ففي البيت الواحد والبيتين والثلاثة. أما أبو تمام فلا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من عدة أبيات، يكون فيها مفسدا أو محيلاً أو عادلاً عن السنن أو مستعيرا استعارةً قبيحةً، أو مخطئًا للمعنى بطلب الطباق والتجنيس، أو مبهما بسوء العبارة والتعقيد، حتى لا يفهم ولا يوجد له مخرج.

صاحب أبي تمام: تنكرون على أبي تمام من الفضل ما يعترف به البحتري نفسه، فقد رثاه بعد موته رثاء اعترف فيه له بالسبق وفضله على شعراء عصره.

صاحب البحتري: لم لا يفعل البحتري ذلك؟ وقد كان هو وأبو تمام صديقين متحابين، وأخوين متصافيين، يجمعهما الطلب والنسب والمكتسب، فليس بمنكر ولا غريب أن يشهد أحدهما لصاحبه بالفضل، ويصفه بأحسن ما فيه وينحله ما ليس فيه، على أن الميت خاصة يعطى في تأبينه من التقريظ والوصف وجميل الذكر أضعاف ما كان يستحقه.

صاحب أبي تمام: كيفما كان الأمر لا تستطيعون أن تدفعوا ما أجمع عليه الرواة والعلماء، أن جيد أبي تمام لا يتعلق به جيد أبي تمام لا يتعلق به جيد أمثاله، وإذا كان جيده بهذه المكانة وكان من الممكن إغفال رديئه واطراحه كأنه لم يقله فلا يبقى ريب في أنه أشعر شعراء عصره، والبحتري واحد منهم.

صاحب البحتري: إنما صار جيد أبي تمام موصوفًا ومذكورا لندرته، ووقوعه في تضاعيف الرديء، فيكون له رونق وماء عند المقابلة بينه وبين ما يليه، وجيد البحتري كجيد أبي تمام، إلا أنه يقع في جيد مثله أو متوسط، فلا يفاجئ النفس منه ما يفاجئها من جيد صاحبه.

مناظرة بين الليل والنهار
لمحمد أفندي المبارك الجزائري

لما أسفر النهار عن بياض الغرة، قابله الليل بسواد الطرة ثم صار الهزل جدا واشتد النـزاع بينهما جدا، فاستنجد كل منهما أميره، وأفشى له سره وضميره، وإذا بالليل حمل على النهار، فصبغ حمرة وردته بصفرة البهار، وخطر يجر ذيول تيهه وعجبه، مرصعا تيجان مفاخره بدرر شهبه، ثم قال: **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى** [الليل: 1] **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى** [النازعات: 26] ففتح باب المناقشة في هذا الفصل، وعقد أسباب المنافسة بقوله الفصل "فإن الحرب أولها كلام" ثم تنجلي عن قتيل، أو أسير بكلام.

ولما بلغ الليل غايته بزغ الفجر ورفع رايته، وقال إذ جال في معترك المنايا: "أنا ابن جلا وطلاع الثنايا" فتقدم في ذلك الميدان وجلى، تاليا قوله تعالى: **وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى** [الليل: 2] ثم استوى على عرش السنا والسناء، وأطلع شموس طلعته في الأرض والسماء، فأعرب عن غوامض الرقائق والحقائق، وأغرب في نشر ما انطوى من الأسرار والدقائق، وما انحدر من منبره، حتى أيد دعوى خبره بشاهد مخبره، فانتدب إليه "الليل" ومال عليه كل الميل، وقال: أحمد من جعلني خلوة للأحباب، وجلوة لعرائس العرفان ونفائس الآداب، وخلقني مثوى لراحة العِباد، ومأوى لخاصة النساك والعباد، ولله در من قال فأجاد:

أيها اللّيـلُ طُـلْ بِغيـر جنـاح ليس لِلْعـين راحـةٌ في الصـباح
كيف لا أبغـض الصـباح وفيـهِ بانَ عني نور الوجـوهِ المِـلاحِ(1)

أتردد على أرباب المجاهدة بفنون الغرائب، وأتودد لي أصحاب المشاهدة بعيون الرغائب، تدور في ساحتهم بدور الحسن والبهاء، وتدار من راحتهم كؤوس الأنس والهناء، فتحييهم نغمات السمر، وتحييهم نسمات السحر، فأحيان وصلي بالتهاني مقمرة، وأفنان فضلي بالأماني مثمرة، وحسبي كرامة، أني للناس خير لباس أقيهم بلطف الإيناس من كل باس، ومن واصل الإدلاج وهجر طيب الكرى قيل له (عند الصباح يحمد القوم السرى):

ومـا الليـلُ إلا للمجـد مطيـةٌ وميدانُ سبق فاستبق تبلُـغ المُـنى

ففتن بمعاني بيانه البديع، وتفنن في أفانين التصريع والترصيع ثم أتم خطبته بالتماس المغفرة والعفو، واستعاذ بالله من دواهي الغفلة ودواعي اللهو، فوثب إليه (النهار) وصال عليه صولة ملك قهار، وصعد على منبره ثانيا، وقد أضحى التيه لعطفه ثانيا، فأثنى على من جلى ظلمة الحجاب، وتجلى له باسمه النور وتوجه بسورة من الكتاب وزانه بأبهى سراج وهاج، فأوضح بسناه السبيل والمنهاج ثم صاح: أيها الليل، هلا قصرت من إعجابك الذيل؟! ولئن دارت رحى الحرب واستعرت نار الطعن والضرب، فلأسبين مخدراتك، وهي عن الوجوه حاسرة وأنت تتلو يومئذ **﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾** [النازعات: 12] فما دعاك إلى حلبة المفاضلة؟ وما دهاك حتى عرضت بنفسك للمناضلة؟ وهل دأبك إلا الخداع والمكر؟! وترقب الفرصة وأنت داخل الوكر؟! أما حض القرآن على التعوذ برب الفلق وندب **﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾** [الفلق: 2، 3] فبربي يستعاذ من شرك، ويستعان على صنوف صروف غدرك، وهب أنك تجمع المحب بالحبيب، إذا جار عليه الهوى وحار الطبيب، فكم يقاسي منك في هاجرة الهجر ويئن أنين الثكلى حتى مطلع الفجر؟!

يبيت كما بات السـليم مسـهدا وفي قلبه نـار يشـب لهـا وقْـد

فيساهر النجوم، ويساور الوجوم، وقد هاجت لواعج غرامه، وتحركت سواكن وجده

(1) البيتان لابن رشيق القيرواني وهو: الحسن بن رشيق القيرواني أبو علي (390 - 463 هـ / 1000 - 1071 م) أديب، نقاد، باحث، ولد في المسيلة (بالمغرب) وتعلم الصياغة، ثم مال إلى الأدب وقال الشعر، رحل إلى القيروان سنة 406هـ "مدح ملكها" واشتهر فيها من كتبه (العمدة في صناعة الشعر ونقده - ط)، (وقراضة الذهب - ط) في النقد، و(الشذوذ في العلة) (وديوان شعر).

وهيامه؛ فأنشد وزفيره يتصعد:

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ويجمعني والهم بالليل جامع

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا لي الليلُ هزتني إليكِ المضاجع(1)

على أن العاشق لوله، يشكو منك في جميع أحواله، فكم قطع آناءك بمواصلة أنينه متململاً من فرط شوقه وحنينه، فلما أن حظي بالوصال تمثل بقول من قال:

الليلُ إن واصلت كالليل إن هجرت أشكو من الطول ما أشكو من القصر

ولئن افتخرت ببدرك الباهر الباهي، فإنما تباري ببعض أنواري وتباهي، وهل للبدر عند إشراق الشمس من نور؟ أو لطلعة حسنه من خدور البطون ظهور! ومن ادعى أنك تساويني في الفضل والقدر! أو زعم أن الشمس تقتبس من مشكاة البدر! ومتى استمدت الأصول من الفروع "وما أغنى الشموس عن الشموع" فبي تنجلي محاسن المظاهر الكونية، وتتحلى بجواهر الأعراض اللونية وأنى يخفى حسني وجمالي على مشاهد؟ أو يفتقر فضلي وكمالي إلى شاهد! وعرضي عار عن العار، وجميع الحسن من ضيائي مستعار؟!

وليس يصح في الأذهان شيءٌ إذا احتاج النهار إلى دليل(2)

أما كفاك بينة، وزادك ذكرى وتبصرة، قوله تعالى: **فمحونا آيةَ الليل وجعلنا آيةَ النهار مبصرةً** [الإسراء: 12] **هلْ يستوي الأعمى والبصير أم هلْ تستوي الظلُمات والنور** [الرعد: 16] وأين منـزل أهل الغفلة من منـزل أهل اليقظة والحضور! وإن كنت معنى الأنس والأفراح، تفعل بعقول الناس فعل الراح، فهل حسبت أن السكون خير من الحركة، وقد أجمع العالم على أن "الحركة بركة" فإن لي بكل خطوة حظوة، وليس لجوادي كبوة، ولا لصارمي نبوة وإن صرحت للذين يبيتون لر م سجدا وقياما، معرضا

(1) الشعر من قصيدة مطلعها:

أقمت على رمانَ يوماً وليلةً لانظُر ماواشى أميمةَ صانِع

لابن الدمينة وهو: عبد الله بن عبيد الله بن أحمد، من بني عامر بن تيم الله، من خثعم، أبو السري، والدمينة أمه، (توفي130هـ/747م) شاعر بدوي، من أرق الناس شعراً، أكثر شعره الغزل والنسيب والفخر، وهو من شعراء العصر الأموي، تم اغتياله وهو عائد من الحج له ديوان شعر صغير.

(2) الشعر من مقطوعة من أربعة ابيات للمتنبي مطلعها (وفيها الأفهام بدل الأذهان):

أتيت بمنطِق العربِ الأصيل وكانَ بقدر ما عاينت قيلي

بكل غافل لاه، في كل مجالٍ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وأين من احتجب بظلماتٍ بعضها فوق بعض، ممن أضحى ينظر بعين الاعتبار في ملكوت السموات والأرض وقد أتحفني الله بالصلاة الوسطى فأوتر ا صلواتي، وشرع فيها الإسرار لأسرار اختصت ا أهل جلواتي، وكفاني شرفًا **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** فمآثري مأثورة في القديم والحديث، ومفاخري منثورة في الكتاب والحديث، ومحاسني واضحة لأولى الأبصار، وهل تخفى الشمس في رائعة النهار، فاكفف عن الجدال وأمسك، ولا تجعل يومك مثل أمسك، وسالم من ليس لك عليه قدرة، فقد قيل: "ما هلك امرؤ عرف قدره" أقول قولي هذا وأستغفر الله من آفة العجب والكبرياء.

ولما ا ار ركن النهار، ا ار (الليل) وتبرقع بالاكفهرار، فسد ما بين الخافقين بسواده، وطفق يرمي بسهام جدله في جلاده، وقدم بين نجواه سورة القدر، آية على ما حازه من كمال الرفعة والقدر، وثنى بقوله تعالى: **سبحانَ الذِي أسرى بِعبدِهِ ليلاً** [الإسراء: 1] فأشار إلى الحبيب حين تجلت له قرة عينه ليلاً، ثم قال: سحقًا لك أيها النهار، فقد أسست بنيانك على شفا جرف هارٍ، تناضلني ومني كان انسلاخك وظهورك، وتفاضلني وبي أرخت أعوامك وشهورك – ألم يأن أن تخشع للذكر[1]! فتعترف برتبة التقديم في الذكر[2]، وكيف تعيرني بلون السواد! وهل يقبح السواد إلا في الفؤاد؟! أو كيف تعيبني بالخداع (والحرب خدعة) وليس الشيء في موطنه بغريب ولا بدعة؟! أما تشهد العوالم من هيبتي حيارى؟

وترى الناس سكارى وما هم بسكارى [الحج: 2] فكم أرقت[3] ملوكًا أكاسرةً؟

وأرقت[4] دماء أسودٍ كاسرة، وكم أوريت نار الوغى تحت العجاج؟ وقد ازورت[5] اللحاظ[6] واغبرت الفجاج[7]، فأنا البطل الذي لا يصطلى بناره، ولا يأخذ منه الموتور بثاره، وافتخارك علي بالصلاة الوسطى، ليس إنصافًا منك ولا قسطًا، وهب أنك انفردت

---

(1) الذكر: القرآن.
(2) الذكر هنا: الشرف.
(3) أرقت: أسهرت.
(4) أرقت: أسلمت.
(5) ابتعدت وانحرفت.
(6) العيون.
(7) الطرق.

بتلك الصلاة الجليلة، فأين مما أوتيته من الصلات الجزيلة، أما كان افتراض الصلاة في ليلة العروج؟! فما بالك تدعي الارتقاء إلى هذه البروج؟!

وما أعجبتني قط دعـوى عريضـة **ولو قام** في **تصديقها ألـف شـاهد**

وأما افتخارك علي بفضل شهر رمضان، وما نزل فيه من السبع المثاني والقرآن، فهل صح لك صيامه إلا بي بدءًا وختاما؟! وقد تميزت عليك بفضيلة إحيائه تهجدا وقياما، على أني محل النية "ونية المرء خير من عمله" لأنها بمثابة الروح له، ولما يحظى الراجي ببلوغ أمله، هذا: وإني أتكفل للصائم بمديد الراحة ووافر الأجر حتى يتبين له الخيط الأبيض من الأسود من الفجر، وكيف تفتخر بالكتاب المنـزه في مزاياه عن المشاركة؟ والله تعالى يقول فيه: **﴿إنا أنزلناه في ليلةٍ مباركةٍ﴾** [الدخان: 3] وهل في مطالع سعودك أشرقت بدور العيدين؟! أم على جناح جنحك أسري بنور طلعة الكونين؟! ثم عرج به عليه الصلاة والسلام إلى منـزلة قاب قوسين، وهل في تجليات أسحارك يقول الرب: هل من سائل؟ فيناجيه العبد متضرعا إليه بقلب خاشع ودمع سائل.

ومما اختصصت به من الفضائل والمفاخر، أنه في دولتي ولد سيد الأوائل والأواخر، وناهيك بليالي شهر الله رجب، وكيف لا وفي طالعها السعيد حملت آمنة بسيد العجم والعرب.

فطلع (النهار) طلوع الأسد من غابه، وكسر جيوش الدجى حين كشر عن نابه، وشمر للحرب العوان غير ناكلٍ ولا وانٍ، ناشرا في الأفق رايته البيضاء وأسنته لامعة بين الخضراء والغبراء، وقال: والذي كساني حلل الملاحة، وأطلق لساني بالبلاغة والفصاحة، لأمحون سطور الدجى من طروس الوجود؛ ولأثبتن حسن أحوالي في مقامات أهل الشهود، فإني معروف بالوفاء وصدق الخبر، موصوف بالصفاء الذي لا يشوب صفوه كدر، كيف يباهيني (الليل) بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، وأنا أتحدث بنعم الله وهو موسوم بكفران النعم؟ ألست مظهر الهداية والدلالة، وهو مظهر الغواية والضلالة؟! فكم أرشدت من أضله، وأعززت من أهانه وأذله، وكم أظهرت منه عيبا كان غيبا، فابيضت عينه حزنا **﴿واشتعل الرأس شيبا﴾**:

ومـن جهلـت نفسـه قـدره **رأى غـيره منـه مـا لا يـرى**[1]

---

(1) البيت آخر بيت في قصيدة للمتنبي مطلعها:

=

وكيف يزعم هذا العبد الآبق أنه لسيده في حلبة الشرف سابق، وقد قال الواحد القهار: **ولا الليلُ سابِق النهار** [يس: 40] إن هو وايم الله إلا كافر، وبشموس أنوار الشهادة غير ظافر، لو كان من السعداء لفاز بدار النعيم، ولولا شقاؤه لما شابه سواد طبقات الجحيم، وماذا يؤمله من الجزاء ويرجوه **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** أما درى أن صحيفته سوداء مظلمة، وصحيفتي تفصح عن نفسٍ مؤمنة بالله مسلمة! وأنى يرقى كتابه إلى عليين، وهو من ظلمات الحجاب في سجين!.

ثم أقبل عليه، وأنشد مشيرا إليه:

يــا مشــبِهها فيفعلِــهِ لونَــــهُ لم **تعــدُ مــا أوجبــت القِســمة**

خلقُك مــن خلقــك مســتخرج **والظلْــم مشــتق مــن الظلْمــة**

وقال: كيف تدعي فوق حالك، وأي فضل لمن منظره أسود حالك!.

أما علمت أن الظاهر للباطن عنوان، كما أن اللسان عن الجنان ترجمان قال أفضل الخلق عليه الصلاة والسلام: "ابتغوا الخير عند حسان الوجوه" وقال الشاعر:

لا تســأل المــرءَ عــن خلائِقِــهِ في **وجهه شــاهد مــن الخَبــر**[1]

فأنا مفتاح خزائن الأرزاق، وبي يستفتح باب الكريم الرزاق، وكفاني دليلاً على الفضل والكمال: "إن الله تعالى جميل يحب الجمال" لقد سمعت أقاويلك التي قدمتها بين يديك، وزعمت أ ا حجة عليك، ولا جرم أن "لسان الجاهل مفتاح حتفه، وكم من باغ قتل بصارم بغيه وحيفه" أما انسلاخي منك فمن أملح الملح لي والغرر، وهل تحق لأصناف الأصداف أن تنافس نفائس الدرر؟ أليست "تلد الأمة ربتها حرة نجيبة" وقد قالوا: "إن الليالي حبالى يلدن كل عجيبة" وأما تقدمك علي فمن العادة تقدم الخدم بين يدي السادة:

أو مــا تــرى أن الــنبي محمــدا **فاق البرية وهو آخــر مرســل**[2]

=

ألا كُل ماشِيةِ الخَيزلى **فِدا كُل ماشِيةِ الهَيذَبى**

(1) البيت للشاعر سلم الخاسر وهو: سلم بن عمرو بن حماد البصري (توفي 186 هـ /802 م) شاعر، خليع، ماجن، من أهل البصرة، من الموالي سكن بغداد، له مدائح في المهدي والرشيد العباسيين، وأخبار مع بشار بن برد وأبي العتاهية.

(2) للشاعر صفي الدين الحلي (675-750هـ) بيت شبيه ذا وهو قوله:

=

على أنه "أول ما خلق الله النور" كما ورد عن جابر في الخبر المأثور.

وأما تحلي صفوتك بتجلي الحق تعالى في السحر، فليس إلا لمن أحيا أحيانك با اهدة والسهر، وأما زهوك بقصة ظهور سيد ولد آدم الذي هو نتيجة مقدمات الكون وزبدة العالم، فهل وقع اتفاق الرواة على ذلك، وأنى لك هذا، وصبح طلعته تمحو سوادك الحالك، وأما خبر الإسراء فعني روته الأمة[1] ثم بلغه الشاهد للغائب بعد أمة[2]؛ فما لاحت أسراره إلا بمطالعي، ولا زاحت أستاره إلا بطوالعي، وما أشرت إليه من بقية معانيك التي أضاءت ا في الخافقين نجوم معاليك، فأين أنت من يوم عرفة، الذي عرفه بأ ى الخصائص من عرفه، وأين أنت من يوم عاشوراء، الذي يعظم فيه الشكر والصبر على السراء والضراء وناهيك بسمو شأن العيدين، فما أجلهما من موسمين سعيدين، وكيف تفاخرني بساعة تبدو منك مرة في كل عام، ولي كل أسبوع أمد تمتد فيه موائد الجود والإنعام فأخبار سارت ا الركبان، وماست بنسيم رقتها معاطف البيان، وقدري فوق ما تصفه الألسن، وعندي "ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين" فدع عنك قول الزور والمين "فقد بين الصبح لذي عينين".

ولما أفاض (النهار) في حديث يفضح الأزهار، أبدع في كنايته وتلويحه، وأعرب في تعريضه وتصريحه – ابتدر إليه الليل (وأجلب عليه بالرجل والخيل) وامتطى جواده الأدهم، واعتم بعمامة سوداء وتلثم، فأنسى بفتكاته عنترة بني عبس[3]، حين أمسى بتوعد عمارة بالقتل والرمس، ثم نشر في الأفق ذوائبه السود، وعبس وبسر فأسر بسطوته الأسود، وقال: **فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ** [الانشقاق: 16-18] لأسبين رومي النهار، ولأجعلنه عبرة لذوي الاعتبار فلقد تزيا المملوك بزي الملوك، وادعى مقام الوصول إلى صاحب السير والسلوك، أما كفاه ازدرائي وتحقيري؟! حتى حكم بتضليلي وتفكيري! كم أسبلت على عوراته ذيل ستري، وهو لا يبالي تك أستاري؟! وكم أودعت مكنون سره في

=

أتشك في أن النبي محمدا … خير البرية وهو آخر مرسل

(1) الأمة: أهل الدين.

(2) الأمة: الحين من الدهر، أي مدة، أو وقت.

(3) عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي (توفي 22 قبل الهجرة/601م) أشهر فرسان العرب في الجاهلية ومن شعراء الطبقة الأولى، من أهل نجد، كان مغرماً بابنة عمه عبلة فقَل أن تخلو له قصيدة من ذكرها.

خزانة سري، وهو يبوح بمصون أسراري! أفٍ له من فاضح أما يكفيه ما فيه من المفاضح؟!

أنم بما استودعته من زجاجةٍ ترى الشيءَ فيها ظاهرا وهو باطن(1)

كيف احتج لتقدمه بحديث جابر، مع أن ما رواه لكسري أعظم جابر، فإنه برهن على تقدمي عليه لو أدرك سر ما أومأ إليه، وعلام جعل السواد على النقص علامة، وهو مشتق من السؤدد لدى كل علامة؟ أما درى أني حزت من الكمال الحظ الأوفر، حتى تحلى ببديع وصفي العنبر والمسك الأذفر!

إن كنت عبدا فنفسي حرة كرما أو أسود الخَلق إني أبيض الخُلق

وهل يزري بالخال سواده البارع، أو يغري بالبرص بياضه الناصع، وفي بياض المشيب عبرة وأي عبرة، فكم أجري من الآماق أعظم عبرة:

له منظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود أسفع

ومن عاب نعت الشباب، وفضل وصف الشيب، فقد غاب عن شهود العيب وعالم الغيب "فما كل بيضاء شحمة ولا كل حمراء لحمة" ولما أ ى مقاله، ومل مقامه شمر للرحلة أذياله، وقوض خيامه؛ فتهلل وجه الصباح، وهلل بذكر فالق الإصباح وازدهاره السرور والابتهاج، كأنه رب السرير والتاج:

فكأن الصبح لما لاح من تحت الثريا
ملك أقبل في التا ج يفدى وبحيا

وبرز إلى المبارزة من با ا، إذ كان في فرسا ا وأربا ا، فسلب (الليل) لباسه، وأذاقه شدته وباسه، وقال له: أيها المعجب بنفسه، المغرب في نقشه(2) صحيفة زوره بنفسه "ما كل سوداء تمرة، ولا كل صهباء خمرة" ألم تعلم أينا أ ى محيا، وشتان ما بين الثرى والثريا، أين سوادك من بياضي؟! وما زهر نجمك إن تتلألأ زهر رياضي! وكم أطلعت بدورا في مواكب

---

(1) البيت من قصيدة مطلعها

رأيتك تبري للصديق نوافذاً عدوك من أوصابها الدهر آمن

للشاعر السري الرفّاء، وهو: السري بن أحمد بن السري الكندي أبو الحسن (توفي366هـ/976م) شاعر أديب من أهل الموصل، كان في صباه يرفو ويطرز في دكان له، فعرف بالرفاء ولما جاد شعره ومهر في الأدب قصد سيف الدولة بحلب، فمدحه وأقام عنده مدة، ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد.

(2) النقش: ما يكتب به من مادة؛ يريد سواده.

السيارة، فأضحت تزهو بجماله على الكواكب السيارة، وهل لك مثل الغزالة؟ التي انفردت في الملاحة لا محالة! فأنا الذي ضاء صباح الصباحة من محياه، وضاع عبير العنبر من نشر أنفاسه وطيب رياه؛ ولولاي ما عرف الحسن والجمال، ولا سعى على وجه الأرض بدر الكمال. فوجم (الليل) لبراعة تلك العبارة، وبلاغ ما لاح له من الرمز والإشارة، ثم وثب للمقال كأنما أنشط من عقال، وقال: "رب ملوم لا ذنب له" ومظلوم خيب الدهر أمله، فإلى متى يسؤني النهار؟ وحتى م يسومني عذاب النار، طالما أعرته أدنا صماء، وعينا عمياء، وهو لا ينثني عن المقابلة، ولا يرعوي عن المحاربة والمقاتلة، أما تعلم أيها المغتر ببياضك أن السواد حلية أهل الزهد والصلاح، وهل يسترق الأسود إلا سود أحداق الملاح! بيد أن الحر لا يبالي بالجمال الظاهر وإنما يباهي بالفعل الجميل، والقلب الطاهر، فإن تفاوت المراتب، بحسب تفاوت المناقب.

وما الحسن في وجه الفتى شرف لـه   **إذا لم يكـن في فعلـه والخلائـق**

وكم أعددت للأنس مقاعد، وفي الأمثال: "رب ساع لقاعد" فإن ظلي ظليل ونسيمي عليل بليل، بدأ بي الأنفاس وتسكن الأعضاء والحواس. فقام (النهار) يعثر بذيله، وقد كفكف واكف سيله، فما لبث أن تنفس الصباح، وأظهر من سناه ما أخفى ضوء المصباح، ورفرف بجناحه الأبيض على الدجى، فاقتنصه من وكره بعدما سكن وسجا:

فكـأن الصـباح في الأفـق بـاز   **والـدجى بـين مخلبيـه غُـراب**

وقال: تبا لك أيها (الليل) فلقد أوتيت من المين أوفر نبيل، أي حديث لك صحيح وضعته، وأي حق لك صريح أضعته؟!

عليك بالصـدق ولـو أنـه   **أحرقك الصدق بنـار الوعيـد**

وابغ رضـا الله فـأغبى الـورى   **من أسخط المولى وأرضـى العبيـد**

نعم لك في السمر خبر مرفوع، بيد أنه مكروه في السنة موضوع، قد اشتهرت لكن بأقبح الأوصاف، وعدلت لكن عن سبيل العدل والإنصاف، تكتم عن المرء ما يرديه "وتخفي في نفسك ما الله مبديه" وفي المثل: "الليل أخفى للويل" فما أصعب مراسك قبل افترار سهيل، وهل يترنم بذكرك إلا غافل؟ وأنى يغتر بك عاقل، ونجمك آفل؟ وكيف تفتخر علي، وأنت تفتقر إلي؟!

ولما سلب النهار بأساليب بيانه العقول، سكت الليل ملياً ثم أنشأ يقول:

فعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا[1]

كيف أتصدى للكذب، وأتردى باللهو واللعب!! وأنا المنعوت باللطف والظرف والموسوم بالصمت وغض الطرف، كيف أورث الغرور، وأوثر الغفلة على الحضور، وأنا الداعي لذكر الله وحده؛ والساعي في رد الكثرة الوهمية إلى عين الوحدة وأنا الموصوف بالستر الجميل، والمعروف بشكر المعروف والجميل، وهل أحجب البصر عن شهود عالم الكثافة، إلا لأكشف لعين البصيرة عن عالم اللطافة، وبذلك يتحقق العبد بفنائه عن وجوده، فيمده الرب تعالى بسر بقائه من خزائن جوده. ثم قال (النهار لليل) وقد هجم عليه هجوم السيل: أيها المدعي مقام الدعوة إلى الله، وهو في حال الغفلة عن مولاه لاه، كيف تسنمت ذروة هذا المنبر؟ كأنك تكتب بالمسك وتختم بالعنبر! لقد أطلت فيما "لا طائل تحته" ولا معنى، فكم ذا "أسمع جعجعة ولا أرى طحنا" فلو كنت ممن انتخب غرر الشيم وانتقى، لاتعظت بقوله تعالى: **فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى** [النجم: 32] فتنبه من غفلتك أيها "الليل" قبل أن تدعو بالثبور والويل، وإلا فرقت طلائع سوادك أي تفريق، ومزقت سوابغ ظلامك أي تمزيق "فما كل مرة تسلم الجرة". فاسود وجه الليل، وانقلب "بحشف وسوء كيل" وندم على مناضلة النهار، ندامة الفرزدق حين فارق النوار[2] ولما سقط في يده، ورزئ في عدده وعدده، تردى بالسواد، ولبس ثياب الحداد، ثم لاح هلاله للعين، كمنجل صيغ من لجين[3]

---

(1) البيت لعبدالله بن معاوية (توفي 129هـ) وأيضا للشافعي محمد بن إدريس (150-204هـ).

(2) بنت مجاشع زوج الفرزدق طلقها في مجلس عبد الملك بن مروان-وذلك أن الفرزدق قال في المجلس وفيه جرير: النوار طالق ثلاثًا إن لم أقل بيتا لا يستطيع جرير أن ينقضه أبدا. فقال عبد الملك: ما هو؟ فقال:

فإني أنا الموت الذي هو واقع بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله

فقال جرير: أم حرزة طالق منه ثلاثًا إن لم أكن نقضته وزدت عليه. فقال عبد الملك: هات. فأنشد:

أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجئني بمثل الدهر شيئًا يطاوله

فقال عبد الملك: فضلك والله يا أبا فراس، وطلق عليك.

(3) الفضة.

انظُــر إلى حســن هــلالٍ بــدا يجلو سنــا طلْعتــه الحِندِســا[1]
كمِنجل قــد صــيغ مــن فِضــةٍ يحصد من زهر الــدجى نرجِســا[2]

وقال: من ينصفني من هذا الجائر؟ وينصت لي فأبثه شكوى الواله الحائر فحتام أعاني حد الظبا، وقد بلغ السيل الزبى

وكنت كالمتمني أن يــرى فَلقًــا من الصباح فلمــا أنْ رآه عمــي

فانتبه طرف (النهار) وازدهر سراجه أي ازدهار، وشرع يتلو سورة النور بكمال الابتهاج، والشمس ترقم آية جماله بالذهب الوهاج.

وقابل الصبح جنح الليــل فارتســمت سطوره البيض في ألواحــه الســود

ثم قال: أيها "الليل" البهيم **تالله إنك لفي ضلالك القديم** كيف تدعي أنك مظلوم، وتشتكي من جوري وأنت الظلوم، وهب أني قاتلتك ظلما فأنت البادي، وهل قابلتك إلا بما واجهتني به في المبادي، وها أنا برهنت على فضلي بشهود عدول، ليس للمنصف عن تزكية شهاد م عدول، فاستقل من دعوى ا د والفخر، "فقد حصحص الحق" ووضح الفجر، وإن أبيت سلوك محجتي ولم تتضح لك أدلة حجتي، فهلم إلى "حضرة الأمير" ولا ينبئك مثل خبير. فأنكر الليل زعمه التفرد بالفضل وادعاءه، وأجاب في عرض أمرهما على (الأمير) دعاءه، وقال: على الخبير سقطت وعند ابن بجد ا حططت.

وكتب أيضا في:

مناظرة بين الأرض والسماء

جالت السماء في ذلك المضمار وصالت، ونوهت برفيع قدرها وقالت: تبارك الذي جعل في السماء بروجا، ومنح أشرف الخلق إلي مروجا، وقدمني في الذكر في محكم الذكر، وشرفني بحسن القسم، وأتحفني بأوفر القسم، وقدسني من النقائص والعيوب، وأطلعني على

(1) الظلام الشديد.

(2) البيتان لابن المُعتز وهو: عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس (247-296هـ/861-908م) آلت الخلافة في أيامه إلى المقتدر العباسي، واستصغره القواد فخلعوه، وأقبلوا على ابن المعتز، فلقبوه (المرتضى بالله)، وبايعوه للخلافة، فأقام يوماً وليلة، ووثب عليه غلمان المقتدر فخلعوه، وعاد المقتدر، فقبض عليه وسلمه إلى خادم له اسمه مؤنس، فخنقه.

الغوامض والغيوب، وقد ورد أن الرب ينـزل إلي كل ليلة، فيولي من تعرض لنفحاته بره ونيله. فيا لها من تحفة جليلة ومنحة جزيلة يحق لي أن أجر ا ذيول العزة والافتخار، وكيف لا والوجود بأسره باسط إلي أيدي الذلة والافتقار، فلي العز الباذخ، وا د لأثيل الشامخ، لتفردي بالرفعة والسمو وعلو المنـزلة دون غلو.

فقالت لها (الأرض): ويك لقد أكثرت نزرا وارتكبت بما فهت به وزرا، أما إنه لا يعجب بنفسه عاقل، ولا يأمن مكر ربه إلا غافل، ومن ادعى ما ليس له بقوله أو فعله، فهلاكه أقرب إليه من شراك نعله، وقد قيل: "من سعادة جدك، وقوفك عند حدك" ومن فعل ما شاء لقي ما ساء، أو ما كفاك أن خطرت في ميادين التيه والإعجاب حتى عرضت لشتمي "إن هذا لشيء عجاب" وهل اختصك الله بالذكر؟ أوأقسم بك دوني في الذكر؟ أو آثرك بالتقديم، في جميع كلامه القديم، حتى ترديت بالكبرياء وتعديت طور الحياء!

فَلا واللهِ مـا في العـيش خـير ... ولا الـدنيا إذا ذَهـب الحَيـاءُ

إذا لـم تخـش عاقِبـةَ الليـالي ... ولم تستحي فَافعل مـا تشـاءُ[1]

وكيف تزدرين أهلي بالذنوب والمعاصي؟ وأنت تعلمين أن الله هو الآخذ بالنواصي؟

فقابلتها "السماء" بوجه قد قطبته، ومجن قد قلبته، وقالت لها في الحال: أيتها القانعة بالمحال، ما كنت أحسب أنك تجترئين على مبارزة مثلي، وتنكرين علي ما ترنمت به من شواهد مجدي وفضلي، وهل خلت أن التحدث بالنعم مما يلام عليه؟ مع أنه أمر مندوب إليه؟ ومن أمثال ذوي الفطنة والعقل "ليس من العدل سرعة العدل" وكيف جحدت ظهور شمس كمالي؟ وهل لك من الفضائل والفواضل كما لي! ولكن لك عندي عذرا جليا، وإن كنت "لقد جئت شيئًا فريا"

قد تنكِر العين ضوءَ الشمس من رمـدٍ ... وينكِر الفَم طَعم الماء من سـقَم[2]

---

(1) البيتان لأبي تمام من قصيدة مطلعها:

إذا جاريت في خلق دنيئًا ... فَأنت ومن تجاريهِ سواءُ

(2) البيت لشرف الدين البوصيري (608-696 هـ/1212-1296 م) شاعر حسن الديباجة، مليح المعاني، نسبته إلى بوصير من أعمال بني سويف بمصر، أمه منها، وأصله من المغرب ومولده في شيم من أعمال البهنساوية ووفاته بالإسكندرية له ديوان شعر والبيت من قصيدته البردة وهي أشهر شعره

ولو رأيت ما فيك من المساوي عيانا، لما ثنيت إلى حلبة المفاخرة عنانا. فأنى تفوزين بأشرف الأقدار، وأنت موضع الفضلات والأقذار؟ وما هذا التطاول والإقدام، ووجهك موطئ النعال والأقدام، إن هذا إلا فعل مكابر، دعوى عريضة وعجز ظاهر، وهل يحق للكثيف أن يتغالى على اللطيف، أم ينبغي للوضيع أن يتعالى على الرفيع! فقالت لها "الأرض": أيتها المغترة بطوالع أقمارها والمغترة بلوامع أنوارها "ما كل بيضاء شحمة، ولا كل حمراء لحمة" فبم تزعمين أنك أتقى مني وأنقى، وما عند الله خير وأبقى، وأنت واقفة لي على أقدام الخدمة جارية في قضاء مآربي بحسب الحكمة، قد كفلك الحق بحمل مؤونتي، وكلفك بمساعدتي ومعونتي، ووكلك بإيقاد سراجي ومصباحي، ووكلك إلى القيام بشؤوني في ليلي وصباحي، وليس علوك شاهدا لك بالرتبة العلية، فضلاً عن أن يوجب لك مقام الأفضلية – فما كل مرتفع نجد، ولا كل متعاظم ذو شرف ومجد.

وإن علاني من دوني فلا عجب ... لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

فمن أعظم ما فقت به حسنا وجمالاً، وكدت بإخمصي أطأ الثريا فضلاً وكمالا تكوين الله مني وجود سيد الوجود، فأفرغ علي به خلع المكارم فهو بدر الكمال وشمس الجمال:

خلقت مبرأ من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء

وأجمل منك لم ترقط عين ... وأكمل منك لم تلد النساء(1)

فأكرم به من نبي أسرني به وأرضى، كيف لا ولولاه ما خلق سماءً ولا أرضا وجعلني له مسجدا وطهورا، وأقر به عيني بطونا وظهورا.

فأبرقت "السماء" وأرعدت، وأرغت وأزبدت، وقالت: إن لم تتخطى خطة المكابرة وتتخلي عن هذه المثابرة، لأغرقنك في بحر طوفاني، أو أحرقنك بصواعق نيراني، وهل امتطيت السماكين، أو انتعلت الفرقدين، حتى تفتخري علي، وتشيري بالذم إلي، وتلك شهادة لي بالكمال، ولقد صدق من قال:

=

ومطلعها:

أمن تذكر جيران بذي سلم ... مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

(1) البيت للمتنبي من قصيدة مطلعها:

لكِ يا منازلُ في القلوبِ منازلُ ... أقفرتِ أنتِ وهن منكِ أواهلُ

وإذا أتتك مـذمتي مـن نـاقص **فهي الشـهادة** لي بـأني **كامـل**[1]

أم حسبت أن لك في ذلك حجة، فخاطرت بنفسك في ركوب هذه اللجة وكنت كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه بكفه.

لكـــن داءٍ دواءٌ يســـتطب بـــه **إلاّ الحماقةَ أعيـت مـن يـداويها**

أما دعواك أني واقفة على أقدام الخدمة، فهي مما يوجب عليك شكر الفضل والنعمة، فلو تفكرت أن خادم القوم هو السيد والمولى، وعرفت الفاضل من المفضول، أو تدبرت أن "اليد العليا خير من اليد السفلى" لاستقلت من هذا الفضول، فإن قيامي بشؤونك أوضح أمارة - وأما قولك: مني سيد الوجود، ومن اصطفاهم لحضرته الملك الودود، فإن كنت تفتخرين بأشباحهم الظاهرة، فأنا أفتخر بأرواحهم الطاهرة، أما علمت أ ا في ملكوتي تغد وتروح، وبواردي[2] بسطي وقبضي تشدو وتنوح، فأنا أولى م، وأحرى بالافتخار بحز م.

فلما سمعت الأرض من السماء مقالة تقطر من خلالها الدماء، أطرقت لمحة بارقٍ خاطف، أو نغبة[3] طائر خائف، ثم قنعت رأسها، وصعدت أنفاسها وقالت: لقد أكثرت يا هذه اللغط، وما آثرت الصواب على الغلط، فعلام زئين وتستخفين بحسبي ونسبي؟ وإلام تنقضين عرى أدلتي، ولا تعاملينني بالتي؟ وحتام تقابلينني بأنواع التأنيب، ولم لا تقفي على حقيقتي بالبحث والتنقيب؟ أحسبت أن الجسم ما خلق إلا عبثًا، ولا كان للنفس النفيسة إلا جدثًا؟ وفي ميدانه تتسابق الفهوم، وتدرك عوارف المعارف والعلوم، وبه تترقى الأرواح في مراقي الفلاح. وكيف لا يكون مقدسا من كل غي ومين[4]؟ وهو لا يفتر عن تسبيح بارئه طرفة عين وإلى متى أنت علي متحاملة؟ وعن آية العدل والإحسان متماحلة؟ وأنا لك أسمع من خادم، وأطوع من خاتم، على أن لي من الفضائل ما ثبت بأصح البراهين والدلائل، أما في بقعة من أشرف البقاع على الإطلاق، لضمها أعضاء من تمم الله به مكارم الأخلاق! وفي روضة من رياض الجنة، كما أفصحت عن ذلك ألسنة السنة، ومني الكعبة والمشعر الحرام،

---

(1) البيتان لأبي تمام من قصيدة مطلعها:

إذا جاريت في **خلق دنيئًا** **فأنت ومن تجاريه سواءُ**

(2) وارد: طريق.

(3) النغبة: الجرعة.

(4) الكذب.

والحجر وزمزم والركن والمقام، وعلي بيوت الله تشد إليها الرحال، ويسبح فيها بالغد والآصال رجال، وأخرج مني طيبات الرزق فأكرم ا عباده، وأتم نعمته عليهم فجعل الشكر عليها عبادة؛ وناهيك بما اشتملت عليه من الرياض والغياض، ذات الأ ار والحياض. التي تشفي بنسيمها العليل، وتنفي ببرد زلالها حر الغليل.

لِم لا أهيم على الريــاض وطيبــها وأظل منــها تحــت ظِــلٍ ضــافِ

والزهر يضــحك لي بثغــر باســم والنهــر يلقــاني بقلــبٍ صــافي

فأسفرت عن بدر طلعتها "السماء" وهي تزهو في برود السنا والسناء، وقالت تناجي نفسها عندما رق السمر، حتام أريها السهى وتريني القمر؟ ثم عطفت عليها تقول، وهي تسطو وتصول: أيتها المتعدية لمفاضلتي، والمتصدية لمناضلتي متى قيس التراب بالعسجد؟ أو شبه الحصى بالزبرجد؟! إن افتخرت بشرف هاتيك البقاع التي زها ا منك اليفاع والقاع، فأين أنت من عرش الرحمن؟ الذي تعكف عليه أرواح أهل الإيمان؟ وأين أنت من البيت المعمور! والكرسي المكلل بالنور؟! وكيف تفتخرين على بروضة من رياض الجنة، وهي علي بأسرها فضلاً من الله ومنة! أم كيف تزعمين أنه كتب لك بأوفر الحظوظ، وعندي القلم الأعلى واللوح المحفوظ؟ وأما ازدهاؤك بالحياض والأ ار، والرياض المبتهجة بورود[1] الورد والأزهار فليت شعري هل حويت تلك المعاني إلا بنفحات غيوثي وأمطارى؟! أم أشرقت منك هاتيك المعاني إلا بلمحات شموسي وأقماري؟! فكيف تباهينني بما منحتك إياه، وعطرت أرجاءك بأريج نشره ورياه؟! ويا عجبا منك كلما لاح علي شعار الحزن، خطرت في أ ى حلة من حلل الملاحة والحسن، وإن افترت ثغور بدور أنسي، وقرت ببديع جمالي عين شمسي، زفرت زفرة القيظ، وكدت أن تتميزي من الغيظ، ما هذا الجفاء يا قليلة الوفاء؟! وهل صفت أوقاتك إلا بوجودي، أو طابت أوقاتك إلا بوابل كرمي وجودي؟! ولو قطعت عنك لطائف الإمداد لخلعت ملابس الأنس ولبست ثياب الحداد! أو حجبت عنك الشموس والأقمار لما ميزت بين الليل والنهار! فهلا كنت بفضلي معترفة حيث إنك من بحر فيضي مغترفة؟! فنــزعت "الأرض" عن مقاتلتها، وعلمت أ ا لا قبل لها بمقابلتها، وحين عجزت عن العوم في بحرها، واستسلمت تمائمها لسحرها، بسطت لها بساط العتاب، متمثلة بقول ذي اللطف والآداب:

(1) وردت الشجرة ورودا إذا أخرجت وردها.

إذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب

ثم قالت: اعلمي أيتها الموسومة بسلامة الصدر، الموصوفة بسمو المنـزلة وعلو القدر، أن الله ما قارن اسمي باسمك، ولا قابل صورة جسمي بجسمك، إلا لمناسبة عظيمة، وألفةٍ بيننا قديمة، فلا تشمتي بنا الأعداء، وتسيئي الأحباء، والأوداء، فإن ذلك من أعظم الرزايا، وأشد المحن والبلايا

كل المصائب قد تمر على الفتى فتهونُ، غير شماتة الأعداء

ألا وإن العبد محل النقص والخلل، وهل يسوغ لأحدٍ أن يبريء نفسه من الزلل؟! ومن ذا الذي يسلم من القدح، ولو كان أقوم من القدح(1)

ومن ذا الذي ترضي مزاياه كلها كفى المرءَ نبلاً أن تعد معايبه

هذا، وإن لي مفاخر لا تنكر، ومآثر تجل عن أن تحصر، كما أنك في الفضل أشهر من نارٍ على علم، وأجل من أن يحصي ثناءً عليك لسان القلم، فإلى متى ونحن في جدالٍ وجلاد، نتطاعن بأسنة ألسنة حداد، وهل ينبغي أن يجر بعضنا على بعضٍ ذيل الكبر والصلف، عفا الله عما سلف، وهذه لعمري، حقيقة امري، فانظري إلي بعين الرضا واصفحي بحقك عما مضى.

ولما سمعت السماء هذه المقالة، التي تجنح إلى طلب السلم والإقالة، قالت لها: مآرب لا حفاوة، ومشرب قد وجدت له حلاوة، وما ندبت إليه من المودة والألفة، فلأمرٍ ما جدع قصير أنفه، ولو لم تلقي إلي القياد، لعاينت مني ما دونه خرط القتاد، ولكن لا حرج عليك ولا ضير، فإنك اخترت الصلح والصلح خير، وكيف جعلت العتاب شرطًا بين الأحباب أو ما سمعت بعض أولي الألباب:

إذا كنت في كلِّ الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

وإن أنت لم تشربْ مرارا على القذى ظمئْت وأي الناس تصفُو مشاربه(2)

وها أنا رادة إليك عوائد إحساني، وموائد جودي وامتناني، فقري عينا وطيبي نفسا،

(1) القدح: بكسر القاف السهم قبل ان يراش ويركب نصله.

(2) البيتان لبشار بن برد من قصيدته التي مطلعها:

جفا وده فازور أو مل صاحِبه وأزرى بِهِ أن لا يزالَ يعاتِبه

وتيهي ابتهاجا وأنسا، وأبشري ببلوغ الوطر، وزوال البؤس والخطر، فسجدت الأرض شكرا، وهامت نشوة وسكرا، و لمل وجهها سرورا، وامتلأت طربا وحبورا.

مناظرة بين فصول العام

لابن حبيب الحلبي المتوفى سنة 401هـ

قال الربيع: أنا شاب الزمان، وروح الحيوان، وإنسان[1] عين الإنسان أنا حياة النفوس، وزينة عروس الغروس، ونزهة الأبصار، ومنطق الأطيار، عرف[2] أوقاتي ناسم، وأيامي أعياد ومواسم، فيها يظهر النبات، وتنشر[3] الأموات، وترد الودائع، وتتحرك الطبائع، ويمرح[4] جنيب[5] الجنوب[6]، وينـزح[7] وجيب[8] القلوب، وتفيض عيون الأ ار، ويعتدل الليل والنهار، كم لي عقد منظوم، وطراز وشيٍ مرقوم، وحلة فاخرة، وحيلة ظاهرة، ونجم سعد يدني راعيه من الأمل، وشمس حسنٍ تنشدنا[9]: "يا بعد ما بين برج الجدي[10] والحمل[11]" عساكري منصورة، وأسلحتي مشهورة فمن سيف غصنٍ مجوهر، ودرع بنفسج مشهر، ومغفر شقيقٍ[12] أحمر، وترس ارٍ يبهر، وسهم آس يرشق فينشق، ورمح سوسن[13] سنانه أزرق، تحرسها آيات، وتكتنفها ألوية ورايات، بي تحمر من الورد خدوده، و تـز من البان قدوده، ويخضر عذار الريحان، وينتبه من النرجس طرفه الوسنان[14] وتخرج الخبايا من الزوايا ويفتر ثغر الأقحوان[15] قائلاً أنا ابن جلا وطلاع الثنايا)

(1) ما يرى في سوادها.

(2) الريح الطيبة.

(3) تحيا.

(4) ينشط.

(5) مجنوب، والجنوب ريح تخالف الشمال، مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا.

(6) ريح تخالف الشمال ومنه إذا جاءت الجنوب جاء معها خير كثير.

(7) يبعد ويذهب.

(8) خفقا ا.

(9) تقول لنا من إنشاد الشعر.

(10) برج في السماء وهو أحد البروج الاثني عشر التي تمر ا.

(11) برج في السماء أيضا.

(12) شقائق النعمان وهو نبت أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء كبيرة.

(13) نبات طيب الرائحة.

(14) النعسان الغفلان.

(15) البابونج نبت طيب الرائحة حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر.

إن هذا الربيــع شــيءٌ عجيــب يضحِك الأرض مِن بكاء الســماء
ذَهــب حيثُمــا ذَهبنــا ودر حيث درنا وفِضــةٌ في الفَضــاء

وقال الصيف: أنا الخيل الموافق، والصديق الصادق، والطبيب الحاذق أجتهد في مصلحة الأحباب، وأرفع عنهم كلفة حمل الثياب، وأخفف أثقالهم، وأوفر أموالهم، وأكفيهم المؤونة، وأجزل لهم المعونة، وأغنيهم عن شراء الفرا، وأحقق عندهم (أن كل الصيد في جوف الفرا) نصرت بالصبا، وأوتيت الحكمة في زمن الصبا، بي تتضح الجادة[1] وتنضج من الفواكه المادة، ويزهو البسر والرطب وينصلح مزاج العنب، ويقوى قلب اللوز، ويلين عطف التين والموز، وينعقد حب الرمان، فيقمع الصفراء، ويسكن الخفقان، وتخضب وجنات التفاح ويذهب عرف[2] السفرجل مع هبوب الرياح، وتسود عيون الزيتون وتخرج تيجان النارنج والليمون، مواعدي منقودة، وموائدي ممدودة، الخير موجود في مقامي، والرزق مقسوم في أيامي.

الفقير ينصاع[3] بملء مده وصاعه، والغني يرتع في ربع ملكه وإقطاعه، والوحش تأتي زرافاتٍ[4] ووحدانا، والطير تغدو خماصا وتروح بطانا[5].

مصيف له ظِل ظليل على الــورى ومن حلا طعما وحــلّ أخلاطــا
يعــالِج أنــواع الفَواكِــه مبــديا لِصِحتها حِفْظًا يعجِز بقْراطا[6]

وقال الخريف: أنا سائق الغيوم، وكاسر جيش الغموم، وهازم أحزاب السموم[7]، وحادي نجائب السحائب، وحاسر نقاب المناقب، أنا أصد الصدى[8] وأجود بالندى، وأظهر

---

(1) الطريق.
(2) رائحته الطيبة.
(3) ينتقل راجعا مسرعا.
(4) جماعات.
(5) تذهب جائعة وترجع ممتلئة.
(6) بقراط الحكيم اليوناني وهو لفظ يوناني معناه ناسك الصبح.
(7) الريح الحارة.
(8) العطش.

كل معنى جلي، وأسمو بالوسمي[1] والولي، في أيامي تقطف الثمار، وتصفو الأ ار من الأكدار ويترقرق[2] دمع العيون، ويتلون ورق الغصون، طورا يحاكي البقم، وتارة يشبه الأرقم، وحينا يبدو في حلته الذهبية فيجذب إلى خلته القلوب الأبية، وفي يكفى الناس هم الهوام، ويتساوى في لذة الماء الخاص والعام! وتقدم الأطيار مطربة بنشيشها رافلةً في الملابس ا ددة عن ريشها، وتعصر بنت العنقود وتوثق في سجن الدن بالقيود، على أ ا تجترح إثمًا، ولم تعاقب إلا عدوانا وظلما، بي تطيب الأوقات، وتحصل اللذات، وترق النسمات، وترمى حصى الجمرات، وتسكن حرارة القلوب، وتكثر أنواع المطعوم والمشروب، كم لي من شجرةٍ أكلها دائم، وحملها للنفع المتعدي لازم، ورقها على الدوام غير زائل، وقدود أغصا ا تخجل كل رمح ذابل:

إن فصــل الخريــف وافى إلينــا يتهادى في حــ ــلةٍ كالعــ ــروس
غيره كــان للعيــ ــون ربيعــ ــًا وهو مــا بيننا ربيــ ــع النفــوس

وقال الشتاء: أنا شيخ الجماعة، ورب البضاعة، والمقابل بالسمع والطاعة أجمع شمل الأصحاب، وأسدل عليهم الحجاب، وأتحفهم بالطعام والشراب، ومن ليس له بي طاقة أغلق من دونه الباب، أميل للمطيع، القادر المستطيع المعتضد بالبرود والفرا، المتمسك من الدينار بأوثق العرى، ومن يعيش عن ذكري، ولم يمتثل أمري، أرجفته بصوت الرعد، وأنجزت له من سيف البرق صادق الوعد، وسرت إليه بعساكر السحاب، ولم أقنع من الغنيمة بالإياب، معروفي معروف، ونيل نيلي موصوف، وثمار إحساني دانية القطوف، كم لي من (وابل) طويل المدى (وجود) وافر الجدا (وقطر) حلا مذاقه (وغيث) قيد العقاة إطلاقه (وديمة) تطرب السمع بصو ا (وحيا) يحيي الأرض بعد مو ا، أيامي وجيزة وأوقاتي عزيزة، ومجالسي معمورة بذوي السيادة، مغمورة بالخير والمير والسعادة، نقلها يأتي من أنواعه بالعجب، ومناقلها تسمح بذهب اللهب، وراحها تنعش الأرواح، وسقا ا بجفو م السقيمة تفتن العقول الصحاح، إن رد ا وجدت مالاً ممدودا، وإن زر ا شاهدت لها بنين شهودا.

---

(1) المطر الذي يأتي في الخريف، والولي الذي يأتي بعده.
(2) ترقرق الدمع في العين تحرك.

مناظرة بين البَرّ والبحر لبعض الأدباء

قال البر: يا صاحب الدر، ومعدن الدر، أطرقت رياضي ومزقت قصوري وأحواضي، وأغرقت جثتي، ودخلت جنتي، وتلاطمت أمواجك على جنتي، وأكلت جزائري وجروفي، وأهلكت مرعى فصيلي وخروفي، وأهزلت ثوري وحملي وفرسي وجملي، وأجريت سفنك على أرضٍ لم تجر عليها، ولم تمل طرف غرا ا إليها، وغرست أوتادها على أوتاد الأرض، وعرست في مواطن النفل والفرض، وجعلت مجرى مراكبك في مجرى مراكبي، ومشى حوتك على بطنه في سعد أخبية مضاربي، وغاص ملاحك في ديار فرحي، وهاجرت من القرى إلى أم القرى وحملت فلاحي أثقاله على القرى، وقد تلقيتك من الجنادل بصدري، وحملتك إلى برزخك على ظهري، وقبلت أمواجك بثغري، وخلفت مقياسي فرحا بقدومك إلى مصري وقد جرت وعدلت وفعلت ما فعلت، فلعلك تفيض، ولا يكون ذهابك عن ذهاب بغيض، أو تفارق هذه الفجاج، وتختلط بالبحر العجاج، وإن لم تفعل شكوناك إلى من أنزلك من السماء، وأنعم بك علينا من خزائن الماء:

إذا لم تكن ترحم بـلادا ولم تغـثْ	**عِبادا فمـولاهم يغيـثُ ويـرحم**
وإن صدرت منهم ذُنوب عظيمـةٌ	**فعفْو الذي أجراك يا بحـر أعظـم**
نمـد إليـه أيديـًا لم نمدهـا	**إلى غيره واللـه بالحـال أعلـم**

قال البحر: يا بر يا ذا البر، ومنبت البر، هكذا تخاطب ضيفك وهو يخصب شتاءك وصيفك، وقد ساقني الله إلى أرضك الجرز، ومعدن الدر والخرز لأ ج زرعها وخيلها، وأخرج أ ا ونخيلها، وأكرم ساكنك، وأنزل البركة في أماكنك، وأثبت لك في قلب أهلك أحكام المحبة، وأنبت بك لهم في كل سنبلة مائة حبة، وأحييك حياة طيبة، يبتهج ا عمرك الجديد، وتتلو "كذلك يحيي الله الموتى" ألسنة العبيد، وأطهرك من الأوساخ، وأحمل إليك الإبليز فأطيبك به من عرق السباخ، وأنا هدية الله إلى مصرك، وملك عصرك، القائم بنصرك، ولولا بركاتي عليك، ومسيري في كل مسرى إليك، لكنت واديا غير ذي زرع، وصاديا غير ذي ضرع:

سريت أنا مـاءُ الحيـاة فـلا أذى	**إذا ما حفِظت الصحب فالمال هين**
فكُن خضِرا يا بـر واعلـم بـأنني	**إلى طِينك الظمآن بـالري أحسـن**
وأسعى إليـه مـن بـلادٍ بعيـدةٍ	**وأحسن أجري بالتي هـي أحسـن**

إذا طاف طوفاني بمقياسك الذي **يسر بإتيان الوفاء ويعلن**
فقم وتلقّاه ببسطتك التي **لروضتها فضلٌ على الروض بين**

ولعمري لقد تلطف (البر) في عتابه وأحسن، ودفع (البحر) في جوابه بالتي هي أحسن، وقد اصطلحا وهما بحمد الله أخوان متضافران على عمارة بلاده، ونشر الثروة ونمو الخيرات بين عباده، فالله تعالى يخصب مرعاهما ويحرسهما ويرعاهم.

مناظرة بين الهواء والماء لبعض الأدباء

قال الهواء: الحمد لله الذي رفع فلك الهواء، على عنصر التراب والماء. "أما بعد" فأنا الهواء الذي أولف بين السحاب وأنقل نسيم الأحباب، وأهب تارة بالرحمة وأخرى بالعذاب، وأنا الذي سير بي الفلك في البحر كما تسير العيس في البطاح، وطار بي في الجو كل ذي جناح، وأنا الذي يضطرب مني الماء اضطراب الأنابيب في القنا، إذا صفوت صفا العالم، وكان له نضرة وزهوا، وإذا تكدرت انكدرت النجوم وتكدر الجو، لا أتلون مثل الماء المتلون بلون الإناء، لولاي ما عاش كل ذي نفس، ولولاي ما طاب الجو من بخار الأرض الخارج منها بعد ما احتبس، ولولاي ما تكلم آدمي ولا صوت حيوان، ولا غرد طائر على غصن بان، ولولاي ما سمع كتاب ولا حديث، ولا عرف طيب المسموع والمشموم من الخبيث فكيف يفاخرني الماء الذي إذا طال مكثه، ظهر خبثه، وعلت فوقه الجيف وانحطت عنده اللآلئ في الصدف.

فقال الماء: الحمد لله الذي خلق كل حي "أما بعد" فأنا أول مخلوق ولا فخر، وأنا لذة الدنيا والآخرة ويوم الحشر، وأنا الجوهر الشفاف، المشبه بالسيف إذا سل من الغلاف، وقد خلق الله في جميع الجواهر حتى اللآلئ والأصداف، أحيي الأرض بعد مما ا، وأخرج منها العالم جميع أقوا ا، وأكسو عرائس الرياض أنواع الحلل، وأنثر عليها لآلئ الوبل والطلل، حتى يضرب ا في الحسن المثل، كما قيل:

إن السماءَ إذا لم تبكِ مقلتها **لم تضحك الأرض عن شيءٍ من الزهر**

فكيف ينكر فضلي من دب أو درج؟ وأنا البحر الذي قيل عنه في الأمثال "حدث عن البحر ولا حرج" وأما أنت أيها الهواء: فطالما أهلكت أمما بسمومك وزمهريرك، ولا تقوم جنتك بسعيرك.

وأما قولك: لولاي ما عاش إنسان، ولا بقي على الأرض حيوان، فجوابه: لو شاء الله

تعالى لعاش العالم بلا هواء، كما عاش عالم الماء في الماء، وأنشدك الله أما رأيت ما حباني الله به من عظيم المنة، حيث جعلني نهرا من أنهار الجنة، أنا أرفع الأحداث، وأطهر الأخباث، وأجلو النظر، وأزيل الوضر، أما رأيت الناس إذا غبت عنهم يتضرعون إلى الله بالصوم والصلاة والصدقة والدعاء ويسألونه تعالى إرسالي من قبل السماء؟ واعلم أنني ما نلت هذا المقام الذي ارتفعت به على أبناء جنسي، إلا بانحطاطي الذي عيرتني به وتواضعي وهضم نفسي.

وقد كثر بينهما النـزاع والجدال، حتى حكم بينهما أمير وقال:

إن كلاً منكما محق فيما يدعيه، فما أشبهكما في السماء بالفرقدين، وفي الأرض بالعينين، إلا أن مرآة الحق أرتني فضيلةً تفضل بها أيها الماء أخاك الهواء، وحققت لي بأنكما لستما في الفضل سواء، وهي (أن الله تعالى خلق آدم من الماء) فاعترف لأخيك بالفضل والذكاء.

مناظرة بين الجمل والحصان

للمقدسي المتوفى سنة 875هـ

قال الجمل: أنا أحمل الأحمال الثقال، وأقطع بها المراحل الطوال، وأكابد الكلال، وأصبر على مر النكال، ولا يعتريني من ذلك ملال، وأصول صولة الإدلال، بل أنقاد للطفل الصغير، ولو شئت استصعبت على الأمير الكبير، فأنا الذلول، وللأثقال حمول، لست بالخائن ولا الغلول، ولا الصائل عند الوصول أقطع في الوحول، ما يعجز عنه الفحول، وأصابر الظلماء في الهواجر ولا أحول، فإذا قضيت حق صاحبي، وبلغت مآربي ألقيت حبلي على غاربي، وذهبت في البوادي أكتسب من الحلال زادي، فإن سمعت صوت حادي سلمت إليه قيادي، وواصلت فيه سهادي، وطلقت طيب رقادي، ومددت إليه عنقي لبلوغ مرادي؛ فإنا إن ضللت فالدليل هادي، وإن زللت أخذ بيدي من إليه انقيادي، وإن ظمئت فذكر الحبيب زادي، وأما المسخر لكم، بإشارة "وتحمل أثقالكم" فلم أزل بين رحلة ومقام، حتى أصل إلى ذلك المقام.

فقال الحصان: أنا أحمل صاحبي على كاهلي فأجتهد به في السير، وأنطلق به كالطير، أهجم هجوم الليل، وأقتحم اقتحام السيل، فإن كان طالبا أدرك بي طلبه، وأن كان مطلوبا قطعت عنه سببه، وجعلت أسباب الردى عنه محتجبة، فلا يدرك مني إلا الغبار، ولا يسمع عني إلا الأخبار، وإن كان الجمل هو الصابر المجرب، فأنا السابق المقرب، وإن كان هو

المقتصد اللاحق، فأنا المقرب السابق، فإذا كان يوم اللقاء قدمت إقدام الواله، وسبقت سبق نباله، وذلك متخلف لثقل أحماله، وإن أوثق سائسي قيدي وأمن قائدي كيدي، أوثقت بشكالي، لكيلا أحول على أشكالي، وألجمت بلجامي كيلا اغفل عن قيامي، وأنعلت الحديد أقدامي كيلا أكل عن إقدامي، فأنا الموعود بالنجاة، المعدود لنيل الجاه، المشدود للسلامة، المقصود للكرامة، قد أجزل المنعم علي إنعامه، وأمضى بالعناية الأزلية أحكامه "فإن الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة" خلقت من الريح، وألهمت التسبيح، وما برح ظهري عزا، وبطني كنـزا، وصهوتي حرزا، فكم ركضت في ميدان السباق وما أبديت عجزا، وكم حززت رءوس أهل النفاق حزا، وكم أخليت منهم الآفاق **هل تحس منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزا** .

الفن الثالث في الأمثال

المثل عبارة عن تأليف لا حقيقة له في الظاهر، وقد ضمن باطنه الحكم الشافية وهي ثلاثة أقسام: مفترضة ممكنة، ومخترعة مستحيلة، ومختلطة:

(1) الأمثال المفترضة الممكنة: هي ما نسب فيها النطق والعمل إلى عاقل[1].

(2) والمخترعة المستحيلة: ما جاءت على ألسنة الحيوانات والجمادات فيعزى لها النطق والعمل لإرشاد الإنسان.

(3) والمختلطة: ما دار فيها الكلام أو العمل بين الناطق وغير الناطق.

وشروط المثل أربعة: (الأول) أن تكون روايته خالية من كل تعقيد ليفضي المقصود منه إلى ذهن السامع. (الثاني) أن لا يكون مسهبا مملاً. (الثالث) أن يبهج السامع بطلاوته ويفكه فكرته زل كلامه وابتكار معانيه، ويضبط عقله في فهم الرواية المختلقة وفض مشكلها. (الرابع) أن يورد بصورة محتملة.

وفوائد المثل جمة، منها: نزهة البال وترويح المخاطر، ومنها استقصاء الحكم؛ وهي قديمة العهد جدا، ولا يعرف اسم أول من تكلم ا، وكما تكون نثرا تكون نظما. ونذكر لك من الأمثال ما طاب وراق فنقول:

---

11) وتختلف عن الحكاية من وجهين: الأول أن لها مغزى، والثاني كو ا غير واقعة وإن كانت في حيز الإمكان.

أمثال القرآن الكريم

أمثال القرآن الكريم قسمان: ظاهر مصرح به، وكامن لا ذكر للمثل فيه، أما أمثاله الظاهرة: فكقوله تعالى في شأن المنافقين: **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم** [البقرة: 17-20].

وقوله سبحانه تعالى في شأن الذي ينفق أمواله ابتغاء مرضاة الله، والذي ينفقها رياءً: **يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان[1] عليه تراب فأصابه وابل[2] فتركه صلدا[3] لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة[4] أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل[5] والله بما تعملون بصير أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار[6] فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون** [البقرة: 264-266].

وقوله تعالى في تمثيل الحق والباطل: **أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل[7] زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء[8] وأما ما ينفع الناس فيمكث**

(1) حجر أملس .
(2) مطر شديد.
(3) صلبا نقيا من التراب.
(4) مكان مرتفع.
(5) مطر خفيف.
(6) ريح شديد.
(7) ما يعلو على وجه الماء من قذر ونحوه.
(8) باطلاً مرميا به.

فِي الأرض كَذَلِكَ يضرب اللهُ الأمثالَ [الرعد: 17].

وقوله تعالى في تمثيل الحكمة وضدها: **ألم تر كيف ضرب اللهُ مثلاً كلِمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابت وفرعها فِي السماءِ تؤتي أكُلها كُل حِينٍ بِإِذْنِ ربها ويضرب اللهُ الأمثالَ لِلناسِ لعلهم يتذكرونَ ومثَلُ كلِمةٍ خبِيثةٍ كشجرةٍ خبِيثةٍ اجتثت**[1] **مِن فوق الأرض ما لها مِن قرارٍ** [إبراهيم: 24-26].

وقوله جل شأنه في حال الكفار وما يعبدون من دون الله: **يا أيها الناس ضرب مثلٌ فاستمِعوا له إِن الذِين تدعونَ مِن دون اللهِ لن يخلقُوا ذُبابا ولو اجتمعوا له وإِن يسلُبهم الذباب شيئًا لا يستنقِذُوه مِنه ضعف الطالِب والمطلُوب** [الحج: 73] وقوله تعالى: **مثَلُ الذِين اتخذُوا مِن دون اللهِ أولياءَ كمثَلِ العنكبوتِ اتخذَت بيتا وإِن أوهن البيوتِ لبيت العنكبوتِ لو كانوا يعلمونَ** [العنكبوت: 41].

وقوله تعالى في أن عمل الكافر يذهب هباءً تذروه الرياح: **مثَلُ الذِين كفروا بِربهم أعمالُهم كرمادٍ اشتدت بِهِ الريح فِي يومٍ عاصِفٍ لا يقْدِرونَ مِما كسبوا على شيءٍ** [إبراهيم: 18].

وقوله تعالى: **والذِين كفروا أعمالُهم كسرابٍ بِقِيعةٍ يحسبه الظمآنُ ماءً حتى إِذا جاءَه لم يجِده شيئًا ووجد اللهَ عِنده فوفاه حِسابه واللهُ سريع الحِسابِ أو كظُلُماتٍ فِي بحرٍ لجي يغشاه موج من فوقِهِ موج من فوقِهِ سحاب ظُلُمات بعضها فوق بعضٍ إِذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل اللهُ له نورا فما له مِن نورٍ** [النور: 39، 40].

وقوله تعالى في أن الدنيا ظل حائل وخيال باطل: **واضرب لهم مثَلَ الحياةِ الدنيا كماءٍ أنزلْناه مِن السماءِ فاختلط بِهِ نبات الأرض فأصبح هشِيما تذْروه الرياح** [الكهف: 45].

وقوله تعالى: **اعلموا أنما الحياةُ الدنيا لعِب ولهو وزِينةٌ وتفاخر بينكم وتكاثُر فِي الأموال والأولادِ كمثَل غيثٍ أعجب الكُفار نباته ثُم يهيج فتراه مصفرا ثُم يكُونُ حطاما** [الحديد: 20].

وأما أمثاله الكامنة، فهي الآداب البارعة والحكم الباهرة فمن ذلك قوله تعالى:

---

(1) قطعت من أصلها.

في الصدق

1. **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**
2. **هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم**
3. **إنه كان صادق الوعد**

في الصبر والثبات

1. **وبشر الصابرين**
2. **فاصبر صبرا جميلا**
3. **واصبر على ما أصابك إن ذلك لمن عزم الأمور**
4. **فصبر جميل**
5. **واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلاً**

في العلم والاسترشاد

1. **إنما يخشى الله من عباده العلماء**
2. **وما يعقلها إلا العالمون**
3. **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**
4. **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**

في الاتحاد والوئام بعد الخصام

1. **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا .**
2. **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**
3. **ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثا**

في العفو

1. **فاصفح الصفح الجميل**
2. **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس**
3. **فمن عفا وأصلح فأجره على الله**
4. **عفا الله عما سلف**

في الوفاء

1. **وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً**
2. **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**

في الاقتصاد

1. **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**
2. **إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين**
3. **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**

في الأمر بالمعروف

1. **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**
2. **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**
3. **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**
4. **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي**

بر الوالدين والقريب والجار والصاحب

1. **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالولدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما * واخفض لهما جناح الذي من الرحمة وقل بر ارحمهما كما ربياني صغيرا**
2. **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض**
3. **وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخورا**

في النصيحة

1. **إني لك من الناصحين**
2. **وأنا لكم ناصح أمين**
3. **ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين**

في الشكر

1. **لئن شكرتم لأزيدنكم**
2. **وقليل من عبادي الشكور**
3. **ومن شكر فإنما يشكر لنفسه**
4. **وسيجزي الله الشاكرين**

في الإغضاء والتغافل واللين

1. **أولئك الذين يعلم الله ما** في **قلو م فأعرض عنهم وعظهم وقل** لهم في **أنفسهم قولاً بليغا .**
2. **لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم**
3. **ادفع بالتي هي أحسن**
4. **فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا** جميلاً
5. **ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك**
6. **فأسرها يوسف** في **نفسه ولم يبدها لهم**
7. **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**

في المدح

1. **ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم**
2. **إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا**
3. **إنك اليوم لدينا مكين أمين**
4. **إن هذا لهو الفضل المبين**
5. **وإنك لعلى خلق عظيم**
6. **ختامه مسك**
7. **ذرية بعضها من بعض**
8. **وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا**
9. **ذلك خير وأحسن تأويلاً**
10. **أولئك هم خير البرية**
11. **رضي الله عنهم ورضوا عنه**
12. **وكل من الأخيار**
13. **سيماهم** في **وجوههم**
14. **وكانوا أحق ا وأهلها**
15. **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**
16. **إن خير من استأجرت القوي الأمين**

في التبرئة والتنـزيه

1. **حاشا لله ما علمنا عليه من سوء**

2. **أولئك مبرءون مما يقولون**
3. **فبرأه الله مما قالوا**

في حسن الخلق

1. **ما شاء الله**
2. **وصوركم فأحسن صوركم**
3. **يزيد في الخلق ما يشاء**
4. **فتبارك الله أحسن الخالقين**
5. **صنع الله الذي أتقن كل شيءٍ**

في الكذب والزور

1. **وإ م ليقولون منكرا من القول وزورا**
2. **إن هذا إلا اختلاق**
3. **كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا**
4. **فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون**
5. **فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذين قيل لهم**
6. **أنظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون**

في الخيانة ونقض العهد

1. **أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم**
2. **وما وجدنا لأكثرهم من عهد**
3. **إ م لا إيمان لهم**
4. **فمن نكث فإنما ينكث على نفسه**
5. **إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما**
6. **وإن الله لا يهدي كيد الخائنين**

في السخرية والغيبة والنميمة والجهر

1. **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قومٍ عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساءٍ عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب**
2. **ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا**
3. **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم**
4. **ويل لكل همزة لمزةٍ**

5. **وإذا مروا م يتغامزون**

في القتل والانتحار

1. **ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاقٍ نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئًا كبيرا**
2. **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا**
3. **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**
4. **ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما**

في الزنا

1. **ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشةً وساء سبيلا**
2. **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا**

في الخمر والميسر

1. **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما .**
2. **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**

في البخل وحب المال

1. **ومن يبخل فإنما يبخل على نفسه والله الغني وأنتم الفقراء**
2. **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقو ا في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**
3. **الذي جمع مالاً وعدده يحسب أن ماله أخلده**
4. **وتأكلون التراب أكلاً لما وتحبون المال حبا جما**

في الربا

1. **وأحل الله البيع وحرم الربا**
2. **يمحق الله الربا ويربي الصدقات**

في العجب والكبر

1. **واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق**
2. **ثم ذهب إلى أهله يتمطى**

3. **ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله**
4. **أليس** في **جهنم مثوى للمتكبرين**
5. **إن** في **صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه**
6. **ولا تسعر خدك للناس ولا** تمش في **الأرض مرحا**

في الاستبداد والأثرة

1. **فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه**
2. **وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين**
3. **ما أريكم إلا ما أرى**

في التفرق والاختلاف

1. **تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى**
2. **كل حزب بما لديهم فرحون**
3. **فاختلف الأحزاب من بينهم**
4. **إنكم لفي قول مختلف**

في الجبن والفرار

1. **إن يريدون إلا فرارا**
2. **يحسبون كل صيحةٍ عليهم هم العدو**
3. **أشحةً عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنةٍ حدادٍ**

فيمن يأمر بما لا يفعل ويعلم ولا يعمل

1. **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم**
2. **لم تقولون ما لا تفعلون؟**
3. **كمثل الحمار يحمل أسفارا**

في الغفلة

1. **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون**
2. **قتل الخراصون الذين هم** في **غمرةٍ ساهون**
3. **وإذا ذكروا لا يذكرون**
4. **فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**
5. **إذ قضي الأمر وهم** في **غفلةٍ**

6. يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون

في إنكار الجميل

1. فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضرٍ منه
2. ولو رحمناهم وكشفنا ما م من ضر للجوا في طغيا م يعمهون
3. ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض
4. إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى
5. قتل الإنسان ما أكفره

في الذم والاهانة والتهكم والتحقير

1. أنتم شر مكانا
2. فلينظر الإنسان مم خلق
3. خذوه فغلوه
4. ما نفقه كثيرا مما تقول
5. كلما دخلت أمة لعنت أختها
6. لا يمن ولا يغني من جوع
7. إنا تطيرنا بكم
8. سواءً محياهم ومما م
9. لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم .
10. يعرف ا رمون بسيماهم
11. ذق إنك أنت العزيز الكريم
12. ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون .
13. ومن يهن الله فماله من مكرم
14. وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً
15. ذلك مبلغهم من العلم
16. فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث
17. كمثل الحمار يحمل أسفارا
18. أولئك هم شر البرية
19. هماز مشاءٍ بنميمٍ مناعٍ للخير معتدٍ أثيم * عتلٍ بعد ذلك زنيم

20. **إنك لغوي** مبين
21. **إن شانئك هو الأبتر**
22. **أولئك لا خلاق** لهم في **الآخرة**
23. **أينما يوجهه لا يأت** بخير
24. **أولئك حزب الشيطان**
25. **اتخذوا** أيمنهم **جنة**
26. **فما** لهؤلاء **القوم لا يكادون يفقهون حديثًا**

في الضلين والمضلين

1. **إ م ألفوا آباءهم** ضالين، **فهم على آثارهم يهرعون**
2. **الشيطان سؤل** لهم **وأملى** لهم
3. **وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم** بغير **علم**
4. **ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين**
5. **وإخوا م** يمدو م في **الغي** ثم **لا يقصرون**
6. **ربنا إننا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا**

فيمن عميت بصيرتهم وأضلهم هواهم

1. لهم **قلوب لا يفقهون ا ولهم** أعين **لا يبصرون ا ولهم آذان لا يسمعون ا أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**
2. **فإ ا لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب** التي في **الصدور**
3. **أفرأيت من** اتخذ **إلهه هواه وأضله** الله **على علم**

في قرناء السوء والغاوين والنهي عن اتباعهم

1. **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا**
2. **يدعو** لمن **ضره أقرب من نفعه لبئس** المولى **ولبئس العشير**
3. **ولا تركنوا** إلى **الذين ظلموا** فتمسكم **النار**
4. **ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون**
5. **وإخوا م** يمدو م في **الغي** ثم **لا يقصرون**
6. **يا ليت** بيني **وبينك بعد** المشرقين **فبئس القرين**
7. **يا ويلتا** ليتني لم أتخذ **فلانا خليلا**

في التنبيه على الخطأ والضلال

1. **ما لكم كيف تحكمون**
2. **فأين تذهبون**
3. **أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير**
4. **تلك إذن قسمة ضيزى**
5. **تالله إنك لفي ضلالك القديم**
6. **ذلك هو الضلال البعيد**
7. **ويحسبون أ م يحسنون صنعا**

في المنافقين والمرائين

1. **قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر**
2. **وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ**
3. **يقولون بألسنتهم ما ليس في قلو م**
4. **يرضونكم بأفواههم وتأبى قلو م**
5. **وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إ م لكاذبون**
6. **إن تمسسكم حسنة تسوءهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا ا، وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا**
7. **مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء * ولا إلى هؤلاء**
8. **يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم**
9. **لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أم الله وهم كارهون**
10. **ويحلفون بالله إ م لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون**

في تمثيل أعمال المرائين والمنافقين

1. **فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا**
2. **أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصف**
3. **أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا .**
4. **في الإنذار والوعيد**

5. **فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم**
6. **فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون**
7. **لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون**
8. **وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئًا ولو كثرت**
9. **فانتظروا إني معكم من المنتظرين**
10. **واتقوا فتنةً لا نصيبن الذين ظلموا منكم خاصةً**
11. **إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**
12. **ذلك وعد غير مكذوب**
13. **وما هي من الظالمين ببعيد**
14. **هذا بلاغ للناس ولينذروا به**
15. **عما قليلٍ ليصبحن نادمين**
16. **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون**
17. **فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا**
18. **اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون**
19. **إنه لقول فصل وما هو بالهزل**
20. **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون**
21. **سيعلمون غدا من الكذاب الأشر**
22. **سيهزم الجمع ويولون الدبر**
23. **لتنبؤن بما عملتم**
24. **ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر**
25. **اعملوا ما شئتم**
26. **فستعلمون من هو في ضلالٍ مبين**
27. **إن ما توعدون لواقع**
28. **فستذكرون ما أقول لكم**
29. **فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيرا**
30. **فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحا م فلا يستعجلون**

31. كلا سيعلمون، ثم كلا سيعلمون
32. وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا م وضربنا لكم الأمثال
33. كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون
34. ولنخرجنهم منها أذلة وهم صارغون
35. وفد أفلح اليوم من استعلى
36. ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله أن يعذ م في الدنيا
37. لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك
38. وليعلمن نبأه بعد حين
39. سنسمه على الخرطوم
40. أو لم يعلم أن الله قد اهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوةً وأكثر جمعا
41. كلا لا وزر
42. إنا من ا رمين منتقمون
43. سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
44. سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين

في الحياة الزوجية

1. ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً
2. وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم
3. وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما
4. ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة
5. وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير
6. وعاشروهن بالمعروف

7. **وائتمروا بينكم بمعروف**

في آداب النساء

1. **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيو ن**
2. **وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**
3. **محصناتٍ غير مسافحاتٍ ولا متخذات أخذان وقلن قولاً معروفًا**
4. **إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفًا**

في الصلح والسلم

1. **فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم**
2. **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخونكم**
3. **والصلح خير**
4. **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها**
5. **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافةً ولا تتبعوا خطوات الشيطان**

الناس بخير ما تباينوا

1. **ولو شاء ربك لجعل الناس أمةً واحدةً ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم**
2. **ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا**

في الحث على الصدقة والنهي عما يبطلها

1. **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل جنةٍ أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة**
2. **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**
3. **يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى**
4. **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى**
5. **وما تنفقوا من خير يوف إليكم**
6. **وأما السائل فلا تنهر**

في التحية والاستئذان

1. **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها**
2. **رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت**

3. **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها**
4. **فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم**
5. **فإن استأذنوك لبعض شأ م فأذن لمن شئت منهم**

في آداب المشي

1. **واقصد في مشيك واغضض من صوتك**
2. **ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً**
3. **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا**

في التلطف والدعوة والطلب

1. **إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت**
2. **يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد**
3. **هل تبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا**
4. **فقل هل لك إلى أن تزكى**
5. **إني لكم رسول أمين**
6. **فاتبعني أهدك صراطًا سويا**

في الشورى

1. **وشاورهم في الأمر**
2. **وأمرهم شورى بينهم**
3. **أفتوني في أمري**

في الشفاعة

1. **من يشفع شفاعة حسنةً يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها**

في الخطأ والاضطرار

1. **وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم**
2. **فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه**

في المسئولية عن العمل

1. **ولا تزر وازرة وزر أخرى**
2. **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**

3. **كل امرئٍ** بما **كسب رهين**
4. **وكل إنسان ألزمناه طائرة** في **عنقه**
5. **لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**

في الجهاد

1. **وأعدوا** لهم **ما استطعتم من قوة ومن رباط** الخيل **ترهبون به عدو** الله **وعدوكم**
2. **وقاتلوهم** حتى **لا تكون** فتنة
3. **وفضل** الله **ا اهدين على القاعدين أجرا عظيما**
4. **ولولا دفع** الله **الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**

في الإيمان

1. **واحفظوا** أيمانكم
2. **ولا** تجعلوا الله **عرضة لأيمانكم**
3. **ولا تنقضوا** الأيمان **بعد توكيدها**

في الكلام والاستماع

1. ألم **تر كيف ضرب** الله **مثلاً كلمة طيبة كشجرةٍ طيبة أصلها ثابت وفرعها** في **السماء تؤتي أكلها كل** حين **بإذن ر ا**
2. **ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما** لها **من قرار**
3. **الذين يسمعون القول** فيتبعون **أحسنه أولئك الذين هداهم** الله **وأولئك هم أولوا الألباب**
4. **وقولوا للناس حسنا**
5. **يا أيها الذين آمنوا اتقوا** الله **وقولوا قولاً سديدا**
6. **وإذا** سمعوا **اللغو أعرضوا عنه**
7. **وإذا مروا باللغو مروا كراما**

في الجدل والمناظرة

1. **ولا** تجادلوا **أهل الكتاب إلا** بالتي **هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم**
2. **أدع** إلى **سبيل ربك** بالحكمة والموعظة الحسنة **وجادلهم** بالتي **هي أحسن**

في تباين المذاهب وتفاوت الدرجات

1. **لكلٍ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجا**
2. **ولكلٍ وجهه هو موليها**
3. **قل كل يعمل على شاكلته**
4. **والله فضل بعضكم على بعض في الرزق**
5. **وما منا إلا له مقام معلوم**
6. **وفوق كل ذي علمٍ عليم**
7. **وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك**

وبضدها تتميز الأشياء

1. **قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث**
2. **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرفٍ هار فا ار به في نار جهنم**
3. **مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً**
4. **وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج**
5. **أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم من يمشي سويا على صراطٍ مستقيم.**
6. **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**

في الحث على العمل والسعي والتنافس والمهاجرة

1. **ولكلٍ درجات مما عملوا**
2. **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**
3. **ألم تكن أرض الله واسعةً فتهاجروا فيها؟؟**
4. **فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه**

في الجزاء على العمل

1. **ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**
2. **إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكورا**
3. **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ شرا يره**
4. **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفي**

الجزاء من جنس العمل

1. **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها**

2. **فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم**
3. **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به**
4. **وجزاء سيئةٍ سيئة مثلها**
5. **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**
6. **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**
7. **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**
8. **فاذكروني أذكركم**
9. **وإن عدتم عدنا**
10. **إن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم**
11. **وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم**
12. **وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون**
13. **جزاءً وفاقًا**

شبيه الشيء منجذب إليه

1. **الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات**

في الإفساد والبغي والنهي عنهما

1. **ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**
2. **ولا تبغ الفساد في الأرض**
3. **وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض**
4. **ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**

في المفسدين المكابرين

1. **وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا أ م هم المفسدون ولكن لا يشعرون**
2. **الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أ م يحسنون صنعا**
3. **ويحسبون أ م على شيءٍ ألا إ م هم الكافرون**

في غرور الظلمة واستدراجهم

1. **يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا**
2. **يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا**
3. **بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلى غرورا**

4. **ولا** تحسبن الله **غافلاً عما يعمل الظالمون**
5. **وأملي** لهم **إن كيدي** متين
6. **فذرهم** في **غمر** م حتى حين
7. **فلا تعجل عليهم** إنما **نعد** لهم **عدا**
8. **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون**
9. **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل** فسوف **يعلمون**

في سوء عاقبة الظالمين والشماتة بما يصيبهم

1. **فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين**
2. **انقلب على عقبيه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران** المبين
3. **فانظر كيف كان عاقبة الظالمين**
4. **فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل** ممزق
5. **فأتى** الله **بنيا م من القواعد**
6. **فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون**
7. **فأصا م سيئات ما عملوا وحاق م ما كانوا به يستهزئون**
8. **فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها**

الأعراض عن الدعوة

1. **وإذا تتلى عليه آياتنا** ولى **مستكبرا كأن** لم **يسمعها كأن** في **أذنيه وقرا**
2. **كأ م** حمر **مستنفرة فرت من قسورة**
3. ثم **نظر،** ثم **عبس وبسر،** ثم **أدبر واستكبر**

في التدخل في ما لا يعني والنهي عنه

1. **ولا تقف ما ليس لك به علم**
2. **لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**
3. **عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل**
4. **فلا تسألن ما ليس لك به علم**
5. **ليس لك من الأمر شيء**

في الكرم والإكرام والضيافة

1. **ادخلوها بسلام آمنين**
2. **كلوا واشربوا هنيئًا**

3. **فكلوه هنيئًا مريئًا**
4. **فكلي واشربي وقري عينا**
5. **وفاكهةٍ مما يتخيرون ولحم طيرٍ مما يشتهون**
6. **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان م خصاصة**

في التعزية وتهوين الخطب

1. **ويخلق ما لا تعلمون**
2. **كل نفس ذائقة الموت**
3. **كل من عليها فان**
4. **كل شيءٍ هالك إلا وجهه**
5. **فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا**
6. **ولا تيأسوا، من روح الله**
7. **فلا تذهب نفسك عليهم حسراتٍ**
8. **ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون**
9. **ولا يحزنك قولهم.**
10. **سيجعل الله بعد عسرٍ يسرا**

في الكيل والميزان

1. **أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين**
2. **ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**

في النهي عن الرشوة

1. **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا ا إلى الحكام لتأكلوا فريقًا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون**
2. **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارةً عن تراض منكم**

في مال اليتيم ومتاعه

1. **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن**
2. **ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا**

3. **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطو م نارا وسيصلون سعيرا**
4. **فأما اليتيم فلا تقهر**

في صك الدين وإنظار المعسر

1. **يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدينٍ إلى أجلٍ مسمى فاكتبوه**
2. **وإن كان ذو عسرةٍ فنظرة إلى ميسرةٍ**

في الأحكام والحكام

1. **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**
2. **وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى**
3. **ولا يجرمنكم شنآن قومٍ على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى**
4. **ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون**

في اتهام الأبرياء

1. **ومن يكسب خطيئةً أو إثمًا ثم يرم به بريئًا فقد احتمل تانا وإثمًا مبينا**
2. **ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم ذا سبحانك هذا تان عظيم**
3. **إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم**
4. **لكل امرئٍ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم**

في المكابرة في الحق والمعاندة

1. **ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق**
2. **وجحدوا ا واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا**
3. **ما ضربوه لك إلا جدلا**
4. **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم**
5. **يجادلونك في الحق بعد ما تبين**
6. **وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون**
7. **أنظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون**

في الحق والباطل

1. **ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره ا رمون**
2. **الآن حصحص الحق**

3. **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**
4. **فضي بالحق وخسر هنالك المبطلون**
5. **الحق أحق أن يتبع**
6. **فماذا بعد الحق إلا الضلال**
7. **لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون**
8. **فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون**
9. **ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا**

في أداء الشهادة

1. **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين**
2. **ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه**
3. **فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم**
4. **ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا**
5. **وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد**
6. **وأنا على ذلكم من الشاهدين**
7. **وما شهدنا إلا بما علمنا**

في الخبر اليقين

1. **ما زاغ البصر وما طغى**
2. **فلنقص عليهم بعلمٍ وما كنا غائبين**
3. **نحن نقص عليك نبأهم بالحق**
4. **أحطت بما لم تحط به**
5. **ولا ينبئك مثل خبير**

في الاستنكار والتعجب

1. **إني لعملكم من القالين**
2. **لقد جئتم شيئًا إدا**
3. **لقد جئت شيئًا إمرا**

4. **لقد جئت شيئًا نكرا**
5. **ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين**
6. **إن هذا لشيء عجيب**

في المحاماة والدفاع عن الأثمة

1. **ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أمن يكون عليهم وكيلاً**
2. **ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم**
3. **ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**
4. **فلن أكون ظهيرا للمجرمين**

في التحدي وعدم المبالاة

1. **فاقض ما أنت قاض**
2. **فإن كان لكم كيد فكيدون**
3. **فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون**
4. **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**
5. **قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا**

في النجوى والمؤامرة

1. **فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى**
2. **لا خير في كثير من نجواهم**
3. **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم**

في الظن والشك

1. **إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا**
2. **وإنهم لفي شكٍ منه مريب**
3. **وإنا لفي شكٍ مما تدعوننا إليه مريب**
4. **إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس**
5. **وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن بعض الظن إثم**

في التبرؤ والتنصل

1. **فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم أني أرى ما لا ترون**
2. **أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون**

3. **فلا تلوموني ولوموا أنفسكم**

في موقف الظلمة والمجرمين أمام العدالة

1. **وقفوهم إ م مسئولون**
2. **هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين**
3. **مكانكم أنتم وشركاؤكم**
4. **خذوه فغلوه**
5. **مالكم لا تنطقون**
6. **مالكم لا تناصرون**
7. **لا تختصموا لدي**

في حيرة المجرمين وإشفاقهم عند ظهور الحق

1. **فعميت عليهم الأنباء يومئذٍ فهم لا يتساءلون**
2. **ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون**
3. **ووضع الكتاب فترى ا رمين مشفقين مما فيه**
4. **يتجرعه ولا يكاد يسيغه**
5. **إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلم نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب**

في الشيب والكبر والضعف

1. **رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا**
2. **وقد بلغت من الكبر عتيا**
3. **ومن نعمره ننكسه في الخلق**
4. **ومنكم يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئًا**

جزع الناس ومظاهرهم عند البلاء

1. **مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئد م هواء**
2. **وترى الناس سكارى وما هم بسكارى**
3. **هل تحس منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزا**
4. **ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة**
5. **فانطلقوا وهم يتخافتون**

في صفات الإنسان الفطرية

1. إن الإنسان لظلوم كفار
2. وكان الإنسان أكثر شيءٍ جدلا
3. خلق الإنسان من عجلٍ
4. فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله
5. وخلق الإنسان ضعيفًا
6. إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى
7. إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا * وإذا مسه الخير منوعا
8. قتل الإنسان ما أكفرخ!

في الخوف

1. فأصبح في المدينة خائفًا يترقب
2. فخرج منها خائفًا يترقب
3. لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا
4. ذلك الذي يخوف الله به عباده
5. فأوجس منهم خيفة
6. إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى
7. إني خاف أن يكذبون
8. إذ دخلوا على داود ففزع منهم
9. إنا منكم وجلون

في التضجر والتحسر وإظهار الضعف

1. لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
2. يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما
3. يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا
4. هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين
5. هذا يوم عسر
6. ياليتها كانت القاضية
7. ويضيق صدري ولا ينطلق لساني

في النفس الأمارة بالسوء

1. ما أصابك من حسنةٍ فمن الله وما أصابك من سيئةٍ فمن نفسك

2. **وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي**

في الخجل والاستحياء

1. **فجاءته إحداهن تمشي على استحياءٍ**
2. **يتوارى من القوم من سوء ما بشر به**

في النسيان

1. **وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره**
2. **فنسي ولم نجد له عزما**
3. **ونسوا حظًا مما ذكروا به**
4. **ولا تنسوا الفضل بينكم**
5. **واذكر ربك إذا نسيت**
6. **سنقرئك فلا تنسى**
7. **لا تؤاخذني بما نسيت**

في الرؤيا والأحلام

1. **نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين**
2. **أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون**
3. **أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين**
4. **أنا أنبئكم بتأويله**
5. **هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًا**

الفرح بزوال المكروه

1. **وكفى الله المؤمنين القتال**
2. **الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن**
3. **الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين**
4. **فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين**
5. **فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون**
6. **فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوء**
7. **فوقاه الله سيئات ما مكروا**

في النعيم والسرور والقصور وما حوت

1. **تعرف في وجوههم نضرة النعيم**

2. **إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا**
3. **وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة**
4. **فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة**
5. **متكئين على فرشٍ بطائنها من استبرق**
6. **ويطاف عليهم بآنيةٍ من فضةٍ وأكواب كانت قواريرا**
7. **متكئين فيها على الأرائك**

في الجبال والبحار والسفن والأمواج

1. **ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوا ا وغرابيب سود**
2. **وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها**
3. **وهي تجري م في موج كالجبال**
4. **أو كظلمات في بحرٍ لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها**
5. **فغشيهم من اليم ما غشيهم**
6. **وحال بينهما الموج فكان من المغرقين**
7. **وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام**

في المطر والبرق والرعد والريح

1. **يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار**
2. **هذا عارض ممطرنا**
3. **ريح فيها عذاب أليم**
4. **وهو الذي يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته**

في البساتين والروح والريحان

1. **ودانيةً عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً**
2. **فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام والحب ذو العصف والريحان**
3. **في سدرٍ مخضود وطلحٍ منضودٍ وظلٍ ممدود، وماءٍ مسكوب وفاكهةٍ كثيرة، لا مقطوعة ولا ممنوعة**

في التفكر والنظر والاستدلال على الخالق

1. **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم**
2. **وترى الجبال تحسبها جامدةً وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي لأتقن كل**

شيء

3. **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه**
4. **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة**
5. **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون**
6. **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين**
7. **وفي أنفسكم أفلا تبصرون**
8. **فلينظر الإنسان إلى طعامه**
9. **فينظر الإنسان مم خلق**
10. **والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا**
11. **وجعلنا الليل والنهار وجعلنا آية النهار مبصرةً لتبتغوا عدد السنين والحساب**
12. **وترى الأرض هامدةً فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج**

في العظمة والعبرة

1. **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**
2. **فاعتبروا يا أولي الأبصار**
3. **ذلك ذكرى للذكرين**
4. **لنجعلها لكم تذكرةً وتعيها أذن واعية**
5. **إن في ذلك لعبرة لمن يخشى**
6. **إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار**
7. **وما يذكر إلا أولوا الألباب**
8. **لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**

في نعم الله وفضله

1. **ذلك تخفيف من ربكم ورحمة**
2. **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**
3. **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها**

4. وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها
5. وإن ربك لذو مغفرةٍ للناس على ظلمهم

ما استأثر الله بعلمه

1. إن الله عنده علم الساعة وينـزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير
2. ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي

في العمل لوجه الله لا لجزاء الناس

1. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا
2. وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين

وصف الدنيا وتحقير متاعها

1. قل متاع الدنيا قليل
2. إنما الحياة الدنيا لعب ولهو
3. وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور

في التحذير من النفس والشيطان وغرور الدنيا

1. الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفشاء
2. إن النفس لأمارة بالسوء
3. فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

في التسليم بقضائه تعالى وقدره

1. قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا
2. ولو شاء ربك ما فعلوه
3. ليقضي الله أمرا كان مفعولاً
4. إن الله بالغ أمره
5. ألا له الخلق والأمر
6. الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
7. وربك يخلق ما يشاء ويختار
8. لله الأمر من قبل ومن بعد
9. ألا إلى الله تصير الأمور

10. **لا يسأل عما يفعل**

في الترغيب في التقوى والإحسان

1. **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**
2. **إن الحسنات يذهبن السيئات**
3. **إن أكرمكم عند الله أتقاكم**
4. **ورحمة ربك خير مما يجمعون**
5. **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**

في الاعتماد على الله والتوكل

1. **وعلى الله قصد السبيل**
2. **وما ذلك على الله بعزيز**
3. **حسبنا الله ونعم الوكيل**
4. **إنما أشكو بثي وحزني إلى الله**
5. **ليس لها من دون الله كاشفة**
6. **والله المستعان**

في الموت وعدم تخلف الآجال

1. **كل نفس ذائقة الموت**
2. **لكل أجلٍ كتاب**

في التوبة والانابة

1. **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالةٍ ثم يتوبون من قريبٍ**
2. **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن**
3. **ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما**

في الدعاء والتضرع إلى الله تعالى

1. **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا**
2. **رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء**
3. **ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا من الأبرار**
4. **رب أدخلني مدخل صدقٍ وأخرجني مخرج صدقٍ واجعل لي من**

لدنك سلطانا نصيرا

5. **ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا**
6. **رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري**

في فضل القرآن الكريم

1. **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**
2. **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**
3. **فاقرءوا ما تيسر من القرآن**
4. **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون**

في الأنباء والاستنباء

1. **عم يتساءلون عن النبأ العظيم، الذي هم فيه مختلفون**
2. **فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون**
3. **عرف بعضه وأعرض عن بعض**
4. **من أنبأك هذا**
5. **هل أتاك حديث الجنود**

في الكتب والكتابة والرسالة

1. **إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم**
2. **ولقد وصلنا لهم القول**
3. **فيها كتب قيمه**
4. **هاؤم اقرأوا كتابيه**

في الاقتراب والدنو

1. **اقتربت الساعة وانشق القمر**
2. **أليس الصبح بقريب**
3. **أزفت الآزفة**
4. **فكان قاب قوسين أو أدنى**
5. **قل عسى أن يكون قريبا**

في الضعف والعجز

1. **فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين**
2. **فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا**

3. **وما ينبغي لهم وما يستطيعون**
4. **إنك لن تستطيع معي صبرا**
5. **وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت**
6. **ضعف الطالب والمطلوب**
7. **فماله من قوة ولا ناصرٍ**
8. **وخلق الإنسان ضعيفًا**

في البلاء وما يصاب به الناس

1. **فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس**
2. **إن هذا لهو البلاء المبين**
3. **فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم**
4. **ما تذر من شيءٍ أتت عليه إلا جعلته كالرميم**
5. **فترى القوم فيها صرعى كأ م أعجاز نخلٍ خاوية**
6. **وأخرجت الأرض أثقالها**
7. **فجعلهم كعصفٍ مأكول**

في الاغترار بالمظاهر

1. **وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأ م خشب مسندة**
2. **يحسبه الظمآن ماءًا حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا**
3. **يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف**
4. **تحسبهم جميعا وقلو م شتى**
5. **وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود**

في البشرى والتهنئة

1. **يا بشرى هذا غلام**
2. **بشراكم اليوم**
3. **بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين**
4. **وبشروه بغلام عليم**

ما يقال عند الظفر بالحاجة

1. هذا من فضل ربي
2. إن هذا لهو الفوز العظيم
3. فضلاً من الله ونعمة
4. ذلك ما كنا نبغ

في الامتنان بالنعم

1. ألم نشرح لك صدرك
2. ألم يجدك يتيما فآوى، ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى
3. اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم
4. كلوا وارعوا أنعامكم
5. ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلاً

في التحدث بالنعمة

1. وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا
2. ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين
3. وأما بنعمة ربك فحدث

التأمين والطمأنينة

1. خذها ولا تخف
2. لا تخف نجوت من القوم الظالمين
3. أقبل ولا تخف أنك من الآمنين
4. ولكن ليطمئن قلبي
5. لا تخف إنك أنت الأعلى
6. وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين
7. ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك
8. لن يصلوا إليك
9. ولا نوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون والله معكم

أمثال مختارة للعرب

إن من البيان لسحرا[1].
إن البلاء موكل بالمنطق[2].
إن الموصين بنو سهوان[3].
إن الشقي وافد البراجم[4].
إن البغاث بأرضنا يستنسر[5].
إن الجبان حتفه من فوقه[6].
إن المعافي غير مخدوع[7].
إن في الشر خيارا.
إن الحديد بالحديد يفلح.
إن الشفيق بسوء ظن مولع[8].
إن وراء الأكمة ما وراءها.
إن العصـا من العصيـة[9].
إن العوان لا تعلم الخمرة[10].
إن الغني طويل الذيل مياس[11].
إن الليل طويل وأنت مقمر[12].

إن العصا قرعت لذي الحلم[13].
إن الحبيب إلى الإخوان ذو المال.
إن الهزيل إذا شبع مات[14].
إن غدا لناظره قريب.
إن أخاك من آساك[15].
إنك لا تجني من الشوك العنب.
أتتك بحائن رجلاه.
إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض.
أن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر[16].
إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا[17].
إن ترد الماء بماء أكيس[18].
إحدى حظّيات لقمان[19].
أكل عليه الدهر وشرب[20].
إنه ليعلم من أين تؤكل الكتف[21].
آكل لحمي ولا أدعه لآكل[22].

---

(1) يضرب في استحسان المنطق.
(2) يضرب لمن أسيء إليه.
(3) يضرب لمن يسهو عن طلب شيء أمر به.
(4) البراجم: بطن من تميم، يضرب لمن يوقع نفسه في هلكه طمعا.
(5) يضرب للضعيف يصير قويا.
(6) يضرب في أن الحذر لا ينجي من القدر.
(7) يضرب لمن يخدع فلا ينخذع.
(8) يضرب لمن يفشي على نفسه أمرا مستورا.
(9) يضرب في مشاكلة الفرع للأصل.
(10) العوان: المرأة النصف، والخمرة: لبس الخمار. يضرب في استغناء المجرب عن الإرشاد.
(11) أي لا يستطيع ذو الغنى أن يكتمه.
(12) يضرب للأمر بالتصبر في طلب الحاجة.
(13) يضرب لمن إذا نبه انتبه.
(14) يضرب فيمن استغنى فتجبر على الناس.
(15) يضرب في الحث على مراعاة الإخوان.
(16) يضرب للأمر المشهور.
(17) يضرب للمداهي الشديد يبلى بمن هو أدهى منه وأشد.
(18) يضرب للأخذ في الأمور بالاحتياط.
(19) يضرب في الشر يصدر عمن عرف به، وحظيات لقمان: سهامه (وفي القاموس خطأ).
(20) يضرب لمن طال عمره.
(21) يضرب في المجرب المحنك.
(22) يضرب في الرجل ينصر قرينه وإن كان عدوه.

إياك وما يعتذر منه.
إذا زل العالِم زل بزلته عالَم.
أنت تئق وأنا مئق فمتى نتفق[1].
إيـاك أعني واسمعي يا جـارة.
إذا جـان القضاء ضـاق الفضـاء[2].
أم الجبان لا تفرح ولا تحزن.
إذا جاءت السنة جاء معها أعوا ا[3].
إن حالت القوس فسهمي صائب[4].
ألا من يشتري سهرا بنوم[5].
إذا ما القارظ العنـزي آبا[6].
إن كنت كذوبا فكن ذكورا[7].
إنما يحمل الكل على أهل الفضل[8].
إذا تخاصم اللصان ظهر المسروق[9].
إذا تفرقت الغنم قاد ا العنـز الجرباء.
إذا غاب البزار ثوبا فاعلم أنه من حاجته[10].

إذا أردت أن تطاع فسل ما يستطاع.
إن يكن الشغل مجهدةً فإن الفراغ مفسدة.
إذا قدم الإخاء سمج الثناء.
بلغ السيل الزبى[11].
بعض الشر أهون من بعض.[12]
بلغ السكين العظم.[13]
باقعة من البواقع.[14]
ابدأهم بالصراخ يفروا[15].
أبدى الصريح عن الرغوة[16].
بعض الجدب أمرأُ للهزيل[17].
بنان كف ليس فيها ساعد[18].
بعد البلاء يكون الثناء.
أبلغ من قس.
أبخل من مادر.
أبصر من زرقاء اليمامة.
أبصر من غراب.

(1) التئق: السريع إلى الشر، والمئق: السريع إلى البكاء يضرب للمختلفين أخلاقًا.
(2) يضرب لمن يخاطب شخصا وهو يريد غيره تعريضا.
(3) السنة القحط وأعوا ا الجراد والأمراض، يضرب في تجمع الشدائد.
(4) حالت القوس: زالت عن استقامتها. يضرب فيمن زالت نعمته ولم تزل مروءته.
(5) يضرب لمن غمط النعمة وكره العافية.
(6) يضرب في امتداد البعد والغيبة.
(7) يضرب للرجل يكذب ثم ينسى فيناقض نفسه.
(8) الكل: الثقل.
(9) يضرب في القوم يختلفون فيسود فيهم الأشرار.
(10) البزار: بائع الثياب.
(11) الزبى: جمع زبية وهي أعلى الجبل، يضرب لمن جاوز الحد.
(12) يضرب في الشرين يختار أهو ما.
(13) يضرب لمن جاوز الحد.
(14) الباقعة: الداهية يقال في الرجل يكون داهيا منكرا.
(15) يضرب في الظالم يتظلم ليسكت عنه.
(16) يضرب عند انكشاف الأمر وظهوره.
(17) يضرب فيمن لا يحسن احتمال الغنى بل يطغى فيه.
(18) يضرب فيمن له همة ولا قدرة له على بلوغ ما في نفسه.

أبقى من الدهر.
أبقى من وحي في حجر[1].
أبين من فلق الصبح.
أبكر من غراب.
ترك الذنب أيسر من طلب التوبة.
تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها[2].
تسألني برمتين سلجما[3].
تجشأ لقمان من غير شبع[4].
تضرب في حديد بارد.
تلدغ العقرب وتصيء[5].
تركتهم في حيص بيص[6].
تطلب أثرا بعد عين[7].
تسمع بالمعيدي خير من أن تراه[8].
اتخذ الليل جملا[9].
ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل[10].

(1) الوحي: الكتابة.
(2) أي لا يكون مرضعا، يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب.
(3) السلجم اللفت، يضرب لمن يطلب شيئًا في غير موضعه.
(4) يضرب لمن يدعى ما ليس يملك.
(5) يضرب لمن يظلم ويتظلم وصاءت العقرب صوتت.
(6) يضرب فيمن وقع فيما لا مخلص له منه.
(7) يضرب فيمن ترك الشيء ثم طلبه بعد ذهابه.
(8) يضرب فيمن منظره دون مخبره.
(9) أي أدى واجبه من العمل ليلاً.
(10) يضرب لذي المنظر لا خير فيه.

التثبت نصف العفو.
تقطع أعناق الرجال المطامع.
أتبع السيئة الحسنة تمحها.
اتق شر من أحسنت إليه[11].
تضرع إلى الطبيب قبل أن تمرض[12].
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.
التقدير أحد الكاسبين.
التدبير نصف المعيشة.
جزاء سنمار.
أسمع جعجعةً ولا أرى طحنا.
جوع كلبك يتبعك.[13]
جاوز الحزام الطبيين[14].
جانيك من يجني عليك[15].
جليس السوء كالقين[16] إن لم يحرق ثوبك دخنه.
جاءوا على بكرة أبيهم[17].
أجود من حاتم.
أجود من كعب بن مامة.
أجبن من صافر[18].
أجبن من نعامة.
أجهل من فراشة.

(11) يضرب في مقابلة الإحسان بالإساءة.
(12) يضرب فيمن يعد ولا يفي.
(13) يضرب فيما ينبغي أن يعامل به اللئيم.
(14) يضرب في تفاقم الأمر.
(15) أي لا تزر وازرة وزر أخرى.
(16) القين: الحداد.
(17) أي جاءوا جميعا.
(18) الصافر من الطيور بغاثها وضعافها.

أجمع من نملة.
حال الجريض دون القريض[1].
حن قدح ليس منها[2].
حسبك من شرٍ سماعه.
حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق[3].
حبك الشيء يعمي ويصم.
الحديث ذو شجون[4].
حافظ على الصديق ولو في الحريق.
أحشفًا وسوء كيلة[5].
الحكمة ضالة المؤمن.
الحبارى خالة الكروان.
الحلجة تفتق الحيلة[6].
أحمق من هبنقة ومن جحا.
أحلم من الأحنف.
أحكم من لقمان.
أحذر من غراب.
أحذر من ذئب.
أحذر من ظليم[7].

(1) الجريض: الغصة والقريض: الشعر. يضرب في الأمر يتيسر حين لا ينفع.
(2) يضرب في الرجل يفتخر بقوم ليس منهم أو يتمدح بما ليس فيه.
(3) يضرب في القالة السيئة وما يخشى منها.
(4) الشجون: الفنون: يضرب في الحديث يتذكر به غيره.
(5) يضرب في الجمع بين خصلتين مكروهتين.
(6) يضرب في مناسبة أحد الشيئين للآخر.
(7) الظليم: ذكر النعام.

أحفظ من الشعبي.
خذ من جِذْعٍ ما أعطاك[8].
خاليف تذكر.
خرقاء وجدت صوفًا[9].
خير المال عين خرارة في أرض خوارة[10].
أخطب من سحبان.
أخطب من قس.
أخون من ذئب.
دون ذا وينفق الحمار[11].
أدهى من قيس بن زهير.
أدهى من عمرو بن العاص.
ذهبوا أيدي سبأ[12].
الذئب خاليا أسد.
ذكرتني الطعن وكنت ناسيا[13].
رمتني بدائها وانسلت[14].
رماه الله بثالثة الأثافي[15].

(8) جذع: اسم رجل. يضرب في اغتنام ما يجود به البخيل.
(9) الخرقاء: التي لا تحسن العمل، يضرب لمن يفسد عمله بسوء تصرفه.
(10) الخوارة: الأرض التي فيها لين وسهولة.
(11) يضرب في المبالغة في المدح بغير احتياج إليه.
(12) تفرقوا تفرقًا لا اجتماع معه كما تفرقت سبأ.
(13) يضرب في تذكر الشيء بغيره.
(14) يضرب فيمن يعير صاحبه بعيب هو فيه.
(15) الأثافي: جمع أثفية وهي الحجر توضع عليه القدر، وهما اثنتان وثالثتهما الحبل، والمراد ا الداهية العظيمة.

رب قول أشد من صول[1].
رب أخٍ لك لم تلده أمك.
رجع بخفي حنين[2].
رب رمية من غير رام.
الرواية أحد الشاتمين.[3]
رب كلمة سلبت نعمةً.
رب ملوم لا ذنب له.
رب زارع لنفسه حاصد سواه.
أروى من ضبٍ[4].
أرق من النسيم.
أرق من رقراق السراب.
أرق من غرقئ البيض[5].
الزيت في العجين لا يضيع[6].
زكاة النعم المعروف.
أزكن من إياس.
أزهى من طاوس[7].
سبق السيف العذل.
أساء سمعا فأساء إجابةً.
سكت ألفًا ونطق خلفًا.[8]

(1) يضرب عند الكلام يؤثر فيمن يواجه به.
(2) يضرب في الخيبة.
(3) هذا كقولنا شتمك من بلغك.
(4) تزعم العرب أن الضب لا يحتاج إلى شرب الماء، بل يفتح فاه للهواء فيكون في ذلك ريه..
(5) الغرقئ القشرة الرقيقة الملتزمة ببياض البيضة.
(6) يضرب في الإحسان إلى الأقارب.
(7) الزهو: العجب.
(8) الخلف الرديء من القول.

سرق السارق فانتحر[9].
السليم لا ينام ولا ينيم[10].
سحابة صيفٍ عن قليل تقشع.
شر الرأي الدبري.[11]
شخب في الإناء وشخب في الأرض[12].
شنشنة أعرفها من أخزم.[13]
شر من الموت ما يتمنى معه الموت.
أشأم من البسوس.[14]
أشأم من أحمر عاد.
أشأم من غراب البين.
أشكر من كلب.
صدقني سن بكره[15].

(9) يضرب لمن تنتزع من يده ما ليس له فيجزع عليه.
(10) السليم: الملدوغ، يضرب فيمن لا يستريح ولا يريح غيره.
(11) الدبري ما يسنح بعد فوات الفرصة.
(12) الشخب: ما خرج من الضرع ممتدا من اللبن، يضرب فيمن يصيب مرة ويخطئ أخرى.
(13) الشنشنة: الطبيعة والعادة يضرب في مشا ة الفرع لأصله في الشر.
(14) البسوس: هي المرأة التي هاجت بسببها حرب بكر وتغلب، وأحمر عاد هو أحمر ثمود، وهو الذي عقر الناقة فحل العذاب بثمود من جزاء عمله.
(15) يضرب في الإنسان يقول الحق على غير قصد منه.

صادف درء السيل درءًا يصدعه[1].
صدرك أوسع لسرك.
أصدق من قطاة[2].
أصعب من رد الشخب في الضرع.
ضرب أخماسا لأسداس[3].
أضيق من ظل الرمح.
أضعف من بعوضة.
أضبط من نملة.
أطرق كرا.
إن النعامة في القرى.
أطول صحبة من الفرقدين.
أطمع من أشعب.
طبيب يداوي الناس وهو مريض.
طفيلي ومقترح.
ظئر رءوم خير من أم سئوم[4].
عند الصباح يحمد القوم السرى[5].
عند جهينة الخبر اليقين[6].
عرض عليه خصلتي الضبع[7].

(1) هذا كمن قال: لا يفل الحديد إلا الحديد.
(2) لأن صوت القطاة واحد لا يتغير.
(3) يضرب فيمن يريد الشيء ويظهر غيره.
(4) الظئر: الحاضنة والرءوم: العطوف.
(5) يضرب في تحمل التعب رجاء الراحة.
(6) يضرب في الرجل يعرف الشيء على وجهه كقولهم: على الخبير سقطت.
(7) تزعم العرب أن الضبع صادت ثعلبا وخيرته بين أن تأكله وأن تمزقه، يضرب فيمن يسوم غيره ما لا خيار فيه من البلاء.

عش رجبا تر عجبا.
أعط القوس باريها.
أعرض ثوب الملبس.
العود أحمد.
عند الامتحان يكرم المرء أو يهان.
أعز من كليب وائل.
أعيى من باقل.
أعدى من الظليم.
أعدى من الشنفرى.
أعدى من السليك.
أعق من ذئبة.
أعقد من ذنب الضب وأعجز ممن فتل الدخان[8].
غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية[9].
غثك خير من سمين غيرك.
في الصيف شيعت اللبن.[10]
في بيته يؤتى الحكم.
في كل شجر نار واستمجد المرح والعفار[11].
أفرس من بسطام.
أفتك من عمرو بن كلثوم.
قطعت جهيزة قول كل خطيب[12].

(8) يضرب فيمن إذا سألته عن أمر أبهم الجواب.
(9) سلول قبيلة ذليلة، يضرب في اجتماع خصلتين من الشر.
(10) يضرب لمن يطلب شيئًا قد فوته على نفسه.
(11) المرح والعفار: شجرتان قويتا النار يضرب في تفضيل بعض الشيء على بعض.
(12) يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه =

وقد أنصف القارة من راماها[1].
قبل الرماء تملأ الكنائن[2].
اقتلوني ومالكًا[3].
القول ما قالت حذام.
كان كراعا فصار ذراعا[4].
كلام كالعسل وفعل كالأسل[5].
كل فتاةٍ بأبيها معجبة[6].
كطالب القرن جدعت أذنه[7].
مجير أم عامر[8].
كيف أعاودك وهذا أثر فأسك[9].
كأن على رءوسهم الطير.
كالمستجير من الرمضاء بالنار.
لو ذات سوار لطمتني[10].
لو خيرت لاخترت.
لو ترك القطا ليلا لنام[11].
لعل له عذرا وأنت تلوم.
لأمرٍ ما جدع قصير أنفه.
لكل مقامٍ مقال.
لا مخبأ لعطر بعد عروس[12].
لا تعدم الحسناء ذاما[13].
لا ـرف بما لا تعرف[14].
لا ناقتي فيها ولا جملي.
لا في العير ولا في النفير[15].
لا يفل الحديد إلا الحديد.
لا تأمن الأحمق وبيده سكين[16].
لا تجزعن من سنةٍ أنت سر ا.
ما وراءك يا عصام.
ما يوم حليمة بسر[17].

=
بحماقة يأتي ا.
(1) القارة: قبيلة من أبرع الناس في المراماة.
(2) يضرب في الاستعداد للأمر قبل الشروع فيه.
(3) يضرب فيمن يريد بصاحبه المكروه وإن ناله هو منه ضرر.
(4) يضرب في الذليل يصبح عزيزا.
(5) الأسل الرماح.
(6) يضرب في عجب الرجل رهطه وعشيرته.
(7) أصل المثل في النعام، ويضرب في طلب الأمر يفضي بصاحبه إلى التلف.
(8) أم عامر الضبع وقد أكلت من أجارها. يضرب في الذي يجزى على إحسانه بالسوء.
(9) يضرب فيمن لا يفي بالعهد.
=
(10) يضرب في الوضيع يقع منه العدوان.
(11) يضرب فيمن حمل على مكروه من غير إرادته.
(12) يضرب فيمن لا يدخر عنه نفيس.
(13) يضرب في الشيء الحسن لا يخلو من عيب.
(14) يضرب لمن يتعجل في مدح الشيء قبل تمام معرفته.
(15) يضرب في الوضيع ليس فيه شيء من خلال الشرف.
(16) يضرب في عسف الجاهل إذا قدر.
(17) حليمة بنت مالك غسان، يضرب للأمر
=

ما أشبه الليلة بالبارحة.
مرعى ولا كالسعدان[1].
ما كل بيضاء شحمة.
منك أنفك وإن كان أجدع[2].
من استرعى الذئب ظلم.
من مأمنه يؤتى الحذر.
مواعيد عرقوبٍ.
مكره أخوك لا بطل[3].
أمنع من عقاب الجو.
نفس عصامٍ سودت عصاما.[4]
نعيم كلب في بؤس أهله[5].
أندم من الكسعي.
وافق شن طبقة[6].
أوردها سعد وسعد مشتمل[7].
أوفى من السموءل.

أوفى من الحارث بن عباد.
هما كفرسي رهان.
يداك أوكتا وفوك نفخ[8].
اليوم خمر وغدا أمر[9].

=
المشهور الذي لا يكاد يجهل.

(1) السعدان: نبت من أنفع الأعشاب للإبل، يضرب في الشيء يفصل على أشكاله وأقرانه.
(2) يضرب فيمن يلزمك خيره وشره.
(3) يضرب فيمن يحمل على ما ليس من شأنه.
(4) يضرب في سؤدد الرجل نفسه.
(5) يضرب في التابع – كالخادم يشغل سادته بمصيبته فيغنم ما قدر عليه من أموالهم.
(6) يضرب في تمام المشاكلة والاتفاق.
(7) يضرب للمقصر في الأمر.
(8) يضرب لمن يجني على نفسه.
(9) يضرب في تقلب الأيام.

الفن الرابع في الأوصاف

الوصف[1] عبارة عن بيان الأمر باستيعاب أحواله وضروب نعوته الممثلة له وأصوله ثلاثة:

الأول: أن يكون الوصف حقيقيا بالموصوف مفرزا عما سواه.

الثاني: أن يكون ذا طلاوة ورونق.

الثالث: أن لا يخرج فيه إلى حدود المبالغة، والإسهاب، ويكتفي بما كان مناسبا للحال– وأنواعه كثيرة، ولكنها ترجع إلى قسمين: وهما وصف الأشياء ووصف الأشخاص– أما الأشياء الحَرِية بالوصف فهي كالأمكنة والحوادث ومناظر الطبيعة.

وأما وصف الأشخاص فيكون بوصف الصورة أو الطبع أو بوصفهما معا، ولنذكر لك فقرا جارية على ألسنة البلغاء في صفات شتى، ثم نتبعها بمقالات في الوصف نثرا ونظما.

وصف البلدان

بلدة كأ ا صورة جنة الخلد، منقوشة في عرض الأرض، بلدة كأن محاسن الدنيا مجموعة ومحصورة في نواحيها، بلدة ترا ا عنبر، وحصباؤها عقيق، وهواؤها نسيم، وماؤها رحيق، بلدة معشوقة السكنى، رحبة المثوى[2]، كوكبها يقظان، وجوها عريان، يومها غداة، وليلها سحر، بلدة واسعة الرقعة، طيبة البقعة، واسطة البلاد وسر ا، ووجهها وغر ا.

وصف القلاع

قلعة حلقت[3] بالجو تناجي السماء بأسرارها، قلعة تتوشح بالغيوم، وتجتلي النجوم، قلعة متناهية في الحصانة، ممتنعة عن الطلب والطالب، منصوبة على أضيق المسالك وأوعر المناصب، لم تزدها الأيام إلا نبو[4] أعطاف، واستصعاب جوانب وأطراف، قد مل الملوك حصارها، ففارقوها عن طماح[5] منها وشماس[6] وسئمت الجيوش ظللها.

---

(1) أحسن طريقة للإجادة في الوصف أن ترسم أولاً في بدء وصفك نظرا عاما جامعا ملي الأمر الذي تحاول وصفه ثم تأخذ بإيراد مختلف الأجزاء قسما فقسما وذلك إما على تتابع ورود هذا الأجزاء، أو إيثار ما كان يراه الكاتب أشد مناسبة لغايته.

(2) الإقامة.

(3) ارتفعت.

(4) بعدا.

(5) كبر وفخر.

(6) إباء وامتناع.

فغادر ا[1] بعد قنوط وإياس، فهي حمى لا يراع[2] ومعقل لا يستطاع، كأن الأيام صالحتها على الإعفاء من الحوادث والليالي، وعاهد ا على التسليم من القوارع[3].

وصف الدور

دار قرارٍ توسع العين قرة، والنفس مسرةً، كأن بانيها استسلف الجنة، فعجلت له دار تغار منها الدور، وتتقاصر عنها القصور، دار اقترن اليمن[4] بيمناها واليسر بيسراها، الجسوم منها في حضر، والعيون على سفر، دار دار السعد نجمها وفاغر بالحسن سهمها، يخدمها الدهر، ويأويها البدر، ويكنفها النصر، هي مرتع النواظر ومتنفس الخواطر أخذت أدوات الجنان، وضحكت من العبقري[5] الحسان.

وصف الديار الخالية

دار لبست البلى وتعطلت من الحلى، صارت من أهلها خالية، بعد ما كانت م حالية، وقد أنفد البين سكا ا، وأقعد حيطا ا، دار شاهد اليأس منها ينطق، وحبل الرجاء فيها يقصر، كأن عمرا ا يطوى، وخرا ا ينشر، أركا ا قيام وقعود، وحيطا ا ركع وسجود:

بكت دارهم مِن نأيهم فتهلّلت دموعٌ فأي الجازعين ألوم
أمستعبراً يبكي مِن الشوق والهوى أم آخر يبكي شجوه ويهيم؟[6]

وصف أيام الربيع

يوم جلابيب غيومه رواق[7] وأودية نسيمه رقاق، يوم سماؤه فاختية، وأرضه طاووسية، يوم ممسك السماء، معصفر الهواء، معنبر الروض، مصندل الماء، يوم تبسم عنه الربيع، وتبرج

---

(1) تركتها.
(2) لا يفزع ولا يخاف أحدا.
(3) الحوادث والنوائب.
(4) البركة.
(5) البسط المعجب شكلها.
(6) البيتان لقيس بن ذريح بن سنة بن حذافة الكناني، (توفي 68 هـ/687 م) شاعر من العشاق المتيمين، اشتهر بحب لبنى بنت الحباب الكعبية، وهو من سكان المدينة.
(7) الكساء المرسل على مقدم البيت من أعلاه إلى الأرض.

عنه الروض المريع، يوم كأن سماءه مجد تتباكى وأرضه عروس تتجلى، يوم دجنه[1] عاكف، وقطره واكف[2].

وصف الرياض

روضة رقت حواشيها وتأنق واشيها[3]، روضة كالعقود المنظمة على البرود المنمنمة، روضة قد راضتها أكف المطر، ودبجتها أيدي الندى، رياض كالعرائس في حليها وزخارفها، والقيان[4] في وشيها ومطارفها[5]، باسطة زرابيها وأنماطها، ناشرة برودها ورياطها، زاهية بحمرائها وصفرائها، تائهة بغيدا ا وغدرا ا، كأنما احتفلت لوفد، أو هي من حبيب على وعد، روضة قد تضوعت[6] بالأرج[7] الطيب أرجاؤها، وتبرجت[8] في ظلل الغمام صحراؤها، وتنافحت بنوافح المسك أنوارها، وتعارضت بغرائب النطق أطيارها. بستان أ اره محفوفة بالأزهار، وأشجاره موقرة بالثمار، أشجار كأن الحور اعار ا قدودها وكستها برودها، وحلتها لقودها، شقائق كتيجان العقيق على رءوس الزنوج كأ ا أصداغ المسك على الوجنات الموردة، كأن الشقيق جام[9] من عقيق أحمر، ملئت قرارته بمسكٍ أذفر، الأرض زمردة، والأشجار وشي، والماء سيوف، والطيور قيان[10] قد غردت خطباء الأطيار على منابر الأنوار والأزهار.

وصف طول الليل والسهر وما يعرض فيه من الهموم والفكر

ليلة قص جناحها، وضل صباحها. ليالٍ ليست لها أسحار، وظلمات لا تتخللها أنوار،

---

(1) الغيم.
(2) سائل.
(3) حائكها وناقشها.
(4) جمع قين: المغنية.
(5) جمع مطرف رداء من خز مربع فيه أعلام والزرابي البسيط، والأنماط الأثواب التي تطرح على الهوادج، والرياض الأثواب الرقاق.
(6) تحركت.
(7) النفخ: الريح الطيب.
(8) تزينت.
(9) إناء.
(10) مغنيات.

ليل ثابت الأطناب[1]، بطيء الغوارب طامح الأمواج وافي الذوائب. بات بليلة ساورته[2] فيها الهموم، وسامرته النجوم، واكتحل السهاد، وافترش القتاد، واكتحل بماء السهر، وتململ على فراش الفكر، قد أقض مهاده[3] وقلق وساده، هموم تفرق بين الجنب والمهاد، وتجمع بين العين والسهاد.

وصف انتصاف الليل وتناهيه وانتشار النور وأفول النجوم

قد اكتهل[4] الظلام، قد نصفنا عمر الليل واستغرقنا شبابه، قد شاب رأس الليل، عاد نيم النسيم بالسحر، قد انكشف غطاء الليل وستر الدجى، هرم الليل وشمطت ذوائبه، قوضت[5] خيام الليل، وخلع الأفق ثوب الدجى، تبسم الفجر ضاحكًا من شرقه، ونصب أعلامه على منازل أفقه، اقتنص بازي الضوء غراب الظلام، وفض كافور النور من الغسق مسك الختام، طرز قميص الليل بغرة الصبح، باح الصبح بسره، خلع الليل ثيابه وحدر[6] الصبح نقابه، بث الصبح طلائعه، تبرقع الليل بغرة الصبح، أطار منادي الصبح غراب الليل، عزلت نوافج الليل بجامات الكافور، وا نزم جيش الظلام عن عسكر النور، مالت الجوزاء[7] للغروب وولت مواكب الكواكب، وتناثرت عقود النجوم، ووهى نطاق الجوزاء، وانطفأ قنديل الثريا.

وصف طلوع الشمس وغروبها

بدا حاجب الشمس، لقت الغزالة[8] لعا ا وضربت الضحى[9] أطنا ا، انتشر جناح الضوء، في أفق الجو، استوى شباب النار على رونق الضحى، بلغت الشمس كبد السماء، قام قائم الهاجرة ورمت الشمس بجمرات الظهر. اصفرت غلالة[10] الشمس، وصارت كأ ا

(1) جبال الخيمة.
(2) شغلته وقاومته.
(3) خشن وتترب.
(4) صار كهلاً تشبيها بالرجل الكهل وهو من جاوز الأربعين سنة.
(5) هدمت.
(6) أنزل.
(7) برج في السماء.
(8) الشمس.
(9) الضحى جمع ضحوة، مؤنث والضحا تذكر على أ ا اسم.
(10) الثوب الرقيق.

لدينار يلمع في قرار الماء، نفضت تبرا على الأصيل، وشدت رحلها للرحيل، جنحت الشمس إلى مغار ا دلكت[1] دلوح[2] واغبر لوح اللوح[3] تصوبت الشمس للمغيب، تضيفت للعروب، فآذن جنبها بالوجوب[4] شاب النهار وأقبل شباب الليل، استتر وجه الشمس بالنقاب، وتوارت بالحجاب، وكأن هذا الأمر من مطلع الفلق إلى مجمع الغسق.

وصف الرعد والبرق

قام خطيب الرعد، نبض[5] عرق البرق، سحابة ارتجزت[6] رعودها، وذهبت ببروقها برودها، نطق لسان الرعد، وخفق قلب البرق، فالرعد ذو صخب[7] والبرق ذو لهب، ابتسم البرق عن قهقهة الرعد، زأرت أسود الرعد ولمعت سيوف البرق، رغدت الغمائم وبرقت، وانحلت عرى السماء فطبقت، هدرت رواعدها، وقربت باعدها، وصدقت مواعدها.

وصف مقدمات المطر

لبست السماء سربالها، وسحبت السحائب أذيالها، قد احتجبت السماء في سرادق الغيم، لبس الجو مطرفه[8] الأدكن[9]، باحت الريح بأسرار الندى ضربت خيمة الغمام، ابتل جناح الهواء واغر ورقت مقلة السماء، هبت شمائل الجنائب، لتأليف شمل السحائب، تألفت أشتات الغيوم، الستور وأسبلت على النجوم.

وصف الثلج والبرد وأيام الشتاء

مد الشتاء رواقه، وألقى أوراقه[10] وحل نطاقه، أناخ بنوازله، وأرسى بكلاكله، وكلح بوجهه، وكشر عن أنيابه، قد عادت الجبال شيبا، ولبست من الثلوج ملاءً قشيبا[11] شابت

---

(1) غربت.

(2) السحابة.

(3) واللوح اللمح واللمعان؛ من لاح يلوح لوحا.

(4) وجبت الشمس وجيبا ووجوبا غابت.

(5) تحرك.

(6) الرجز ضرب من الشعر ويقول رجز الراجز وارتجز أيضا.

(7) كثير اللغط والجلبة.

(8) رداء من خز مربع ذو أعلام.

(9) المائل إلى السواد.

(10) جمع روق. وهو والرواق بمعنى.

(11) جديدا.

مفارق البروج بتراكم الثلوج، ألم الشيب ا، وابيضت لممها[1]؛ برد يقضقض[2] الأعضاء وينقض الأحشاء، برد يجمد الريق في الأشداق والدمع في الآماق، يوم كأن الأرض شابت لهوله، يوم فضي الجلباب مسكي النقاب، عبوس قمطرير[3]، كشر عن ناب الزمهرير وفرش الأرض بالقوارير[4]، يوم أرضه كالقوارير اللامعة، وهواؤه كالزنابير اللاسعة.

وصف المطر والسحاب والماء والغدران

ماء إذا مسته أيدي النسيم[5]، حكى سلاسل الفضة، غدير ترقرقت[6] فيه دموع السحائب، وتواترت عليه أنفاس الرياح الغرائب، انحل عقد السماء وا لى دمع الأنواء[7] انحل سلك القطر، عن در البحر، سحابة تجدو من الغيوم جمالاً، وتمد من الأمطار جبالاً، سحابة ترسل الأمطار أمواجا. والأمواج أفواجا. سحابة يضحك من بكائها الروض، وتخضر من سوادها الأرض، سحابة لا تجف جفو ا، ولا يخف أنينها، ديمة[8] روت أديم[9] الثرى[10]، ونبهت عيون النور من الكرى[11]، سحابة ركبت أعناق الرياح وسحت كأفواه الجراح. مطر كأفواه القرب.

وصف القيظ وشدة الحر

حر يشبه قلب الصب، ويذيب دماغ الضب[12] قوي سلطان الحر، وبسط بساط الجمر، أوقدت الشمس نارها، وأذكت[13] أوارها[14]، حر يلفح حر الوجه، هاجرة كأ ا

---

(1) جمع لمة للشعر للذي يجاوز شحمة الآذان.

(2) يكسر ويضعف.

(3) شديد مظلم.

(4) جمع قارورة وهي الإناء من الزجاج.

(5) شابة.

(6) تحركت.

(7) جمع نوء: المطر.

(8) المطر بلا رعد.

(9) وجه الأرض.

(10) التراب.

(11) النوم.

(12) حيوان بري لا يعيش إلا في الجهات شديدة الحر.

(13) أوقدت.

(14) نارها.

من قلوب العشاق، إذا اشتعلت فيها نار الفراق، هاجرة تحكي نار الهجر، وتذيب قلب الصخر، حر يرب له الحرباء[1] من الشمس، قد صهرت[2] الهاجرة الأبدان، وركبت الجنادب[3] العيدان، حر ينضج الجلود، ويذيب الجلمود، أيام كأيام الفرقة امتدادا، وحر كحر الوجه اشتدادا، هاجرة[4] كالسعير الهاجم، يجز أذيال السمائم[5].

وصف الشيب

ذوى[6] غصن شباب، بدت في رأسه طلائع المشيب، أقمر ليل شبابه، ظهرت غرة القمر، وأومض[7] البرق في ليل الشعر رمي فاحم الفود[8] بضده واشتعل المبيض في مسوده، لمع ضوء فرعه، وتفرق شمل جمعه، علاه غار وقائع الدهر، بينا هو راقد في ليل الشباب، أيقظه صبح المشيب، طوى مراحل الشباب، وأنفق عمره بغير حساب، جاوز من الشباب مراحل، وورد من الشيب مناهل، فل[9] الدهر شبا شبابه، ومحاسن روائه، طار غراب شبابه، انتهى شبابه، وشاب أترابه، استبدل بالأدهم[10] الأبلق[11] وبالغراب العقعق[12]، استعاض[13] من الغراب بقادمة النسر، أسفر صبح المشيب، علته أهبة الكبر، نفض جبة الصبا، وتولى داعية الحجا[14]، الشيب زبدة مخضتها الأيام، وفضة محصتها التجارب سرى في طريق الرشد بمصباح الشيب، الشيب خطام المنية، الشيب نذير الآخرة.

---

(1) حيوان يستقبل الشمس ويدور معها كيفما دارت ويتلون ألوانا نحو الشمس.
(2) أذابت.
(3) الجراد.
(4) شدة الحر عند الزوال.
(5) الرياح الحارة.
(6) ليل.
(7) برق ولمع.
(8) معظم شعر الرأس مما يلي الأذن.
(9) هزم.
(10) الأسود.
(11) الأبيض وأصله للرخام.
(12) طائر قدر الحمامة.
(13) جعله عوضا.
(14) العقل.

وصف آلات الكتابة

الدواة ـ المداد ـ الأقلام

الدواة من أنفع الأدوات، وهي للكتابة عتاد[1]، وللخاطر زناد، غدير لا يرد غير الأفهام، ولا يمتح[2] بغير أرشية[3] الأقلام، غدير تفيض ينابيع الحكمة من أقطاره، وتنشأ سحب البلاغة من قراره.

مداد كسواد العين، وسويداء القلب، وجناح الغراب، ولعاب الليل، وألوان دهم الخيل، مداد ناسب خافية الغراب، واستعار لونه من شرخ[4] الشباب.

أقلام جمة المحاسن، بعيدة من المطاعن، أنابيب نسيت رماح الخط في أجناسها، وشاكلت الذهب ألوا ا، وضاهت الحديد في لمعا ا، أقلام كأ ا الأميال استواءً، والآجال مضاءً، بطيئة الخفى قوية القوى قلم لا ينبو[5] إذا نبت الصفاح، ولا يحجم[6] إذا أحجمت الرماح، قلم يسكت واقفًا، وينطق ساكتا.

وصف الخطباء

جلوا بكلامهم الأبصار العليلة، وشحذوا بمواعظهم الأذهان الكليلة، ونبهوا القلوب من رقد ا، ونقلوها عن سوء عاد ا، فشفوا من داء القسوة، وغباوة الغفلة وداووا من العي الفاضح، و جوا لنا الطريق الواضح، خطيب لا تناله حبسة، ولا تر نه لكنة، ولا تتمشى في خطابه رتة[7]، ولا تتحيف[8] بيانه عجمة، ولا تعترض لسانه عقدة، خطيب جواهر نفثاته صحاح، وعرائس أفكاره صباح، خطيب تزينت بدرر ألفاظه عقود الملح، لا عيب فيه إلا أن لفظه عطل الياقوت والدر، خطيب مصقع ينثر لسانه اللؤلؤ المكنون، هو الخطيب المصقع الذي أشخص بآيات خطبه الزاجرة عيون القوم وأبكاها، هو الخطيب المصقع الذي تتلاعب بالعقول معانية، ويصاغ الدر من لفظ فيه، هو الخطيب الذي تز له المنابر، وتنقاد إليه

(1) ما يعده الإنسان لحوادث الدهر.

(2) لا ينـ ـزع.

(3) حبال الدلاء.

(4) ريعانه.

(5) لا يبعد.

(6) لا يتأخر.

(7) العجمة.

(8) بمعنى تنقص.

كلمات السحر متسابقةً، آخذًا بعضها برقاب بعض.

وصف العلماء

بدر العلوم اللائح، وقطرها الغادي والرائح، وثبيرها[1] الذي لا يزحم ومنيرها الذي ينجلي به ليلها الأسحم[2]، أما فنون الأدب فهو ابن بجد ا[3] وأخو جملتها وأبو عذر ا، ومالك أزمتها، تستخرج الجواهر من بحوره، وتحلى لمعات الظروس بقلائد سطوره، وتأليفه عقائل أصبح الدهر من خطا ا، له بدائع مائسات[4] الأعطاف، بحر البيان الزاخر، شيخ المعارف وإمامها ومن في يديه زمامها، لديه تنشد ضوال الأعراب، وتوجد شوارد اللغة والإعراب، مالك أعنة العلوم وناهج طريقها، والعارف بترصيعها وتميقها، الناظم لعقودها، الراقم لبرودها، ا يد لإرهافها[5] العالم بجلائها وزفافها ملك رق الكتابة والإنشاء، وتصرف في فنون الإبداع كيف شاء، عالم يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، صاحب المصنفات التي دلت على وفرة اطلاعه، وغزارة مادته، وحسن بيانه، لم يترك معنى مغلقًا إلا فتح صياصيه[6]، ولا مشكلاً إلا أوضح مبانيه.

وصف البلغاء

فلان يحوك الكلام على حسب الأماني، ويخيط الألفاظ على قدود المعاني، يجتني من الألفاظ أنوارها، ومن المعاني ثمارها، يعبث[7] بالكلام ويقوده بألين زمام، حتى كأن الألفاظ تتحاسد في التسابق إلى خواطره، والمعاني تتغاير في الانثيال[8] على أنامله بليغ نسق[9] من جواهر كلامه أكاليل در، ما لمنظومها سلك بليغ تفك سهام أفكاره الزرد، ناظم سلك البلاغة وقائد زمام البراعة، إذا أوجز أعجز، وإذا شاء أطال، وأطلق من البلاغة العقال، إذا أذكى سراج الفكر، أضاء ظلام الأمر، يستنبط حقائق القلوب، ويستخرج ودائع الغيوب.

(1) المثابر المواظب.
(2) الأسود.
(3) العالم ا المتقن لها.
(4) متبخترات مائلات.
(5) لدقتها ولطفها.
(6) جمع صيصة: الحصن المنيع.
(7) يلعب.
(8) الانصباب.
(9) نظم.

وصف الشعراء والمنشئين ومحاسن النظم والنثر

مقذف حصى القريض وجماره، ومطلع شموسه وأقماره، نثره سحر البيان ونظمه قطع الجمان، طلعت شمس الأدب من أفق أشعاره، وتفجرت ينابيعها من خلال آثاره، شاعر توقدت جمرات أفكاره، شاعر عرائس أفكاره صباح، إن نثر فالنجوم في أفلاكها، أو نظم فالجواهر في أسلاكها، أخذت بمجامع القلوب كلمه، إذا كتب انتسب إليه السحر أصح انتساب، ونسق[1] المعجزات نسق حساب، وارى البدائع بيض الوجوه كريمة الأحساب، إن نثر رأيت بحرا يزخر، وإذا نظم أزرى بنظم العقود بالجوهر، وأتى بأحسن من رقم البرود، إذا كتب ملأ المهارق[2] بيانا، وأرى السحر عيانا، هو الكاتب الذي تحسد أرقام الطراز سطور قلمه، ويود التبر لو كان مداد كلمه، هو الكاتب الذي تنقاد إلى يراعه[3] دقائق المعاني صاغرة بزمام، نثر كنثر الورد، ونظم كنظم العقد، نثر كالسحر أو أدق، ونظم كالماء أو أرق، نثر كما تفتح الزهر، ونظم كما تنفس السحر، رسالة تضحك عن غرر وزهر، وقصيدة تنطوي على حبر ودر، كلام كما هب نسيم السحر، على صفحات الزهر. كتاب مطلعه مطلع أهلة الأعياد، وموقعه موقع نيل المراد، كتاب حسبته يطير من يدي لخفته، ويلطف عن حسي لقلته، صحائف انطوت المحاسن تحت رق منشورها، وصدحت حمائم البلاغة على أغصان سطورها، صحائف تنوب عن الصفائح، وقراطيس تزف إلى الأسماع عرائس الفرائح، صحائف ألبسها الحبر أثوابا من الحبر[4]، ودبجها[5] صوب[6] الفكر، لا صوب المطر.

وصف الأمراء والأشراف

فلان من شرف العنصر الكريم، ومعدن الشرف الصميم[7]، أصل راسخ، وفرع

---

(1) نظم.

(2) جمع مهرق حرير ثوب أبيض ينقى الصمغ منه ويغسل ثم يكتب فيه.

(3) اقلامه.

(4) الحبرات التي تلبسها النساء المصريات إذا خرجن.

(5) نقضها.

(6) المطر.

(7) الخالص.

شامخ[1]، ومجد باذخ[2]، قد ركب الله دوحته[3] في قرارة ا د وغرس نبعته[4] في منبت الفضل، ا د لسان أوصافه، والشرف نسب أسلافه. دوحة رسب[5] عرقها وبسق[6] فرعها وطاب عودها واعتدل عمودها وفيأت ظلالها، و دلت[7] ثمارها وتفرعت أغصا ا، وبرد ميقلها[8]. أمير جيشه الهمم. دوحة مجده وريفة[9] الظل وريقة[10]، أمير لا عيب في نداه[11] إلا أنه يستعبد كل حر. هو غرة الجمال، وصورة الكمال. عقد المناصب به نضيد، أمير عبقت من شمائله نسمات الند، وقطرت من سلسبيل أوصافه مياه ا د، جامع ما تفرق من شمل الفضائل، ناظم ما انتثر من عقد المآثر، أنارت به نجوم المعالي وشموسها، له شرف باذخ تعقد بالنجوم ذوائبه، ألقت إليه الرياسة مقاليدها[12]، وملكته طريفها وتليدها[13]، أمير تفرع من دوحة سناء[14]، وتحدر من سلاله أكابر، ورقاة أسرة ومنابر، مرتضع ثدي ا د، ومفترش حجر الفضل، له صدر تضيق به الدهناء[15]، وتفزع إليه الدهماء[16]، له في كل

---

(1) المرتفع.

(2) العالي.

(3) الشجرة العظيمة.

(4) الشجر أيضا.

(5) نبت.

(6) ارتفع.

(7) تدلت.

(8) مكا ا.

(9) ممتدة متسعة.

(10) مورقة.

(11) عطائه، وهذا نوع من أنواع البديع يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم كقول بعضهم:

ولا عيب في **معروفهم** غير **أنـه** يبين **عجز الشاكرين عـن الشـكْر**

وفي الحقيقة ليس بعيب بل اية في المدح.

(12) مفاتيحها.

(13) حديثها وقديمها.

(14) مجد ورفعة.

(15) الفلاة الواسعة.

(16) جماعة الناس.

مكرمة غرة الإصباح، وفي كل فضيلة قادمة الجناح، له صورة تستنطق الأفواه بالتسبيح، ويترقرق فيها ماء الكرم، وتقرأ فيها صحيفة البشر، ينابيع الجود تتفجر من أنامله، وربيع السماك يضحك من فواضله، له أخلاق خلقن من الفضل وشيم تشام[1] منها بوارق ا ـد، أرج[2] الزمان بفضله، وعقم النساء عن الإتيان بمثله، ماله للعفاة[3] مباح، وفعاله[4] في ظلمة الدهر مصباح، مناقب تشدخ[5] في جبينها غرة الصباح، وتتهادى أنباءها[6] وفود الرياح، سألت عن أخباره فكأني حركت المسك فتيقًا، وصبحت الروض أنيقًا[7] هو رائش[8] نبلهم ونبعة[9] فضلهم، وواسطة[10] عقدهم، له همة علا جناحها إلى عنان النجم، وامتد صباحها من شرق إلى غرب، همته أبعد من مناط[11] الفرقد، وأعلى من منكب الجوزاء[12]، موضعه من أهل الفضل موضع الواسطة من العقد، وليلة التم من الشهر، بل ليلة القدر إلى مطلع الفجر، هطلت علي سحائب عنايته، ورفرفت حولي أجنحة رعايته، وقد استظهرت على جور الأيام بعدله، واستترت من دهري بظله، قد غرقتني نعمه حتى استنفدت شكر لساني ويدي، وتتابعت نعمه تتابع القطر على القفر، وترادفت مننه ترادف اليسر إلى ذوي الفقر، له أياد قد عمت الآفات، وطوقت الأعناق أيادٍ قد حبست عليه الشكر، واستعبدت له الحر. منن توالت توالي القطر، واتسعت سعة البر والبحر، وأثقلت كاهل الحر.

وصف القلم

القلم أحد اللسانين، وهو المخاطب للغيوب، بسرائر القلوب، على لغاتٍ مختلفةٍ من

---

(1) تنظر.
(2) فاحت منه رائحة طيبة.
(3) الطالبون للعطاء.
(4) بفتح الفاء: كرمه.
(5) تفلق.
(6) أحبارها.
(7) معجبا.
(8) السهم ذو الريش.
(9) الشجرة.
(10) ما تكون وسط العقد وهي أحسنه.
(11) محل علاقته.
(12) برج في السماء.

معانٍ معقولة، بحروف معلومة، متباينات الصور مختلفات الجهات، لقاحها التفكر ونتاجها التدبير، تخرس منفردات، وتنطق مزدوجات بلا أصوات مسموعة، ولا ألسن محدودة، ولا حركات ظاهرة. خلا قلم حرف باريه قطته، ليتعلق المداد به، وأرهف جانبيه ليرد ما انتشر عنه إليه، وشق رأسه ليحتبس المداد عليه، فهنالك استمد القلم بشقه، ونثر في القرطاس بخطه حروفًا أحكمها التفكر وأولى الأسماع ا الكلام الذي سداه العقل، وألحمه اللسان و ستة اللهوات، وقطعته الأسنان، ولفظته الشفاه، ووعته الأسماع عن أنحاء شتى من صفات وأسماء. قال البحتري:

عِنـانٌ بـأطْراف القـوافي كأنّـه طِعانٌ بأطراف القَنـا المتكسـر[1]

وقال ابن المقفع: "القلم بريد القلب: يخبر بالخبر، وينظر بلا نظر".

وقال أبو دلف: "القلم صائغ الكلام يفرغ ما يجمعه العلم".

وقال الجاحظ: "الدواة منهل، والقلم ماتح، والكتاب عطن".

وقال سهل بن هارون: "القلم أنف الضمير، إذا رعف أعلن وأبان آثاره".

وقال عمرو بن مسعدة: "الأقلام مطايا الفطن".

وقال المأمون: "لله در القلم كيف يحوك وشي المملكة".

وقال جالينوس: "القلم طبيب المنطق".

وقال أحمد بن عبد الله: "القلم راقد في الأفئدة مستيقظ في الأفواه".

وقيل: "عقول الرجال تحت أقلامها".

وقال آخر: "القلم أصم يسمع النجوى. وأخرس يفصح بالدعوى. وجاهل يعلم الفحوى".

وقال أحمد بن يوسف: "عبرات الأقلام في خدود كتبها أحسن من عبرات الغواني في صحون خدودها".

وقال أيضا: "القلم لسان البصر يناجيه بما استتر عن الأسماع؛ إذا نسج حلله، وأودعها حكمه".

وقال العتابي: "الأقلام مطايا الأذهان".

---

(1) البيت من قصيدته التي مطلعها:

فِداؤكَ نفسي دونَ رهطي ومعشري ومبداي مِن علْو الشامِ ومحضري

وقال عبد الحميد: "القلم شجرة ثمر ا الألفاظ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة".

وقيل: "بري القلم يروى القلوب الظمئة".

وقال ابن أبي دؤاد: "القلم سفير العقول، ورسوله الأنبل، ولسانه الأطول، وترجمانه الأفضل".

وقال أيضا: "القلم الدنيا والآخرة".

وقال آخر: "بنوء القلم تصوب الحكمة".

قال ابن ميثم: "من جلالة شأن القلم أنه لم يكتب لله تعالى كتاب قط إلا به".

وقالوا: "القلم قسيم الحكمة".

وقال يحيى بن خالد البرمكي: "الخط صورة روحها البيان، ويدها السرعة وقدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفصول".

ووصف أحمد بن إسماعيل خطًا حسنا فقال: "لو كان نباتا لكان زهرا؛ ولو كان معدنا لكان تبرا، أو مذاقًا لكان حلوا، أو شرابا لكان صفوا".

وقال إقليدس: "الخط هندسة روحانية، وغن ظهرت بآلةٍ جسمانية" أخذه النظام فقال: "الخط أصل في الروح وإن ظهر بالجسد".

وقال بعض الملوك اليونانية: "أمر الدين والدنيا تحت شيئين: قلم وسيف، والسيف تحت القلم".

وقال أفلاطون: "الخط عقال العقل".

وقال أرسطاليس: "القلم العلة الفاعلة والمداد العلة الهيولانية والخط العلة الصورية، والبلاغة العلة السامية".

سئل بعض الكتاب عن الخط: متى يستحق أن يوصف بالجودة؟ فقال: "إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفه ولامه، واستقامت سطوره، وضاهى صعوده حدوره، وتفتحت عيونه، ولم تشبه راءه نونه، وأشرق قرطاسه، وأظلمت أنفاسه، ولم تختلف أجناسه، وأسرع إلى العيون تصوره، وإلى العقول ثمره، وقدرت فصوله، واندمجت وصوله، وتناسب رقيقه وجليله، وخرج عن نمط الوراقين، وبعد عن تصنع المحبرين، وقام لكاتبه مقام النسبة والحلية".

وقالوا: "القلم أحد اللسانين، والعم أحد الأبوين، والتثبت أحد العفوين، والمطل أحد المنعين، وقلة العيال أحد اليسارين، والقناعة أحد الرزقين، والوعيد أحد الضربين، والإصلاح أحد الكسبين، والرواية أحد الهاجيين، والهجر أحد الفراقين، واليأس أحد النجحين، والمزاح

أحد السبابين".

وقال آخر: "مساق الدنيا بسين وقافٍ فيقال سق" يريد السيف والقلم.

وقال آخر: "القلم لسان اليد".

حدثني يحيى البحتري قال: حدثنا أبي عن ابن الترجمان – وكان الواثق أنفذه إلى ملك الروم ـدايا – قال: وافقت لهم عيدا، فرأيتهم قد علقوا على باب بيعتهم كتبا بالعربية منشورة، فسألت عنها: فقيل: هذه كتب المأمون بخط أحمد بن أبي خالد الأحول، استحسنوا صوره وتقديره فجعلوه هكذا. فحدثت أنا ـذا الحديث أبا عبيد الله محمد بن داود بن الجراح فقال: هذا حق، قد كتب سليمان بن وهب كتابا إلى ملك الروم في أيام المعتمد فقال: ما رأيت للعرب شيئًا أحسن من هذا الشكل، ولست أحسدهم على شيء حسدي إياهم عليه، والطاغية لا يقرأ العربي، وإنما راقه اعتداله وهندسته وحسن موقعه ومراتبه.

وقال هشام بن الملك الأعرابي: انظر، كم على هذا الميل من عدد الأميال، وكان الأعرابي لا يحسن أن يقرأ فمضى ونظر ثم عاد فقال: رأيت كرأس المحجن متصلاً بحلقة صغيرة، تتبعه ثلاثة كأطباء الكلبة، تفضي إلى هنة كأ ا رأس قطاة بلا منقار. ففهم بوصفه أ ا خمسة.

حدثني يعقوب بن بيان الكاتب قال: قال بعض الكتاب "القلم الرديء كالولد العاق".

وقالوا: "رداءة الخط إحدى الزمانتين كما أن حسنه إحدى البلاغتين" حدثني طلحة بن عبد الله قال:

اعتذر رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر من شيء بلغه عنه، فرأى خطه قبيحا، فوقع في رقعته: "أردنا قبول عذرك، فاقتطعنا عنه ما قابلنا من قبح خطك ولو كنت صادقًا في اعتذارك لساعدتك حركة يدك، أو ما علمت أن حسن الخط يناضل عن صاحبه بوضوح الحجة، ويمكن له درك البغية"؟

وكان أبو هفان عبد الله بن أحمد المهتزمي من أقبح الناس خطًا، وكان يبتدئ الخط من رأس الورقة ويعوج سطوره حتى يبقى آخر سطر في الورقة كلمةً واحدةً، فرثاه يحيى بن علي فقال في مرثيته:

مـع خـطّ كأنـه أرجـلُ الـبطّ أو الخَـ ـطّ في ذوي الفِتيـ ـ ـان

قالوا: "رداءة الخط زمانة الأديب".

نظر عبد الله بن طاهر إلى خط بعض كتابه فلم يرضه، فقال: "نحوا هذا عن مرتبة

الديوان فإنه عليل الخط، ولا يؤمن أن يعدي غيره".

أنشدني العز بن الحسن بن علي في قبح الخط:

جزعــت مــن قُبــْح خطــي وفيـــه وضعـــي وحطـــي

رجعــت مــن بعــد حــذقي إلــى تعــلم خطــي

حدثنا أبو العباس الربعي قال: حدثنا الطلحي قال: حدثني أحمد بن إبراهيم قال: دخل على الرشيد أعرابي فأنشده أرجوزة - وإسماعيل بن صبيح يكتب بين يديه كتابا، وكان أحسن الناس خطا، وأسرعهم يدا - فقال الرشيد للأعرابي: صف هذا، فقال له: ما رأيت أطيش من قلمه، ولا أثبت من حلمه، ثم قال:

لــه قلم بؤسي ونعمــي كلاهمــا سـحابته في الحالتــين درور

يناجيك عمــا في ضمــيرك لحظُــه ويفتح باب النجاح وهــو عســير

فقال الرشيد: "قد وجب لك يا أعرابي عليه حق، وهو يقضيك إياه، وحق علينا فيه نحن نقوم به، ادفعوا إليه دية الحر" فقال له: "على عبدك دية العبد".

جاء يوما عبد الله بن المعتز في المسجد الجامع إلى أبي العباس أحمد بن يحيى ليسلم عليه فقام لــه وأجلسه مكانه، فداس ابن المعتز قلما فكسره، فلما جلس قال لمن حوله:

لكفي ثــأر عنــد رجلــي لأ ــا أثارت قتيلاً مــا لأعظمــه جــبر

فعجب الناس من سرعة بديهته.

وأهدى رجل إلى إبراهيم بن المدبر قلما وكتب إليه:

قد وجهت إليك أعزك الله بمفاتح العلوم، بادٍ جمالها، تام كمالها، فهي كما قال الشاعر:

ليس فيهــا مــا يقــالُ لــه كملــت لــو أن ذا كمــلا

كــل جــزءٍ مــن محاسنــها كــائن مــن حسنــه مــثلا

وقال أحمد بن إسماعيل:

وإذا نمنمــت بنانــك خطــا معــربا عن إصــابةٍ وســدادِ

عجب الناس مــن بيــاض معــانٍ يجتنى مــن ســواد ذاك المِــدادِ

حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي قال: حدثني أبو هفان قال: سألت وراقًا عن حاله فقال: "عيشي أضيق من محبرةٍ، وجسمي أدق من مسطرةٍ، وجاهي أرق من الزجاج، ووجهي عند

الناس أشد سوادا من الحبر، وحظي أحقر من شق القلم، وبدني أضعف من قصبة، وطعامي أمر من العفص، وسوء الحال ألزم لي من الصبغ" فقلت له: عبرت عن بلاء ببلاء[1].

وسئل وراق عن حاله فقال:

وإذا كُنت بالليل لا أكْتب	**وطُولَ النهار أنا ألعب**
فَطَورا يبطِلُني مأكَلٌ	**وطَوْرا يبطلني مشرب**
فإنْ دام هذا على ما أرى	**فَبيتي أولُ ما يخرب**

وصف الكتاب

الكتاب نعم الأنيس في ساعة الوحدة، ونعم المعرفة في دار الغربة، ونعم القرين والدخيل، ونعم الزائر والنزيل، وعاء مليء علما وظرفًا، وإناء مليء مزحا وجدا، وحبذا بستان يحمل في خرج، وروض يقلب في حجر، هل سمعت بشجرة توتي أكلها كل حين بألوان مختلفة وطعوم متباينة؟ هل سمعت بشجرة لا تذوى وزهر لا يتوى[2] وثمر لا يفنى، ومن لك بجليس يفيد الشيء وخلافه، والجنس وضده، ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء، إن غضبت لم يغضب وإن عربدت لم يصخب[3]، أكتم من الأرض وأنم من الريح وأهوى من الهوى، وأخدع من المنى، وأمتع من الضحى، وأنطق من سحبان وائل، وأعيى من باقل[4] هل سمعت بمعلم تحلى بخلال كثيرة وجمع أوصافًا عديدةً عربي فارسي يوناني هندي سندي رومي، إن وعظ أسمع، وإن ألهى أمتع، وإن أبكى أدمع وإن ضرب أوجع، يفيدك ولا يستفيد منك، ويزيدك ولا يستزيد منك. إن جد فعبرة، وإن مزح فنزهة. قبر الأسرار ومخزن الودائع، قيد العلوم وينبوع الحكم، ومعدن المكارم ومؤنس لا ينام - يفيدك علم الأولين،

---

(1) ومثله قول قائلهم:

تبا لرزق نَازلٌ	**من شق هذي القصبة**
تبا له، تبا له	**ما أتعبه، ما أتعبه**

(2) يتوى: يهلك.

(3) لم يصوت.

(4) رجل من إياد يضرب به المثل في العي، ومن عيه أنه اشترى ظبيا فحمله على عاتقه، فسئل عن ثمنه، فحل عنه يديه وفتح أصابعه وأشار ا، وأخرج لسانه، يريد أنه بأحد عشر درهمًا، ولم يلهم أن يخبر عن سعره بلسانه، فصار عِيه مثلاً.

ويخبرك عن كثير من أخبار المتأخرين - هل سمعت في الأولين أو بلغك أن أحدا من السالفين جمع هذه الأوصاف مع قلة مؤنته؟ وخفة محمله، لا يرزؤك[1] شيئًا من دنياك، نعم المدخر لعدة[2]، والمشتغل والحرفة، جليس لا يطريك[3] ورفيق لا يملك، يطيعك في الليل طاعته في النهار، ويطيعك في السفر طاعته في الحضر، إن أطلت النظر إليه أطال إمتاعك[4] وشحذ[5] طباعك، وبسط لسانك وجود بيانك، وفخم ألفاظك، إن ألفته خلد على الأيام ذكرك، وإن درسته رفع في الخلق قدرك، وإن نعته نوه عندهم باسمك، يقعد العبيد في مقاعد السادات، ويجلس السوقة في مجالس الملوك، فأكرم به من صاحب، وأعزز به من موافق.

(1) لا ينقصك.
(2) ما يعده الإنسان لحوادث الدهر من سلاح وغيره.
(3) لا يمدحك.
(4) انتفاعك.
(5) أحدها وأقواها.

وصف عاصفة لجلال الدين السيوطي
المتوفى سنة 911 هـ

أتى عارض في ليلة الجمعة التاسعة من جمادى الآخرة، وكانت فيه ظلمات متكاثفة وبروق خاطفة ورياح عاصفة، فقويت أهويتها، واشتد هبو ا فتدافعت لها أعنة مطلقات، وارتفعت لها صواعق مصعقات، فرجفت لها الجدران واصطفقت، وتلاقت على بعدها واعتنقت، وثار بين السماء والأرض عجاج فقيل لعل هذه على هذه أطبقت، وتحسب أن جهنم قد سال منها وادٍ وعدا منها عادٍ، وزاد عصف الرياح إلى أن انطفأت مصابيح النجوم، ومزق أديم السماء ومحي ما فوقه من الرقوم، لا عاصم من الخطف للأبصار، ولا ملجأ من الخطب إلا معاقل الاستغفار، وفر الناس نساءً ورجالاً، ونفروا من دورهم خفافًا وثقالاً، لا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً، فاعتصموا بالمساجد الجامعة، وأذعنوا للنازلة بأعناق خاضعة، ووجوه عانية، ونفوس عن الأهل والمال سالية، ينظرون من طرف خفي، ويتوقعون أي خطبٍ جلي، قد انقطعت من الحياة علقهم وعميت عن النجاة طرقهم، ووقعت الفكرة فيما هم عليه قادمون، وقاموا إلى صلا م وودوا أن لو كانوا من الذين هم عليها دائمون، إلى أن أذن الله في الركود وأسعف الهاجدين بالهجود.

وأصبح كل يسلم على رفيقه، ويهنئه بسلامة طريقه، ويرى أنه قد بعث بعد النفخة، وأفاق بعد الصيحة والصرخة، وأن الله قد رد له الكرة وأدبه بعد أن كاد يأخذه على غيره؛ ووردت الأخبار بأن كسرت المراكب في البحار، والأِشجار في القفار، وأتلف خلق كثير من السفار، ومنهم من فر فلم ينفعه الفرار.

وصف العلم لبديع الزمان الهمذاني
المتوفى سنة 398هـ

العلم شيء بعيد المرام، لا يصاد بالسهام، ولا يقسم بالأزلام[1]، ولا يرى في المنام ولا

11) الأزلام: جمع زلم - بفتح الزاي أو ضمها مع فتح اللام - وهي سهام لا نصل لها ولا ريش. كان العرب إذا أرادوا القمار أحضروا جزورا فنحروها وقسموا لحمها إلى ثمانية وعشرين قسما، ثم اتوا بعشرة أزلام، فرسموا على واحد منها خطًا، وعلى الثاني خطين، وعلى الثالث ثلاثة، وهكذا إلى السابع، فيكون عليه سبعة وهو المسمى بالقدح المعلى، وتبقى ثلاثة غفلاً لا يرسم عليها شيء، ثم يضعون الجميع في خريطة ويدخل رجل يده فيها فيخرج زلمًا باسم واحد من المقامرين، فإن كان مرسوما له عليه شيء أخذ من أقسام اللحم بقدره، وإن كان غفلاً غرم ثمن الجزور. والمقصود من هذه العبارة أن العلم لا ينال بطريق البحث والمصادفة، كما ينال اللحم المقسوم.

يضبط باللجام، ولا يكتب للئام، ولا يورث عن الآباء والأعمام.

وزرع لا يزكو[1] إلا متى صادف من الحزم ثرى طيبا، ومن التوفيق مطرا صيبا، ومن الطبع جوا صافيا، ومن الجهد روحا[2]، دائما، ومن الصبر سقيا نافعا.

وغرض لا يصاب إلا بافتراش المدر[3]، واستناد الحجر، ورد الضجر، وركوب الخطر، وإدمان السهر، واصطحاب السفر، وكثرة النظر، وإعمال الفكر.

وصف رجل لخصمه

كان أحمد بن يوسف[4] متصرفًا عن غسان بن عباد، وجرت بينهما هنات[5] بحضرة المأمون، ثم قال المأمون يوما لخاصة أصحابه: "أخبروني عن غسان بن عباد، فإني أريده لأمر جسيم" وكان قد عزم على تقليده السند. فتكلم كل بما عنده في مدحه، فقال أحمد بن يوسف: هو أمير المؤمنين رجل محاسنه أكثر من مساويه، لا يتطرق[6] إلى أمرٍ إلا تقدم فيه، ومهما تخوف عليه فإنه لن يأتي أمرا يعتذر منه، لأنه قسم أيامه بين أفعال الفضل، فجعل لكل خلق نوبة[7] إذا نظرت في أمره لم تدر أي حالاته أعجب: أما هداه إليه عقله؟ أم ما اكتسبه بأدبه؟ فقال له المأمون: لقد مدحته على سوء رأيك فيه. قال: لأني في أمير المؤمنين كما قال الشاعر:

كفى ثمنًا لما أسديت أني ... نصحتك في الصديق وفي عدائي

وإني حين تندبني لأمرٍ ... يكون هواك أغلب من هوائي[8]

---

(1) يزكو: ينمو ويطيب.

(2) الروح - بفتح فسكون - نسيم الريح.

(3) المدر: قطع الطين اليابس، وافترش المدر: نام عليه.

(4) كاتب بليغ من كتاب المأمون، وكان بارعا في الرسائل، ويكنى، أبا جعفر.

(5) الهنات: جمع هنة، وقد تجمع على هنوات، والمراد: أمور.

(6) تطرق إلى الأمر: ابتغى إليه طريقًا.

(7) النوبة: الفرصة والدولة والمرة، جمعها نوب كغرف.

(8) يريد هواي، ومده للضرورة.

وصف أبي دلف لعبد الله بن طاهر

دخل أبو دلف[1] على المأمون بعد الرضا عنه، فسأله عن عبد الله بن طاهر[2] فقال: خلفته يا أمير المؤمنين أمين غيب، نصيح جيب[3]، أسدا عاتيا قائما على براثنه، يسعد به وليك، ويشقى به عدوك، رحب الفناء لأهل طاعتك، ذا بأسٍ شديد لمن زاغ عن قصد محجتك، وقد فقهه الحزم، وأيقظه العزم، فقام في نحر الأمور على ساق التشمير، يبرمها بأيده[4] وكيده، ويفلها بجده وجده، وما أشبهه في الحرب إلا بقول العباس بن مرداس[5]:

أشد علـى الكتيبـة لا أبـالي ... أحتفي كـان فيهـا أم سـواها

فقال قائل: ما أفصحه على جبليته! فقال المأمون: إن بالجبل[6] قوما أمجادا[7] كراما أنجادا[8]، وإ م ليوفون السيف حظه يوم النـزال، والكلام حقه يوم المقال.

وصف أعرابي لرجل

وصف أعرابي رجلاً فقال:

---

(1) أبو دلف - كعمر - هو القاسم بن عيسى البكري من قواد المأمون ثم المعتصم، وكان جوادا شجاعا، وفيه يقول الشاعر:

إنمـا الـدنيا أبـو دلـف ... بـين باديـه ومحتضـره

فـإذا ولى أبـو دلـف ... ولـتِ الـدنيا علـى أثـره

توفي سنة 226هـ.

(2) هو عبد الله بن طاهر بن الحسن، من كبار ولاة المأمون ولي مصر مدة سنتين تقريبا. قال صاحب كتاب أدب الخواص: إن البطيخ العبد لاوي الموجود بالديار المصرية منسوب إليه، اهـ.

(3) يقال: هو ناصح الجيب، أي القلب والصدر.

(4) الأيد: القوة.

(5) العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، من مضر، أبو الهيثم (توفي 18 هـ/639 م) شاعر فارس، من سادات قومه، أمه الخنساء الشاعرة، أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم قُبيل فتح مكة، وكان من المؤلفة قلو م وكان ممن ذم الخمر وحرمها في الجاهلية، والشعر من مقطوعة مطلعها:

ألا من مبلغٌ عني خفافا ... ألوكاً بيت أهلك منتهاها

(6) الجبل: بلاد بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وبلاد الديلم.

(7) الأمجاد - جمع ماجد أو مجيد، كأشهاد في شاهد وشهيد - والماجد وا يد: الحسن الخلق السمح.

(8) الأنجاد -جمع نجد بكسر الجيم أو ضمها- وهو الشديد البأس، ومن كلام علي: أما بنو هاشم فأنجاد أمجاد.

إن سأل ألحف، وإن سئل سوف، وإذا وعد أخلف، وإذا صنع أتلف، وإذا هم بالفعل الجميل توقف، ينظر بنظر الحسود، ويعرض إعراض الحقود، بينما هو خل ودود، إذ هو خل ودود، فناؤه[1] شاسع، وضيفه جائع، وشره شائع، وسره ذائع، ولونه فاقع[2]، وجفنه دامع، ودياره بلاقع، رديء المنظر، سيئ المخبر، يبخل إذا أيسر، ويهلع[3] إذا أعسر، ويكذب إذا أخبر، إن عاهد غدر، وإن خاصم فجر، وإن خوطب نفر.

وصف الإمام العادل

كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه لما ولي الخلافة إلى الحسن ابن أبي الحسن البصري، أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن:

اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف. والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويزودها عن مراتع المهلكة، ويحميها من السباع، ويكنفها من أذى الحر والقر، والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغارا، ويعلمهم كبارا، يكتسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد مماته، والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالأم الشفيقة، الرفيقة بولدها حملته كرها ووضعته كرها وربته طفلا، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارةً، وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته، والإمام العادل يا أمير المؤمنين، وصي اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغيرهم ويمون كبيرهم، والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالقلب بين الجوانح، تصلح الجوانح بصلاحه، وتفسد بفساده، والإمام العادل يا أمير المؤمنين، هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال، وشرد العيال، فأفقر أهله وفرق ماله.

---

(1) فناء البيت: الساحة أمامه، وجمعه أفنية والشاسع: البعيد، والجملة كناية عن أنه بخيل، لأن من عادة البخيل عندهم أن يبني خباءه بعيدا عن الحي حتى لا يقصد، قالت الفارعة:

ولا يحل إذا ما حـل منتشـبا … يخشى الرزية بين الماء والبـادي

(2) الفاقع: الشديد الصفرة، وربما أكد به الأبيض.

(3) الهلع: أشد الجزع.

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر ا عن الخبائث والفواحش، فكيف إذا أتاها من يليها؟! وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص منهم؟!

واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده، وأنصارك عليه، فتزود لـه ولما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين، أن لك منـزلاً غير منـزلك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحباؤك يسلمونك في قعره فريدا وحيدا، فتزود لـه ما يصحبك، **يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه** .

واذكر يا أمير المؤمنين، **إذا بعثر ما** في **القبور، وحصل ما** في **الصدور** فالأسرار ظاهرة، والكتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة إلا أحصاها، فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل.

لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك م سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين، فإ م لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فتبوء بأوزارك وأوزارٍ مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك، ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك، ولا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غدا، وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، **وقد عنت الوجوه للحي القيوم** .

إني يا أمير المؤمنين، وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهي من قبلي فلم آلك شفقة ونصحا، فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه، يسقيه الأدوية الكريهة، لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة.

وصف عمرو بن العاص مصر
لسيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

مصر تربة غبراء، وشجرة خضراء، طولها شهر، وعرضها عشر[1]، يخط وسطها ر ميمون الغدوات، مبارك الروحات، يجري بالزيادة والنقصان كجري الشمس والقمر، لـه أوان تظهر به عيون الأرض وينابيعها، حتى إذا أصلح عجاجه، وتعظمت أمواجه، لم يكن وصول أهل القرى إلى بعض إلا في خفاف القوارب[2] وصغار المراكب، فإذا تكاملت زيادته

(1) أي عشر ليال، لأن عادة العرب السير في الليل.

(2) السفن الصغيرة.

نكص[1] على عقبيه كأول ما بدأ في شدته، وطما[2] في حيدته، فعند ذلك يخرج القوم ليحرثوا بطون أوديته وروابيه فيبذرون الحب، ويرجون الثمار من الرب، حتى إذا أشرق وأشرف، سقاه من فوقه الندى، وغذاه من تحته الثرى، فعند ذلك يدر حلابه، ويغني ذبابه، فبينما هي يا أمير المؤمنين درة بيضاء، إذا هي عنبرة سوداء، فإذا هي زبرجدة خضراء، فتبارك الله الفعال لما يشاء.

وصف حرب
لأبي منصور النيسابوري المتوفى سنة 429هـ

عندما دارت رحا الحرب، صمتت الألسنة، ونطقت الأسنة، وخطبت السيوف على منابر الرقاب، وأقدمت الرماح على الخطط الصعاب، وتلاصقت القنا والقنابل[3]، وتعانقت الصوارم[4] والمناصل وبلغت القلوب الحناجر وأدركت السيوف المناحر، وضاق ا ال، وتحكمت الآجال، فلا ترى إلا رءوسا تندر[5] ودماء در، وأعضاء تتطاير وتتناثر، وأجساما تتزايل وتتمايل حتى ثملت الرماح من الدماء، فتعثرت في النحور، وتكسرت في الصدور، فرجعوا الأعداء من جوانبهم، وتمكنوا من فض مواكبهم.

---

(1) رجع.
(2) ارتفع.
(3) القنا: الرماح، والقنابل: جمع قنبل ما بين الخمسين فصاعدا من الخيل.
(4) السيوف القاطعة، وكذا المناصل.
(5) تسقط.

وصف المطر شعرًا لأبي الفضل الميكالى(1)

مع مقدمة لعمر بن علي المطوعي في وصف ذلك المطر نثرًا

حكى عمر بن علي المطوعي[2] قال: رأى الأمير السيد أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد أدام الله عزه أيا مقامه بجوين[3] أن يطالع قرية من قرى ضياعه[4] تدعى "بجاب" على سبيل التنـزه والتفرج، فكنت في جملة من استصحبه إليها من أصحابه، واتفق أن وصلنا والسماء مصحية[5]، والجو صاف، لم يطرز ثوبه بعلم الغمام[6] والأفق فيروزج لم يعبق به كافور السحاب[7] فوقع الاختيار على ظل شجرة باسقة الفروع[8]، متسعة الأوراق والغصون، قد سترت ما حواليها من الأرض طولاً وعرضا، فنـزلنا تحتها مستظلين بسماوة أفنا ا[9] مستترين من وهج الشمس[10] بستارة أغصا ا، وأخذنا نتجاذب أذيال المذاكرة[11]، ونتسالب أهداب المناشدة والمحاورة[12]، فما شعرنا بالسماء إلا وقد أرعدت وأبرقت[13]

(1) عبيدالله بن أحمد بن علي الميكالي أبو الفضل (توفي 436 هـ/1045 م) أمير من الكتاب الشعراء، من أهل خراسان، صنف الثعالبي (ثمار القلوب) لخزانته وأورد في يتيمة الدهر محاسن ما نثره ونظمه.

(2) عمر بن على المطوعي، أبو حفص (توفي 440 هـ / 1048 م) أديب، له شعر رقيق من أهل نيسابور، خدم في شبابه الأمير أبا الفضل الميكالي وصنف كتاب (درج الغرر ودرج الدرر) في محاسن نظم الميكالي ونثره.

(3) كورة بخراسان، وبلدة بسرخس من بلاد فارس.

(4) الضياع: جمع ضيعة، وهي العقار والأرض المغلة.

(5) لا غيم فيها.

(6) عبارة عن خلو الجو من السحاب.

(7) أي لونه مثل الفيروزج وهو الزرقة، ولم يعبق به: لم يلصق به، والكافور: طيب يستخرج من شجر كبير، ولون هذا الطيب يصير أبيض بعد عملية تعمل فيه. والمعنى: أنه لا يرى شيئا من السحاب في الأفق.

(8) طويلتها.

(9) الأفنان الغصون، وسماو ا: يعني أوراقها العريضة المتلاحمة تلاحما يجعلها تشبه السقوف.

(10) وهج الشمس: شدة حرها وتوقدها.

(11) عبارة عن تذاكرهم.

(12) عبارة عن تناشدهم الأشعار وتحاور بعضهم مع بعض تحاورا أدبيا.

(13) يقال: رعدت وبرقت أي جاء بالرعد والبرق، وأرعدت وأبرقت يعني ددت بالرعد وتوعدت بالبرق.

وأظلمت بعدما أشرقت، ثم جادت بمطر كأفواه القرب، فأجادت[1] وحكت أنامل الأجواد، بل أوفت عليها وزادت[2]، حتى كاد غيثها يعود عيثًا[3] وهم وبلها أن يستحيل ويلا[4] فصبرنا على أذاها وقلنا سحابة صيف عن قليل تقشع[5] فإذا نحن قد أمطرتنا برد الثغور، لكنها من ثغور العذاب[6] لا من الثغور العذاب[7]، فأيقنا بالبلاء، وسلمنا لأسباب القضاء[8]، فما مرت ساعة من النهار، حتى سمعنا خرير الأ ار[9] ورأينا السيل قد بلغ الزبى[10] والماء قد غمر القيعان والربـا[11] فبادرنا إلى حصن القرية، لائذين من السيل بأفنيتها[12]، وعائذين من القطر بأبنيتها[13] وأثوابنا قد صندل كافورها ماء الوبل[14]، وغلف طرازها طين الوحل[15]، ونحن نحمد الله تعالى على سلامة الأبدان، وإن فقدنا بياض الأكمام

---

(1) جادت: تكرمت، وأجادت: أحسنت.

(2) حكت: شا ت، وأنامل الأجواد: المقصود أيدي الكرام، ومحاكا ا لأيدي الكريم يعني مشا تها لأيديهم في السخاء، وأوفت وزادت بمعنى واحد.

(3) الغيث: المطر، والعيث: الإفساد.

(4) الوبل المطر العظيم القطرات، والويل: الشر.

(5) أي لا تمكث إلا قليلاً وتذهب.

(6) البرد - بفتحات - قطرات المطر المتجمدة تنـزل على الأرض كالحب في شكل الثلج أو الجليد. تشبه به أسنان الغواني وثناياها عند افترار الثغور، والثغر: الفم، وثغور العذاب: فتحاته.

(7) من الثغور العذبة الريق.

(8) وخضعنا لحكم المقادير.

(9) يعني جرى الماء بشدة، فصار يسمع له صوت كصوت مياه الأ ار.

(10) السيل: الماء العظيم الذي يتجمع من المطر، ويسيل بشدة. والزبى - جمع زبية - وهي الأرض المرتفعة ارتفاعا عظيما بحيث لا يعلوها الماء عادة، أو حفرة تحفر فيها ليصاد فيها الأسد.

(11) الربا - جمع ربوة - الأرض المرتفعة ارتفاعا، والقيعان - جمع قاع - وهو الأرض السهلة المطمئنة التي انفرجت عنها الجبال والآكام.

(12) فبادرنا: أسرعنا، والحصن: الموضع الحصين المنيع، الذي لا يوصل إلى جوفه، ولائذين: مجتمعين متحصنين، والأفنية - جمع فناء - وهو المتسع أمام الدار.

(13) عائذين: ملتجئين، والقطر: ما نزل من ماء المطر، والأبنية: المباني.

(14) صندل: استعمله متعديا بمعنى جعل لون الصندل أحمر ضاربا إلى السواد، والكافور والوبل تقدم معناهما.

(15) غلف الشيء: جعل لـه غلافًا أي حجابا وسترا، والطراز: رسم الثوب، والمعنى: أن رسم الثوب ستره الطين المتناثر من الوحل.

الأكمام والأردان[1]، ونشكره على سلامة الأنفس والأرواح، شكر التاجر على بقاء رأس المال، إذا فُجِع بالأرباح[2] فبتنا تلك الليلة تحت سماء تكِف ولا تكُف[3]، وتبكي علينا إلى الصباح بأدمع هوام[4]، وأربع سجام[5] فلما سل سيف الصبح من غمد الظلام[6]، وصرف بوالي الصحو عامل الغمام[7]، رأينا صواب الرأي أن نوسع الإقامة رفضا[8] ونتخذ الارتحال عنا فرضا، فما زلنا نطوي الصحاري أرضا فأرضا، إلى أن وافينا المستقر ركضا[9]، فلما نفضنا غبار ذلك المسير[10]، الذي جعلنا في ربقة الأسير[11]، وأفضينا إلى ساحة التيسير[12] بعد ما أصبنا بالأمر العسير، وتذاكرنا ما لقينا من التعب والمشقة، في قطع ذلك الطريق وطي تلك الشقة[13] أخذ الأمير[14] السيد أطال الله بقاءه القلم فعلق هذه الأبيات ارتجالاً:

دهتنا السماءُ غَداةَ السحاب ... بغيثٍ على أُفْقِه مسبلِ[15]

(1) الأردان: أصول الأكمام.
(2) أي أوجع بعدم الأرباح وفقد المكاسب.
(3) تكف: تقطر، ولا تكف: لا ينقطع مطرها.
(4) هوام - جمع هام - من همى يهمى بمعنى سال.
(5) لعله يريد أربع نواح يقطر منها الماء كثيرا.
(6) أي الصبح الشبيه بالسيف، والظلام الشبيه بالغمد.
(7) الوالي: العامل أو الحاكم، والمعنى أزال الصحو الغمام.
(8) أي أن نرفض الإقامة رفضا باتا.
(9) وافينا: اتينا والمستقر: السكن، وركضا: يعني عدوا، وجريا على الأقدام.
(10) يعني لما أزلنا وسخ هذا السير بمعنى استرحنا.
(11) الربقة: عروة تجعل في حبل مع عرى غيرها، ويربط في هذا الحبل (ويسمى الربق) أولاد الضأن والمعز والبقر.
(12) أفضينا: وصلنا: والساحة: رحبة واسعة بين الدور، والتيسير: بمعنى اليسر والتسهيل.
(13) وطي تلك الشقة أي قطع تلك المسافة.
(14) يعني أبا الفضل الميكالي.
(15) الغداة: أول النهار، يعني دهمتنا السماء بمطر في أول النهار الذي كان فيه غيم. والغيث: المطر، والمسبل: الهاطل، يعني دهمتنا السماء بمطر هاطل على الأفق الذي كان السحاب مخيما عليه.

فجاءَ برعد له رنةٌ[1] ... كرنة ثكْلى ولم تثْكل[2]
وثنى بوبلٍ عدَا طوره[3] ... فعاد وبالاً على المُمحِل[4]
وأشرف أصحابنا من أذاه ... على خطرٍ هائل معضِل[5]
فمن لائذٍ بفناء الجدار[2] ... وآوٍ إلى نفقٍ مهمِلِ[6]
ومن مستجيرٍ ينادي: الغَريق ... هناك ومن صارخٍ معول[7]
وجادت علينا سماءُ السقوف ... بدمع من الوجدِ لم يهمل[8]
كأن حرامًا لها أن ترى ... يبيسا من الأرض لم يبلل[9]
وأقبَلَ سيلٌ له روعةٌ[10] ... فأدبر كلٌّ عن المُقبِل[11]
يقْلع ما شاء من دوحة[12] ... وما يلْق من صخرة يحمِل[13]
فَمن عامرٍ ردّه غامرا[14] ... ومن معلم عاد كالمجهل[15]

---

(1) له رنة: أي دوي وصوت هائل.

(2) الثكلى: التي فقدت ولدها، ولم تثكل: يعني لم يفقدها الله ولدها، والمعنى كصوت الغائب عنها ولدها، مع أن الله لم يهلكه، فهي تصوت على غيابه، ولم ينقطع أملها من وجوده.

(3) الوبل: تقدم تفسيره وهو المطر الشديد، وعدا طوره: تجاوز حده.

(4) فصار ثقيلاً وخيما على المكان الممحل الجدب المنقطع عنه المطر.

(5) أشرف على كذا: قرب منه. والمعضل: الذي لا دواء له.

(6) فمن متحصن بالأراضي ا اورة للجدران ومن لاجئ إلى سرب في الأرض لم يتعهده أحد.

(7) ينادي الغريق: أي يدعو الناس ويقول الغريق لينقذوه، والمعول: الرافع صوته بالبكاء.

(8) همل الدمع: سال، والمعنى: أ ا جادت بدمع لم يكن السبب في إسباله لا الغرام ولا الوجد.

(9) كأن حراما لها، أي كأن السماء محرم عليها أن ترى أرضا يابسة لم تبل بالماء.

(10) الروعة: الفزعة.

(11) كل واحد يولي ويهرب ممن يقابله.

(12) يقتلع كل ما يريد من الشجر العظيم.

(13) يحمل كل ما يلقاه من الصخور الضخام.

(14) رده غامرا: صيره خرابا.

(15) من معلوم صار كا هول.

كفـانـــا بليتـــه ربنـــا فقد وجب الشـكر للمفضِـل[1]

فقُلْ للسمـاء ارعـدي وأبرقي[2] فـإنـا رجعنـا إلـى المـنـزل

وصف حديقة لابن حبيب الحلبي
المتوفى سنة 779هـ

لما صدأت مرآة الجنان[3] قصدت لجلائها بعض الجنان[4] فدخلت إليها، وما كدت أن أقدم عليها، فإذا هي جنة عالية[5] قطوفها دانية[6] وطلحها منضود[7]، وظلها ممدود[8]، وأعلام أشجارها مرفوعة وفاكهتها كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة[9]، تجوس المياه خلال ديارها[10] وتشرق بآفاقها أنوار نوارها[11]، نزهة النواظر[12]، وشرك الخواطر[13]، ا أشجار لا تحصى[14]، وثمار لا تعد ولا تستقصى[15].

(1) كفانا الله شره، فوجب الشكر له لأفضاله علينا.
(2) إيت بالرعد والبرق.
(3) الجنان: القلب، وصدئت مرآته علامة على الوسخ، والمعنى: لما كل القلب، ومل العمل.
(4) لجلائها: أي إزالة الوسخ الذي علاها، والجنان - جمع جنة - وهي الحديقة ذات النخل والشجر.
(5) أي مرتفعة.
(6) عناقيد ما متدلية قريبة من الجاني.
(7) الطلح: الأشجار العظام، ومنضود يعني متراكم بعضه فوق بعض.
(8) أي متسع .
(9) لا تقطع عن الطالب ولا تمنع عنه.
(10) أي تتردد بين بيو ا.
(11) النوار: الزهر.
(12) تتنـزه فيها العيون.
(13) تصطاد الخواطر وتسبي العقول.
(14) لا يمكن الإتيان على عددها.
(15) لا يتأتى إدراك آخرها.

وصف البيان

لأمير المؤمنين ابن المعتز المتوفى سنة 296هـ

البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول(1)، ومجلي الشبهة(2)، وموجب الحجة، والحاكم عند اختصام الظنون، والمفرق بين الشك واليقين، وخير البيان ما كان مصرحا عن المعنى،ليسرع إلى الفهم تلقيه، أو موجزا ليخف على اللفظ تعاطيه.

ووصف أيضا المكارم

لن تكسب أعزك الله المحامد، وتستوجب الشرف، إلا بالحمل على النفس والحال، والنهوض بحمل الأثقال، وبذل الجاه والمال، ولو كانت المكارم تنال بغير مؤونة لاشترك فيها السفل(3) والأحرار، وتناهمها الوضعاء(4) من ذوي الأخطار، ولكن الله تعالى خص الكرماء الذين جعلهم أهلها، فخفف عليهم حملها وسوغهم فضلها وحظرها(5) على السفلة لصغر أقدارهم عنها، وبعد طباعهم منها، ونفورها عنهم، واقشعرارها منهم.

ووصف أيضًا القرآن الكريم

فضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول، وظاهر غير خفي يشهد بذلك عجز المتعاطين، ووهن(6) المتكلفين، وهو المبلغ الذي لا يمل، والجديد والذي لا يخلق(7) والحق الصادع، والنور الساطع، والماحي لظلم الضلال، ولسان الصدق النافي للكذب، ومفتاح الخير، ودليل الجنة، إن أوجز كان كافيا وإن أكثر كان مذكرا، وإن أمر فناصحا، وإن حكم فعادلاً، وإن أخبر فصادقًا، سراج تستضيء به القلوب، وبحر العلوم، وديوان الحكم، وجوهر الكلم.

---

(1) جلاؤها.

(2) كاشفها.

(3) السفل: جمع سفلة، وهم طغام الناس وغوغاؤهم.

(4) جمع وضيع: هو الساقط.

(5) منعها.

(6) ضعف.

(7) لا يبلى.

وصف البلاغة لفحول البلغاء

(1) قال الجوهري: أحسن الكلام نظاما ما ثقبته يد الفكرة، ونظمته الفطنة ووصل جوهر معانيه في سموط[1] ألفاظه، فاحتملته نحور الرواة.

(2) وقال العطار: أطيب الكلام ما عجن عنبر ألفاظه بمسك معانيه، ففاح نسيم نشقه[2] وسطعت رائحة عبقه، فتعلقت به الرواة، وتعطرت به السراة.

(3) وقال الصائغ: خير الكلام ما أحميته بكير الفكر، وسبكته بمشاعل النظر وخلصته من خبث الإطناب، فبرز بروز الإبريز، في معنى وجيز[3].

(4) وقال الصيرفي: خير الكلام ما نقدته عين البصيرة، وجلته يد الروية ووزنته بمعيار الفصاحة، فلا نظر يزيفه[4]؛ ولا سماع يبهرجه[5].

(5) وقال الحداد: أحسن الكلام ما نصبت عليه منفخة القريحة وأشعلت عليه نار البصيرة، ثم أخرجته من فحم الأفخام، ورفقته بغطيس الأفهام[6].

(6) وقال النجار: خير الكلام ما أحكمت نجر معناه بقدوم التقدير، ونشرته بمنشار التدبير، فصار بابا لبيت البيان، وعارضةً[7] لسقف اللسان.

(7) وقال الحائك: أحسن الكلام ما اتصلت لحمة ألفاظه، بسدى معانيه مفوفًا منيرا، موشى محبرا[8].

(8) وقال الجَمال: البليغ من أخذ بخطام[9] كلامه، فأناخه في مبرك المعنى، ثم جعل الاختصار لـه عقالاً، والإجادة لـه مجالاً، فلم[10] يند على الآذان ولم يشذ عن الذهان.

---

(1) السمط: الخيط الذي ينظم فيه.

(2) النشق: الاستنشاق، العبق: لصوق الطيب بالشيء، وتغلف الرجل بالطيب: ادهن به، والسراة: الأشراف.

(3) الكير: زق ينفخ فيه الحداد، والمشاعل: جمع مشعل وهو القنديل وهو موضع شعل النار أي إلها ا.

(4) زيف الدراهم: أي أ ا زائفة أي مغشوشة.

(5) و رجها: أبطلها.

(6) الغطيس كسكين المطرقة العظيمة.

(7) العارضة، الخشبة العليا التي يدور فيها الباب وعوارض البيت خشب سقفه.

(8) المفوف: الرقيق من الثياب أو الذي فيه خطوط بيض. والمنير: المنسوخ على نيرين أي المضاف النسج. والموشى: المنقوش، والمحبر: المحسن.

(9) الخطام: كل ما وضع في أنف البعير ليقاد به. وجمعه خطم.

(10) ند: هرب.

وصف عمر بن الخطاب

قال معاوية بن أبي سفيان لصعصعة بن صوحان: صف لي عمر بن الخطاب فقال: كان عالمًا برعيته، عادلاً في قضيته، عاريا من الكبر قبولاً للعذر، سهل الحجاب، مصون الباب، متحريا للصواب، رفيقًا بالضعيف، غير محاب للقريب ولا جاف للغريب.

وصف علي بن أبي طالب

قال معاوية لضرار الصدائي: يا ضرار صف لي عليا قال: اعفني يا أمير المؤمنين. قال لتصفنه، قال: أما إذ لا بد من وصفه فكان والله - بعيد المدى[1] شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهر ا، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان - والله - غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن مع تقريبه إيانا، وقربه منا، لا نكاد نكلمه لهيبته، ولا نبتدئه لعظمته، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

وصف كلام العرب لعتبة بن أبي سفيان

قال عتبة بن أبي سفيان: إن للعرب كلاما هو أرق من الهواء، وأعذب من الماء، مرق من أفواههم مروق السهام من قسيها، بكلمات مؤتلفات، إن فسرت بغيرها عطلت[2]، وإن بدلت بسواها من الكلام استصعبت، فسهولة ألفاظهم توهمك أ ا لكنة إذا سمعت، وصعوبتها تعلمك أ ا مفقودة إذا طلبت[3].

وصف الكتاب للجاحظ

قال الجاحظ: الكتاب وعاء مليء علما وظرف حشي ظرفًا، وبستان يحمل في ردن[4] وروضة تقلب في حجر، ينطق عن الموتى، ويترجم كلام الأحياء، ولا أعلم جارا أبر، ولا

---

(1) المدى: الغاية.

(2) التعطيل: ترك الشيء ضياعا.

(3) هذا النوع من الكلام يسمى السهل الممتنع.

(4) الردن: الكم، وجمعه أردان.

خليطًا أنصف، ولا رفيقًا أطوع، ولا معلما أخضع، ولا صاحبا أظهر كفاية، وأقل جناية، ولا أقل إملالاً وإبراما، ولا أقل خلاقًا وإجراما، ولا أقل غيبة، ولا أبعد من عضبهة[1]، ولا أكثر أعجوبة وتصرفًا، ولا أقل صلفًا[2] وتكلفًا ولا أبعد من مراء، ولا أترك لشغب، ولا أزهد في جدال، ولا أكف عن قتال - من كتاب، ولا أعلم قرينا أحسن مواتاة[3]، ولا أعجل مكافأة، ولا أحصر معونة، ولا أقل مؤونة، ولا شجرة أطول عمرا ولا أجمع امرا، ولا أطيب ثمرة، ولا أقرب مجتنى، ولا أسرع إدراكًا في كل أوان، ولا أوجد في غير إبان - من كتاب، ولا أعلم نتاجا في حداثة سنه، وقرب ميلاده، ورخص ثمنه، وإمكان وجوده يجمع من التدابير الحسنة، والعلوم الغريبة، ومن آثار العقول الصحيحة، ومحمود الأخبار اللطيفة، ومن الحكم الرقيقة، ومن المذاهب القديمة، والتجارب الحكيمة والأخبار عن القرون الماضية والبلاد المتراخية والأمثال السائرة والأمم البائدة[4] ما يجمع الكتاب.

وقيل لبعض العلماء: ما بلغ من سرورك بكتبك؟

فقال: هي إن خلوت لذتي، وإن اهتممت سلوتي، وإن قلت: إن زهر البستان ونور الجنان يجلوان الأبصار، ويمنعان بحسنهما الألحاظ، فإن بستان "الكتب" يجلو العقل، ويشحذ الذهن، ويحيى القلب، ويقوي القريحة، ويعين الطبيعة، ويبعث نتائج العقول، ويستثير دفائن القلوب، ويمتع في الخلوة، ويؤنس في الوحشة، ويضحك بنوادره، ويسر بغرائبه، ويفيد ولا يستفيد، ويعطي ولا يأخذ، وتصل لذته إلى القلب من غير سآمة تدركك، ولا مشقة تعرض لك.

---

(1) العضبهة: البهتان والنميمة.
(2) الصلف: تمدح المرء بما ليس عنده.
(3) المواتاة: حسن المطاوعة والموافقة وأصله بالهمزة وفي الحديث: خير النساء المواتية لزوجها.
(4) القديمة الهالكة.

وصف التاريخ لابن الأثير

التاريخ: معاد[1] معنوي، يعيد الأعصار وقد سلفت، وينشر أهلها، وقد ذهبت آثارهم وعفت[2]، وبه يستفيد عقول التجارب من كان غرا، ويلقى من قبله من الأمم وهلم جرا. فهم لديه أحياء، وقد تضمنتهم بطون القبور، وعنه غيب وقد جعلتهم الأخبار في عداد الحضور، ولولا التاريخ لجهلت الأنساب ونسيت الأحساب، ولم يعلم الإنسان أن أصله من تراب، وكذلك لولاه لماتت الدول بموت زعمائها وعمي[3] على الأواخر حال قدمائها، ولم يحط علما بما تداولته الأرض من حوادث سمائها، ولمكان العناية به لم يخل منه كتاب من كتب الله المنـزلة، فمنها ما أتى بأخباره ا ملة، ومنها ما أتى بأخباره المفصلة، وقد ورد في التوراة مفردا في سفر من أسفارها، وتضمن تفصيل أحوال الأمم السالفة ومدد أعمارها.

وقد كانت العرب على جهلها بالقلم وخطه، والكتاب وضبطه، تصرف إلى التواريخ جمل دواعيها، وتجعل لـه أول حظٍ من مساعيها، فتستغني بحفظ قلو ا عن حفظ مكتو ا، وتعتاض برقم صدورها، عن رقم سطورها، كل ذلك عنايةً منها بأخبار، أوائلها، وأيام فضائلها، وهل الإنسان إلا ما أسسه ذكره وبناه؟ وهل البقاء لصورة لحمه ودمه لولا بقاء معناه!؟

وصف الرجل الكامل

كتب الحسن بن سهل[4] إلى محمد بن سماعة[5] القاضي يصف له الرجل الكامل:

أما بعد: فإني احتجت لبعض أموري إلى رجل جامع لخصال الخير، ذي عفه ونزاهة، طعمة[6] قد هذبته الآداب وأحكمته التجارب، ليس بظنين[7] في رأيه ولا بمطعون في حسبه، إن اؤتمن على الأسرار قام ا، وإن قلد مهما من الأمور أجزأ[8] فيه، له سن مع أدب

(1) معاد: يقصد أنه كاليوم الآخر.
(2) عفا الشيء: هلك.
(3) عمي عليه الأمر: التبس وكذلك عمي عنه.
(4) هو وزير المأمون وختنه أبو زوجه بوران توفي سنة 236هـ.
(5) من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة توفي سنة 223، وقد بلغ مائة سنة وهو صحيح الحواذث.
(6) الطعمة بالضم طريق الكسب وبالكسر هيئة الأكل والسير فيه.
(7) الظنين: المتهم.
(8) أجزا: أغنى.

ولسان، وتقعده الرزانة، ويسكنه الحلم قد فر[1] عن ذكاء[2] وفطنة، وعض على قارحة[3] من الكمال، تكفيه اللحظة وترشده السكتة، قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها وقام في أمورهم فحمد فيها له أناة الوزراء، وصولة الأمراء، وتواضع العلماء! وفهم الفقهاء وجواب الحكماء. لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يكاد يسترق[4] قلوب الرجال بحلاوة لسانه، وحسن بيانه، دلائل الفضل عليه لائحة، وأمارات العلم شاهده.

مضطلعا[5] بما استنهض، مستقلاً[6] بما حمل، وقد آثرتك بطلبه وحبوتك بارتياده[7]، ثقة بفضل اختيارك، ومعرفة بحسن تأتيك[8].

وصف قناة السويس

للمرحوم أحمد شوقي بك مخاطبًا ابنيه يوم أن عبر قناة السويس ميممًا الأندلس حينما نفته الأحكام العرفية إبان الحرب العالمية (الأولى)

يا بني القناة لقومكما فيها حياة، ذكرى إسماعيل ورياه[9] وعليا مفاخر دنياه، دولة الشرق المرجاة، وسلطانه الواسع الجاه، طريق التجارة، والوسيلة والمنارة، ومشرع[10] الحضارة.

تعبرا ا اليوم على مزجاة[11] كأ ا فلك النجاة، خرجت بنا بين طوفان الحوادث، وطغيان الكوارث، تفارق برا مغتصبة مضري[12] الغضبة. قد أخذ الأهبة، وأستجمع كالأسد للوثبة،

---

(1) فر الدابة: كشف عن أسنا ا ليعرف مبلغ عمرها.

(2) الذكاء تمام السن واكتماله أو حدة الذهن.

(3) الفرس القارح الذي استكمل القوة باكتمال العمر ونظيره في الإبل البازل، والسن التي تنبت لـ ه عند قروحه تسمى قارحا وقارحة والجملة كلها كناية عن استيفاء صفات الكمال.

(4) يستبعد.

(5) يقال هو مضطلع لهذا الأمر وبه إذا كان قديرا عليه.

(6) استقل بالحمل ض.

(7) والارتياد: مطلب.

(8) تأتى للأمر: ترفق وتاه من وجهه.

(9) الريا - الرائحة الطيبة.

(10) المشرع: المورد.

(11) زجاه وأزجاه: ساقه وسيره.

(12) مضر فخذ من أفخاذ العرب ينسب لمضر بن نزار وهذا مأخوذ من قول بشار:

=

وتلاقي بحرا جنت جواريه، ونزت[1] بالشر نوازيه، وتمثلت بكر سبيل عواديه. مملوءًا ببغتات الماء، مترعا بفجاءات السماء من نون[2] ينسف الدوارع، أو طير[3] يقذف البيض مصارع، فقلت: سيري، عوذتك بوديعة[4] التابوت، وبصاحب[5] الحوت، وبالحي الذي لا يموت، واسري يا ابنة اليم، زمامك الروح[6]، وربانك[7] نوح، فكم عليك من منكوب ومجروح.

إن للنفي لروعة، وإن للنأي للوعة، وقد جرت أحكام القضاء، بأن نعبر هذا الماء، حين الشر مضطرم، واليأس محتدم، والعدو منتقم، والخصم محتكم. وحين الشامت جذلان مبتسم، يهزأ بالدمع، وإن لم ينسجم[8]، نفانا حكام عجم، أعوان العدوان والظلم، خلفناهم يفرحون بذهب اللجم، ويمرحون في أرسانٍ يسمو ا الحكم، ضربونا بسيفٍ لم يطبعوه، ولم يملكوا أن يرفعوه، أو يضعوه، سامحهم في حقوق الأفراد، وسامحوه في حقوق البلاد؛ وما ذنب السيف إذا لم يستحي الجلاد؟!

ماذا مسان؟ كأني أسمعكما تقولان: أي شيء بدا له على هذه الضاحية[9] وماذا شجا خياله من هذه الناحية؟ أي حسن أو طيب لملح يتصبب في كثيب ماء عكر في رمل كدر؟؟.

قناة حمئة[10]، كأ ا قناة صدئة، بل كأ ا وعبريها[11] رمال بعضها متماسك وبعضها منهال، وكأن راكب البحر مصحر[12] وكأن صاحب البر مبحر. رويد كما: ليس الكتاب

=

إذا ما غَضِبنا غَضْـبةً مضـرِية هتكْنا حِجاب الشمس أو تقطر الـدما

(1) النـزو: الوثب، والنازية: حدة الرجل الوثاب إلى الشر وجمعها نواز.
(2) النون الحوت والمراد الغواصة.
(3) يريد بالطير الطائرات وبالبيض ما يلقى منها من مهلكات القذائف.
(4) هو موسى كليم الله.
(5) هو نبي الله يونس.
(6) جبريل.
(7) الربان رئيس الملاحين وجمعه ربابين.
(8) انسجم الدمع - سال.
(9) الضاحية البادية وكل أرض بارزة للشمس.
(10) الحمئة: التي فيها الحمأة أي الطين الأسود المنتن، والقناة الأولى الترعة والقناة الثانية الرمح.
(11) عبر النهر شاطئه.
(12) أسحر سار في الصحراء.

بزينة جلده، وليس السيف بحلية غمده. تلك التنائف[1]، من تاريخكم صحائف، وهذه القفار، كتب منه وأسفار، وهذا ا از هو حقيقة السيادة، ووثيقة الشقاء أو السعادة، خيط الرقبة، من اغتصبه اختص بالغلبة، ووقف للأعقاب عقبة، ولو سكت لنطقت العبر، وأين العيان وأين الخبر؟

انظرا: تريا العبرين عبرة الأيام، حصون وخيام، جنود قعود وقيام، جيش غيرنا فرسانه وقواده، ونحن بعرانه[2] وعلينا أزواده[3]، ديك على غير جداره، خلا له الجو فصاح، وكلب في غير داره انفرد وراء الدار بالنباح.

القناة وما أدراكما ما القناة، حظ البلاد الأغبر من التقاء الأبيض والأحمر، بيد أ ا أحلام الأول، وأماني الممالك والدول، الفراعنة حاولوها، والبطالسة زاولوها[4]، والقياصرة تناولوها، والعرب لأمر ما تجاهلوها[5]، إلى أن جرى القدر لغايته، وأتى "إسماعيل" بآيته، فانفتح البرزخ بعنايته، والتقى البحران تحت رايته في جمع من التيجان لم يشهده إكليله[6]، قد كان يتوج فيه لو شهدته جيوشه وأساطيله، وما إسماعيل إلا قيصر لو أنه وفق، والإسكندر لو لم يخفق. ترك لكم عز الغد وكنـز الأبد، والمنجم الأحد، والوقف الذي إن فات الوالد فلن يفوت الولد.

ماذا على الرمال، من لمحات جلال وجمال؟! ارجعا القهقرى بالخيال إلى العصر الخال واعرضا في حداثتها الأجيال، تريا على هذا المكان وجوها تتمثل وركابا تتنقل، وتريا النبوة تتهلل، والآيات تتنـزل، وتريا الملك يترجل، حتى كأنكما بالزمان الأول. فها هنا وضع للنبوة المهد، وابتدأ ا العهد، فأقبل صاحب المقام، ومحطم الأصنام، وبناء البيت الحرام، خليل ذي الجلال والإكرام[7].

---

(1) التنائف جمع تنوفة وهي المفازة.
(2) البعران جمع بعير كأبعر.
(3) الأزواد جمع زاد وهو الطعام.
(4) زاول الشيء: حاوله.
(5) يروى أن هارون الرشيد فكر في أن يضل البحرين بقناة وأنه استشار يحيى بن خالد البرمكي في ذلك فقال له: يا أمير المؤمنين "إن خرق السويس خرق في الإسلام" فعدل عن رأيه.
(6) الإكليل: التاج.
(7) هو خليل الله إبراهيم.

هاجر إلى مصر أكرم من هاجر، ثم انقلب منها بأم العرب هاجر[1]، ومن هذه الثنيات طلع يوسف في القيد، وهو للسياره صيد، يسير من كيدٍ إلى كيدٍ، قلب جرحته الإخوة، وجنب قرحته النسوة، فيالك "يوسف" من أسوة[2]، عز بعد هون، وذلة بعد المنـزل الدون، وشئون أقدار وشجون، وسهول حياة وحزون، وسجوف القصور بعد السجون إلى سجود الشمس لك والقمر والكواكب الأخر.

وإلى هذا القضاء خرج موسى حين زال زويله[3]، وطلبه قتيله، وزين لـه الفرار خليله[4]، فحوته هذه الرمال، فإذا الأمن سبيله، واليمن دليله، والسلامة زاملته[5] والسلم زميله، ولو أطلعه الله على غيبه، للمس النبوة بين يديه وجيبه إلى أن رفع له المنار، واكتحل بالنور واقتبس من النار، وقيل له: كن من الأحرار الأحبار، وارجع فسلط الحق على فرعون الجبار، فكان عليه السلام أول من اقتحم على الفرد جبروته وهتك على المستبد طاغوته[6]، وخطم[7] المتأله[8] وحطم عظمته، ماء الحق على لطفه، ظفر بنار الباطل على عنفه، ظهر العدل على الحيف وكسرت العصا السيف.

وعلى هذه الأرض مشت السماء[9] الطاهرة، والنيرة الزاهرة، والآية المتظاهرة أم الكلمة[10]

---

(1) هي جارية مصرية أهداها فرعون إلى السيدة سارة زوج سيدنا إبراهيم فوهبتها له فاستولدها إسماعيل جد العرب المستعربة.

(2) الأسوة: القدوة، وما يتأسى به الحزين أي يتعزى.

(3) زال زويله: فزع وحذر.

(4) يشير إلى ما كان من أمر موسى حين وجد قبطيا وإسرائيليا يقتتلان فاستنصره الإسرائيلي على القبطي فوكزه وكزة كانت القاضية فلما أصبح وجد الإسرائيلي نفسه قاتل قبطيا آخر فاستغاثه فقال موسى: **إنك لغوي مبين** ثم هم بنصرته على القبطي فظن أنه يريده بالأذى فصاح الإسرائيلي: يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس. فذاع أمره ولم يلبث أن جاءه رجل وقال: **يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين** فخرج منها إلى بلاد مدين.

(5) الزاملة: ما يحمل عليه من الإبل وغيرها.

(6) الطاغوت: الشيطان وكل رأس ضلال.

(7) خطمه: قهره أو ضرب أنفه.

(8) أراد كالمتأله المتكبر غير أن معناها اللغوي المتنسك المتعبد.

(9) يريد السيدة مريم.

(10) الكلمة سيدنا عيسى.

وطريدة الظلمة، سرحوا في عرضها فأخرجوها من أرضها فضربت في طول الأرض وعرضها، يوسف حاديها، وجبريل هاديها، والقدس ناديها، والطهارة أرجاء واديها، وعلى ذراعيها مصباح الحكمة وجناح الرحمة والإصباح من الظلمة، حتى هبطت به أكرم الأديم[1] فنشأ بين الحكيم والعليم وترعرع حيث ترعرع بالأمس الكليم فيالك من دار لعبت على عرصا ا الأقدار، ناويت[2] موسى القريب، وآويت عيسى الغريب، نبوت[3] بالنبي، وحبوت إلا من عيسى وهو صبي، عذرك لا تنضى[4] إليه المطي، فإنما أغضبت القبطي لابنك القبطي.

ثم انظر تريا إبلا صعابا، وخيلاً عرابا[5]، وتريا الرعاة[6] انقضوا على الوادي ذئابا، فأخافوا القرى الآمنة، وأخرجوا من مصر الفراعنة، واستبدوا بالملك فيها آونة.

وتريا الوحوش الضاربة والجوارح الكاسرة، يقودها شر الأكاسرة[7]، ملأت هذه الفجاج[8]، وكأ ا حرجات[9] الساج، أو حركات الأمواج، ثم تدفقت تكتسح الديار، باغية السيف طاغية النار، تدك الهياكل والمعاقل، و تك العقائد والعقائل.

وتريا الإسكندر الكريم، قد لمع كالصارم من هذا الضريم[10]، يحمل الحملات النجائب، ويفتح بالكتب والكتائب.

وتريا ابن العاص والصحابة، مروا من هذه الأرجاء مر السحابة، يفتحون للحق ويفتكون بالرق، حتى أخلوا القصور من القياصرة، وأراحوا مصر الصابرة من صلف الجبابرة.

وتريا صلاح الدين يخفى كالبدر ويبدو، ويروح كالغيث ويغدو، بغوث بلا عدد، ومدد إثر مدد، وذخائر وعدد، وبشرى كل يوم بفتوح جدد.

---

(1) الأديم: وجه الأرض.
(2) ناوأة وناواه: عاداه.
(3) نبا به المكان: لم يوافقه.
(4) أنضى المطية: هزلها.
(5) العراب من الخيل والإبل العربية.
(6) هم العمالقة الذين ملكوا مصر مدة من الدهر.
(7) قمبيز.
(8) الفجاج: الطرق الواسعة.
(9) الحرجة: الشجرة الملتفة والساج شجر يعظم جدا ويذهب طولاً وعرضا لـ ه ورق عريض جدا.
(10) الضريم: الرمل.

وتريا نابليون قد ركب طيشه، وأركب الغرر جيشه. وتريا إبراهيم بن علي مشهور الجراز، موفور الجهاز، ملك سورية وضبط الحجاز. وتريا إسماعيل بعث الحشرين، وحشد الحافرين، وقرب المسافة للمسافرين، غير وجه السفر، فقيل: بلغ غاية الظفر، وقيل وقع الحافر فيما حفر.

ثم انظر اليوم تريا القناة في يد القوم إن أمنوا ركزوها، وإن خافوا هزوها.

وصف فرس

قال محمد بن الحسين يصف فرسا: هو حسن القميص، جيد الفصوص، وثيق القصب، نقي العصب، يبصر بأذنيه، ويتبوع بيديه، ويداخل برجليه، كأنه موج في لجةٍ أو سيل في حدور يناهب المشي قبل أن يبعث، ويلحق الأرانب في الصعداء، ويجاوز جواري الظباء في الاستواء، ويسبق في الحدور جري الماء، إن عطف جار، وإن أرسل طار، وإن كلف السير أمعن وسار، وإن حبس صفن، وإن استوقف قطن، وإن رعى أنن، فهو كما قال تأبط شرا:

ويسبق وفد الريح مِن حيثُ تنحـى بمنخرق من شـ ـدة المتـدارك[1]

وصف العصا

لقي الحجاج أعرابيا فقال: من أين قبلت؟ قال من البادية. قال: ما بيدك؟ قال عصا أركزها لصلاتي، وأعدها لعداتي، وأسوق ا دابتي وأقوى ا على سفري، وأعتمد عليها في مشيي، ليتسع ا خطوي، وأعبر ا النهر فتؤمنني وألقي عليها كساء فيسترني من الحر، ويقيني من القر، وتدني ما بعد مني، وهي محمل سفرتي وعلاقة إداوتي[2] ومشجب ثيابي، أعتمد ا عند الضراب وأقرع ا الأبواب، وأتقي ا عقور الكلاب، تنوب عن الرمح في الطعان، وعن الحربة عند منازلة الأقران ورثتها عن أبي، وأورثها بعدي ابني، وأهش ا على غنمي، ولي فيها مآرب أخرى، كثيرة لا تحصى.

---

(1) من قصيدته التي مطلعها:

إني لمهدٍ مِن ثناءٍ فقاصِد به لِابن عم الصِدق شمس بن مالِكِ

(2) إداوة: وعاء ماء يتطهر به.

وصف كرة القدم لمؤلف الكتاب

قاتل الله الكرة: ما أعجب أمرها، وما أدق سرها، قد جمعت الأضداد واسترقت النجباء والأوغاد، فهي كبيرة الحجم، مفوقة الجسم، لكنها خفيفة الوزن، سريعة الوثب، وهي ناعمة اللمس، مليحة الرقص، لكنها تأبى الوخز ولا تطيق اللكز، وهي تفر من المداعبة والملاعبة، ولكنها لا تمل من ضرب ولا تكل من دحرجة، وهي محبوبة مألوفة، تنقل على الأيدي والأحضان، لكنها تطرد بالأرجل والعصي، فهي عزيزة ذليلة، حقيرة جليلة، تشبه القنابل في صورها، والدفوف في أصوا ا، والطير في امتطاء الهواء، واختراق الفضاء.

وصف جيوش لابن الرومي المتوفى سنة 282هـ

وصار فلان في جيوش، عليهم أردية السيوف وقمصة الحديد، وكأن رماحهم قرون الوعول[1]، وكأن أدراعهم زبد السيول على خيل تأكل الأرض بحوافرها وتمد بالنقع سرادقها، قد نشرت في وجوهها غرر[2] كأ ا صحائف الرق[3] وأمسكها تحجيل[4] كأ ا أسورة اللجين وقرطت عذرا[5] كأ ا الشنوف تتلقف الأعداء أوائلها، ولم تنهض أواخرها، قد صب عليهم وقار الصبر وهبت معهم ريح النصر.

وصف الحسد للجاحظ المتوفى سنة 255هـ

الحسد - أبقاك الله - داء ينهك الجسد، علاجه عسير وصاحبه ضجر، وهو باب غامض[6] وما ظهر منه فلا يداوي، وما بطن منه فمداويه في عناء، ولذلك قال النبي ﷺ: ((**دب[7] إليكم داء الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء**)).

الحسد عقيد[8] الكفر، وحليف الباطل[1] وضد الحق، منه تتولد العداوة، وهو سبب

---

(1) جمع وعل وهو تيس الجبل (تيس الشاة الجبلية) وقرونه طويلة.

(2) جمع غرة وهي بياض في جبهة الفرس.

(3) الرق جلد رقيق أبيض يكتب فيه.

(4) التحجيل بياض قوائم الفرس.

(5) أي ألبست عذرا وهو ما على خد الفرس من اللجام.

(6) أي مسلك خفي يعسر الخروج منه.

(7) سرى فيكم.

(8) أي معاهده ومحالفه.

كل قطيعة[2] ومفرق كل جماعة، وقاطع كل رحم من الأقرباء[3]، ومحدث للتفرق بين القرناء[4]، وملقح الشر بين الحلفاء[5].

ووصف أيضا أفضل الكلام، وقال:

أفضل الكلام ما كان قليله يغني عن كثيره، ومعناه ظاهرا في لفظه، وكأن الله قد ألبسه من ثياب الجلالة، وغشاه[6] من نور الحكمة، على حسب نية صاحبه وتقوى قائله - فإذا كان المعنى شريفًا واللفظ بليغا صحيح الطبع بعيدا من الاستكراه[7] منـزها عن الاختلال، مصونا عن الكلف صنع في القلوب صنيع الغيث[8] في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة، كساها الله من التوفيق، ومنحها من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة.

وصف الشعراء المحدثين

قال ابن دريد، سألت أبا حاتم عن "أبي نواس" فقال: إن جد أحسن وإن هزل ظرف، وإن وصف بالغ، يلقي الكلام على عواهنه لا يبالي من أين أخذه؛ قلت: "فبشار بن برد"؟ قال: نظار عواص مطيل مجيد يصف ما لم يره كأنه رآه على أن شعره خللاً كثيرا؛ قلت: "فمروان بن أبي حفصة"؟ قال: شاعر راضٍ عن نفسه يستحسن كل ماء جاء منه معجب به، لا يرى أن من سبقه يتقدمه، كثير الصواب، كثير الخطأ، ليس لشعره صنعة.

قلت: "فمسلم بن الوليد"؟ قال: خليج صافٍ ينـزع من بحر كدر، كالزند يوري تارةً ويصلد أخرى؛ قلت: "فأبو العتاهية"؟ قال: غثاء جم، واقتدار سهل وشعر كخرز الزجاج، وربما أشبه الياقوت والزبرجد؛ قلت:

=

(1) ملازمه.
(2) انفصال.
(3) كل قرابة واتصال.
(4) المناظر.
(5) مولد الشر بين المتحالفين.
(6) كساه.
(7) أي من إجبار الفكر.
(8) المطر.

"فعباس بن الأحنف" قال: يلقي دلوه في الدلاء فيغترف الصفو أحيانا والحمأة أحيانا، على أن كدره أكثر من صفوه، قلت: "فسلم الخاسر" قال: مقل مداح، شعره ديباج وعهن، يموه الرديء حتى يشبه الجيد، قلت: "فأبو الشيص" قال: جده كله فيه حلاوة وبشاعة كالسدرة التي نفضت ففيها المستعذب والمستبشع قلت: "فعلي بن جبلة" قال: بحاث عن الكلام الفخم، والمعنى الرائع، لا ينال مرتبة القدماء، ويجل عن منـزلة النظراء قلت: "فأبو تمام" قال: سيل كثير الغثاء، غزير الغمار، جم النطف، فإذا صفا فهو السلاف بالماء الزلال، قلت: "فعبد الصمد بن المعذل"؟ قال: خراج ولاج، يعتسف تارة ويهتدي أخرى، قلت: "فعلي بن الجهم" قال كلام رصين ومسلك وعر، عقله أغلب على شعره من طبعه، قلت: "فبكر بن النطاح" قال: تشبه بالأعراب فأفرط وتجاوز حد المولدين فأسهب، فهو الساقط بين القريتين.

وصف ابن الأثير المتوفى سنة 759هـ أبا تمام والبحتري والمتنبي

قال: لقد وقفت من الشعر في كل ديوان ومجموع، وأنفذت شطرا من العمر في المحفوظ منه والمسموع، فألفيته بحرا لا يوقف على ساحله، وكيف يحصى قول لم تحص أسماء قائليه؟ فعند ذلك اقتصرت منه على ما تكثر فوائده، وتتشعب مقاصده، ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم، في اتباع من قصر نظره على الشعر القديم، إذ المراد من الشعر إنما هو إيداع المعنى الشريف، في اللفظ الجزل اللطيف، فمتى وجدت ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل، وقد اكتفيت من هذا بشعر أبي تمام، والبحتري والمتنبي، وهؤلاء الثلاثة هم لات الشعر وعزاه ومناته، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته، وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين وفصاحة القدماء، وجمعت بين الأمثال السائرة، وحكمة الحكماء.

أما **أبو تمام**: فإنه رب معانٍ وصيقل أذهان، وقد شهد لـه بكل معنى مبتكر، لم يمش فيه على أثر، فهو غير مدافع عن مقام الإعراب، الذي برز فيه على الأضراب ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير، ولم أقل ما أقوله إلا بعد التنقير، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه، وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله في البلاغة ما قالت "حذام"؛ فخذ مني في ذلك قول حكيم وتعلم (ففوق كل ذي علم عليم).

وأما **البحتري**: فإنه أحسن في سبك اللفظ على المعنى، ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الإطلاق، فبينا يكون في شظف نجدٍ، إذ يتشبث بزيف العراق، وسئل المتنبي عنه وعن

أبي تمام وعن نفسه فقال: أنا وأبو تمام حكيمان، والشاعر البحتري، ولعمري إنه أنصف في حكمه، وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه، فإذن البحتري أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء، في اللفظ المصوغ من سلافة الماء، فأدرك بذلك بعد المرام، مع قربه إلى الأفهام، وما أقول إلا أنه أتى في معانيه بالنوادر الغالية، ورقي في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية.

وأما **المتنبي:** فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام، فقصرت عنه خطأه، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ولكنه حظي في شعره بالحكم والأمثال. واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال. وأنا أقول قولاً لست فيه متأثمًا، ولا منه متلثما، وذاك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها، وأشجع من أبطالها. وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها، حتى يظن أن الفريقين قد تقابلا؛ والسلاحين قد تواصلا، فطريقه في ذلك تضل بسالكه، وتقوم بعذر تاركه، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه، ما أداه إليه عيانه، ومع هذا فإني رأيت الناس عادلين عن سنن التوسط فإما مفرط في وصفه وإما مفرط. على أنه إذا كان انفرد بطريق صار أبا عذره، ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح ا سيف الدولة:

لا تطلبن كريمًا بعد رؤيته ... إن الكرام بأسخاهم يدا ختموا

ولا تبال بشِعرٍ بعد شاعِره ... قد أُفْسِد القولُ حتى أُحمِد الصمم[1]

وصف المفضل الضبي المتوفى سنة 430هـ مروره ببعض أحياء العرب

روى المفضل الضبي قال: نزل علينا بنو ثعلبة في بعض السنين وكنت مشغوفًا بسماع أخبار العرب وجمعها؛ فأخذت أجول بين خيامهم، وأتحسس من أحوالها، وإذا أنا بامرأة واقفة في فناء خبائها آخذة بيد غلام، فلما رأيت مثله في حسنه وجماله وهي تعاتبه بلسان رطب، وكلام عذب، يسترقه السمع ويترشفه القلب؛ فكان أكثر ما أسمعه منها: بني، وأي بني، وهو يبتسم في وجهها، وقد غلب عليه الحياء والخجل كأنه من ربات الحجال فلا يحير جوابا؛ ولا يبدي خطابا؛ فاستحسنت ما رأيت، واستحليت ما سمعت، فدنوت فسلمت فرد علي السلام، ووقفت أنظر إلى المرأة والغلام، فقالت لي: يا حضري، ما حاجتك؟ قلت:

---

(1) من قصيدته التي مطلعها:

عقبى اليمينِ على عقبى الوغى ندم ... ماذا يزيدك في إقدامِك القَسم

الاستكثار مما أسمع، والاستمتاع بما أرى، فابتسمت وقالت: يا هذا إن شئت سقت إليك ما هو أحسن مما رأيت. فقلت: هات حفظك الله. قالت: ولد هذا الغلام فكان ثالث أبويه فربي بيننا كأنه شبل، وكنت أقيه برد الشتاء وحر الهجير، حتى إذا ما تمت لـه خمس سنين، أسلمته إلى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه، وعلمه الشعر فرواه، ورغب في مفاخرة قومه، وطلب مآثر آبائه وأجداده، فلما اشتد عظمه وكمل خلقه، حملته على عتاق الخيل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشى الخيلاء بين بيوتات الحي، وأصغى إلى أصوات ذوي الحاجات، فأخذ في قرى الضيف وإطعام الطعام، وأنا عليه وجلة أحرسه من العيون أن تصيبه، ومن الألسن أن تعيبه، إلى أن نزلنا في بعض الأيام منهلاً من المناهل بين أحياء العرب، فخرج فتيان الحي في طلب ثأر لهم وشاء الله تعالى أن أصابت الغلام وعكة شغلته عن الخروج، حتى إذا أمعن القوم ولم يبق في الحي غيره، ونحن آمنون وادعون، فوربك ما هو إلا أن أدبر الليل وأقبل الصبح حتى طلعت علينا طلائع العدو وغرر الجياد ثوارا لا زوارا، فما كان إلا هنيهة حتى أحرزوا الأموال، وهو يسألني ما الخبر؟ وأنا أستره عنه إشفاقًا عليه وضنا به، حتى إذا علت الأصوات وبرزت المخدرات، رمى دثاره وثار كما يثور الضرغام إذا أغضب، فأمر بإسراج فرسه، ولبس درع حربه، وأخذ رمحه بيده، وركب حتى لحق حماة القوم وأنا انظر إليه فطعن أدناهم منه فرمى به، ولحق أبعدهم فقتله، فانصرفت إليه وجوه الفرسان، فرأوا غلاما صغيرا، لا مدد وراءه، فحملوا عليه، فأسرع يؤم البيوت، حتى إذا خلفهم وراءه وامتدوا في أثره عطف عليهم ففرق شملهم وشتت جمعهم وقلل كثرتهم ومزقهم كل ممزق، ومرق كما يمرق السهم من الرمية، وناداهم: خلوا عن المال فوالله لا رجعت إلا به، أو لأهلكن دونه! فتداعت إليه الأقران، وتمايلت نحوه الفرسان، وتميزت له الفتيان وحملوا عليه وقد رفعوا إليه الأسنة، ومالوا عليه بالأعنة، فوثب عليهم وهو يزأر كالأسد، وجعل لا يحمل على ناحية إلا حطمها، ولا كتيبة إلى هزمها، حتى لم يبق من القوم إلا من نجا به فرسه، ففاز بالأموال وأقبل بها، فكبر القوم عند رؤيته، وفرحوا فرحا عظيما بسلامته، فوالله ما رأينا قط يوما كان أصبح صباحا وأحسن رواحا من ذلك اليوم، ولقد سمعته ينشد في وجوه فتيات الحي هذه الأبيات:

تأملن فعالي هل رأيتن مثله — إذا حشرجت نفس الكمي عن الكرب

وضاقت عليه الأرض حتى كأنه — من الخوف مسلوب العزيمة والقلب

ألم أعطِ كلا حقــه ونصيبــه **من السمهري اللدن والصارم العضــب**
أنا ابن أبي هند بن قيس بن خالــد **سليل المعــالي والمكــارم والســيب**
أبى لي أن أعطي الظلامــة مرهــف **وطرف قوي الظهر والجــوف والجنــب**
وعزم صحيح لو ضــربت بحــده **شماريخ رضوى لانحطــن إلى التــرب**
وعــرض نقــي أتقــي أن أعيبــه **وبيت شــريف في ذُرا ثعلــب الغلــب**
فإن لم أقاتــل دونكــن وأحتمــي **لكــن وأحمــيكن بــالطعن والضــرب**
وأبــذُل نفســا دونكــن عزيــزة **علي لأطراف القنــاء وظُــبى القضــب**
فلم تصدِق الــلاتي مشــين إلى أبي **يهنئنــه بالفــارس البطــــل النــدب**

وصف نهج البلاغة للإمام المرحوم الشيخ محمد عبده المتوفى سنة 1323هـ

أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب (ج البلاغة) صدفةً بلا تعمد، أصبته على تغير حال، وتبلبل بال، وتزاحم أشغال، وعطلة من أعمال، فحسبته تسليه وحيلةً، فتصفحت بعض صفحاته، وتأملت جملاً من عباراته من مواضع مختلفات، ومواضيع متفرقات، وكان يخيل لي في كل مقام أن حروبا شبت، وغارات شنت، وأن للبلاغة دولة، وللفصاحة صولة، وأن للأوهام عرامة[1]، وللريب دعارة[2]، وأن جحافل الخطابة وكتائب الذرابة، في عقود النظام وصفوف الانتظام، تنافح بالصفيح الأبلج[3] والقويم الأملج[4]، وتمتلج[5] المهج بروائع الحجج، وتفل دعارة الوساوس وتصيب مقاتل الخوانس[6]، فما أنا إلا والحق منتصر، والباطل منكسر، ومرج الشك في خمود، وهرج الريب في ركود، وأن مدير تلك الدولة، وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؛ بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد، وتحول المعاهد، فتارة كنت أجدني في علم تعمره من

---

(1) العرامة: الشراسة.
(2) الدعارة: سوء الخلق.
(3) الصفيح: السيف، والأبلج: اللامع البياض.
(4) الرمل الأملج: الأسمر.
(5) تمتلج: تمنص.
(6) الخوانس: خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاء.

المعاني أرواح عالية، في جلل من العبارات الزاهية، تطوف على النفوس الزاكية، وتدنو من القلوب الصافية توحي إليها رشادها، وتقوم منها منآدها، وتنفر ا عن مداحض المزال إلى جواد الفضل والكمال، وطورا كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة، وأنياب كاشرة، وأرواح في أشباح النمور، ومخالب النسور، وقد تحفزت للوثاب، ثم انقضت للاختلاب فخلبت القلوب عن هواها، وأخذت الخواطر دون مرماها، واغتالت فاسد الأهواء، وباطل الآراء، وأحيانا كنت أشهد أن عقلاً نورانيا لا يشبه حلقًا جسدانيا فصل عن الموكب الإلهي، واتصل بالروح الإنساني، فخلعه عن غاشيات الطبيعة، وسما به إلى الملكوت الأعلى، ونما به إلى مشهد النور الأجلى، وسكن به إلى عمار جانب التقديس، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس، وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة، ينادي بأعلياء الكلمة، وأولياء أمر الأمة، يعرفهم مواقع الصواب، ويبصرهم بمواضع الارتياب، ويحذرهم مزالق الاضطراب، ويرشدهم إلى دقائق السياسة، ويهديهم طريق الكياسة، ويرتفع إلى منصات الرياسة، ويصعدهم شرف التدبير، ويشرف م على حسن الصير.

وصف حفلة للمرحوم المويلحي المتوفى سنة 1930م

لو كان لليالي لسان ينطق بالفخار، وجنان يجري بنظم الأشعار، لأنشدت ليلة الحفلة (الخديوية) قصيدةً تسجل لها في ديوان العصور والدهور، مالم تبلغه ليلة قبلها في تكامل الفرح والسرور، ولو كان الدهر يفصح لنا يوما عن انشراحه وابتهاجه، لأنبأنا بأنه ادخرها غرة لجبينه، ودرة لتاجه.

لا زالت أيام الجناب العالي ولياليه مشرقةً بالسعد والهناء، متألقة تألق البدور في أفق السماء.

ووصف أيضًا متحفًا من مقامة لـه

قال عيسى بن هشام: زايلنا الأهرام وخليناها، تندب من شادها وتنعي من بناها، وملنا إلى دار التحف ومستودع الآثار، لمشاهدة ما حفظته لنا من صنوف الطرف وعيون الاخبار، وما أخرجته الأيام من عالم الخفاء إلى عالم الظهور، بعد أن كان سرا مكتوما في خواطر العصور والدهور، وما صانته بطون القبور من الفناء والدثور، وحمته أحشاء، الرموس من العفاء والدروس، وما أخبته أرحام المعابد والهياكل من بقايا الماضين وخبايا الأوائل، وما

انكشفت عنه سجوف الأحقاب وديعة الأسلاف للأعقاب، من مكنون الدفائن ومكنوز الخزائن، وعجائب الفن الدقيق، وبدائع البدع الأنيق، وغرائب الصنع العتيق، بليت في اصطحا ا بطون الأيام والليالي، وانحنت في احتضا ا ظهور العصور الخوالي، وانقلبت البحار وهادا، وأصبحت الوهاد أطوادا، وغدت الأغوار أنجادا، وأضحى العمار خرابا والخراب عمارا، والغمار سرابا، والسراب غمارا، وتمدينت بواد، وتبدت مدائن[1]، وبادت مواطن وقامت مواطن[2]، ومضت دول، وذهبت أول إثر أول، وبدت أحوال وحالت، وظهرت أعمال وزالت، وهي كما تركها أهلها، مصون وضعها، محفوظ شكلها، خبر صادق، ولسان ناطق تخبر بالعبر، وتحدث عمن غبر:

مضت غبرات العيش وهي غـوابر على الدهر مكتوب عليها حبـائس

وصف الفونغراف "الحاكي" للمرحوم مصطفى بك نجيب
المتوفى سنة 1320هـ

مثال القوة الناطقة، من غير إرادة سابقة، يقتطف الألفاظ اقتطافًا، ويختطف الصوت اختطافًا، مطبعة الأصوات، ومرآة الكلمات، ينقل الكلام من ناحية إلى ناحية، نقل كلام عمر ﷺ إلى سارية[3] أشد من الصدى في إعادة الصوت على أصله، كأنه الحروف على يد الطابع، والوتر عن يد الضارب، والقصب على فم القاصب، يحفظ الكلام ولا يبيده، ومتى استعدته منه يعيده، من غير أن يبقي لفظًا في صدره، أو يكتم شيئًا من أمره، كأنما حفظ الوديعة في نفسه طبيعة، فلو تقدم لـه الوجود في مرتبة الزمن لما احتجنا في الأخبار إلى عنعنة[4]، ولا في الدعاوي إلى بينة، بل كان يسمعنا كلام السيد المسيح في المهد، وصوت عاذر[5] من اللحد، وكانت استودعته الفلاسفة حكمتهم، وأنشدوه كلمتهم، فرأينا غرائب اليونان وبدائع الرومان؛ وربما سمعنا خطب سحبان، وشعر سيدنا حسان بذلك اللسان، وأصبح وجود الإنسان غير محدود بزمن من الزمان. لله دره من تلميذ يستوعب ما عند

---

(1) البادية: الصحراء.

(2) مواطن الأولى - جمع موطن - أي مكان الإنسان ومقره؛ ومواطن الثانية: مشاهد الحرب.

(3) ابن زنيم الذي ناداه عمر ﷺ على المنبر.

(4) مراده الأخبار عن النبي ﷺ التي تروى عن فلان عن فلان.

(5) هو الذي أحياه عيسى عليه السلام.

المعلم، ويستخلصه في لحظة معيدا لقوله، ناقلاً لصوته ولفظه:

لقد وجدت مكانَ القول ذا سـعةٍ فإن وجدت لسـانا قـائلاً فَقُـل

نديم ليس فيه هفوة النديم، وسمير لا ينسب إليك تقصيرا، تسكته وتستعيده، تذمه وتستجيده، تنقصه وتستزيده، وهو في كل هذه الأحوال راضٍ بما يقال، لا يكل من تحديث، ولا يمل من حديث، نمام ينم لك كما ينم عليك، وينقل لغيرك كما ينقل إليك، فهو المصور لكل فن، المتكلم بكل لغة، المتحدث عن كل إنسان، المؤرخ لكل زمان، الشاعر الناثر، المغني العازف لا تعجزه العبارة، ولا يجهده الأداء، ولا يضره اختلاف شكل، ولا تباين أصل، بل تعهدت شدة حفظه للبشرية من اللغات، إلى حفظ أصوات العجماوات إلى اصطكاك الجمادات.

ووصف أيضًا نظارة ويشكر من أهداها

ورد الكتاب المطرز بحلى الكرم، المحلى بجميل النعم، واستلمت الهدية فسلمت يد أهد ا، وحفظت السجايا التي محاسن الأعمال هد ا، ودامت رحاب لمثل هذه الحسنات فيها مجال، وللمحسنات اء وجمال، وللآمال محط رحال، وللمقاصد كعبة إقبال، وطابت نفس تعالى الله أن تماثلها نفس عصام فإ ا نسخت آية الكر، والإقدام، بآية الجود والإكرام، وفعلت في القلوب بالعطاء والنوال، ما قصرت عنه الرماح الطوال؛ وتأملتها فأرتني ما لا عين رأت، وأظهرت من محاسن المناظر ما أعمرت وقربت كل منظور بعيد، وتلت **فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** [ق: 22]، وصفا وقتي بصفائها، فلم أشته شيئًا إلا جمعت بينه وبيني، وصح علينا قول القائل: "رأيت بعينها ورأت بعيني" ثم سرحت نظري في الأطلال والرسوم، حتى نظرت نظرة في النجوم فلم تخف عني شجرا ولا مدرا، ولا نجما ولا قمرا.

يـزيـد وجههـا حسنـًا إذا مـا زدتـه نظـرا

ببهاء يخيل لي أ ا صيغت من ضياء، فلا عيب فيها غير أني نظرت ا في سماء فضلك الباهر، وأفق شرفك الظاهر، فلم ينكشف لي ا لجودك آخر، لا زال كرمك بعيدا حده على كل ناظر وباصر، وفصل مناهلك غاية تقصدها الأوائل والأواخر.

وصف سان استفانو بالإسكندرية لمؤلف الكتاب

كتابي والقلم في البنان، يسطر ما يمليه الجنان، على محاسن ذلك المكان المشهور بـ سان استفانو، هناك ترى البحر كالمرآة تمثلت فيها السماء، فكأنما الماء سماء، والسماء ماء، وتخال الشاطئ مرتعا للظبيات الآنسات، أو سوق جمال تباع فيه القلوب على الغانيات.

هناك الشبية واللعب، والزهو والطرب، وقد اعتل الصبا، وصح الصبا حور وولدان يمرحون بنشاط الشباب، ويتهادون بنشوة الدلال والإعجاب، فمن "غادات" روائح وغاديلت، قدودهن الرماح الطاعنات، ولحاظهن القاتلات المحييات.

ومن "ولدان" يلعبون بالكرة والصولجان، فالكرة قلب المحب المتيم، والصولجان الذي يدفعها شوق العاشق المغرم، هناك نغمات الأوتار تدعو إلى اغتنام الأوطار، ـدي الارتياح إلى الأرواح، وتبدل الأفراح من الأتراح هناك الكؤوس على قطب الخلاعة تدور، فهي برشفا ا الثغور، وبنورها البدور تشرق من الحنان وتغرب في أفواه الندمان، فيعلو الوجوه الشفق، فتبارك المبدع فيما خلق.

هناك فريق من أهل الهوى، حلفاء الأسى والجوى، يختلون النظرات وتحتها سهام صائبات، تقصد قلو ـم ولا راحم لهم، ينادون من يحبون فلا يجابون، ويتذللون لعز الجمال على أ ـم لا يحابون، يتمنون الرضا بعد الهجر، وحلو اللقاء بعد الصبر، وفريق آخر قد وافاهم السعد فنالوا الأماني، تعلو وجوههم نضرة النعيم بما نالوه من إشارة أو تسليم، يتبادلون التحيات بالحواجب، ويشفقون على القلوب فيضعون الأيدي فوق الترائب، حتى إذا الليل سجا، وسترهم رداء من الدجى، يتلاقون إلى جانب اليم، ويتهامسون والفم قريب من الفم، تراهم على الأرائك جنبا بجنب، وعنقًا على كتف، مبتعدين عن العيون هنا وهنا، وقد بلغوا الآراب والمنى، يجتنون الثمر من السمر، ويلثمون الراح بالراح، ولا يزالون في مسرة وهناء وأنس وصفاء، حتى ينادي منادي الموائد بحي على شهي الطعام، وهلموا إلى رائق المدام، فيجلسون مثنى وثلاث ورباع محفوفين بيانع الأزهار، مستضيئين بأزهى الأنوار، والغلمان عن يمينهم وشمالهم قائمون بحوائجهم، وهم في لباسهم كأقمار، وفي خفتهم كلمح الأبصار، فيأكلون ويشربون، ويضحكون ويلعبون بين نغمة بالحديث الرخيم، ونشوة بالمدام القديم، حتى إذا أخذت كل حاسة حظها، وتلجلجت الألسنة فلا تفهم لفظها، هنالك تراهم كسرب الظباء رائح وغاد، هذه مائلة وهذا متهادٍ، إلى أن يتمشى النوم في الجفون، فتذيل العيون فينصرفون إلى المنام، ويحملون بلذيذ الأحلام، بعد أن يتعاهدوا على الأوبة ويحسنوا

الختام بالتوبة.

وصف الشمس

الشمس كوكب مضيء بذاته، وهي أعظم الكواكب المرئية لنا منظرا، وأسطعها ضوءًا، وأغزرها حرارةً، وأجزلها نفعا للأرض التي نسكنها، ولكثير من أخوا ا، سيارات الشمس وبنا ا.

والشمس كرة متأججة نارا، حرار ا أشد من حرارة أي ساعورٍ[1] أرضي ويبلغ ثقلها ثلثمائة وزنٍ من ثقل الأرض، وهي أكبر منه جرما بلثمائة ألف وألف مرةٍ.

وتدور الشمس على محورها من الغرب إلى الشرق مرةً واحدةً في نحو خمسة وعشرين يوما. وتبعد عنا بنحو اثنين وتسعين ألف ألف ميل وخمسمائة ألف ميل وهي مع كل هذا العظم الهائل لا تعد في النجوم الكبرى، بل إن أكثر ما نشاهد من النجوم الثابتة شموس أكبر من الشمس بألوف الألوف، والشمس بسيارا ا تابع من توابع أحدها.

وسطح الشمس مهب عواصف وزوابع نيرانيةٍ شديدةٍ، تثير في جوها أشوظة[2] هائلة تندلع[3] ألسنتها المتأججة عن محيط كر ا أميالاً، وقد وصف بعض العلماء لهبا ارتفع من سطحها لأول وهلةٍ نحو أربعين ألف ميل في الفضاء، ثم ازداد بريقًا[4] ثم ارتفع بعد نصف ساعة إلى خمسين وثلثمائة ألف ميل، ثم جعل يضؤل ويضعف، فلم تمض ساعتان حتى اضمحل اضمحلالاً، غير أن ما وصفه هذا العالم ليس إلا من قبيل النوادر، ولكن ارتفاع اللهب نحو مائة ألف ميل ليس بغير العادي وكثيرا ما تبلغ سرعة اللهب مائة ميل في الثانية، وأكثر مادة الشمس من عنصر المحذي (الإيدروجين) المتقد.

وبرصد الشمس مرارا بالمرقب المغشى بالسواد شوهد في صفحة قرصها نكت سود، وكلف يشوه محياها، كأنما هي كرة سوداء الباطن غلفت بسطحٍ ساطع من الصعادات يتخلله نقب يظهر تحتها السواد، ولا تزال حقيقة هذه البقع موضع البحث والتعليل عند الفلكيين، ومن تنقل هذه النكت عرفت دور ا على محورها.

وللشمس سيارات أو أبناء انفصلت منها منذ أزمانٍ سحيقة، علم منها إلى الآن نحو

---

(1) الساعور: النار نفسها أو موقدها.

(2) الشواظ: اللهب.

(3) اندلع اللسان خرج من الفم.

(4) تلألؤا.

ثمانية، هي على ترتيب الأقرب منها فالأقرب، عطارد، فالزهرة، فالأرض، فالمريخ، فالمشترى، فزحل، فأرانوس، فنبتون ولم تعلم كل شؤون هذه السيارات حق العلم، وإنما ألم العلماء بمعرفة موادها، وكثافتها وأبعادها.

ولكن أمر الحياة فيها لم يزل مبهما مستغلقًا - اللهم إلا في الأرض وقمرها.

أما مقدار النعم التي سخرها الله لنا بوجود الشمس فمما لا يحصيه العد، فهي مبعث حياتنا وحياة الحيوان الذي يعيش معنا، ومصدر نورنا ونارنا وحرنا وبردنا، وهي التي تحيل مياه البحار بخارا، وتقلها في الجو غيوما، وتنـزلها على الأرض أمطارا، حيث تجري جداول وأ ارا، فتروي زرعنا، وتنمي غراسنا وتثير الرياح، وتطلع الأنواء، وتزجي[1] السفن والبواخر في عباب الماء وتدفع القطرات الحديدية، وتدير الآلات البخارية، وتنير المصابيح الدخانية والزيتية إذ ليس الفحم الحجري والزيت الأرضي إلا حرارة نارها المدخرة منذ قديم الدهور، لينتفع ا أحياء هذه العصور، وما النهار المبصر، والليل المظلم إلا آيتان من آيات الله المسخرة لنا بتسخير هذا المخلوق العجيب، ففي النهار يسعى في مناكب الأرض لابتغاء رزقنا، وتدبير معاشنا، وتنظيم شؤون حياتنا ونسبح بحمد ربنا ونعتبر بآثار من سبقنا، وفي الليل نسكن لإراحة أبداننا، واستجمام[2] قوانا، واستيفاء حظنا من النوم الذي به نستديم صحتنا، ونستعيض ما فقدناه بأعمالنا، وننظر في ملكوت السموات وما خلق الله من شيء في حركات الكواكب وانتقالها، وبديع صورها وألوا ا، فتعنو وجوهنا، ويتضاءل كبرياؤنا، أمام قدرة خالقنا العظيم، فسبحانه من إله حكيم.

وما الألوان التي نراها في نور الأزهار، وريش الأطيار، ونفائس المصنوعات إلا أثر وقوع أضوائها على هذه المرئيات وانعكاسها[3] على أبصارنا؛ فإن نور الشمس الأبيض مؤلف من سبعة ألوانٍ أصلية[4] تنشأ منهم كل الألوان الفرعية وهي: الأحمر، والبرتقالي، والأصفر، والأزرق، والأخضر، والنيلجي، والبنفسجي. فمن الأجسام ما لا يمتص شيئًا من هذه الألوان؛ بل يعكسها كلها على العين، فيبدو أبيض ناصعا كزهرة الياسمين، ومنها ما يمتص بعضها ويعكس باقيها، فيتلون بلون ما يعكس منها، فإذا أبصرت ورقة الشجر خضراء

(1) تسير.
(2) استجماع.
(3) نعكس مضارع عكس كما في الاساس.
(4) أمكن إرجاع هذه الألوان في الصناعة إلى ثلاثة.

عرفت أ ا اختزنت من ضوء الشمس ستة ألوان، وردت إلى عينيك سابعها وهو الأخضر لأن فيما ادخرته نفعا لها، وليس ا إلى ما لفظته افتقاره، ومنها ما يرد لونين أو أكثر، فيبدو لونه مزيجا بين هذه الألوان السبعة، وهذه الألوان من عجائب صنع الله في الأرض لتمييز بعضها من بعض، فقد يتماثل الشيئان شكلاً، وحجما وصلابةً، ولينا وشما، ثم لا يتباينان إلا من حيث اللون فيكون اللون آية تباينهما، وأكثر ما يكون ذلك في الأزهار.

وتنوع الألوان هو السر في جمال المرئيات من مشاهد الطبيعية وبدائع الصناعة وإن أعظم المصورين وأمهر النقاشين لم يبرزوا على غيرهم، ويدلوا على ذكائهم ونبوغهم إلا ببراعتهم محاكاة ألوان الطبيعة المؤتلفة وأشكالها المتجانسة، وإنما يتم لهم ذلك إذا عرفوا كيف يمزحون من الأصباغ ما يستخدمون به ألوان النور خير استخدام، وينتفعون به أحسن انتفاع، وقد سخر علماء الطب تباين الألوان في كشف النقاب عن حقائق الجراثيم، فإن منها ما لا يتضح للعين في ا هر إلا إذا ألقي عليه صبغ خاص يؤثر فيه فيصبغ به.

ولأمواج الشمس الضوئية سرعة معلومة تسير ا، فإذا انخفضت هذه السرعة عما هي عليه لم تعد العين قادرة على رؤيتها، لأ ا تستحيل إلى مظهرٍ آخر غير مظهر الضوء والحرارة، وليس ينكر ما للضوء والحرارة معا من الأثر الحسن في تنقية المساكن مما يقطنها من الجراثيم القتالة، والعفن المضني ولذلك قيل إن الدار التي تدخلها أشعة الشمس لا يدخلها الطبيب.

وصف القمر

القمر أجمل الكواكب صورةً، وأبينها منظرا، وأسهلها رصدا، وأكبرها في رأى العين بعد الشمس جرما، وهو سيار كروي أصغر من الأرض بنحو تسع وأربعين مرة، انفصل منها زمن التكوين وصار تابعا لها، طائفًا حولها، مستمدا نوره من الشمس مثلها دائرا حول الشمس معها، غير أن طواف الأرض بقمرها حولها يتم في سنةٍ شمسيةٍ، وطواف القمر حول الأرض يتم في شهر قمري: أي مدة تسع وعشرين يوما ونصف يوم تقريبا، ومع أنه خاضع لنظام الأرض لا يقل بعده عنها عن واحد وعشرين ألفًا ومائتي ألف ميل.

والذي يسترعي أنظارنا كما استرعى أنظار من قبلنا اختلاف أشكاله وتعدد مطالعه، مما جعله مبعث تخيل القدماء، ومثار تفكر الحكماء، ومقصدا لعبادة الجهلاء، فتراه يلوح ليلة أول الشهر إثر غروب الشمس ضئيلاً مقوسا، لا يلبث أن يغرب ويغيب في شفق الشمس، ثم يهل في الليلة الثالثة أبين صورة وأبقى زمنا لازدياد تأخره في الغروب عن الشمس، ولا

يزال نوره في تزايد، ومطالعه في تقدم نحو المشرق حتى يطلع من اشرق في الليلة الرابعة عشرة عند غروب الشمس بدرا كاملاً، ي الطلعة باهر الأنوار؛ فتبارك الله أحسن الخالقين.

ولكن الكمال لله وحده، فإن منتهى الزيادة مبتدأ النقص، ففي الليلة الخامسة عشرة يتأخر طلوعه من المشرق، وينقص من حافة نوره التي كانت موضع هلاله الأول زيق لا يشعر به إلا في الليالي التالية، ولا تزال مطالعه في تقهقر ونوره في تناقص حتى قرب آخر الشهر فيشرق قبيل الفجر هلالاً ضئيلاً يكاد يكون مقلوب الهلال الأول، وفي الليلة الأخيرة يكون عند الصباح في الأفق الشرقي مظلما لا يرى منه شيء، وهو ليلة المحاق أو السرار ويظل بعض النهار كذلك ثم يتولد هلاله الجديد، ولكنه لا يظهر إلا بعد أن يغيب قرص الشمس فيلوح هلاله، ثم يختفي كما قدمنا.

وعلة ذلك: أن نور القمر كنور الأرض مستفاد من الشمس، وهو لا يقابل الأرض إلا بوجهٍ واحد لا يتغير، وهذا الوجه بالنسبة إلى حركته مع الأرض حول الشمس لا يقابل الشمس مقابلةً تامة إلا في وضع واحد ومرة واحدة هي الليلة الرابعة عشرة، فيغشاه نورها، ويصير بدرا، أما بقية الليالي التي قبلها والتي بعدها فينحرف قليلاً أو كثيرا عنها، حتى يصير كله ظلاما ليلة المحاق، فيطوى خبره ويكون الوجه الآخر الذي لا يرى لنا بدرا كاملاً، ثم يتولد هلاله خلقًا جديدا.

وكذلك شأن الأرض في استمداد نورها أو ما نسميه ارا، ولو كان في القمر سكان، لكانت الكرة الأرضية في رأي أعينهم أكبر كوكب في السماء، ولشاهدوها أكبر من الجرم الذي نشاهد القمر عليه أضعافًا مضاعفة ولكانت عندهم أروع جمالاً وأبدع من قمرهم في نظرنا تشكلاً، فبدورا ا على نفسها يرو ا كلها جزءًا فجزءًا، وتظهر قارا ا ومحيطا ا واضحة عليها في وقت الصحو، ومظللاً بعضها بالغمام في وقت الدجن، وتبدو أهلتها وبدورها ضخمة باهرة، ولكن لا يراها إلا سكان النصف المقابل لنا، أو الذين يريدون التفرج برؤيتها من أهل النصف الثاني.

ولقرب القمر منا وخلو جوه من الهواء سهل رصده علينا، فنرى في صفحته عند الشروق ليلة التمام كثيرا من المحو[1] يجعل صورته أشبه بوجه إنسان ذي أنف وفمٍ وحاجبين وعينين إحداهما مغضية، ولا يزال كذلك حتى يتعدى خط زوال مكان الناظر فإذا مال إلى

(1) المحو: السواد في القمر.

المغرب انحرفت هذه الصورة حتى يصير عاليها سافلها. وليس هذا المحو إلا ظلام بطون الأودية والسهول البعيدة الغور وظلال الجبال والهضاب الشاهقة الطول شهوقًا يكاد يمنع استدارته، أما قمم الجبال وسطوحها المقابلة للشمس فترى لامعة ساطعة فتبين سلاسل الجبال طرائق مضيئة وقممها نقطًا لامعة وفوهات جبال ناره الشديدة السعة، البعيدة الغور التي تعد بعشرات الألوف، كأ ا حلقات وسطها نقط سود.

وقد ظن القدماء في علة المحو ظنونا، بعضها صادف الحقيقة، وبعضها جانبها حتى ظهر غاليليو، واخترع سنة 1606، مرقبا يقرب الأشباح ثلاثين مسافة فأثبت وجود الجبال والأودية فيه، وزاد عليه غيره في تحسين المراقب المكبرة حتى صبح القمر يرى كأنه على بعد أربعين ميلاً منا، على أن هذا القرب لا يجعلنا نرى الأشباح الصغيرة التي من نوع الحيوان لنتحقق أن للقمر سكانا كما للأرض أو لا؛ ولكن قد أصبح من المرجح إن لم يكن من المحقق أنه خالٍ من الماء ومن السحاب والضباب الناشئين منه ومن النبات، إذ لو كان به شيء منها لتغير شكله من حال إلى حال، ويشك أن لـ ه هواءً، وإن كان لـ ه هواء فلعله لا يزيد على قمم جباله ولا شك أن الماء والهواء هما ينبوعا الحياة، وتجرده منهما، وخمود جبال ناره، ويبس جرمه يجعل برده شديدا جدا في الليل، وحره عظيما جدا في النهار على فرط طولهما البالغ فيه خمسة عشر يوما، مما يجعل الحياة فيه متعسرة بل مستحيلة، اللهم إلا أن تكون حياة غير حياتنا.

ويرجحون أن القمر كان في أزمان سحيقةٍ على طبيعةٍ تقرب من طبيعة أمه الأرض، فكان آهيلاً بالحيوان والنبات، إلا أن صغر جسمه جعله يسبق الأرض في اليبس والبرودة فتقبض وبرد وانتهت دنياه، وأصبح كإسفنجةٍ مشعثة ذات شعبٍ ونخاريب[1] تكوينها من جنس تكوين الأرض.

ولقد خلق الله القمر مسخرا لأهل الأرض خاصةً، فهو يعكس نور الشمس عليهم هداية لهم في ظلمات البر والبحر، ولقد قضى الإنسان عصورا ودهورا وليس لـ ه مصباح في جنح الظلام غيره، ولا يزال كذلك لأهل البدو وقبائل الهمج. وهو باختلاف أشكاله تقويم فطري لهم، فبإهلاله يعرف أول الشهر وبالتربيع الأول يعرف ربعه، وببدره[2] يعرف

(1) جمع: نخروب وهي الثقوب التي تكون في مثل بيوت الزنانير والنحل.

(2) مصدر بدر البدر يبدر بدرا. وبالمصدر سمي هذا الكوكب عند تمام نوره كأنه يبادر الشمس بالشروق في ليلة التمام عند غرو ا.

نصفه، وبالتربيع الأخير يعرف ثلاثة أرباعه، وبمحاقه تعرف ايته.

وإذا مرن الإنسان على النظر في تقدير ضوئه، وأوقات مطالعه، عرف الشهر يوما يوما، والليل ساعةً ساعةً، قال تعالى: **يسألونك عن الأهلة قُلْ هي مواقيت للناس والحج** [البقرة: 189].

وباتحاد جذبه مع جذب الشمس للأرض ينشأ المد والجزر، وفائد ما في تسهيل الملاحة لا تنكر، فكم موانئ ومرافئ لولاهما لسدت برواسب الأ ار والسيول.

ولضوء القمر في إنضاج الثمار والبقول أثر أيما حتى إن بعضها لا ينمو ويزهو لونه إلا في لياليه البيض.

الفن الخامس في المقامات

المقامة عبارة عن كتابة حسنة التأليف، أنيقة التصنيف، تتضمن نكتة أدبية ومدارها على رواية لطيفة مختلفة تسند إلى بعض الرواة، ووقائع شتى تعزى إلى أحد الأدباء؛ والمقصود منها غالبا جمع درر وغرر البيان، وشوارد اللغة ونوادر الكلام، منظوم ومنثور، فضلاً عن ذكر الفرائد البديعة، والرقائق الأدبية، كالرسائل المبتكرة، والخطب المحبرة، والمواعظ المبكية والأضاحيك الملهية[1] ولنذكر منتخبات من مقامات مختلفة فنقول:

قال الحريري:[2]

المقامة التاسعة الإسكندرنية:

أخبر الحارث بن همام قال: طحا بي[3] مرح[4] الشباب، وهوى الاكتساب[5] إلى أن جبت[6] ما بين فرغانه[7] وغانة[8] أخوض الغمار[9] لأجني الثمار، وأقتحم الأخطار[10] لكي أدرك الأوطار[11]. وكنت لقفت من أفواه العلماء وثقفت[12] من وصايا الحكماء، أنه يلزم

11) اعلم أن المقامات تعرف بالمكان الذي تجري فيه فيقال المقامة الحلبية أو الموصلية بناء على أن محل وقوعها حلب أو الموصل، وربما نسبت إلى المروي عنه. ويستحب في راوي المقامة أن يمثل رجلاً ظريف النفس كثير الأسفار حسن الرواية متفرغًا لفنون الأدب جاد في طلب غرره كادا ذهنه في تحصيل درره كالحارث ابن همام في المقامات الحريرية وعيسى بن هشام في المقامات البديعية، ومخترع هذا الفن هو بديع الزمان الهمذاني وبعده الحريري وأشتهر بعدهما كثيرون ممن نسجوا المقامات على منوالهما وإن لم يبلغوا شأوهما..

(2) تقدم أنه توفي سنة 615هـ.

(3) ذهب بي.

(4) هو النشاط وشدة الفرح.

(5) أي محبة اكتساب المال.

(6) قطعت.

(7) بلد بأقصى بلاد المشرق.

(8) بلد بأقصى المغرب.

(9) بالكسر جمع غمرة الكثير من الماء والمراد هنا الأمور الصعبة.

(10) أي ادخل في القحمة بالضم وهي الشدة والأخطار الأمور العظيمة.

(11) الحجاب.

(12) أدركت.

الأديب الأريب[1] إذا دخل البلد الغريب، أن يستميل قاضيه[2] ويستخلص مراضيه[3] ليشهد ظهره عند الخصام ويأمر في الغربة جور الحكام. فاتخذت هذا الأدب[4] إماما[5] وجعلته لمصالحي زماما، فما دخلت مدينة، ولا ولجت[6] عرينة[7] إلا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح، وتقويت بعنايته تقوي الأجساد بالأرواح، فبينما أنا عند حاكم الإسكندرية، في عشية عرية[8] وقد أحضر مال الصدقات، ليفضه[9] على ذوي الفاقات[10] إذ دخل شيخ عفرية[11] تعتله[12] امرأة مصبية[13].

فقالت: أيد[14] الله القاضي، وأدام به التراضي[15]، إني امرأة من أكرم جرثومة[16]، وأطهر أرومة[17]، وأشرف خؤولة وعمومة، ميسمي[18] الصون[19]، وشيمتي[20] الهون[21]،

---

(1) العاقل.
(2) يرغبه ويترضاه ويطلب ميله إليه.
(3) يطلب خالص رضاه.
(4) هذا الأمر الظريف المستحسن.
(5) قدوة أي أعمل بمقتضاه.
(6) دخلت.
(7) مأوى الأسد.
(8) شديدة البرد أو ذات ريح باردة.
(9) يفرقه.
(10) الفقراء المحتاجين.
(11) خبيث شديد الدهاء.
(12) تجره بعنف وجفاء.
(13) ذات صبيان.
(14) قواه ونطره.
(15) أراد التراضي بين الخصوم بحيث يرضي بحكمه الغالب والمغلوب.
(16) أي أصل.
(17) الأرومة بالفتح أصل الشجرة ثم استعير لأصل الحسب.
(18) علامتي وأصل الميسم الآلة التي يكوي ا ويعلم.
(19) الحفظ والعفاف.
(20) خلقي وعادتي.
(21) الرفق.

وخلقي نعم العون[1]، وبيني وبين جارتي بون[2] وكان أبي إذا خطبني بناة[3] ا ـد وأرباب الجد، سكتهم[4] وبكتهم[5] وعاف وصلتهم[6] وصلتهم[7] واحتج بأنه عاهد الله تعالى بحلفه أن لا يصاهر[8] غير ذي حرفة[9] فقيض القدر[10] لصبـي ووصبـي[11] أن حضر هذا الخدعة[12] نادي أبي[13] فأقسم بين رهطه[14] أنه وفق شرطه، وادعى أنه طالما نظم درة، فباعها ببرة[15] فاغتر بي بزخرفة محاله، وزوجنيه قبل اختبار حاله، فلما استخرجني من كناسي[16] ورحلني عن أناسي، ونقلني إلى كسرة[17] وحصلني تحت أسره، وجدته قعدة جثمة[18] وألفيته ضجعة نومة[19] وكنت برياش وزي وأثاث[20] وري[21] فما يبيعه في سوق

(1) أي الرفيق الظهير.

(2) أي فرق وتفاوت في الفضل.

(3) بالضم جمع بان.

(4) أي قال لهم كلاما لا يجدون لـه جوابا.

(5) ألزمهم الحجة.

(6) أي كره قر ا.

(7) عطاهم.

(8) أي يزوج ابنته.

(9) صناعته.

(10) يعني قدر الله تعالى.

(11) لتعبي ومرضي.

(12) الكثير الخداع.

(13) مجلس أبي.

(14) قومه وعشيرته.

(15) البدرة عشرة آلاف درهم.

(16) أي منـزلي وأصله بيت الضبـي أو بقر الوحش.

(17) بفتح الكاف وكسرها أي جانب بيته.

(18) كثير القعود كثير الجثوم أي يلازم الموضع الذي يقعد فيه.

(19) الضجعة والنومة أصله العاجز الذي لا يتصرف والمعنى أنه عاطل عن العمل كسول.

(20) رياش: مال ولباس فاخر، زي: هيئة حسنة، أثاث: متاع البيت.

(21) حسن حال وكثرة نعمة وهو بكسر الراء وفي الأصل اسم من روى.

سوق الهضم[1]، يتلف ثمنه في الخضم والقضم[2] إلى أن مزق مالي بأسره[3]، وأنفق مالي في عسره، فلما أنساني طعم الراحة، وغادر بيتي أنقى من الراحة[4] قلت لـه: يا هذا إنه لا مخبأ بعد بوس[5]، ولا عطر بعد عروس[6] فا ض بلا كتساب بصناعتك، واجتن[7] ثمرة براعتك[8] فزعم أن صناعة قد رميت بالكساد[9] لما ظهر في الأرض من الفساد، ولي منه سلالة[10] كأنه خلالة[11] وكلانا ما ينال منه شبعة[12] ولا ترقأ[13] له من الطوى[14] دمعة، وقد قدته[15] إليك وأحضرته لديك، لتعجم[16] عود دعواه، وتحكم بيننا بما أراك الله.

فأقبل القاضي عليه، وقال لـه: قد وعيت[17] قصص عرسك، فبرهن الآن عن نفسك، وإلا كشفت عن لبسك[18]، وأمرت بحبسك. فأطرق إطراق الأفعوان[19] ثم شمر

---

(1) المراد يبيعه بأقل من القيمة.

(2) الخضم: الأكل بأطراف الأسنان، وقيل أكل بأطراف الأسنان، والقضم: بمقدمها وقيل الخضم أكل الرطب والقضم أكل اليابس تريد أنه يصرف ثمنه في أنواع الأكل واللذات.

(3) فرق الذي لي بأجمعه.

(4) بطن الكف لنقائه من الشعر.

(5) فقر.

(6) مثل قالته امرأة من بني عزة مات عنها زوجها واسمه عروس فتزوجها رجل آخر وأمرها أن تتعطر فقالته.

(7) أي الجنى، جمع الثمرة.

(8) أي فضلك على أقرانك.

(9) هو خمود السوق وقلة البيع ضد النفاق بالفتح.

(10) يعني ولدا.

(11) ما يتخلل به.

(12) قدر ما يشبع به مرة.

(13) أي لا تسكن.

(14) الجوع.

(15) أتيت به.

(16) لتقضي وتختبر.

(17) فهمت وحفظت ما قصته زوجك.

(18) أظهر إشكالك وتعمية أمرك.

(19) ذكر الأفاعي أو العظيم منها.

للحرب العوان[1] وقال:

اسمــع حــديثي فإنـــ ــه عجـــب
يضحك مـن شـرحه وينتحـب[2]
أنــا أمــرؤ لــيس في خصائصـــه[3]
عيــ ــب ولا في فخــ ــاره ريــ ــب
ســروج داري الــتي ولــدت بـــها
والأصل غسـانُ[4] حـين أنتسـب
وشـــغلي الـــدرس، والتبحـــر في
العلــم طــلابي وحبــذا الطلـــب
ورأس مالي سـحر الكـلام[5] الـذي
منه يصـاغ القـريض[6] والخطـب
أغـوص في لجـة البيــ ــان فأختـار
اللآلــ ــئ منـ ــ ــها[7] وأنتخــ ــب
وأجتني[8] اليـانع[9] الجـني[10] مـن
القــول وغـــيري للعـــود يحتطـــب

---

(1) الحرب التي قبلها وهي تكون حرب أشد من الأولى.
(2) الانتحاب رفع الصوت بالبكاء.
(3) خصاله وطباعه.
(4) اسم ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا إليه، منهم بنو جفنة ورهط الملوك وقيل غسان قبيلة.
(5) هو ما لطف مأخذه ورق.
(6) الشعر.
(7) أي أتعمق في بليغ المعاني وانتقي منه الملح.
(8) أقتطف.
(9) الزاهي.
(10) الطري من الثمر الذي جني حديثًا.

وآخذ اللفظ فضة فإذا
ما صغته[1] قيل إنه ذهب
وكنت من قبل أمتري نشبا[2]
بالأدب المقتنى وأحتلب
ويمتطي[3] أخمصي[4] لحرمته
مراتبا ليس فوقها رتب
وطالما زفّت الصلات إلى
ربعي[5] فلم أرض كل من يهب[6]
فاليوم من يعلق الرجاء به
أكسد شيء في سوقه الأدب[7]
لا عرض أبنائه يصان ولا
يرقب[8] فيهم إل[9] ولا نسب
كأ م في عِراصهم[10] جيف
يبعد من نتنها ويجتنب

(1) سبكته.
(2) أي اكتسب مالاً.
(3) أي يركب.
(4) ما ارتفع من باطن القدم عن الأرض.
(5) أي حملت الجوائز والهدايا إلى منزلي.
(6) أي لم أرض أن أكون تحت منه كل أحد بل لم أقبل إلا من العظماء.
(7) أي أن ما يتعلق به الأمل ويرجى منه النوال لا يستعمل الأدب والمعارف حتى صار ذلك كالسلعة الكاسدة عنده.
(8) يحفظ.
(9) بكسر الهمزة وتشديد اللام - العهد والقرابة والجوار.
(10) جمع عرضة وهي فناء الدار أي كأ م في مواضعهم.

فحــارَ لُبــي[1] لمــا منيــت بــه[2]
مــن الليــالي وصــرفها[3] عجــب

وضاق ذرعي[4] لضــيق ذات يــدي
وســاورتني[5] الهمــوم والكــرب

وقــادني دهــري المــليم[6] إلى
سلوك مــا يستشــينه[7] الحسـب[8]

فبعــت حــتى لم يبــق لي لُبــد[9]
ولا بتــات[10] إليــه أنقلــب

وادنت[11] حتى أثقلــت ســالفتي[12]
بحمــل ديــن مــن دونــهِ العطــب

ثم طويت الحشــا علــى ســغبٍ[13]
خمسا[14] فلما امضــي[15] السـغب

(1) بليت به.
(2) تفلها.
(3) تحير عقلي.
(4) انقبض قلبي.
(5) انتابتني وغلبتني.
(6) الذي يأتي بما يلام عليه.
(7) يستبشعه.
(8) ما يعد من مفاخر الآباء أو الدين وقيل الكرم.
(9) يقال ما لــه سبد ولا لبد: أي لا شعر ولا صوف والمراد ذوات الشعر والصوف من المواشي، وأراد الحريري أنه لم يبق لــه كثير ولا قليل كناية عن شدة الفقر والحاجة.
(10) الزاد ومتاع البيت.
(11) تداينت.
(12) صفحة العنق وقيل مقدمه.
(13) جوع.
(14) خمس ليال.
(15) أحرقني.

لم أر إلاّ جهازهـــا عرضـــا[1]
أجـــولُ في بيعـــه وأضـــطرب
فَجلْـــت فيـــه والـــنفس كارهـــةٌ
والعين عبرى[2] والقلـب مكتئـب[3]
ومـــا تجـــاوزت[4] إذ عِبـــت[5] بـــه
حد التراضي[6] فيحـدث الغضـب
فـإن يكـــن غاظهـــا توهمهـــا
أن بنـــاني بالنـــظم تكتســـب
أو أنـــني إذْ عزمـــت خطبتـــها
زخرفـــت قـــولي ليـــنجح الأرب[7]
فوالـــذي ســـارت الرفـــاق[8] إلى
كعبتـه تستحِثهـا[9] النجـــُب[10]
ما المكر بالمُحصنات[11] مـن خلقـي
ولا شعاري[12] بتمويه[13] والكـذب

---

(1) حطام الدنيا، وهو المال قل أو كثر.
(2) دامعة باكية.
(3) حزين.
(4) تعديت.
(5) فعلت به ما لا يليق فعله.
(6) أي حد الرضا.
(7) الحاجة.
(8) جمع رفقة، وهو جمع رفيق.
(9) تستعجلها.
(10) جمع نجيبة، وهي الكريمة من الإبل.
(11) جمع محصنة، النساء العفائف.
(12) تخلقي.
(13) تزين الكلام وأصله أن يطلى المعدن غير الذهب والفضة بأحدهما أو الفضة بالذهب.

ولا يدي مـذْ نشـأت نِـيط ـا[1] … إلا مواضـي اليـراع[2] والكتـ ـب

بـل فكـرتي تـنظم القَلائـد[3] لا … كفي وشعري المنظوم لا السـخب[4]

فهـ ـذه الحِرفـ ـة المشـ ـ ـار إلى … مـا كنـت أحـوي ـا واجتلِـب

فـأذَنْ لشـرحي كمـا أذنـت لهـا … ولا تراقب[5] واحكـم بمـ ـا يجـب

قال: فلما أحكم ما شاده[6]، وأكمل إنشاده، عطف القاضي إلى الفتاة، بعد أن شغف[7] بالأبيات، وقال: أما إنه قد ثبت عند جميع الحكام، وولاة الأحكام انقراض[8] جيل الكرام[9] وميل الأيام إلى اللئام، وإني لإخال[10] بعلك[11] صدوقًا في الكلام بريا من الملام، وها هو قد اعترف لك بالقرض، وصرح عن المخض[12]، وبين مصداق النظم، وتبين أنه

---

(1) علق ا.

(2) جمع يراعة وهي القصبة الجوفاء والمراد ا الأقلام.

(3) جمع قلادة أصله ما تقلد به المرأة من الذهب والمراد ما ينظم من القصائد والأشعار.

(4) جمع سخاب وهو القلادة من القرنفل والمسك ليس فيها من الجواهر شيء يجعل في أعناق الأطفال.

(5) أي لا تنظر إلى واحد منا والمراد لا تعدل عن الحق.

(6) أي أتقن ما قاله وأنشأه من شاد البناء إذا طلاه بالشيد وهو الجص.

(7) ويروى بالعين المهملة من شعف الحب فؤاده أي علاه وشمله - وبالغين المعجمة أي فتن وبلغ حبها شغافه، وهو غلاف القلب.

(8) انقطاع وفناء.

(9) أي جماعة الكرم، والجيل أهل زمان واحد.

(10) بكسر الهمزة أي لا أظني.

(11) زوجك.

(12) الخالص.

معروق العظم[1]، وإعنات المعذر ملأمة[2]، وحبس المعسر[3] مألمة[4]، وكتمان الفقر زهادة، وانتظار الفرج بالصبر عبادة فارجعي إلى خدرك[5]، واعذرى أبا عذرك[6]، و نهي من غربك[7]، وسلمي بقضاء ربك.

ثم إنه فرض لهما في الصدقات حصةً، وناولهما من دارهمه قبضة[8]، وقال لهما: تعللا[9] بهذه العلالة[10]، وتنديا بهذه البلالة[11]، وصبرا على كيد الزمان وكده، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده، فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الإسار[12]، وهزة الموسر بعد الإعسار. قال الراوي: وكنت عرفت أنه أبو زيد، ساعة بزغت شمسه، ونزعت[13] عرسه وكدت أفصح عن افتنانه[14]، وأثمار أفنانه[15] ثم أشفقت[16] من عثور[17] القاضي على بهتانه[18]، وتزويق[19]

(1) كناية عن الهزال يقال عظم معروق إذا أخذ ما عليه من اللحم.

(2) الإعنات: الحمل على المشقة الشديدة والمعذر البالغ في العذر أو هو الذي يأتي بما يعذر به ويطلق على المحقق العذر، وعلى الذي بان عذره والملأمة اللؤم.

(3) العاجز عن قضاء الدين.

(4) إيلام.

(5) بيتك وسترك.

(6) أبو عذر المرأة أول زوج لها.

(7) أي كفي وازجري نفسك عن الحدة.

(8) هي ما يتناوله الإنسان بأطراف أصابعه.

(9) تشاغلاً وتلاهيا.

(10) ما يتعلل به وأصلها بقية اللبن.

(11) قدر ما يبل به الشيء واسم للبقية أيضا.

(12) القيد الذي يشد به الأسير.

(13) خبثت والنـزع الذر بالقبح والإفساد بين الناس ومعناه خاصمته عرسه.

(14) يقال افتن لرجل في حديثه إذا جاء بالأفانين وهي الأساليب والمراد هنا تصرفه في الفنون والمعارف.

(15) جمع فنن بالتحريك وهو طرف الغصن.

(16) خفت.

(17) اطلاع.

(18) كذبه.

(19) التزويق التحسير، والتزويق مأخوذ من الزاووق، وهو الزئبق.

لسانه، فلا يرى عند عرفانه[1] أن يرشحه[2] لإحسانه، فأحجمت[3] عن القول إحجام المرتاب[4]، وطويت ذكره كطي السجل للكتاب[5]، إلا أني قلت بعد ما فصل[6] ووصل إلى ما وصل؛ لو أن لنا من ينطلق في أثره لأتانا بفص خبره[7]، وما ينشر من حبره.[8]

فأتبعه[9] القاضي أحد أمنائه، وأمره بالتجسس[10] عن أنبائه[11]، فما لبث أن رجع متدهدها[12]، وقهقر مقهقها[13]، فقال لـه القاضي: مهيم[14] يا أبا مريم[15]؟ فقال له: لقد عاينت عجبا، وسمعت ما أنشأ لي طربا، فقال له: ماذا رأيت؟ وما الذي وعيت؟ قال: لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه، ويخالف بين رجليه[16]، ويغرد بملء شدقيه؛ ويقول:

كـدت أصـلـى [17] بـبليـه ... مـن وقـاح[18] شمريـه[19]

وأزور السـجن لـولا ... حـاكم الإسكندريـه

(1) معرفته.

(2) الترشيح، والتربية، والتأهيل من ترشيح الظبية ولدها، لأ ا إذا بلغ ولدها السعي سعت به حتى عرقا فتقوى؛ ويأتي بمعنى التقوية أيضا.

(3) تأخرت.

(4) الشاك.

(5) السجل: الصحيفة فيها الكتابة - أي كما تطوي الصحيفة الكتابة.

(6) ذهب.

(7) بحقيقة حاله.

(8) الحبر: أردية يمانية موشاة جمع حبرة، والمراد ما يذكره من الكلام المسجع الشبيه بالحبر في الحسن.

(9) أي أرسل وراءه من يتبعه.

(10) أي بالبحث سرا بحيث لا يشعر.

(11) أخباره.

(12) التدهده: الإسراع من دهدهت الحجر إذا دحرجته وتبدل الهاء الأخيرة ياء فيقال تدهدي تدهديا.

(13) القهقرى المشي إلى الوراء، والقهقهة الضحك بصوت مرتفع.

(14) أي ما الخبر، وهي كلمة لأهل اليمن، معناها، ما خبرك وما شأنك.

(15) يقال لعون القاضي أبو مريم.

(16) أي يرقص.

(17) احترق.

(18) الوقاح: قليلة الحياء بينة القحة والوقاحة، وحافر وقاح: صلب.

(19) الشمري: الماضي في الأمور الجاد فيما يحاول.

فضحك القاضي حتى هوت[1]، دنيته[2]، وذوت[3] سكينته[4]، فلما فاء[5] إلى الوقار، وعقب الاستغفار بالاستغفار، قال: اللهم بحرمة عبادك المقربين حرم حبسي على المتأدبين، ثم قال لذلك الأمين: علي[6] به، فانطلق مجدا في مطلبه، ثم عاد بعد لأيه[7] مخبرا بنأيه[8]، فقال له القاضي: أما إنه لو حضر لكفي الحذر[9]، ثم لأوليته ما هو به أولى، ولأريته أن الآخرة خير له من الأولى؛ قال الحارث بن همام: فلما رأيت صغو[10] القاضي إليه، وفوت ثمرة الشبيه عليه غشيتني[11] ندامة الفرزدق[12] حين أبان النوار[13] والكسعي[14] لما استبان النهار.

---

(1) وقعت.

(2) بتشديد النون والياء جميعا قلنسوة يلبسها القضاة كأ ا منسوبة إلى دن.

(3) ذبلت وفترت.

(4) وقاره.

(5) رجع.

(6) أي ائت به وأحضره.

(7) اللأي كالسعي: الإبطاء والاحتباس.

(8) أي ببعده.

(9) ما يحتار منه ويخاف.

(10) ميله.

(11) أتتني وحضرتني.

(12) هو همام بن غالب التميمي الشاعر.

(13) النوار على وزن سحاب اسم زوجه الفرزدق، وكان قد طلقها ثم ندم على ذلك ومن شعره في ذلك قوله:

ندمت ندامة الكسعي لما ... غدت مني مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منها ... كآدم حين أخرجه الضرار

ولو أني ملكت يدي وأمري ... لكن علي للقدر الخيار

(14) الكسعي هو عامر بن الحارث نسبة إلى كسع - بضم الكاف وفتح السين - حي من بني ثعلبة كان راعيا وعمل قوسا بعد طول تعب ثم رمى عنها ليلاً فنفذت في الرمية ووقع السهم في حجر فقدح منه الشرر فظن أن السهم أخطأ الرمية، فرمى ثانيا وثالثًا إلى آخر الأسهم وكانت خمسا، وهو يظن خطأها فعمد إلى قوسه فكسرها، ثم بات فلما أصبح تبين أن أسهمه كلها أصابت فندم ندما شديدا فضربت العرب المثل به في الندامة.

المقامة البشرية لبديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة 398هـ

حدثنا عيسى بن هشام، قال: كان بشر بن عوانة العبدي صعلوكًا، فأغار على ركب فيهم امرأة جميلة فتزوج ا، وقال: ما رأيت كاليوم، فقالت:

أعجـب بشـرا حـور في عـيني وسـاعد أبـيض كـاللجين
ودونـه مسـرح طـرف العـين خمصـانةٌ ترفـل في حجلـين
أحسن من يمشـي علـى رجلـين لـو ضـم بشـر بينـها وبـيني
أدام هجـري وأطـال بـيني ولـو يقـيس زينهـا بـزيني
لأسفر الصبح لذي عينين

قال بشر: ويحك من عنيت؟ فقالت: بنت عمك فاطمة، فقال: أهي من الحسن بحيث وصفت؟ فقالت: وأزيد وأكثر، فأنشأ يقول:

ويحـكِ يـا ذات الثنايـا البـيض مـا خِلْـتني منـك بمسـتعيض
فـالآنَ إذْ لوحـت بـالتعريض خلوت جـواً فاصـفري وبيضـي
لا ضم جفْنـاي علـى تغمـيض ما لم أشلْ عرضي مـن الحضـيض
فقالت كما خاطبي في أمرها ألحّـا وهـي إليـك ابنـة عـم لحّـا

ثم أرسل إلى عمه يخطب ابنته، ومنعه العم أمنيته، فآلى ألا يرعى على أحد منهم إن لم يزوجه ابنته، ثم كثرت مضراته فيهم واتصلت معراته إليهم، فاجتمع رجال الحي إلى عمه، وقالوا: كف عنا مجنونك، فقال: لا تلبسوني عارا وأمهلوني حتى أهلكه ببعض الحيل، فقالوا: أنت وذاك، ثم أرسل إليه عمه: إني آليت أن لا أزوج ابنتي هذه إلا ممن يسوق إليها ألف ناقةً مهرا، ولا أرضاها إلا من نوق خزاعة.

وكان غرض العم أن يسلك بشر الطريق بينه وبين خزاعة فيفترسه الأسد؛ لأن العرب قد كانت تحامت عن ذلك الطريق، وكان فيه أسد يسمى "داذًا" وحية تدعى "شجاعا" يقول فيهما قائلهم:

أفتك من "داذٍ" ومـن "شـجاعِ" إن يـك داذٌ سـيد السـباع
فإ ـا سيـدةُ الأفاعي

ثم إن بشرا سلك ذلك الطريق، فما نصفه حتى لقي الأسد، وقمص مهره فـ ل وعقره،

ثم اخترط سيفه إلى الأسد واعترضه وقطعه، ثم كتب بدم الأسد على قميصه إلى ابنة عمه:

أفاطم لو شهدت ببطن خبتٍ ... وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا
إذًا لرأيت ليثًا أم ليثًا ... هزبرا أغلبا لاقى هزبرا
تبهنس حين حجم عنه مهري ... محاذرةً، فقلت: عقرت مهرا
أنلْ قدمي ظهر الأرض إني ... رأيت الأرض أثبت منك ظهرا
وقلت له وقد أبدى نصالاً ... محددة ووجهًا مكفهرا
يكفكف غيلةً إحدى يديه ... ويبسطُ للوثوب علي أخرى
يدل بمخلب وبحد ناب ... وباللحظات تحسبهن جمرا
وفي يمناي ماضي الحد أبقي ... بمضربه قراع الموت أثرا
ألم يبلغك ما فعلت ظباه ... بكاظمةٍ غداة لقيت عمرا
وقلبي مثلُ قلبك ليس يخشى ... مصاولةً، فكيف يخاف ذعرا
وأنت تروم للأشبال قوتا ... وأطلب لابنة الأعمام مهرا
ففيم تسوم مثلي أن يولي ... ويجعل في يديك النفس قسرا
نصحتك فالتمس يا ليثُ غيري ... طعامًا إن لحمي كان مرا
فلما ظن أن الغش نصحي ... وخالفني كأني قلت هجرا
مشى ومشيت من أسدين راما ... مراما كان إذ طلباه وعرا
هززت له الحُسام فخلت أني ... سللت به لدى الظلماء فجرا
وجدت له بجائشةٍ أرته ... بأنْ كذبته ما منته غدرا
وأطلقت المهند من يميني ... فقد له من الأضلاع عشرا
فخر مجندلاً بدمٍ كأني ... هدمت به بناءً مشمخرا
وقلت له: يعز علي أني ... قتلت مناسبي جلدا وفخرا
ولكن رمت شيئًا لم يرمه ... سواك فلم أطق يا ليثُ صبرا

تحـــاول أن تعلمـــني فـِـرارا   لعمر أبيك قـد حاولـت نكـرا
فلا تجـزع فقـد لاقيـت حـراً   يحـاذر أن يعـاب فمـت حـرا

فلما بلغت الأبيات عمه ندم، على ما منعه تزويجها، وخشي أن تغتاله الحية، فقام في أثره وبلغه، وقد ملكته سورة الحية.

فلما رأى عمه أخذته حمية الجاهلية، فجعل يده في فم الحية وحكم سيفه فيها وقال:

ِبشـــر إلى ا ـــد بعيـــد همـــه   لمّـــا رآه بالعـــراءِ عمـــه
قـــد ثَكِلْتــه نفُســـه وأمـــه   جاشــت بـــه جائشــةٌ مــه
قـــام إلى ابـــنٍ للفَـــلا يؤمـــه   فغــاب فيـــه يـــده وكُمــه

ونفسه نفسي وسمي سمه

فلما قتل الحية قال عمه: إني عرضتك طمعا في أمرٍ قد ثنى الله عناني عنه، فارجع لأزوجك ابنتي.

فلما رجع جعل بشر يملأ فمه فخرا حتى طلع أمرد كشق القمر على فرسه مدججا في سلاحه. فقال بشر: إني أسمع حس صيدٍ وخرج فإذا بغلام على قيدٍ، فقال: ثكلتك أمك يا بشر إن قتلت دورة و يمة تملأ ما ضغيك فخرا، أنت في أمان إن سلمت عمك، فقال بشر: من أنت؟ لا أم لك؟ قال: اليوم الأسود والموت الأحمر. فقال بشر: ثكلتك من سلحتك. فقال: يا بشر ومن سلحتك، وكر كل واحدٍ منهما على صاحبه، فلم يتمكن بشر منه، وأمكن الغلام عشرين طعنة في كلية بشر، كلما مسه شبا السنان حماه عن بدنه إبقاءً عليه، ثم قال: يا بشر كيف ترى؟ أليس لو أردت لأطعمتك أنياب الرمح؟ ثم القى رمحه، واستل سيفه فضرب بشرا عشرين ضربة بعرض السيف، ولم يتمكن بشر من واحدة، ثم قال: يا بشر سلم عمك واذهب في أمانٍ، قال: نعم، ولكن على شريطة أن تقول لي من أنت؟ فقال: أنا ابن المرأة التي دلتك على ابنة عمط؛ فقال بشر:

تلك العصا مـن هـذه العصـية   وهـــل تلـــد الحيـــةُ إلا الحيـــة

وحلف لا ركب حصانا، ولا تزوج حصانا، ثم زوج ابنة عمه لابنه.

الفن السادس في الروايات

الرواية عبارة عن ذكر قولٍ أو فعل حدثا، أو أمكن حدوثهما.

وخواصها أربعة: الإيضاح، والإيجاز، والإمكان، والتلطف.

فالإيضاح: يكون بتقديم فرش للحديث، وتوطئةٍ للخبر، يقرب مأخذ الرواية، وبمراعاة الترتيب الطبيعي في إيراد ظروف الخبر ما لم يكن للراوي غرض لتجاوز هذا النظام؛ وبالعدول عن كثرة الاستطرادات في إنشاء الحديث لأن ذلك يصرف العقل عن سياق لرواية ويذهب برونقها.

والإيجاز: حذف فضول حشو الكلام مع انتقاء أخص الظروف وأنسبها للغاية، ولا بأس بالإطناب إذا ما دعا إليه مقتضى الحال.

والإمكان: ترشيح الرواية للقبول في ذهن السامع.

والتلطف: في الرواية أن يبلغ الكاتب كنه القلوب، ويأخذ بمجامع اللب بأن ينتقل فيها من حال إلى حال لأن النفس قد جبلت على محبة التحول وطبعت على إيثار التنقل.

والرواية ثلاثة أجزاء: صدرها، وعقد ا، وختامها:

فالصدر، التوطئة للواقع بحيث يقف السامع على أسماء الأشخاص وطاعهم، وعلى مكان الواقع وسوابق العمل.

والعقدة: هي جزء الذي على محوره تدور الرواية؛ وهو ا ال الأوسع الذي تتقابل فيه الأشخاص وتشتبك الأحوال وتضطرم في النفس لواعج الشوق للوقوف على عاقبة الأمر، فتنتقل من الرجاء إلى الخوف ومن الفرح إلى الحزن.

والختام: الجزء الأخير من الرواية الذي به تفك الإربة وتحل رباق الحديث، فتنال النفوس بذلك مرامها وتفوز بوطرها، وسمته أن يكون فجائيا مرتبطًا مع ما قبله ارتباطًا محكما وافيا بالمراد بحيث ترضى به النفوس، وترتاح إليه القلوب وشواهد الرواية كثيرة لا نطيل بذكرها؛ أفردها الأدباء بالتآليف العديدة، ولنذكر هاهنا بعض ملح لا يستغني عنها المقام.

ليلى الأخيلية مع الحجاج

روى بعضهم أنه بينما كان الحجاج في مجلس ومعه عنبسة بن سعيد، إذ دخل الحاجب فقال: امرأة بالباب، فقال له الحجاج: أدخلها، فدخلت فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظنت أن ذقنه قد أصاب الأرض، فجاءت حتى قعدت بين يديه فنظرت فإذا امرأة قد أسنت،

حسنة الخلق، ومعها جاريتان لها، وإذا هي ليلى الأخيلية، فسألها الحجاج عن نسبها، فانتسبت له، فقال لها: يا ليلى ما أتى بك؟ فقالت: إخلاف النجوم وقلة الغيوم، وكلب البرد، وشده الجهد، وكنت لنا بعد الله الرفد. فقال لها: صفي لنا الفجاج، فقالت: الفجاج مغبرة، والأرض مقشعرة، والبرك معتل، وذا العيال مختل، والهالك للقل والناس مسنتون، رحمة الله يرجون، وأصابتنا سنون مجحفة مبلطة، لم تدع لنا هبعا ولا ربعا، ولا عافطة ولا نافطة، أذهبت الأموال، ومزقت الرجال وأهلكت العيال، ثم قالت: إني قلت في الأمير قولاً، قال: هات؛ فأنشأت تقول:

أحجاج لا يفلـلْ سـلاحك إنمـا ... المنايـا بكـف الله حيـث يراهـا

أحجاج لا تعـط العصـاة منـاهم ... ولا الله يعطـي للعصـاة مناهـا

إذا هبط الحجاج أرضـا مريضـة ... تتبـع أقصـى دائهـا فشـفاها

شفاها من الداء العضال الذي بـها ... غـلام إذا هـز القنـاةَ سـقاها

سقاها فرواهـا بشـرب سـجاله ... دماء رجالٍ حيث مـال حشـاها

إذا سمـع الحجـاج رز كتيبـةٍ ... أعد لها قبـل النـزول قِراهـا

أعـد لهـا مصـقولةً فارسـيةً ... بأيدي رجـال يحلبـون صـراها

فما ولد الأبكـار والعـون مثلـه ... ببحـرٍ ولا أرض يجـف ثراهـا

قال: فلما قالت هذا البيت، قال الحجاج: قاتلها الله، ما أصاب صفتي شاعر منذ دخلت العراق غيرها؛ ثم التفت إلى عنبسة بن سعيد، فقال: والله إني لأعد للأمر عسى أن لا يكون أبدا، ثم التفت إليها فقال: حسبك. قالت: إني قد قلت أكثر من هذا. قال: حسبك، ويحك حسبك. ثم قال: يا غلام اذهب إلى فلان، فقل له اقطع لسانها، فذهب بها فقال له: يقول لك الأمير: اقطع لسانها، قال فأمر بإحضار الحجام فالتفتت إليه فقالت: ثكلتك أمك، أما سمعت ما قال؟ إنما أمرك أن تقطع لساني بالصلة، فبعث إليه يستثبته، فاستشاط الحجاج غضبا، وهم بقطع لسانه، وقال: ارددها، فلما دخلت عليه قالت: كاد (وأمانة الله) يقطع مقولي؛ ثم أنشأت تقول:

حجاج أنت الذي ما فوقـه أحـد ... إلا الخليفـةُ والمسـتغفر الصـمد

حجاج أنت شهاب الحرب إن لقحت ... وأنت للناس نور في الـدجى يقـد

ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال: أتدرون من هذه؟ قالوا: لا والله أيها الأمير، إنا لم نر قط أفصح لسانا، ولا أحسن محاورة، ولا أملح وجها، ولا أرصن شعرا منها. فقال: هذه ليلى الأخيلية التي مات توبة الخفاجي من حبها ثم التفت إليها فقال: أنشدينا يا ليلى بعض ما قال فيك توبة، قالت: نعم أيها الأمير، هو الذي يقول:

وهل تبكين ليلى إذا مت قبلها — وقام على قبري النساء النوائح

كما لو أصاب الموت ليلى بكيتها — وجاد لها دمع من العين سافح

وأغبط من ليلى بما لا أناله — بلى كل ما قرت به العين طائح

ولو أن ليلى الأخيلية سلّمت — علي ودوني جندلٌ وصفائح

لسلّمت تسليم البشاشة أورقا — إليها صدى من جانب القبر صائح

ثم قال: سلي يا ليلى تعطي قالت: أعط فمثلك أعطى فأحسن. قال: لك عشرون، قالت: زد، فمثلك زاد فأجمل، قال: لك أربعون. قالت: زد فمثلك زاد فأكمل. قال: لك ثمانون، قالت: زد، فمثلك زاد فتمم. قال: مائة واعلمي أ ا غنم، قالت: معاذ الله أيها الأمير، أنت أجود جودا، وأمجد مجدا، وأروى زندا من أن تجعلها غنما، قال: فما هي ويحك يا ليلى؟ قالت: مائة من الإبل برعا ا. فأمر لها ا، ثم قال: ألك حاجة بعدها؟ قالت: يدفع إليّ النابغة الجعدي. قال: قد فعلت. وقد كانت جوه ويهجوها، فبلغ النابغة ذلك فخرج هاربا عائذًا بعبد الملك، فاتبعته إلى الشام فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان فاتبعته على البريد بكتاب الحجج إلى قتيبة بقومس ويقال بحلوان.

بنات الشاعر المقتول

كان لشاعر عدو فبينما هو سائر ذات يوم في بعض الطرق إذا هو بعدوه، فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة؛ فقال له: يا هذا أنا أعلم أن المنية قد حضرت ولكن سألتك الله إذا أنت قتلتني أن امض لي داري، وقف بالباب وقل: "ألا أيها البنتان إن أبا كما" فقال: سمعا وطاعة، ثم إنه قتله، فلما فرغ من قتله أتى إلى داره، ووقف بالباب وقال: "ألا أيها البنتان إن أباكما" وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل "ألا أيها البنتان إن أباكما" أجابتاه بفمٍ واحد (قتيل خذا بالثأر ممن أتاكما" ثم تعلقتا بالرجل، ورفعتاه إلى الحاكم فاستقرره فأقر بقتله فقتله.

المرأة المتكلمة بالقرآن الكريم

قال عبد الله بن المبارك: خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، فبينما أنا في بعض الطريق إذ أنا بسوادٍ، فتميزت ذاك فإذا هي عجوز عليها درع من صفوف وخمار من صوف فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقالت: **سلام قولاً من رب رحيم** [يس: 58] فقلت لها: يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان؟ قالت: **ومن يضلل الله فما له من هاد** [الرعد: 33] فعلمت أ ا ضالة عن الطريق فقلت لها: أين تريدين؟ قالت: **سبحانَ الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** [الإسراء: 1] فعلمت أ ا قد قضت حجتها وهي تريد بيت المقدس، فقلت لها: أنت منذ كم في هذا الموضع؟ قالت: **ثلاثَ ليالٍ سويا** [مريم: 10] فقلت: ما أرى معك طعاما تأكلين، قالت: **هو يطعمني ويسقين** [الشعراء: 79] فقلت: فبأي شيء تتوضئين؟ قالت: **فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيدا طيبا** [النساء: 43]. فقلت لها: إن معي طعاما فهل لك في الأكل؟ قالت: **ثم أتموا الصيام إلى الليل** [البقرة: 187] فقلت: ليس هذا شهر رمضان، قالت: **ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم** [البقرة: 158]، فقلت: قد أبيح لنا الإفطار في السفر. قالت: **وأنْ تصوموا خير لكم إن كُنتم تعلمونَ** [البقرة: 184] فقلت: لمَ لا تكلمينني مثل ما أكلمك؟ قالت: **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب حفيظ** فقلت: فمن أي الناس أنت؟ قالت: **ولا تقْف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفُؤاد كُل أولئك كانَ عنه مسؤولاً** [الإسراء: 36] فقلت: قد أخطأت فاجعليني في حلٍ. قالت: **لا تثْريب عليكُم اليوم يغفر اللهُ لكُم** [يوسف: 92] فقلت: فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة؟ فقالت: **وما تفْعلُوا من خيرٍ يعلمه الله** [البقرة: 197] قال: فأنخت ناقتي قالت: **قُل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** [النور: 30] فغضضت بصري عنها، وقلت لها: اركبي. فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة، فمزقت ثيا ا فقالت: **وما أصابكُم من مصيبةٍ فبما كسبت أيديكُم** [الشورى: 30] فقلت لها: "اصبري حتى أعقلها، قالت: **ففهمناها سليمان** فعقلت الناقة وقلت: لها اركبي، فلما ركبت قالت: **سبحانَ الذي سخر لنا هذَا وما كُنا له مقْرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبونَ** [الزخرف: 13، 14] قال: فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسرع وأصيح. فقالت: **واقْصد في مشيك واغْضض من صوتك** [لقمان: 19]. فجعلت أمشي رويدا رويدا وأترنم بالشعر: فقالت: **فاقْرؤوا ما تيسر من القُرآن** [المزمل 20] فقلت لها: لقد

أتيت خيرا كثيرا. قالت: **وما يذكر إلا أولو الألباب** [البقرة: 269] فلما مشيت ا قليلا قلت: ألك زوج؟ قالت: **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** [المائدة: 101]. فسكت ولم أكلمها حتى أدركت ا القافلة. فقلت لها: هذه القافلة فمن لك فيها؟ فقالت: **المال والبنون زينة الحياة الدنيا** [الكهف: 46] فعلمت أن لها أولادا. فقلت: وما شأ م في الحج؟ قالت: **وعلامات وبالنجم يهتدون** فعلمت أ م أدلاء الركب. فقصدت ا القباب والعمارات فقلت: هذه القباب فمن لك فيها؟ قالت: **واتخذ الله إبراهيم خليلا** [النساء: 25] ، **وكلم الله موسى تكليما** [النساء: 164] **يا يحيى خذ الكتاب بقوة** [مريم: 12] ، فناديت: يا إبراهيم، يا موسى يا يحيى. فإذا أنا بشبان كأ م الأقمار قد قبلوا، فلما استقر م الجلوس، قالت: **فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه** [الكهف: 19] فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدي، وقالت: **كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية** [الحاقة: 24] فقلت: الآن طعامكم على حرام حتى تخبروني بأمرها. فقالوا: هذه أمنا منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن، مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن، فسبحان القادر على ما يشاء. فقلت: **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** [الحديد: 21].

مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير

روى عقيل بن خالد عن ابن شهاب أن مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير اجتمعا ذات يوم في حجرة عائشة (والحجاب بينهما وبينها) يحدثا ا ويسألا ا، فجرى الحديث بين مروان وابن الزبير ساعة؛ وعائشة تسمع.

فقال مروان:

فمن يشأ الرحمن يخفض بقدره ... وليس لمن لم يرفع الله رافع

فقال ابن الزبير:

ففوض إلى الله الأمور إذا اعترت ... وبالله، لا بالأقربين، أدافع

فقال مروان:

وداو ضمير القلب بالبر والتقى ... فلا يستوي قلبان قاس وخاشع

فقال لابن الزبير:

ولا يستوي عبدان هـذا مكـذّب عتـل لأرحـام العشـيرة قـاطع

فقال مروان:

وعبد يجافي جنبـه عـن فِراشـه يبيت يناجي ربـه وهـو راكـع

فقال ابن الزبير:

وللخير أهـلٌ يعرفـون بـديهم إذا اجتمعت عند الخُطوب المـامع

فقال مروان:

وللشر أهـلٌ يعرفـون بشـكلهم تشير إلـيهم بـالفجور الأصـابع

فسكت ابن الزبير ولم يجب، فقالت عائشة: يا عبد الله ما لك لم تجب صاحبك؟ فوالله ما سمعت تجاولاً في نحو ما تجاولتما فيه أعجب إلي من تجاولكما، فقال ابن الزبير: إني خفت عوار القول فكففت.

عبيد بن الأبرص وامرؤ القيس

قيل إن عبيد بن الأبرص لقي امرأ القيس يوما فقال له: كيف معرفتك بالأوابد؟ قال: ما أحببت. فقال:

مـا حبـةٌ ميتـةٌ قامـت بميتتـها درداء مـا أنبتـت نابـا وأضراسـا

فقال امرؤ القيس:

تلك الشعيرة تسـقى في سـنابلها فد أخرجت بعد طول المكث أكداسـا

فقال عبيد:

ما السود والبيض والأسماء واحـدةٌ لا تستطيع لهـن النـاس تمساسـا

فقال امرؤ القيس:

تلك السحاب إذا الرحمن أنشـأها روى بـن محـول الأرض أيباسـا

فقال عبيد:

ما مرتجات على هـول مراكبهـا يقْطن بعد المدى سـيرا وأمراسـا

فقال امرؤ القيس:

تلك النجوم إذا حانـت مطالعهـا شبهتها في سـواد الليـل أقباسـا

قال عبيد:

ما القاطعات لأرض لا أنيس ـا   تأتي سِراعا وما يرجعن أنكاسا

فقال امرؤ القيس:

تلك الرياح إذا هبت عواصفها   كفى بأيامها للسرب كُناسا

فقال عبيد:

ما الفاجعات جهارا في علانيةٍ   أشد من فَيلق ملحومة باسا

فقال امرؤ القيس:

تلك المنايا فما يبقين من أحدٍ   يأخذن حمقى وما يبقين أكياسا

فقال عبيد:

ما السابقات سِراع الطّير في مهل   لا يشتكين ولو طال المدى باسا

فقال امرؤ القيس

تلك الجياد عليها القوم مذ نتجت   كانوا لهن غداة الروع أحلاسا

فقال عبيد:

ما القاطعات لأرض الجو في طَلَق   قبل الصباح وما يسوين قرطاسا

فقال امرؤ القيس:

تلك الأماني يتركن الفتى ملكًا   دوم السماء ولم ترفع له راسا

فقال عبيد:

ما الحاكمون بلا سمع ولا بصرٍ   ولا لسانٍ فصيح يعجب الناسا

فقال امرؤ القيس:

تلك الموازين والرحمن أرسلها   رب البرية بين الناس مِقياسا

أبو تراب - والشريف العباسي

اجتمع يوما أبو تراب هبة الله بن السريجى، والشريف العباسي وكانا شاعرين فقال أبو تراب:

أسلوت حب بدور أم تتجلّد   وسهرت ليلك أم جفونك ترقد

فأجاب الشريف بديها:

لا بلْ هم أَلِفوا القطيعةَ مثـلَ مـا ... أَلِفــوا نــزولهم ـــا فتبعــدوا

فقال أبو تراب:

فــإلام تصــبر والفــؤاد متــيم ... ولظى اشتياقك في الحَشـى يتوقّـد

فأجاب الشريف:

ما دام لي جلـد فلسـت بجـازع ... إذْ كان صبري في العواقب يحمـد

فقال أبو تراب:

أحسنت: كِتمان الهوى مستحسـن ... لو كان مـاءُ العـين ممـا يجمـد

فأجاب الشريف:

إنْ كان جفني فاضحي بدموعـه ... أظهــرت للجلســاء أني أرمــد

فقال أبو تراب:

فهبِ الدموع إذا جـرت موهتـها ... فيقــال ـم أنفاســه تتصعــ ـد

فأجاب الشريف:

أمشي وأسرع كـي يظنـوا أ ـا ... من ذلك المشـي السـريع توالـد

فقال أبو تراب:

هــذا يجــوز ومثلــه مســتعملٌ ... لكن وجهـك بالمحبـة يشـ ـهد

فأجاب الشريف:

إن كان وجهي شاهدا ـوى فمـا ... يـدرى إلى مـن بالمحبـةِ أقصِـد

فقال أبو تراب:

إخضع وذلّ لمن تحـب فلـيس في ... حكمِ الهوى أنف يشـالُ ويعقـد

فأجاب الشريف:

ذا لا يكونُ مـع الحبيـب وإنمـا ... مــع ســافط متحيــل يتعمــد

المأمونُ والمرأة المتظلمة

جلس المأمون يوما للمظالم فكان آخر من تقدم إليه، وقد هم بالقيام امرأة عليها هيئة السفر، وعليها ثياب رثة فوقفت بين يديه فقالت: (السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته) فنظر المأمون إلى يحيى[1] بن أكثم فقال لها يحيى: وعليك السلام يا أمة الله، تكلمي في حاجتك، فقالت:

يا خير منتصفٍ يهـدى لـه الرشـد ويا إماما بـه قـد أشـرق البلـد
تشكو إليك عميـد القـوم أرملـةٌ عدا عليها فلم يترك لهـا سـبد[2]
وابتــزهِــني ضــياعي منعِتهــا ظُلما وفرق مني الأهـل والولـد

فأطرق المأمون حينا ثم رفع رأسه إليها وهو يقول:

في دون ما قلتِ زال الصبر والجَلَـد عني وأقـرح مـني القلـب والكبِـد
هذا أوان صـلاةِ العصـرِ فانصـرفي وأحضِري الخَصم في اليوم الذي أعِـد
وا لس السبت إن يقض الجلوس لنا ننصِفكِ منـه وإلا ا لـس الأحـد[3]

فلما كان يوم الأحد جلس فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة فقالت:

(السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته) فقال: وعليك السلام. أين الخصم؟ فقالت: الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين، وأومأت إلى العباس ابنه فقال: يا أحمد بن أبي خالد خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم، فجعل كلامها يعلو كلام العباس. فقال لها أحمد بن أبي خالد: يا أمة الله إنك بين يدي أمير المؤمنين وإنك تكلمين الأمير فاخفضي من صوتك. فقال المأمون: دعها يا أحمد، فإن الحق أنطقها وأخرسه، ثم قضى لها برد ضيعتها إليها، وأمر بالكتاب لها إلى العامل ببلدها أن يوفر لها ضيعتها، ويحسن معونتها وأمر لها بنفقةٍ.

(1) يحيى بن أكثم قاضي الدولة العباسية لعهد المأمون ومن سلالة أكثم بن صيفي توفي سنة 242.

(2) أصل السبد: القليل من الشعر. ويقال ما له سبد ولا لبد أي لا قليل ولا كثير.

(3) قوله: وإلا ا لس. أسقط منه فاء الجواب للضرورة.

عمر بن الخطاب والهُرمُزان

لما أتي باالهرمزان أسيرا إلى عمر بن الخطاب قيل له: يا أمير المؤمنين هذا زعيم العجم وصاحب رئيسهم. فقال له عمر: أعرض عليك الإسلام نصحا لك في عاجلك وآجلك. قال: يا أمير المؤمنين إنما أعتقد ما أنا عليه، ولا أرغب في الإسلام. فدعا له عمر بالسيف فلما هم بقتله قال: يا أمير المؤمنين شربة من ماء أفضل من قتلي على ظمأ. فأمر له بشربة من ماء. فلما أخذها قال: أأنا آمن حتى أشر ا؟ قال: نعم، فرمي ا وقال: الوفاء يا أمير المؤمنين نور أبلج. قال: صدقت لك التوقف عنك والنظر في أمرك. ارفعوا عنه السيف. فلما رفع عنه قال: الآن يا أمير المؤمنين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وما جاء به حق من عنده. فقال عمر: أسلمت خير إسلام فما أخرك؟ قال: كرهت أن تظن أني أسلمت جزعا من السيف. فقال عمر: إن لأهل فارس عقولاً ا استحقوا ما كانوا فيه من الملك. ثم أمر به أن يبر ويكرم، وكان بعد يشاوره في توجيه الجيوش لأهل فارس.

إبراهيم بن المهدي وابن بختيشوع

قال العتبي: تنازع إبراهيم بن المهدي وابن بختيشوع الطبيب بين يدي أحمد بن أبي داود في مجلس الحكم في عقار بناحية السواد، فأربى[1] عليه إبراهيم وأغلظ[2] له فأغضب ذلك ابن أبي داود فقال:

يا إبراهيم إذا نازعت في مجلس امرءًا فلا أعلمن أنك رفعت عليه صوتا ولا أشرت بيد، وليكن قصدك أمما[3] وريحك ساكنة، وكلامك معتدلاً، ووف مجالس الخليفة حقوقها من التعظيم والتوقير والاستكانة والتوجه إلى الواجب، فإن ذلك أشبه بك، وأشكل بمذهبك في محتدك[4]، وعظيم خطرك ولا تعجلن، فرب عجلة ب ريثًا[5]، والله يعصمك من خطل القول والعمل، ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل إن ربك حكيم عليم.

(1) أربى عليه: زاد.
(2) أحفظه: أغضبة، والحفيظة: الحمية والغضب.
(3) الأمم: البين من الأمر والوسط.
(4) المحتد، الأصل.
(5) الريث: الإبطاء والمقدار.

فقال إبراهيم: أصحك الله، أمرت بسداد، وحضضت على رشاد، ولست عائدا لما يثلم[1] مروءتي عندك، ويسقطني من عينيك، ويخرجني من مقدار الواجب إلى الاعتذار، فهأنذا معتذر إليك من هذه البادرة اعتذار مقر بذنبه معترف بجرمه، ولا يزال الغضب يستفزني[2] ببوادره، فيردني مثلك بحلمه، وتلك عادة الله عندك وعندنا منك، وقد جعلت حقي في هذا العقار لابن بختيشوع فليت ذلك يكون وافيا بأرش[3] الجناية عليه "ولم يتلف مال أفاد موعظة" وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الأحنف بن قيس وقيس بن عاصم

قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم المنقري، رأيته قاعدا بفناء داره محتبيا[4] بحمائل سيفه يحدث قومه حتى أتي برجل مكتوف، ورجل مقتول، فقيل له: هذا ابن أخيك قتل ابنك، فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه، ثم التفت إلى ابن أخيه وقال له: يا ابن أخي أسأت إلى رحمك، ورميت نفسك بسهمك، وقتلت ابن عمك، ثم قال لابن له آخر: قم يا بني فحل كتاف ابن عمك ووار أخاك، وسق إلى أمه مائة ناقة دية ابنها، فإ ا غريبة، ثم أنشأ يقول:

إني امـــروٌ لا يطـــبي حســـبي ... دنـــس يهجنـــه ولا أفَـــن[5]

مـــن منقَـــرٍ في بيـــت مكْرمـــة ... والغصن ينبت حولـــه الغصـــن

خطبـــاءُ حـــين يقـــول قـــائلُهم ... بيض الوجـــوه مصـــاقع لُســـن[6]

لا يفْطِنـــون لعيـــب جـــارهم ... وهـــم لحِفـــظ جِـــواره فطـــن[7]

---

(1) ثلم الإناء: مكسره من حرفه.

(2) استخفه وأزعجه.

(3) الأرش: الدية وما يعطى تعويضا.

(4) احتبى: جمع بين ظهره وساقيه بعمامة أو نحوها، والاسم من ذلك الحبوة.

(5) طباه: دعاه واستهواه. والأفن: ضعف الرأي وفعله كفرح.

(6) رجل لسن وألسن فصيح، ويجمع ألسن على لسن كأحمر وحمر.

(7) فطن: جمع فطن. كجون: جمع جون، وهذا جمع نادر.

معن بن زائدة وجاره بين يدي المهدي

قال سعيد بن مسلم: نذر المهدي دم رجل من أهل الكوفة، كان يسعى في فساد سلطانه، وجعل لمن دل عليه أو جاء به مائة ألف درهم. فأقام الرجل حينا متواريا ثم إنه ظهر بمدينة السلام[1]، فكان ظاهرا كغائب خائفًا مترقبا. فبينما هو يمشي في بعض نواحيها إذ بصر به رجل من أهل الكوفة فعرفه فأهوى إلى مجامع[2] ثوبه وقال: هذا بغية أمير المؤمنين فأمكن الرجل من قياده، ونظر إلى الموت أمامه. فبينما هو على تلك الحال، إذ سمع وقع حوافر الخيل من وراء ظهره فالتفت فإذا معن بن زائدة فقال: يا أباالوليد أجرني أجارك الله. فوقف وقال للرجل الذي تعلق به: وما شأنك؟ قال: بغية أمير المؤمنين الذي نذر دمه، أعطى لمن دل عليه مائة ألف درهم. فقال: يا غلام انزل عن دابتك واحمل أخانا. فصاح الرجل: يا معشر الناس يحال بيني وبين من طلبه أمير المؤمنين! قال معن: اذهب فاخبره أنه عندي. فانطلق إلى باب أمير المؤمنين فأخبر الحاجب فدخل إلى المهدي فأخبره فأمر بحبس الرجل، ووجه إلى معن من يحضر به، فأتته رسل أمير المؤمنين وقد لبس ثيابه وقربت إليه دابته فدعا أهل بيته ومواليه وقال: لا يخلصن إلى هذا الرجل وفيكم عين تطرف[3]، ثم ركب ودخل حتى سلم على المهدي، فلم يرد عليه وقال: يا معن أتجير علي؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: ونعم أيضا؟ واشتد غضبه، فقال معن: يا أمير المؤمنين قتلت في طاعتكم باليمن في يوم واحد خمسة عشر ألفًا، ولي أيام كثيرة قد تقدم فيها بلائي وحسن غنائي، فما رأيتموني أهلاً أن بوا لي رجلاً واحدا استجار بي؟ فأطرق المهدي طويلاً ثم رفع رأسه وقد سري[4] عنه فقال: قد أجرنا من أجرت، قال معن: فإن رأى أمير المؤمنين أن يصله فيكون قد أحياه وأغناه، فعل، قال: قد أمرنا له بخمسة آلاف، قال: يا أمير المؤمنين إن صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية، وإن ذنب الرجل عظيم، فأجزل الصلة، قال: قد أمرنا له بمائة ألف، قال: فتعجلها يا أمير المؤمنين بأفضل الدعاء، ثم انصرف ولحقه المال، فدعا الرجل وقال له: خذ صلتك والحق بأهلك وإياك ومخالفة خلفاء الله تعالى.

---

(1) مدينة السلام: هي بغداد، أو قسم منها.

(2) مجامع الثوب: ما أحاط بالجيب ويقال لها تلابيب.

(3) طرفت العين: تحركت.

(4) سرى عنه الهم: انكشف، وقد يحذف المرفوع اكتفاء بالجار وا رور.

معن بن زائدة والأسود

روى مروان بن أبي حفصة عن معن بن زائدة أنه قال: لما جد المنصور في طلبي، وجعل لمن يحملني إليه مالاً، اضطررت لشدة الطلب أن تعرضت للشمس حتى لوحت[1] وجهي، وخففت عارضي[2]، ولبست جبة صوف، وركبت جملاً، وخرجت متوجها إلى البادية لأقيم ا، فلما خرجت من باب حرب، وهو أحد أبواب بغداد، تبعني أسود متقلد سيفًا، حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فأناخه وقبض على يدي، فقلت له: ما بك؟ فقال: أنت[3] طلبة أمير المؤمنين، فقلت: ومن أنا حتى أطلب؟ فقال: أنت معن بن زائدة، فقلت له: يا هذا، اتق الله عز وجل، وأين أنا من معن؟ فقال: دع هذا، فإني والله لأعرف بك منك، فلما رأيت منه الجد قلت له: هذا عقد جوهر، قد حملته معي بأضعاف ما جعله المنصور لمن يجيئه بي فخذه ولا تكن سببا لسفك دمي، قال: هاته فأخرجته إليه، فنظر إليه ساعة وقال: صدقت في قيمته، ولست قابله منك حتى أسألك عن شيء فإن صدقتني أطلقتك، فقلت: قل، قال: إن الناس قد وصفوك بالجود، فأخبرني هل وهبت مالك كله قط؟ قلت: لا، قال: فنصفه؟ فقلت: لا، قال: فثلثه؟ قلت: لا، حتى بلغ العشر، فاستحييت وقلت: أظن أني قد فعلت هذا، قال: ما ذاك بعظيم؛ أنا والله راجل[4] ورزقي من أبي جعفر المنصور كل شهر عشرون درهمًا وهذا الجوهر قيمته ألوف دنانير، وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس، ولتعلم أن في هذه الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا كل جودٍ فعلته ولا تتوقف عن مكرمة، فقلت: يا هذا قد والله فضحتني ولسفك دمي علي أهون مما فعلت، فخذ ما دفعته لك فإني غني عنه، فضحك وقال: أردت أن تكذبني في مقالي هذا، والله لا أخذته ولا آخذ لمعروفٍ ثمنا أبدا، ومضى لسبيله. فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت، وبذلت لمن يجيء به ما يشاء، فما عرفت له خبرا، وكأن الأرض ابتلعته.

---

(1) لوحه العطش والسفر: غيره ولوحت وجهه الشمس: غير لونه.

(2) العارضان جانبا الوجه، وما يكون عليهما من اللحية.

(3) الطلبة: الحاجة وما يطلب.

(4) الراجل: غير الراكب.

معاوية والأعرابية

خرج معاوية مت ها، فمر بجواء[1] ضخم، فقصد قصد بيت منه، فإذا بفنائه امرأة برزة[2]، فقال لها: هل من غداء؟ قالت: نعم حاضر، قال: وما غداؤك؟ قالت: خبز خمير، وماء نمير، وحيس[3] فطير، ولبن هجير[4]، فثني وريكة ونزل، فلما تغدي قال: هل لكِ من حاجة؟ فذكرت حاجة أهل الجواء، قال: هات حاجتك في خاصة نفسك، قالت: يا أمير المؤمنين إني أكره أن تنــزل واديا[5] فيرف أوله ويقف آخره[6].

الأحنف بين يدي عمر بن الخطاب

قدم الأحنف بن قيس التميمي على عمر بن الخطاب في أهل البصرة، وأهل الكوفة، فتكملوا عنده في أنفسهم وما ينوب كل واحد منهم، وتكلم الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين، إن مفاتيح الخير بيد الله، وقد أتتك وفود أهل العراق وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخالية، والملوك الجبابرة، ومنازل كسرى وقيصر وبني الأصفر[7]، فهم من المياه العذبة والجنان المختلفة في مثل حولاء السلي[8] وحدقة[9] البعير، تأتيهم ثمارهم غضة[10] لم تخصر، وإنا أنزلنا أرضاً طرف في فلاة، وطرف في ملح أجاج جانب منها منابت القصب وجانب سبخة نشاشة[11] لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها، يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين، وتخرج المرأة بمثل ذلك ترنق[12] لولدها ترنيق العنــز، تخاف

---

(1) الجواء ككتاب: جماعة البيوت المتدانية.

(2) البرزة من النساء: الكهلة الجليلة تبرز للقوم وتحدثهم مع العفة.

(3) الحيس: تمر يخلط بسمن ولبن مخوض.

(4) الهجير: الخاثر من اللبن.

(5) رف النبات: اهتز.

(6) قف النبات: يبس.

(7) بنو الأصفر عند العرب: هم الروم.

(8) السلى: غلاف رقيق يكون فيه المولود، والحولاء: جلدة خضراء مملوءة ماء تخرج مع الولد، وهذا يكنون به عن الخصب وكثرة الماء والخضرة.

(9) قال في اللسان: وفي حديث الأحنف نزلوا في مثل حدقة البعير أي نزلوا في خصب وشبهه بحدقة البعير لأ ا ريا من الماء.

(10) غضة: طرية.

(11) أرض سبخة: نشاشة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها.

(12) رنق الماء: صفا.

عليه العدو والسبع فإلا ترفع حسيستنا، وتنعش[1] ركيستنا وتجبر فاقتنا، وتزد في عيالنا عيالاً، وفي رجالنا رجالاً، وتصغر درهمنا، وتكبر قفيزنا[2]، وتأمر لنا بحفر ر نستعذب به الماء، ولا هلكنا، فقال عمر: هذا والله السيد! هذا والله السيد! ثم كتب إلي أبي موسى الأشعري أن يحتفر لهم راً.

الأحنف بين يدي معاوية

وفد الأحنف بن قيس علي معاوية مع أهل العراق، فخرج الآذن فقال: إن أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لا يتكلم أحد إلا لنفسه، فلما وصلوا إليه قال الأحنف: لولا عزمة أمير المؤمنين لأخبرته أن دافة دفت[3]، ونازلة نزلت، ونابتة نبتت، كلهم م حاجة إلي معروف أمير المؤمنين وبره، فقال معاوية: حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الشاهد والغائب.

أسيد بن عنقاء وعميلة الفزاري

كان أسيد بن عنقاء الفزاري من أكبر أهل زمانه، وأشدهم عارضة ولساناً، وطال عمره، ونكبه دهره، واختلت حاله، فخرج عشية يتبقل[4] لأهله، فمر به عميلة الفزاري، فسلم عليه وقال: يا عم ما أصارك إلي ما أري؟قال: بخل مثلك بماله، وصون وجهي عن أموال الناس، فقال: لئن بقيت إلي غد لأغيرن ما أري من حالك، فرجع ابن عنقاء إلي أهله، فأخبرها بما قال له عميلة، فقالت له: لقد غرك كلام غلام، جنح ظلام[5] فكأنما ألقمت فاه حجراً، فبات متململاً بين رجاء ويأس، فلما كان السحر سمع رغاء الإبل وثغاء الشاة وصهيل الخيل ولجب الأموال[6]، فقال: ما هذا؟ فقالوا: هذا عميلة، ساق إليك ماله، فخرج ابن عنقاء له، فقسم عميلة ماله شطرين، وساهمه[7] عليه، فأنشأ ابن عنقاء يقول:

---

(1) نعشه: رفعه كأنعشه، والركيسة الضعيفة.

(2) القفيز: مكيال.

(3) يقال: دفت دافة أي أتت فئة مهاجرة.

(4) تبقل: خرج يطلب البقل.

(5) جنح الليل أو الظلام الطائفة منه.

(6) اللجب: الجلبة والصياح واضطراب موج البحر.

(7) ساهمه: قارعه أي ضرب القرعة.

رآني على ما بي عميلة فاشتكي إلي ماله حالي أسر كما جهر
دعاني فآساني ولو ضن لم يلم علي حين لا بدو يرجى ولا حضر
فقلت له خيراً وأثنيت فعله، وأوفاك ما أبليت من ذم أو شكر
ولمّا رأى المجد استعيرت ثيابه تردي رداءً سابغ الذيل واتزر[1]
غلام رماه الله بالخير مقبلاً له سيماءُ لا تشق على البصر[2]
إذا قيلت العوراء أغضى كأنه ذليلٌ بلا ذُل ولو شاءَ لانتصر[3]

الفضل وجعفر ابنا يحيى البرمكي

قال محمد بن عبد الرحمن الهاشمي[4]: كانت أم جعفر بن يحيى تزور أمي وكانت لبيبة من النساء، حازمةً فصيحةً برزة، يعجبني أن أجدها عند أمي فأستكثر من حديثها، فقلت لها يوما: يا أم جعفر: إن بعض الناس يفضل جعفرا على الفضل، وبعضهم يفضل الفضل على جعفر، فأخبريني، فقالت: ما زلنا نعرف الفضل للفضل، فقلت: إن أكثر الناس على خلاف هذا، فقالت: ها أناذه أحدثك واقض أنت. وذلك الذي أردت منها، فقالت: كانا يوما يلعبان في داري، فدخل أبوهما فدعا بالغداء وأحضرهما، فطعما معه، ثم آنسهما بحديثه، ثم قال لهما: أتلعبان بالشطرنج؟ فقال جعفر وكان أجرأهما: نعم! قال: فهل لاعبت أخاك بها؟ قال جعفر: لا. قال: فالعبا بها بين يدي لأرى لمن الغلب؟ فقال جعفر: نعم! وكان الفضل أبصر منه بها، فجيء بالشطرنج فصفت بينهما، وأقبل عليها جعفر، وأعرض عنها الفضل. فقال له أبوه: ما لك لا تلاعب أخاك؟ فقال: لا أحب ذلك. فقال جعفر: إنه يرى أنه أعلم بها مني، فيأنف من ملاعبتي، وأنا ألاعبه مخاطرة. فقال الفضل: لا أفعل. فقال أبوه: لاعبه وأنا معك. فقال جعفر: رضيت، وأبى الفضل، واستعفى أباه، فأعفاه، ثم قالت لي: قد حدثتك فاقض، فقلت: قد قضيت بالفضل للفضل على أخيه، فقالت: لو علمت أنك لا تحسن

(1) تزر من الإزار - قلت الهمزة تاء الافتعال -.
(2) السيما والسيماء، والسيميا والسيمياء: العلامة يقول يفرح به من يراه للطف محياه.
(3) العوراء، الكلمة القبيحة، وقرب من هذا البيت قوله:

يصم عن الفحشاء حتى كأنه إذا ذكرت في مجلس القوم غائب

(4) هو محمد بن غسان بن عبد الرحمن صاحب صلاة الكوفة.

القضاء لما حكمتك، أفلا ترى أن جعفرا قد سقط أربع سقطات تـ ه الفضل عنهن؟

فسقط حين اعترف على نفسه بأنه يلعب بالشطرنج، وكان أبوه صاحب جد.

وسقط في التزام ملاعبة أخيه وإظهار الشهوة لغلبه والتعرض لغضبه.

وسقط في طلب المقامرة وإظهار الحرص على مال أخيه.

ولرابعة قاصمة الظهر حين قال أبوه لأخيه: لاعبه وأنا معك، فقال أخوه: لا، وقال هو: نعم؟ فناصب صفا فيه أبوه وأخوه؟ فقلت: أحسنت، والله وإنك لأقضى من الشعبي، ثم قلت لها: عزمت عليك أخبريني هل خفي مثل هذا على جعفر؟ وقد فطن له أخوه، فقال: لولا العزمة لما خبرتك، إن أباهما لما خرج، قلت للفضل خالية به: ما منعك من إدخال السرور على أبيك بملاعبة أخيك؟ فقال: أمران، أحدهما: لو أني لاعبته لغلبته فأخجلته، والثاني: قول أبي لاعبه وأنا معك؛ فما يسرني أن يكون أبي معي على أخي، ثم خلوت بجعفر، فقلت له: يسأل أبوك عن اللعب بالشطرنج فيصمت أخوك وتعترف، وأبوك صاحب جد؟ فقال: إني سمعت أبي يقول نعم لهو البال المكدود[1]، وقد علم ما نلقاه من كد التعلم والتأدب ولم آمن أن يكون بلغه أنا نلعب ا، ولا أن يبادر فينكر، فبادرت بالإقرار إشفاقًا على نفسي وعليه، إن كان توبيخ فديته من المواجهة به. فقلت له: يا بني، فلم تقول ألاعبه مخاطرة! كأنك تقامر أخاك وتسكثر ماله، فقال: كلا. ولكنه يستحسن الدواة التي وهبها لي أمير المؤمنين فعرضتها عليه فأبى قبولها، وطمعت أن يلاعبني فأخاطره عليها، وهو يغلبني فتطيب نفسه بأخذها، فقلت لها: يا أماه ما كانت هذه الدواة؟ فقالت: إن جعفرا دخل على أمير المؤمنين، فرأى بين يديه دواةً من العقيق الأحمر، محلاة بالياقوت الأزرق والأصفر، فرآه ينظر إليها فوهبها له. فقلت: إيه. فقالت: ثم قلت لجعفر: هبك اعتذرت بما سمعت. فما عذرك من الرضا بمناصبة أبيك حين قال لاعبه وأنا معك! فقلت أنت: نعم، وقال هو: لا؟ فقال: عرفت أنه غالبي، ولو فتر لعبه لتغالبت له، مع ما له من الشرف والسرور بتحيز أبيه إليه. قال محمد بن عبد الرحمن: فقلت: بخٍ بخٍ[2] هذه والله السيادة! ثم قلت لها: يا أماه أكان منهما من بلغ الحلم؟ فقالت: يا بني، أين يذهب بك! أخبرك عن صبيين يلعبان، فتقول: أكان منهما من بلغ الحلم؟! لقد كنا ننهي الصبـي إذا بلغ العشر، وحضر من يستحي منه،

---

(1) كده: أجهده وأتعبه.

(2) يقال: بخ بخ - وبخ بخ: إعجابا بالشيء وإظهارا للسرور به

أن يبتسم.

براعة الرشيد في الأدب

دخل سهل بن هرون على الرشيد وهو يضاحك المأمون فقال: اللهم زده من الخيرات، وابسط له من البركات، حتى يكون في كل يومٍ من أيامه مربيا على أمسه، مقصرا عن غده.

فقال له الرشيد: يا سهل، من روى من الشعر أحسنه وأرصنه، ومن الحديث أفصحه وأوضحه، إذا رام أن يقول لم يعجزه القول.

فقال سهل: يا أمير المؤمنين ما ظننت أن أحدا تقدمني إلى هذا المعنى. قال: بل أعشى همدان حيث يقول:

رأيتك أمس خير بني لؤي ... وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غدا تزيد الخير ضعفًا ... كذاك تزيد سادةُ عبد شمس

الواثق وابن أبي دواد

قال أبو العيناء: دخل ابن أبي دواد على الواثق فقال له: ما زال اليوم قوم في ثلبك ونقصك. فقال: يا أمير المؤمنين، لكل امرئٍ منهم ما اكتسب من الإثم، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم، والله ولي جزائه، وعقاب أمير المؤمنين من ورائه، وما ذل يا أمير المؤمنين من كنت ناصره، ولا ضاع من كنت حافظه، فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت يا أبا عبد الله:

وسعى إليّ بعيب "عزة" معشر ... جعل الإله خدودهن نعالها

المنصور والربيع بن يونس[1]

قال سعيد بن مسلم بن قتيبة دعا المنصور بالربيع فقال: سلني ما تريد؟ فقد سكت حتى نطقت[2] وخففت حتى ثقلت، وأقللت حتى أكثرت فقال: والله يا أمير المؤمنين، ما أرهب

(1) الربيع بن يونس هو صاحب المنصور، توفي سنة 170هـ.

(2) يقول: إنك أطلت السكوت فنبهت بذلك على نفسك، فقام السكوت مقام الكلام، وعلى هذا القياس ما بعده.

بخلك، ولا أستقصر عمرك، ولا أستصغر فضلك، ولا أغتنم مالك، وإن يومي بفضلك علي أحسن من أمسي، وغدك في تأميلي أحسن من يومي ولو جاز أن يشكروك مثلي بغير الخدمة والمناصحة لما سبقني في ذلك أحد.

قال: صدقت. علمي ذا منك أحلك هذا المحن، فسلني ما شئت!

قال: أسألك أن تقرب عندك "الفضل" وتؤثره وتحمه.

قال: يا ربيع، إن الحب ليس بمالٍ يوهب، ولا رتبة تبذل، وإنما تؤكده الأسباب.

قال: فاجعل لي طريقًا إليه بالتفضل عليه.

قال: صدقت وقد وصلته بألف ألف درهم، ولما أصل ذا أحدا غير عمومتي لتعلم ما له عندي، فيكون منه ما يستدعي به محبتي، وكيف سألت له المحبة يا ربيع؟

قال: لأ ا مفتاح كل خيرٍ، ومغلاق كل شر، تستتر ا عندك عيوبه وتصير حسنات دونه. قال: صدقت، وأتيت بما أردت.

الأعرابي السائل

وقف أعرابي يسأل، فعبث به فتى، وقال: ممن أنت؟

فقال الأعرابي: من بني عامر بن صعصعة قال: من أيهم؟.

قال: إن كنت أردت عاطفة القرابة فليكفك هذا المقدار من المعرفة فليس مقامي بمقام مجادلة ولا مفاخرة، وأنا أقول: فإن لم أكن من هاما م[1] فلست من أعجازهم.

فقال الفتي: ما رويت عن فضيلتك إلا النقص في حسبك.

فامتعض[2] الأعرابي لذلك، فجعل الفتى يعتذر، ويخلط الهزل والدعابة[3] باعتذاره، وأطال الكلام، فقال له الأعرابي: يا هذا! إنك منذ اليوم أدبتني بمزحك، وقطعتني عن مسألتي بكلامك واعتذارك، وإنك لتكشف من جهلك بكلامك ما كان السكوت يستره من أمرك، ويحك، إن الجاهل إن مزح أسخط وإن اعتذر أفرط، وإن حدث أسقط[4] ، وإن قدر تسلط،

---

(1) الهامات: الرءوس.

(2) امتعض: تألم.

(3) الدعابة: اللعب والمزاح.

(4) أسقط: أخطأ.

وإن عزم على أمر تورط[1]، وإن جلس مجلس الوقار تبسط[2]، أعوذ منك ومن حالٍ اضطرتني إلى احتمال مثلك.

معاوية والأحنف بن قيس

لما عزم معاوية على البيعة ليزيد، كتب إلى زياد أن يوجه إليه بوفد أهل العراق فبعث إليه بوفد البصرة والكوفة، فتكلمت الخطباء في يزيد والأحنف بن قيس ساكت، فلما فرغوا؛ قال: قل يا أبا بحر فإن العيون إليك أشرع[3] منها إلى غيرك، فقام الأحنف فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه ﷺ، ثم قال:

يا أمير المؤمنين، إنك أعلمنا بيزيد في ليله و اره، وإعلانه وإسراره، فإن كنت تعلمه لله رضا، فلا تشاور فيه أحدا، ولا تقم له الخطباء والشعراء، وإن كنت تعلم بعده من الله، فلا تزوده من الدنيا وترحل أنت إلى الآخرة فإنك تصير إلى يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه. فكأنه أفرغ على معاوية ذنوب[4] ماءٍ بارد.

فقال له: اقعد يا أبا بحر، فإن خيرة الله تجري، وقضاءه يمضي[5]، وأحكامه تنفذ، ولا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، وإن "يزيد" فتى بلوناه ولم نجد في قريش فتى هو أجدر بأن يجتمع عليه منه.

فقال: يا أمير المؤمنين. أنت تحكي عن شاهد، ونحن نتكلم عن غائب وإذا أراد الله شيئًا كان.

---

(1) تورط في الأمر: وقع وارتبك.

(2) تبسط: أكثر من القول وجانب الاحتشام.

(3) أشرع: ارفع وأكثر نظرا.

(4) الذنوب: الدلو الملاى، جمعه أذنبة وذنائب.

(5) أي لا راد لقضائه.

الحجاج ورسول المهلب

يروى أن المهلب[1] لما فرغ من أمر عبد ربه الحروري[2]، دعا بشر بن[3] مالك. فأنفذه بالبشارة إلى الحجاج، فلما دخل على الحجاج قال: ما اسمك؟ قال: بشر بن مالك، فقال الحجاج: بشارة وملك، كيف خلفت المهلب؟ قال خلفته وقد أمن ما خاف، وأدرك ما طلب، قال: كيف كانت حالكم مع عدوكم؟ قال: كانت البداءة لهم، والعاقبة لنا. قال الحجاج: العاقبة للمتقين، فما حال الجند؟ قال: وسعهم الحق وأغناهم النفل[4]، وإ م لمع رجل يسوسهم بسياسة الملوك ويقاتل م قتال الصعلوك، فلهم منه بر الوالد، وله منهم طاعة الولد، قال: فما حال ولد المهلب؟ قال: رعاة البيات حتى يأمنوا، وحماة السرح[5] حتى يردوه، قال: فأيهم أفضل؟ قال: ذلك إلى أبيهم، قال: وأنت أيضا، فإني أرى لك لسانا وعبارة، قال: هم كالحلقة المفرغة[6] لا لا يدري أين طرفاها، قال: ويحك!! أكنت أعددت لهذا المقام هذا المقال؟ قال: لا يعلم الغيب إلا الله، فقال الحجاج لجلسائه: هذا - والله - الكلام المطبوع، لا الكلام المصنوع.

حديث معاوية وليلى[7] الأخيلية

قال بعض الرواه: بينا معاوية يسير إذ رأى راكبا فقال لبعض شرطه ائتني به وإياك أن تروعه. فأتاه فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال: إياه أردت، فلما دنا الراكب حدر لثامه، فإذا ليلى الأخيلية. فأنشأت تقول:

---

(1) هو المهلب بن أبي صفرة الأزدي. كان شجاعا مهيبا وقائدا من أكبر قواد الجيوش في الدولة الأموية، وهو الذي شتت الخوارج ومزقهم كل ممزق. ويقال للبصرة بصرة المهلب لأنه حماها من الخوارج توفي 83 .

(2) الحروري نسبة إلى حروراء على غير القياس وهي بلدة بقرب الكوفة، والحرورية: فرقة من الخوارج كالأزارقة.

(3) كذا في زهر الآداب، وفي تاريخ ابن خلكان ان اسم الرسول مالك بن بشير.

(4) النفل: الغنيمة وجمعه أنفال.

(5) السرح: الماشية في المراعي.

(6) الحلقة المفرغة: المصبوبة قطعة واحدة؛ وهذه الجملة مثل: لا امرأة عربية.

(7) ليلى الأخيلية: أشعر امرأة عربية بعد الخنساء.

معـاوى لم أكـد آتيـك ـوي ... برحلي نحـو سـاحتك الركـاب
تجـوب الأرض نحـوك مـا تـأنى ... إذا ما الأكْم قنعهـا السـراب[1]
وكنت ارتجـى وبـك اسـتعاذت ... لِتنعشها إذا بخِـلَ السـحاب

فقال: ما حاجتك؟ قالت: ليس مثلي يطلب إلى مثلك حاجة، فتخير أنت أعلى عينا، فأعطاها خمسين من الإبل، ثم قال: أخبريني عن مضر، قالت فاخر بمضر، وحارب بقيس، وكاثر بتميم، وناظر بأسد[2].

فقال: ويحك يا ليلى؟ أكما يقول الناس كان توبة؟ قالت: يا أمير المؤمنين ليس كل الناس يقول حقا، الناس شجرة بغي يحسدون النعم حيث كانت وعلى من كانت، يا أمير المؤمنين: سبط البنان، حديد اللسان، شجى الأقران، كريم المخبر، عفيف المئزر، جميل المنظر، وكان كما قلت، ولم أبعد عن الحق فيه:

بعيد المدى لا يبلُغُ القَـرم غـوره ... ألد ملد يغلِب الحـق باطـله[3]

فقال معاوية: ويحك يا ليلى! يزعم الناس أنه كان عاهرا فاجرا فقالت من ساعتها مرتجلة:

معاذ النهى قـد كـان واللهِ توبـةٌ ... جوادا على العلاّت جماً نوافلُـه[4]
أغر خفَاجياً يـرى البخـل سـبة ... تحـالف كفـاه النـدى وأنامِلـه
عفيفًا بعيـد الهـم صـلبا قناتـه ... جمـيلاً محيـاه قلـيلاً غوائلـه[5]
وكان إذا ما الضيف أرغى بعـيره ... لديـه أتـاه نيـله وفواضـله

---

(1) الأكم: واحده أكمة - وسكنت الكاف للوزن - تقول: إن ركابا تجول في الأرض قاصدة معاوية، ولا تتأنى عند اشتداد الحر إذ تتغطى الآكام بالسراب.

(2) مضر: أصل لقيس وتميم وأسد. تقول: إن مضر ذات مجد عظيم وقيس أهل البسالة والإقدام وتميم ذوو الكثرة والعدد وأسد أهل الحجة واللدد.

(3) القرم السيد، والألد: الشديد الخصومة، والملد مبالغة في الألد تقول: لا يدرك غوره مع شدة عارضة تجعل باطله يغلب الحق.

(4) على العلات: أي على كل حال. والنوافل العطايا.

(5) الغوائل: الدواهي: وفلان قليل الغوائل. أي ليس فيه ما يعيبه العشير.

وقد علم الحدب الذي كان ساريا ... على الضيف والجيران أنك قاتله

وأنك رحب الباع ياتوب بالقرى ... إذا ما لئيم اليوم ضافت منازله

يبيت قرير العين من كان جاره ... ويضحي بخير ضيفه ومنازله

فقال لها معاوية ويحك يا ليلى! لقد جزت بتوبة قدره، فقالت: يا أمير المؤمنين، والله لو رأيته وخبرته لعلمت أني مقصرة في نعته، لا أبلغ كنه ما هو له أهل، فقال لها معاوية: في أي سن كان توبة؟ فقالت: يا أمير المؤمنين:

أتته المنايا حين تمّ تمامه ... وأقصر عنه كل قرن يناضله

وصار كليث الغاب يحمي عرينه ... فترضى به أشباله وحلائله

عطوف حليم حين يطلب حلمه ... وسم زعاف لا تصاب مقاتله

فأمر لها بجائزة، وقال: أي! ما قلت فيه أشعر.

قالت: يا أمير المؤمنين، ما قلت شيئًا إلا والذي فيه من خصال الخير أكثر ولقد أجدت حيث أقول:

جزى الله خيرا والجزاءُ بكفه ... فتى من عقيل ساد غير مكالف

فتى كانت الدنيا تهون بأسرها ... عليه فلم ينفك جم التصرف

ينال عليات الأمور بهونةٍ ... إذا هي أعيت كل خيرق مسوف[1]

(1) الهونة: التؤدة والخيرق: الفتى الحسن الكريم السجايا والمسوف: من يصنع ما شاء لا يرده أحد.

الحارث[1] بن عوف المري ومصاهرته أوس[2] بن حارثة الطائي

يروى أن الحارث بن عوف المري قال يوما لخارجة بن سنان المري. أتراني أخطب إلى أحد فيردني؟ قال: نعم، قال: ومن ذاك؟ قال: أوس بن حارثة بن لأم الطائي. فقال الحارث لغلامه أرحل بنا. ففعل. فركبا حتى أتيا أوسا فلما رأى الحارث بن عوف قال: مرحبا بك يا حارث، قال وبك قال: ما جاء بك! قال: جئتك خاطبا، قال: لست[3] هناك، فانصرف ولم يكلمه ودخل أوس على امرأته مغضبا - وكانت من بني عبس[4] - فقالت: من الرجل الذي وقف عليك فلم يطل ولم تكلمه؟ قال" ذاك سيد العرب الحارث ابن عوف المري، قالت: فما لك لا تستنـزله؟ قال: إنه استحمق[5]، قالت: وكيف؟ قال: جاءني خاطبا، قالت: أفتريد أن تزوج بناتك؟ قال: نعم، قالت: فإذا لم تزوج سيد العرب، فمن؟ قال: قد كان ذلك، قالت: فتدارك ما كان منك، قال: بماذا؟ قالت: تلحقه فترده؟ قال: وكيف وقد فرط مني ما فرط إليه؟ قالت، تقول له: إنك لقيتني مقتضيا[6] بأمر لم يتقدم مني فيه قول، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت، فانصرف ولك عندي كل ما أحببت! فإنه سيفعل، فركب في أثرهما، قال خارجة بن سنان: فوالله إني لأسير إذ حانت مني التفاتة، فرأيته فأقبلت على الحارث وما يكلمني غما، فقلت له: هذا أوس بن حارثة في أثرنا قال: وما نصنع به؟ امض، فلما رآنا لا نقف عليه، صاح، يا حارث أربع[7] على ساعة، فوقفنا له، فكلمنا بذلك الكلام، فرجع مسرورا.

---

(1) هو أحد عظماء ذبيان ومرة: بطن من ذبيان. والحارث أحد السيدين اللذان سعيا في الصلح بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء التي دامت نحو أربعين سنة وقد احتملا في مالها خاصة غرامة تلك الحرب.

(2) هو سيد طيء في زمانه، وفيه يقول الشاعر:

إلى أوس بـــن حارثـــة بـــن لأم	**ليقضي حاجتي فيمن قضـاها**
فما وطئ الحصا مثل ابن سـعدي	**ولا لبس النعال ولا احتذاها**

(3) أي لست كفؤا.

(4) عبس زذبيان أبناء عم.

(5) استحمق، فعل فعل الحمقى.

(6) الاقتضاب، المفاجأة.

(7) ربع عليه: وقف أو مال إليه.

فبلغني أن أوسا لما دخل منـزله قال لزوجته: ادعي لي فلانة - لأكبر بناته فأتته، فقال: يا بنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب، قد جاءني طالبا خاطبا، وقد أردت أن أزوجك منه، فما تقولين؟ قالت: لا تفعل، قال: ولمه؟ قالت: لأني امرأة في وجهي ردة[1] وفي خلقي بعض العهدة[2]، ولست بابنة عمه فيرعى رحمي، وليس بجارك في البلد فيستحي منك، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني، فيكون علي في ذلك ما فيه، قال: قومي بارك الله عليك ادعي لي فلانة- لابنته الوسطى- فدعتها ثم قال لها مثل قوله لأختها فأجابته بمثل جوا ا وقالت: إني خرقاء[3] وليست بيدي صناعة، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني، فيكون علي في ذلك ما تعلم، وليس بابن عمي فيرعى حقي ولا جارك في بلدك فيستحييك، قال: قومي بارك الله عليك، ادعي لي " يسة" - يعني الصغرى - فأتى ا، فقال لها كما قال لهما، فقالت: أنت وذاك، فقال لها: قد عرضت ذلك على أختيك فأبتاه، فقالت - ولم يذكر لها مقالتيهما: لكني والله الجميلة وجها، الصناع[4] يدا، الرفيعة خلقًا، الحسيبة أبا، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير، فقال: بارك الله عليك.

قال خارجة: ثم خرج إلينا فقال: قد زوجتك يا حارث " يسة" بنت أوس قال: قبلت، ثم أمر أمها أن يئها، وتصلح من شأ ا، ثم أمر ببيت فضرب[5] له، وأنزله إياه، فلما هيئت بعث ا إليه، فلم يلبث عندها إلا هنيهة[6] ثم خرج إلي، فقلت: بنيت بأهلك؟ قال: لا والله، فإني لما دنوت منها قالت: مه أعند أبي وإخوتي؟ هذا والله ما لا يكون، قال خارجة: ثم أرتحلنا ا فسرنا ما شاء الله ثم انتحى ا ناحيةً، ولم يلبث أن عاد إلي، فقلت: أبنيت بأهلك؟ قال: لا والله فقد قالت: أكما يفعل لأمة الجلبة[7]؟ والسبية الأخيذة[8]؟ لا والله حتى ينحر الجزر، وتذبح الغنم، وتدعو العرب وتعمل ما يعمل لمثلي، قلت: والله إني لأرى همة وعقلاً،

---

(1) يقال في وجهه ردة، أي قبح مع شيء من الجمال.

(2) العهدة، الضعف.

(3) الخرقاء، التي لا تحسن صنعة.

(4) امرأة صناع، حاذقة في الصناعة.

(5) ضرب: أقيم، وبني به بيت.

(6) الهنيهة: الزمن اليسير.

(7) الجليبة، ا لموبة.

(8) الأخيذة، المأخوذة.

وأرجو أن تكون المرأة منجمة إن شاء الله، فرحلنا حتى قدمنا وأحضر الإبل والغنم، ثم خلا ا ولم ينشب أن خرج فقلت: أبنيت بأهلك؟ قال: لا! فقد قلت لها: أحضرنا من المال ما قد تريدين، فقالت: والله لقد ذكرت لي من الشرف ما لا أراه فيك. قلت: وكيف؟ قالت: أتفرغ للنساء والعرب يقتل بعضها بعضا؟ - وذلك في أيام حرب عبس وذبيان - قلت: فماذا تريدين؟ قالت: اخرج إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم، ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك، قال خارجة: فقلت: والله إني لأرى همةً وعقلاً، قال: فاخرج بنا. فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا فيما بينهم بالصلح، فاصطلحوا وحملنا عنهم الديات، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين، فانصرفنا بأجمل الذكر[1]:

ولو كان النساء - كمثل هذي - لفُضلت النســاء علــى الرجــال

سودة بنت عمارة ومعاوية

قال عامر الشعبــي: وفدت سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية على معاوية ابن أبي سفيان، فاستأذنت عليه فأذن لها، فلما دخلت عليه سلمت، فقال لها: كيف أنت يا ابنة الأشتر؟ قالت بخير يا أمير المؤمنين، قال لها أنت القائلة لأخيك:

شمر لفعل أبيك يــا بــن عمــارة وافصــد لهنــد[2] وابنــها ــوان

إن الإمــام أخــا الــنبي محمــد علم الهــدى ومنــارةُ الإيمــان

فَقُدِ الجيوش وسِــر أمــام لوائــه قُدما بــأبيض صــارم وســنان

قالت: يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب، فدع عنك تذكار ما قد نسي، قال: هيهات، ليس مثل مقام أخيك نسي، قالت: صدقت، والله يا أمير المؤمنين، ما كان أخي خفي المقام، ذليل المكان، ولكن كما قالت الخنساء:

وإن صخــرا لتــأتم الهــداة بــه كــأنه علــم في رأســـه نـــار

---

(1) وقد خلد زهير هذا الذكر الجميل في معلقته إذ يقول من أبيات كثيرة:

يمينا لــنعم الســيدان وجدتمــا على كل حال من سحيل ومــبرم

تداركتما عبســا وذبيــان بعــدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشــم

(2) هند: هي أم معاوية.

وبالله أسألك يا أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيته، قال: فعلت، فقولي حاجتك، قالت: يا أمير المؤمنين، إنك للناس سيد، ولأمورهم مقلد، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك، ويبسط بسلطانك، فيحصدنا حصاد السنبل، ويدوسنا دياس البقر، ويسومنا الخسيسة[1] ويسألنا الجليلة، هذا ابن أرطاة، قدم بلادي، وقتل رجالي، وأخذ مالي، ولولا الطاعة، لكان فينا عزا ومنعةً، فإما عزلته فشكرناك، وإما لافعرفناك ، فقال معاوية: أإياي تهددين بقومك؟ والله لقد هممت أن أردك إليه على قتب أشرس[2] فينفذ حكمه فيك، فسكتت، ثم قالت:

صلى الإله على روح تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به ثمنا فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال: ومن ذلك؟ قالت: علي بن أبي طالب، قال: ما أرى عليك منه أثرا، قالت: بلى، أتيته يوما في رجل ولاه صدقاتنا، فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين، فوجدته قائما يصلي فانفتل[3] عن الصلاة ثم قال برأفة وتعطف: ألك حاجة؟ فأخبرته خبر الرجل، فبكى ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم أني لم آمرهم بظلم خلقك، ولا ترك حقك، ثم أخرج من جيبه قطعةً من جراب، فكتب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم "قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين، بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين. وما أنا عليكم بحفيظ" إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام فعز له يا أمير المؤمنين ما خزمه بخزام ولا ختمه بختام، فقال: معاوية: اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها، فقالت: ألي خاصة أم لقومي عامة؟ قال: وما أنت وغيرك؟ قالت: هي والله إذن الفحشاء واللؤم، إن كان عدلاً فشاملاً، وإلا يسعني ما يسع قومي، قال: هيهات، لمظكم[4] ابن أبي طالب الجرأة، وغركم قوله:

فلو كنت بوابا على باب جنةٍ لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقوله:

ناديت همدان والأبواب مغلقة ومثل همدان سنى فتحةُ الباب
كالهندواني لم تفلل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب

---

(1) سامه الأمر: كلفه إياه. تقول: يجشمنا دنايا الأمور.

(2) القب: الرحل الصغير، والأشرس: الخشن الغليظ.

(3) انفتل، انصرف.

(4) لمظه الشيء: منحه إياه.

اكتبوا لها بحاجتها.

أم سنان بنت جشمة ومعاوية

قال سعيد بن أبي حذافة: حبس مروان وهو والي المدينة غلاما من بني ليث في جناية جناها، فأتته جدة الغلام، وهي أم سنان بنت جشمة المدحجية فكلمته في الغلام، فأغلظ مروان لها، فخرجت إلى معاوية فدخلت عليه فانتسبت فعرفها فقال مرحبا بابنة جشمة، ما أقدمك أرضنا، وقد عهدتك تشتميننا وتحضين علينا عدونا؟ قالت: إن لبني عبد مناف أخلاقًا طاهرة، وأحلاما وافرة، لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم، ولا ينتقمون بعد عفو، وأن أولى الناس باتباع محاسن آباؤه لأنت، قال: صدقت، نحن كذلك، فكيف قولك:

عزب الرقاد فمقلتي لا ترقُد … والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذْحج لا مقام فشمروا … إن العدو لآل أحمد يقصد
هذا علي كالهلال تحفّه … وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عم محمد … إن يهدكُم بالنور منه تهتدوا
ما زال مذ شهد الحروب مظفّرا … والنصر دون لوائه ما يعقد

قالت: كان ذلك يا أمير المؤمنين - وأرجو أن تكون لنا خلفًا فقال رجل من جلسائه: كيف يا أمير المؤمنين؟ وهي القائلة:

إما هلكت أبا الحسين فلم تزلْ … بالحق تعرف هاديًا مهديا
فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت … فوق الغصون حمامةٌ قمريا
قد كنت بعد محمد خلفًا كما … أوصى إليك بنا فكنت وفيا
واليوم لا خلف يؤمل بعده … هيهات نأملُ بعده إنسيا

قالت: يا أمير المؤمنين لسان قطن، وقول صدق، ولئن تحقق ما ظننا فحظك الأوفر، والله ما ورثك الشنآن في قلوب المسلمين إلا هؤلاء، فأدحض مقالتهم، وأبعد منزلتهم، فإنك إن فعلت ذلك تزدد من الله قربا ومن المؤمنين حبا، قال: وإنك لتقولين ذلك، قالت: سبحان الله! والله ما مثلك مدح بباطل ولا اعتذر إليه بكذب، وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا.

شكرًا لربي الذي أعانني على طبع الجزء الأول ويليه الجزء الثاني
وأوله: "الفن السابع في التاريخ"

الفن السابع في تاريخ أدب اللغة العربية

وفيه مقدمات عشر

المقدمة الأولى في التاريخ

التاريخ: هو معرفة أخبار الماضين وأحوالهم من حيث معيشتهم، وسياستهم، واعتقادهم، وأد م، ولغتهم.

والأدب: (كل رياضة محمودة يتخرج ا الإنسان في فضيلة من الفضائل) وهذه الرياضة كما تكون بالفعل، وحسن النظر، والمحاكاة، تكون أيضا بمزاولة الأقوال الحكمية التي تضمنتها لغة أي أمة.

واللغة: ألفاظ يعبر ا كل قوم عن أغراضهم، وهي من الأوضاع البشرية.

وأدب لغة أي أمة: هو ما أودع شعرها ونثرها من نتائج عقول أبنائها وصور أخيلتهم وطباعهم. مما شأنه أن يهذب النفس، ويثقف العقل، ويقوم اللسان.

وتاريخ أدب اللغة: هو العلم الباحث عن أحوال اللغة، نثرها ونظمها في عصورها المختلفة من حيث رفعتها وضعتها، وعما كان لنابغيها من التأثير البين فيها.

واللغة العربية: إحدى اللغات السامية، وهي لغة أمة العرب القديمة العهد الشائعة الذكر، التي كانت تسكن الجزيرة المنسوبة إليها في الطرف الغربي من آسيا.

وهذه الأمة: منها القدماء، وهم الذين يسكنون تلك الجزيرة، وينطقون باللغة العربية سليقةً وطبعا، وهم ثلاث طبقات:

أولاها: العرب البائدة، وهؤلاء لم يصل إلينا شيء صحيح عن أخبارهم إلا ما قصه الله علينا في القرآن الكريم، وإلا ما جاء في الحديث النبوي، ومن أشهر قبائلهم: طسم، وجديس، وعاد، وثمود، وعمليق، وعبد ضخم.

وثانيتها: العرب العاربة: وهم بنو قحطان الذين اختاروا اليمن منازل لهم ومن أمهات قبائلهم: كهلان وحمير.

وثالثتها: العرب المستعربة: وهم بنو إسماعيل الطارئون على القحطانيين والممتزجون م لغة ونسبا، والمعروفون بعد بالعدنانيين، ومن أمهات قبائلهم ربيعة، ومضر، وإياد، ونزار.

ومنها المحدثون: وهم سلائل هؤلاء الأقوام الممتزجون بسلائل غيرهم والمنتشرون بعد الإسلام في بقاع الأرض من المحيط الأخضر (الأطلنطي) إلى ما وراء بحر فارس ودجلة؛ ومن أعالي النهرين إلى ما وراء جاوه وسومطرة.

المقدمة الثانية في توضيح بعض ما في المقدمة الأولى

اعلم أنه يوجد في الجنوب الغربي من آسيا إقليم واسع الأرجاء، تبلغ مساحته ربع أوربا تقريبا، تساهل الأقدمون فسموه "جزيرة العرب"، مع أن الماء لم يحط به من جميع جهاته.

يتألف غربي هذا الإقليم من جزأين شهيرين: الحجاز شمالاً، واليمن جنوبا، أما الحجاز فقطر فقير، قلت مياهه، وأجدبت أرضه، واشتدت حرارته، يعتمد أهله على الأودية القليلة، والآبار الشحيحة، لم يستطيعوا أن ينتفعوا كثيرا بالماء الذي ينـزل من السماء، لأ م لم يبلغوا من الفنون مبلغا يمكنهم من اختزانه واستخدامه عند الحاجة إليه، وأشهر مدنه مكة والمدينة والطائف.

وأما اليمن فقد اشتهر قديما بالغنى والخصب والحضارة، كثرت أمطاره وسيوله وعرف أهله بما أوتوا من فن أن ينتفعوا ا، فأنشأوا السدود يسيطرون ا على الماء جمعا وتصريفًا؛ وأشهر مدنه صنعاء، وجران، وعدن.

وهذان القطران، أعني - الحجاز واليمن - أبعد البلاد أثرا في حياة العرب وفي تاريخهم السياسي، والاقتصادي، والأدبي.

وإذا وقع نظرك على (مصور) جزيرة العرب فأبين ما ترى فيها وأبعده مدى صحرائها في داخلها. وهي متنوعة في طبيعتها، فسهلة لينة حينا، وصلبة انتثرت فيها الحصباء حينا، ومفروشة بحجارة سوداء تسمى الحرار حينا. وهذه الصحراء في جملتها قفر، تسطع الشمس عليها في الحر فتلفح أرضها وأهلها، ويعتمد ساكنوها على ما تنبته البقاع عقب المطر فترعاه إبلهم وشياههم؛ وهم يأكلون من لحومها، ويشربون من ألبا ا، ويلبسون من اصوافها وأوبارها.

المقدمة الثالثة في نسب سكان جزيرة العرب

اعتاد النسابون أن يقسموا الشعوب إلى أجناس، ويسموا كل جنس باسم خاص يجمعها؛ فاعتادوا أن يسموا الجنس الذي منه العرب (الجنس السامي) نسبة إلى (سام بن نوح) عليه السلام، وعدوا من هذا الجنس البابليين والأشوريين والعبرانيين والفينيقيين والآرميين والحبشيين. ولكن هذا كله لا يزال موضع خلاف بين علماء الأنساب؛ كما اختلفوا في أن أصل (الجنس السامي) نشأ في آسيا (في جزيرة العرب أو أرمينية أو على شاطئ الفرات) أو نشأ في إفريقية ثم نزح منها إلى آسيا.

ومن قديم وهؤلاء العرب ينقسمون إلى عرب الشمال (الحجازيين) وعرب الجنوب

(اليمانيين) ويذكر النسابون أن عرب الشمال يرجعون في نسبهم إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ويسمون النـزاريين نسبة إلى نزار من نسل إسماعيل وعرب الجنوب من نسل قحطان، ويسمون اليمانيين أو القحطانين، وبين هذين النوعين من العرب فروق ترجع في جملتها إلى أن عرب الحجاز تغلب عليهم عيشة البداوة، وعرب اليمن يعيشون عيشة حضارة.

ولسنا نقصد أن عرب الشمال كانوا يسكنون الحجاز فحسب، وعرب الجنوب كانوا يسكنون اليمن ولا يتعدو ا، بل نعني أن كلا من الحجازيين واليمانيين عنصر يختلف في نسبه ودمه عن العنصر الآخر، ولكن كانت بين العنصرين صلات، ورحل قوم من كل فريق إلى موطن الآخر لأسباب يطول ذكرها، فكان في الحجاز عرب من اليمن وكان في اليمن عرب من الحجاز.

وكل من اليمانيين والحجازيين ينقسمون إلى قبائل:

فاليمانيون: يتفرعون إلى فرعين كبيرين: شعب كهلان وشعب حمير.

فشعب كهلان: أشهر قبائله طيئ، وهمدان، ولخم، وكندة.

وشعب حمير: أشهر قبائله قضاعة، وتنوخ، وكلب.

والحجازيون: كذلك ينقسمون إلى قسمين كبيرين: ربيعة، ومضر.

فشعب ربيعة، أشهر قبائله: بكر وتغلب.

وشعب مضر، أشهر قبائله: قيس، وتميم، وهذيل، وكنانة، وقريش.

وكل قبيلة من هذه القبائل تنقسم إلى بطون وأفخاد يطول عدها، وكان بين هذه القبائل - حتى ما كان منها من أصل واحد - من الحروب، والمنازعات، والتهاجي ما ملئت به كتب التاريخ والأدب.

المقدمة الرابعة في اللغة العربية

وإذ قد ذكرنا قبل أن العرب والعبرانيين ومن إليهم يعدون (ساميين) فلغا م التي يتكلمون ا تسمى (لغات سامية) فاللغة العربية إحدى اللغات السامية وقد عرفت على النحو الذي نعلمه، حول آخر القرن الخامس للميلاد.

ويذهب الباحثون في علم المقارنة بين اللغات إلى أن اللغة العربية من أقرب اللغات إلى اللغة الأصلية التي تفرعت منها اللغات السامية، نظرا لاحتباس العرب في بلادهم وقلة

النازحين منها والوافدين إليها، وضعف العلاقة بين أهلها وغيرهم من الأمم.

وكما انقسم العرب إلى حجازيين ويمانيين انقسمت لغتهم إلى مضرية وحميرية، وكانت هناك فروق بين اللغتين عظيمة في الألفاظ اللغوية، وفي الصيغ، وفي التراكيب، وفي اللهجات؛ ولكن حدث قبيل الإسلام أن أخذت لغة الحجاز وبعبارة أدق (لغة قريش)، تسود ومازالت كذلك حتى ظفرت باللغة الحميرية، وحتى صارت (لغة قريش) هي لغة جزيرة العرب جميعها. وقد دعا إلى هذه الظاهرة أسباب سياسية، ودينية، واقتصادية - ستأتي الإشارة إليها بعد.

المقدمة الخامسة في تاريخ الأمة العربية

ليس تاريخ الأمة العربية قبل الإسلام معروفًا محققًا، لأن أكثر الأمة كانوا أهل بدو لم تمكنهم بداو م من أن يدونوا تاريخهم، أو ينقشوا حوادثهم حتى إن الذين تحضروا منهم كاليمانيين والحميريين لم يعثر الباحثون إلا على القليل من نقوشهم وآثارهم، وإنما يعتمد الذين يؤرخون للعرب قبل الإسلام على هذا القليل من الآثار، وعلى ما كتبه أهل عصرهم من الأمم الأخرى كاليونان والرومان والمصريين، والعبريين، والحبشيين، وعلى ما يستنبطون من بعض نصوص أدبية. ولنقصر الآن كلامنا على حالة العرب قبيل الإسلام؛ فإن اللغة العربية التي نعني بآدا ا وتاريخها إنما عرفت في هذا العصر.

هذا العصر سماه القرآن الكريم (الجاهلية) ونسبنا إليه فقلنا: العصر الجاهلي، والأدب الجاهلي؛ وقد يكون اشتقاق هذا الاسم من الجهل وهو ضد العلم لما كان يغلب فيه من السفه والفخر والأنساب والإمعان في سفك الدماء والعصبية الحادة ونحو ذلك مما كرهه الإسلام ونفر منه، وقد نقل إلينا كثير مما يدل على حالة هذا العصر الاجتماعية والسياسية من شعر وأمثال وقصص. ولكنها كلها لم تدون في الكتب إلا في القرن الثاني والثالث للهجرة، فكان بعضها مثارا لنقد الناقدين وأخذ العلماء والأدباء من قديم يمحصو ا ويصححون بعضا ويكذبون بعضا، ولكن بجانب ذلك ورد كثير من آيات القرآن الكريم وصحيح الحديث يروي لنا الشيء الكثير عن هذه الحياة الجاهلية، ويكشف لنا من غموضها.

يدلنا ما صح من تاريخهم على أنه قد أنشئ على تخوم جزيرة العرب الشمالية إمارتان كبيرتان: إمارة الحيرة في العراق بجوار الفرس، وإمارة الغساسنة في الشام بجوار الرومان، وكان يحكم هاتين الإمارتين أمراء من العرب يتبعون في نظامهم نظام الدول ا اورة لهم.

فإمارة الحيرة تتبع في كثير من شئو ا نظام الفرس وإمارة الغساسنة تتبع في كثير من شئو ا نظام الرومان.

وكان سكان هاتين الإمارتين وسكان اليمن في الجنوب يعيشون عيشة حضارة يزرعون ويصنعون، وكثير من ساد م مترفون، وقد روي لنا الكثير عن ترف أمراء الغساسنة في الشام، وعن حضارة الحيريين، وما كان لهم من خورنق وسدير.

أما داخل الجزيرة والحجاز، إذا أنت استثنيت بعض سكان المدن المشهورة - كمكة ويثرب والطائف - فكانوا أهل بدو يحتقرون الزراعة والصناعة والتجارة ويعتمدون في معيشتهم على الإبل، ويوغلون ا في الصحراء، ويتطلبون منابت العشب، ومراعي الشجر، ومواد الماء، ويأكلون مما تخرجه الأنعام.

المقدمة السادسة في حياة العرب الاجتماعية

كان سكان الجزيرة يعيشون عيشة قبائل، فالقبيلة هي الوحدة التي يبنى عليها نظام حيا م، وأفراد القبيلة ينتسبون إلى أبٍ واحد، وقل أن ينتسب إليها من لم يساهمها في نسبها إلا عن طريق الحلف أو الولاء[1].

تسود أفراد القبيلة فكرة العصبية، فكل فرد يتعصب لقبيلته ويعنى بحفظ نسبه ويفتخر به، ويحنو على من يشاركه، ويسير على منهج قبيلته، سواء أصابت أم أخطأت، ومن هذه الظاهرة قول القائل:

وما أنا إلا مــن غزيــةَ إن غــوت غويت وإنْ ترشــد غزيــة أرشــدِ

والقبيلة تحميه من العدوان، وتطالب بدمه إن جنى أحد عليه، ولكل قبيلة رئيس هو سيدها، وهو مرجع الأفراد في إقامة العدل بينهم على حسب عرفهم وتقليدهم.

وعلاقة القبيلة بغيرها من القبائل علاقة عداء غالبا- تغير عليها، وتغنم من مالها ورجالها، والأخرى تتربص ا الدوائر لتنتقم منها:

يغار علينــ ــا واتــرين فيشــتفى بنا إن أصبنا أو نغير علــى وتــر[2]

---

1) كان الأسير من قبيلة أخرى إذا لم يستطع فداء نفسه يسمونه بسمة القبيلة التي أسرته، ويسمى حليفًا لها. وكانوا يجيزون استرقاق الأسرى، فإذا عتق الأسير ظلت هناك صلة بين المعتق والمعتق. وهذه الصلة تسمى الولاء.

(2) الواتر القاتل، والموتور الذي قتل له قتيل فلم يأخذ بدمه، وواترين حال من الضمير في علينا.

فقسمنا بذاك الدهر شـطرين بيننـا فما ينقضي إلا ونحن علـى شـطر

ولم تكن للعرب في الجاهلية عدا من ذكرنا قبل حكومة تسيطر عليهم جميعا وتشرف على شئو م، لأن شرط قيام الحكومة انتساب الأفراد إلى المواطن، لا إلى القبائل، وانحلال العصبيات وقيام الجامعة الوطنية أو الدينية مقام العصبية القبلية، وهي أمور لم تتوافر للعرب في جاهليتها.

كانت القبيلة تنقسم عندهم إلى أسر، ونظام الأسرة كان في هذا الطور هو المعروف عند علماء الاجتماع: بطور السلطة الأبوية، إذ كان الأب فيها واسع السلطان نافذ الكلمة على كل أفراد الأسرة، يتصرف في مالهم وفي شئو م ويقطع في الأمور دو م، وهو المرجع الأعلى لهم جميعا، وكانت بعض هذه الأسر تمتاز بصفات وأعمال تجعل له الرياسة والشرف كبيت هاشم، وبيت أمية في قريش، وبيت زرارة في تميم وهكذا.

المقدمة السابعة في أخلاقهم

ترى أن أكثر العرب أهل بدو، ولأهل البدو صفات خاصة يتمدحون ا ويكثرون في شعرهم من ذكرها والتغني ا. ولعل من خير ما يمثل هذه الصفات ما جاء في قول "تأبط شرا" أحد الشعراء الجاهليين[1] إذ يمدح ابن عم له بأنه قليل الشكوى من الهم ينـزل به،

(1)

قليـل التشـكي للمهـم يصـيبه كثير الهوى شتى النوى والمسـالك
يظـل بمومـاة ويمسـي بغيرهـا جحيشا ويعروري ظهور المهالـك
ويسبق وفد الريح من حيث تنتحـي بمنخـرق مـن شـدة المتـدارك
إذا جاء عينيه كرى النـوم لم يـزل له كالئ من قلب شـيحان فاتـك
ويجعـل عينيـه ربيئـة قلبـه إلى سلة من حـد أخلـق صـائك
إذا هـزه في عظـم قـرن لـلت نواجذ أفـواه المنايـا الضـواحك
يـرى الوحشـة الأنـس ويهتـدي بحيث اهتدت أم النجوم الشـوائك

الموماة: المفازة التي لا ماء فيها، وجحيشا: وحيدا، ويعروري ظهور المهالك: يركبها، مأخوذ من قولهم اعروريت الفرس إذا ركبته عاريا ليس عليه شيء، ووفد الريح: أولها، والمعنى أنه يسبق الريح لخفته، والمنخرق السريع والمتدارك المتلاحق؛ حاص خاط والشيخان الحازم، والفاتك الذي إذا هم بشيء فعله؛ ربيئة القلب ديدبانه - وبريد بالسلة السيف الذي يسيل، أم النجوم: الشمس.

بعيد الهمة واسع الأمل يسير وحيدا لا يهاب، ويركب المهالك ولا يخشى مواجهتها، (عداء) يسبق الريح السريعة، إن نام فإنما تنام عينه، ولا ينام قلبه، وإن صحا كانت عينه ديدبان قلبه. وله سيف صارم، إن أصاب به قرنا استقبلته المنايا متهللة، ولا يخشى الوحدة بل يأنس ا. ويعرف مسالك الصحراء فلا يضل في سيره، كما لا تضل الشمس، وهذه الصفات، كما ترى، هي (المثل الأعلى) للبدوي لا للحضري.

قد تمدحوا بالمروءة وأكثروا من ذكرها، وهو لفظ يجمع قانون الشرف، عماده الشجاعة والكرم والوفاء، وأكثر ما تتجلى فيه الشجاعة عندهم النـزال والقتال والدفاع عن الأهل والقبيلة ونجدة المستصرخ. وأكثر ما يتجلى فيه الكرم إيقاد النيران ونحر الجزور، وإضافة اللاجئ.

فأما الشجاعة فيمثلها في نظرهم قول عمر بن معد يكرب:

لمـــا رأيـــت نســـاءنا	**يفحصـــن بـــالمعزاء شـــدا[1]**
وبـــدت "لمـــيس" كأنـــها	**بـــدر الســـماء إذا تبـــدى**
وبـــدت محاســـنها الـــتي	**تخفـــى وكـــان الأمـــر جـــدا**
نازلـــت كبشـــهم ولم	**أر مـــن نزال الكـــبش بـــدا[2]**
هم ينـــذرون دمـــي وأنـــذر	**إن لقيـــت بـــأن أشـــدا**
كـــم مـــن أخ لي صـــالح	**بوأتـــه بيـــدي لحـــدا**
ما إن جزعـــت ولا هلعـــت	**ولا يـــرد بكـــاي زنـــدا**
ألبســـته أثـــوابـــه	**وخلقت يوم خلقـــت جلـــدا**
أغـــني غنـــاء الـــذاهبين	**أعـــد للأعـــداء عـــدا**
ذهـــب الـــذين أحبـــهم	**وبقيت مثـــل الســـيف فـــردا**

وأما الكرم، فمن خير ما يمثله في نظرهم قوم عتبة بن بجير:

---

(1) المعزاء: الأرض الصلبة ذات الحجارة، ومعنى يفحصن بالمعزاء شدا: أي أ م يؤثرون في الأرض الصلبة لشدة عدوهن.

(2) كبش القبيلة: رئيسها.

فقالوا غريب طارق طوحـت بـه — متون الفيافي والخطوب الطـوائح[1]
فقمت ولم أجثم مكـاني ولم تقـم — مع النفس عِلاّت البخيل الفواضـح
وناديت شبلا فاسـتجاب وربمـا — ضمنا قِرى عشر لمـن لا نصـافح[2]
فقام أبـو ضـيفٍ كـريم كأنـه — وقد حد من فرط الفكاهة مـازح[3]
إلى جِذْمِ مالٍ قـد نكـنا سـوامه — وأعراضنا فيـه بـواق صـحائح[4]
جعلناه دون الـذّم حـتى كـأنه — إذا عد مـالُ المكثـرين المنـائح[5]
لنا حمد أربـاب المـئين ولا يـرى — إلى بيتنا مالٌ مـع الليـل رائـح[6]

قد أحبوا كثيرا، وشربوا الخمر، ولعبوا الميسر، وشغفوا بالصيد، وطربوا للغناء وتاقوا إلى السمر، وكان هذا كله مادة لشعرهم وأد م.

المقدمة الثامنة في دينهم

كان للعرب في الجاهلية دين، ولكنه دين ضعيف، لا يخلصون له ولا يصل إلى أعماق نفوسهم، وحسبنا دليلاً على ذلك أننا ننظر فيما بين أيدينا من شعرهم فنرى فيه الصيد كثيرا، والخمر والنساء والميسر كثيرا، والفخر والهجاء ووصف القتال كثيرا، ولكن قل أن نرى فيه شرحا لعاطفةٍ دينية، وقل أن نرى فيه ذكر الله وتمجيده، وقل أن نرى فيه وصفًا لما كانوا يعبدون.

انتشرت اليهودية والنصرانية في بعض بقاع جزيرة العرب، فقد كان فيها مستعمرات يهودية أشهرها "يثرب" وهي سميت بعد "بالمدينة"، كذلك انتشرت اليهودية في اليمن في أوائل القرن السادس للميلاد، ولكنها كانت في نزاع مستمر مع النصرانية.

---

(1) الخطوب الطوائح: أي المصائب المهلكة، وطوحت به: حملته على ركوب المهالك.
(2) شبل اسم ابنه: وقرى عشر أي ضيافة عشر ليال لمن ليس بيننا وبينه مصادقة توجب مصافحته.
(3) أبو ضيف يريد نفسه.
(4) إلى جذم: متعلق بقام في البيت قبله. ويريد بجذم المال أصل المال، وهو النوق جمع ناقة.
(5) المنائح: جمع منيحة وهو الناقة أو الشاة تدفع إلى الجار لينتفع بلبنها ما دام فيها لبن.
(6) يقول: إن مالنا قليل فإبلنا باركة بفناء الدار انتظارا للضيف وهي ليست كثيرة حتى تصير سارحة ورائحة ومع ذلك لنا من الحمد والثناء مثل ما للمكثرين أصحاب المئين.

وانتشرت النصرانية في سادرة الحيرة، وفي غساسنة الشام، وسائر قبائله وزاحمت اليهودية في اليمن، وكان أشهر مراكز النصرانية في اليمن "مدينة نجران".

وكان القسيسون والرهبان يردون أسواق العرب يعظون ويبشرون ويذكرون البعث والحساب والجنة والنار، واشتهر من شعرائهم وخطبائهم (عدي بن زيدٍ وقس بن ساعدة) ولكن اليهودية والنصرانية كانتا قليلتين إذا قيستا بالدين السائد في الجزيرة وهو الوثنية، فقد عبد العرب الأصنام، وعظموا الأوثان ونصبوها في الكعبة، وقربوا لها القرابين، وكان من أشهر هذه الأصنام (اللات والعزى ومناة) وكان تقديسها يكاد يعم قبائل العرب، وإن كان ثم أصنام أخرى خاصة ببعض القبائل.

المقدمة التاسعة في ثقافتهم

كانت المدن على التخوم واليمن متحضرةً بعض تحضر، فالآثار التي عثر عليها في اليمن والحيرة، وما نقل عن أهلها يدل دلالة صادقة على أ م كانوا على حظ من الفن والعلم غير قليل: فأهل الحيرة تسرب إليهم شيء من علوم الفرس وآدا م وعلوم اليونان وآدا م والغساسنة في الشام تسرب إليهم شيء من حضارة الرومان واليونان وآدا م. واليمن أمة عريقة في المدينة كانت تتصل بالفرس، وتتصل بالحبشة وتتصل بالرومان، ولها معهم جميعا صلات تجارية - أما ما عدا هؤلاء من سكان الجزيرة فكان حظهم من العلم والفن قليلاً.

وعلى الجملة كان للعرب معرفة بالأنساب، وبشيء من أخبار الأمم، وبشيء من الطب. ولكن ما كان عندهم من ذلك لم يعد أن يكون معلومات عملية أولية وتجارب ينقصها الاستقراء. ونظرات عامة يعوزها التعمق والاستقصاء.

أما من الناحية الأدبية فكان لهم شعر وقصص وأمثال وقد طبع كل ذلك بطابع عقليتهم التي أنتجها تاريخهم وبيئتهم كما سترى.

المقدمة العاشرة في عصور اللغة العربية وآدابها

لما كان تاريخ لغة أي أمة وأد ا يرتبط كل الارتباط بالحوادث السياسية والدينية والاجتماعية التي تقع بين ظهراني هذه الأمة. ناسب لذلك تقسيم تاريخ أدب اللغة العربية إلى خمسة أعصر.

الأول: عصر الجاهلية، وينتهي بظهور الإسلام، ومدته نحو خمسين ومائة سنة.

الثاني: عصر صدر الإسلام ويشمل دولة بني أمية؛ ويبتدئ بظهور الإسلام، وينتهي بقيام دولة بني العباس سنة (132هـ).

الثالث: عصر بني العباس؛ ويبتدئ بقيام دولتهم وينتهي بسقوط بغداد في أيدي التتار سنة (656هـ).

الرابع: عصر الدول التركية؛ ويبتدئ بسقوط بغداد وينتهي بمبدإ النهضة الأخيرة سنة (1220هـ).

الخامس: عصر النهضة الأخيرة؛ ويبتدئ من حكم الأسرة المحمدية العلوية بمصر.

العصر الأول: عصر الجاهلية

حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

لغة العرب من أغنى اللغات كلما، وأعرقها قدما، وأوسعها لكل ما يقع تحت الحس، أو يجول في الخاطر: من تحقيق علوم، وسن قوانين، وتصوير خيال، وتعيين مرافق - وهي على هندمة أوضاعها، وتناسق أجزائها لغة قوم أميين، ولا عجب إن بلغت تلك المنـزلة: من بسطة الثروة، وسعة المدى، إذ كان لها من عوامل النمو، ودواعي البقاء والرقي، ما قلما يتهيأ لغيرها، وما رواه لنا منها أئمة اللغة وجاء به القرآن الكريم والحديث النبوي هو نتيجة امتزاج لغات الشعوب التي سكنت جزيرة العرب، ولا شك في أن من أسباب امتزاج هذه اللغات ما يأتي:

(1) هجرة القحطانيين إلى جزيرة العرب ومخالطتهم فيها العرب البائدة باليمن ثم تمزقهم في بقاع الجزيرة كل ممزق بظلمهم أنفسهم وتخرب بلادهم بسيل العرم[1].

(2) هجرة إسماعيل عليه السلام إلى جزيرة العرب واختلاطه وبنيه بالقحطانيين بالمصاهرة والمجاورة والمحاربة والمتاجرة، وأظهر مواطن هذا الامتزاج مشاعر الحج والأسواق التي كانت تقيمها العرب في أنحاء بلادها، ومن هذه الأسواق: عكاظ، ومجنة، وذو المجاز.

وأهمها سوق عكاظ؛ وكانت تقام من أول ذي القعدة إلى اليوم العشرين منه، وأقيمت تلك السوق بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة. وبقيت إلى ما بعد الإسلام حتى سنة تسع وعشرين ومائة. وكان يجتمع بهذه السوق أكثر أشراف العرب للمتاجرة ومفاداة الأسرى، والتحكيم في الخصومات، وللمفاخرة والمنافرة بالشعر والخطب، في الحسب والنسب والكرم والفصاحة والجمال والشجاعة، وما شاكل ذلك. وكان من أشهر المحكمين في الشعر "النابغة الذبياني"، ومن أشهر خطبائها "قيس بن ساعدة الإيادي". وقد لهج الشعراء بذكرها في شعرهم وحضرها منهم الرجال والنساء. ولقريش عظيم الأثر فيما نجم عن اجتماع العرب بتهذيب لغتهم.

---

(1) العرم: جمع عرمة كفرجة وهي سد يعترض به الوادي أو هو جمع بلا واحد أو هو الأحباس والسدود تبنى في الوادي لحبس المياه خلفها وهي المسماة الآن بالخزانات. وحادثة سيل العرم أنه كان لسبإ في اليمن عرم تحبس المياه خلفها فتوزع بنظام فهدمت العرم بسيل عظيم أغرق البلاد ودمر القرى أمامه فكان هو مع كثير من الفتن والحروب الأهلية سببا في تفرق قبائل سبأ في أنحاء جزيرة العرب حتى ضرب بهم المثل في التفرق فقيل (تفرقوا أيدي سبأ).

كلام العرب

الغرض من كلام العرب كغيره الإبانة عما في النفس من الأفكار، ليكون مدعاة إلى المعاونة والمعاضدة، وذريعة إلى تسهيل أعمال الحياة.

ولما كانت هذه الأفكار لا تزال متجددة غير متناهية، كانت صور الكلام المبين عنها لا تزال كذلك متجددة خاضعة لقوى الاختراع والابتداع وأنواع الإنشاء والتأليف على حسب ما يقتضيه المقام؛ فقد تصل صورة الكلام إلى الغاية القصوى في البلاغة. وقد تنحط صورة العبارة إلى الدرك الأسفل من الإبانة بحيث لو انحطت عن ذلك لكانت عند الأدباء بأصوات العجماوات أشبه، وبين الحالين مراتب، وجل بحث علو الأدب وتاريخه في التفاوت بين هذه المراتب ورجالها.

وكلام العرب بمراتبه العليا والدنيا وما بينهما تعتوره كغيره أحوال تتغير بتغير حياة أهله العقلية والمعاشية والدينية، وتلك الأحوال تتمثل "في أغراض اللغة، ومعانيها، وعبارا ا".

أغراض اللغة في الجاهلية

(1) كانت اللغة تستعمل في أغراض المعيشة البدوية، ووصف مرافقها من حل وترحال، وانتجاع كلإ، واستدرار غيث، ونتج حيوان.

(2) وفي إثارة المنازعات والمشاحنات، وما يتبعها من الحض على إدراك الثأر، والتفاخر بالانتصار، والتباهي بكرم الأصل والنجار.

(3) شرح حال المشاهدات والكيفيات، والإخبار عن الوقائع والقصص وغير ذلك.

معاني اللغة في الجاهلية

تجمل معاني اللغة فيما يأتي:

(1) في قصر معان بالمفردات على ما تقتضيه البداوة والفطرة الغضة الخالية من تكلف أهل الحضر وتأنقهم.

(2) وفي انحصار أحكامهم في (الخبر) ومطالبهم في (الإنشاء) إما في التعقل المستنبط من الحس، والمشاهدة، أو الطبيعة، أو التجربة، أو الوجدان من غير مبالغة ولا إغراء، وإما في التخيل المنتزعة صورة من المحسوسات بحيث لا تخرج عن الإمكان العقلي والعادي.

عبارة اللغة في الجاهلية

تلخص أحوال العبارة في الجاهلية فيما يأتي:

(1) استعمال الألفاظ في معانيها الوضعية، أو معان مناسبة للمعنى الأصلي بطريق ا از الذي قد يصبح بعد قليل وضعا جديدا.

(2) كثرة استعمال المترادف، وقلة الأعجمي المعبر عنه بالمعرب، وخلو الكلام العربي من اللحن، وغلبة الإيجاز عليه، كما تراه واضحا في شعرهم.

(3) إرسال الأساليب الكلامية على حسب ما تقتضيه البلاغة بدون تكلفٍ.

تقييم كلام العرب

ينقسم كلام العرب إلى قسمين: نثرا، ونظما.

فالنظم هو الموزون المقفى، والنثر ما ليس مرتبطًا بوزن ولا قافية.

النثر

المحادثة - الخطابة - الكتابة

الأصل في الكلام أن يكون منثورا: لإبانته عن مقاصد النفس بوجه أوضح وكلفة أقل: وهو إما حديث يدور بين الناس وبعض في إصلاح شؤون المعيشة، واجتلاب ضروب المصالح والمنافع، وذلك ما يسمى (المحادثة) أو (لغة التخاطب) وإما خطاب من فصيح نابه الشأن، يلقيه على جماعة في أمر ذي بال، وهذا ما يسمى (الخطابة)، وإما كلام نفسي مدلول عليه بحروف ونقوش لإرادة عدم التلفظ به أو لحفظه الخلف، أو لبعد الشقة بين المتخاطبين وذلك ما يسمى (الكتابة).

إذن فأقسام النثر ثلاثة: محادثة، وخطابة، وكتابة، وكلها إما أن تكون كلاما خاليا من التزام التقفية في أواخر عباراته، وذلك ما يسمى "النثر المرسل" وإما أن تكون قطعا ملتزما في آخر كل فقرتين منها أو أكثر قافية واحدة وهذا ما يسمى "السجع" وهو نوع الحلية اللفظية إذا جاء عفوا ولم يتعمد التزامه، ولحسن وقعه في الأسماع، وحوكه وتأثيره في الطباع، كان أكثر ما يستعمل في الخطابة، والأمثال والحكم، والمفاخرات والمنافرات.

المحادثة أو: لغة التخاطب

لغة التخاطب عند عرب الجاهلية بعد أن توحدت لغا ا هي اللغة العربية المستعملة في شعرها وخطبها وكتابتها، ولا فرق بينها في البلاغة إلا بقدر ما تستدعيه حال الخطابة والشعر والكتابة من نبالة الموضوع، والتأنق في العبارة.

وأكثر ما وصل إلينا ما كان شريف المعنى، فصيح اللفظ.

الخطـابـة

لما كان جل العرب في جاهليتها قبائل متبدية لا يربطها قانون عام ولا تضبطها حكومة منظمة.

ومن شأن المعيشة البدوية شن الغارات لأوهى الأسباب، والمدافعة بالنفس عن الروح والعرض والمال، والمباهاة بقوة العصبية وكرم النجار وشرف الخصال، وللقول في ذلك أثر لا يقل عن الصول، كانت الخطابة لهم ضرورية، وفيهم فطرية. وإنما لم تصل إلينا أخبار خطبائهم الأوائل، وشيء من خطبهم كما كان ذلك في الشعر، لحفلهم قديما بالشعر دون الخطابة، ولصعوبة حفظ النثر.

وما عني الرواة بنقل أخبار الخطباء وخطبهم إلا عندما حلت الخطابة بعد منـزلة أسمى من الشعر، لابتذاله بتعاطي السفهاء والعامة له وتلوثهم بالتكسب به، والتعرض للحرم، فنبه بذلك شأن الخطابة، واشتهر ا الأشراف.

وكان لكل قبيلة خطيب، كما كان لكل قبيلة شاعر.

وأكثر ما كانت الخطابة في التحريض على القتال والتحكم في الخصومات وإصلاح ذات البين، وفي المفاخرات والمنافرات، والوصايا، وغير ذلك.

وكان من عادة الخطيب في غير خطب الإملاك والتزويج أن يخطب قائما، أو على نشز ومرتفع من الأرض، أو على ظهر راحلته، لإبعاد مدى الصوت وللتأثير بشخصه، وإظهار ملامح وجهه، وحركات جوارحه، ولا غنى له عن لوث وعصب العمامة، والاعتماد على مخصرة أو عصا أو قناة أو قوس، وربما أشار بإحداها، أو بيده.

وخطباء العرب كثيرون من أقدمهم: كعب بن لؤي وكان ذا نفوذ عظيم في قومه، حتى أكبروا موته، وذو الإصبع العدواني وهو خرثان بن محرث.

ومن أشهرهم: قيس بن خارجة بن سنان خطيب حرب داحس والغبراء[1]، وخويلد

(1) داحس والغبراء فرسان لقيس بن زهير سيد عبس، راهنه حذيفة بن بدر الفزاري على أن يسابقه بفرسيه، الخطار والحنفاء، فوضعت فزارة كمينا في طريق السباق، فلطم وجه الغبراء وكانت سابقة، فهاجت الحرب بين عبس وفزارة؛ ثم بين عبس وذبيان لنصر ا فزارة وفي القصة روايات أخرى.

بن عمرو العطفاني، خطيب يوم الفجار[1]، وقس بن ساعدة الإيادي[2]، خطيب عكاظ، وأكثم بن صيفي زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى: وهم أكثم بن صيفي، وحاجب بن زرارة[3] التميميان، والحارث بن عباد[4]، وقيس بن مسعود[5] البكريان، وخالد بن جعفر[6]، وعلقمة بن علاثة[7]، وعامر بن الطفيل[8] العامريون، وعمرو بن الشريد السلمي[9]، وعمرو ابن معد يكرب[10] الزبيدي، والحارث بن ظالم[11] المري.

---

(1) يوم الفجار حرب كانت بين قريش وهوازن حضرها النبي ﷺ.

(2) ستأتي ترجمة قس وأكثم.

(3) سيد من سادات تميم، وهو الذي وفد على كسرى حين منع تميما من ريف العراق حتى أصا م القحط فأعجب به ومنحه مطلبه وتعهد له حاجب بحسن الجوار. ورهن عنده قوسه على ذلك فقبلها منه وبقيت عند كسرى حتى أخذها ابن حاجب ثم بيعت بعد بأربعة آلاف درهم.

(4) كغراب كان خطيبا مؤثرا، وشاعرا بليغا، وله عمل جليل في الحرب التي نشبت بين بكر وتغلب لمقتل كليب بعد أن اعتزلها، وله فيها قصيدة مشهورة منها:

قربـــا مـــربط النعامـــة مـــني لقحت حرب وائل عن حيـال

(5) هو قيس بن مسعود بن خالد بن ذي الجدين كان كريما عالي الهمة من أفضل العرب حسبا ونسبا وكانت تقر له كلها بذلك هي وكسرى أيضا. وكان له حظيرة فيها مائة من الإبل لأضيافه إذا نحرت ناقة قيدت أخرى مكا ا.

(6) سيد من سادات بني عامر، خلص قومه من العبودية لغطفان بعد أن قتل سيدها زهير بن خزيمة.

(7) خطيب بليغ اشتهر في قومه بالعفة والمحافظة على الجوار والعقل الراجح والحسب الواضح.

(8) هو ابن عم لبيد الصحابي شاعر متين، وفارس من أشهر فرسان العرب نجدة وأبعدهم اسما، ولقد بلغ من شهرته أن قيصر كان إذا قدم قادم من العرب قال ما بينك وبين عامر فإن كانت بينه وبينه رحم ووشيجة قربه وأكرمه.

(9) هو أبو السيدة تماضر الخنساء يميل إلى الفخر والصراحة في القول - ولقد بلغ من تغاليه في ذلك أنه كان ياخذ ابنيه معاوية وصخرا في المواسم العامة.

(10) خطيب شاعر وفارس وصحابي جليل شهد حربي اليرموك والقادسية وأبلى فيهما البلاء الحسن على كبر سنه وضعف جسمه.

(11) كان شجاعا فاتكًا وخطيبا شاعرا يميل إلى معاقرة الخمر وهو الذي قتل خالد بن جعفر غيلة لقتله أباه وكثيرا من قومه.

قس بن ساعدة الإيادي

هو خطيب العرب قاطبة، والمضروب به المثل في البلاغة والحكمة، كان يدين بالتوحيد، ويؤمن بالبعث، ويدعو العرب إلى نبذ العكوف على الأوثان، ويرشدهم إلى عبادة الخالق ويقال إنه أول من خطب على شرف، وأول من قال في خطبه "أما بعد" وأول من اتكأ على سيف، أو عصا في خطابته، وكان الناس يتحاكمون إليه، وهو القائل: "البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر" وسمعه النبي ﷺ قبل البعثة يخطب في عكاظ، فأثنى عليه، وعمر قس طويلاً ومات قبيل البعثة - ومن خطبه خطبته التي خطبها في سوق عكاظ وهي:" أيها الناس، اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، و ار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأ ار مجراة، إن في السماء لخبرا وإن في الأرض لعبرا، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تركوا هناك فناموا؟ يقسم قس بالله قسما لا إثم فيه، إن لله دينا هو أرضى لكم وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه، إنكم لتأتون من الأمر منكرا.

ويروى أن قسا أنشأ بعد ذلك يقول:

في الذاهبيــن الأوليــن من	القرون لنـــا بصــائر
لمـــا رأيـــت مـــواردا	للناس ليس لهـا مصـادر
ورأيت قومــي نحوهـــا	تمضي الأكابر والأصـاغر
لا يرجـــع الماضـــي إلينـــا	ولا مـــن البـــاقين غـــابر
أيقنـــت أني لا محـــالـــة	حيث صار القوم صائر

أكثم بن صيفي

هو أعرف الخطباء بالأنساب، وأكثرهم ضرب أمثال، وإصابة رأي وقوة حجة، وقل من جاراه من خطباء عصره، وهو زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى، ولقد بلغ من إعجابه به أن قال له: لو لم يكن للعرب غيرك لكفى. وقد عمر طويلاً حتى أدرك مبعث النبي ﷺ وجمع قومه وحثهم على الإيمان به، وفي إسلامه روايات. وكان في خطبه قليل ا از، حسن الإيجاز، حلو الألفاظ، دقيق المعاني، مولعا بالأمثال (راجع خطبه في فن المناظرات).

الكتـابـة

يراد بالكتابة عند الأدباء: صناعة إنشاء الكتب والرسائل، وإذا كانت الكتابة بهذا المعنى تؤدي بالنقوش المسماة بالخط، فأول حلقة من سلسلة الخط العربي هي الخط المصري القديم، ومنه اشتق الخط الفينيقي، ومن هذا اشتق الآرامي، والمسند، بأنواعه، والصفوي، والثمودي، واللحياني، شمالي جزيرة العرب، والحميري جنوبيها.

ورواة العرب يقولون: إنهم أخذوا خطهم الحجازي عن أهل الحيرة والأنبار.

أما الكتابة: بمعنى إنشاء الكتب والرسائل، فهي لازمة لكل أمة متحضرة ذات حكومة منظمة، ودواوين متعددة، وقد كان بعض ذلك موفورا في ممالك التبابعة جنوبا، ومأثورا عن ممالك المناذرة والغساسنة شمالاً، ولذلك استعمل الخط المسند الحميري عند الأولين من عهد مديد، والأنباري الحيري عند الآخرين، وإنما لم يصل إلينا شيء من رسائل تلك الأمم، ولا من كتب فنونها ودينها غير قليل عثروا عليه لتقادم عهد أهلها، وعدم استكمال البحث بعد في بلادها.

ولم يعرفنا التاريخ أيضا بأحد من كتاب هذه الصناعة إلا (بعدي بن زيد العبادي) الذي كان كاتبا ومترجما عند كسرى.

أما البدو من سكان أواسط الجزيرة وهم جمهور مضر، وبعض القحطانيين فكانوا أميين، ومن المعقول أنهم لم يعرفوا الكتابة الإنشائية إلا بعد أن عرفوا الخط (آخر عصور الجاهلية) وما نقل عنهم فيه أنهم كانوا يكتبون في بدء رسائلهم: باسمك اللهم، ومن فلان إلى فلان، وأما بعد.

ولم تقم لهم دولة بالمعنى السابق إلا بقيام الإسلام، فهو الذي أفشى فيهم الخط والكتابة.

ولما كانت علوم كل أمة لها الأثر العظيم في تكوين فكر الأديب، وخيال الشاعر، وكانت كتابتها قسما قائما بنفسه يسمى كتابة التدوين، ناسب شرح ذلك.

علوم العرب وفنونها

العلوم والصناعات لازمة لحضارة الأمم، ومن العرب أهل حضارة دلت عليها دولهم العظيمة وقدم تاريخهم، وآثارهم الخالدة، وهم التبابعة في اليمن، والمناذرة والغساسنة في الشمال، وإذن تكون هندسة إرواء الأرض وعمارة المدن، والحساب، والطب، والبيطرة، والزراعة، ونحوها معروفة في الجنوب والشمال، مدونة في الكتب، وإن لم يحفظ لنا الدهر

صورا منها.

أما البدو منهم: وإن كانوا أميين يمقتون الصناعات، فلا غنى لهم عن تجربة ترشدهم إلى ما ينفعهم، ليعرفوا متى تجود السماء، وبم يتميز الأقرباء من البداء، فأكسبهم ذلك علم النجوم، والطب الضروري، والأنساب والأخبار، ووصف الأرض، والفراسة والعيافة، والقيافة، والكهانة، والعرافة، والزجر، وقرض الشعر.

أما علم النجوم: وهو معرفة أحوال الكواكب، فقد كانوا أبرع في هذا العلم منهم في كل علم سواه، تعرفه عامتهم قبل خاصتهم للاهتداء به في ظلمات البر والبحر، ومعرفة أزمنة الخصب والمحل، وبعض معارفهم فيه مستمد من الكلدان لاختلاطهم م ولاتفاق اللغتين في كثير من أسماء الكواكب والبروج، ومن أشهرهم فيه (بنو حارثة بن كلب، وبنو مرة بن همام الشيباني).

الطب الإنساني والحيواني (البيطرة)، وقد عاناه من العرب كثيرون، ومن مشهوريهم (الحارث بن كلدة الثقفي، وابن حذيم التيمي).

الأنساب: علم تعرف به القرابات التي بين بعض القبائل وبعض، فتلحق فروعها بأصولها، وإنما دعاهم إلى العناية به حاجتهم إلى التناصر بالعصبية، لكثرة حرو م، وتفرق قبائلهم وأنفتهم من أن يكون للغريب عنهم سلطان عليهم وحبهم الافتخار بأسلافهم.

وممن اشتهر بمعرفة أنساب العرب (دغفل بن حنظلة الشيباني، وزيد بن الكيس النمري، وابن لسان الحمرة) ولهذا كانوا يحفظون أنسا م.

الأخبار والتاريخ والقصص: هي معرفة أحوال السابقين، وكانوا يعرفون منها ما كان عليه أسلافهم، وبعض مجاوريهم من الأحوال المأثورة، ووقائع أيامهم المشهورة، كقصة الفيل، وحرب البسوس، وحرب الفجار.

وصف الأرض: هو معرفة كل بقعة وما يجاورها، وكيف يهتدي إليها.

ومن قرأ شعر العرب في نسيبهم، واطلع على وصفهم، وكيف كانوا يحددون الحقير منها بحدود قلما تحد به مملكة عظيمة، عرف شدة حذقهم بمعرفة بلادهم.

الفراسة: هي الاستدلال يئة الإنسان وشكله ولونه وقوله على أخلاقه وفضائله ورذائله، وقد نبغ فيها من العرب من لا يحصى عددهم، ولهم في ذلك نوادر شتى.

القيافة: ضرب من الفراسة وهي الاهتداء بآثار الأقدام على أربا ا، أو الاستدلال يئة الإنسان وأعضائه على نسبه. فقد كانوا يميزون بين أثر الرجل والمرأة، والشيخ، والشاب،

والأعمى، والبصير، والأحمق، والكيس.

وإذا نظروا عدة أشخاص ألحقوا الابن بأبيه، والأخ بأخيه، والقريب بقريبه وعرفوا الأجنبي من بينهم، وممن أشتهر بالقيافة (بنو مدلج، وبنو لهب).

الكهانة والعرافة: وهما القضاء بالغيب، وربما خصت الكهانة بالأمور المستقبلة والعرافة بالماضية، وطريقهم في ذلك الاستدلال ببعض الحوادث الخالية على الحوادث الآتية، لما بينهما من المشابهة الخفية، وللعرب في الكهان اعتقاد عريض لزعمهم أنهم يعلمون الغيب، فيرفعون إليهم أمورهم للاستشارة ويستفسرونهم عن الرؤى، ويستطبونهم في أمراضهم، وممن اشتهر من الكهان (شِق أنمار، وسطيح الذئبي) ومن الكواهن (طريفة الخير، وسلمى الهمدانية) ومن العرافين عراف نجد الأبلق الأسدي، وعراف اليمامة رباح بن عجلة).

الزجر: وهو الاستدلال بأصوات الحيوان، وحركاته، وسائر أحواله على الحوادث بقوة الخيال، والاسترسال فيه.

ومن أشهر الزجارين: بنو لهب، وأبو ذؤيب الهذلي، ومرة الأسدي.

ومن العرب من لم يعبأ لزجر وما شاكله كلبيد بن ربيعة القائل:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وكضابئ بن الحارث القائل:

وما علاجات الطير تدني من الفتى ... نجاحا ولا عن ريثهن يخيب

ورب أمور لا تضيرك ضيرةً ... وللقلب من مخشاتهن وجيب

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوب

النظم والشعر والشعراء

النظم: عرفه العروضيون بأنه الكلام الموزون المقفى قصدا - ويرادفه الشعر عندهم- أما المحققون من الأدباء فيخصون الشعر بأنه الكلام الفصيح الموزون المقفى، المعبر غالبا عن صور الخيال البديع، ولما كان الخيال أغلب مادته أطلق بعض العرب (تجورا) لفظ الشعر على كل كلام تضمن خيالاً، ولو لم يكن موزونا مقفى، ولجريه وفق النظام الممثل في صورة الوزن والتقفية كان تأثيره في النفس من قبيل إثارة الوجدان والشعور، بسطًا وقبضا وترغيبا وترهيبا، لا من قبيل إقناع الفكر بالحجة الدامغة، والبرهان العقلي، ولذلك يجمل أثره في

إثارة العواطف وتصوير أحوال النفس، لا في الحقائق النظرية، ولا ريب أن النفس ترتاح بصور المحسوس الباهر، وما انتزع منه من الخيال الجلي لخفة مؤونته عليها؛ وإراحته لها من المعاناة والكد؛ إذا انضم إلى ذلك نغم الوزن والقافية، الشديد الشبه بتأثير الإيقاع والتلحين الذي يطرب له الحيوان، فضلاً عن الإنسان.

والعرب بفطر م مطبوعون على الشعر لبداو م، وملاءمة بيئتهم لتربية الخيال فالبدوي لحريته، واستقلاله بأمر نفسه، يغلب على أحكامه الوجدان، ويسلك إليه من طريق الشعور؛ ومعيشة البدوي فوق أرض نقية التربة، وتحت سماء صافية الأديم، ساطعة الكواكب، ضاحية الشمس جلت لحسه مناظر الوجود وعوالم الشهود، فكان لخياله من ذلك مادة لا يغور ماؤها، ولا ينضب معينها فهام ا في كل وادٍ، وأفاض منها إلى كل مراد، وكان له من لغته، وفصاحة لسانه أقوى ساعد، وأكبر معاضد، ويشعر الإنسان بطبعه أن الشعر متأخر في الوجود عن النثر، وإن كانت هناك واسطة بين النثر والشعر، فليست إلا السجع، لما فيه من معادلة الفِقَر، والتزام القافية، والميل للتغني به - فكان من ذلك المقطعات، والأراجيز الصغيرة، يحدون ا الإبل، ويعددون ا المكارم. ثم لما نمت ملكة الشعر فيهم، واتسعت أغراضه أمامهم، نوعوا الأوزان، وأطالوا القوافي، وقصدوا القصيد.

وقد خفي علينا - كأكثر الأمم - مبدأ قول الشعر، وأول من قاله.

أما ما نسب من الشعر، إلى آدم، وإبليس، والملائكة، والجن، والعرب البائدة، فهو حديث خرافة.

والشعر الذي صحت روايته منذ أواسط القرن الثاني قبل الهجرة ينتهي أقدم مطولاته (إلى مهلهل بن ربيعة) وأقدم مقطعاته إلى (نفر) لعلهم لم يبعدوا عنه طويلاً مثل: العنبر بن عمرو بن تميم، ودريد بن زيد بن زيد بن د، وأعصر بن سعد بن قيس عيلان، وزهير بن جناب الكلبي، والأفوه الأزدي، وأبو داود الإيادي، وقد رووا أنه لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات التي يقولها الرجل في حادثة، وأن أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبـي في قتل أخيه كليب، فهو أول من رويت له كلمة تبلغ ثلاثين بيتا، وتبعه الشعراء. مثل (امرئ القيس) وعلقمة، وعبيد، ممن أخرجوا لنا الشعر العربي في صورته الحاضرة.

هذا مجمل ما يتعلق بحقيقة الشعر، ونشأته في الجاهلية.

أما ما يتعلق بمادته وجوهره فإنه يرجع إلى أغراضه، وفنونه، ومعانيه، وأخيلته، وألفاظه،

وأساليبه، وأوزانه، وقوافيه.

(1) أغراضه وفنونه

نظم العرب الشعر في كل ما أدركته حواسهم، وخطر على قلو م من فنونه وأغراضه الكثيرة:

كالنسيب ويسمى (التشبيب والتغزل). وطريقته عند الجاهلية تكون بذكر النساء ومحاسنهن، وشرح أحوالهن، وكان له عندهم المقام الأول من بين أغراض الشعر، حتى لو انضم إليه غرض آخر قدم النسيب عليه وافتتح به القصد، لما فيه من كل اجتماع إنساني، والبدو أكثر الناس حبا لفراغهم.

والفخر: هو تمدح المرء بخصال نفسه وقومه، والتحدث بحسن بلائهم ومكارمهم وكرم عنصرهم، ووفرة قبلهم، ورفعة حسهم، وشهرة شجاعتهم.

والمدح: وهو الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل، والعفة، والعدل، والشجاعة، أن هذه الصفات عريقة فيه وفي قومه وبتعداد محاسنه الخلقية، وشاع المدح عندما ابتذل الشعر، واتخذه الشعراء مهنة ومن أوائل مداحيهم: زهير - والنابغة - والأعشى.

والرثاء: وهو تعداد مناقب الميت، وإظهار التفجع والتلهف عليه، واستعظام المصيبة فيه.

والهجاء: وهو تعداد مثالب المرء وقبيلته، ونفي المكارم والمحاسن عنه.

والاعتذار: وهو درء الشاعر التهمة عنه، والترفق في الاحتجاج على براءته منها، واستمالة قلب المعتذر إليه واستعطافه عليه: و(النابغة) في الجاهلية فارس هذه الحلبة.

والوصف: هو شرح حال الشيء وهيئته على ما هو عليه في الواقع لإحضاره في ذهن السامع، كأنه يراه أو يشعر به، ومن أشهرهم في ذلك (امرؤ القيس وأبو داود الإيادي).

والحكمة والمثل: فالحكمة قول رائع يتضمن حكما صحيحا مسلما به، والمثل مرآة تريك أحوال الأمم وقد مضت، وتقف بك على أخلاقها وقد انقضت، فالأمثال ميزان يوزن به رقي الأمم وانحطاطها وسعادته وشقاؤها وأد ا ولغتها. وأكثر ما تكون أمثال العرب وحكمها موجزة متضمنة حكما مقبولاً، أو تجربة صحيحة، تمليها عليها طباعها بلا تكلف - وأكثر الشعراء أمثالاً: (زهير والنابغة).

(2) معانيه وأخيلته

قصد الشاعر من شعره الإبانة عما يخالج نفسه من المعاني في أي غرض من الأغراض السابقة ونحوها، ومن هذه المعاني ما هو عادي في البدوي والحضري والعربي والعجمي كالأخبار الصادقة، وأوصاف المشاهدات، وشرح الوجدانات كما يمليها الخاطر بلا مبالغة ولا إغراق؛ ومنها ما هو غريب نادر، انتزعه الخيال من المرئيات البديعة والأشكال المنتظمة، وذلك يسمى المخترع، تتفاضل الشعراء بالإجادة فيه والإكثار منه.

وإذا قسنا الشعر الجاهلي بهذا المعيار وجدنا معانيه وأخيلته تمتاز بالأمور الآتية:

(1) جلاء المعاني وظهورها ومطابقتها للحقيقة.

(2) قلة المبالغة والغلو فيها بما يخرجها عن حد العقل ومألوف الطبع.

(3) قلة المعاني الغريبة المنـزع، الدقيقة المأخذ المتجلية في صور الخيال البديع، والتشبيه الظريف، والاستعانة الجميلة والكتابة الدقيقة وحسن التعليل وغير ذلك.

(4) قلة تأنقهم في ترتيب المعاني والأفكار على النظام الذي يقتضيه الذوق، فيدخلون معنى في معنى، وينتقلون من عرض إلى آخر اقتضابا بدون تخيل ولا تلطف.

(3) ألفاظه وأساليبه

ولما كانت العرب أمما بدوية تنظم الشعر بطبعها، ومن غير معاناة صناعة ولا دراسة علم، غلب على شعرها صراحة القول وقلة المواربة فيه، والبعد عن التكلف وصحة النظم، والوفاء بحق المعنى، أضف إلى ذلك الأمور الآتية:

(1) جودة استعمال الألفاظ في معانيها الموضوعة لها، لإحاطة علمهم بلغتهم ومعرفتهم بوجود دلالتها.

(2) غلبة استعمال الألفاظ الجزلة، واستعمال الألفاظ الغريبة التي هجرت عند المحدثين.

(3) القصد في استعمال ألفاظ المجاز، ومقت استعمال الأعجمي إلا ما وقع نادرا.

(4) عدم تعمد المحسنات البديعية اللفظية، ومتانة الأسلوب، بحسن إيراد المعنى إلى النفس من أقرب الطرق إليها وأطرفها لديها وبإيثار المجاز، أو قلة الإسهاب لا إذا دعت الحال.

(4) أوزانه وقوافيه

العرب لم تعرف موازين الشعر بتعلم قوانين صناعية، وتعرف أصولٍ وضعية، وإنما كانت تنظم بطبعها على حسب ما يهيئه لها إنشادها، وقد هد م هذه الفطرة إلى أوزان أرجعها الخليل إلى خمسة عشر وزنا سماها بحورا وزاد عليها الأخفش بحرا، وقد أكثروا النظم من بعضها دون بعض.

راجع مؤلفنا "ميزان الذهب في بحور شعر العرب".

وشعر العرب رجزه وقصيدة يبنى على قافية واحدة كيفما طال القول.

(5) شعراء الجاهلية

شعراء الجاهلية: أكثر من أن يحاط م، ومن جهل منهم أكثر ممن عرف وإنما اشتهر بعضهم دون بعض لنبوغه، أو كثرة المروي من شعره، أو قرب عهده من الإسلام زمن الرواية، وكان للشعراء عند العرب منـزلة رفيعة، وحكم نافذ، وسلطان غالب، إذ كانوا ألسنتهم الناطقة بمكارمهم ومفاخرهم وأسلحتهم التي يذودون ا عن حياض شرفهم، وكانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأ ا، وصنعت الأطعمة، وأتت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذب عن حياضهم، وتخليد لمفاخرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ، أو فرس تنتج.

وكانت طريقة نظم الشعراء ارتجالية، فتأتيهم ألفاظه عفوا، ومعانيه رهوا، كما وقع للحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم، أما من اتخذه منهم صناعة يستدرها ويلتمس به الجوائز، وينشده في المحافل والمواقف العظام، فإنه يتعهده بالتهذيب والتنقيح لجعله رقيق الحاشية، حسن الديباجة، يصح أن يقال فيه إنه المثل الأعلى للشعر الجاهلي كما ترى ذلك واضحا في حوليات زهير، واعتذاريات النابغة.

وقد غبر الناس دهرا طويلاً لا يقولون الشعر إلا في الأغراض الشريفة، لا يمدحون عظيما طمعا في نواله، ولا يهجون شريفًا تشفيا منه وانتقاما، حتى نشأت فيهم فئة امتهنت الشعر وتكسبت به، ومدحت الملوك والأمراء، كالنابغة الذبياني وحسان مع النعمان بن المنذر، وملوك غسان، وزهير بن أبي سلمى مع هرم ابن سنان وأمية بن أبي الصلت مع عبد الله بن جدعان أحد أجواد قريش، والأعشى مع الملوك والسوقة، حتى قصد به الأعاجم، وجعله متجرا يتجر به، فتحامى الشعر الأشراف، وآثروا عليه الخطابة.

(6) طبقات الشعراء

طبقات الشعراء باعتبار عصورهم أربع:

(1) الجاهليين.

(2) طبقة المخضرمين، وهم الذين اشتهروا بقول الشعر في الجاهلية والإسلام.

(3) طبقة الإسلاميين، وهم الذين نشأوا في الإسلام، ولم تفسد سليقتهم العربية، وهم شعراء بني أمية.

(4) طبقة المولدين أو المحدثين، وهم الذين نشأوا زمن فساد العربية وامتزاج العرب بالعجم، وذلك من عصر الدولة العباسية إلى يومنا هذا.

والشعراء الجاهليون يقسمون باعتبار شهر م في الشعر للإجادة، أو للكثرة إلى طبقات كثيرة، نذكر منها ثلاثًا:

(1) الطبقة الأولى: امرؤ القيس بن حجر وعمرو بن كلثوم، وزهير بن أبي سلمى، والنابغة الذبياني.

(2) الطبقة الثانية: الأعشى ولبيد بن ربيعة العامري، وطرفة بن العبد.

(3) الطبقة الثالثة: عنترة بن شداد، وعروة بن الورد، ودريد بن الصمة والمرقش الأكبر، والحارث بن حلزة اليشكري - ومن الأدباء من يقدم ويزيد.

(1) امرؤ القيس

هو الملك أبو الحارث حندج بن حجر الكندي شاعر اليمانية.

وآباؤه من أشراف كندة وملوكها، وكانت بنو أسد المضرية خاضعة لملوك كندة، وآخر ملك عليهم هو حجر أبو امرئ القيس - وأمه أخت مهلهل وكليب.

نشأ امرؤ القيس بأرض نجد بين رعية أبيه من بني أسد، وسلك مسلك المترفين من أولاد الملوك يلهو ويلعب ويعاقر الخمر ويغازل الحسان، فمقته أبوه ولما لم ينجع فيه القول طرده عنه وأقصاه، حتى جاء نبأ ثوران بني أسد على أبيه وقتلهم له لأنه كان يعسف في حكمه لهم، فقال: (ضيعني صغيرا، وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم ولا سكر غدا، اليوم خمر، وغدا أمر) وأخذ يجمع العدة، ويستنجد القبائل في إدراك ثأره، فنازل بني أسد وقتل فيهم كثيرا، ثم اشتدت به علة قررح فمات منها ودفن بأنقره؛ وكان ذلك قبل الهجرة بقريب من قرن.

شعره: يعتبر امرؤ القيس رأس فحول شعراء الجاهلية، والمقدم في الطبقة الأولى، فهو

أول من أجاد القول في استيقاف الصحب، وبكاء الديار وتشبيه النساء بالظباء والمها والبيض، وفي وصف الخيل بقيد الأوابد، وترقيق النسيب وتقريب مآخذ الكلام، وتجويد الاستعارة، وتنويع التشبيه، وذلك لسعة خياله بكثرة رحلاته.

وقد يفحش في تشبيبه بالنساء، وتحدثه عنهن، ويشتم من شعره رائحة النبل وتلمح فيه شارات السيادة والملك، من ذلك قوله:

فظـل العـذارى يـرتمين بلحمهـا وشحمٍ كهداب الـدمقْس المفتـل

وقوله:

وظل طهاة اللحم مـن بـين منضـج صفيف شواء أو قديـدٍ معجـل

وقوله:

ولـو أنْ مـا أسـعى لأدنى معيشـة كفاني ولم أطلب قليـلٌ مـن المـال

ولكنمـا أسعـى لمجـدٍ مؤثـلٍ وقد يـدرك المجـد المؤثـلَ أمثـالي

وشعره: وإن اشتمل بشملة البداوة في جفاء العبارة، وخشونة الألفاظ وتجهم المعاني، تراه أحيانا يخطر في حلل من حسن الديباجة، وبديع المعنى ودقة النسيب، ومقاربة الوصف، وسهولة المأخذ، مما كان لخلقه أجمل مثاله في محاكاته ولم يقل الشعر كاسبا.

ومن شعره، يذكر رحلته إلى قيصر مع عمرو بن قميئة الضبعي:

سما لك شوق بعدما كانَ أقصـرا وحلت سليمى بطن ظبي فعرعـرا

فدعها وسل الهَـم عنـها بجسـرة ذَمول إذا صـام النهـار وهجـرا

عليها فتى لم تحمِـل الأرض مثلـه أبـر بميثـاق وأوفى وأصـبرا

إذا قلت هذا صاحب قـد رضـيته وقَرت به العينان إلا بدلت آخـرا

كذلك جدي لا أصاحب صـاحبا مِن الناس إلا خـانني وتغيـرا

ومن أبياته السائرة قوله:

إذا المـرءُ لم يخـزنْ عليـه لسـانه فليس على شـيء سِـواه بخـزان

وقوله:

وقـد طوفـت في الآفـاق حـتى رضيت مـن الغنيمـة بالإيـابِ

معلقة امرئ القيس

قفا نبكِ من ذكْرى حبيبٍ ومنـزل ... بِسِقْط اللوى بين الدخول فحومـل[1]
فتوضِح فـالمِقْراة لم يعـف رسمهـا ... لِما نسجتها مـن جنـوبٍ وشـمأل[2]
تـرى بعـر الآرام في عرصـاتها ... وقيعانهـا كأنـه حـب فُلفُـل[3]
كأني غَداةَ البـين يـوم تحملـوا ... لَدى سمراتِ الحَـي نـاقِف حنظـل
وقوفًا بها صـحبي علـي مطِـيهم ... يقولون: لا تهلك أسـى وتجمـل[4]
وإن شِفـائي عبـرةٌ مهراقَـةٌ ... فَهلْ عِند رسمٍ دارسٍ مِـن معـول[5]
كَدأبك مِن أم الحـويرثِ قَبلَهـا ... وجارتهـا أم الرَّبـابِ بمأسـل[6]
إذا قامتا تضـوع المِسـك مِنـهما ... نسِيم الصبا جاءَت بِريـا القَرنفُـل[7]
ففاضت دموع العينِ مـني صـبابةً ... على النحرِ حتى بل دمعي مِحملـي[8]
ألا رب يومٍ لـك مِـنهن صـالح ... ولا سِـيما يـوم بـدارةِ جلجـل[9]

(1) اللوى: ما التوى من الرمل، أو استرق منه، والجمع ألواء وألوية، وسقط اللوى: منتهاه، وهو مثلث السين. والدخول وحومل وتوضح والمقراة: كلها أسماء أماكن يقع بينها سقط اللوى، وفيه منـزل الحبيب.

(2) لم يعف رسمها: لم يمح أثرها. والمراد من (جنوب وشمأل) ريح الجنوب وريح الشمال.

(3) الآرام: جمع رئم وهو الظبي خالص البياض. والعرصات: جمع عرصة وهي البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء، والقيعان: فناء الدار.

(4) أي وقوف صحبي على مطيهم بسمرات الحي، ونصحوا لي بالتحمل والاحتمال.

(5) عبرة مهراقة: دمعة مسكوبة، والمعول: المستعان به.

(6) الدأب: الشأن.

(7) تضوع المسك: انتشرت رائحته. والريا: الرائحة، والمراد أنه إذا قامت هاتان المرأتان يضوع منهما المسك، كما يأتي النسيم بشذا القرنفل.

(8) المحمل، على وزن منبر: حمالة السيف.

(9) ابتداء الشاعر بذكر حوادث شبابه، وملاعب صباه، وخص بالذكر أيامه بدارة جلجل، وهي مكان بنجد، وسيحدثنا عن لهوه أطيب الحديث.

ويوم عقـرت للعـذارى مطـيتي فيا عجبا مِـن كورهـا المتحمـل[1]
فظل العـذارى يـرتمين بلحمهـا وشحمٍ كهداب الـدمقس المفتـل[2]
تدار علينـا بالسـديف صِـحافُها ويـؤتى إلينـا بـالعبيط المُثمـل[3]
ويوم دخلت الخدر خِـدر عنيـزةٍ فقالت: لك الويلات إنك مرجلـي[4]
تقولُ وقد مالَ الغبيطُ بنـا معـا: عقرت بعيري يا امرأ القيس فـانزل[5]
فقلت لها: سيري وأرخِـي زمامـه ولا تبعديني مِـن جنـاك المعلـل[6]
دعي البكر لا ترثي له مـن ردافنـا وهـاتي أذيقينـا جنـاةَ القرنفُـل[7]
بثغـرٍ كمثْـل الأقحـوان منـورٍ نقي الثنايـا أشـنبٍ غَـير أبعـل[8]
فمثلكِ حبلى قد طرقت ومرضِـعٍ فألهيتها عـن ذي تمـائم محـول[9]
إذا ما بكى مِن خلفها انصرفت لـه بشِق وتحتي شِـقها لـم يحـول[10]
ويوما على ظهر الكثيب تعـذرت علـي وآلـت حلفـةً لم تحلـل[11]

---

(1) مطية الشاعر: هنا ناقته.
(2) هداب الدمقس: أطراف الحرير. والمفتل: المفتول.
(3) السديف: قطع السنام، والصحاف، جمع صحفة: القصعة. والعبيط: لحم الذبيحة تنحر من غير علة، والمثمل الشهي، وهذا البيت ليس عند ابن الأنباري.
(4) الخدر، هنا: الهودج. وعنيزة: اسم لمحبوبته، إنك مرجلي: أي فاضحي بين رجالي.
(5) الغبيط: الرحل، عقرت بعيري: دميت ظهره لثقلك.
(6) الجنى: الشهد. المعلل: الشهي.
(7) البكر: البعير، الرداف: هو أن يركب اثنان على دابة واحدة. أذيقينا جناة القرنفل: مكنينا من ثغرك العطر.
(8) الأقحوان: زهر أبيض جميل يشبه به الثغور العذاب. أشنب: فيه برد ورقة وصفاء.
(9) محول: مضى عليه حول. يريد أن يقول إني رجل أفتن النساء، حتى لا تنجو مني الحبلى ولا المرضع، مع أنها في شغل بالحمل والرضاع.
(10) في هذا البيت صورة فاتنة من صور الجماع.
(11) تعذرت: تمنعت. أي مضت في عنادها وتجنيها. آلت حلفة: أقسمت يمينا؛ لم تحلل: لم تقيد اليمين فيحلها هو ولم يستثن فيها.

أفاطِم مهلاً بعـض هـذا التـدلل   وإنْ كُنتِ قَد أزمعتِ صرمي فَأجملي[1]
أغَـرّكِ مِنـي أن حبـكِ قَـاتِلي   وأنكِ مهما تـأمري القَلـب يفْعـل
وأنكِ قَسـمتِ الفُـؤاد فنِصـفُه   قَتيـلٌ ونِصـف بالحديـد مكبـل[2]
فإنْ تك قَد ساءَتكِ مِـني خَلِيقَـةٌ   فسلي ثيـابي مِـن ثيابِـكِ تنسـل[3]
وما ذَرفَـت عينـاكِ إلا لِتضـربي   بسهميكِ في أعشـار قَلْـبٍ مقتـل[4]
وبيضةِ خِـدرٍ لا يـرام خِباؤهـا   تمتعت مِن لَهوٍ بهـا غَيـر معجـل[5]
تجاوزت أحراسا إليهـا ومعشـرا   علي حِراصا لـو يسِـرون مقْتلـي[6]
إذا ما الثريا في السـماءِ تعرضـت   تعرض أثْنـاءِ الوشـاح المفَصـل[7]
فجِئْت وقَد نضـت لِنـومٍ ثِيابهـا   لدى السـتر إلا لِبسـةَ المتفَضـل[8]
فَقالت يمين اللهِ مـا لـك حِيلَـةٌ   وما إنْ أرى عنك الغوايـةَ تنجلـي[9]
خرجت بها أمشِـي تجـر وراءنـا   على أثَرينا ذَيـلَ مِـرطٍ مرحـل[10]

---

(1) أزمع الأمر، وأزمع عليه: إذا ثبت عزمه على إمضائه. الصرم، بفتح الصاد وضمها: الهجر والقطيعة والإجمال: الرفق.

(2) مكبل: مقيد.

(3) الخليقة: السجية والطبيعة. والثياب هنا: القلب. وتنسل: تسقط. والمعنى: إذا ساءتك خصلة من خصالي فسلي قلبي من قلبك.

(4) السهام: العيون. قلب مقتل: أهلكه العشق.

(5) بيضة الخدر: كناية عن المرأة المخدرة المحجبة. غير معجل: غير مضطر إلى العجلة.

(6) الأحراس: الحراس. وحراص: جمع حريص. وأسر الأمر: أضمره.

(7) الوشاح: أديم عريض يرصع بالجوهرة تشده المرأة بين عاتقها وكشحها. والوشاح المفصل: هو المرصع بالذهب أو الزبرجد.

(8) أنضى الثياب: خففها. والمتفضل: هو الذي يلبس ثوبا واحدا حين يأوي إلى فراشه.

(9) ما لك حيلة: أي لا بصر لك بعواقب الأمور.

(10) المرط: كساء من صوف أو خز مرجل، فيه صور رجال وبالحاء فيه صور رحال.

فلما أجزنا ساحةَ الحي وانتحـت بنا بطن خبتٍ ذي حِقَـافٍ عقنقـل[1]
هصرت بفودي رأسِـها فتمايلـت علي هضيم الكشح ريا المخلخـل[2]
مهفهفـةٌ بيضـاءُ غيـر مفاضـةٍ ترائبهـا مصـقولةٌ كالسـجنجل[3]
كبكر المقانـاةِ البيـاض بصـفرة غذاها نمير المـاءِ غيـر المحلـل[4]
تصد وتبدي عـن أسـيلٍ وتتقـي بناظرةٍ من وحـش وجـرةَ مطفـل[5]
وجيدٍ كجيدِ الرئم ليس بفـاحش إذا هـي نصـته ولا بمعطـل[6]
وفرع يزين المتن أسـود فـاحمٍ أثيـثٍ كقنـو النخلـةِ المتعثكـل[7]
غدائره مستشـزرات إلى العلـى تضل المدارى في مثنـى ومرسـل[8]
وكشحٍ لطيفٍ كالجديل مخصـرٍ وساق كـأنبوب السـقي المـذلل[9]

(1) جزت المكان: قطعته وخلفته، انتحت: قصدت، الخبت: الفضاء الواسع والعقنقل: الوادي العظيم.
(2) هصرت بفوديها: أملتهما إلي، والفودان: جانبا الرأس. هضيم الكشح: دِقيقة الخصر، ريا المخلخل: بضة الساق.
(3) مهفهفة: ضامرة البطن. غير مفاضة: غير مسترخية اللحم؛ الترائب: موضع القلادة من الصدر والسجنجل: المرآة المجلوة.
(4) المقاناة: الخلط والشاعر يشبه خليلته ببيضة النعام لأول عهدها بمزج الصفرة بالبياض. المحلل: الذي كدرته الإبل، يصف حبيبته بأنها لا تشرب الماء المحلل كسائر الأعرابيات، وإنما هي سيدة مترفة تشرب الماء النمير.
(5) تصد: تصدق، تبدي: تعيد الصد، أي تصد. الأسيل: الرقيق، صفة لموصوف محذوف هو الخد، وجرة: مكان لتربية الوحوش بين مكة والبصرة. ومطفل: ذات طفل، والمعنى: تصد عن خد أسيل وتتقي المحب بعين مملوءة بالعطف، كما تنظر إلى طفلها الظبية الرءوم.
(6) الرئم: الظبي، نضته: رفعته، معطل وعاطل: لا حلية فيه.
(7) الفرع: الشعر. المتن: الظهر. أثيث: كثير أصل النبات. القنو: الشمراخ. المتعثكل: الذي دخل بعضه في بعضه لكثرته.
(8) مستشزرات: مرتفعات. والغدائر: خصل الشعر، المداري: الأمشاط.
(9) الجديل: الوشاح. والمذلل: اللين، ومنه شجرة مذللة معطفة الأغصان، ينالها كل أحد.

ويضحى فَتِيت المسكِ فَوقَ فِراشِها	نؤوم الضحى لم تنتطِق عن تفَضـل[1]
وتعطُو بِرخص غَيـر شـثْنٍ كأنـه	أساريع ظَبي أو مسـاويك إسـحل[2]
تضِيءُ الظـلام بالعِشـاءِ كأنهـا	منـارةُ ممسـي راهِـبٍ متبتـل[3]
إلى مِثْلِهـا يرنـو الحَلِـيم صـبابةً	إذا ما اسبكَرت بين دِرعٍ ومجـول[4]
تسلت عمايات الرجال عن الصـبا	وليس فُؤادي عن هواهـا بِمنسـل[5]
ألا رب خصمٍ فيكِ ألـوى رددتـه	نصِيحٍ على تعذَالِـه غَيـر مؤتـل[6]
وليلٍ كموجِ البحرِ أرخى سـدوله	علـي بـأنواع الهمـوم ليبتلـي[7]
فقُلْت لـه لمـا تمطـى بِجـوزِه	وأردف أعجـازا ونـاءَ بِكلكـل[8]
ألا أيها الليلُ الطويـلُ ألا انجـل	بِصبحٍ وما الإصباح مِنـك بِأمثَـل[9]
فَيالك مِـن لَيـلٍ كـأن نجومـه	بِكُل مغار الفَتـل شـدت بِيـذْبل[10]
كأن الثريـا علقَـت في مصـامِها	بأمراس كِتـانٍ إلى صـم جنـدل[11]

---

(1) انتطقت المراة: لبست المنطق أو النطاق، والتفضل لبس الثوب الواحد. وعن هنا بمعنى بعد، أي لم تلبس المنطق بعد المفضل يريد أ ا لم تكتس بعد عري، ونوم الضحي من عادات المترفات.

(2) العطو: التناول، ورخص: لين ناعم، وهو وصف للبنان، وشثْن: خشن وأساريع جمع أسروع والإسحل شجر يستاك به.

(3) يقول: تضيء محبوبتي الظلام كأ ا منارة الراهب في المساء.

(4) اسبكرت: اعتدلت واستقامت، ودرع المرأة: قميصها.

(5) تسلت: تكشفت وانزاحت، عمايات جمع عماية، وهي الغواية والضلال ومنسل: سال، ولم يسل عن هواها فؤادي.

(6) ألوى: عسر. والتعذل والعذل: اللوم. غير مؤتل: غير مقصر.

(7) السدول: الستور، يبتلي: يختبر. وهو يصف الليل بتعمد إيذائه.

(8) تمطى الليل: طال والجوز: الوسط، وفي رواية، بصلبه، ناء: ض، والكلكل: الصدر.

(9) أمثل: أفضل، يذكر أن همومه موصولة، فليس الصبح خيرا من الليل.

(10) مغار: محكم شديد، ويذبل: اسم جبل؛ يصف نجوم الليل بالثبات.

(11) في مصامها: في موضعها، أمراس جمع مرس وهو: الحبل، والجندل الأصم: الحجر الصلب.

وقربةِ أقْـوامٍ جعلْـت عِصـامها ... على كاهِلٍ مِنـي ذَلُـولٍ مرحـلِ[1]
وواد كجوفِ العير قفْـرٍ قطعتـه ... به الذئب يعوي كـالخَليعِ المعيـلِ[2]
فقلت لـه لمـا عـوى إن شـأننا ... قليلُ الغِنى إن كنـت لمـا تمـولِ[3]
كلانا إذا مـا نـالَ شـيئًا أفاتـه ... ومن يحترثْ حرثي وحرثَك يهـزلِ[4]
وقد أغتدي والطيـر في وكُناتهـا ... بمنجـردٍ قيـدِ الأوابـدِ هيكـلِ[5]
مِكر مِفـر مقبِـلٍ مـدبرٍ معـًـا ... كجلْمودِ صخرٍ حطه السيلُ مِن علِ[6]
كُميتٍ يزل اللبد عن حـال متنـه ... كما زلـتِ الصـفْواءُ بالمتنــزلِ[7]
على العقْبِ جياش كـأن اهتزامـه ... إذا جاش فيه حميه غَلْـي مِرجـلِ[8]
مِسح إذا ما السابحات على الونى ... أثَـرنَ غُبـارا بالكَديـدِ المركـلِ[9]
يزل الغلام الخِف عـن صـهواته ... ويلْوي بأثْوابِ العنيـفِ المثقـلِ[10]

---

(1) العصام: حبل تربط به القربة، ومرحل: كثير الحمل والترحيل.

(2) يقال للموضع الذي لا خير فيه جوف العير، والعيل: المسيب الذي ألقى حبله على غاربه.

(3) تمول: صار ذا مال.

(4) أفاته: ضيعه، ومن يحترث حرثي وحرثك: من هو مثلنا، ويهزل: يضعف.

(5) وكنات العش، وفرس أجرد ومنجرد: قصير الشعر رقيقه، الأوابد: الوحوش النافرة، وقيد الأوابد: مبالغة في سرعة العدو، والهيكل: الضخم من كل شيء.

(6) مكر مفر: سريع الكر والفر، ومن عل: من فوق، يصف عدو الفرس في كره وفره وإقباله وإدباره بجلاميد الصخر تحطها السيول.

(7) كميت: خالط حمرته سواد. ويزل: يسقط، عن حال متنه: عن وسط ظهره، الصفواء: الملساء، المتنـزل: المطر ينـزل من السماء.

(8) وجياش إذا حركته بعقبك جاش كما يجيش حمية بالقدر حين تفور.

(9) مسح: عداء. السابحات والسوابح: الخيول. الونى: الضعف والتعب، الكديد: الأرض تكدها بحوافرها الدواب. المركل: المكدود.

(10) الخف: الجلد أو الخفيف العنيف من لا رفق له بركوب الخيل، المثقل: الثقيل، يريد أنه لا يذل لغير سيده وهو وصف بديع.

دريرٍ كخذروفِ الوليدِ أمره ... تتابع كفيه بخيطٍ موصلِ[1]
له أيطلا ظبي وساقا نعامةٍ ... وإرخاءُ سرحانٍ وتقريب تتفُلِ[2]
ضليعٍ إذا استدبرته سد فرجه ... بضافٍ فويق الأرض ليس بأعزلِ[3]
كأن على المتنين منه إذا انتحى ... مداك عروسٍ أو صلايةُ حنظلِ[4]
كأن دماءَ الهادياتِ بنحرهِ ... عصارةُ حناءٍ بشيبٍ مرجلِ[5]
فعن لنا سربٌ كأن نعاجه ... عذارى دوارٍ في ملاءٍ مذيَّلِ[6]
فأدبرن كالجزع المفصل بينه ... بجيدٍ معمٍ في العشيرةِ مخولِ[7]
فألحقنا بالهادياتِ ودونه ... جواحرها في صرة لم تزيلِ[8]
فعادى عِداءً بين ثورٍ ونعجةٍ ... دِراكًا ولم ينضح بماء فيغسلِ[9]
فظل طهاةُ اللحمِ ما بين منضجٍ ... صفيف شواءٍ أو قديرٍ معجلِ[10]

---

(1) درير: كثير الجري، الوليد: الصبي، والخذروف: شيء يدوره في يديه بخيط فيسمع له دوي نحلة أو بلبل. أمره: فتله، يريد أنه سريع جدا.

(2) الأيطل: الكشح، السرحان: الذئب، والتقريب: رفع اليدين معا. التتفل: ولد الثعلب.

(3) ضليع: قوي الجبين، استدبرته: نظرت إليه من خلف.

(4) المداك والمدوك: الصلابة يذكر أن الجواد إذا انتحى ناحية وهو غير مسرج رأيت ظهره براقًا لامعا كما تلمع صلابة الحنظل والمداك العروس، وإنما خص صلابة الحنظل لما يترك ا من الدهن اللامع، وخص مداك العروس لقرب عهده بالطيب. وإن امرء القيس لشاعر فنان!.

(5) الهاديات: المتقدمات ويريد ا هنا الفرائس، مرجل: مسرح، يذكر أن دماء الفرائس بنحره كعصارة الحناء بالمشيب المرجل، وكلاهما يلمع من الخضاب.

(6) عن: عرض، السرب: القطيع، النعاج: البقر، دوار: اسم صنم، مذيل: طويل الأطراف.

(7) الجزع: الخرز، لأن لونه يجزع إلى بياض وسواد، والمفصل بينه: أي الذي فصل بين حباته بالذهب أو الزبرجد، الجيد: العنق المعمم، والمخول: كرام العم والخال، يشبه النعاج بالجزع المفصل في جيد من كرم عمه وخاله.

(8) الهاديات: السابقات المتقدمات. الجواحر: المتخلفات، في صرة: في صياح شديد، لم تزيل: تتفرق.

(9) عادى عداء: جمع بين ثور ونعجة، دراكًا: تباعا، لم ينضح بماء: لم يعرق.

(10) الطهاة، جمع طاه وهو: الطباخ. لحم صفيف: صف على النار ليشوى وفي الشمس ليقدد.

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه ... متى ما ترق العين فيه تسفل[1]

فبات عليه سرجه ولجامه ... وبات بعيني قائما غير مرسل[2]

أصاح ترى برقا أريك وميضه ... كلمع اليدين في حبي مكلل[3]

يضيء سناه أو مصابيح راهب ... أهان السليط بالذبال المفتل[4]

قعدت وأصحابي له بين ضارج ... وبين العذيب، بعد ما متأمل[5]

على قطن بالشيم أيمن صوبه ... وأيسره على الستار فيذبل[6]

فأضحى يسح الماء حول كتيفة ... يكب على الأذقان دوح الكنهبل[7]

ومر على القنان من نفيانه ... فأنزل منه العصم من كل منزل[8]

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ... ولا أطما إلا مشيدا بجندل[9]

كأن ثبيرا في عرانين وبله ... كبير أناس في بجاد مزمل[10]

---

(1) يكاد الطرف يقصر دونه أي: أن العين لا تقدر على حصر محاسنه، ترق: تنظر إلى أعلا، تسفل: تنظر إلى أسفل.

(2) يريد أنه بات مقيدا مسرجا ملجما، ليستطيع الفارس امتطاءه متى شاء.

(3) ومض البرق ومضا ووميضا وومضانا: لمع لمعا خفيا، الحبي: الحباب المتراكم.

(4) السليط: الزيت الجيد، الذبال، جمع ذبالة: وهي فتيلة المصباح وفي رواية: أمال.

(5) ضارج: اسم ماء ببلاد طيء، والعذيب: اسم ماء قريب منه، ومتأمل: مأمول.

(6) قطن: اسم جبل، الشيم: النظر إلى البرق، الصواب: أي المطر، والستار ويذبل: جبلان.

(7) يسح الماء: يسكبه، وكتيفة: اسم أرض، دوح: جمع دوحة وهي: الشجرة العظيمة والكنهبل: نوع من الشجر الضخم.

(8) القنان: اسم جبل لبني أسد، نفيان المطر: رشاشه، العصم: الوعول ومفردها أعصم سميت بذلك لاعتصامها بالجبال.

(9) تيماء: اسم أرض، الأطم: القصر، يريد أن المطر لم يترك بتيماء إلا جذوع النخل وما شيد بالصخر من الآطام والديار.

(10) ثبيرا: اسم جبل، عرانين وبله: في طغيان وبله، البجاد: كساء مخطط يلبسه كبار الأعراب، مزمل: ملفف.

كأن ذُرا رأس المجيمر غدوةً ... من السيل والغثاء فُلكةُ مغزل[1]
وألقى بصحراء الغبيط بعاعه ... نزولَ اليماني ذي العياب المحمل[2]
كأن مكاكي الجواء غُديةً ... صبحن سلافًا من رحيق مفلفل[3]
كأن سباعا فيه غرقى عشيةً ... بأرجائه القصوى أنابيش عنصل[4]

(2) النابغة الذبياني

هو النابغة الذبياني أبو أمامة زياد بن معاوية: أحد فحول الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية، وزعيمهم بعكاظ، وأحسنهم ديباجة لفظ، وجلاء معنى، ولطف اعتذار - ولقب بالنابغة لنبوغه في الشعر فجأة وهو كبير، بعد أن امتنع عليه وهو صغير - وهو من أشراف ذبيان، إلا أن تكسبه بالشعر غض قليلاً من شرفه، على أنه لم يتكسب بشعره إلا في مدح ملوك العرب، وكان من أمره في ذلك أنه اتصل بملوك الحيرة ومدحهم، وطالت صحبته للنعمان بن المنذر، فأدناه منه إلى أن وشى به عند النعمان أحد بطانته، فغضب عليه وهم بقتله، فأسر إليه بذلك عصام حاجب النعمان، فهرب النابغة إلى ملوك غسان في الشام، المنافسين للمناذرة في ملك العرب في الحيرة، فمدح عمرو بن الحارث الأصغر وأخاه النعمان، غير أن قديم صحبته للنعمان جعله يحن إلي معاودة العيش في ظلاله، فتنصل واعتذر إليه بقصائد عطفت عليه قلبه، وعمر النابغة طويلاً، ومات قبيل البعثة.

شعره: يمتاز برشاقة اللفظ ووضوح المعنى، وحسن النظم، وقلة التكلف حتى عد عند المدققين من الشعراء كجرير أنه أشعر شعراء الجاهلية، وأغراه تكسبه بالشعر أن يفتن في ضروب المدح، حتى مدح الشيء وضده.

ومن جيد قوله في الاعتذار:

---

(1) ا مر: اسم جبل، وذرا رأسه: أعاليه. الغثاء: ما يخالط زبد السيل من ورق الشجر والحشيش.

(2) الغبيطك أراض لبني يربوع، بعاعه: ثقله، العياب جمع عيبة: وهي ما يضع الرجل فيه متاعه.

(3) المكاكي: ضرب من الطير يصيح في الغدوات، صبحن: شربن شراب الصباح، السلاف والسلافة: صفوة الخمر، الرحيق: الخمر، مفلفل: وضع عليه فلفل يريد أنه لاذع.

(4) الأنابيش: جمع أنبوش وهو أصل البقل، والعنصل: البصل البري.

أتاني أبيت اللعن[1] أنك لمتني وتلك التي أهتم[2] منها وأنصب[3]

فبت كأن العائدات[4] فرشن لي هراسا[5] به يعلى فراشي ويقشب[6]

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مطلب

لئن كنت قد بلغت عني جناية[7] لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولكنني كنت امرأ لي جانب[8] من الأرض فيه مستراد[9] ومذهب

ملوك[10] وإخوان إذا ما أتيتهم أحكم في أموالهم وأقرب

كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم في شكرهم لك أذنبوا[11]

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار[12] أجرب

ألم تر أن الله أعطاك سورة[13] ترى كل ملك دونها يتذبذب[14]

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث، أي الرجال المهذب[15]

---

(1) جملة دعائية يخاطبون بها الملوك تحية، ومعناها أبيت أن تفعل شيئًا تلعن به، وكانت هذه تحية ملوك لخم وجذام.

(2) أتعب.

(3) أصير لأجلها ذاهم.

(4) الزائرات في المرض.

(5) شوكًا كأنه حسك.

(6) يخلط.

(7) ذنبا وفي رواية: خيانة.

(8) الجانب الناحية وأراد به الشام.

(9) موضع يتردد فيه لطلب الرزق.

(10) بدل من مسترد ومذهب أو مبتدأ بتقدير فيه ملوك.

(11) قال الأصمعي: كما فعلت أنت بقوم قربتهم وأكرمتهم فتركوا الملوك ولزموك فلم تر ذلك ذنبا عليهم.

(12) القطران.

(13) منزلة رفيعة وشرفًا.

(14) يضرب أراد بهذا البيت والذي قبله تسلية النعمان على ما حصل من مدحه لآل جفنة.

(15) تلمه تصلحه والشعث الفساد، والمهذب المتقى من العيوب، يعتذر بذلك عن زلته.

فإن أك مظلوما[1] فعبـد ظلمتـه وإن تك ذا عتبى[2] فمثلك يعتـب[3]

ومن أبلغ المعلقات والمطولات أيضا:

مُعلقة النابغة الذبياني

عوجوا فحيوا لنعمٍ دمنـةَ الـدار ماذا تحيونَ مِن نـؤيٍ وأحجـار؟[4]

أقْوى وأقْفَـر مِـن نعـم وغيـره هوج الرياح بهـابي التـرب مـوار[5]

وقفْت فيها سـراةَ اليـوم أسـألها عن آل نعم أمونـا عبـر أسـفار[6]

فاستعجمت دار نعـم مـا تكلمنـا والدار لـو كلمتنـا ذات أخبـار[7]

فما وجدت بهـا شـيئًا ألـوذُ بـه إلا الثمـام وإلا موقـد النـار[8]

وقد أراني ونعمـا لاهـيين معـًا والدهر والعيش لم يهمـم بـإمرار[9]

أيـام تخبـرني نعـم وأخبرهـا ما أكتم الناس من حـاجي وأسـراري

لولا حبائلُ من نعم علقْـت بهـا لأقْصر القلْب عنـها أي إقْصـار[10]

فإن أفـاق لقـد طالـت عمايتـه والمرءُ يخلق طـورا بعـد أطـوار[11]

نبئْت نعما علـى الهُجـران عاتبـةً سقْيا ورعيا لـذاك العاتـب الـزاري

---

(1) جعل غضبه ظلما لأنه عن غير موجب.

(2) رضا.

(3) يرضى.

(4) عوجوا: قفوا. الدمنة: ما اجتمع من آثار الديار، النؤي ما يكون حول الخباء لمنع المطر.

(5) أقوى: خلا، أقفر: صار قفرا، هوج جمع أهوج، الريح تعصف بشدة هابي الترب: سافيه، موار يجيء ويذهب.

(6) سراة اليوم: وسطه. والأمون: الناقة القوية المأمونة.

(7) استعجمت: عيت الجواب.

(8) ألوذ به: أفزع إليه، الثمام: نوع من النبت الدقيق الضعيف.

(9) أمر العيش إمرارا صار مرا.

(10) الحبائل: جمع حبالة وهي الشرك، أقصر: كف وانصرف.

(11) العماية الضلالة والطور الحال ويخلق يتغير.

رأيت نعما وأصحابي علـى عجـل والعيس للبين قـد شـدت بـأكوار
فريع قلبي وكانت نظـرةٌ عرضـت حينـا وتوفيـق أقـدار لأقـدار[1]
بيضاء كالشمس وافت يوم أسـعدها لم تؤذِ أهلاً ولم تفحِـش علـى جـار
تلوثُ بعد افتِضال البـرد مئزرهـا لوثًا على مِثل دِعص الرملة الهـاري[2]
والطيب يزداد طِيبا أن يكـونَ ـا في جيدٍ واضِـحةِ الخَـدين مِعطـار[3]
تسقِي الضجِيع إذا استسقى بذي أشرٍ عذبِ المذاقةِ بعد النـومِ مِخمـار[4]
كـأن مشـمولةً صِـرفًا بِرِيقِتهـا مِن بعدِ رقـدتِها أو شـهدِ مشـتار[5]
أقولُ والنجم قـد مالـت أواخِـره إلى المَغيـبِ تثبـت نظـرةً حـار[6]
ألمحةٌ مِن سنا بـرقٍ رأى بصـري أم وجه نعـم بـدا لي أم سـنا نـار
بل وجه نعمٍ بـدا والليـلُ معتكِـر فـلاح مـن بـين أثـوابٍ وأسـتار
إنّ الحُمول الـتي راحـت مهجـرةً يتبعن كُـل سـفِيهِ الـرأيِ مِغيـار[7]
نـواعِم مِثـلَ بيضـاتٍ بِمحنِيـةٍ يحفِزنَ مِنه ظَليمـا في نقـا هـار[8]
إذا تغنى الحمـام الـورق هـيجني وإنْ تغربـت عنهـا أم عمـار[9]

---

(1) ربع من الروع وهو الفزع، والحين: الهلاك.
(2) تلوث تلف وافتضال البرد هو التوشح به: والدعص: الكثيب الصغير والهاري: المنهار.
(3) الجيد العنق: معطار: كثير العطر ووضوح الخد إشراقه.
(4) الأشر حسن الثغر وتحريز أطرافه مخمر عطر تقول وجدت خمرة الطيب أي رائحته.
(5) المشمولة الخمر والصرف الخالصة، والريقة: الريق. والمشتار: الذي ينـزع العسل من بيوت النحل.
(6) حار مرخم حارث.
(7) الحمول: الهوادج ويويد ا النساء راحت مهجرة سارت وقت الهجير، مغيار: غيور.
(8) المحنية والمحنو: منعطف الوادي.
(9) الورق: جمع ورقاء، وهي الحمامة تألف الشجر الوريق. وأم عمار واقعة موقع البدل من الضمير في (عنها).

ومهمه نازحٍ تعوي الذئاب به نائي المياه عن الوراد مقفار[1]
جاوزته بعلنداةٍ مناقلةٍ وعر الطريق على الإحزان مضمار[2]
تجتاب أرضا إلى أرض بذي زجل ماض على الهول هادٍ غير محيار[3]
إذا الركاب ونت عنها ركائبها تشذرت ببعيد الفتر خطّار[4]
كأنما الرحلُ عنها فوق ذي جددٍ ذَب الرياد إلى الأشباح نظّار[5]
مطرد أفردت عنه حلائله من وحش وجرةَ أو من وحش ذي
مجرس وحد جأب أطاع له نبات غيثٍ من الوسمي مبكار[7]
سراته ما خلا لبانه لهق وفي القوائم مثلَ الوشم بالقار[8]
باتت له ليلةٌ شهباءُ تسفعه بحاصبٍ ذاتِ إشعانٍ وإمطار[9]
وبات ضيفًا لأرطاةٍ وألجأه مع الظلام إليها وابلٌ سار[10]

---

(1) المهمه، الوادي الموحش، نازح: بعيد. الوراد، جمع وارد مقفار: لا أنيس به.

(2) علنداة: شديدة وهو وصف للناقة، مناقلة: سريعة نقل القوائم في جري بين العدو والخبب. الإحزان: المشي في الحزن، وهو ما صلب من الأرض. مضمار: كثير الضمور .

(3) تجتاب: تقطع وتجوب، الزجر: الصوت، محيار: شديد الحيرة.

(4) ونت: من الونى، وهو الضعف. تشذرت: نشطت. الفتر: الضعف. خطار كثير الخطران برجليه على الناقة يحثها على المضي.

(5) ذو الجدد: هو ثور الوحش تعلو ظهره خطوط بيض وحمر. والذب: الدفع، والرياد والارتياد التجول.

(6) مطرد: مشرد، ووجرة وذو قار موضعان، والوحش إذا أفردت عنه حلائله جن وأكثر من العدو في أرجاء الفضاء.

(7) مجرس: خائف وذلك أن يسمع جرس الإنسان أي صوته - وحد: وحيد. جأب صلب شديد تطاع له الكلأ وأطاع: إذا اتسع وأمكن رعيه حيث شاء الوسمي: أول المطر. ومثله المبكار.

(8) سراته: ظهره، لبانه: صدره، لهق: أبيض، القار: شيء أسود تطلى به السفن.

(9) ليلة شهباء ويوم أشهب: ب فيهما ريح باردة - تسفعه: تلفعه وترميه. والحاصب: الريح تقذف بالحصباء وهي الحصى.

(10) الأرطاة: شجرة مرة والوابل المطر الغزين، والساري يسح بالليل

حتى إذا ما انجلت ظلماءُ ليلته وأسفر الصبح عنه أي إسفار

أهوى له قانص يسعى بأكلبه عاري الأشاجع من قناص أنمار[1]

محالف الصيد هباش له لحم ما إن عليه ثياب غير أطمار[2]

يسعى بغضفٍ براها فهي طاويةٌ طُولُ ارتحال بها منه وتسيار[3]

حتى إذا الثور بعد النفر أمكنه أشلى وأرسلَ غَطفًا كلّها ضار[4]

فكر محمِيةً من أنْ يفر كما كر المحامي حِفاظًا خشيةَ العار[5]

فشك بالروق منه صدر أولها شك المشاعِب أعشارا بأعشار[6]

ثم انثنى بعد للثاني فأقْصده بذات ثُغرٍ بعيد القعر نعار[7]

وأثْبت الثالثَ الباقي بنافِذةٍ من باسِلٍ عالمٍ بالطعن كرار[8]

وظل في سبعةٍ منها لحِقْن به يكُر بالروق فيها كر إسوار[9]

حتى إذ ما قضى منها لُبانته وعاد فيها بإقبال وإدبار[10]

انقض كالكوكب الدري منصلتا يهوي ويخلط تقريبا بإحضار[11]

---

(1) أهوى له: انقض عليه، أكلبه: كلابه الأشاجع: أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف. وعريها محمود في الرجال، أنمار اسم لقبيلة مشهورة بالصيد.

(2) هباش: كثير الهبش وهو الكسب يتكسب لهم ومعه هباشات، أي مكاسب أطمار جمع طمر: وهو الثوب الخلق.

(3) الغضف: جمع أغضف، وهو اللين الناعم. طاوية جائعة.

(4) النفر: العدو أشلي. تقول أشلى: وتقول أشليت الكلب للصيد.

(5) محمية: حفاظ والمحامي الذائد والمدافع.

(6) الروق القرن، المشاعب: الذي يشعب القدح ويصدعه.

(7) أقصده رماه بذات ثغر: أي بطعنة ذات ثغر والثغر هنا الشق، بعيد القعر بعيد الغور. نعار له نعير.

(8) نافذة أي ماضية. باسل: من البسالة وهي الشجاعة.

(9) الإسوار الرامي الحاذق!.

(10) لبانته: حاجته.

(11) منصلتا: الانصلات هو المضي في سرعة.

فذاك شِبه قَلُوصي إذ أضر بها ... طُولُ السرى والسرى مِن بعد أسفار[1]

لقد نهيت بني ذُبيان عن أُقَر ... وعن تربعهم في كل أصفار[2]

فقلت يا قوم إن الليثَ منقبضٌ ... على براثنه لوثْبة الضاري[3]

لا أعرفن ربربا حورا مدامعها ... كأن أبكارها نعاج دوار[4]

ينظُرنَ شزرا إلى من جاء عن عرض ... بأوجه منكرات الرق أحرار[5]

خلف العضاريط لا يوقين فاحشة ... مستمسكات بأقتاب وأكوار[6]

يذرفن دمعا على الأشفار منحدرا ... يأملن رحلة حصن وابن سيار[7]

إما عصيت فإني غير منفلِتٍ ... مني اللصاب فجنبا حرة النار[8]

إذ أصنع البيت في سوداء مظلمة ... تقيد العير لا يسري بها الساري[9]

تدافع الناس عنا حين نركبها ... من المظالم تدعى أم صبار

ساق الرفيدات من جوش ومن خردٍ ... وماش من رهط ربعي وحجار[10]

---

(1) القلوص: الناقة والسرى: السير بالليل.

(2) أقر: واد خصيب حماه النعمان وبنو ذبيان قوم النابغة.

(3) منقبض على براثنه: متحفز للوثوب وثبة الأسد الضاري.

(4) الربرب القطيع من البقر شبه به النساء حور جمع حوراء، من الحور وهو شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها والمدامع: العيون والنعاج يريد بها هنا أيضا النساء ودوار: صنم كن يطفن حوله.

(5) النظر الشزر: هو النظر في إعراض بمؤخر العين كنظر الباغض، العرض: الجانب منكرات الرق أحرار: صفة للنساء يرميهن السبي بالعبودية.

(6) العضاريط: الخدم، لا يوقين فحشة يريد أن السبي عرضهن للمنكر أي الفحشاء الأقتاب: جمع قتب: وهو عود الرحل والأكواع الرحال، ومن هنا حتى نهاية المعلقة ليس عند ابن الأنباري، وكذا أبيات كثيرة في المعلقات الأخرى.

(7) الأشفار: منابت الهدب.

(8) اللصاب: جمع لصب وهو الشعب الضيق من الجبل والحرة: أرض ذات حجارة سود نخرت كأنها حرقت بالنار.

(9) سوداء مظلمة: وصف لحرة النار. تقيد العير: تمنعه من المشي.

(10) الرفيدات، بنو رفيدة من كلب بن وبرة جوش: جبل ببلاد بني القين، ربعي وحجار رجلان من =

فرمي قضاعة حلا حـولَ حجرتـه	مـدا عليـه بسـلاف وأنفـار[1]
حتى استقل بجمع لا كفـاء لـه	يقفي الوحوش عن الصحراء جـرار[2]
لا يخفض الـرز عـن أرض ألم بـها	ولا يضل على مصباحِهِ السـاري[3]
وعيرتـني بنـو ذبيـان خشـيته،	وهلْ علي بأن أخشـاك مـن عـار

(3) زهير بن أبي سلمى المزني المضري

هو زهير بن أبي سلمى: واسمه ربيعة بن رباح المزني ثالث فحول الطبقة الأولى من الجاهلية، وأعفهم قولاً، وأوجزهم لفظًا، وأغزرهم حكمة، وأكثرهم تهذيبا لشعره.

نشأ في غطفان وإن كان من مزينة، من بيت جل أهله شعراء، رجالاً ونساء، واختص زهير بمدح هرم بن سنان الذبياني المري، وأول ما أعجبه من فعله وحبب إليه مدحه حسن سعيه هو والحارث بن عوف في الصلح بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء بتحملهما ديات القتلى التي بلغت ثلاثة آلاف بعير، وقال في ذلك قصيدته، وهي إحدى المعلقات السبع.

ثم تابع مدحه كما تابع هرم عطاءه حتى حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه، ولا يسأله إلا أعطاه، ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبدا أو وليدة أو فرسا، فاستحيا زهير منه، فكان إذا رآه في ملأ قال: أنعموا صباحا غير هرم، وخيركم استثنيت، وكان زهير سيدا كثير المال حليما معروفًا بالورع، متدينا مؤمنا بالبعث والحساب، كما يبدو من قوله:

فلا تكـتمن الله مـا في نفوسـكم	ليخفى، ومهمـا يكـتم الله يعلـم
يؤخر فيوضع في كتـاب فيـدخر	ليوم حسـاب أو يعجـل فينـتقم

وعمر زهير، ومات قبل البعثة بسنة.

=

قضاعة.

(1) فرمي قضاعة صفة لربعي وحجار والمراد الرجل القوي المتين. حلا: نزلا، مدا عليه: أمداه السلاف: من يتقدمون العسكر والأنفار: من يتكون الجيش من أفرادهم.

(2) استقل: نهض: لا كفاء لـه، لا نظير لـه، والجرار الجيش الكبير كأنما يجر بعضه بعضا.

(3) الرز: الصوت. ألم نزل يعني أنه لا يهاب أرضا ينـزل بها حتى يخفض صوته.

وكان زهير صاحب روية وتعمل و ذيب لما يقول، ولا سيما مطولاته، حتى قيل: إنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر، ويهذ ا في أربعة أشهر، ويعرضها على خواصه في أربعة أشهر، فلا يظهرها إلا بعد حول، ولذلك يسمون بعض مطولاته الحوليات، ومما سبق فيه غيره قوله يمدح هرما:

قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون إلى أبوابه طرقا

من يلق يوما على علاته هرما يلق السماحةَ منه والندى خلقا

لو نال حي من الدنيا بمكرمة أفق السماء لنالت كفه الأفقا

وشعره يمتاز:

أولاً: بحسن الإيجاز وحذف فضول الكلام وحشوه، بحيث يودع اللفظ اليسير المعنى الكثير.

وثانيا: بإجادة المَدح وتجنب الكذب فيه.

وثالثًا: بتجنب التعقيد اللفظي والمعنوي، والبعد من وحشي الكلام وغريبه.

ورابعا: بقلة الهذر والسخف في كلامه، ولذلك كان شعره عفيفًا يقل فيه الهجاء ولقد هجا قوما فأوجع، ثم ندم على ما صنع.

ومن أشهر المعلقات والمطولات أيضا:

معُلقة زهُير بن أبي سلمى

أمِن أم أوفى دِمنةٌ لم تكلم بِحومانة الدراج فالمتثلم[1]

ديار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم[2]

ا العين والآرام يمشين خلفه وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم[3]

(1) أم: أوفى امرأة زهير. ودمنة الدار: الأثر. لم تكلم: لم تظهر أي من دمن أم أوفى دمنة لم تتكلم. وحومانة الدراج: موضع، وكذلك المتثلم..

(2) الرقمتان: اسم مكان، مراجسع الوشم: خطوطه، ونواشر المعصم: عروقه.

(3) العين: البقر، والآرام: الظباء وأطلاؤها: أولادها. وا ثم: المكان الذي يقمن فيه، يمشين خلفه: فوجا بعد فوج وسربا بعد سرب.

وقفت ا من بعد عِشــرين حِجــةً … فَلأيا عرفت الــدار بعــد تــوهم(1)

أثــافي ســفْعا في معْــرس مِرجــل … ونؤيا كَجِــذْم الحَــوض لم يتــثلم(2)

فلما عرفت الــدار قلــت لربعهــا … ألا أنعم صباحا أيها الربــع واســلم

تبصر خليلي هلْ ترى مــن ظعــائن … تحملْن بالعلْياءِ مِن فَــوق جــرثم(3)

جعلْن القَنانَ عــن يمــين وحزنــه … وكم بالقَنان مِن محِــل ومحــرِم(4)

علــونَ بأنمــاط عِتــاق وكِلــةٍ … وِراد حواشِــيها مشــاكِهةَ الــدم(5)

ظهرنَ مِــن الســوبان ثمّ جزعنــه … على كل قَــيني قَشِــيب ومفْــأم(6)

ووركن في الســوبان يعلــو متنــه … علــيهن دل النــاعِم المتــنعم(7)

بكَرنَ بكورا واســتحرنَ بســحرة … فَهن ووادِي الرس كاليــدِ لِلفَــم(8)

وفِــيهن ملْهــى للطِيــف ومنظــر … أنيــق لِعــين النــاظِر المتوســم

كأن فُتات العِهن في كُــل منــزل … نزلْن به حب الفَنــا لــم يحطــم(9)

فلمــا وردنَ المــاءَ زرقًــا جمامــه … وضعن عِصِى الحاضِــر المتخــيم(10)

---

(1) حجة: سنة.

(2) الأثافي: الحجارة توضع عليها القدر. سفع: سود. ومعرس المرجل: الموضع الذي يكون فيه. والنؤي: ما يحفر حول الخيام لمنع السيل. جذم الحوض: أصله. لم يتثلم: لم يتكثر.

(3) الظعائن. الجمال عليها الهوادج، العلياء وجرثم: موضعان والتحمل: الارتحال.

(4) القنان: اسم جبل. الحزن: ما غلظ من الأرض.

(5) الأنماط: ثياب تفرش ا الهوادج. وعتاق: جيدة الحوك. والكِلة: الستارة الناموسية وراد: موردة، مشاكهة: مشا ة.

(6) السوبان: اسم واد. جزعنه: قطعنه. قشيب: جديد. مفأم: واسع.

(7) وركن في السوبان: عرجن عليه، متنه: ظهره.

(8) استحرن: سرين سحرا، كاليد للفم: يريد أ ن في قر ن من وادي الرس كاليد للفم؛ لأ ا لا تخطئه في قر ا منه.

(9) العهن: الصوف، الفنا: شجر له حب أحمر وفيه نقط سود.

(10) جمام الماء: ما اجتمع منه، والجمام الزرق: المياه الصافية. ووضع العصي: كناية من ترك السير. الحاضر: النازل على الماء، المتخيم: المقيم.

تذكرني الأحلام ليلى ومن تطف عليه خيالات الأحبة يحلم[1]
سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما تبزل ما بين العشيرة بالدم[2]
فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم[3]
يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم[4]
تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم[5]
وقد قلتما: إن ندرك السلم واسعا بمال ومعروف من الأمر نسلم[6]
فأصبحتما منها على خير موطن بعيدين فيها من عقوق ومأثم[7]
عظيمين في عليا معد هديتما ومن يستبح كنزا من المجد يعظم
وأصبح يحدى فيهم من تلادكم مغانم شتى من إفال مزنم[8]
تعفى الكلوم بالمئين فأصبحت ينجمها من ليس فيها بمجرم[9]
ينجمها قوم لقوم غرامة ولم يهريقوا بينهم ملء محجم[10]
ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة وذبيان هل أقسمتم كل مقسم[11]
فلا تكتمن الله ما في صدوركم ليخفى، ومهما يكتم الله يعلم

(1) في كتاب مدامع العشاق بحث مفصل عما قاله الشعراء في طيف الخيال.
(2) الساعيان في هذا الصلح هما الحارث بن عوف وهرم بن سنان وإليهما يوجه زهير الثناء.
(3) البيت: هو الكعبة. وجرهم: اسم لقوم كانوا ولاة البيت قبل قريش وأبادهم الله لبغيهم.
(4) السحيل: الخيط المفرد المبرم المفتول، والسحيل هنا والمبرم كناية عن الرخاء والشدة.
(5) منشم: امرأة تبيع عطرا، فإذا حاربوا اشتروا منها كافورا لموتاهم.
(6) واسعا خالصا من شوائب الأحقاد.
(7) العقوق: قطيعة الرحم، والمأثم الإثم: وهو العدوان.
(8) يحدى: يساق. إفال: جمع أفيل وهو الفصيل. مزنم: معلم.
(9) تعفى: تمحى، الكلوم: الجروح، ينجمها: يؤديها أقساطًا.
(10) المحجم: وعاء يتلقى فيه الحجام الدم عند الفصد.
(11) أي: هل حلفتم لا تعملون شيئًا ينقض ما تحالفتم عليه.

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ... ليوم حساب أو يعجل فينقم

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمو ... وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتضرى إذا ضريتموها فتضرم[1]

فتعرككم عرك الرحى بثفالها ... وتلقح كشافًا ثم تنتج فتتئم[2]

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم ... كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم[3]

فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها ... قرى بالعراق من قفيز ودرهم[4]

لحي حلال يعصم الناس أمرهم ... إذا طرقت إحدى الليالي بمعظم[5]

كرام فلاذو الضغن يدرك تبله ... ولا الجارم الجاني عليهم بمسلم[6]

رعوا ما رعوا من ظمئهم ثم أوردوا ... غمارا تفرى بالسلاح وبالدم[7]

فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا ... إلى كلأ مستوبل متوخم[8]

لعمري لنعم الحي جر عليهم ... بما لا يؤاتيهم حصين بن ضمضم

وكان طوى كشحا على مستكنة ... فلا هو أبداها ولم يتجمجم[9]

وقال سأقضي حاجتي ثم أتقي ... عدوي بألف من ورائي ملجم[10]

---

(1) يقال ضريته فضرى: أي هجته فهاج. تضرم: تشغل.
(2) الثفال: جلد يبسط تحت الرحى عند الطحن.
(3) غلمان أشأم: غلمان شؤم. وأحمر عاد: هو عاقر الناقة.
(4) القفيز: اسم مكيال.
(5) حي حلال: حالون في مكان واحد متجاورون. يعصم الناس أمرهم: يسلم الناس برأيهم. والمعظم: الحادث الرهيب.
(6) التبل: الثأر، الجارم: ا رم.
(7) الظمأ: الهدنة بين الحربين. والغمار: جمع غمر، وهو الماء الكثير، تضرى: انفجر.
(8) الكلأ: العشب. أصدروا: رجعوا، مستوبل: متوخم. مستثقل: مردوم.
(9) الكشح: الجنب، مستكنة: مضمرة.
(10) ألف ملجم: يريد ألف فارس ألجموا خيولهم.

فشــد ولم ينظــر بيوتــا كــثيرةً لدى حيث ألقت رحلها أم قشــعم[1]
لدى أسد شاكي الســلاح مقــذّف لــه لبــد أظفــاره لم تقلــم[2]
جريء متى يظلــم يعاقِــب بظلمــه ســريعا وإلا يبــد بــالظلم يظلــم
لعمرك ماجرت علــيهم رمــاحهم دم ابــن نهيــك أو قتيــل المُــثلّم
ولا شاركوا في القــوم في دم نوفــل ولا وهبٍ منــهم ولا ابــن المُخــزم
فكــلاً أراهــم أصــبحوا يعقِلونــه علالــة ألــف بعــد ألــف مصــتم
ومن يعص أطراف الزجــاج فإنــه يطِع العوالي ركبــت كــل لهــذم[3]
ومن يوفِ لا يذمم ومن يفض قلبــه إلى مطمــئن الــبر لا يــتجمجم
ومن هاب أســباب المنايــا ينلنــه ولــو رام أســباب الســماءِ بسـلّم
ومن يك ذا فضل فيبخــل بفضــله على قومِــه يســتغن عنــه ويــذمم
ومن لا يزل يسترحل الناس نفســه ولا يعفِها يومــا مــن الــذل ينــدم
ومن يغترب يحسب عدواً صــديقه ومــن لا يكــرم نفســه لا يكــرم
ومن لا يذُد عن حوضــه بســلاحه يهدم ومن لا يظلم النــاس يظلــم[4]
ومــن لم يصــانِع في أمــور كــثيرة يضرس بأنيــاب ويوطــأ بمنســم[5]
ومن يجعل المعروف من دون عرضــه يفره ومــن لا يتــق الشــتم يشــتم
ومهما تكن عند امرئ مــن خليقــه وإن خالها تخفى علــى النــاس تعلــم

---

(1) لم ينظر: لم ينتظر، والبيوت الكثيرة، قومه وأنصاره، يريد أنه لم يستعن بأحد، وأم قشعم: هي المنية.
(2) شاكي السلاح: شاهر السلاح. مقذف به كثيرا إلى الحروب، لبد الشعر: اللبد على منكبــي الأسد.
(3) الزجاج: أسفل الرمح، والعوالي: جمع عالية. وهي أعلاه اللهذم: السنان الطويل والمعنى: من عصى زجاج الرمح وهي لا تقبل، أطاع عواليه وهي قتالة. أي من لم يطع باللين أطاع بالشدة.
(4) الذود: هو الدفع، ومن لا يظلم يظلم: يريد به أنه من طمع الناس أن يبطشوا بالضعيف وأن يظلموا من لا يقدر على الظلم يعني من لم يدفع الظلم بمثله يظلم .
(5) المصانعة: المداراة، يضرس: يمضغ بالأضراس. والمنسم: الحافر.

وكائن ترى من صامت لك معجب	**زيادته أو نقْصه في التكلم**
لسانُ الفتى نصف ونصف فؤاده	**فلم يبق إلا صورةُ اللحم والدم**
وإن سِفاه الشيخ لا حلم بعده	**وإنّ الفتى بعد السفاهةِ يحلم**
سئمت تكاليف الحياةِ ومن يعش	**ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم**
وأعلم ما في اليومِ والأمس قَبله	**ولكنني عن علم ما في غَدٍ عم**
رأيت المنايا خبطَ عشواءَ من تصِب	**تِمته ومن تخطئ يعمر فيهرم**
سألنا فأعطيتم وعدنا فَعدتم	**ومن يكثر التسآل يوما سيحرم**

(4) عنترة العبسي

هو عنترة بن عمرو بن شداد العبسي أحد فرسان العرب وأغربتها وأجوادها وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة.

وكانت أمه أمةً حبشية تسمى زبيبة، وأبوه من سادات بني عبس.

وكان من عادات العرب ألا تلحق ابن الأمة بنسبها، بل تجعله في عداد العبيد، ولذلك كان عنترة عند أبيه منبوذًا بين عبدانه، يرعى له إبله وخيله فربأ بنفسه عن خصال العبيد، ومارس الفروسية ومهر فيها، فشب فارسا شجاعا هماما، وكان يكره استبعاد أبيه له وعدم إلحاقه به، حتى أغار بعض العرب على عبس، واستاقوا إبلهم، ولحقتهم بنوعبس، وفيهم عنترة لاستنقاذ الإبل، فقال له أبوه: كريا عنترة، فقال: العبد لا يحسن الكر، إنما يحسن الحلاب والصر، فقال، كر وأنت حر، فقاتل قتالاً شديدا، حتى هزم القوم واستنقذ الإبل، فاستلحقه أبوه، ومن ذلك الوقت ظهر اسمه بين فرسان العرب وسادا ا.

وطال عمر عنترة حتى ضعف جسمه، وعجز عن شن الغارات، ومات قبيل البعثة.

شعره: لم يشتهر عنترة أول أمره بشعر غير البيتين والثلاثة، وإنما غلبت عليه الفروسة مكتفيا ا حتى عيره يوما بعض قومه بسواده وأنه لا يقول الشعر فاحتج لسواده بخلقه وشجاعته، واحتج لفصاحته بنظم معلقته المشهورة التي كانت تسمى المذهبة أيضا، وقد ضمنها خصاله ومكارم قومه، وحسن دفاعه عنهم ووفرة جوده معرجا فيها على أوصاف أمور شتى، وهي من أجمل المعلقات.

معلقة عنترة العبسي

هل غادر الشعراءُ من متردم؟	**أم هل عرفت الدار بعد توهم؟**[(1)]
يا دار عبلةَ بالجواءِ تكلمي	**وعمي صباحا دار عبلة واسلمي**[(2)]
دار لآنسةٍ غضيض طرفُها	**طوع العنان لذيذة المتبسم**
فوقفت فيها ناقتي وكأنها	**فدنٌ - لأقضي حاجة المُتلوم**[(3)]
وتحل عبلةَ بالجواء وأهلنا	**بالحزن فالصمان والمتثلم**[(4)]
حييت مِن طلل تقادم عهده	**أقوى وأقفر بعد أم الهيثم**[(5)]
حلت بأرض الزائرين فأصبحت	**عسِرا علي طلابك ابنة مخرم**[(6)]
علقتها عرضا وأقتلُ قومها	**زعما لعمر أبيك ليس بمزعم**[(7)]
ولقد نزلت، فلا تظني غيره،	**مِني بمنزلةِ المحب المكرم**[(8)]
كيف المزار وقد تربع أهلها	**بعنيزتين وهلنا بالغيلم**[(9)]
إنْ كنتِ أزمعتِ الفِراق فإنما	**زمت ركابكم بليل مظلم**[(10)]
ما راعني إلا حمولة أهلها	**وسط الديار تسف حب الخمخِم**[(11)]

(1) غادر: ترك، متردم: أي شيء يصلح لم يكونوا أصلحوه.

(2) الجواء: بلد، تكلمي: أفصحي وأخبري وعمي وأنعمي أي نعم الله صباحك وأدامك سالمة.

(3) الفدن: القصر، والمتلوم المترقب المنتظر، وعني بالمتلوم نفسه.

(4) تحل: تترك. والصوان والصمان بمعنى واحد وهو مكان معروف عند العرب.

(5) حييت: لك مني التحية، من طلل: المكان تقادم عهده، أقوى: خلا من السكان، أقفر: حرب، الهيثم، الصقر.

(6) الزائرين: بالهمزة الأعداء والزاير بالياء من الزيارة للأحباب والأصدقاء.

(7) علقتها: أحببتها، عرضا: من غير قصد، زعما: طمعا.

(8) نزلت: حلت من نفسي منزلة المحب المكارم.

(9) تربع القوم: نزلوا في الربيع، والعنيزتان والغيلم: موضعان يقول كيف أزورها وقد بعدت عني بعد قرار.

(10) أزمع: نوى وصمم، زمت الركاب: شدت.

(11) راعني: أفزعني. الحمولة: الإبل، تسف حب الخمخم: تأكل بقلة لها حب أسود إذا أكله الغنم قلت =

فيهـا اثنتـان وأربعـون حلوبـة — سودا كخافية الغـراب الأسـحم(1)
إذ تستبيك بذي غُـروب واضـح — عـذبٍ مقبلــه لذيــذ المطعــم(2)
وكـأن فـارة تـاجرٍ بقَسـيمة — سبقت عوارضها إليك مـن الفـم(3)
أو روضـة أنفًـا تضـمن نبتهـا — غيثٌ قليل الـدمن لـيس بمعلـم(4)
جـادت عليـه كـل بكـر حـرة — فتـركْن كـلّ قـرارة كالـدرهم(5)
سـحاً وتسـكابا فكـل عشـية — يجـري عليهـا المـاءُ لم يتصـرم(6)
وخلا الذباب بهـا فلـيس ببـارح — غـردا كفعـل الشـارب المتـرنم(7)
هزجا يحـك ذراعـه بذراعـهِ — قدح المكب على الزنـاد الأجـذم(8)
تمسي وتصبح فوق ظهـر حشـية — وأبيت فوق سراة أدهـم ملجـم(9)
وحشيتي سرج على عبل الشـوى — نهـد مراكِلُـه نبيـل المحـزم(10)
هـل تـبلغني دارهـا شـدنيةٌ — لعِنت بمحروم الشـرابِ مصـرم(11)

=
ألبانها وتغيرت.
(1) الجلوبة: الناقة في ضرعها لبن، الأسحم: شديد السواد.
(2) تستبيك: تذهب بعقلك، غروب: حد، وغروب الأسنان حدها.
(3) فارة: الفارة هنا وعاء.
(4) الروضة: الحديقة، والأنف: التام في كل شيء، والدمن: المطر الخفيف، والمعلم ذو العلامة.
(5) البكر: السحابة في أول الربيع وفي عادتها أن لا تمطر.
(6) لم يتصرم: لم ينفد ولم ينقطع وخص مطر العشي لأنه أكثر ما يكون صيفًا.
(7) خلا: انفرد، ببارح: أي بتارك، غردا: مترنمًا والتغريد: الترنيم.
(8) الهزج سريع الصوت، يحك ذراعه أي يمر إحداهما على الأخرى قدح المكب: الذي أكب على الزناد يقدحه على التوالي: الأجذم الزناد القصير، وكلها نعوت لغناء الذباب وترنيمه فوق الغدير.
(9) الحشية: الفراش المحشو، يعني أن حبيبته تمسي وتصبح مستريحة ناعمة، وأما هو فيبيت فوق ظهر جواده حارسا لها ومدافعا عن القبيلة.
(10) حشيتي: فراشي، سرج: السرج ما يوضع على الجواد. عبل: غليظ، الشوى: القوائم يريد جواده.
(11) تبلغني: توصلني، دارها: منـزلها ومقامها.

خطارةٌ غِبّ السرى زيافة تطس الآكام بذاتِ خفٍ ميثم[1]

وكأنما أقِص الآكام عشية بقريب بين المنسمين مصلم[2]

تأوي له قلص النعام كما أوت حزق يمانيةٌ لأعجم طِمطِم[3]

يتبعن قلة رأسِه وكأنه حرج على نعش لهن مخيم[4]

صعل يعود بذي العشيرة بيضةُ كالعبد ذي الفَر والطويل الأصلم[5]

شربت بماء الدحرضين فأصبحت زوراءَ تنفر عن حياض الديلم[6]

وكأنما تنأى بجانبِ دفها الوحشي من هزج العشي مؤوم[7]

هِر جنيب كلما عطفت له غضبى اتقاها باليدين وبالفم[8]

أبقى لها طولُ السفار مقرمدا سندا ومثلَ دعائم المتخيم[9]

بركت على ماء الرداع كأنما بركت على قصب أجش مهضم[10]

---

(1) خطارة: تحرك ذنبها وترفعه وتضرب به. حاديها: غب السرى: أي بعد السرى زيافة تسرع في مشيها.

(2) أقص: أكثر، والآكام المرتفع من الأرض، النسمان: الظفران المقدمان في الخف، مصلم: مقطوع الأذنين.

(3) تأوي: ترجع وتسكن، قلص: جمع قلوص وهي الناقة الشابة، حزق: جماعات.

(4) يتبعن: يحطن به، قلة الرأس: أعلاه، والحرج سرير يحمل عليه المريض أو الميت.

(5) صعل: صغير الرأس دقيق العنق، يعود: يأتي إلى بيضه، ذو العشيرة: اسم مكان شبه ذكر النعام بالعبد الأسود عليه فروة طويلة.

(6) الدحرضان: اسم مورد من موارد الماء. زوراء: عوجاء مائلة من النشاط. والديلم: الأعداء. والمعنى أ ا تجافت عن الحياض لخوفها منها.

(7) ينأى: يبعد، والدف؛ الجنب، والوحشي: الجانب الأيمن من البهائم. وسمي الجانب الأيمن وحشيا لأنه لا يركب منه الراكب ولا يحلب منه الحالب. هزج العشي؛ صوت الهر الذي يخدشها لأن السنانير أكثر ما تصيح في العشيات، والمؤوم: عظيم الرأس.

(8) هر جنيب: مجنوب كلما مالت له غاضبة اتقاها وردها باليدين وبالفم. والمعنى أ ا كثيرة النشاط في ساعة العشي وهي ساعة الفتور عند سواها من الإبل فكأ ا من نشاطها يخدشها هر تحت إبطها.

(9) أبقى: ترك. طول السفار: طول السفر وامتداده، والمقرمد: المبني بالآجر، أراد به سنامها وقد أراد أنه تكمش وتماسك وصلب كما يتماسك الآجر وهو الحجارة الخشنة الملمس.

(10) الرداع مورد لبني سعد، الأجش: الذي في صوته خشونة، المهضم، المخرم، وقيل الكسر.

وكـأن ربـاً أو كُحـيلاً معقـدا — حش الوقود بـه جوانـب قمقـم[1]

ينباع أمن ذفرى غضوب جسـرة — زيافـةٍ مثـل الفنيـق المكـدمِ[2]

إن تغدفي دوني القنـاع فـإنني — طـب بأخـذ الفـارس المسـتلئم[3]

أثني علـي بمـا علمـت فـإنني — سـهل مخـالقتي إذا لم أظلـم

فإذا ظلمت فـإنّ ظلمـي باسـلٌ — مـر مذاقتـه كطعـم العلقَـمِ

ولقد شربت مـن المدامـةِ بعـدما — ركـب الهـواجر بالمشـوف المعلـم

بزجـاجةٍ صفـراء ذات أسـرة — قرنت بـأزهر في الشـمال مفـدم[4]

فـإذا شـربت فـإنني مسـتهلك — مالي، وعرضـي وافـر لم يكلـم[5]

وإذا صحوت فما أقصر عن نـدى — وكما علمـت شمـائلي وتكرمـي[6]

وحليـل غانيـة تركـت مجنـدلاً — تمكو فريصـته كشـدق الأعلـم[7]

سبقت يداي لـه بعاجـل ضـربة — ورشـاش نافـذة كلـون العنـدم

هلا سألتِ الخيلَ يـا ابنـةَ مالـك — إنْ كنـتِ جاهلـة بمـا لم تعلمـي

إذ لا أزالُ علـى رحالـة سـابح — نهـدٍ تعـاوره الكمـاة مكلـم[8]

طـورا يعـرض للطعـان وتـارة — يأوي إلى حصدِ القسـي عرمـرم[9]

---

(1) الرب ما بقي من عصارة الثمار. الكحيل: القطران - معقدا أوقد تحته حتى انعقد.

(2) ينباع: ينفعل، والذافران: العظمان الناتئان خلف الأذنين، زيافة: متبخترة في سيرها، والفنيق الفحل من الإبل، والمكدم: المعضعض، والكدم. العض، وفي رواية المقرم.

(3) تغدفي: ترخي القناع على وجهك، طب: أي خبير حاذق. والمستلئم: الذي لبس اللامة وهي الدرع.

(4) الأسرة: الخطوط والطرائق التي وسطها - قرنت: شدت بكأس أخرى، أزهر: إبريق من فضة، والمفدم: المصطفى.

(5) شربت: سكرت، مستهلك: مستنفد.

(6) صحا: أفاق من سكره.

(7) الحليل: الزوج.

(8) تعاوره: يطعنه ذا مرة وذاك أخرى. الكماة: الشجعان، مكلم: مجروح.

(9) الحصد: الكثير المحكم. والقسي: جمع قوس، والعرمرم: الشديد، وقيل الكثير.

يخبركِ من شهد الوقائع أنني أغشى الوغى وأعِف عند المغنم
فأرى مغانم لو أشاءُ حويتها فيصدني عنها الحيا وتكرمي
ومدجج كره الكماة نزاله لا ممعن هربا ولا مستسلم(1)
جادت يداي له بعاجل طعنة بمثقف صدق الكعوب مقوم
برحيبة الفرغين يهدي جرسها بالليل معتس الذئاب الضرم(2)
فشككت الرمح لأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم(3)
فتركته جزر السباع ينشنه ما بين قُلةِ رأسه والمعصم
ومِشك سابغة هتكتُ فُروجها بالسيف عن حامي الحقيقة معلم(4)
ربذ يداه بالقداح إذا شتا هتاك غاياتِ التجار ملوم(5)
لما رآني قد نزلت أريده أبدى نواجذه لغير تبسم(6)
فطعنته بالرمح ثمّ علوته بمهند صافي الحديدة مخذم(7)
عهدي به مد النهار كأنما خضِب البنانُ ورأسه بالعظلم(8)
بطل كأن ثيابه في سرحة يحذى نعالَ السبت ليس بتوأم(9)

(1) المدجج بالسلاح. كره الكماة نزاله: خافوا منه.
(2) الرحبة: الواسعة. حرسها: الصوت - والمعتس: المبتغي والطالب، والضرم: الجياع.
(3) فشككت: شققت، ثيابه: درعه وقيل قلبه.
(4) المشك: الدرع، السابغة: السابلة أضافها لنفسها وهو جائز، هتكت: فضحت وكشفت، فروجها: جمع فرجة الخرق النافذة، الحقيقة: الراية والمعلم، الذي قد أعلم نفسه بعلامة في الحرب.
(5) الربذ: السريع الضرب بالقداح الحاذق في لعبها. إذا شتا: لأن القحط أكثر ما يأتي العرب في الشتاء.
(6) أبدى نواجذه، إلخ: كلح في وجهي فبدت أضراسه.
(7) المخذم من الخذم وهو القطع.
(8) خضب: طلى - والعظلم شجر أحمر.
(9) بطل لأنه يبطل العظائم بسيفه. وقيل وهو الذي تبطل عنده دماء الأقران فلا يأخذ الناس منه أو ممن فعل في حماه ثأرا - والسرحة: شجرة لا ثمرة لها وإنما تستظل ا. وتعرف عند العرب بطول ساقها.

ولقد ذكرتك والرماح نواهلٌ ... مِني وبيض الهند تقطر مِن دمي
فوددت تقبيلَ السيوفِ لأ ـا ... لَمعت كبارق ثغرك المتبسم
يا شاةَ ما قنص لمن حلّت له ... حرمت علي وليتها لم تحرم[1]
فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي ... فتجسسي أخبارها ليَ واعلمي
قالت: رأيت من الأعادي غرة ... والشاة ممكنةٌ لمن هو مرتم
وكأنما التفتت بجيدِ جداية ... رشاء من الغِزلان حر أرثم[2]
نبئت عمرا غير شاكِر نعمتي ... والكُفْر مخبثةٌ لنفس المنعم
ولقد حفِظت وصاة همي بالضحى ... إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم
في حومة الحرب التي لا تشتكي ... غمرا ـا الأبطالُ، غير تغمغم
إذ يتقون بي الأسنة لم أخِم ... عنها ولكني تضايق مقدمي[3]
لما سمعت نداء مرةَ قد علا ... وابني ربيعة في الغبار الأقتم[4]
ومحلم يسعونَ تحْت لوائهم ... والموت تحت لواء آل محلم[5]
أيقنت أن سيكون عند لقائهم ... ضرب يطير عن الفراخ الجثم
لما رأيت القوم أقبلَ جمعهم ... يتذامرون كررت غير مذَمم
يدعون: عنتر، والرماح كأ ـا ... أشطانُ بئر في لبان الأذهم[6]
ما زلت أرميهم بغرة وجهه ... ولبانِه حتى تسربل بالدم
فازور من وقع القنا بلبانه ... وشكا إلي بعبرة وتحمحم[7]

---

(1) الشاة هنا المرأة، وهو يعني جارته لأن من كانت له جارة فهي في حماه، وكانت محرمة كالأم والأخت.
(2) الجيد: العنق، والجداية، بكسر الجيم وفتحها: الظبية أتى عليها خمسة أشهر أو ستة. والرشأ: الغزال الصغير.
(3) يتقون بي: يجعلونني وقاية بينهم وبينها بأن يقدموني للموت. لم أخم: لم أحد. تضايق: ضاق.
(4) النداء: الصياح، الأقتم الأسود الحالك.
(5) هو ابن عوف الشيباني الذي يضرب به المثل في الوفاء والعزة يقال (لا حر بوادي عوف).
(6) الأشطان جمع شطن وهو حبل البئر، شبه الرمح به لطوله، واللبان بالفتح، الصدر.
(7) ازور: مال، وشكا لو كان يستطيع الشكوى، والعبرة بفتح االعين، البكاء والإشفاق.

لو كان يدري ما المحاورة اشـتكى	**ولكان لـو علـم الكـلام مكلمـي**
والخيلُ تقـتحم الغبـار عوابسـا	**من بين شـيظمة وأجـرد شـيظم[1]**
ولقد شفى نفسي وأبـرأ سـقمها	**قِيلُ الفوارس "ويك" عنتـر أقـدم[2]**
ذُللٌ ركابي حيث شـئت مشـايعي	**قلـبي، وأحفـزه بـأمرٍ مـبرم[3]**
ولقد خشيت بأن أموت ولم تكـن	**للحرب دائرة على ابـني ضمضـم[4]**
الشـاتمي عرضـي ولم أشـتمهما	**والنـاذرين إذا لم ألقهمـا دمـي**
إن يفعـلا فلقـد تركـت أباهمـا	**جزر السباع وكل نسـر قشـعم[5]**

(5) عمرو بن كلثوم التغلبـي

هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي؛ وأمه ليلى بنت مهلهل أخي طليب. نشأ عمرو في قبيلة تغلب بالجزيرة الفراتية، وساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة، وقاد الجيوش مظفرا، وأكثر ما كانت فتن تغلب مع أختها بكر بن وائل بسبب حرب البسوس، وكان آخر صلح لهم فيها على يد عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة من آل المنذر. ولم تمض مدة حتى حدث بين وجوه القبيلتين مشاحنة في مجلس عمرو بن هند، قام أثناءها شاعر بكر (الحارث بن حلزة اليشكري) وأنشد قصيدته المشهورة، وما فرغ منها حتى ظهر لعمرو بن كلثوم أن هوى الملك مع بكر، فانصرف ابن كلثوم وفي نفسه ما فيها، ثم خطر في نفس ابن هند أن يكسر من أنفة تغلب بإذلال سيدها وهو عمرو بن كلثوم فدعاه وأمه ليلى

(1) تقتحم: تخوض، والعوابس الكوالح، والشظم والأجرد: القصير الشعر.

(2) ويك كلمة يقولها المتندم إذا ندم على ما فرط منه، ولكثرة استعمالها ألحقت ا الكاف، وقيل وي بمعنى أعجب أي عجبا لك يا عنترة.

(3) ذلل، جمع ذلول، والذلول من الإبل وغيرها سهلة القياد، وركابي ما أركبه، وأحفزه، أدفعه والمبرم المحكم.

(4) والدائرة: ما ينـزل بالناس من بلوى، وابنا ضمضم: هما هرم وحصين ابنا ضمضم، المريان، قتلهما ورد بن حابس العبسي، وكان عنترة قتل أباهما ضمضما فكانا يتواعدانه.

(5) يقول مهما ينذراني ومهما يشتماني فلن يبلغا مني مناهما فلقد قدمت أباهما طعمة للسباع والنسور. والقشعم: الكبير من النسور.

بنت مهلهل وأغرى هندا أمه أن تستخدمها في قضاء أمر، فصاحت ليلى: واذلاه، فثار به الغضب وقتل ابن هند في مجلسه، ثم رحل توا إلى بلاده بالجزيرة، وأنشد معلقته الآتية، وعاش مائة وخمسين سنة، ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن.

شعره: لم يشتهر عمرو إلا بمعلقته الواحدة التي قامت لـه مقام الشعر الوفير لحسن لفظها، وانسجام عبار ا وعلو فخرها، ولعل شهرته بالخطابة تقل عن شهرته بالشعر الجيد، ومن سامي الفخر البليغ:

معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي

ألا هبـي بصحنك فاصبحينا	**ولا تبقي خمور الأندرينا**[1]
مشعشعة كأن الحص فيها	**إذا ما الماء خالطها سخينا**[2]
تجور بذي اللبانة عن هواه	**إذا ما ذاقها حتى يلينا**[3]
ترى اللحز الشحيح إذا أمرت	**عليه لماله فيها مهينا**[4]
صددتِ الكأس عنا أم عمرو	**وكان الكأس مجراها اليمينا**[5]
وما شر الثلاثة أم عمرو	**بصاحبك الذي لا تصبحينا**[6]
وكأس قد شربت ببعلبك	**وأخرى في دمشق وقاصرينا**
إذا صمدت حمياها أريبًا	**من الفتيان خلت به جنونا**[7]

(1) هبي، استيقظي، الصحن القدح العريض - فاصبحينا، أي اسقينا الصبوح، وهو شرب الخمور في الغداة. والأندرينا، جمع الأندر، وهي قرية بالشام جمعها بما حواليها.

(2) مشعشعة: ممزوجة، سميت بذلك لأنه يظهر لها شعاع كالشمس. والحص: الورس، سخينا: أي جدنا وتكرمنا من السخاء.

(3) تجور: بمعنى تعدل وتميل. واللبانة: الحاجة.

(4) اللحز: الضيق، الشحيح: البخيل.

(5) صددت: أي صرفت.

(6) أي لست أنا شر الثلاثة فتعدل عني الكأس.

(7) حمياها: سور ا. أريبا: عاقلاً.

فما برحت مجـالَ الشـرب حـتى ... تغـالوا وقـالوا: قـد روينـا[1]

وإنا سـوف تدركنـا المنـايا ... مقـدرة لنـا ومقدرينـا

وإن غـدا وإن اليـوم رهـن ... وبعد غـد بمـا لا تعلمينـا

قفي قبـل التفرق يـا ظعينـا ... نخـبرك اليقـين وتخبرينـا

بيوم كريهـة ضربـًا وطعنـًا ... أقر بـه مواليـك العيونـا[2]

قفي نسألك هل أحـدثتِ صـرما ... لو شك البين أم خنـت الأمينـا[3]

أفي ليـل يعـاتبني أبـوهـا ... وإخوتـها وهم لـي ظالمونـا؟!

تريك إذا دخلت علـى خـلاء ... وقد أمنت عيـون الكاشحينـا

ذراعي عيطـل أدمـاء بكـر ... تربعـت الأجـارع والمتونـا[4]

وثديا مثل حق العـاج رخصـا ... حصـانا من أكـف اللامسينا[5]

ونحـرا مثـل ضـوء البـدر وافى ... بإتمـام أناسـًا مدلجينـا[6]

ومـتني لدنـة طالـت ونالـت ... روادفها تنـوءُ بمـا يلينـا[7]

ومأكمة يضيق البـاب عنـها ... وكشحا قـد جننت به جنونـا[8]

وسـالفتي رخـام أو بلنـط ... يرن خشاش حليهـما رنينـا[9]

---

(1) الشرب: جمع شارب. المجال: موضع المجاولة.

(2) الكريهة: موضع الحب - أقر: أي أمكن - مواليك هنا بنو عمك.

(3) الصرم: القطيعة والوشك: السرعة والبين هنا الفراق والأمين: الوفي بالعهد.

(4) العيطل: الناقة طويلة العنق - والادماء من الإبل والظباء البيضاء - بكر لم تلد تربعت: رعت الربيع، الأجارع: جمع أجرع، وهو الرمل.

(5) العاج: عظم الفيل. والرخص: اللين. والحصان: العفيفة، واللامس: المباشر.

(6) النحر: أعلى الصدر.

(7) لدنة: أي لينة، تنوء: بمعنى تثقل.

(8) المأكمة: رأس الورق.

(9) السالفتان: صفحتا العنق، والرخام والبلنط: حجارة بيض. الخشاش: صوت الحلى.

تذكرت الصبا واشتقت لما ... رأيت حمولها أصلاً حدينا(1)

وأعرضت اليمامة واشمخرت ... كأسياف بأيدي مصلتينا(2)

فما وجدت كوجدي أو ثقف ... أضلته فرجعت الحَنينا

ولا شمطاء لم يترك شقاها ... لها من تسعةٍ إلا جنينا(3)

أبا هِند فلا تعجل علينا ... وأنظرنا نخبرك اليقينا(4)

بأنا نورد الرايات بيضًا ... ونصدرهن حمرا قد روينا

فإن الضغن بعد الضغن يفشو ... عليك ويخرج الداءَ الدفينا(5)

وأيام لنا غر طوال ... عصينا الملك فيها أن ندِينا

وسيدِ معشر قد توجوه ... بتاج الملك يحمي المحجرينا

تركنا الخيل عاكفة عليهِ ... مقلدة أعنتها صفونا(6)

وقد هرت كلاب الحي منا ... وشذبنا قتادةَ من يلينا(7)

وأنزلنا البيوت بذي طلوحٍ ... إلى الشامات تنفي المُوعِدينا(8)

نعم أناسنا ونعِف عنهم ... ونحْمِل عنهم ما حملونا

ورثنا ا د قد علمت معد ... نطاعِن دونه حتى يبينا(9)

---

(1) أصلاً أصيل: وهو العشي.

(2) أعرضت: قابلت. اشمخرت: ارتفعت. مصلت: مجرد.

(3) شقاها: يعني شؤمها.

(4) يعني عمرو بن هند.

(5) الضغن: الحقد. ويفشو: يكثر. الداء الدفين: الكامن.

(6) صفونا: جمع صافن، وهي من الخيل.

(7) هرت: نبحت، وشذبنا، أي قطعنا، القتادة: واحدة القتاد وهو الشوك.

(8) يقول وأنزلنا بيوتنا بمكان يعرف بذي طلوح إلى الشامات نبغي من هذه الأماكن أعداءنا الذين كانوا يوعدوننا.

(9) يبين: يظهر.

ونحن إذا عماد الحَي خرت ... على الأخفاض نمنع من يلينا[1]
نطاعِن ما تراخى الناس عنّا ... ونضرب بالسيوفِ إذا غشينا[2]
بسمرٍ من قنا الخطي لُدنٍ ... ذَوابل أو ببِيض يعتلينا[3]
نشق بها رؤوس القَومِ شقًّا ... ونخليها الرقابَ فتختلينا[4]
تخالُ جماجم الأبطال منهم ... وسوقًا بالأماعِز يرتمينا[5]
نجُذ رؤوسهم في غير وتر ... ولا يدرون ماذا يتقونا[6]
كأن ثيابنا منا ومنهم ... خضِبن بأرجوانٍ أو طُلينا[7]
كأن سيوفنا فينا وفيهم ... مخاريق بأيدي لاعبينا[8]
إذا ما عي بالإسناف حي ... من الهول المشبه أن يكونا[9]
نصبنا مثل رهوة ذات حد ... محافظة وكنا السابقينا[10]
بفتيان يرون القتل مجدا ... وشيب في الحروب مجربينا
يدهدون الرؤوس كما تدهدى ... حزاورةٌ بأبطحها الكرينا
حديا الناس كلهم جميعًا ... مقارعة بنيهم عن بنينا[11]

(1) الأخفاض: أعمدة الأخبية.
(2) تراخي: تباعد.
(3) السمر: الرماح. والخطي: منسوب إلى الخط قرية على ساحل البحر. لدن: لينة.
(4) نخليها: أي نقطع بها، فتختلينا: أي تقطن والضمير راجع إلى السيوف أيضا.
(5) تخال. تظن. وسوق: جمع وسق، وهو المكيال. بالأماعز: جمع أمعز وهو المكان الغليظ.
(6) نجذ: نقطع. الوتر: الدخل وفي رواية [وبر].
(7) الأرجوان: صبغ أحمر.
(8) المخاريق: ثياب صغار يلعب بها الصبيان.
(9) الإسناف: التقدم.
(10) الرهوة: رأس الجبل، وذات حد أي كثيرة السلاح.
(11) الحديا: التحدي في القتال، وهو طلب المبارزة. مقارعة: من القراع في القتال وهو اصطدام الفارسين.

فأمـا يـوم خشيتنـا علـيهم فتصبـح خيلنـا عصـبا ثبينـا[1]
وأمـا يـوم لا نخشـى علـيهم فـنمعن غـارة متلببينـا[2]
برأس من بني جشـم بـن بكـر ندق بـه السـهولة والحزونـا[3]
بأي مشيئة عمـرو بـن هنـد نكون لقيلكـم فيهـا قطينـا؟[4]
بأي مشـيئة عمرو بـن هنـد؟ ترى أنا نكـون الأرذلـينا؟
بأي مشيئة عمـرو بـن هنـد؟ تطيع بنـا الوشـاة وتزدرينـا[5]
ـددنا وتوعـدنا رويـدا متى كنـا لأمـك مقتوينـا؟[6]
وإن قناتنا يـا عمـرو أعيـت على الأعداء قبلـك أن تلينـا[7]
إذا عض الثقـاف ـا اشمـأزت وولتـه عشوزنـة زبونـا[8]
عشوزنـة إذا غمـزت أرنـت تشج قفـا المثقـف والجبينـا[9]
فهلْ حدثت في جشم بـن بكـر؟ بنقص في الخطـوب الأولينـا[10]
ورثنا مجـد علقمـة بـن سـيف أباح لنا حصـونَ ا ـد دينـا[11]

---

(1) ثبين: جمع ثبة، وهي الجماعة.
(2) تمعن: تسرع. المتلبب: المتحزم.
(3) الرأس السيد، وهو هنا الجماعة.
(4) القيل: السيد. والقطين: الخدم.
(5) الازدراء: الاحتقار.
(6) المقتوي: الذي يخدم بقوة.
(7) القناة ههنا: العزة، والثقاف: خشبة تقوم ا الرماح، واشمأزت ارتفعت. والعشوزنة: الشديدة الصلبة.
(8) الزبونة: الدفوع.
(9) غمزت: أي لينت، أرنت أي صوتت - تشج: أي تجرى، المثقف: المصلح للرماح والمفهوم.
(10) حشم بن بكر: جده، الخطوب: الأمور العظيمة.
(11) دينا: أي طاعة لها، وهو علقمة بن سيف بن شرحبيل بن مالك بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن غنم بن جشم بن تغلب بن وائل .

ورثـت مهلـهلا والخـير منـه ... زهيرا نعـم زخـر الزاخرينـا[1]

وعتـابا وكلثومـًا جميعـًا ... م نلنـا تـراث الأكرمينـا[2]

وذا البرة الـذي حـدثت عنـه ... به نحمـى ونحمـي المحجرينـا[3]

ومنـا قبلـة السـاعي كليـب ... فأي ا ـد إلا قـد ولينـا؟[4]

مـتى نعقـد قرينتنـا بحبـل ... تجـذ الحبلَ أو تقـص القرينـا[5]

ونوجـد نحـن أمنعهم ذمـارا ... وأوفـاهم إذا عقـدوا يمينـا[6]

ونحن غـداةَ أوقـد في خـزازى ... رفدنا فوق رفـد الرافدينـا[7]

ونحن الحابسـون لـذي أراطـى ... تسف الجلـةُ الخـور الـدرينا[8]

فكنـا الأيمـنين إذ التقينـا ... وكـان الأيسـرين بنـو أبينـا[9]

فصالوا صـولة فـيمن يليهـم ... وصلْنـا صولة فـيمن يلينـا[10]

فـآبوا بالنهـاب وبالسـبايا ... وأبنـا بـالملوك مصفدينـا

إليكم يـا بـني بكـر إليـكم ... ألمـا تعلمـوا منـا اليقينـا

ألمـا تعلمـوا منـا ومنـكم ... كتائـب يطّعـن ويرتمينـا

نقـود الخيـل دامِيـة كلاهـا ... إلى الأعـداء لاحقـةٌ بطونـا

---

(1) مهلهل: يعني عديا أخا كليب، وسمي مهلهل لأنه أول من رقق الشعر.

(2) كلثوم: أبوه، وعتاب: جده.

(3) ذا البرة: كعب بن زهير بن تيم، وسمي ذا لشعرات كانت تحت أنفه مدورة كالبرة في أنف البعير.

(4) قبلة الساعي: ضربه مثلاً كالكعبة في كثرة من يختلف إليه.

(5) القرينة: أصلها أن يقرن جمل صعب إلى جمل ذلول. وتعص: تكسر، وهذا مثل ضربه.

(6) الذمار ما يحق على الإنسان أن يحميه.

(7) خزازي: موضع واقعة كانت بين ربيعة واليمن وكانت قضاعة إذ ذاك وربيعة أحلافًا.

(8) أراط: موضع واقعة كانت لهم، وتسف: توكل.

(9) بنو أبينا: يعني مضر بن نزار، وربيعة بن نزار.

(10) الصولة: الحملة.

علينا البيض واليلـب اليمانـي وأسياف يقمـن وينحنينـا[1]
علينـا كـل سابغـة دِلاص ترى تحت النجـادِ لها غضـونا[2]
إذا وضعت عـن الأبطـال يومـا رأيت لها جلـود القـوم جونـا[3]
كـأن متـون متـون غُـدرٍ تصفقها الريـاح إذا جرينـا[4]
وتحملنا غـداةَ الـروع جـرد عـرفن لنـا نقائـذَ وافتلينـا[5]
وردنَ دوارعـا وخـرجن شـعثًا كأمثـال الرصـائع قـد بلينـا
ورثـاهن عـن آبـاء صـدق ونورثهـا إذا متنـا بنينـا
وقد علـم القبائـل غـير فخـر إذا قبـب بأبطحهـا بنينـا
بأنـا العاصمـون إذا أطِعنـا وأنـا الغـارمونَ إذا عصـينا
وأنـا المنعمـونَ إذا قدرنـا وأنـا المهلكـونَ إذا أتينـا
وأنـا الحـاكمونَ بمـا أردنـا وأنـا النـازلونَ بحيـث شـينتا
وأنـا التاركـونَ لمـا سـخِطنا وأنـا الآخـذونَ لمـا هوينـا
وأنـا الطـالبون إذا نقمنـا وأنـا الضـاربون إذا ابتلينـا
وأنـا النـازلونَ بـكل ثغـر يخاف النازلونَ بـه المنونـا[6]
ونشرب إن وردنـا المـاء صـفوا ويشرب غيرنـا كـدرا وطينـا
ألا سائلْ بنـي الطمـاح عنـا ودعميـاً فكيـف وجـدتمونا؟[7]

---

(1) اليلب: جلود تنسج على هيئة الدروع وتلبس.

(2) السابغة: الدرع الطويلة، دلاص: براقة، والنجاد: النطاق، والغضون: التثني.

(3) جونا: سودا.

(4) المتون: الأعالي، شبه أعالي الدروع في بياضها ولمعا ا بالغدر وهي الحياض إذا حركتها الريح.

(5) الروع: الحرب، والجرد: قصير الشعر.

(6) الثغر: المكان المخوف.

(7) بنو الطماح ودعمي: حيان من بني أسد بن ربيعة بن نزار.

نزلتم منـــزلَ الأضـيافِ منــــا فأعجلنـــا القـــرى أن تشـــتمونا[1]

قَريناكم فعجلنـــا قراكـــــم قبيل الصبـــح مـــرداةً طحونـــا[2]

متى ننقُلْ إلـــى قـــوم رحانـــا يكونوا في اللقاء لهــــا طحينــــا[3]

يكون ثقالـــها شـــرقي نجـــدٍ ولهوتـــها قضـــاعة أجمعينـــــا[4]

على آثارنـــا بـــيض حِســـانٌ نحاذر أن تفـــارق أو تهونـــــا[5]

ظعائن من بنـــي جشم بـــن بكـــر خلطـــن بميسم حسبـــًا ودينـــا[6]

أخذن علـــى فوارســـهن عهـــدا إذا لاقـــوا فـــوارس معلمينــــا[7]

ليســـتلبن أبـــدانـــًا وبيضـــًا وأسرى في الحَديـــد مقرنينــــا[8]

إذا مـــا رحن يمشـــين الهوينـــا كما اضطربت ستون الشـــاربينـــا

يقـــتن جيادنـــا ويقُلْـــن لســـتم بعولتنـــا إذا لـــم تمنعونـــا[9]

إذا لـــم نحْمهـــن فـــلا بقينـــا لشيءٍ بعدهـــن ولا حيينــــا[10]

وما منع الظّعـــائن مثـــلُ ضـــرب ترى منـــه السواعد كالقلينـــا[11]

(1) نزلتم حيث نزل الأضياف: أي جئتم للقتال فعاجلناكم بالحرب ولم ننتظر أن تشتمونا.

(2) قريناكم: جعلنا قراكم الحرب لما نزلتم بنا ولقيناكم فطحناكم طحن الرحى، والمرداة: الحجر وكل ما يكسر به الشيء فهو مرداة.

(3) أصل الرحى ما استدار من الشيء والرحى هنا الحرب، تشبيها بالرحى.

(4) الثقال: جلدة توضع تحت الرحى للطحين. ولهوتها: أي مقدار ما يطرح في فم الرحى من الحب.

(5) أي نساءنا اللواتي خلفنا نقاتل عنهن ونحذر أن نفارقهن أو يصرن إلى غيرنا.

(6) الميسم: الحسن أي لهن مع جمالهن حسب ودين.

(7) المعلم: الذي يعلم نفسه في الحرب بعلامة.

(8) الأبدان جمع بدن وهي الدروع.

(9) يقتن: من القوت، وهو الطعام. جيادنا: جمع جواد.

(10) نحميهن: ندافع عنهن. ما بقينا ما حيينا.

(11) القلون: جمع قلة، وهي الخشبة التي يلعب بها الصبيان يضربونها بالمقلاء.

إذا ما الملك سام الناس خسفًا ... أبينا أن يقر الخَسف فينا[1]
ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا
ونعدو حيثُ لا يعدى علينا ... ونضرب بالمواسي من يلينا
ألا لا يحسب الأعداءُ أنا ... تضعضعنا وأنا قد فنينا
ترانا بارزين وكلّ حي ... قد اتخذوا مخافتنا قرينا
كأنا والسيوف مسللات ... ولدنا الناس طرا أجمعينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا ... كذاك البحر نملؤه سفينا
إذا بلغَ الرضيع لنا فطامًا ... تخِر له الجبابر ساجدينا
لنا الدنيا ومن أضحى عليها ... ونبطِش حين نبطِش قادرينا
تنادى المصعبان وآلُ بكر ... ونادوا يا لكندةَ أجمعينا
فإنْ نغلب فَغلابون قدمًا ... وإن نغلب فغير مغلبينا

(1) يقول إننا أعزاء لا تصل الملوك إلى ظلمنا.

(6) طَرفة بن العبد البكري

هو عمرو بن العبد البكري: أقصر فحول شعراء الجاهلية عمرا، ومال إلى الشعر والوقوع به في أعراض الناس، حتى هجا عمرو بن هند ملك العرب على الحيرة مع أنه كان يتطلب معروفه وجوده، فبلغ عمرو بن هند هجاء طرفة لـه فاضطغنها عليه، حتى إذا ما جاءه هو وخاله المتلمس يتعرضان لفضله أظهر لهما البشاشة وأمر لكل منهما بجائزة، وكتب لهما كتابين، وأحالهما على عامله بالبحرين ليستوفياها منه، وبينما هما في الطريق ارتاب المتلمس في صحيفته، فعرج على غلام يقرؤها لـه، ومضى طرفة، فإذا في الصحيفة الأمر بقتله، فألقى الصحيفة، وأراد أن يلحق طرفة فلم يدركه وفر إلى ملوك غسان، وذهب طرفة إلى عامل البحرين وقتل هناك، وعمره ست وعشرون سنة.

شعره: يجيد طرفة الوصف للناقة في شعر مقتصرا فيه على بيان الحقيقة مع قصد في الغلو، ومعاظلة في بعض التراكيب، واسترسال في وحشي اللفظ وخفي المعنى وكذلك كان هجاؤه الملوك على شدة وقعه، ومن أبلغ المقطعات والمعلقات أيضا:

معلقة طرفة بن العبد البكري

لخولة أطلالٌ ببرقةِ ثهمد ... تلوح كباقي الوشمِ في ظاهر اليد(1)

وقوفًا ا صحبي علي مطيهم ... يقولون لا لك أسى وتجلدِ(2)

كأن حدوج المالكيةِ غدوة ... خلايا سفين بالنواصفِ من ددِ(3)

عدوليةٌ أو من سفينِ ابن يامنٍ ... يجور ا الملاح طورا ويهتدي(4)

يشق حباب الماء حيزومها ا ... كما قسم الترب المفايلُ باليدِ(5)

وفي الحي أحوى ينفض المرد شادنٌ ... مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجدِ(6)

خذولٌ تراعي ربربًا بخميلة ... تناولُ أطراف البرير وترتدي(7)

وتبسم عن ألمى كأن منورا ... تخلل حر الرمل دعصٍ له ندي(8)

سقته إياةُ الشمس إلا لثاتهِ ... أسف ولم تكدِم عليه بإثمدِ(9)

ووجه كأن الشمس ألقت رداءها ... عليه نقي اللون لم يتخدد(10)

---

(1) خولة: امرأة من بني كلب. وثهمد: أكمة في بلاد خثعم. تلوح: تظهر.

(2) وقوفًا: واقفين، أسى: حزنا. تجلد: تحمل.

(3) المالكية نسبة إلى مالك ابن صبيعة ابن عم عمرو، والحدوج: الهوادج والقباب، والخلايا جمع خلية: السفينة الكبيرة. والنواصف: مجاري الماء إلى البحر.

(4) عدولية: قديمة، وهي الكبيرة من السفن وهي تنسب إلى موضع يقال له ابن يامن، ملاح أو تاجر من أهل البحرين.

(5) حباب الماء طرائفه وما ارتفع منه والحيزوم الصدر. والمفايل الذي يجمع ترابا ويخبئ فيه شيئًا مثل الحلقة ويقسم التراب نصفين ويطلبه في أحدهما فإن أصاب ظفر وإن أخطأ قهر.

(6) أحوى في لونه سواد والمراد شجر الأراك والشادن ولد الظبية إذا قوي.

(7) الخذول: الملتحفة من الظباء، والربربق: القطيع من الظباء. والخميلة الشجر الملتف. البربر المدرك من ثمر الأراك.

(8) تبسم: يفتر ثغرها، واللمي: سواد في الشفة، والمنور: الأقحوان، تخلل: دخل فيه، حر الرمل: النقي منه.

(9) الإياة: ضوء الشمس. اللثة: مغرز الأسنان، يقول: أسنا ا بيض ولثا ا زرق، أسف أي ذر عليه بإثمد هو الكحل.

(10) ألقت وفي رواية حلت: رداءها. أي اءها، لم يتخدد: أي يضطرب حتى تصير فيه شقوق.

وإني لأمضي الهـم عنـد احتضـاره   وجاء مرقـال تـروح وتغتـدي[1]

أمـون كـألواح الإران نسـأ ا   على لاحِب وكأنـه ظهـر برجـدِ[2]

جماليـةٍ وجنـاء تـردِي كأ ـ ـا   سـفَنجةٌ تـبري لأزعـ ـر أربـدِ

تبـاري عِتاقـا ناجيـاتٍ وأتبعـت   وظيفًا وظيفـًا فـوق مـور معبـدِ[3]

تربعتِ القُفـينِ في الشـول ترتعـي   حـدائق مـولي الأسِـرة أغيـد[4]

تريع إلى صـوت المهيـب وتتقـي   بذي خصل روعاتِ أكلـف ملبـد[5]

كأن جناحي مضرحي تكَنفا   حفافيه شكًّا في العسـيف بمسـرد[6]

فطورا بـه خلـف الزميـل وتـارةً   على حشف كالشـن ذاوٍ مجـدد[7]

لها فَخذان أكمـل الـنحض فيهمـا   كأ ـمـا بـابـ ـا منيـف ممـرد[8]

وطـي محـال كـالحني خلوفـ ـه   وأجرنةٌ لُـزت بـ ـدأي منضـ ـد[9]

كـأن كناسـي ضـالة يكْنفا ـ ـا   وأطرقِسِيٍ تحـت صـلب مؤيـد[10]

---

(1) الهوجاء: الخفيفة الفؤاد، مرقال وصف للناقة بشدة السير.

(2) الأمون: التي أمنت من أن تكون ضعيفة، والإران: التابوت الذي يحمل فيه الموتى، نسأ ا: أي زجر ا، وملاحب الطريق، والبرجد: كساء من أكسية العرب.

(3) تباري: تشابه، والعتاق: الإبل الكرام، والناجيات: المسرعات في السير، والوظيف: ساق البعير، والمور: الطريق.

(4) تربعت: رعت أيام الربيع، والقفان: موضعان موصوفان بالمرعى لجود ما، والشول: بفتح الشين من الإبل التي جف لبنها وأتى عليها من نتاجها سعة أشهر.

(5) تريع: تصغي. والروعة: الفزع، والأكلف: الذي في وجهه لون يخالف لونه وهو صفة من صفات الفحل.

(6) المضرحي: النسر، تكنفا: أحاطا، حفافيه: جوانبه.

(7) الطور: المرة الأولى، والتارة: المرة الثانية، والزميل: الرديف، والحشف، الضرع الذي لا لبن فيه وهو المنقبض، والشن: القربة الخلقة، والذاوي: هو اليابس، وا ـدد الضرع الذي لا لين فيه ولا لبن.

(8) النحض: اللحم والمنيف: المشرف، والممرد: المملس.

(9) المحال: فقار الظهر، والحني القسي. خلوفه: مؤخر أضلاعه، وأجرنة: باطن عنق البعير، لزت: قرب بعضها إلى بعض فانضمت واشتدت، بدأي: أعالي الأأضلاع، منضد، أي بعضه فوق بعض.

(10) الكناش: بيت الظباء والضأن، شبه تباعد ما بين مرفقها وزورها بكناس الظبـي حول الشجر: =

لهـــا مرفقـــان أفْـــتلان كأ ـــ ـــا ... تمُـــ ـــر بلمـــ ـــي دالج منشـــ ـــدد(1)

كقنطـــرة الرومـــ ـــي أقـــ ـــم ر ـــا ... لتكتـــنفن حـــتى تشـــاد بقرمـــ ـــد(2)

صهابية العثنـــ ـــون مؤجـــدةُ القـــرا ... بعيدةُ وخد الرجـــل مـــوارةُ اليـــد(3)

جنوح دفـــاق عنـــدل ثم أفرعـــت ... لهـــ ـــا كتفاهـــا في معـــالىً مصـــعد(4)

أمرت يداها فتل شـــزر وأجنحـــت ... لهـــا عضداها في ســـقيف مســـند(5)

كـــأن علـــوب النســـع في دأيا ـــا ... موارد من خلقـــاء في ظهـــر قـــردد(6)

تلاقـــى وأحيانـــا تـــبين كأنـــ ـــها ... بنـــائق غـــ ـــر في قمـــيص مقـــدد(7)

وأتلـــع ـــاض إذا صـــعدت بـــ ـــه ... كسكان بوصيٍّ بدجـــ ـــلةَ مصـــعد(8)

وجمجمـــة مثـــلَ العـــلاة كأنمـــ ـــا ... وعى الملتقى منها إلى حـــرف مـــبرد(9)

=

وأطر قسي: أي عطفها وانحناؤها، والصلب: الظهر والمؤيد: الموثق، والأيد القوة.

(1) المرفق: مفصل العضد، أفتلان: مفتولان، تمر: وفي رواية أمرا: فتلا، السلم: الدلو له عروة الدالج الذي يمشي بالدلو من البئر إلى الحوض، متشدد متكلف للشدة، ومعنى ذلك أن الذي يسقي الإبل يجعل الحوض بعيدا عن البئر، فإذا أخرج الدلو من البئر.

(2) القنطرة: الجسر، الرومي: أحد البنائين من الروم، تكتنفن أي يحاط حواليها بالبناء، وتشاد: ترفع.

(3) صهابية: بياض شيب.

(4) جنوح: مائلة في سيرها من النشاط، دفاق: متدفقة في السير، عندل: عظيمة الرأس وأفرعت: رفعت، في معالي: مرتفع.

(5) أمرت: فتلت فتلاً محكما، والشزر: الفتل إلى اليسار، وأجنحت: أميلت، والسقيف: هبا صدرها، ومسند وفي رواية منضد بعضه على بعض.

(6) العلوب: الآثار، والنسع: حزام الرجل والدأيات مآخير الأضلاع، موارد: طرق الماء، والخلفاء: الصخرة الملساء، والقردد: الأرض الصلبة.

(7) تلاقي: يتصل بعضها ببعض وتتلاقى الطرق من أعلاها وتفترق من أسفلها.

(8) الأتلع: الطويل يعني عنقها، اض: كثير الارتفاع، صعدت: ارتفعت، السكان الدقل، وهو مؤخر السفينة، والبوصي، ضرب من السفن، بدجلة، ر مصعد، قاصد إلى العراق.

(9) الجمجمة: غطاء الرأس، وهو يعني رأس الناقة، والعلاة السندان يضرب عليه الحداد، وعي الملتقى يعني جمع ملتقى الرأس شبهه بحرف المبرد لصلابته.

وخد كقرطاس الشامي ومشفر | كسبت اليماني قده لم يجرد[1]
وعينان كالماويتين استكنتا | بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد[2]
طحوران عوار القذى فتراهما | كمكحولتي مذعورة أم فرقد[3]
وصادقتا سمع التوجس للسرى | لهمس خفي أو لصوت مندد[4]
مؤللتان تعرف العتق فيهما | كسامعتي شاة بحومل مفرد[5]
وأروع نباض أحذ ململم | كمرداة صخر في صفيح مصمد[6]
وإن شئت سامي واسط الكور رأسها | وعامت بضبعيها نجاء الخفيدد[7]
وإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت | مخافة ملوي من القد محصد[8]
وأعلم مخروت من الأنف مارنٌ | عتيق متى ترجم به الأرض تزدد[9]
على مثلها أمضي إذا قال صاحبي | ألا ليتني أفديك منها وأفتدي
وجاشت إليه النفس خوفًا وخاله | مصابا ولو أمسى على غير مرصد
إذا القوم قالوا من فتى؟ خلت أنني | عنيت، فلم أكسلْ ولم أتبلد

(1) المشفر من البعير: كالشفة من الإنسان، والسبت: جلود البقر إذا دبغت بالقَرظ.
(2) الماويتان: المرآتان المصقولتان. استكنتا: دخلتا.
(3) طحوران: دفوعان، العوار: الخبث الذي يقع في العين وكذلك القذى، كمكحولتي: أي عيني. مذعورة خائفة طردها القناص وأفزع، والفرقد: ولدها.
(4) وصادقتا سمع يعني أذنيها، والتوجس: التسمع، والهمس الصوت الخفي: والمندد المرتفع.
(5) مؤللتان: محددتان كالحربة والعتق: الكرم، والشاة: بقرة الوحش وتسمى نعجة، وحومل: موضع معروف، ومفرد وحيد.
(6) أروع: فزع ونباض: فؤادها. أحذ: قليل الشعر، ململم: أي مجتمع، كمرداة كصخرة تردي بها الحجارة لصلابتها: الصفيح الحجارة العريضة مصمد: مصلب.
(7) سامى: ساوى، واسط: وسط، الكور، الرحل، عامت مدت يدها كهيئة السابح في الماء. الضبعين: العضدان، نجاء: سرعة، الخفيدد الظليم، وهو ذكر النعام.
(8) الإرقال: ضرب من السير، والملوي من القد: السوط، المحصد: المحكم الفتل.
(9) الأعلم: المشقوق المشفر الأعلى. المارن: مالان من الأنف وهو مقدمه، عقيق: كريم متى ترجم به الأرض: أي تضربها به يريد أنها إذا حطت رأسها إلى الأرض أسرعت في السير وذلك لنشاطها وحدتها.

أحلت عليها بـالقطيع فأجذمـت ... وقد خبّ آلُ الأمعز المتوقّدِ[1]
فذالت كما ذالت وليـدة مجلـس ... ترى ربها أذيـالَ سـحل ممـددِ[2]
ولست بحـلال التـلاع مخافـةً ... ولكن متى يسترفد القـوم أرفـدِ[3]
فإن تبغني في حلقـة القـوم تلقـني ... وإن تقتنصني في الحوانيت تصطدِ[4]
متى تأتني أصبحك كأسـا رويـةً ... وإن كنت عنها غانيا فاغن وازددِ[5]
وإن يلتـق الحـي الجميـع تلاقـني ... إلى ذروة البيـت الرفيـع المُصـمدِ[6]
نـداماي بيـض كـالنجوم وقَينـةٌ ... تروح علينا بـين بـرد ومجسـدِ[7]
رحيب قِطاب الجَيب منـها رفيقـةٌ ... بجـس النـدامى بضـة المُتجـردِ[8]
وما زال تشـرابي الخمـور ولـذّتي ... وبيعي وإنفاقي طريفـي ومتلـدي[9]
إلى أن تحامتني العشيـرة كلهـا ... وأفردت إفراد البعيـر المعبـدِ[10]
رأيـت بـني غـبراء لا ينكـرونني ... ولا أهلُ هذاك الطـراف الممـددِ[11]
ألا أيهاذا اللائمي أحضـر الـوغى ... وأن أشهد اللذاتِ هل أنت مخلدي[12]

---

(1) أحلت: وثبت، القطيع: السوط؛ أجذمت: أسرعت، وخب: ارتفع، والآل: ما يكون في أول النهار مثل السراب، الأمعز: الأرض الغليظة التي فيها حصى، والمتوقد: المشتعل.

(2) دالت: تبخترت الناقة، والوليدة الفتية ترى ر ا أي مولاها. أذيال: أطراف الثوب متى يصل إلى الأرض، والسحل: الثوب القطن والممدد: المبسوط.

(3) التلعة من أسماء الأضداد تكون للمرتفع والمنخفض.

(4) حلقة القوم: مجالس أشرافهم، والحوانيت: بيوت الخمارين.

(5) تأتني: تجئني.

(6) ذروة: الذروة أعلى الشيء.

(7) الندامى أصحابي على الخمر، والقينة: الجارية، والبرد: الثوب الأبيض. وا سد: المصبوغ بالزعفران.

(8) رحيب: واسع. قطاب الجيب أي مجتمع الجيب. يصف صدرها بالرحب والسعة.

(9) الطريف الحديث المكتسب.

(10) المعبد: المذلل المطلي بالقطران.

(11) بني غبراء: اللصوص، والطرف بيت من جلد: يعني أنه لا ينكره.

(12) اللائمي: اللاحي، وفي رواية الزاجري.

فإن كنت لا تسـطيع دفـع منـيتي فدعني أبادرهـا بمـا ملكـت يـدي
فلولا ثلاثٌ هن من عيشـةِ الفـتى وجدك لم أحفـل مـتى قـام عـودي
فمنهن سـبقي العـاذلاتِ بشـربةٍ كُميت متى مـا تعل بالمـاء تزبـد(1)
وكري إذا نـادى المضـاف محنبـا كسـيد الغضـا نبهتـه المتـورد(2)
وتقصير يوم الدجن والدجن معجـب ببهكنـة تحت الخِبـاءِ المعمـد(3)
كأن البرين والدمـاليج علـقت على عشرٍ أو خروع لـم يخضـد(4)
فـذرني أروي هامتـي في حيا ـا مخافة شرب فـي الحياةِ مصـرد(5)
كريم يـروي نفسـه في حياتـه ستعلم إن متنا غـدا أينا الصـدي(6)
أرى قبر نحـامٍ بخيـل بمـالـه كقبـر غوي في البطـالة مفسـد(7)
ترى جثوتين من تـراب عليهـما صفائح صـم من صفيـح منضـد(8)
أرى الموت يعتام الكـرام ويصـطفي عقيلة مـال الفـاحش المتشـدد(9)
أرى العيش كنـزا ناقصا كلّ ليلـة وما تنقص الأيـام والدهـر ينفـد
لعمرك إن المـوت ما أخطـأ الفـتى لكالطول المرخـى وثنيـاه باليـد(10)

---

(1) كميت: خمر تضرب إلى السواد، تعل: أي يصب الماء عليها.
(2) كري: عطفي، والمضاف الذي أضافته الهموم.
(3) الدجن: المطر الخفيف، معجب: أي يعجب من رآه، والبهكنة: المرأة التامة الخلق.
(4) البرين: الخلاخل في أنف الناقة، على عشر: العشر شجر أملس مستو ضعيف العود شبه به عظامها وساعديها لملاسته واستوائه.
(5) الشرب بكسر الشين وضمها اسم للمشروب والمصرد: المقلل.
(6) يروي نفسه من الخمر في حياته. والصدى: العطشان.
(7) النحام: كثير السعال عندما يسأل والغوي: الذي يتبع هواه ولذاته. والبطالة: اتباع الهوى والجهل.
(8) الجثوة: التراب ا موع. صفائح صم صلبة. المنضد، ا موع بعضه على بعض.
(9) يعتام: يختار، الخيار: الكرام والأماجد، ويصطفي: ينتخب، وعقيلة كل شيء خيرته والفاحش: القبيح السيئ الخلق والمتشدد: كثير البخل.
(10) الطول: الحبل، وثنياه أي طرفاه، ومعناه أن الإنسان وإن يطل عمره إلا أنه كالفرس لصاحبها إذا =

فمالي أراني وابـن عمـي مالكـا **متى أدنُ منـه ينـأعني ويبعـدِ**[1]

يلوم وما أدري علام يلومنـي ؟! **كما لامني في الحَي قُرط بـن معبـدِ**[2]

وأيأسني من كل خـير طلبتـه **كأنَّـا وضعناه إلى رمس ملحـدِ**[3]

على غير ذنبٍ قُلتـه غيـر إننـي **نشدت فلـم أغفل حمولـةَ معبـدِ**[4]

وقربت بالقُربـى وجـدك أننـي **متى يك أمر للنكيثـةِ أشهـدِ**[5]

وإن أدع للجـلى أكن من حماتـهـا **وإن يأتك الأعداءُ بالجَهـدِ أجهـدِ**[6]

وإن يقذِفوا بالقذْع عرضـك أسقِهم **بكأس حِيض الموتِ قبـل التهـدد**[7]

بلا حدثٍ أحدثتـه وكمحـدِث **هجائـي وقذفي بالشكاةِ ومطـردي**[8]

فلو كان مولاي امرءًا هـو غـيره **لفرج كربـي أو لأنظرني غـدي**[9]

ولكن مولاي امـرؤ هـو خـانقي **على الشكر والتسآل أو أنا مفتدي**[10]

وظلم ذوي القربـى أشـد مضاضة **على المرء من وقع الحسام المهنـد**[11]

فذَرني وخلقي إننـي لـك شـاكر **ولو حلّ بيتي نائيا عنـد ضـرغدِ**[12]

=

أرادها جذب الحبل إليه.

(1) ابن عمي على خلافي، أتقرب إليه فيبعد عني.

(2) ويبالغ ابن عمي في الجفاء فيلومني على ما لا أستحق اللوم عليه كما يفعل قرط بن معبد.

(3) أيأسني جعلني يائسا والرمس القبر والملحد: المقبور.

(4) وكل ما ألقوه منه لا سبب لـه إلا أني نشدت: طلبت.

(5) النكيثة: بلوغ الجهد، وقيل الانتقاض.

(6) الجلى: الأمر العظيم، والحماة الذائدون.

(7) القذع: الشتم القبيح.

(8) أي هو متعد علي بلا حدث أحدثته، هجاني وطردني، والمطرد: الطريد.

(9) يقول لو أن مولاه رجلاً آخر لفرج كربه وأنظره ولم يتعجله بما تعجله به ابن عمه من القدح والذم.

(10) خانقي: مكرهي على شكره على مالم يفعله، وإلا فأنا هدف سهامه.

(11) أما أنا فقد ضقت بهذا التجني لأن الظلم من الأقربين لا يحتمل.

(12) ضرغد: جبل بعيد.

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالدٍ ... ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد[1]

فأصبحت ذا مالٍ كثير وزارني ... بنونَ كِرام سادةٌ لمسوّدِ

أنا الرجلُ الضرب الذي تعرفونه ... خشاش كرأس الحية المتوقدِ

فآليت لا ينفك كشحي بطانه ... لِعضبٍ رقيق الشفرتين مهندِ

حسام إذا ما قمت منتصرا به ... كفى العود منه البدءُ ليس بمعضدِ

أخي ثقة لا ينثني عن ضريبةٍ ... إذا قيلَ مهلاً؛ قال حاجزه قدي

وبرك هجود قد أثارت مخافتي ... نواديها أمشي بعضب مجردِ[2]

فمرت كهاةٌ ذات خيف جلالةٌ ... عقيلةُ شيخ كالوبيل يلندَدِ[3]

يقولُ وقد تر الوظيف وساقها ... ألست ترى أن قد أتيت بمؤيدِ[4]

وقالَ ذَروه إنما نفعها له ... وإلا تردوا قاصي البرك يزددِ[5]

فظلَ الإماءُ يمتللن حوارها ... ويسعى علينا بالسديف المسرهد[6]

فإن مت فانعيني بما أنا أهله ... وشقي علي الجَيب يا ابنة معبدِ[7]

ولا تجعليني كامرئٍ ليس همه ... كهمي ولا يغني غَنائي ومشهدي[8]

---

(1) قيس بن خالد من بني شيبان، وعمرو بن مرثد ابن عم طرفة قال لما بلغ هذا عمرو بن عم طرفة وجه إلى طرفة فقال له: أما الولد فالله يعطيكهم وأما المال فلك فيه ما لنا، ثم دعا ولده وكانوا سبعة فأمر كل واحد فدفع لطرفة عشرا من إبله، ثم أمر ثلاثة من بني بنيه فدفع كل واحد منهم إلى طرفة عشرا من الإبل.

(2) البرك: الإبل الكثيرة الباركة، والهجود: النيام.

(3) الكهاه: الناقه السمينة، والخيف الضرع، الجلالة الكبيرة، والوبيل العصا.

(4) تر: بمعنى انقطع والوظيف مستدق الساق من الإبل والخيل.

(5) ذروه: اتركوا عناده.

(6) الحوار الصغير من الإبل، والسديف السنام: والمسرهد المقطع صغارا.

(7) انعيني: اذكرني من الأفعال ما أنا أهل له وهو يخاطب ابنة أخيه وشق الجيب معروف، ويراد به التنويه بشدة المصاب.

(8) واحذري أن تجعليني هينا كرجل لا يغني مثل غنائي، ولا يقوم في الحرب مقامي ولا يشهد مشهدي =

بطيء عن الجُلى سـريع إلى الخَنـا ذَليل بإجمـاع الرجـال ملهـدِ[1]
فلو كنت وغلاًفي الرجـال لضرنـي عداوة ذي الأصـحابِ والمتوحـدِ
ولكن نفى عني الأعادي جـراءتي عليهم، وإقدامي وصدقي ومحتـدي[2]
لَعمرك مـا أمـري علـى بغمـة ـاري ولا ليلي علـي بسرمـد[3]
ويوم حبست النفس عِنـد عراكِهـا حِفاظـًا على عوراتـهِ والتهـدد[4]
على موطنٍ يخشى الفتى عنده الردى متى تعترك فيـه الفـرائص ترعـد
وأصفَر مضبوحٍ نظـرت حـواره على النار واستودعته كف مجمِـدِ[5]
أرى الموت أعداد النفـوس ولا أرى بعيدا غدا مـا أقرب اليوم مـن غـد
ستبدي لك الأيام مـا كُنت جـاهلاً ويأتيك بالأخبـار مـن لم تـزودِ[6]
ويأتيك بالأنباءِ من لم تبـع لـه بتاتا ولم تضرب لـه وقـت موعِـد[7]
لعمرك مـا الأيـّـام إلا معـارةٌ فما اسطعت مِن معروفهـا فتـزود[8]

=

في ا الس والخصومات.

(1) البطيء: الكسول المتقاعد، والجلى الأمر الخطير العظيم والخنا الفساد.

(2) يقول إن الجرأة والإقدام والصدق وكرم الأصل منعت عنه أعداءه من الإساة إليه.

(3) الغمة: الأمر الذي لا يهتدى لـه، والمعنى أني لا أتحير في أمري ارا ولا ليلاً فيطول علي الليل، والسرمد الطويل.

(4) العراك: الازدحام أي صبرت النفس عند ازدحام القوم في الحرب والخصومات على روعات اليوم وهن قرعاته.

(5) الأصفر هنا الأسود: ا مد الذي يأخذ بكلتا يديه ولا يخرج من يديه شيء، وقيل الذي يضرب بالسهام أو الأمين في القمار.

(6) ستبدي: ستظهر، ما كنت جاهلاً، يعني ما لم تسمع من قبل؛ ويفيدك ا من لم تسأله عنها.

(7) تسع لـه بتاتا تشتري لـه زادا.

(8) لعمرك: وحياتك ليست الأيام إلا معارة عارية تسترد وتسترجع فاحرص على عمل الخير وصنع المعروف وتزود من ذلك كثيرا.

عن المرءِ لا تسأل وأبصِــر قرينَــه	**فإنّ القَــرين بالمقــارن مقْتَــد**[(1)]
لعمرك مــا أدري وإنــي لَواجِــلٌ	**أفــي اليوم إقدام المَنيــةِ أم غَــدٍ؟**[(2)]
فإنْ تك خلفــي لا يفُتْــها سَــواديا	**وإن تك قُدامــي أجدهــا بمرصــد**[(3)]
إذا أنت لــم تنفع بــودك أهــله	**ولم تنكِ بالبوســى عــدوك فابعــدِ**[(4)]

(7) أعشى قيس

هو أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس بن جندل القيسي، نشأ في بدء أمره راويةً خاله (المسيب بن علس) وقد عمي الأعشى وطال عمره، حتى انبلج فجر الإسلام وعظم أمر النبي ﷺ بين العرب، فأعد لــه قصيدة يمدحه ا وقصده بالحجاز، فلقيه كفار قريش وصدوه على وجهه على أن يأخذ منهم مائة ناقة حمراء، ويرجع إلى بلده لتخوفهم أثر شعره ففعل، ولما قرب من اليمامة سقط عن ناقته فدقت عنقه ومات، ودفن ببلدته (منفوحة) باليمامة.

شعره: يعد (الأعشى) رابعا للثلاثة الفحول: امرئ القيس، والنابغة، وزهير؛ وإن كان يمتاز عنهم بغزارة شعره، وكثرة ما روي لــه من الطوال الجياد وتفننه في كل فن من أغراض الشعر؛ واشتهر من بينهم بالمبالغة في وصف الخمر حتى قيل: أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا طرب.

ولشعره طلاوة وروعة، ليست لكثرة من شعر غيره من القدماء، ولقوة طبعه وجلبة شعره سمي (صناجة العرب) حتى ليخيل إليك إذا أنشدت شعره أن آخر ينشد معك.

ولجلالة شعره كان يرفع الوضيع الخامل، ويخفض الشريف النابه، ومن الذين رفعهم شعر الأعشى (المحلق الكلابي) وقد كان أبا ثماني بنات عوانس رغبت عن خطبتهن الرجال

---

(1) الرواية المحفوظة لهذا البيت

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينــه ... فكــل قــرين بالمقــارن يقتــدي

(2) وأنا وأنت وغيرنا لا يدري ولا يعرف متى يحين حينه.

(3) فإن تك خلفي: فهي جادة ورائي، ولن أغرب عن عينها، وإن تك قدامي فهي رقيبة مترصدة.

(4) إذا لم تنفع ببرك الأقربين والأصدقاء ولم تلحق العطب بالأعداء ببطشك فاتخذ مكانا قصيا.

لفقرهن، فاستضافه على فقره، فمدحه الأعشى ونوه بذكره في سوق عكاظ فلم يمض عام حتى لم تبق جارية منهن إلا وهي زوج لسيد كريم. وكان الأعشى يتطرف في شعره ويتكسب به، وعده بعضهم من أصحاب المعلقات، وذكر قصيدته اللامية التي يمدح ا الأسود الكندي، ومطلعها:

مـا بكاء الكبير بالأطـلال وسؤالي ومـا تـرد سؤالـي

ومن جيد شعره قصيدته التي أعدها لينشدها بين يدي رسول الله ﷺ يمدحه فيها، فلم يفز بذلك؛ وأولها:

ألم تغتمض عينـاك ليلـةَ أرمـدا وبت كمـا بات السليم مسـهدا

وما ذاك من عِشق النسـاء وإنمـا تناسيت قبل اليوم خـلة مهـددا

ولكن أرى الدهر الذي هو خـائن إذا أصلحت كفاي عـاد فأفسـدا

شباب وشـيب وافتقـار وثـروة فلله هـذا الدهر كيـف تـرددا

وقصيدته التي أنشدها في مدح المحلق أولها:

أرقت ومـا هذا السـهاد المـؤرق وما بي مـن سقم ومـا بي تعشـق

ومنها:

لعمري لقد لاحت عيـونٌ كـثيرة إلى ضوء نـارٍ في اليفـاع تحـرق

تشب لمقـ ـرورين يصطليانـ ـها وبات على النار النـدى والمحلـق

رضـيعي لبـان ثـدي أم تقاسمـا بأسحم داجٍ عـوض ولا نتفـرق

ترى الجُود يجري ظاهر افوق وجهه كما زانَ مـتن الهنـدواني رونـق

يداه يدا صـدقٍ فكـف مبيـدةٌ وأخرى إذا ما ضن بالمـال تنفـق

معلقة الأعشى

وقيل: إن معلقته هي التي أولها:

ودع هريــرة إن الركـــب مرتحــلُ ... وهل تطيق وداعــا أيهــا الرجــلُ(1)

غراء فرعــاءُ مصــقولٌ عوارضــها ... تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل(2)

كأن مِشــيتها مــن بيــتِ جار ــا ... مر السحابةُ، لاريــثٌ ولا عجــ ــلُ(3)

تسمع للحلي وسواسا إذا انصــرفت ... كما استعان بريح عشــرق زجــلُ(4)

ليست كمن يكره الجــيران طلعتــها ... ولا تراها لسِــر الجــ ــار تختتــ ــلُ(5)

يكاد يصدعها - لــولا تشــددها - ... إذا تقــوم إلى جاراتهــا الكســ ــلُ(6)

إذا تقوم يضوع المســ ــك أصــورةً ... والزنبق الورد من أردا ا شــ ــملُ(7)

ما روضةٌ من رياض الحــزن معشــبة ... خضراء جاد عليها مســبلٌ هطِــلُ(8)

يضاحِك الشمس منها كوكب شرق ... مؤزر بعمــيم النبــ ــتِ مكتــهلُ(9)

---

(1) هريرة اسم قينة كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد أهداها إلى قريب لــه فولدت خليدا الآتي ذكره في شعره.

(2) الغراء: البيضاء الواسعة الجبين، والفرعاء: الفرع أي الشعر، والعوارض هنا الرباعيات والأنياب من الأسنان، يريد أ ا نقية الأسنان، الوجي: الذي يشتكي حافره ولم يشف بعد، فيكون مشيه متثاقلاً فكيف إذا كان وحلاً؟ أي يمشي في الوحل، يعني أن هذه الجارية لسمنها وتدللها تمشي متمهلة متمايلة.

(3) الريث البطء.

(4) الوسواس: صوت الحلى والعشرق: شجرة مقدار ذراع لها أكمام فيها حب صغار إذا جفت فمرت ا الريح تحرك الحب فسمع لــه خشخشة على الحصى.

(5) تختتل: أي تتسمعه استراقًا.

(6) يصفها بالحسن والترف، وكانوا يمدحون الثريات بالكسل وقلة العمل في البيت لأ ن مخدومات متعمات.

(7) يضوع المسك: أي تذهب رائحته هنا وهناك، وأصورة: جمع صوار بالضم وهو نافجة المسك أو حقه، والزنبق عند العرب: زيت الياسمين، وأكمله ما كان يميل إلى حمرة ولذلك وصفه بالورد.

(8) الحزن: الأرض الغليظة، والحزن المراد هنا: موضع ببلاد بني يربوع من اليمامة فيه رياض وقلعان.

(9) كوكب كل شيء: معظمه، ويريد به هما جماعة الزهر. أي يضاحك الشمس منها ويدور معها حيث دارت زهرها، أو يتفتح ويشرق عند شروقها: وهذا الزهر مؤزراي يكتنفه نبات تام النمو ملتف عليه كالتفاف الإزار.

يومًا بأطيب منها نشر رائحةٍ ... ولا بأحسن منها إذ دنا الأصلُ(1)

صدت "هريرة" عنا ما تكلمنا ... جهلاً بأم خليد، حبلَ من تصلُ؟(2)

أئن رأت رجلاً أعشى أضر به ... ريب المنون ودهر مفند خبلُ(3)

قالت هريرة لما جئت زائرها: ... ويلي عليك وويلي منك! يا رجلُ(4)

إما ترينا حفاةً؛ لا نعال لنا ... إنا كذلك ما نحفى وننتعلُ(5)

وقد أقود الصبا يومًا، فيتبعني ... وقد يصاحبني ذو الشرة الغزلُ(6)

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني ... شاوٍ مِشلٌ شلولٌ شلشلٌ شولُ(7)

في فتيةٍ كسيوف الهند قد علموا ... أنْ هالك كل من يحفى وينتعلُ(8)

نازعتهم قضب الريحان متكئًا ... وقهوةً مرةً راووقها خضلُ(9)

---

(1) الأصل: جمع أصيل وهو من العصر إلى الظلام وخص هذا الوقت لأن الجو يبرد فيه فيهب النسيم حاملاً رائحة الأزهار يعني أن رائحة الروضة الموصوفة بهذه الصفات الحسنة ليست بأفضل من رائحة هريرة.

(2) أم خليد كنية هريرة وقوله "حبل من تصل!" استفهام تعجبي، يعني إذا هجرتنا ولم تكلمنا فمن تكلم إذن.

(3) الاعشى الذي لا يبصر بالليل، والمفند الآتي بالفند وهو السفه في الرأي، ومثله الخبال.

(4) ويلي عليك وويلي منك: أي أتفجع عليك لأنك تسعى بزيارتك لي في هلاك نفسك وأتفجع منك لأن زيارتك لي تجر إلى هلاكي.

(5) ثم أخذ يعاتبها ويدفع عن نفسه بأن الصفات التي صدت عنه من أجلها طارئة عليه بفعل الموت والزمان، وأنه كان شابا غنيا طروبا غزلاً يشرب الخمر مع فتيان مثله ويستمع للقيان وينعم بهن فقال: "إما ترينا حفاة لا نعال لنا ... الخ" أي إن ترينا نتبذل مرة فنمشي حفاة فليس هذا دأبنا دائما فإننا أيضا منتعلون فطورا نفتقر وطورا نغتني.

(6) أقود الصبا إلخ: أي أتصابى، وآتي بأفعال الفتيان ويصحبني منهم الغزل ذوي الشرة وهي: نشاط الشباب.

(7) الحانوت: بيت الخمار، والشاوي: الذي يشوي اللحم، والمثل: الواق الخفيف والشلول والشلشل: الغلام الحار الرأس الخفيف الروح النشيط في عمله والشول: من يشول بالشيء الذي يشتريه المشتري، فيحمله له ويرفعه.

(8) أي كالسيوف في المضاء والصرامة وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن المحذوف وجملة "هالك كل من .. الخ" خبرها فهالك خبر مقدم وكل مبتدأ مؤخر.

(9) الريحان: كل زهر طيب الرائحة، ونازعتهم قضب الريحان: أتناولها مرة ويتناولونها أخرى، والقهوة: =

لا يستفيقون منها، وهـ ـي راهنـةٌ   إلا ـاتِ، وإن علوا، وإن لـوا[1]

يسعى اذو زجاجات لـ ـه نطـف   مقلص أسفل السربـ ـال معتمـل[2]

ومستجيب تخـال الصـنج يسـمعه   إذا ترجع فيـ ـه القينـةُ الفضـل[3]

(8) الحارث بن حِلِّزة اليَشكري

هو الحارث بن حلزة اليشكري البكري، يتصل نسبه إلى يشكر رهط من بكر بن وائل ولم يؤثر عنه غير قطع يسيرة، ومعلقته الآتية التي كان من أمرها أن عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة أصلح بين بكر وتغلب بعد حرب البسوس، وأخذ من كلا الفريقين رهائن من أبنائهم، ليكف بعضهم عن بعض وليقيد منها للمعتدى عليه من المعتدي، فحدث أن سرح الملك ركبا من تغلب في بعض حاجته، فزعمت تغلب أن الركب نزلوا على ماء لبكر فأجلوهم عنه، وحملوهم على المفازة فماتوا عطشا، وتزعم بكر أ م سقوهم وأرشدوهم الطريق فتاهوا وهلكوا، وذهب الفريقان يتدافعان عند عمرو بن هند، وكانت ضلعه مع تغلب، فهاج ذلك الحارث بن حلزة، وكان في ا لس مستورا عن الملك بستارة لما فيه من البرص، فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً يفتخر فيها بقومه وفعالهم وحسن بلائهم عند الملك وعظم أيامهم معه، فما أتم قصيدته حتى انقلب الملك إلى جانب البكريين، وقرب الحارث من مجلسه، وعمر الحارث طويلاً حتى قيل إنه أنشد هذه القصيدة وعمره خمس وثلاثون ومائة سنة ومات قبل الهجرة بنحو خمسين سنة.

=

الخمرة، الراووق: الوعاء الذي تروق فيه الخمر. وخضل: دائم الندى لا يخف لكثرة شر م.

(1) راهنة دائمة أمامهم أي لا ينتهون إلا إذا أبطأ عليهم الساقي فصاحوا به "هات" ولو شربوا عللا بعد ل أي مرة بعد أخرى.

(2) النطف: الفرطة من اللؤلؤ، ومقلص: مشمر، والسربال: القميص، والمعتمل النشيط (المعنى) يسعى بالخمر ساق يحمل زجاجتها مقرط الأذن بلؤلؤ مشمر ذيله معتمل نشيط.

(3) ومستجيب: أي ورب عود طرب مستجيب لصوت الصنج كأنه يسمعه النغم فيجيبه بمحاكاته. أي أن العود والصنج متفقان في النغم لا يشذ أحدهما عن الآخر. والصنج: دوائر رقاق من صفر يصفق بأحدهما على الأخرى وهي التي نسميها في زماننا "الكاسات" وهو أيضا نوع من الآلات الوترية، وترجع: تردد النغم، القينة: الأمة وقيل إذا كانت مغنية والمرأة الفضل: التي تلبس ثوبا واحدا كأ ا متبذلة.

وشعره: تغلب عليه الجزالة مع الإيجاز، واطراد التعبير من طريق الحقيقة والتشبيه في الغالب، وكذلك ما فيه من الطابع البدوي الذي يكاد يمتاز به شعر الجاهليين، ومعلقته هي:

آذنتنا ببينها أسماءُ — رب ثاوٍ يمل منه الثواءُ[1]

بعد عهدٍ لنا ببرقة شماءَ — فأدنى ديارها الخَلصاءُ[2]

لا أرى من عهدت فيها فأبكي — اليوم دلْهاً وما يحير البكاءُ

غير أني قد أستعين على الهَم — إذا خف بالثوي النجاءُ[3]

بزفوف كأنها هِقْلةٌ أم — رئال دوية سقفاءُ[4]

آنست نبأةً وأفزعها القناص — عصرا وقد دنا الإمساء[5]

ثم قال:

وأتانا من الحوادث والأنباء — خطب نعنى به ونساء[6]

أن إخواننا الأراقم يغلو — نَ علينا في قيلهم إحفاء

يخلطون البرَيء منا بذي الذنب — ولا ينفع الخَلي الخَلاء[7]

زعموا أن كلْ من ضرب العير — موال لنا، وأنا الولاء[8]

---

(1) آذنتنا أعلمتنا، وببينها: بفراقها لنا، وثاو: مقيم. أي كثيرا ما تكره إقامة المقيم بين قوم لثقل كلفته أو لشره، وأسماء ليست من هؤلاء ففراقها شاق علينا.

(2) برقة شماء: مكان، الخلصاء كذلك، الثوي: المقيم.

(3) النجاء: الإسراع.

(4) الزفيف: إسراع النعامة في سيرها والمراد المبالغة في وصف الناقة بالسرعة، والهقلة الناعمة والرئال أولادها والواحد زال والدو المفازة والدوية المنسوبة إليها والسقفاء الطويلة مع انحناء.

(5) آنست: أحست، والنبأة: الصوت الخفي، القناص: الصيادون.

(6) نعنى به: نتعب به نحن دون غيرنا، ونساء به: يصيبنا منه سوء، والأراقم: أحياء من تغلب معادية لبنى بكر قبيلة الشاعر ويغلون علينا يتجاوزون الحد في التقول علينا، والقيل: القول والإخفاء: شدة الإلحاح والاستقصاء.

(7) الخلي هنا: الخالي من الذنب. والخلاء: الخلو من الذنب كذلك، لا تنفع عندهم البريء براءته من الذنب فهم يأخذونه بذنب المجرم.

(8) أي فهم يلزموننا ذنوب الناس ولو لم تكن ذنوبهم مما يؤخذ عليها فعندهم أن كل من ضرب حمارا =

أجمعوا أمـرهم عِشـاءً فلمـا | أصبحوا أصبحت لهم ضوضـاء
من منادٍ، ومن مجيب، ومن تصـهال خيـلٍ خِـلالَ ذاك رغـاء[1]
أيهـا النـاطق المـرقّش عنـا | عند عمرو، وهل لـذاك بقـاء؟[2]
لا تخلنـا علـى غِراتـك، إنـا | قبلُ مـا قدوشى بنـا الأعـداء[3]
فبقينا علـى الشـناءَة تنمينـا | حصـونٌ، وعـزة قعسـاء[4]
قبلَ مـا اليـوم بيضـت بعيـون | النـاس فيهـا تعيـطٌ وإبـاء[5]
وكـأن المنـون تـردي بنـا أر | عن جونـًا ينجاب عنه العمـاء[6]
مكْفَهرا علـى الحـوادث لا تـر | نوه للدهر مؤيـد صمـاء[7]
أيمـا خطـةٍ أردتم فـأدو | هـا إلينـا تمشي بها الأمـلاء[8]

=

مثلاً مذنب.

(1) أي يتلمسون أي ذنب، ويتشاورن الليلَ في أمر حربنا، والتعبئة لـه فلا يصبح الصباح حتى تكون لهم جلبة وضوضاء من مناد الخ قيل إن هذين البيتين أوجز ما قيل في وصف التأهب للارتحال وأصدقه وأوضحه تصويرا للحقيقة.

(2) المرقش: المزين القول بالباطل، وهل لذلك إلخ أي لتزيينك الباطل دوام.

(3) لا تخلنا: أي لا تحسبنا، والغرة: اسم مصدر من الإغراء، وما زائد والمفعول الثاني محذوف.

(4) الشناءة: البغض. وتنمينا: ترفعنا، والقعساء: الثابتة. أي فبقينا على بغضك لنا في عزة ثابتة وحصون منيعة من أن يصيبنا منكم مكروه.

(5) قبل ما اليوم: أي قبل اليوم وما زائدة، وبيضت بعيون الناس: بيضتها أي أعمتها والباء زائدة، والتعيط الترفع والإباء.

(6) تردي ترمي وترجم: والباء في "بنا" لتجريد نظير قولهم: لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد، أي لتلقين الأسد، أي هو كالأسد، والأرعن هنا الجبل الذي لـه حدود وأطراف تخرج عن معظمه، والجون: الأسود، وينجاب منه: ينشق عنه، والعماء: السحاب الأبيض.

(7) وصف هذا الجبل بأنه مكفهر، والمكفهر من الجبال الصلب المنيع ولا ترنوه لا تنقصه وتنال منه، والمؤيد الداهية وصماء: لا تسمع اعتذارات. أي أن هذا الجبل منيع على حوادث الدهر لا تنال منه الدواهي الصماء.

(8) الخطة: الأمر يقع بين القوم، أو الإقدام على الأمر، والأملاء جمع ملأ. وهم الأشراف والرؤساء.

إن نبشتم ما بـين ملحـةَ فالصـا … فب فيـه الأمـوات والأحيـاء[1]

أو نقشتم، فالنقْش يجشـمه النـا … س، وفيه الصـلاح والإبـراءُ[2]

أو سكتم عنـا، فكنا كمن أغمـ … ض عينـا في جفنـها الأقْـذاء[3]

أو منعتم مـا تسألون فمـن حـد … ثْتموه لـه علينـا العـلاء؟[4]

هل علمتم أيـام ينتـهب النـا … س غِوارا لكـل حـي عـواء[5]

إذْ ركبنا الجمالَ من سعف البحـر … ين سيرا حتى نهاهـا الحِسـاء[6]

ثم ملنا علـى تميـم فأحرمنـا … وفينـا بنـات مـرّ إمـاء[7]

لا يقيم العزيز بالبلـد السهـل، … ولا ينفع الذليـلَ النـجاء[8]

ليس ينجي مـوائلاً مـن حِـذار … راس طـودٍ وحـرةٌ رجـلاء[9]

---

(1) ملحة الصاقب: موضعان، أي إن كانت الخطة التي ترضو ا أن تثيروا القتال الذي وقع بيننا في هذين المكانين ففيه أموات وأحياء أي فكانت عاقبته قتلى وأسرى منكم لم تدركوا منا ثأرهم، وحذفت الفاء الواقعة في جواب الشرط "وهو فيه الأموات إلخ" للضرورة أو أن جواب الشرط محذوف تقديره فلنا الفخار بذلك أو أن جواب الشرط الآتي لـه ولهذا.

(2) أو نقشتم أي دققتم في الاستقصاء ويجسمه: يتكلفه على مشقة.

(3) وإن سكتم عنا فإنا نسكت، ونغضي أعيننا على القذى لأن الحق في جانبنا.

(4) وإن منعتهم ما تسألون فيه من الصلح والتراضي فمن الذي أخبرتم أن لـه العلو علينا، حتى تطمعوا فينا؟ وحدث هنا تعدت إلى ثلاث مفاعيل.

(5) غوارا: أي مغاورة بعض على بعض، والعواء: الصياح.

(6) يريد بالسعف: النخل، والحساء جمع حسى، وهو الرمل يكون الماء تحته قريبا أي هل علمتم إذا ركبنا الجمال من نخل البحرين حتى إنتهينا إلى الحساء.

(7) فأحرمنا أي دخلنا في الأشهر الحرم فامتنعنا عن قتالهم وفينا بنا م سبايا، ومر أبو تميم.

(8) النجاة: الإسراع والفرار. والموائل الذي يطلب موئلاً أي ملجأ؛ والطود: الجبل؛ والحرة الأرض ذات الحجارة السوداء والرجلاء: الغليظة.

(9) النجاة: الإسراع والفرار. والموائل الذي يطلب موئلاً أي ملجأ؛ والطود: الجبل؛ والحرة الأرض ذات الحجارة السوداء والرجلاء: الغليظة.

(9) لبيد بن ربيعة العامري

هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري أحد أشراف الشعراء ا يدين، وهو من بني عامر بن صعصعة إحدى بطون هوزان من مضر، وأمه عبسية، نشأ لبيد جوادا شجاعا فاتكًا؛ أما الجود فورثه عن أبيه الملقب بربيعة المعتزين، وأما الشجاعة والفتك فهما خصلتا قبيلته، إذ كان عمه ملاعب الأسنة أحد فرسان مضر في الجاهلية، وكان بين قبيلته وبين بني عبس أخواله عداوة شديدة، فاجتمع وفداهما عند النعمان بن المنذر، وعلى العبسيين الربيع بن زياد، وعلى العامريين ملاعب الأسنة، وكان الربيع مقربا عند النعمان يؤاكله وينادمه، فأوغر صدره على العامريين، فلما دخل وفدهم على النعمان أعرض عنه فشق ذلك عليهم، ولبيد يؤمئذ صغير، يسرح إبلهم ويرعاها، فسألهم عن خطبهم فاحتقروه لصغره: فألح حتى أشركوه معهم، فوعدهم أنه سينتقم لهم منه غدا عند النعمان أسوأ انتقام، جاء لا يجالسه بعده ولا يؤاكله فكان ذلك، ومقت النعمان الربيع ولم يقبل لـه عذرا، وأكرم العامريين وقضى حوائجهم، فكان هذا أول ما اشتهر به لبيد، ثم قال بعد ذلك المقطعات والمطولات، وشهد النابغة لـه وهو غلام بأنه أشعر هوازن، ولما ظهر الإسلام وأقبلت وفود العرب على النبي ﷺ جاء لبيد في وفد بني عامر وأسلم، وعاد إلى بلاده، وحسن إسلامه، وتنسك وحفظ القرآن كله، وقال:

الحمـد للهِ إذْ لـم يـأتني أجلـي ... حتى اكتسيت مِن الإسلام سِربالا

وهجر الشعر حتى لم يرو لـه في الإسلام غير بيت واحد، هو:

ما عاتب الحر الكـريم كنفسـه ... والمرءُ يصلحه الجليس الصالحُ

وبعد أن فتحت الأمصار ذهب إلى الكوفة زمن عمر بن الخطاب واختارها دار إقامة. وما زال بالكوفة حتى مات في أوائل خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وقد قيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة.

شعره: نبغ فيه وهو غلام، وجرى فيه على سنن الأشراف والفرسان.

فمن قوله يرثي أخاه أربد:

بلينا وما تبلى النجـوم الطوالـع ... وتبقى الديـار بعدنـا والمصـانع

وقد كنت في أكناف جـارِ مضنـةٍ ... ففـارقني جـار بأربـد نافـع

فلا جزع إن فـرق الـدهر بيننـا ... فكل امرئٍ يوما به الـدهر فـاجع

وما الناس إلا كالديـار وأهلـها … ا يوم حلوهـا وراحـوا بلاقـع

وما المـال والأهلـونَ إلا ودائـع … ولا بـد يومـا أن تـرد الودائـع

لعمرك ما تدري الضوارب بالحَصـى … ولا زاجرات الطير مـا الله صـانع

وما النـاس إلا عـاملان: فعامـل … يتبر مـا يـبني وآخـر رافـع

فمنـهم سـعيد آخـذٌ بنصـيبه … ومنـهم شـقي بالمعيشـة قـانع

ومن جيد الشعر وأبلغه أيضا:

معلقة لبيد بن ربيعة العامري

عفتِ الديـــار محلـــها فمقامهـــا بمنـــى تأبـــد غُولهـــا فرجِامهـــا(1)

فمدافِع الريـــان عـــري رسمهـــا خلقًا كما ضمِن الوحي سِلامها(2)

دِمن تجرم بعـــد عهـــد أنيســـها حِجج خلونَ حلالُهـــا وحرامهـــا(3)

رزقت مرابيـــع النجـــوم وصـــا ا ودق الرواعد جودهـــا فَرِهامهـــا(4)

من كل ســـارية وغـــادٍ مـــدجن وعشية متجـــاوب إرزامـــها(5)

فعلا فـــروخ الأيهقـــان وأطفلـــت بالجهلتين ظباؤهـــا ونعامـــها(6)

والعين ساكنة علـــى أطلائـــها عودا تأجل بالفضـــاء بِهامهـــا(7)

وجلا السيول عن الطلـــول كأ ـــا زبـــر تجـــد متو ـــا أقلامهـــا(8)

أو رجع واشمةٍ أســـف نؤورهـــا كففًا تعرض فوقهـــن وشـــامها(9)

فوقفت أســـألها، وكيـــف ســـؤالنا صما خوالد مـــا يـــبين كلامهـــا(10)

---

(1) عفت: درست، والمحل والمقام: موضع الحلول والإقامة. تأبد: توحش. الغول والرجام: جبلان.

(2) الريان: واد بحمى ضربة، ومدافع: مجاري المياه به حيث يندفع السيل وعري: رسمها خلقًا: أي ظهر باليا، والسلام: الحجارة يذكر أن مدافع الريان لم تبق منها آثار تشبه آثار الكتابة على الأحجار.

(3) الدمن ما اجتمع من آثار الديار، تجرم: مضى.

(4) المرابيع: أوائل الأمطار في الربيع. والنجوم: الأنواء، وصا ا: مطرها والودق: المطر. وجوده: غزيره. ورهامه لينه وصغيره.

(5) السارية: السحابة وغاد: يسير بالغداة. مدجن: مظلم, لأن المقيم إذا انتشر ملأ الجو بالدجنة وهي الظلمة والأرزام: صوت الرعد.

(6) الأيهقان: النبت أطفلت: أصبحت ذات أطفال, الجهلتين: الجهتين.

(7) العين: البقرة وأطلاؤها أولادها, والعوذ: حديثة النتاج لأن ولدها يعوذ ا, تأجل: تجمع وصار أجلاً, والأجل: القطيع.

(8) يريد أن السيول كشفت عن الطلول فظهرت كالكتب تحدد ظهورها الأقلام.

(9) الواشمة: من تحلي الأيدي بالوشم.

(10) الصم العواقي وهي الأثافي, ما يبين: لا يظهر.

عريت وكان ا الجميـع فـأبكروا ... منها وغـودر نؤيهــا وثمامهـا[1]

شاقتك ظعن الحي حـين تحملـوا ... فتكنسوا قُطُنـاً تصـر خيامهـا[2]

من كل محفـوف يظِـل عصيــه ... زوج عليــه كـــلة وقرامهــا[3]

زجلاً كأنّ نعـاج توضِـح فوقهـا ... وظِبـاءَ وجـرةَ عطفًـا أرامهـا[4]

حفِزت وزاليهـا السـراب كأ ـا ... أجزاع بيشـةَ أثلـها ورضـامها[5]

بل ما تذكر من "نـوار" وقـدنأت ... وتقطعــت أســبابها ورمامهــا[6]

مريـةٌ حلـت بفيـدٍ وجـاورت ... أهل الحجاز فأين منـك مرامهـا[7]

بمشــارق الجبلــين أو بمحضــر ... فتضــمنتها فــردةٌ فرخامهــا[8]

فصــوائق إنْ أيمنــت فمظنــه ... منها وحاف القهـر أو طِلخامهـا[9]

فاقطع لُبانةَ مـن تعـرض وصـله ... ولشر واصل خــلة صـرامها[10]

---

(1) عريت: خلت. أبكروا: سارو في البكرة, وغودر: ترك, والنوي: حفرة حول الخباء تمنع السيل, والثمام: نبت ضعيف.

(2) الظعن: الجمال عليها الهوادج, أو هي النساء في الهوادج, تكنست الظباء: سكنت الكناس, والقطن: الهوادج, تصر خيامها, يسمع لها صرير: يريد أن ظعن الحي تركوا وطنهم وأسكنهم الرحيل رحالاً يصفق ا الريح.

(3) محفوف: صفة للهودج يحف بالديباج ويزدان به جانباه, يظل: يغطي أو يظلل والعصي هنا أعواد الهودج, والزوج بساط يفرس على الهودج, والكلة ستر رقيق, والقرام: ثوب ملون منقوش.

(4) زجل: الجماعة, توضح ووجرة, موضعان, النعاج: البقر, عطفت الظبية تعطف جيدها إذا ربضت, يذكر أن النساء فوق الهوادج كأ ن النعاج أو الأرآم والأعلام.

(5) حفزت: حثت على المسير وزايلها. فارقها, بيشة: واد والأجزاع منعطف الوادي, الأثل: نوع من الشجر, والرضام: صخور عظام.

(6) نوار: اسم حبيبته, الرمام: القطعة من الحبل البال, يريد أن الوصل تقطعت به الأسباب.

(7) مرية تنسب إلى مرة بن عوف, فيد: موضع في طريق مكة, مرامها: منالها.

(8) الجبلان أجا وسامى, محجر: جبل في بلاد طيء, فردة اسم أرض, والرخاء: موضع كثير الأشجار.

(9) الصوائق: جبل قرب مكة وتروى فصعائد وأيمنت: سارت نحو اليمين. وحاف: الصخرة السوداء القهر: اسم موضع، الطلخاء: الفيلة.

(10) اللبانة: الحاجة، تعرض: تغير.

واحب ا املَ بالجزيـل وصـرمه	**بـاقٍ إذا ظلعـت وزاع ِقوامهـا**[1]
بطِلـيح أسـفار تـركْن بقيـة	**منها وأحنـق صـلبها وسـنامها**[2]
فـإذا تغـالى لحَمهـا وتحسـرت	**وتقطعت بعد الكـلال خِـدامها**[3]
فلـها هِبـاب في الزمـامِ كأ ـا	**صهباء راح مع الجنوب جهامها**[4]
أو ملمِع وسقت لأحقـب لاحـه	**طَرد الفحول وضربها وكـدامها**[5]
يعلو ا حدب الأكـامِ مسـحج	**قـد رابـه عِصـيانها ووحامهـا**[6]
بأحزة الثلبـوت يربـأ فوقهـا	**قفـر المراقـب خوفهـا أرآمهـا**[7]
حتى إذا سـلخا "جمـادى" سـتة	**جزءًا فطـال صـيامه وصـيامها**[8]
رجعـا بأمرهمـا إلى ذي مِـرةٍ	**حصـدٍ ونجـح صـريمةٍ إبرامهـا**[9]
ورمى دوابرها السـفا و يجـت	**ريح المصايف سومها وسـهامها**[10]

---

(1) واحب: اعط ا امل المكافيء وصرمه باق: أي وقطيعته باقية - إذا ظلعت: إذا مالت مودته عنك وزاغ قوامها أي ملاكها.

(2) الطليح: الناقة المعيبة. وأجنق: بمعنى ضمر.

(3) تغالى: إرتفع من الهزال وتحسرت: تقطعت والكلا الأعياء.

(4) الهباب: النشاط. والصهباء: السحابة التي لم يكن فيها ماء، والجهام الذي لا ماء فيه، والجنوب: هي الريح اليمانية.

(5) الملمع الأتان التي قد بان حملها واسودت حلما ا.

(6) يعلو: يرتفع الحدب: ما ارتفع من الأرض، المسحج: المعضعض. رابه: أي شككه. والعصيان: الامتناع، والوحام: الكراهية للشيء.

(7) الأحزة ما غلظ من الأرض. الثلبوت: موضع في نجد، يربأ: يرفع، قفر المراقب: عالي موضع الارتقاب، والآرام: الأعلام.

(8) أراد ستة أشهر أولها المحرم وآخرها جمادى، جزءًا: أي إستغنينا بالرطب من الكلأ عن الماء، والصيام عن الماء وسلخا: أي مضى عليهما.

(9) رجعا: الأتان والحمار. بأمرهما: برأيهما، ذي مرة: قوة، يعني الحمار، حصد: محكم وصريمة: عزيمة، والإبرام: الإحكام.

(10) الدواير: مآخير الحوافز. والسفا: شوك البهى هنا، المصايف: المرعى أيام الصيف، سومها: مرها.

=

فتنازعا سـبطًا تطـير ظلالـه كدخان مشعلة يشـب ضـرامها[1]

مشمولة غلثـت بنابـتٍ عـرفجٍ كدخان نـار سـاطع أسـنامها[2]

فمضى وقـدمها وكانـت عـادة منـه إذا هـي عـردت إقـدامها

فتوسطا عرض السـري وصـدعا مسـجورةً متجـاورا قلامهـا[3]

محفوفة وسـط الـيراع يظلهـا منها مصـرع غابـة وقيامهـا[4]

أفتلـك؟ أم وحشـيةٌ مسـبوعة خذلت وهاديةُ الصـوار قوامهـا[5]

خنساء ضيعت الفرير فلـم يـرم عرض الشقائق طوفهـا وبغامهـا[6]

لمعفّـر قهـدٍ تنـازع شِـلوه ... غبس كواسب ما يمـن طعامهـا[7]

صادفن منـها غـرةً فأصبنهـا إن المنايـا لا تطـيش سهامهـا[8]

باتت وأسبلَ واكف مـن ديمـة يروي الخمائلُ دائمـا تسـجامها[9]

=

السهام: وهج الصيف وشدة حره.

(1) تنازعا: تجاذبا.

(2) أسنم الدخان: إذا ارتفع وكثر، غلثت: خلطت، العرفج: كثرة الدخان ساطع مرتفع.

(3) توسطا دخلا وسطه عرض السرى، ناحية النهر، وصدعاء قافر، أي عينا مملوءة.

(4) محفوفة: محوطة من جميع جوانبها، يعني العين، مصرع: بعضه فوق بعض والغابة، الأجمة وهي الشجر الملتف.

(5) أفتلك: الأتان، أم وحشية: بقرة الوحش مسبوعة: أكل السبع ولدها، خذلت: تأخرت عن البقر والخذول: المتخلفة، وهادية متقدمة.

(6) خنساء: قصيرة الأنف، الفرير: ولد البقر، يرم: يبرح، عرض أي ناحية، الشقائق: جمع شقيقة وهي ما بين الرملتين وطوفها وطوفها أي دورا ا وترددها وبغامها: صو ا.

(7) المعفر ولد البقر، والقهد: الأبيض تنازع: تجاذب، شلوه واحد الأشياء وهي الأعضاء، وغبس الذئاب الغبر وكواسب تكسب ما تأكل، ما يمن طعامها ليس أحد يمن به عليها.

(8) صادفن: وجدن، غرة: غفلة، فأصبنها: أوقعنها، لا تطيش: لا تخطئ.

(9) أسبل: هطل، الواكف: المطر يقيم أياما لا ينقطع، الخمائل: الشجر الملتف والتسجام: كثرة المطر.

تجتــاف أصــلاً قالصــا متنبــذًا بعجوب أنقــاء يميــلُ هيامهــ ــا[1]
يعلــو طريقــة متنهــ ــا متــواترا في ليلةٍ كفــر النجــوم ظلامهــا[2]
وتضيء في وجــه الظــلام مــنيرةً كجمانة البحــري ســل نظامهــا[3]
حتى إذا انحسر الظــلام وأســفرت بكرت تزل عن الثــرى أزلامهــا[4]
عِلِهت تبلــد في نهــ ــاء صــعائد سبعا تؤمــ ـًا كــاملاً أيامهــ ــا[5]
حتى إذا يئست وأســحق حــالق لم يبــله إرضــاعها وفطامهــ ــا[6]
وتســمعت رز الأنــيس فراعهــا عن ظهر غيب والأنــيس ســقامها
فغدت كلا الفرجين تحســب أنــه مولي المخافة خلفهــا وأمامهــ ــا[7]
حتى إذا يئس الرمــاة وأرســ ــلوا غضبا دواجن قــافلاً أعصامهــ ــا[8]
فلحقن واعتكرت لهــ ــا مدربــةٌ كالسمهرية حدهــ ــا وتمامهــ ــا[9]
لتــذودهن وأيقنــت إن لم تــذد أن قد أحم مع الحتــوف حمامهــا[10]
فتقصدت منها كساب فضــرجت بدمٍ وغودر في المكر سخامهــ ــا[11]

---

(1) تجتاف: تدخل جوفه، أصلاً قالصا: يعني أصل شجرة، بعجوب: أصل الذنب، يعني أطراف الرمال.

(2) الطريقة: الخطة، متواترا: متتابعا، كفر: غطى، والغمام: السحاب.

(3) تضيء: تنير والجمانة: الحبة من اللؤلؤ، سل نظامها: وهو الخيط الذي يسلك فيه اللؤلؤ.

(4) انحسر الظلام: انكشف، أسفرت: دخلت في الإسفار وهو الصبح، بكرت: غدت بكرة، تزل: تسرع، الثرى: التراب، أزلامها: قوائمها.

(5) عهلت: تحيرت، تبلد: تتردد وتتحير، في اء: غاية، الصعائد: المكان. تؤما: أي متتابعة لياليها.

(6) سحق: ارتفع، والحالق: المرتفع وهو ضرعها، والحالق: الجبل المرتفع.

(7) الفرجان: ما بين القوائم، مولى المخافة: صاحبها.

(8) الغضب: جمع أغضب وهي الكلاب.

(9) اعتكرت: استمعت ورجعت مدربة: محدودة، السمهرية: الرماح المنسوبة إلى سمهر وهو رجل كان يقوم الرماح باليمن.

(10) لتذودهن: أي تطردهن، وأن قد أحم: قدر، الحتوف: جمع حتف وهو الموت والحمام: الموت.

(11) فتقصدت: قصدت يعني قتلت، كساب: اسم كلبة، فضرجت: خلطت وغودر: ترك، في المكر: =

فبتلك إذ رقص اللوامع بالضحى ... واجتاب أردية السراب إكامها(1)

أقضي اللبانةَ لا أفرط ريبة ... أو أن يلوم بحاجة لوامها(2)

أو لم تكن تدري "نوار" بأنني ... وصالُ عقد حبائل جذامها؟(3)

تراك أمكنة إذا لم أرضها ... أو يرتبط بعض النفوس حمامها(4)

بل أنتِ لا تدرين كم من ليلة ... طلق لذيذٍ لهوها وندامها

قد بت سامِرها وغاية تاجر ... وافيت إذ رفعت وعز مدامها(5)

أغْلي السباء بكل أدكن عاتق ... أو جونةٍ قدحت وفض خِتامها(6)

بصبوح صافيةٍ وجذْب كرينةٍ ... بموترٍ تأتاله إبهامها

باكرت حاجتها الدجاج بسحرة ... لِأُعلّ منها حين هب نيامها

وغداةَ ريح قد وزعت وقرةٍ ... إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

ولقد حميت الخيلَ تحملُ شكتي ... فرطٌ وشاحي إذ غدوت لجامها(7)

فعلوت مرتقيا على مرهوبة ... حرجٍ إلى أعلامهن قتامها(8)

حتى إذا ألقت يدا في كافِر ... وأجن عورات الثغور ظلامها(9)

= موضع القتال، سخامها: اسم كلب.

(1) فبتلك: البكرة رقص: ارتفع، اللوامع بالضحى: الآل، واجتاب. لبس، أردية: جمع رداء.

(2) اللبانة: الحاجة، لا أفرط: لا أترك، والريبة: الشك والمخافة، أو أن لا يلوم.

(3) وصال: أي أصل ولا أقطع.

(4) تراك أمكنة: يقول إذ رأى ما يكره تركها، أو يرتبط: يتلف، وبعض: بمعنى كل.

(5) بت سمرا: أي فيها وغاية تاجر يريد راية تاجر يبيع الخمر، ويضع الراية ليعرف موضعه ا فرفعها لذلك، عز: غلا، مدامها: خمرها وسميت مدامه لمداومتها في الدل.

(6) السباء: شراء الخمر، وجونة: سوداء، والأدكن: الزق، قدحت: غرفت.

(7) فرط: من صفة الفرس السابق، وشكتي: سلاحي.

(8) فعلوت: طلعت مرتقيا، الحرج: الضيق، والأعلام: الصوت، القتام: الغبار.

(9) ألقت يدا: يعني الشمس، والكافر: البحر، وأجن: ستر، العورات: جمع عورة، موضع المخافة، والثغر: =

أسهلت وانتصبت كجِذْع منيفـة جرداء يحصر دو ـا جرامهـ ـا[1]
رفّعتـها طـرد النعـام وفوقـ ـه حتى ذا سخنت وخـف عظامهـا[2]
قلقت رحالتها وأسـبلَ نحرهـ ـا وابلّ من زبـدِ الحمـيم حزامهـا[3]
ترقى وتطعن في العنـان وتنتحـي ورد الحمامةِ إذ أجـ ـد حمامهـا[4]
وكثيرة غرباؤهـ ـا مجهـولـ ـة ترجى نوافلها ويخشـ ـى ذامهـا[5]
غلب تشـذّر بالـذحول كأ ـ ـا جن البـدي رواسـيا أقدامهـ ـا[6]
أنكرت باطلها وبـؤت بحقهـ ـا يوما ولم يفخر علـي كرامهـ ـا[7]
وجزور أيسار دعـوت لحتفهـ ـا بمغـالق متشابـ ـه أعلامهـ ـا[8]
أدعو ـن لعاقـ ـر أو مطفـ ـل بذلت لجـيران الجميـع لحامهـ ـا
فالضيف والجـار الغريـب كأنمـا هبطًا تبالـةَ مخصـبا أهضـامها[9]
تأوي إلى الأطنـابِ كـل رزيـة مِثل البليـةِ قـالص أهدامهـ ـا[10]

موضع المخافة أيضا..

(1) أسهل، نزل السهل وانتصبت يريد الفرس، ومنيعة، يريد نخلة طويلة الجرام: الصرام.

(2) ركضها في المسير كما تطرد النعام وفوقه: فوق الطرد وسخنت: جمعت، وخف عظامها، وأسرعت. فإذا عرقت جاد جريها.

(3) الرحالة: سرج، والحميم: العرق، وأسبل نحرها: جرى.

(4) إلى الماء وهو الورد، وترقى: تعتمد، وتنتهي: تقصد، كأ ا حمام أجهد نفسه، ورد الحمامة، كاسرعها.

(5) يريدكم من خطة وحالة عظيمة مشهورة حضر ا وكنت المقدم فيها، ترجى نوافلها: فضلها، ويخشى عليها.

(6) تشذر: يأ للقتال الذحول: الأحقاد، البدي مكان معروف بالجن، رواسيا يعني أ ا ثابتة.

(7) بؤت: أقررت.

(8) الأيسار: الذين يحضرون القسمة ويضربون بالقداح، والمغالق السابع من سهام الميسر.

(9) يقول عنده من الخصب مثل ما عند أهل تبالة من الرطب.

(10) الرزية المرة متى أهزلها أهلها والبلية: ناقة الرجل تعقل عند قبره وتفقأ عيناها ويطرح حفتها ويلذون وجهها فلا تزال عند قبره حتى تموت ويحضر لها قدر ما بقيت قوائما، الأطناب: حبال الفساطيط،

ويكللــونَ إذا الريــاح تناوحــت | خلجا تُمد شوارعــا أيتامهــا[1]
إنــا إذا التقــتِ المجــامع لم يــزل | منــا لزاز عظيمــة جشامهــا[2]
ومقسم يعطــي العشــيرة حقهــا | ومغذمر لحقوقهــا هضامهــا[3]
فضلا، وذو كرم يعين على النــدى | سمح كســوب رغائــب غنامســها
من معشر سنت لهــم آبــاؤهم | ولكــل قــوم ســنةٌ وإمامهــا
إن يفزعوا تلــق المغــافر عنــدهم | والسن يلمع كالكواكــب لامهــا
لا يطبعــون ولا يبــور فعــالهم | إذ لا يميــل مــع الهــوى أحلامهــا
فبنــوا لنــا بيتــا رفيعــا سمكــه | فسما إليــه كهلــها وغلامهــا[4]
فاقنع بمــا قســم المليــك فإنمــا | قسم الخلائــق بيننــا علامهــا
وإذا الأمانــةُ قســمت في معشــر | أوفى بــأعظم حظنــا قسامهــا
فهم السعاة إذا العشــيرة أفظعــت | وهم فوارســها وهــم حكامهــا[5]
وهــم ربيــع للمجــاور فــيهم | والمــرملاتِ إذا تطــاول عامهــا
وهم العشــيرةُ إن يبطــأ حاســد | أو أن يميلَ مــع العــدو لئامهــا

ومنه قوله في النعمان يرثيه:

ألا تســألان المــرء مــاذا يحــاول | أنحب فيقضى أم ضلالٌ وباطــلُ[6]

=

والأهدام: الخلقان، وقالص: قصير مرتفع.

(1) التكليل: أن يوضع اللحم بعضه على بعض، الخلج: الجفان، شوارع: جمع شارعة وهي من صفات الأيدي، رأى أيديهم ممدودة للأكل.

(2) المحافل: المجامع. لزاز: قرن، لكل عظيمة جشامها أي متجشم لها، متكفل بها.

(3) المقسم: يريد عامر بن الطفيل والمغذمر: الذي يأخذ من هذا ويعطي هذا ويدع هذا، والهضم: النقصان.

(4) بنو: يعني آباءه وأجداده، السمك: المرتفع من الشيء.

(5) السعاة: جمع ساع وهو المصلح، وأفظعت: ابتليت بالأمر الفظيع. وهو المهم.

(6) السؤال بمعنى الاستفهام، والمحاولة: استعمال الحيلة، والنحب النذر.

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمـرهم … بلى كلّ ذي لب إلى الله واسـلُ[1]

ألا كل شيءٍ مـا خـلا الله باطـلُ … وكـل نعـيم لا محـالة زائـلُ

وكل أناس سـوف تـدخل بينـهم … دويهيـةٌ تصـفر منـها الأنامـلُ

وكل امـرئ يومـا سـيعلم غيبـه … إذا كشفت عند الإلـه الحاصـلُ

ويعتبر لبيد ممن رثى نفسه قبل موته بقوله لابنتيه وهو مختصر:

تمـنى ابنتـاي أن يعـيش أبوهمـا … وهل أنا إلا من ربيعـةٌ أو مضـر

فإن حان يوما أن يمـوت أبوكمـا … فلا تخثما وجها ولا تحلقـا شـعر

وقولا هو المرء الـذي لا حليفـه … أضاع ولا خان الصديق ولا غـدر

إلى الحول ثم اسم السلام عليكمـا … ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتـذر

(10) علقمة بن عبدة التميمي

هو علقمة الفحل بن عبدة بن ناشرة التميمي، شاعر جاهلي مجيد من أقران امرئ القيس، مات قبل الإسلام بزمن طويل، وإنما قيل لـه "الفحل" من أجل أنه يتميز في الأخبار من شاعر آخر في قبيلته أيضا يسمى علقمة الخصي بن سهل ويكنى أبا الوضاح أدرك الإسلام وأسلم، وقيل سمي "الفحل" لأنه خلف امرأ القيس على زوجته بعد أن صلقها، لأ ا فضلت علقمة عليه حين حكماها في شعرهما.

(11) معلقة علقمة الفحل بن عبدة التميمي

طحا بك قلب في الحسان طـروب … بعيد الشباب عصر حان مشـيب[2]

يكلفني ليلى، وقـد شـط وليهـا … وعادت عواد بيننـا وخطـوب[3]

(1) الواسل الطالب والراغب إلى الله، أي أرى الناس لا يعرفون ما هم فيه.

(2) طحا به قلبه: ذهب به كل مذهب، والطروب من الطرب، وهو خفة السرور والشوق إلى الشيء، وبعيد، تصغير: بعد. وحان المشيب: قرب أوانه، أي أضلك قلبك الطروب في حبك الحسان بعدما ذهب الشباب وقرب المشيب، والخطاب لنفسه، ثم التفت وتكلم عن نفسه فقال: يكلفني الخ.

(3) شط وليها: بعد عنك قر ا ودنوها؛ ومواصلتها. عادت: شغلت، وصرفت مقلوب عداه عن الأمر صرفه، والعوادي: جمع عادية، وهي الأمر الشاغل عن الشيء، والخطوب: جمع خطب وهو الأمر العظيم من حوادث الدهر.

منعمــةٌ، مــا يســتطاع كلامهــا ‏ ‏ ‏ على با ا من أن تــزار رقيــب[1]

إذا غاب عنها البعلُ لم تفش مــره ‏ ‏ ‏ وترضي إياب البعل حين يــؤوب[2]

فلا تعــدلي بــيني وبــين مغمــر ‏ ‏ ‏ سقتكِ روايا المزن حــين تصــوب[3]

سقاكِ يمان ذو حبــــي وعــارض ‏ ‏ ‏ تروح به جنح العشــي جنــوب[4]

وما أنت؟ أم مــا ذكرهــا ربعيــةً ‏ ‏ ‏ يخط لهــا مــن ثرمــداءَ قليــب[5]

فإنْ تســألوني بالنســاءِ فإننــــي ‏ ‏ ‏ بصــير بــأدواءِ النســاء طبيــب[6]

إذا شاب رأس المرءِ أو قــل مالُــه ‏ ‏ ‏ فليس لـــه مــن ودهِــن نصــيب

يردن ثراءَ المــال حيــثُ علمنــه ‏ ‏ ‏ وشرخ الشباب عنــدهن عجيــب[7]

فدعها! وسل الهم عنــك بجســرة ‏ ‏ ‏ كهمك فيهــا بــالرداف خبــب[8]

---

(1) منعمة: من النعيم فهي محجبة يعني بحراسة أهلها لها.

(2) لم تفش سره: كناية أ ا لم تخنه، ولذلك هي ترضي إيابه فلا يعجبها غيره، وإذا قرئ وترضى - بالضم- كان المعنى وتجعل إيابه رضيا حميدا بألا يشك في صو ا.

(3) فلا تعدلي: فلا تسوي والمغمر من الرجال. المحمق من الرجال الذي يستجهله الناس، سقتك إلخ يدعولها بأن تسقيها المزن الروية أي تروي حين تمطر، يريد أنه رجل عاقل نبيل ينبغي لها أن تحرص عليه ثم عاد إلى الدعاء لها فقال، سقاك إلخ.

(4) أي سقاك سحاب يمان يأتي من ناحية جنوبي نجد، أصله يمني خففوا ياء النسب، وزادوا الألف عوضا عنها، فعومل المنسوب معاملة المنقوص، الحبي السحاب المتراكم بعضه على بعض فيكون سيره بطيئًا كأنه يحبو، ويكون لذلك مطره غزيرا، والعارض: السحاب المعرض في الأفق، والجنوب: الريح الجنوبية.

(5) وما أنت: ما استفهامية للتعجب وأم للأضراب بمعنى بل، أي ما شأنك؟ بل ما الداعي لذكرك ليلى، وهي ربعية من ربعة، وأنت تميمي، وقد رحلت إلى بلادها حيث خط لها في ثرمداء قليب، والقليب: البئر وثرمداء: موضع، ثم أخذ يصف أخلاق النساء وطباعهن، فقال: فإن تسألوني إلخ.

(6) الأدواء جمع داء، أي بطباعهن المعيبة التي بمنــزلة الأمراض فيهن.

(7) الثراء: الكثرة أي يحبن من يعلمن عنده مالا، وشرخ الشباب: أوله، وعجيب: معجب.

(8) الجسرة الناقة القوية الماضية، وكهمك أي مثل همتك في المضاء والقوة، والرداف جمع ردبف والرديف والردف كل شيء يكون خلف الراكب، ولو حقائب. والخبيب: السير السريع.

إلى الحارث الوهاب أعملت ناقتي — بكلكلها والقصرين وجيب[1]

وقال أيضا علقمة الفحل بن عبدة التميمي:

والحمد لا يشترى إلا له ثمن — مما يضن به الأقوام معلوم[2]

والجود نافية للمال مهلكة — والبخل مبق لأهليه ومذموم[3]

والمالُ صوف قرار يلعبون به — على نقادته واف ومجلوم[4]

ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه — أنى توجه، والمحروم محروم[5]

والجهلُ ذو عرض لا يستراد له — والحلم آونةً في الناس معدوم[6]

ومن تعرض للغربان يزجرها — على سلامته - لا بد- مشئوم[7]

وكل حصن وإن طالت سلامته — على دعائمه - لا بد- مهدوم[8]

(1) والحارث الوهاب: يريد به الحارث ابن جبلة بن أبي شمر الغساني، وكان أسر أخاه شاسا فرحل إليه يطلب خلاصه وفكه وأعمل الناقة: وجهها وأجهدها، والكلكل: الصدر وما بين الترقوتين، وهو المناسب هنا. والقصربان: ضلعان يليان الترقوتين. والوجيب خفقان القلب أي أنه لشدة إجهادها في السير اشتد نبض قلبها. وبان ذلك في كلكها وقصريها لقرب القلب منها.

(2) يقول إن الحمد لا يشترى إلا بأثمان تضن بها النفوس، والحمد: الثناء والمدح.

(3) نافية أي مبيد ومهلك. والبخل إلخ: أي أن البخل يوفر المال وأهله مأمونون وأدخل الهاء في نافية للمبالغة مثل علامة ونسابه.

(4) القرار: النقد: وهي غنم صغار الأجرام قصار الواحدة نقدة، يلعبون به: أي يتداولونه ويعبثون به، واف: كثير، ومجلوم: مجزوم بالجلم أي المقص يريد أن منهم من يعطي القليل ومنهم من يعطي الكثير كما أن الصوف على النقد قليل وكثير. والنقادة: جمع لاسم الجمع.

(5) المعنى: أن الذي جعل الغنم له طعمة فسيطعمه في يوم الغنم أينما توجه. ومن حرمه فلن يناله فقضاء الله كائن لا محالة.

(6) ذو عرض لك: لا يستراد له أي لا يراد ولا يطلب فأنت لا تحبه ولا تريده، آونة أحيانا، ومفرده: أوان.

(7) المعنى أن من يزجر الطير وإن سلم فلا بد أن يصيبه شؤم: والغربان يتشاءم بها فمن تعرض لها يزجرها ويطردها خوفًا من أن يصيبه الشؤم فلا بد أن يقع ما يخاف ويحذر.

(8) يقول: كل حصن دامت سلامة أهليه فيه فلا بد أن يهلكوا ويخرب الحصن، ودعائمه: أركانه التي يقوم بها.

أمية بن أبي الصلت

هو أمية بن عبد الله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي شاعر خطير من أشراف ثقيف، وأحد الملتمسين للدين في الجاهلية، وأمه رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف.

منشؤه: نشأ بالطائف، وكان أبوه شاعرا مشهورا، وروى الكثير من أخبار اليهود والنصارى وما بقي في رءوس شيوخ الجاهلية من ملة إبراهيم وإسماعيل وحدث عن خلق السموات والأرض والملائكة والجن وشرائع الأنبياء والرسل، وخاض في التوحيد وأمر الآخرة، وتعبد ولبس المسوح، وحرم الخمر على نفسه وشك في الأوثان، ورأى في الكتب ما يبشر ببعثة نبي من العرب، فطمع أن يكونه؛ فلما بعث رسول الله ﷺ، كسف باله، وحمله الحسد والكمد أن ينابذه، ويكفر بدينه على علمه بصحته، ويحرض عليه قريشا، ويرثي قتلاهم في وقعة بدر، فنهى النبي ﷺ عن رواية شعره في ذلك، وروي أنه هو الذي نزلت فيه آية **واتلُ عليهم نبأ الذِي آتيناه آياتِنا فَانسلخ مِنها فَأتبعه الشيطانُ فَكَانَ مِن الْغاوِين** [الأعراف: 175] وكان عليه الصلاة والسلام إذا سمع شعره في التوحيد والإيمان والثناء على الله يقول: آمن لسانه، وكفر قلبه.

ومن آخر شعره ما قاله عند موته:

كل عـيش وإن تطـاول دهـرا ... منتـهى أمـره إلى أن يـزولا

ليـتني كنـت قبـلَ مـا بـدا لي ... في رؤوس الجبال أرعـى الوعـولا

فاجعل الموت نصب عينيك واحـذر ... غولة الدهر إن ذا الـدهر غـولا

واختص بأكثر مدائحه في الجاهلية (عبد الله بن جدعان أحد سراة قريش وأجوادها) حتى كان منه بمنزلة زهير مع هرم، وأقام بقية حياته بالطائف إلى أن مات كافرا سنة تسع للهجرة.

شعره: يعد أمية من أكبر شعراء القرى على قلة الشعر فيهم، غير أن الذي أزرى بشعره في نظر بعضهم كثرة استعماله للدخيل من العبرية والسريانية في شعره وكان أمية يسمي السماء: صاقورة، وحاقورة؛ ويزعم أن للقمر غلافًا يدخل فيه إذا خسف ويسميه الساهور ويسمي الله في شعره السلطيط، والتغرور، ونحو ذلك.

ويمتاز شعره ببعض السهولة في لفظه، وبذكره بعض العجائب من القصص الخيالية،

والأساطير الخرافية، وخلق العالم وفنائه، وأحوال الآخرة وصفات الخالق والخشوع لـه؛ ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء قبله، ويتخلل ذلك شيء من الحكم والأمثال، ومن شعره:

الحمد لله ممسـانا ومصبحنـا ... بالخير صبحنـا ربي ومسانـا
رب الحنيفـة لم تنفـد خزائنـه ... مملوءةٌ طبـق الآفـاق سـلطانا
ألا نبـي لنـا منـا فيخبرنـا ... مـا بعد غايتنا مـن رأس محيانـا
ولقد علمنا لو أن العلـم ينفعنـا ... أنْ سوف تلْحق أخرانـا بأولانـا

الرواية والرواة

قد علمنا مما تقدم أن عامة المروي من كلام العرب شعرها ونثرها وأخبارها معزو إلى أهل البدو الأميين، ولذلك لم يصل إلينا كتاب يجمع بين دفتيه الكثير منها، وما روي لنا من كلام فصحاء العرب ليس إلا النـزر اليسير بوجوه مختلفة، وبالطبع لا يحفظ هذه الوديعة إلا أهل الحفاظ عليها، والاعتداد ا وهم الشعراء والمتأدبون، فقد كان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الإيادي، وزهير راوية أوس بن حجر، والأعشى راوية المسيب بن علس.

واشتهر من قريش أربعة بأ م رواة الناس الأشعار وعلماؤهم بالأنساب، وهم مخرمة بن نوفل، وأبو الجهم بن حذيفة، وحويطب بن عبد العزى، وعقيل بن أبي طالب.

العصر الثاني، عصر صدر الإسلام، ويشمل بني أمية(1)

حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

كانت العرب أمما بدوية، ليس لها من وسائل العمران وأسباب الرخاء ما يحملها على تبحر في علم، أو تبصر في دين، أو تفنن في تجارة، أو زراعة، أو صناعة أو سياسة - وعلى وفق ذلك كانت اللغة العربية لا تعدو أغراض المعيشة البدوية، إلا أن روحا من الله تنسم بين أرجائها فأيقظتها من رقد ا ونبهتها لضرورة التعاون على الخير في معاشها ولغتها وجماعتها، فظهر ذلك بينا في الأسواق التجارية اللغوية الاجتماعية، وفي الإذعان فيها إلى حكومة الأشراف من قريش وتميم وغيرهما، مما هيأهم لأن يجتمعوا تحت لواء واحد، ويتفاهموا بلسان واحد، فكان ذلك إيذانا من الله بإظهار الإسلام فيهم، وما ألفت نفوسهم هذا النمط الجديد إلا وقد جاء النبي الكريم لاما لشعثهم، موحدا لكلمتهم مهذبا لطباعهم، مبينا طريق الحق، وجادة الصواب، بشريعة عظيمة فكان من نتيجة ذلك أن أسست لهم جامعة قومية ملية وملك كبير، وبالتفاف العرب حول صاحب هذه الدعوة وأنصاره، وتفهمهم شريعته وكلامه ثم خضوعهم بعد لزعامة قومه وخلفائه وولا م وفتوحهم تحت ألويتهم ممالك الأكاسرة والقياصرة وغيرها ومخالطتهم أهلها بالجوار والمصاهرة - حدث في حيا م الفكرية واللسانية ما يمكن إجماله في الأمور الآتية:

الأول: شيوع اللغة القرشية، ثم توحد لغات العرب وتمثلها جميعها في لغة قريش واندماج سائر اللهجات العربية فيها، وبعض أسباب هذا يرجع إلى ما قبل الإسلام بتأثير الأسواق والحج وحكومة قريش، وأكثرها يرجع إلى نزول القرآن بلغتهم وظهور ذلك الداعي العظيم منهم، وانتشار دينه وسلطانه على أيديهم.

وبحكم الضرورة تكون لغتهم هي الرسمية بين القبائل.

---

(1) خلفاء بني أمية هم:

1- معاوية بن أبي سفيان (60/41) 2- يزيد بن معاوية (64/60).
3- معاوية بن يزيد (64/64) 4- مروان بن الحكم (65/64).
5- عبد الملك بن مروان (86/65) 6- الوليد بن عبد الملك (96/86).
7- سليمان بن عبد الملك (99/96) 8- عمر بن عبد العزيز (101/99).
9- يزيد بن عبد الملك (105/101) 10- هشام بن عبد الملك (125/105).
11- الوليد بن يزيد بن عبد الملك (126/125). 12- يزيد بن الوليد الأول (126/126)
13- مروان الجعدي (132/127).

الثاني: انتشار اللغة العربية في ممالك الفرس والروم وغيرهما بالفتوح والمغازي وهجرة قبائل البدو إليها، واستيطا م لها، واختلاطهم بأهلها.

الثالث: اتساع أغراض اللغة بسلوكها منهجا دينيا، واتباعها خطة نظامية تقتضيها حال الملك وسكنى الحضر.

الرابع: ارتقاء المعاني والتصورات وتغيرات الألفاظ والأساليب.

الخامس: ظهور اللحن في الكلام بين المستعربين: من الموالي، وأبناء العرب من الفتيان، وبعض المكثرين من معاشرة الأعاجم.

ولما كان معظم هذه التغيرات يرجع إلى القرآن الكريم والحديث النبوي ناسب وصفهما بقليل من كثير مما ينبغي أن يقال فيهما.

القرآن الكريم وأثره في اللغة العربية(1)

القرآن كتاب أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير فيه آيات بينات، ودلائل واضحات، وأخبار صادقة، ومواعظ رائقة، وشرائع راقية، وآداب عالية بعبارات تأخذ

---

(1) اعلم أولا: أن إعجاز القرآن من جهة أغراضه ومقاصده: فتجده في كل غرض وموضوع غاية في الإبانة والجلا. و اية في الإصابة واطراد الأحكام؛ فمن تشريع خالد، و ذيب بارع، وتعليم جامع وأدب بالغ. وإرشاد شامل، وقصص ومواعظ ومثل سائر، وحكمة بالغة، ووعد وعيد وإخبار بمغيب، إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد. وقد كان فحول البلاغة لا يبرز أحدهم إلا في فن واحد من أنواع القول؛ فمن يبرع في الخطابة لا ينبغ في الشعر ومن يحسن الرجز لا يجيد القصيد ومن يستعظم منه الفخر لا يستعذب منه النسيب، ولأمر ما ضربوا المثل بامرئ القيس إذا ركب وزهير إذا رغب والأعشى إذا طرب والنابغة إذا رهب.

ثانيا: ومن جهة ألفاظه وأساليبه: فلا تجد منه إلا عذوبة في اللفظ، ودماثة في الأساليب وتجاذبا في التراكيب، ليس فيها وحشي متنافر، ولا سوقي مبتذل ولا تعبير عويص، ولا فواصل متعملة. على شيوع ذلك في كلام المفلقين وأهل الحيطة المتروين؛ حتى إنك لترى الجملة المقتبسة منه في كلام أفصح الفصحاء منهم تفرعه جمالا وتشمله نورا وتكسوه روعة وجلالة، إلى إجمال في خطاب الخاصة وتفصيل في تفهيم العامة وتكنية للعربي وتصريح للأعجمى وغير هذا مما يقصر عن إحصائه الإلمام ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام. ثالثًا: من جهة معانيه - فإنك تجدها من غير معين العرب الذي منه يستقون؛ لاطراد صدقها وقرب تناولها واطمئنان النفوس إليها وابتكارها البديع على غير مثال معهود، من حجج باهرة وبرهانات قاطعة وأحكام مسلمة وتشبيهات رائعة على تماذج وتواصل وبراءة من التقاطع والتدابر وهو في جملة نزهة النفوس وشفاء الصدور وهو الكتاب الخالد الذي لا تبديل لكلماته ولا ناسخ لأحكامه ولا ناقض: **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** .

بالألباب وأساليب ليس لأحد من البشر بالغا ما بلغ من الفصاحة والبلاغة أن يأتي بمثلها، أو يفكر في محاكا ا، فهو آية الله الدائمة، وحجته الخالدة: لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ت يل من حكيم حميد، أنزله الله على رسوله ليبلغه قومه وهم فحول البلاغة وأمراء الكلام، وأباة الضيم، وأرباب الأنفة والحمية، مبهرهم ببيانه، وأذهلهم افتنانه فاهتدى به من صح نظره، واستحصف عقله ولطف ذوقه، وصد عنه أهل العناد والمكابرة واللجاج، فتحداهم أن يأتوا بمثله فنكصوا، ثم بعشر سور مثله فعجزوا، ثم بسورة من مثله فانقطعوا، فحق عليهم إعجازه، قال تعالى: **قُل لئِنِ اجتمعتِ الإنس والْجِن على أن يأتوا بِمِثْل هذَا القُرآن لا يأتونَ بِمِثْلِهِ ولو كانَ بعضهم لِبعضٍ ظَهيرا** [الإسراء: 88].

وللقرآن فضل على اللغة فقد أثر فيها ما لم يؤثره أي كتاب، سماويا كان أو غير سماوي، في اللغة التي كان ا، إذ ضمن لها حياة طيبةً وعمرا طويلاً، وصا ا من كل ما يشوه خلقها ويذوي غضار ا، فأصبحت وهي اللغة الحية الخالدة من بين اللغات القديمة التي انطمست آثارها وصارت في عداد اللغات التاريخية الأثرية وأنه قد أحدث علوما جمة وفنونا شتى لولاه لم تخطر على قلب، ولم يخطها قلم منها: اللغة، والنحو والصرف، والاشتقاق، والمعاني، والبديع، والبيان، والأدب، والرسم، والقراءات، والتفسير، والأصول، والتوحيد، والفقه.

جمع القرآن وكتابته

قد نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ منجما على حسب الوقائع ومقتضيات الأحوال في بضع وعشرين سنة، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر كتاب وحيه بكتابه ما ينـزل، وتوفي رسول ﷺ والقرآن كله مكتوب، وفي صدور الصحابة محفوظ، وفي مدة الإمام عثمان كثرت الفتوحات وانتشر القراء في الأمصار، فأمر عثمان، زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوا تلك الصحف في مصحفٍ واحد مرتب السور، واقتصر فيه من جميع اللغات على لغة قريش لنـزوله بلغتهم.

صاحب الشريعة محمد رسول الله ﷺ

هو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي من أبناء إسماعيل بن إبراهيم الخليل أبي العرب المستعربة، ولد في (مكة) ونشأ ا يتيما، وربته أمه بنت

وهب بن عبد مناف، وأرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب من عرب البوادي، وماتت أمه وعمره ست سنين، فعاله جده عبد المطلب ثم مات جده بعد سنتين، فكفله عمه أبو طالب.

وعندما بلغ أشده تولى رعي الغنم بالبادية مع إخوته في الرضاع، وكذلك كانت الأنبياء عليهم السلام، فما من نبي إلا رعاها، وهذه من حكم الله سبحانه وتعالى؛ فإن الإنسان إذا استرعى الغنم وهي أضعف البهائم سكن قلبه الرفق والرحمة، فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان قد هذب نفسه، وخلصها من شوائب الخلق الغريزية كالحدة والحسد، ثم اشتغل ﵇ بالتجارة، وكان شريكه فيها السائب، وخرج إلى الشام يتجر لخديجة بنت خويلد من سراة بني أسد، وشرفت بعد ذلك خديجة بزواجه منها، فكان يعمل في مالها تاجرا.

صفاته: كان رسول الله ﷺ وسط القامة ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردد معتدل السمن، ضخم الرأس، عظيم الهامة، صلت الجبين، سهل الخدين، واسع العينين أسودهما، أزج الحاجبين سابغهما، أهدب الأشفار صبيح الوجه مدوره مستوي الأنف مفلج الأسنان، رجل الشعر حسنه، عريض الصدر، رحب الراحتين، سائل الأطراف، أزهر اللون، فلا بالآدم ولا بالشديد البياض.

وكان ﵇ أفصح قومه لسانا، وأرجحهم عقلاً، وأصحهم فهما، وأعظمهم أمانة، وخيرهم جواراً، وأصدقهم حديثاً، وأكثرهم اتصافاً بمكارم الأخلاق.

ولما بلغ الأربعين من عمره أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً إذ نزل عليه الوحي وهو قائم علي جبل (حراء) قريباً من (مكة) فأخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم يدعو لعبادة الله وحده أقواماً لا دين لهم إلا أن يسجدوا للأصنام، فآمنت به زوجته خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب وصديقه أبو بكر الصديق ومولاه زيد بن حارثة الكلبي، وحاضنته أم أيمن.

وجمع رسول الله عشيرته، وهم بنو هاشم، وبنو عبد المطلب، وبنو نوفل، وبنو عبد شمس أولاد عبد مناف وقال لهم:" إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلي الناس كافة" فقالوا له قولاً ليناً إلا عمه أبا لهب.

فلما جهر رسول الله بالدعوة إلى الإسلام بتوحيد الله ونبذ الأوثان سخرت منه(قريش) واستهزءوا به في مجالسهم وأضمروا له الحقد والعداوة وآذوه كثيراً، وكان أشدهم في ذلك أبو جهل عمرو بن هاشم بن المغيرة المخزومي القرشي.

ثم أسلم حمزة عم رسول الله وعمر بن الخطاب، فقوي بهما وأسلم بمكة نفر من ولد (الأوس والخزرج) وهما قبيلتان من أهل(المدينة) وعادوا إليها، فانتشر فيها الإسلام بهم، ووفد علي رسول الله جمع من أهلها يدعونه وأصحابه إلى الهجرة إليهم فهاجر، وبهجرته إلى المدينة ابتدأ التاريخ الهجري.

ولم يقاتل رسول الله أحداً على الدخول في الدين بل كان أمره مقصوراً علي التبشير والإنذار، فلما ازداد طغيان أهل مكة، وأخرجوا المسلمين من ديارهم، وائتمروا مع غيرهم من مشركي العرب على قتل رسول الله صلي الله عليه وسلم أذن الله سبحانه وتعالي بقتال المشركين كافة فكانت أول حرب بين رسول الله وبينهم في (غزوة بدر) وتلتها غزوات عدة كان النصر في أكثرها لرسول الله ولجماعته.

وبعث رسول الله رسله يدعون إلى الإسلام وهم دحية الكلبي إلى (هرقل) ملك الروم، وعبد الله بن حذافة إلى (كسرى) ملك الفرس، وشجاع الأسدي إلي(الحارث الغساني) ملك البلقاء بالشام، والحاطب بن أبي بلتعة إلى (المقوقس) أمير مصر، وسليط بن عمرو العامري إلى (هودة) صاحب اليمامة، وبعث عمرو بن أمية إلى النجاشي (أصحمة) ملك الحبشة فأسلم، وعمرو بن العاص إلى (جيفر) و(عبدا) ملكي عمان فأسلما، والعلاء بن عبد الله الحضرمي إلى (المنذر) ملك البحرين فأسلم، وخالد بن الوليد إلى (بني عبد المدان)، وعلي بن أبي طالب إلى (بني مذحج) في أرض (اليمن) فأسلموا، وأسلمت (همدان) وتابعها سائر أهل (اليمن) وملوك (حمير) ثم أقبلت بعد ذلك وفود العرب جميعاً علي رسول الله صلي الله عليه وسلم يبايعونه علي الإسلام.

وحج رسول الله فخطب في الناس خطبة الوداع وهي أكثر خطبه استيعاباً لأمور الدين والدنيا، وفي يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة توفي رسول الله بالمدينة وفيها دفن - وله من العمر 63سنه قمرية، وثلاثة أيام.

الحديث النبوي

كان رسول الله صلي الله عليه وسلم أفصح الناس وأبينهم وأحكمهم، وكانت حياته كلها هداية ونوراً، وأفعاله وأقواله جميعا مددا، يستمد منه الخلق سدادهم، وإرشادهم في معاشهم ومعادهم - ولهذا حرص المسلمون علي حفظ ذلك الأثر العظيم حرصاً لم توفق إلى مثله أمة في حفظ آثار رسولها - فجمعوا من كلامه، ووصف أفعاله وأحواله الأسفار

الضخام، ووعوا منها في صدورهم ما لا يدخل تحت حصر، وكلامه ﷺ منـزه عن اللغو والباطل، وإنما كان في توضيح قرآن، أو تقرير حكم، أو إرشاد إلى خير، أو تنفير من شر، أو في حكمة ينتفع الناس ا في دينهم ودنياهم، بعبارة هي في الفصاحة والبلاغة والإيجاز والبيان في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم، ولذلك كان تأثيرها في اللغة والأدب باله لة التالية لكلام الله تعالى.

النثر
لغة التخاطب ـ الخطابة ـ الكتابة

كانت لغة التخاطب في مبدإ الإسلام بين العرب الخلص والموالي النابتين فيهم هي العربية الفصيحة المعربة، وكانت لغة الموالي الطارئين عليهم تقرب من الفصيحة أو تبتعد عنها علي حسب طول لبثهم فيهم، أو قصر مقامهم عندهم، ولما فتح المسلمون الأمصار، وكثر عندهم سبي الأعاجم وأسرى الحروب، ودخل في الإسلام منهم ألوف الألوف، وأصبحوا هم إخواناً وشركاء في الدين وتم بينهم التزاوج والتناسل، نشأ للعرب ذرية اختلطت عليهم ملكة العربية، وكذلك كان الشأن في المتعربين من الأعاجم. أما العرب أنفسهم بعد الفتوح فكانت لغتهم في جزير م مثل ما كانت عليه في جاهليتهم، أما سكان الأمصار منهم وأولادهم من الحرائر، فالعامة منهم المخالطون للأعاجم لم تخل لغتهم من لحن أو هجنة، والخاصة منهم تشددوا في المحافظة في سلائقهم، وتحاموا التزوج بالأعجميات، وبالغوا في تربية أبنائهم، فكانوا يرسلو م إلى البادية ليرتاضوا علي الفصاحة، أو يحضرون لهم المؤدبين والمعلمين، كذلك كان يفعل خلفاء بني أمية وأمراؤهم اقتداء بكبيرهم (معاوية بن أبي سفيان) في تربية ابنه (يزيد) ومن لحن منهم عدوا ذلك عليه عاراً لا يمحي وسبة لا تزول، ومن هؤلاء اللحانين عبيد الله بن زياد، والوليد بن عبد الملك، وخالد القسري، مع أن بعضهم كان من أبلغ الناس وأبينهم.

ومن هنا يعلم السر في تسرع القوم إلى وضع النحو وتدوينه والشكل والإعجام.

الخطابة في هذا العصر والخطباء

لما كان مبدأ كل انقلاب عظيم في أي أمة: إما دعوة دينية وإما دعوة سياسية, كانت تلك الدعوة تستدعي ألسنة قوالة من أهلها لتأييدها ونشرها وألسنة من أعدائها وخصومها لإدحاضها والصد عنها: وذلك لا يكون إلا بمخاطبة الجماعات، كان ظهور الإسلام من أهم

الحوادث التي أنشطت الألسن من عقلها وأثارت الخطابة من مكمنها فوق ما كانت عليه في جاهليتها؛ فكان العمل الأكبر لصاحب الدعوة العظمي سيدنا (محمد) ﷺ بادئ آمره غير تبليغ القرآن وارداً من طريق الخطابة, ولأمر ما جعلها الشارع شعار كل الأمور ذوات البال, ولذلك كان دعاةُ النبي عليه الصلاة والسلام ورسله إلى الملوك وأُمراء جيوشه وسراياه ثم خلفاؤه من بعده وعمالهم كلهم خطباء مصاقع ولسنا مقاولَ, وأن الشرع صرفهم عن اللهو بالشعر الذي ينهض بأعباء الخطابة ولا سيما الدينية لشرحها الحقائق وقرعها الأسماع بالحجج العقلية والوجدانية, وترغيبها في الثواب وترهيبها من العقاب, بعبارات تفهمها الخاصة والعامة. وكان لهم من القرآن وأدلته وحججه والاقتباس منه مدد أيما مدد، ولما حدثت الفتنة بين المسلمين بعد مقتل عثمان, وافترقوا إلى عراقيين بزعامة علي، وشاميين بزعامة معاوية, ولكل منهم دعوة يؤيدها ورغبةٌ يناضل عنها في تلك الحرب الشعواء التي لم ينكب الإسلام بمثلها, ظهر من كلتا الطائفتين خطباء لا يحصى عددهم, ولا يشق غبارهم وعلى رأس العراقيين شيخ الخطباء الإمام (علي بن أبي طالب) وعلى رأس الشاميين (معاوية بن أبي سفيان)؛ ولم يعدم كل طائفة منها خطباء يؤيدون دعو ا بما أُوتوا من البلاغة في الخطابة والفصاحة والبيان.

والخطابة وصلت في هذا العصر إلى أرقى ما وصلت إليه من اللسان العربي, حتى ممن يعد عليهم اللحن؛ ولم تسعد العربية بكثرة خطباء ووفرة خطب مثل ما سعدت به في هذا الصدر الأول, إذ كان القوم ورؤساهم عربا خلصا يسمعون القول فيتبعون أحسنه.

ولم يخرج الخطباء عن مألوفهم من اعتجار العمامة, والاشتمال بالرّداء, واختصار المخصرة, والخطبة من قيام.

وليس في عصور أدب اللغة عصر أحفلُ بالخطباء من هذا العصر إذ كانت الخطابة فيه سلسةَ القياد على خلفائه وزعمائه, لفطر م العربية, ومحلهم من الفصاحة والبيان, وانطباعهم على أساليب القرآن واتساع مداركهم.

خطبة رسول الله ﷺ يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة, ثم قال:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له, صدق اللهُ وعده, ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده, ألا كل مأثَرةٍ أو دم أو مالٍ يدعى فهو تحت قَدمي هاتين, إلا سدانةَ البيت وسقاية الحاج, ألا

وقتيلُ الخطأ العمد بالسوط والعصا فيه الدية مغلظة فيها أربعون خلفة, وفي بطو ا أولادها. يا معشر قريش, إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء, الناس من آدم وآدم خلق من تراب، ثم تلا هذه الآية: **يا أيها الناس إنا خلقْناكُم من ذكَرٍ وأنثى وجعلْناكُم شعوبا وقبائلَ لتعارفُوا إن أكْرمكُم عِند اللهِ أتقَاكُم إن اللهَ عليم خبِير** [الحجرات: 13].

ومن خطبته في حجة الوداع

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ومن يهدي الله فلا مضل لــه ومن يضلل فلا هادي لــه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لــه وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير (أما بعد) أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم، فإني لا أدري لا لعلي ألقاكم بعد عامي هذا، في موقفي هذا. أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب وإن دماء الجاهلية موضوعة، وأن أول دمٍ أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد قود، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية، أيها الناس، إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

أيها الناس، إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة، فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن و تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسو ن بالمعروف، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا ن خيرا، ألا هل بلغت اللهم اشهد! أيها الناس إنما المؤمنون إخوة، فلا تحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه؛ ألا هل بلغت ... اللهم اشهد! فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده؛ كتاب الله وسنتي .. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ... ألا هل

بلغت؟ اللهم اشهد! قالوا: نعم! قال: فليبلغ الشاهد الغائب، والسلام عليكم ورحمة الله.

ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام:

((**إن مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا، فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله تعالى به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**)).

((**إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش، وهذه الدواب التي تقع في النار فيها، فجعل ينـزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقتحمون فيها**)).

((**أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**)).

((**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب**)).

((**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى لـه سائر الأعضاء بالسهر والحمى**)).

أبو بكر الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه

هو أبو بكر عبد الله بن عتيق بن أبي قحافة عثمان صاحب رسول الله ﷺ، وأول الخلفاء الراشدين، ويجتمع نسبه مع نسب رسول الله ﷺ في مرة بن كعب.

ولد بعد مولد رسول الله بسنتين وبضعة أشهر، ونشأ من أكرم قريش خلقًا وأرجحهم حلما وأشدهم عفة، وكان أعلمهم بالأنساب وأيام العرب ومفاخرهم.

صحب رسول الله قبل النبوة، وكان أول من آمن به من الرجال وصدقه في كل ما جاء به: ولذلك سمي "الصديق" وهاجر معه إلى المدينة، وشهد معه أكثر الغزوات، وما زال ينفق ماله وقوته في معاضدته، حتى انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

واختلفت العرب وارتدت عن الإسلام، فجرد عليهم الجيوش حتى قمعهم، وما مات إلا وجيوشه تهزم جيوش الفرس والروم، وتستولي على مدائنهم وحصونهم، وكانت وفاته عام ثلاثة عشر من الهجرة، ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشر ليال.

وكان فصيحا بليغا خطيبا مفوها قوي الحجة شديد التأثير، يشهد بذلك خطبته يوم السقيفة، وذلك أنه لما مات رسول الله ﷺ اختلفت الصحابة فيمن يبايعونه خليفة لـه

عليهم، فأبت الأنصار إلا أن يكون الخليفة منهم، وأبى المهاجرون من قريش إلا أن يكون منهم، واشتد النـزاع حتى كادت تقع الفتنة، فخطبهم خطبة لم يلبث الجميع بعدها أن بايعوه (خليفة)، وهي:

حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس نحن المهاجرون، وأول الناس إسلاما وأكرمهم أحسابا، وأوسطهم دارا وأحسنهم وجوها، وأكثر الناس ولادةً في العرب، وأمسهم رحما برسول الله ﷺ. أسلمنا قبلكم، وقدمنا في القرآن عليكم، فقال تبارك وتعالى: **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ** [التوبة: 100] فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار: إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفيء، وأنصارنا على العدو، آويتم وواسيتم، فجزاكم الله خيرا، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله.

وخطب أيضا حين بايع الناس البيعة العامة:

حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق لـه، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وخطب أيضا الناس، فقال: بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ:

أوصيكم بتقوى الله، والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم، وهداكم به، فإن جوامع هدي الإسلام بعد كلمة الإخلاص السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم؛ فإنه من يطع الله وأولي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فقد أفلح وأدى الذي عليه من الحق وإياكم واتباع الهوى، فقد أفلح من حفظ من الهوى والطمع والغضب. وإياكم والفخر! وما فخر من خلق من تراب ثم إلى التراب يعود، ثم يأكله الدود، ثم هو اليوم حي وغدا ميت؟! فاعملوا يوما بيومٍ، وساعة بساعةٍ وتواقوا دعاء المظلوم، وعدوا أنفسكم في الموتى واصبروا فإن العمل كله بالصبر واحذروا، والحذر ينفع، واعملوا، والعمل يقبل، واحذروا ما حذركم الله من عذابه، وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته وافهموا وتفهموا، واتقوا وتوقوا، فإن الله قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم وما نجى به من نجى قبلكم قد بين لكم في كتابه حلاله وحرامه، وما يحب من الأعمال، وما يكره فإني لا آلوكم ونفسي. والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا

بالله، واعلموا أنكم ما أخلصتم لله من أعمالكم، فربكم أطعتم وحظكم حفظتم واغتبطتم، وما تطوعتم به لدينكم فاجعلوه نوافل بين أيديكم تستوفوا سلفكم وتعطوا جرايتكم حين فقركم وحاجتكم إليها ثم تفكروا عباد الله في إخوانكم وصحابتكم الذين مضوا، قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه وحلوا في الشقاء أو السعادة فيما بعد الموت؛ أن الله ليس لـه شريك، وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرا ولا يصرف عنه سوءًا إلا بطاعته واتباع أمره، فإنه لا خير في خيرٍ بعده النار، ولا شر في شرٍ بعده الجنة.

من حكم سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

(1) صنائع المعروف تقي مصارع السوء.
(2) ليست مع العزاء مصيبة، ولا مع الجزع فائدة.
(3) ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي، والنكث، والمكر.
(4) كثير القول ينسي بعضه بعضا، وإنما لك ما وعي عنك.
(5) أصلح نفسك يصلح لك الناس.

سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب القرشي، ثاني خليفة لرسول الله ﷺ، وأول من تسمى من الخلفاء (بأمير المؤمنين) وأول من أرخ بالتاريخ الهجري، ومصر الأمصار، ودون الدواوين.

ولد رضي الله عنه بعد مولد النبي ﷺ بثلاث عشرة سنةً، حضر مع رسول الله الغزوات كلها ثم لما قبض أعان أبو بكر على تولية الخلافة، ولما أحس أبو بكر بالموت عهد ا إليه، فقام بأعبائها خير قيام، وأتم جميع ما شرع فيه أبو بكر: من فتح ممالك كسرى وقيصر.

وقتله غيلة الغلام الشقي أبو لؤلؤة ا وسي، عبد المغيرة بن شعبة، لأنه لم ينصفه على زعيمه في تخفيض ما يدفعه لسيده من أجرة عمله. وكان قتله سنة 23هـ.

ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام. وكان رضي الله عنه من أبين الناس منطقًا، وأبلغهم عبارة، وأكثرهم صوابا وحكمة، وأرواهم للشعر وأنقدهم لـه.

ومن خُطبه خُطبتُه إذ ولي الخلافة

صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس، إني داع فأمنوا: اللهم إني غليظ فليني لأهل طاعتك بموافقة الحق، ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم، اللهم إني شحيح فسخني في نوائب المعروف قصدا من غير سرف ولا تبذير، ولا رياء ولا سمعة، واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار، الآخرة اللهم ارزقني خفض الجناح، ولين الجانب للمؤمنين، اللهم إني كثير الفعلة والنسيان فألهمني ذكرك على كل حال، وذكر الموت في كل حين، اللهم إني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها، والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك. اللهم ثبتني باليقين، والبر والتقوى، وذكر المقام بين يديك، والحياء منك وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني، والمحاسبة لنفسي، وإصلاح الساعات، والحذر من الشبهات. اللهم ارزقني التفكر والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك والفهم لـه والمعرفة بمعانية، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت، إنك على كل شيء قدير.

ومن خطبه في ذمّ الدنيا

إنما الدنيا أمر مخترم، وأجل منقض، وبلاغ إلى دار غيرها، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج، فرحم الله امرءًا فكر في أمره، ونصح لنفسه، وراقب ربه، واستقال ذنبه، بئس الجار الغني يأخذك بما لا يعطيك من نفسه، فإن أبيت لم يعذرك، وإياكم والبطنة فإ ا مكسلة عن الصلاة ومفسدة للجسم، ومؤدية إلى السقم، وعليكم بالقصد في قوتكم، فهو أبعد من السرف، وأصح للبدن، وأقوى على العبادة، وإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

ومن حكم سيدنا عمر بن الخطاب

(1) من كتم سره كان الخيار في يده.
(2) أشقى الولاة من شقيت به رعيته.
(3) لا يكن حبك كلفًا ولا بغضك تلفًا.
(4) من لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه.
(5) أعقل الناس أعذرهم للناس.

(6) لا تؤخر عمل يومك إلى غدك.
(7) أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها.
(8) من يئس من شيء استغنى عنه.

ومن خطبته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري

"أما بعد" فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ لـه، آس[1] بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك[2]، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حرما أو حرم حلالا، لا يمنعنك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك، وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، الفهم الفهم فيما تلجلج[3] في صدرك، مما ليس في كتاب ولا سنة[4] ثم اعرف الأشياء والأمثال، فقس الأمور عند ذلك، واعمد إلى أقر ا إلى الله، وأشبهها بالحق، واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينةً أمدا ينتهي إليهن، فإذا أحضر بينته أخذت لـه بحقه، وإلا استحقت عليه القضية، فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى. المسلمون عدول بعضهم على بعضٍ إلا مجلودا في حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاءٍ أو نسب[5]، فإن الله تولى منكم السرائر، ودرأ بالبينات والأيمان[6]، وإياك والقلق والضجر[7] والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات، فإن الحق في مواطن الحق يعظم الأجر، ويحسن به الذخر، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلق[8] للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله[1] فما ظنك بثواب غير الله عز

(1) آس بين الناس: سو بينهم.
(2) الحيف: الميل أي ميلك معه لشرفه.
(3) تلجلج: تردد حتى كان موقع حيرة.
(4) الكتاب: القرآن الكريم، والسنة ما أثر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير.
(5) ظنين: متهم أي ينتسب إلى غير أبيه أو يدعى إلى غير مواليه، فليس أهلاً للشهادة.
(6) درأ: دفع، يريد منه الحدود.
(7) القلق والضجر ضيق الصدر وقلة الصبر.
(8) أي ظهر للناس في خلقه خلاف نيته.

وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام(2).

عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه

هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان القرشي الأموي، ثالث الخلفاء الراشدين وموحد نسخ القرآن المبين، ولد في السنة السادسة من مولد النبي ﷺ وآمن في السابقين الأولين وبذل المال الكثير في تأييد الإسلام ومعونة ا اهدين وشهد مغازي رسول الله كلها إلا بدرا، وقد كان عمر قبل وفاته عهد بالخلافة إلى ستة هو منهم، تنتخب الأمة أحدهم خليفة، فانتخبوا بالشورى عثمان، فأكمل مغازي عمر، ثم ثار عليه بعض الأعراب بحجة أنه يؤثر أقرباءه بولاية الأقاليم، فحاصروه في داره بالمدينة وقتلوه وهو يتلو القرآن الكريم سنة 35هـ، فكان قتله سبب التفرق بين المسلمين، ومدة خلافته اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوما.

وكان رحمه الله من بلغاء الخطباء، وأوجزهم لفظًا، وأجزلهم معنى، وأسهلهم عبارة، ومن خطبه بعد أن بويع، وهي بعد الحمد والثناء:

أما بعد، فإني قد حملت وقد قبلت، ألا وإني متبع ولست بمبتدع، ألا وإن لكم علي بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ ثلاثًا: اتباع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم، وسن سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملأ، والكف إلا فيما استوجبتم، ألا وإن الدنيا خضرة قد شهيت إلى الناس ومال إليها كثير منهم، فلا تركنوا إلى الدنيا، ولا تثقوا ا، فإ ا ليست بثقة، واعلموا أ ا غير تاركة إلا من تركها.

ومن خطبه أيضا وهي آخر خطبةٍ خطبها:

أما بعد، فإن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا ا الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها، الدنيا تفنى والآخرة تبقى، فلا تبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية، فآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة، وإن المصير إلى الله، اتقوا الله عز وجل فإن تقواه جنة من بأسه، ووسيلة عنده واحذروا من الله الغير، والزموا جماعتكم، ولا تصيروا أحزابا: **واذْكُروا نِعمت اللهِ عليْكُم إذْ كُنتم أعداءً فَألف بين قُلوبكُم فَأصبحتم بِنعمتِهِ إخوانا**

=

(1) شانه ضد زانه والمراد قبحه وأظهر نفاقه.

(2) يريد مذا يكون ثواب الناس بجائي رزق الله في الدنيا ورحمته في الآخرة.

[آل عمران: 103].

من حكم سيدنا عثمان

(1) ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن.
(2) أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال.
(3) يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك.

الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب، وابن عم رسول الله، وزوج ابنته، ورابع الخلفاء الراشدين، ولد رحمه الله بعد مولد النبي ﷺ باثنين وثلاثين سنة، وهو أول من آمن به الصبيان، وكان شجاعا لا يشق لـه غبار، شهد الغزوات كلها مع النبي إلا غزوة تبوك، وأبلى في نصرة رسول الله ما لم يبله أحد، ولما قتل عثمان بايعه الناس بالحجاز. وامتنع عن بيعته معاوية، وأهل الشام شيعة أمية، غضبا منهم لمقتل عثمان، وقلة عناية (الإمام علي) بالبحث عن معرفة القتلة على حسب اعتقادهم، فحدث من جراء ذلك الفتنة العظمى بين المسلمين وافتراقهم إلى طائفتين، فتحاربوا مدة من غير أن يستتب الأمر لعلي أو معاوية حتى قتل أحد الخوارج الإمام عليا غيلة بمسجد الكوفة سنة 40هـ.

وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر.

وكان رحمه الله أفصح الناس بعد رسول الله وأكثرهم علما وزهدا، وشدة في الحق، وهو إمام الخطباء من العرب على الإطلاق بعد رسول الله ﷺ وخطبه كثيرة، منها خطبته - كرم الله وجهه - بعد التحكيم، وهي:

الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدث الجلل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، ليس معه إله غيره وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم "أما بعد" فإن معصية الناصح الشفيق، العالم المجرب تورث الحيرة وتعقب الندامة، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة[1] أمري ونخلت لكم مخزون رأيي، (لو كان يطاع لقصير أمر)[2] فأبيتم علي إباء المخالفين الجفاة المنابذين العصاة، حتى ارتاب الناصح بنصحه، وضن

---

(1) أي حكومة الحكمين عمرو بن العاص، وأبي موسى الأشعري.
(2) هو مولى جذيمة الأبرش وكان حاذقًا وكان قد أشار على سيده جذيمة أن لا يأمن الزباء ملكة الجزيرة =

الزند بقدحه، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتهم أمــري بمنعــرج اللــوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغــدِ[1]

ومن خطبة لـه حين خاطبه العباس وأبو ستيان في أن يبايعا لـه بالخلافة: أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا عن تيجان المفاخرة. أفلح من ض بجناح، أو استسلم فأراح، هذا ماء آجن، ولقمة غص ا آكلها، ومجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه، فإن أقل يقولوا حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت، هيهات بعد اللتيا والتي، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه، بل اندمجت على مكنون علم، لو بحت به لاضطربتم الأرشية في الطوي البعيدة.

من حكم سيدنا علي كرم الله وجهه

(1) روي الشيخ خير من مشهد الغلام.

(2) الناس أعداء ما جهلوا.

(3) الناس من خوف الذل في الذل.

(4) الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو.

(5) إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدوة عليه.

(6) قيمة كل امرئ ما يحسن.

(7) المرء مخبوء تحت لسانه.

=

فخالفه وقصدها إجابة لدعو ا في قبولها زواجه فقتلته فقال قصير (لو كان يطاع لقصير أمر) فذهبت مثلاً.

(1) البيت لدريد من قصيدته التي مطلعها:

أرث جديد الحَبل مِن أم معبدٍ بِعاقِبةٍ وأخلفَت كُل موعِدِ

وهو: دريد بن الصمة الجشمي البكري، من هوازن (توفي 8 هـ/629 م) شجاع من الأبطال الشعراء المعمرين في الجاهلية، ، أدرك الإسلام ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين.

(8) استغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره
(9) خير أموالك ما كفاك وخير إخونك من واساك.
(10) الناس بزما م أشبه منهم بآبائهم.
(11) ما هلك امرؤ عرف قدره.
(12) من عذب لسانه كثر إخوانه.
(13) شر مال البخيل بحادث أو وارث.
(14) بالبر يستعد الحر.
(15) إعادة الاعتذار تذكير للذنب.
(16) إذا تم العقل نقص الكلام.
(17) من أكثر فكره في العواقب لم يشجع.
(18) الشرف بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب.
(19) أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع.
(20) قلب الأحمق وراء لسانه، ولسان العاقل وراء قلبه.
(21) يعيش البخيل في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء.
(22) الولايات مضامير الرجال.
(23) الناس أبناء الدنيا، ولا يلام الرجل على حب أمه.
(24) من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.
(25) الحرمان خير من الامتنان.

سحبان وائل

هو سحبان بن زفر بن إياد الزائلي، الخطيب المصقع المضروب به المثل في البلاغة والبيان نشأ في الجاهلية بين قبيلة وائل، ولما ظهر الإسلام أسلم وتقلبت به الأحوال حتى التحق بمعاوية فكان يعده للملمات، ويتوكأ عليه عند المفاخرة.

قدم على معاوية وفد فطلب سحبان ليتكلم، فقال: أحضروا لي عصا، قالوا: وما تصنع ا وأنت بحضرة أمير المؤمنين؟ قال: ما كان يصنع ا موسى وهو يخاطب ربه، فضحك معاوية وأمر لـه بإحضارها، ثم خطب من صلاة الظهر إلى أن حانت صلاة العصر، ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا تلكأ ولا ابتدأ في معنى وخرج منه، وقد بقي منه شيء، فما زالت تلك حاله حتى دهش منه الحاضرون، فقال معاوية: أنت أخطب العرب، قال سحبان: والعجم والجن والإنس. وكان سحبان إذا خطب يسيل عرقًا، ومات في خلافة معاوية سنة 54هـ ومما يؤثر من خطبه قوله:

إن الدنيا دار بلاغ، والآخرة دار قرار، أيها الناس، فخذوا من دار ممركم لدار مقركم، ولا تكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم، قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها حييتم، ولغيرها خلقتم.

إن الرجل إذا هلك، قال الناس: ما ترك؟ وقال الملائكة: ما قدم؟ قدموا بعضا يكن لكم، ولا تخلفوا كلا يكن عليكم.

زياد بن أبيه

هو أحد دهاة العرب وساستها وخطبائها وقاد ا.

منشؤه: كان للحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب أمة تسمى سمية، قد قر ا بعبد لـه رومي يدعى عبيدا فولدت لـه سمية زيادا هذا (في السنة الأولى من الهجرة) فنشأ غلاما فصيحا شجاعا، فما افتتحت العرب الممالك والأمصار حتى عرف منه ذلك، فاستكتبه أبو موسى الأشعري والي البصرة من قبل عمر، فأظهر من المهارة ما جمع القلوب على حبه.

ولما ولي أمير المؤمنين (علي) الخلافة اضطربت عليه فارس فسار إليها زياد بجمع كثير، وتمكن بخداعه من إيقاع الشقاق بين رؤساء المشاغبين، وما زال يضرب بعضهم ببعض حتى سكنت ثائر م، وبقي يتولى لعلي الأعمال حتى قتل (علي) فخافه معاوية، فأرسل لـه المغيرة بن شعبة يستقدمه، فقدم عليه فادعاه أخا له واستلحقه بنسب أبيه أبي سفيان، وصار يسمى زياد بن أبي سفيان، بدل زياد بن عبيد، أو ابن سمية، أو ابن أبيه.

وولاه معاوية العراقين، وهو أول من جمع لـه بينهما، فسار في الناس سيرة لم ا الشعث، وأقام المعوج، وكبح الفتنة، واشتط في العقوبة، وأخذ بالظنة، وعاقب على الشبهة، حتى شمل خوفه جميع الناس فأمن بعضهم بعضا، وكان الشيء يسقط من يد الرجل أو المرأة فلا يعرض لـه أحد، حتى يأتي صاحبه فيأخذه، بل كان لا يغلق أحد بابه، وكان زياد يقول: (لو ضاع حبل بيني وبين خراسان لعرفت آخذه) وكان مكتوبا في مجلسه عنوان سياسته وهي (الشدة في غير عنف واللين في غير ضعف، المحسن يجازى بإحسانه، والمسيء يعاقب بإساءته) وتوفي بالكوفة في رمضان سنة 53هـ.

ومن خطبه البليغة البتراء[1] حين قدم إلى البصرة واليا لمعاوية وهي:

أما بعد: فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والغي الموفي بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم، من الأمور العظام التي ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير، كأنكم لم تقرءوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمدي الذي لا يزول. أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا، وسدت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه، من ترككم الضعيف يقهر، والضعيفة المسلوبة في النهار لا تنصر، والعدد غير قليل، والجمع غير مفترق، ألم يكن منكم اة يمنعون الغواة عن دلج الليل وغارة النهار! قربتم القرابة، وباعدتم الدين، تعتذرون بغير العذر، وتغضون على النكر، كل امرئ منكم يرد عنه سفيهه، صنع من لا يخاف عقابا ولا يرجو معادا، فلم يزل م ما ترون من قيامكم دو م، حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب.

حرام علي الطعام والشراب حتى أضع هذه المواخير بالأرض هدما وإحراقًا. إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح أوله: "لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف" وإني لأقسم بالله - لآخذن الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمطيع بالعاصي، حتى يلقى الرجل أخاه فيقول: "انج سعد فقد هلك سعيد" أو تستقيم لي قناتكم، إن كذبة الأمير بلقاء مشهورة، فإذا تعلقتم علي بكذبة، فقد حلت لكم معصيتي، وقد كان بيني وبين قوم إحن فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي، إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم

(1) التي لم يحمد الله فيها.

أكشف لـه قناعا، ولم أهتك لـه سترا، حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل ذلك لم أناظره فاستأنفوا أموركم، وأعينوا على أنفسكم فرب مبتئس بقدومنا سيسر، ومسرور بقدومنا سيبتئس.

أيها الناس: إنا قد أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا.

الحجاج الثقفي

هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، أحد جبابرة العرب وساستها، وموطد ملك بني أمية، وأحد البلغاء والخطباء المصاقع، ولد سنة 41هـ وشب في خلافة معاوية.

وخدم الحجاج بولاية عبد الملك بن مروان، وابنه الوليد، حتى كان ملكه ما بين الشام والصين، ومات سنة 95هـ في مدينة واسط بالعراق.

كان الحجاج آية في البلاغة وفصاحة اللسان وقوة الحجة وشجاعا داهية عنيفًا، قال الأصمعي: أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل: الشعبـي وعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف، وابن القرية، وكان الحجاج أفصحهم، ومن مآثره اهتمامه بوضع النقط والشكل للمصحف وغيره، ونسخه عدة مصاحف من مصاحف عثمان وإرسالها إلى بقية الأمصار، ومن خطبه المشهورة خطبته لما قدم أميرا على العراق فإنه دخل المسجد - معتما بعمامة قد غطى ا أكثر وجهه، متقلدا سيفًا، متنكبا قوسا - يؤم المنبر، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض: قبح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق.

فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه، و ض فقال:

أنـا ابن جلا وطـلاّع الثنايـا متى **أضـع العِمامـة تعرفـوني**[1]

يا أهل الكوفة، إني لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها، وكأني أنظر

(1) البيت مطلع أشهر قصيدة لسحيم، وهو: سحيم بن وثيل بن عمرو الرياحي اليربوي الحنظلي التميمي (40 قبل الهجرة-60هـ/ 583-680 م) شاعر مخضرم، عاش في الجاهلية والإسلام، وناهز عمره المائة، كان شريفاً في قومه نابه الذكر.

إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى، ثم قال:

هذا أوانُ الشـد فاشـتدي زيـم فدلفها الليـلُ بسـواقٍ حطـمَ

ليس براعـي إبـلٍ ولا غَـنم ولا بجـزار على ظهـر وضـم

ثم قال:

قـد لفّهـا الليـل بعصلبـي أروع خـراج مـن الـدوي

مهـاجر ليس بأعـرابي

وقال:

قد شمرت عـن سـاقها فشـدوا وجدت الحَـرب بكـم فجـدوا

والقَـوس فيهـا وتـر عـرد مثـلُ ذراع البكْـر أو أشـد

لا بـد مما ليس منه بـد

إني والله يا أهل العراق ما يقعقع لي بالشنان، ولا يغمز جانبي كتغماز التين، ولقد فررت عن ذكاء، وفتشت عن تجربة، وإن أمير المؤمنين (أطال الله بقاءه) نثر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها، فوجدني أمرها عودا، وأصلبها مكسرا فرماكم بي لأنكم طالما أرضعتم في الفتنة، وأضجعتم في مراقد الضلال، لأحزمنكم حزم السلمة[1]، ولأضربنكم ضرب غرائب[2] الإبل، فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، وإني والله ما أقول إلا وفيت ولا أهم إلا أمضيت، ولا أخلق[3] إلا فريت[4].

وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب[5] بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا

(1) نوع من الشجر وذلك لأن الأشجار تعصب أغصانها تختبط بالعصي لسقوط الورق وهشيم العيدان.

(2) وهي تضرب عند الهرب وعند الخلاط وعند الحوض أشد الضرب.

(3) أقدر.

(4) قطعت.

(5) هو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي البصري قائد قواد الأمويين ومبيد الخوارج ومبتدع الركب الجديد.

ضربت عنقه.

طارق بن زياد

هو أحد قواد جيوش الوليد بن عبد الملك، وكان خطيبا مصقعا، وبطلاً مقداما بعيد الهمة، يعشق ا ـد، وتصبو نفسه إلى الفتوحات، خرج من المغرب سنة 92هـ باثني عشر ألف جندي من مواطنيه، يقلهم أسطول قوي، قد جهز لذلك وعبر البحر إلى أسبانيا لفتحها، فلما علم (رودريك) ملكها بقدوم المسلمين إلى بلاده قابلهم بجيش عظيم، هالت طارقًا كثرة عدده وكمال عدده، فبادر طارق وأحرق أسطوله ليقطع أمل أصحابه في الرجوع، وقال لهم: "أيها الناس إلخ" فاندفعوا على الأسبان اندفاع اليائس، وهزموهم شر هزيمة، ثم والى طارق فتوحاته في أسبانيا حتى قبض على (رودريك) آخر ملوك الفيزيغوط ا، وقتله سنة 94هـ، وبعد ذلك بسنة استقدمه الوليد إلى دمشق إلى أن مات سنة 101هـ، وها هي خطبته البليغة:

أيها الناس، أين المفر، البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام، في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه، وأسلحته وقواته موفورة، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم، ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت ريحكم، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت، وإني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجو ولا حملتكم على خطةٍ متاع فيها النفوس أربأ فيها بنفسي، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألذ طويلاً، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي، فيما حظكم فيه أوفر من حظي، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميقة، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عزبانا، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا، ثقة منه بارتياحكم للطعان وإسماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان، ليكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم، والله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين؛ واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه، وإني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم "لذريق" فقاتله إن شاء الله تعالى فاحملوا معي، فإن هلكت بعده فقد كفيتم أمره، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه، وإن هلكت قبل وصولي، فاخلفوني في عزيمتي هذه،

واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله، فإ م بعده يخذلون.

الكتابة: خطية، وإنشائية

الكتابة الخطية: كان الخط في مبدأ ظهور الإسلام هو الخط الأنباري الحيري المسمى بعد انتقاله إلى الحجاز بالحجازي، وهو أصل النسخ، وكان يكتب به النـزر اليسير من العرب عامة وبضعة عشر من قريش خاصة، فلما انتصر النبي ﷺ على قريش في يوم بدر، وأسر منهم جماعة كان فيهم بعض الكتاب، فقبل الفداء من أميهم، وفادى الكاتب منهم بتعليم عشرة من صبيان المدينة، فانتشرت الكتابة بين المسلمين، وحض ﷺ على تعلمها؛ ومن أشهر كتاب الصحابة: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام) ولما فتح المسلمون الممالك ونزلت جمهرة الكتاب منهم الكوفة عنوا بتجويد الخط العربي وهندسة أشكاله حتى صار خط أهل الكوفة ممتازا بشكله عن الخط الحجازي، واستحق أن يسمى باسم خاص وهو (الكوفي) وبه كانت تكتب المصاحف، وحلى القصور والمساجد وسك النقود.

وكان الصحابة وتابعوهم من بني أمية يكتبون بلا إعجام ولا شكل إلا قليلاً اعتمادا منهم على معرفة المكتوب إليهم باللغة، واكتفائهم بالرمز القليل في قراءة اللفظ، فلما فسد اللسان باختلاط العرب بالعجم، وظهر اللحن والتحريف في الألسنة، أشفق المسلمون على تحريف كلم الكتاب الكريم فوضع أبو الأسود الدؤلي علامات في المصاحف "بصبغ مخالف" فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحروف، والكسرة نقطة أسفله، والضمة نقطة من الجهة اليسرى، وجعل التنوين نقطتين؛ وكان ذلك في خلافة معـاوية رضي الله عنه.

ووضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر الحجاج نقط الإعجام بنفس المداد الذي يكتب به الكلام، حتى لا يختلط بنقط أستاذهما أبي الأسود، وكان ذلك في خلافة عبدالملك بن مروان، ثم شاع في الناس بعد.

الكتابة الإشائية قسمان: كتابة رسائل ودواوين، وكتابة تدوين وتصنيف.

كتابة الرسائل والدواوين

كان زعماء العرب ونصحاؤهم كلهم كتابا، ينشئون بملكتهم، ولو لم يخطوا بيمينهم، فكان النبي وأصحابه وخلفاؤه يملون كتبهم على كتا م بعبار م، وبعضهم يكتبها بيده، ولما

اتسعت موارد الخلافة أصبحت في حاجة إلى إنشاء الدواوين لضبط ذلك، فكان "عمر" أول من دون الدواوين، وكان كتاب الرسائل للخلفاء وعمالهم إما عربا أو موالي يجيدون العربية؛ أما كتاب الخراج ونحوه فكانوا في كل إقليم من أهله يكتبون بلغتهم، ولما نبغ من العرب من يحسن عملهم حولت هذه الدواوين إلى العربية زمن عبدالملك بن مروان، والوليد ابنه، وجرى خلفاء بني أمية في كتابة الرسائل على ما كان عليه الأمر زمن الخلفاء الراشدين.

ثم لما اتسعت رقعة المملكة، وقرت أمور الدولة، وازدادت الأعمال، وشغل الخلفاء على أن يلوا الكتابة بأنفسهم، أو بخاصة عشير م عهدوا ا إلى كبار كتا م حتى انتشرت وصارت صناعة محكمة، وكان كثير منهم يعرف اللغة الرومية أو الفارسية أو اليونانية أو السريانية، وهي لغات أمم ذات حضارة وعلوم ونظام ورسوم.

ومن هؤلاء: سالم مولى هشام بن عبد الملك، أحد الواضعين لنظام الرسائل وأستاذ (عبد الحميد الكاتب) الذي آلت إليه زعامة الكتابة آخر الدولة الأموية.

مميزات الكتابة الإنشائية

وتمتاز الكتابة في هذا العصر بالميزات الآتية:

(1) الاقتصار في أغراضها على القدر الضروري لدولة عربية، والاقتصار في معناها على الإلمام بالحقائق، وتوضيحها بلا مبالغة، ولا ويل، واستعمال الألفاظ الفحلة والعبارة الجزلة والأساليب البليغة، إذ كان الكاتب والمكتوب إليه عربا فصحاء.

(2) مراعاة الإيجاز غالبا إلا حيث يستدعي الحال الإسهاب، وبقي الأمر على ذلك، حتى جاء عبدالحميد الكاتب آخر الدولة الأموية، فأسهب في الرسائل وأطال التحميدات في أولها، وسلك طريقه من أتى بعده.

الكتـاب

كتاب هذا العصر كثيرون، فقد كان الخلفاء والأمراء والقواد كلهم كتابا بلغاء ولما صارت الكتابة صناعة، تداولها كثير من الأعاجم وغيرهم، واشتهر من بين هؤلاء:

عبدالحميد بن يحيى الكاتب

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري نسبا، الشامي داراً، شيخ الكتاب الأوائل وأول من أطال الرسائل، ونشأ بالأنبار بليغا حصيفًا.

وكان عبدالحميد في أول أمره معلم صبيان حتى فطن لـه مروان بن محمد أيام توليه أرمينية، فكتب له مدة ولايته، حتى إذا بلغه مبايعة أهل الشام لـه بالخلافة فسجد مروان لله شكرا وسجد أصحابه إلا عبد الحميد، فقال لـه مروان: لم لا تسجد؟ فقال: ولم أسجد؟ أعلى أن كنت معنا فطرت عنا؟ قال: إذًا تطير معي، قال: الآن طاب لي السجود، وسجد، فاتخذه مروان كاتب دولته.

ولما دهمت مروان جيوش خراسان أنصار الدعوة العباسية، وتوالت عليه الهزائم، كان عبد الحميد يلازمه في كل هذه الشدة، فقال لـه مروان: قد احتجت أن تصير مع عدوي وتظهر الغدر بي، فإن إعجا م بأدبك، وحاجتهم إلى كتابتك يحوجهم إلى حسن الظن بك، فإن استطعت أن تنفعني في حياتي، وإلا لم تعجز عن حفظ حرمي بعد وفاتي فقال لـه: إن الذي أشرت به علي أنفع الأمرين لك، وأقبحهما بي، وما عندي إلا الصبر، حتى يفتح الله عليك، أو أقتل معك وأنشد:

أسـر وفـاء ثم أظهـر غـدرةً فمن لي **بعذر يوسع الناس ظـاهره؟**

وبقي حتى قتل مروان 122هـ، وأخذ عبدالحميد إلى السفاح فقتله سنة 132هـ 0

منـزلته في الكتابة: اتفقت كلمة البلغاء وأهل الأدب على أن عبدالحميد هو الأستاذ الأول لأهل صناعة كتابة الرسائل، وذلك أنه أول من مهد سبلها وميز فصولها، وأطالها في بعض الشئون، وقصرها في بعضها الآخر، وأطال التحميدات في صدرها، وجعل لها صورا خاصةً ببدئها وختمها على حسب الأغراض التي تكتب فيها؛ وكان لبلاغة عبدالحميد عمل يعجز عنه السحر في خلب الأفئدة وجذب النفوس، فيقال إنه لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب إليه عن مروان كتابا يستجلبه به وضمنه ما لو قرئ لأدى إلى وقوع الخلاف والفشل وقال لمروان: كتابا متى قرأه بطل تدبيره؛ فإن يك ذلك وإلا فالهلاك، وكان الكتاب لكبر حجمه يحمل على جمل فلما وصل الكتاب إلى داهية خراسان أبي مسلم أمر بإحراقه قبل أن يقرأه، وكتب على جذاذة منه إلى مروان:

محا السيف أسطار البلاغةِ وانتحـى **عليك ليوثُ الغاب من كلّ جانب**

التدوين والتصنيف

انقضى زمن الخلفاء الراشدين، ولم يدون فيه كتاب إلا ما كان من أمر كتابة المصحف، وكان مرجع الناس في أمر دينهم ودنياهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله فإذا اشتبه عليهم أمر من أمور الدين رجعوا إلى الخلفاء، وفقهاء الصحابة.

ثم لما انتشر الإسلام في زمن بني أمية، واختلطت العرت بالعجم، ففسدت فيهم ملكة اللسان العربي، وفشا اللحن، وأشفقوا على القرآن من التحريف، وعلى اللغة من الفساد دونوا النحو؛ وكان أول من كتب فيه "أبو الأسود الدؤلي" وقد تلقى مبادئه عن "الإمام علي" وأخذ عنه فتيان البصرة، وخصوصا الموالي إذ كانوا أحوج الناس إلى النحو، واشتغل به أهل الكوفة بعد أن فشا بالبصرة، ولم ينقض هذا العصر حتى اشتغل به طبقتان من البصريين وطبقة من الكوفيين. ثم لما حدثت الفتن وتعددت المذاهب والنحل وكثرت الفتاوى والرجوع فيها إلى الرؤساء، ومات أكثر الصحابة، خافوا أن يعتمد الناس على رؤسائهم، ويتركوا سنة رسول الله، فأذن أمير المؤمنين "عمر بن عبد العزيز" لأبي بكر محمد بن عمرو بن حزم في تدوين الحديث، وانقضى هذا العصر، ولم يدون فيه من علوم اللغة والدين غير النحو وبعض الحديث وبعض التفسير، أما العلوم الأخرى فيروى أن خالد بن يزيد بن معاوية حبب إليه مطالعة كتب الأوائل من اليونان فترجمت لـه، ونبغ فيها ووضع كتبا، في الطب والكيمياء، وأن معاوية استقدم عبيد بن شرية من صنعاء فكتب لـه كتاب "الملوك وأخبار الماضين" وأن وهب بن منبه الزهرى، وموسى بن عقبه، كتبا في ذلك أيضا كتبا، وأن زياد بن أبيه وضع لابنه كتابا في مثالب قبائل العرب، وأن ماسرجويه متطبب البصرة تولى في الدولة المروانية ترجمة كتاب أهرون بن أعين، من السريانية إلى العربية، وأن يونس الكاتب بن سليمان ألف كتابا في الأغاني ونسبها إلى من غنى ا، ولم يبلغ التصنيف شأوا يذكر.

الشعر والشعراء في هذا العصر

جاء النبي الكريم، والشعر ديوان العرب، فأتاهم بالأمر العظيم، والحادث الخطير، حاملاً بإحدى يديه القرآن يدعو الناس إلى توحيد الله والتمسك بالفضيلة وشاهرا بالأخرى سيف الحق لحماية هذه الدعوة، وما كان أشد ذهولهم لخطبهما وانزعاجهم من وقعهما، فهبوا يتحسسون الأول، ويتمرسون أساليبه ومعانيه ويتفرسون ألفاظه ومغاويه، ما بين معاند يتلمس مطعنا فيه ومؤمن يستبينه ويستهديه، وتأهبوا للثاني بين ضال يناوئه، ومهتد يعاضده فصار ذلك

صارفًا لهم عن التشاغل بالشعر، محولاً مجرى أفكار المؤمنين منهم عن أكثر فنونه المنحرفة عن سنن الشرف والحق كالمدح بالباطل والهجاء والمغازلة، وبغض إليهم تلك الفنون المرذولة بازدراء القرآن على الشعر بقوله: **والشعراءُ يتبعهم الغاوونَ ألم تر أنهم في كُل وادٍ يهيمونَ وأنهم يقُولُونَ ما لا يفْعلُونَ إلا الذِين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ وذَكَروا اللهَ كَثِيرا وانتصروا مِن بعدِ ما ظُلِموا** [الشعراء: 224-227] ولهذا لم يكف شعراء المسلمين عن قوله فيما يطابق روح القرآن؛ كالموعظة والإرشاد، ومدح الرسول ﷺ وأصحابه ... إلخ.

ولبث الحال على ذلك مدة حياة النبي الكريم، حتى إذا ما ثاروا لإسكان فتن أهل الردة، وفتح الممالك والأمصار، أضافوا إلى ما ألفوه عن أغراض الشعر الإكثار من التباهي بالنصر، ووصف المعارك، وأحوال الحصار وآلات القتال.

ولما آل الأمر إلى بني أمية، وشغب عليهم كثير من فرق المسلمين أصبح الشعر لسانا يعبر عن مقاصد كل حزب، حتى أصبح حرفة عتيدة، وصناعة جديدة ومورد ثروة، وأصبحت دراسته ونقده وروايته دأب العلماء والأدباء، حتى الخلفاء وأولياء عهودهم. ونصِف ما كان عليه الشعر في هذا العصر من حيث أغراضه ومعاينة وتصوراته وعباراته بما يأتي:

أغراض الشعر وفنونه

(1) نشر عقائد الدين وحكمه ووصاياه والحث على اتباعه، وخاصة زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين.

(2) التحريض على القتال: ووصفه، والترغيب في نيل الشهادة رفعا لكلمة الله، وذلك في أزمان غزوات النبي وحصار المدن وفتحها.

(3) الهجاء: وكان أولاً في سبيل الدفاع عن الإسلام بهجو مشركي العرب بما لا يخرج عن حد المروءة وبما رضيه النبي من حسان بن ثابت شاعره في هجاء قريش وعشيرة النبي من بني عبد مناف، وكان يتحرج عنه المسلمون ولو بالتعريض زمن النبي وخلفائه، ولذلك عاقب عمر أمير المؤمنين (الحُطيئة) وهدده بقطع لسانه لنيله من بعض المسلمين، ثم صار يتساهل في خطبه حتى كان الهجاء غاية براعة الشاعر، وإن لم يصل في الإقذاع والفحش إلى الحد الذي وصل إليه في العصر التالي، ومن ذلك التهاجي المشهور بين جرير والفرزدق والأخطل.

(4) المدح: وقلما كان مبدأ الإسلام في غير النبي من حيث الاهتداء ديه، ونشر الحق على يديه، وكان خلفاؤه يأنفون مدحهم بما تزهى به نفوسهم تواضعا.

ثم استرسل الشعراء فيه وقبل ذلك منهم الخلفاء على أن كان المدح من أهم الدعائم لتوطيد أركان الدولة وتفخيم مقام الخلفاء والولاة والإشادة بعظمتهم.

معانيه وأخيلته وأساليبه وأوزانه

لم يخرج شعراء هذا العصر في جملة تصورهم وتخيلهم عما ألفوه زمن الجاهلية وإن فاقوهم كثيرا في ترتيب الفكر، وتقريب المعنى إلى الأذهان والوجدان بما هذب نفوسهم، ورقق طباعهم من دراسة كتاب الله وحديث رسول الله؛ وكذلك لم يخرجوا جملة في هيئة تأليف اللفظ ونسخه ومتانة أسلوبه عن نظائرها في الجاهلية، وإنما آثروا جزالة اللفظ ومؤالفته لسابقه ولاحقه دون غرابته كما آثروا جودة الأسلوب ومتانته، وروعة تأثيره ولا سيما أهل النسيب، ولم يطرأ على أوزان الشعر العربي حدث غير ما عرف عنه في الجاهلية.

وإنما شاع في هذا العصر نظم الأراجيز، والتطويل فيها واستعمالها في جميع أغراض القصيد، حتى في افتتاحها بالنسيب، والتخلص منه على المدح والذم ونحو ذلك.

الشعراء

شعراء هذا العصر ممن خلصت عربيتهم، واستقامت ألسنتهم، ولم يمتد إليهم اللحن، ولقد زاد م مدارسة القرآن الكريم فصاحة وبلاغة، وإحكاما وإتقانا حتى فضلهم بعض الرواة على سابقيهم من الجاهليين، ومن أشهر شعراء هذا العصر: كعب بن زهير، والخنساء، والحطيئة، وحسان بن ثابت، والنابغة الجعدي وعمرو بن معد يكرب من المخضرمين[1] وعمر بن أبي ربيعة، والأخطل، والفرزدق، وجرير، والكميت، وجميل، وكثير عزة، ونصيب، والراعي، وذو الرمة من الإسلاميين.

كعبُ بن زهير

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى أحد فحول المخضرمين، ومادح النبي الأمين، ولما

(1) المخضرم من الشعراء من عاش في الجاهلية والإسلام.

ظهر الإسلام ذهب أخوه بجير إلى رسول الله ﷺ، فغضب كعب لإسلامه، وهجا رسول الله ﷺ وأصحابه، فتوعده النبي ﷺ وأهدر دمه، فحذره أخوه العاقبة، إلا أن يجيء إلى النبي ﷺ مسلما تائبا، فهام كعب على القبائل أن تجيره فلم يجره أحد، فلما ضاقت الأرض في وجهه جاء أبا بكر ؓ بالمدينة، وتوسل به إلى رسول الله ﷺ، فأقبل به عليه وآمن، وأنشده قصيدته المشهورة الآتية.

فخلع عليه النبي بردته، فبقيت في أهل بيته حتى باعوها لمعاوية بعشرين ألف درهم، ثم بيعت للمنصور العباسي بأربعين ألفًا ومات سنة 24هـ.

شعره: كان كعب من الشعراء ا يدين المشهورين بالسبق وعلو الكعب في الشعر، وكان خلف الأحمر أحد علماء الشعر يقول: لولا قصائد لزهير ما فضلته على ابنه كعب، وكفاه فضلاً أن الحُطيئة مع ذائع شهرته، رجاه أن ينوه به في شعره، فقال:

فمن للقوافي شانها من يحوكها ... إذا ما مضى كعب وفوز جرولُ

ومن شعره قوله:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني ... سعي الفتى وهو مخبوءٌ له القدر

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها ... والنفس واحدةٌ والهم منتشر

فالمرءُ ما عاش ممدود له أملٌ ... لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر

ومن قوله أيضا:

إنْ كنت لا ترهب ذمي لما ... تعرف من صفحي عن الجاهل

فاخش سكوتي إذا أنا منصت ... فيك لمسموع خنا القائل

فالسامع الذم شريك له ... ومطعم المأكول كالآكل

مقالةُ السوءِ إلى أهلها ... أسرع من منحدر سائل

ومن دعا الناس إلى ذمه ... ذموه بالحق وبالباطل

ومن قوله أيضا قصيدة "بانت سعاد" المشهورة - وهي:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ ... متيم في إثرها لم يفد مكبولُ(1)

وما سعاد غداةَ البين إذ برزت ... إلا أغنّ غضيض الطرف مكحول(2)

تجلو عوارض ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمت ... كأنه منهلٌ بالراح معلول(3)

شجت بذي شَبمٍ من ماء محنيةٍ ... صافٍ بأبطح أضحى وهو مشمول(4)

تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه ... من صوب غاديةٍ بيض يعاليلُ(5)

ويلُ أمها خلةٌ لو أنها صدقت ... بوعدها ولو أن النصح مقبول(6)

لكنها خلةٌ قد سِيطَ من دمها ... فَجعٌ وولعٌ وإخلاف وتبديل(7)

فما تقوم على حالٍ تكون بها ... كما تلونُ في أثوابها الغولُ(8)

ولا تمسك بالعهد الذي زعمت ... إلا كما يمسك الماءَ الغرابيلُ

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ... وما مواعيده إلا الأباطيلُ(9)

أرجو وآملُ أن تدنو مودتها ... وما إخالُ لدينا منكِ تنويل

---

(1) بانت: فارقت والمتبول الذي أسقمه الحب. ومبكول: مقيد.

(2) الأغن: الذي في صوته غنة، وهي صوت محبوب؛ غضيض الطرف: أي في طرفها كسر وفتور.

(3) تجلو: تكشف والمراد بالعوارض هنا الأسنان، ذي ظلم: أي ثغر ذي ظلم والظلم ماء الأسنان وبريقها. معلول: أي مسقى بالخمر مرة بعد أخرى.

(4) شجت أي مزجت بالماء لتذهب سورتها؛ وبذي شيم أي بماء ذي شيم والشيم البرد والمحنية: منعطف الوادي لأن ماءها يكون أصفى وأرق؛ والأبطح: مسيل فيه دقائق الحصى؛ والمشمول: الذي ضربته ريح الشمال حتى برد.

(5) القذى: ما يسقط في الماء؛ وأفرطه: أي ملأه.

(6) ويل امها في رواية ابن هشام أكرم بها والخلة هنا الصديقة.

(7) سيط من ساط الماء ونحوه يسوطه: خلطه بغيره؛ والفجع: الإصابة بالمكروه، والولع: الكذب.

(8) الغول: من خرافات العرب يزعمون أنها تتراءى لهم في الفلوات تتلون لهم وتضلهم عن الطريق.

(9) عرقوب يضرب به المثل في خلف الوعد؛ قيل إنه وعد أخا له نخلة؛ وقال: ائتني إذا أطلع النخل فلما أطلع قال: إذا أبلح فلما أبلح قال: إذا أزهى؛ فلما أزهى قال: إذا أرطب، فلما أرطب قال: إذا صار تمرا فلما صار تمرا جده من الليل ولم يعطه شيئًا.

فلا يغرنك ما منت وما وعدت	إن الأماني والأحلام تضليل
أمست سعاد بأرض لا يبلغها	إلا العتاق النجيبات المراسيل(1)
نبئت أن رسول الله أوعدني	والعفو عند رسول الله مأمول(2)
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القـ	ـرآن فيها مواعيظ وتفصيل(3)
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم	أذنب، ولو كثرت فيّ الأقاويل
لقد أقوم مقاما لو يقوم به	أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل(4)
لظل يرعد من وجدٍ بوادره	إن لم يكن من رسول الله تنويل(5)
ما زلت أقطع البيداء مدرعًا	جنح الظلام وثوب الليل مسبول(6)
حتى وضعت يميني ما أنازعها	في كف ذي نقمات قوله القيل(7)
فلهو أخوف عندي إذ أكلمه	وقيل، إنك منسوب ومسئول(8)
من ضيغمٍ بضراء الأرض مخدره	في بطن عثر غيلٌ دونه غيل(9)
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما	لحم من الناس معفور خراديل(10)

---

(1) العتاق الإبل أو الخيل الكريمة، والنجيات السريعات والمراسيل: جمع مرسال وهو السريع.

(2) أوعد: هدد.

(3) نافلة: عطية، التفصيل: التبيين.

(4) أي لقد شهدت برؤية الرسول مشهدا عظيم الهيبة لو شهده الفيل أو سمع الفيل ما يدور به من الحديث لظل يرعد.

(5) لظل يرعد: جواب لو في البيت السابق، والبوادر جمع بادرة، وهي ههنا بين المنكب والعنق.

(6) إدراع الظلام أي لبسه كأنه درع.

(7) ما أنازعها: أي لا أجاذ ا، والقيل: أي القول الحب.

(8) أخوف: أي أعظم مسبب للخوف ومنسوب: أي مسؤول عن نسبك.

(9) من ضيغم: متعلق بأخوف في البيت السابق؛ وضراء الأرض أي الأرض المستوية التي تأويها السباع و ا نبذ من الشجر؛ والمخدر: مكان إقامة الأسد؛ وبطن عثر مأسدة؛ أي مخدرة غيل من بطن عثر دونه غيل والغيل: الاجمة - يصفه بالمنعة والتوحش.

(10) يلحم: أي يطعم اللحم؛ معفور: أي ملقى في التراب والخراديل؛ القطع.

إذا يساور قرنا لا يحل له | أن يترك القرن إلا وهو مغلول(1)
منه تظل حمير الجو نافرة | ولا تمشى بواديه الأراجيل(2)
ولا يزال بواديه أخو ثقة | مضرج البز والدرسين مأكول(3)
إن الرسولَ لنور يستضاءُ به | مهند من سيوف الله مسلول
في عصبةٍ من قريش قال قائلهم | ببطن مكة لما أسلموا: زولوا(4)
زالوا؛ فما زال أنكاس ولا كشف | عند اللقاء ميلٌ معازيل(5)
يمشونَ مشي الجمال الزهر يعصمهم | ضرب إذا عرد السود التنابيل(6)
شم العرانين أبطال لبوسهم | من نسج داود في الهَيجا سرابيل(7)
بيض سوابغُ قد شكّت لها حلق | كأنها حلق القَفعاء مجدول(8)
ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم | قوما، وليسوا مجازيعا إذا نيلوا(9)
لا يقطع الطعن إلا في نحورهم | وليس لهم عن حياض الموت تهليل(10)

---

(1) يساور: يواثب، والقرن: المماثل، ولا يحل: ولا يسوغ، والغلول: المقيد.
(2) الجو: البر الواسع، والأراجيل جمع رجيل؛ وهو الراجل غير الراكب.
(3) البز: الثياب؛ والدرس: الثوب الخلق، أي أن بوادي هذا الأسد تجد شجاعا كان يثق بنفسه فافترسه وأصبحت ثيابه خلقه ممزقة.
(4) زولوا أي انتقلوا من مكة إلى المدينة.
(5) النكس: الضعيف والكشف: جمع أكشف وهو من لا ترس له، والميل: جمع أميل وهو من لا سيف له أو من لا يحسن الركوب والمعازيل: جمع معزول وهو من لا سلاح له.
(6) الزهر: البيض، وعرد فر وأعرض والتنابيل: القصار.
(7) شم العرانين: شم الأنوف؛ أي أعزة، واللبوس، السرابيل: الدروع أي لباسهم دروع من نسج داود.
(8) بيض صفة للسرابيل، والسوابغ: الطوال، والقعفاء: نبات ينبط على الأرض يشبه حلق الدروع.
(9) المفاريح: جمع مفراح، الشديد الفرح والمجازيع، جمع مجزاع الشديد: الحزن.
(10) التهليل: الجبن والفرار.

(2) عمرو بن معد يكرب الزُّبيدي

هو أبو عمرو بن معد يكرب الزبيدي المذحجي، فارس اليمانين، وأحد الشعراء المعمرين، والخطباء الموفدين.

منشؤه وصفاته: نشأ عمرو بين قومه محمقًا كولاً، لا يؤمل منه خير، ولا تلحظ فيه سيادة، على ضخامة في جثة، وجهارة في صوتٍ، حتى بلغ زبيدا أن خثعم ستشن الغارة عليهم، فتأهبوا، ودخل عمرو على أخته، فقال: أشبعيني إن غدا الكتيبة، فأخبرت أباه، فقال: سلي هذا المائق ما يشبعه، فأكل عنـزا بثلاثة آصع ذرة، وأتتهم خثعم فتبلد حتى رأى لواء أبيه مال وا نزمت زبيد، فثار وكر على خثعم، وتراجع إليه قومه فهزموا الأعداء؛ فأصبح يسمى فارس زبيد بعد أن كان يسمى مائق زبيد، وأشتهر بالشجاعة حتى هابته أبطال العرب وضرب به المثل في الشجاعة، وفي ذلك يقول أبو تمام:

إقدام عمرو، في سماحــة حــاتم   في حــلم أحنف، في **ذكاء إيــاس**

وفي شجاعته يقول عن نفسه: وسرت بظعينة وحدي على مياه معد كلها ما خفت أن أغلب عليها - ما لم يلقني حراها أو عبداها؛ فأما الحران: فعامر بن الطفيل، وعيينة بن الحارث بن شهاب، وأما العبدان: فأسود بني عبس - يعني عنترة - والسليك بن السلكة، وكلهم قد لقيت.

ولما فشا الإسلام في قبائل العرب، وفد مع بعض قومه على رسول الله فأسلم ثم رجع إلى قومه، ولما مصرت الكوفة أقام ا حتى كانت وقعة اوند فحضرها تحت لواء النعمان بن مقرن، ومات ا سنة إحدى وعشرين.

ويعد عمرو من الشعراء المخضرمين، ويأتي شعره في الطبقة الثانية من الجودة ويغلب عليه وصف الوقائع والتحدث عن نفسه بالشجاعة، وهو أحد الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى.

ومن شعره قوله في صدق عن نفسه في الحرب:

ولما رأيت الخيــلُ زورا كأنــها   جداول زرع أرسلت فاســبطرتِ

فجاشــت إلى الــنفس أول مــرة   فردت على مكروهــا فاســتقرتِ

علام تقولُ الرمح يثقــلُ عــاتقي   إذا أنا أطعــن إذا الخيــلُ كــرتِ

ومن قوله أيضا:

أمِن ريحانـة الـداعي السـميع	يـؤرقني وأصحـابي هجـوع
أشـاب الـرأس أيـام طـوالٌ	وهـم مـا تضـمنه الضـلوع
وسوق كتيبةٍ دلّفـت لأخـرى	كـأن ارهـا رأس صليـع
إذا لم تسـتطع شيئـًا فدعــه	وجاوزه إلـى مـا تسـتطيع
وصِـله بالزمـاع فكـلّ أمـر	سما لك أو سمـوت لـه ولـوع

(3) الخنساء

هي السيدة تماضر الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية، أرقى شواعر العرب وأحزن من بكى وندب.

كان أبوها عمرو، وأخواها معاوية وصخر، وكانت هي من أجمل نساء زما ا فخطبها دريد بن الصمة فارس جشم، فرغبت عنه، وآثرت التزوج في قومها، فتزوجت منهم، وكانت تقول المقطعات من الشعر، فلما قتل شقيقها معاوية، ثم أخوها لأبيها صخر، جزعت عليهما جزعا شديدا، وبكتهما بكاء مرا، وكان أشد وجدها على صخر، لأنه شاطرها هي وزوجها أمواله مراراً، ولما جاء الإسلام وفدت مع قومها على النبي ﷺ وأسلمت، وكان يعجبه شعرها، ويستنشدها ويقول: "هيه يا خناس" ويومئ بيده.

وما فتئت تبكي صخرا قبل الإسلام وبعده حتى عميت، وبقيت إلى أن شهدت حرب القادسية مع أولادها الأربعة، فأوصتهم وصيتها المشهورة وحضتهم على الصبر عند الزحف، فقتلوا جميعا، فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، ولم تحزن عليهم حز ا على أخويها، وتوفيت بالبادية سنة 46هـ في خلافة معاوية.

شعرها: أغلب علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قبل الخنساء ولا بعدها أشعر منها، ومن فضل ليلى الأخيلية عليها لم ينكر أ ا أرثى النساء، وكان بشار يقول: لم تقل امرأة شعرا إلا ظهر الضعف فيه، فقيل لـه: وكذلك الخنساء، فقال: تلك التي غلبت الفحول. ولم يكن شأ ا عند شعراء الجاهلية أقل منه عند شعراء الإسلام، فذلك النابغة الذبياني يقول لها، وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيد ا التي مطلعها.

قذًى بعينيـك أم بـالعين عـوار	أم ذَرفت إذ خلت من أهلها الـدار

لولا أن أبا بصير (يعني الأعشى) أنشدني قبلك لقلت: إنك أشعر من بالسوق وسئل جرير: من أشعر الناس؟ قال: أنا، لولا الخنساء، قيل: فيم فضلتك؟ قال: بقولها:

إن الزمان وما يفنى له عجب ... أبقى لنا ذنبا واستؤصل الراس

إن الجديدين في طول اختلافهما ... لا يفسدان ولكن يفسد الناس

ومن جيد شعرها ترثي أخاها صخرا:

أعيني جودا ولا تجْمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجريء الجميل ... ألا تبكيان الفتى السيدا

رفيع العماد طويل النجاد ... ساد عشيرتَه أمردا

إذا القوم مدوا بأيديهم ... من المجد ثم انتمى مصعدا

يحمله القوم ما عالهُم ... وإن كان أصغرهم مولدا

وإن ذُكِر المجد ألفَيته ... تـأزر بالمجد ثم ارتدى

ومن قولها ترثية أيضا:

ألا يا صخر إن أبكيت عيني ... فقد أضحكْتني زمنًا طويلا

دفَعت بك الخطوب وأنت حي ... فمن ذا يدفع الخطب الجليلا

إذا قَبح البكاءُ على قتيلٍ ... رأيت بكاءَك الحَسن الجميلا

ومن بديع قولها:

يذَكرني طلوع الشمس صخرا ... وأذكره لكل غروب شمس

فَلولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفْسي

ولكن لا أزالُ أرى عجولاً ... ونائحة تنوح ليوم نحْس

هما كِلتاهما تبكي أخاها ... عشيةَ رزئِه أو غِب أمس

وما يبكين مثل أخي ولكِن ... أسلي النفس عنه بالتأسي

فقد ودعت يوم فراق صخر ... أبي حسانَ لذّاتي وأنسي

فَيا لهْفي عليه ولهْف أمي ... أيصبح في الضريح وفيه يمسي

(4) الحُطيئة

هو أبو مليكة جرول الحطيئة العبسي، منشؤه معلول النسب، واكن جشعا سؤولا ملحفًا دنيء النفس، كثير الشر قليل الخير، بخيلاً قبيح المنظر، رث الهيئة فاسد الدين. وعاش الحطيئة مدة في الجاهلية، وجاء الإسلام فأسلم، ولم يكن لـه صحبة برسول الله ﷺ، ثم عاش متنقلاً في القبائل يمدح هذه تارة، ويذم تلك أخرى، وينتسب إلى عبس طورا، وطورا إلى ذهل، ويهجو اليوم من يمدحه بالأمس، وكل قبيلة تخطب وده، وتتقي شر لسانه، حتى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حبسه، فما زال يستشفع إليه بالناس وقول الشعر حتى أطلقه وهدده بقطع لسانه إن هجا أحدا، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم، ولكنه نكث، وأوغل في الهجاء بعد موت عمر، وبقي كذلك حتى مات أوائل خلافة معاوية سنة 59هـ.

شعره: لولا ما وصم به الحطيئة من خسة النفس، ودناءة الخلق، وجهالة النسب لكان بإجادته في كل ضربٍ من ضروب الشعر زعيم شعراء المخضرمين على الإطلاق، إلا أنه لم يقف ببراعته وفصاحته موقفًا لله والشرف، وقلما يوجد في كلام الحطيئة مظنة ضعفٍ، أو مغمز لغامز من ركاكة لفظ، أو غضاضة معنى أو اضطراب قافية.

ومن مدحه الذي لا يلحق لـه فيه غبار، قوله:

يسوسون أحلامـا بعيـدا أناتهـا	**وإن غضبوا جـاء الحفيظـة والجـد**
أَقِلوا عليهم (لا أبـًا لأبيـكم)	**من اللوم أوسدوا المكان الذي سـدوا**
أولئك قوم إن بنوا أحسـنو البنـا	**وإن عاهدوا أوفَوا وإن عقدوا شـدوا**
وإن كانت النعماء فيهم جزوا ـا	**وإن أنعمـوا لا كـدروها ولا كـدوا**
مطاعين في **الهيجا مكاشيف للدجى**	بنى لهـم **آباؤهـم وبنـى الجـد**
ويعذِلُني أبنـاءُ **سـعدٍ عليهـم**	**ومـا قلت إلا بالذي عِلمـت سـعد**

ومن أبياته التي استعطف ا أمير المؤمنين عمر وهو في سجنه قوله:

ماذا تقولُ لأفـراخ بـذي مـرخ	**زغب الحواصل لا ماءٌ ولا شـجر**
ألقيت كاسـبهم في **قعـر مظلمـة**	**فاصفح، عليك سلام اللهِ يا عمـر!**
أنت الأمين **الذي مِن بعدِ صـاحبه**	**ألقى إليك مقاليد النهـى البشـر**

لم يــؤثروك ــا إذ قّــدموك لهــا	لكن لأنفسهم كانت بــك الخيــر

(5) حســان بن ثابت

هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري: شاعر رسول الله ﷺ وأشعر شعراء المخضرمين، وهو من بني النجار أهل المدينة، نشأ في الجاهلية ونبه شأنه فيها، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، واسلم الأنصار، أسلم معهم ودافع عنه بلسانه، كما دافع عنه الأنصار بسيوفهم.

وعاش حسان بعد النبي محببا إلى خلفائه، مرضيا عنه، وعمر قريبا من 120 سنة، وبقي أكثر حياته ممتعا بحواسه وعقله، حتى وهن جسمه في أواخر عمره، وكف بصره، ومات في خلافة معاوية سنة 54هـ.

شعره: كان حسان شاعر أهل المدر في الجاهلية، وشاعر اليمانية في الإسلام ولم يكن في أصحاب النبي ولا في أعدائه عند دعوته إلى الله أشعر منه، ولذلك رمى مشركي قريش من لسانه بالداهية التي لم يكن لهم قبل ا، فأوجعهم وأخرسهم من غير فحش ولا هجر، ولما اذن لــه النبي ﷺ في هجائهم، قال لــه: "كيف جوهم وأنا منهم؟" قال: أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين. وكان النبي ﷺ ينصب لــه منبرا بالمسجد، ويسمع هجاءه في أعدائه، ويقول: "أجب عني، اللهم أيده بروح القدس". وكان في شعر حسان زمن الجاهلية شدة وغرابة لفظ، فلما أسلم وسمع القرآن ووعاه، وكثر ارتجاله الشعر، لأن شعره وسهل أسلوبه:

ومن شعره في الجاهلية:

ولقد تقلدنا العشــيرة أمــرها	ونســود النائبــاتِ ونعتــل
ويســوُء سيدنا جحاجِح ســادةً	ويصيب قائُلنــا سواءَ المفْصِــل
ونحاول الأمــر المهــم خطــابةً	فيهم ونفصل كل أمــر معضــل
وتزور أبــواب الملــوكِ ركابنــا	ومتى نحكــم في البريــة نعــدل

ومن شعره في الإسلام يفاخر وفد تميم بقوم النبي ﷺ:

إنّ الذوائب مــن فِهــرٍ وإخــو م	قد بينــوا سننــًا للنــاس تتبــع
يرضى ا كل من كانت ســريرته	تقوى الإلهِ وبالأمر الذي شــرعوا

قوم إذا حاربوا ضـروا عـدوهم | **أو حاولوا النفع في أشياعِهم نفعوا**
سجيةٌ تلـك فـيهم غـير محدثـة | **إنّ الخلائق (فاعلم) شرها البِـدع**
لا يرفع الناس ما أوهـت أكفهـم | **عند الدفاع ولا يوهون ما رفعـوا**
إن كان في الناس سباقون بعـدهم | **فكل سـبق لأدنى سـبقهم تبـع**
وعفه ذُكرت في الـوحي عفتـهم | **لا يطمعون ولا يزري ـم طمـع**
بل يفخـرون إذا نـالوا عـدوهم | **وإن أصيبوا فلا خـور ولا جـزع**

(6) النابغة الجعدي

هو أبو ليلى حسان بن عبد الله الجعدي العامري أحد القدماء المعمرين والشعراء المخضرمين، ووصاف الخيل المشهورين.

قال الشعر في الجاهلية، ثم استعصى عليه دهرا، ثم نبغ في الشعر عند ظهور الإسلام وبعده، ولذلك سمي (النابغة) وهو ممن فكر في الجاهلية، وأنكر الخمر وما تفعل بالعقل، وهجر الأزلام، والأوثان، وذكر دين إبراهيم، وصام واستغفر، ووفد على رسول الله ﷺ، وأسلم.

وعاش طويلاً في الإسلام، فأقام زمنا مهاجرا، حتى أيام عثمان ﷺ، فأحسن بضعف في نفسه، فاستأذن عثمان في الرجوع إلى البادية، فأذن لـه، ثم لما كانت خلافة (علي) شهد معه وقائع صفين، وظاهره بيده ولسانه، ونال من معاوية وبني أمية - ومات بأصبهان سنة 58هـ - بعد أن عمر مائة وثمانين سنة.

شعره: كان النابغة الجعدي شاعرا مطبوعا في الجاهلية والإسلام، وهو أول من سبق إلى الكناية في الشعر عن اسم من يعني إلى غيرها، وتبعه الناس بعد، قال:

أكنـي بغير اسمهـا، وقـد علـم | **الله خفيـات كـل مكْتتـم**

وكان ممن يصفون الخيل، فلا يلحق لـه في ذلك غبار، حتى ضرب به المثل. قال الأصمعي: ثلاثة يصفون الخيل لا يقار م أحد، طفيل الغنوي، وأبو دواد الإيادي والنابغة الجعدي، ولـه في الفخر والهجاء والمديح والرثاء شعر كثير.

ومن أشرفه قصيدته التي مدح ا الرسول الكريم ﷺ وهي:

خليلي عوجا ساعة وتهجرا ... ونوحا على ما أحدث الدهر أوذَرا
ولا تجزعا إنّ الحياة ذميمةٌ ... فخفا لروعات الحوادث أوقرا
وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه ... فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا
ألم تريا أن الملامة نفعها ... قليلٌ إذا ما الشيءُ ولّى وأدبرا
تهيج البكاء والندامة ثم لا ... تغير شيئًا غير ما كان قدرا
أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ... ويتلو كتابًا كالمجرة نيرا
أقيم على التقوى وأرضى بفعلها ... وكنت من النار المخوفةِ أحذرا

ومنها في الفخر:

وإننا لقوم ما تعود خيلنا ... إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع ألوانَ خيلنا ... من الطعن حتى نحسب الجَون أشقرا
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا أورد الأمر أصدرا

ولما سمع رسول الله (بلغنا السماء - البيت) قال له فأين المظهر يا أبا ليلى؟ قال: الجنة يا رسول الله، قال له: إن شاء الله، ولما أتم قصيدته، قال الرسول: أجدت، لا يفضض الله فاك، فأتت عليه مائة سنة أو نحوها وما انفضت من فيه سن.

(7) عمر بن أبي ربيعة

هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي المخزومي، أشعر قريش وأرق أصحاب الغزل، وأوصف الشعراء لأحوال النساء.

ولد بالمدينة ليلة مات أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) رضوان الله عليه، وكانت أمه نصراينة، وكان أبوه تاجرا موسرا، وعاملاً لرسول الله ﷺ وللخلفاء الثلاثة من بعده، فشب في نعيم وترف، وقال الشعر صغيرا، وسلك فيه طريق الغزل، ووصف أحوال النساء، وتزاورهن ومداعبة بعضهن لبعض وتعرض للمحصنات المتعففات من نساء قومه ومن غيرهن، فوقعن منه في بلاء عظيم، وصرن يخفن الخروج إلى الحج، لأنه كان يتلقاهن بمكة،

ويترقب خروجهن للطواف والسعي، ويصفهن وهن محرمات، وحلمت عليه رجالات قريش لمكانة نسبه منهم، ولترقب توبته وإقلاعه، فلما تمادى في أمره، وشبب ببنات السادات والخلفاء غضب عليه عمر بن عبد العزيز، ونفاه إلى جزيرة أمام مدينة مصوع، ثم أرى أن يكفر عن سيئاته بالتوبة والجهاد، فغزا في البحر، فاحترقت السفينة التي كان فيها، واحترق هو أيضا سنة 93هـ.

شعره: رقيق بلفظ رشيق، ومعنى أنيق، حتى قال فيه جرير هذا والله الذي أرادته الشعراء فأخطأته، وقد سلك في الغزل طريقًا لم يسلكوه، ومن قوله المشهور:

ليت هِندا أنجزتنا ما تعِد ... وشفَت أنفسنا مما نجد

واستبدت مرة واحدة ... إنما العاجز من لا يستبِد

زعموها سألت جارا ـ ـا ... وتعرت ذات يوم تبترِد(1)

أكما ينعتني تبِصرنني؟ ... عمركن الله! أم لا يقتصِد!(2)

فتضاحكن، وقد قلن لها: ... حسن في كل عين من تود(3)

حسدا حملنه من شأ ـ ـا ... وقديما كان في الناس الحسد

غادة تفتر عن أشنبها ... حين تجلوه أقاحِ أو برد(4)

ولها عينان في طرفيهما ... حور منها، وفي الجيد غَيد(5)

قلت: من أنتِ؟ فقال: أنا من ... شفه الوجد، وأبلاه الكمد(6)

---

(1) تبترد: تصب الماء البارد على رأسها.

(2) وينعتني يصفني، عمركن الله: أذكر الله، يقصد: يعتدل فلا يبالغ.

(3) أي أن من تحبه تعتقد أنه حسن لدى جميع الناس.

(4) الغادة: المرأة اللينة؛ تفتر: تظهر، الأشنب: الفم في أسنانه ماء ورقة وعذوبة. تجلوه: تكشفه، الأقاح: جمع أقحوان وهو البابونج البري من نبات الربيع لـه نور أبيض. البرد: ماء الغمام يسقط جامدا.

(5) الحور: شدة سواد العين مع شدة بياض بياضها. الجيد: العنق، غيد: نعومة.

(6) شفه الوجد: أهزله الحب، الكمد: الحزن الشديد.

نحن أهل الخيف من أهل منى ... ما لمقتول قتلناه قود[1]

قلت: أهلاً! أنتم بغيتنا ... فتسمين، فقالت: أنا هند![2]

إنما ضلل قلبي فاحتوى ... صعدةً في سابريٍّ تطّرد[3]

إنما أهلك جيران لنا ... إنما نحن وهم شيءٌ أحد[4]

حدثونا أنها لي نفثت ... عقدا يا حبذا تلك العقد![5]

كلما قلت: متى ميعادنا؟ ... ضحكت هند، وقالت: بعد غد!

(8) الأخطل

هو أبو مالك غياث الأخطل بن غوث التغلبي النصراني، شاعر الأمويين وأمدح ثلاثة شعرائهم المقدمين، والمتفرد بالتعمق بوصف الخمر دون الإسلاميين، قال الشعر وهو صبي، وما لبث أن زاحم شاعر تغلب وقتئذ كعب بن جعيل) وهاجاه وظهر عليه، ولما طلب يزيد بن معاوية قبل أن يلي الخلافة من كعب هجاء الأنصار، لتعرض عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري لأخته في شعره، أبى عليه ذلك كعب، وقال: لا أهجو قوما نصروا رسول الله ﷺ وآووه ولكني أدلك على الأخطل، فبعث إليه وأمره بهجائهم، فهجاهم بقصيدة منها:

ذهبت قريش بالسماحة والندى ... واللؤم تحت عمائم الأنصار

فدعوا المكارم لستم من أهلها ... وخذُوا مساحيكم بني النجار

وبلغ الشعر كبار الأنصار فغضبوا، وشكوه إلى معاوية، فوعدهم بقطع لسانه، فاستجار بيزيد، فما زال بأبيه حتى عفا عنه، ولما ولي يزيد الخلافة قربه إليه، وتابعه في ذلك خلفاء بني أمية، وبخاصةٍ عبد الملك، إذ كان يستعين به على أعدائه، فقربه إليه وأدناه، وسمح له بالدخول عليه بلا إذن، وأجزل له العطايا، وسماه شاعر الخليفة.

---

(1) الخيف: ناحية من منى عند مكة، القود: القصاص.

(2) بغيتنا: مطلبنا.

(3) ضلل: صار ضالا لا يهتدي؛ احتوى: اشتمل، الصعدة: القناة تنبت مستقيمة لا تحتاج إلى مثقف، شبه محبوبته في اعتدال قدها بها؛ السابري: الثوب الرقيق الجيد تطرد: تمشي مستقيمة.

(4) شيء أحد: أي شيء واحد.

(5) نفثت عقدا: سحرتني، والنفث: النفخ، والعقد تكون من خيوط ينفث بها قصائد السحر.

ولما حدثت المهاجاة بين جرير والفرزدق، وحكم فيهما أيهما أشعر؟؟ عرض بتفضيل الفرزدق، فهجاه جرير، فرد عليه الأخطل، وكانت الشيخوخة قد بلغت منه، فلم يلحق جريرا، وكان الأخطل يقيم أزمانا بدمشق، وأحيانا ببلاده من أرض الجزيرة، ومات في أول خلافة الوليد سنة 125هـ، وقد نيف على السبعين.

شعره: كان الأخطل أحد الشعراء الثلاثة السابقين سواهم من فحول الإسلاميين وكان مطبوعا على الشعر، بعيدا عن التكلف والتعمق فيه، وامتاز بإجادة المديح والإبداع في معانيه، قال يمدح بني أمية، ويخص بشر بن مروان:

إن يحلموا عنك فالأحلام شـيمتهم ... والموت ساعة يحمى منهم الغضـب

كأ م عند ذاكـم لـيس بينـهم ... وبين من حاربوا قـربى ولا نسـب

كانوا مواليَ حـقٍّ يطلبـون بـه ... فأدركوه ومـا ملـوا ولا لغبـوا

وإن يك للحق أسـباب يمـد ـا ... ففي أكفّهـم الأرسـانُ والسـبب

هم سعوا بابن عفان الإمـام وهـم ... بعد الشماس مروها ثُمت احتلبـوا

ومنها:

إذا أتيت أبـا مـروان تسألـه ... وجدته حاضراه الجُـود والحسـب

ترى إليه رفـاق النـاس سـائلةً ... من كل أوبٍ على أبوابـه عصـب

يحتضرون سِجالاً مـن فواضِـله ... والخير محتضر الأبـواب منتـهب

والمطِعم الكوم لا ينفـك يعقرهـا ... إذا تلاقى رواق البيـت واللـهب

كأن جيرا ـا في كـل منـزلة ... قتلى مجردة الأوصـال تسـتلب

ومن أفضل شعره قوله:

والنـاس همهـم الحيـاةُ ولا أرى ... طول الحيـاة يزيـد غـير خبـال

وإذا افتقرت إلى الـذخائر لم تجـد ... ذُخرا يكـون كصـالح الأعمـال

(9) الفرزدق

هو أبو فراس همام بن غالب التميمي الدارمي، أفخر ثلاثة الشعراء الأمويين وأجزل المقدمين في الفخر والمدح والهجاء.

ولد سنة 19هـ ونشأ بين البصرة والبادية - وأتى به أبوه يوما إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فسأله عنه، فقال هذا ابني يوشك أن يكون شاعرا مجيدا، فقال لـه أقرئه القرآن، فأقرأه وحفظه، ثم رحل إلى خلفاء بني أمية بالشام ومدحهم ونال جوائزهم، وأخص من كان يمدحه منهم "عبد الملك بن مروان" ثم أولاده من بعده، وكان الفرزدق فوق إقذاعه في الهجو، وفحشه في السباب وقذف المحصنات، يرمى بالفجور، وقلة التمسك بشعائر الدين، ثم تاب في أواخر شيخوخته على يد الحسن البصري، وكان فيه تشيع يستره أيام اختلافه إلى بني أمية، ثم كاشف به آخر حياته حتى أمام الخليفة هشام عندما رأى الناس تفتح طريق الطواف بالكعبة مهابة وإجلالا "لعلي بن الحسين" فسأل عنه كالمتجاهل لأمر، فشق ذلك على الفرزدق، وأنشد قصيدته الميمية الآتية يعرف "بعلي" وينكر على "هشام" تجاهله، فحبسه هشام ثم أطلقه، وعاش الفرزدق قريبا من مائة سنة، ومات بالبصرة سنة 114هـ.

شعره: يمتاز شعر الفرزدق بفخامة عبارته، وجزالة لفظه، وكثرة غريبه ومداخلة بعض ألفاظه في بعض، ولذلك يعجب به أهل اللغة والنحو، وكان يقال(لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة). ويعتبر الفرزدق من أفخر شعراء العرب، وقد قضت العوامل السياسية والاجتماعية أن يشتبك مع جرير في التهاجي والتساب حتى أفحشا وشغلا الناس بنقائضهما.

ومن جيد شعره قوله يمدح سيدنا زين العابدين (وهو علي بن الحسين):

هذا الذي تعرف البطحاءُ وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم

وليس قولك: من هذا؟ بضائره ... ألعرب تعرف من أنكرت والعجم

إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

ينمى إلى ذروة العز التي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم

يغضي حياءً ويغضى من مهابته ... فلا يكلم إلا حين يبتسم

بكفه خيزران ريحها عبق ... من كف أروع في عرنينه شمم

يكاد يمسكه عرفــان راحتــه	ركن الحطـيم إذا مــا جــاء يسـتلم
ينشق ثوب الدجى من نور غرتــه	كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلــم
من معشر حبهم ديــن وبغضــهم	كفــر وقــربهم منجــى ومعتصــم
إن عد أهل التقى كــانوا أئمتــهم	أو قيل من خير أهل الأرض قيل هــم

(10) جرير

هو أبوحزرة جرير بن عطية بن الخطفي التميمي اليربوعي، أحد فحول الشعراء الإسلاميين، وبلغاء المداحين الهجائين، وأنسب ثلاثتهم المفلقين، وهو من بني يربوع أحد أحياء تميم، ولد باليمامة سنة 42هـ ونشأ في البادية، وفيها قال الشعر ونبغ، وكان يختلف إلى البصرة في طلب الميرة ومدح الكبراء، فرأى الفرزدق وما أكسبه الشعر من المنـزلة عند الأمراء والولاة وهو تميمي مثله، وود لو يسبقه على ما ناله، وأغراه قومه به للتنويه بشأنهم، فوقعت بينهما المهاجاة عشر سنين العوامل سياسية واجتماعية، وكان أكثر إقامة جرير أثناءها في البادية وكان الفرزدق مقيما بالبصرة يملأ عليه الدنيا هجاء وسنا، فما زال به بنو يربوع حتى أقدموه إلى البصرة، واتصل بالحجاج ومدحه فأكرمه ورفع منـزلته عنده، فعظم أمره، وشرق شعره وغرب حتى بلغ الخليفة عبد الملك فحسد الحجاج عليه، فأوفده الحجاج مع ابنه محمد إلى الخليفة "يزيد بن معاوية" بدمشق ليصل بذلك إلى مدحه، ومن وقتئذ عد من مداح خلفاء بني أمية، ومات باليمامة سنة 114هـ.

وكان في جرير على هجائه للناس عفة ودين، وحسن خلق، ورقة طبع.

شعره: اتفق علماء الأدب، وأئمة نقد الشعر، على أنه لم يوجد في الشعراء الذين نشأوا في ملك الإسلام أبلغ من جرير والفرزدق والأخطل، وإنما اختلفوا في أيهم أشعر، ولكل هوى وميل في تقديمه صاحبه، فمن كان هواه في رقة النسيب وجودة الغزل والتسيب، وجمال اللفظ ولين الأسلوب، والتصرف في أغراض شتى فضل "جريرا"؛ ومن مال إلى إجادة الفخر، وفخامة اللفظ، ودقة المسلك وصلابة الشعر، وقوة أسره، فضل "الفرزدق"؛ ومن نظر بعد بلاغة اللفظ، وحسن الصوغ إلى إجادة المدح والإمعان في الهجاء واستهواه وصف الخمر واجتماع الندمان عليها حكم "للأخطل". وإن لجرير في كل باب من الشعر أبياتا سائرة، هي الغاية التي يضرب بها المثل، فيقال إن أغزل شعر قالته العرب هو قوله:

إن العيونَ التي في طرفها حور	قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به	وهن أضعف خلق اللهِ إنسانا[1]

وإن أمدح بيت قوله:

ألستم خير من ركب المطايا	وأندى العالمين بطون راح[2]

وإن أفخر بيت قوله:

إذا غَضِبت عليك بنو تميم	رأيت الناس كلهم غِضابا[3]

وإن أهجى بيت مع التصون عن الفحش قوله:

فغض الطرف إنك من نمير	فلا كعبًا بلغت ولا كِلابا[4]

وإن أصدق بيت قوله:

إني لأرجو منك خيرا عاجلاً	والنفس مولعةٌ بحب العاجل[5]

وإن أشد بيت كما قوله:

زعم الفرزدق أن سيقتلُ مربعا	أبشر بطول سلامةٍ يا مربع[6]

ومن جيد شعره قوله من قصيدة يرثي ا امرأته، وهي التي ندبت ا نوار امرأة

---

(1) من قصيدة له طويلة مطلعها:

بانَ الخَليطُ ولو طُوعت ما بانا	وقطعوا مِن حِبال الوصل أقرانا

(2) من قصيدة له طويلة مطلعها:

أتصحو بل فؤادك غير صاح	عشيةَ هم صحبك بالرواح

(3) من قصيدة له مطلعها:

أقولُ لمعشرٍ جلدوا ولاطُوا	وباتوا عاكفين على الملاح

(4) من قصيدة له طويلة مطلعها:

أقلّي اللوم عاذِلَ والعِتابا	وقولي إن أصبت لقد أصابا

(5) من قصيدة له صغيرة مطلعها:

إن الذي بعثَ النبي محمداً	جعلَ الخلافةَ في الإمامِ العادِل

(6) من قصيدة له طويلة مطلعها:

بانَ الخَليطُ برامتين فودعوا	أو كلما رفعوا لبين تجزع

الفرزدق:

لولا الحياءُ لهاجني استعبار ... ولزرت قبرك والحبيب يزار
ولقد نظرت وما تمتع نظرة ... في اللحد حيثُ تمكن الإحفار
ولهتِ قلبي إذ علتني كبرة ... وذوو التمائم من بنيك صغار
لا يلبثُ القُرناءُ أن يتفرقوا ... ليلٌ يكر عليهم ونهار
صلى الملائكةُ الذين تخيروا ... والطيبون عليكِ والأبرار
فلقد أراك كُسيتِ أحسن منظر ... ومع الجمال سكينةٌ ووقار

(11) الكمَيتُ

هو الشاعر الخطيب الرواية أبو المستهل الكميت بن زيدٍ الأسدي الكوفي، أشعر شعراء الشيعة الهاشمية، ومثير عصبية العدنانية على القحطانية ولد سنة 60هـ - ونشأ بالكوفة بين قومه بني أسد - إحدى قبائل العرب الفصحاء من مضر، فلقن العربية، وعرف الأدب والرواية، وعلم أنساب العرب وأيامها ومثالبها بمدارسة العلم والأخذ عن الأعراب، وكان له جدتان أدركتا الجاهلية تقصان عليه أخبارها وأشعار أهلها. فخرج أعلم أهل زمانه في ذلك، وأقر له (حماد) الراوية بالسبق عليه.

وقال الكميت الشعر وهو صغير، وكان لا يذيعه ولا يتكسب به، ويكتفي بحرفته (تعليم صبيان الكوفة بالمسجد) ولما حصف شعره، وقوي أثره، ولا سيما قصائدة التي أعلن فيها تشيعه (لبني هاشم وآل علي) أنشد الفرزدق مستنصحا له في أمر إذاعته إذا أعجبه فأمره بإذاعته، فقال قصائده البليغة المطولة المسماة (بالهاشيمات) التي يقول فيها من قصيدة في مدح بني هاشم:

طربت وما شوقًا إلى البيض أطرب ... ولا لعِبا مني وذو الشيبِ يلعب
ولم يلهني دار ولا رسم منزلٍ ... ولم يتطربني بنانٌ مخَضب
ولا السانحات البارحات عشية ... أمر سليم القرن أم مر أعضب
ولكن إلى أهل الفضائل والنهى ... وخير بني حواء والخير يتطلب

بني هاشـمٍ رهـطِ الـنبي فـإنني ... م ولهم أرضى مِـرارا وأغضـب

خفضت لهم مـني الجنـاح مـودةً ... على كنفٍ عطفاه أهـلٌ ومرحـب

ومــا ليَ إلا آل أحمـــد شـــيعةٌ ... وما لِي إلا مذهب الحـق مـذهب

بــأي كتــاب أم بأيــةِ سنـــة ... يرى حبهم عارا علـي ويحسـب

شعره: لشعره من التأثير السياسي والمذهبي أثر سيئ شتت شمل الوحدة العربية. وتوفي سنة 126هـ.

الرواية والرواة

ظهر الإسلام وعمدة العرب في ضبط علومهم وآدا م على الحفظ والرواية فجاءهم من كتاب الله وسنة رسوله بالأمر الخطير والعلم الكثير فكانت عنايتهم بحفظها في الصدور أكثر من كتابتها في السطور.

ولما اتسع علم المسلمين بما أضيف إليهما من تفسير الصحابة والتابعين، ومن أقوالهم في الدين - تعددت طوائف الرواة للقرآن والحديث وفنون الأدب.

ولما كان الإنسان عرضة للنسيان، وأحوال الناس تختلف في الصدق والكذب تشددت الصحابة والتابعون وتابعوهم في تصحيح الرواية، وشدة التوثق من صدق الرواة تحرجا منهم أن يدخل في الدين ما ليس منه.

ولما خاف سيدنا (عمر بن عبد العزيز) أن تموت السنة الصحيحة بموت روا ا وبما وضعه الزنادقة والشيعة والخوارج ودسوه فيها، أمر العلماء بتدوين الحديث وبقي الأمر في الشعر والأدب كما كان في الجاهلية: لكل شاعر راوٍ، أو عدة رواة، ومن أشهر هؤلاء - هدبة بن خشرم راوية الحطيئة، وجميل راوية هدبة وكثير راوية جميل، وأبو شفقل وعبيد أخو ربيعة بن حنظلة راوية الفرزدق ومربع راوية جرير والفرزدق معا، ومحمد بن سهل راوية الكميت، وصالح بن سليمان راوية ذي الرمة، وذو الرمة راوية الراعي.

وبقي الأمر كذلك حتى أواخر هذا العصر - فاشتغل العلماء بالرواية، وصار الراوي منهم يروي لمئات من الشعراء والشواعر، وإن لم يكن هو شاعرا.

وأكثر هؤلاء العلماء من الرواة أدرك العصر (عصر بني العباس) فيذكر فيه.

ومع تشدد الناس في تصحيح الراوية سنةً وأدبا حدث في الشعر والخطب كثير من التصحيف والتحريف والنقص والزيادة - ونحو ذلك.

العصر الثالث: عصر الدولة العباسية(1) من 123 - 656هـ

أحوال اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

كان بنو أمية شديدي التعصب للعرب والعربية، فكان كل شيء في دولتهم عربي الصبغة وكانت جمهرة العرب منتشرةً في كل مكان امتد إليه سلطا ا، فلما قامت الدولة العباسية بدعو ا، لم تجد لها من العرب أنصارا وأعوانا، مثل ما وجدت من الفرس وهم الأعاجم، فاكتسحت م دولة بني أمية، وأسست دولة قوية، كان أكثر النفوذ فيها للموالي. فاستخدمهم الخلفاء والأمراء في كل شيء من سقاية الماء إلى قيادة الجيوش والوزارة، وابتدأ شأن العرب السياسي يتضاءل من ذلك الحين شيئًا فشيئًا، واختلطوا بالأعاجم، وكان من ا موع شعب ممتزج لغة وعادةً وخلقًا، فأثر في اللغة لفظًا ومعنى وشعرا ونثرا، كتابة وتأليفًا، ولم يظهر ذلك بالطبع في جميع الممالك بنسبة واحدة بل كان في أواسط آسيا أظهر منه في مصر والشام، أما حال ممالك العرب الأندلس صدر هذا العصر فلم يبعد كثيرا عما كان عليه في العصر الماضي، ثم سرت إليها عدوى تقليدها المشارقة في أكثر الأمور.

ويمكن إرجاع جميع هذه التغيرات إلى ثلاثة أمور؛ الأول: ما يتعلق بالأغراض التي تؤديها اللغة. الثاني: ما يتعلق بالمعاني والأفكار. الثالث: ما يتعلق بالألفاظ والأساليب.

---

(1)

خلفاء بني العباس إلى سنة 333:		محمد المنتصر	(248/247)
أبو العباس عبد الله السافح	(136/132)	أبو العباس أحمد المستعين	(252/248)
أبو جعفر المنصور	(158/136)	أبو عبد الله المعتز	(255/252)
محمد المهدي	(169/158)	محمد المهتدي بالله	(256/255)
موسى الهادي	(170/69)	أحمد المعتمد على الله	(279/256)
هارون الرشيد	(193/170)	أحمد المعتضد بالله	(289/279)
محمد الأمين	(198/193)	علي المكتفي بالله	(295/289)
عبد الله المأمون	(218/198)	جعفر المقتدر بالله	(320/295)
أبو إسحق محمد المعتصم	(227/218)	أبو منصور محمد القاهر	(322/320)
أبو جعفر هارون الواثق	(232/227)	أبو العباس أحمد الراضي	(329/322)
جعفر المتوكل على الله	(247/232)	إبراهيم المتقي بالله	(333/319)

أغراض اللغة

لما قامت الدولة العباسية وتشبه الخلفاء بملوك الفرس في أكثر أمور السياسة والمعيشة، وحاكتهم العامة في ذلك بتقليد أمثالهم من طبقات الأعاجم، تناولت اللغة في المشرق أغراضا لم تعهد فيها من قبل، بنقل علوم تلك الأمم وآدا ا وعاد ا وطرق معيشتها.

ثم تناولت هذه الأغراض في الغرب بعدئذٍ بفرق يسير، فكان من تلك الأغراض ما يأتي:

(1) تدوين العلوم الشرعية واللسانية والعقلية، ولم يدون في صدر الإسلام من ذلك إلا نذر يسير وكذلك الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية.

(2) تأدية مقاصد الصناعات المختلفة: وخاصة بعد دخول العرب في غمار الصناع وبعد تعرب الأعاجم.

(3) تأدية المقاصد التي استدعاها الانغماس في الترف بلذائذ الحضارة التي جرت فيها الأمم عصر الدولة العباسية إلى أمد بعيد، أو اقتضاها نظام الملك والدفاع عنه كالإمعان في وصف الأشياء النفيسة مما لم يعرف للعرب في صدر الإسلام أو عرف وكان قليلاً ممقوتا صاحبه - كوصف البحر والأساطيل الحربية والمعارك البحرية - وامتاز بأكثر ذلك المغرب والأندلس كما امتازت الأندلس بالإجادة في وصف الطبيعة، ومحاسن الوجود لملاءمة بيئتها لذلك، وكادت تلحق ا في الوصف صقيلة وإفريقية إبان ازدهائهما.

(4) تأدية مقاصد أنواع الخلاعة والسخرية، مما قل نظيره في صدر الإسلام.

(5) المحاضرة والمناظرة والبحث والجدل وتدريس العلوم.

المعاني والأفكار

إن ما حدث في مشارق الممالك الإسلامية ومغار ا، أثناء العصر العباسي من الانقلابات السياسية والاجتماعية، كان لـه نتيجة ظاهرة في الحركة الفكرية للمتكلمين بالعربية؛ ظهر ذلك في عبارا م وأشعارهم بصور مختلفة، فمنها:

(1) ازدياد شيوع المعاني الدقيقة، والتصورات الجميلة، والأخيلة البديعة.

(2) التعويل على القياس والتعليل في الأحكام الفكرية، بالإكثار من الحجج والبراهين العقلية، وانتحاء مذاهب الفلاسفة في الشعر والكتابة والتدريس، ولا سيما بعد عصر الترجمة، وأكثر ما كان ذلك بالمشرق، وقلما عني به أهل المغرب.

(3) التهويل والغلو في التفخيم المقتبس في المشرق من اللغة الفارسية والساري بعضه

بالعدوى إلى أهل المغرب والأندلس.

الألفاظ والأساليب

غلب على عبارة اللغة العربية في هذه المدة أمران عظيمان: السهولة، والمحسنات البديعية، ويشمل ذلك ما يأتي:

(1) انتقاء الألفاظ الرشيقة السهلة، وقلة الحاجة إلى الارتجال.

(2) ازدياد الميل إلى استعمال ألفاظ القرآن، والاقتباس منه والاستشهاد به.

(3) الإكثار من ألفاظ ا از،والتشبيه، والتمثيل، والكناية، والمحسنات اللفظية.

(4) التوسع في إدخال ألقاب التعظيم على أسماء الخلفاء والأمراء والعظماء.

(5)تفاقم الخطب في استعمال الكلمات الأعجمية في كثير من الأشياء.

(6) وضع اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات وإدارة الحكومة وغيرها.

(7) التأنق في صوغ العبارات وتوثيق الربط بينها والميل إلى استعمال السجع.

(8) التطرف إلى غاية حدي الإطناب والإيجاز، ولكل منهما مقام.

(9) حدوث لغة تأليفية لتعليم العلوم تقاس بمعيار المنطق لا بمعيار البلاغة.

وإذًا كانت اللغة إما نثرا، وإما شعرا.

والنثر: محادثة، وخطابة، وكتابة، فاحفظ ما يتلى عليك.

النثر - المحادثة - أو "لغة التخاطب"

إن لغة التخاطب بين الخاصة من العرب في أواخر العصر الماضي كانت العربية الفصيحة الخالية من اللحن، إلا من آحاد عيروا به، وإن لغة العامة والسوقة من العرب المختلطين بالعجم هي العربية المشوبة بشيء من اللحن، ولغة المتعربين من العجم تقبل عن هذه الفصاحة، وتزيد عليها في اللحن بمراتب مختلفة.

فلما تم امتزاج العرب بالعجم "عصر الدولة العباسية" تكونت بين العامة في البلاد التي تكثر فيها جمهرة العرب لغات تخاطب علمية، إلا بين أهل جزيرة العرب فلم يزل تخاطبهم باللسان الفصيح إلى أواسط القرن الرابع، وبقيت لغات التخاطب في البلاد التي تقل فيها جاليتهم هي اللغات الوطنية الأعجمية ممزوجة ببعض الألفاظ العربية التي أدخلها عليها الإسلام.

وخاف الخلفاء والخاصة من هول تغلب العامية على أبنائهم، وأشفقوا أن تستطيل على الفصيحة، فيستغلق على المسلمين فهم الكتاب والسنة، وهما كل الدين، فحرضوا العلماء

على تدوين اللغة والإكثار من العناية بضبط النحو وفنون البلاغة، ولكن ذلك كله لم يوقف تيار العامية الزاخر، واستمر في طغيانه إلى أن غلب في النصف الأخير من عصر هذه الدولة على جميع لغات الخلفاء وعلماء العربية أنفسهم، وأصبح لكل بلادٍ عربية لغة تخاطب عامية خاصة ا، ولكن لم تصبح العامية لغة علمٍ وأدبٍ، كما وأن ذلك لم يكن طويل الأمد.

الخطابة والخطباء

لما كان قيام الدولة العباسية في المشرق، والإدريسية في المغرب الأقصى، والأموية الثانية في الأندلس من الأمور التي ينشأ عنها كثير من الانقلابات السياسية والمذهبية والاجتماعية، وكان ذلك يستدعي تأليف العصابات، ودعوة الناس إلى التشيع لزعماء الأحزاب، كانت دواعي الخطابة متوافرة لتوافر أسبا ا؛ فكان بين قواد هذه الدول ودعا ا وخلفائها ورؤساء وفودها خطباء مصاقع(1). ثم لما افترت هذه الدواعي باستقرار الدول، واشتد اختلاط العرب بالأعاجم، وتولى كثير من الموالي قيادة الجيوش وعمالة الولايات والمواسم، ضعف شأن الخطابة لضعف قدر م عليها، فلم يمض قرن ونصف قرن من قيام تلك الدول حتى بطل شأن الخطابة، إلا قليلاً في المغرب أيام الحفل وقدوم الوفود، وبقيت الخطابة قاصرة على خطب الجمعة والعيدين والمواسم وخطب الزواج ونحو ذلك وقل فيها الارتجال، أو عدم جملة، وحل محل الخطابة في الأمور السياسية نشر المنشورات، وفي الأمور الدينية مجالس الوعظ والتدريس في المساجد والمدارس، وأشتهر في صدر الدولة العباسية جملة خطباء، أشهرهم: داود بن علي، وشبيب بن شيبة.

داود بن علي

هو داود بن علي بن عبد الله بن عباس، خطيب بني العباس، وأحد مؤسسي دولتهم. نشأ هو وإخوته - وكانوا اثنين وعشرين رجلاً - في قرية الحميمة من أعمال عمال - وكان الوليد بن عبد الملك أجلى "علي بن عبد الله بن عباس" وأهل بيته إليها - سنة 95هـ - غضبا عليه.

وكان داود أحد النابغين من إخوته وكان بليغهم ولسا م وأخطبهم في وقته، وعاجلته منيته قبل أن يستطير سلطانه في الدولة. ولاه أبو العباس عقب بيعته بالكوفة ولاية الكوفة

(1) ج. مصقع، وهو: البليغ.

وسوادها، ثم ولاه إمارة الحج في هذه السنة، وولاه معها ولاية الحجاز واليمن واليمامة، فقتل من ظفر م من بني أمية في مكة والمدينة سنة 132هـ -وهو أول موسم ملكه بنو العباس- وخطبهم الخطبة الآتية وهي:

"شكرا شكرا، إنا والله ما خرجنا لنحفر فيكم را، ولا لنبني فيكم قصرا. أظن عدو الله أن لن نقدر عليه، أن روخي لـه من خطامه، حتى عثر في فضل زمامه، فالآن حيث أخذ القوس باريها وعادت القوس إلى النـزعة، ورجع الملك في نصابه في أهل بيت النبوة والرحمة، والله لقد كنا نتوجع لكم ونحن في فرشنا، أمن الأسود والأحمر، لكم ذمة الله، لكم ذمة رسول الله ﷺ، لكم ذمة العباس، لا ورب هذه البنية - وأومأ بيده إلى الكعبة - لا يج منكم أحدا"، ثم ذهب إلى المدينة، ومات ا سنة 133هـ.

شبيب بن شيبة

هو شبيب بن شيبة بن عبد الله المنقري التميمي، خطيب البصرة، ونشأ ا، وامتاز بنبالة نفس وسخاء كف، وحسن تواضع ونزاهة لسان، كما امتاز بخطبه القصيرة البلغية، القريبة من حد الإعجاز. قال الجاحظ: يقال إ م لم يروا خطيبا كشبيب بن شيبة، فإن ابتدأ بحلاوة ورشاقة، وسهولة وعذوبة، فلم يزل يزداد منها حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام ما لا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره، وقد يطول حتى يقول فيه الراجز:

إذا غدت سعـــد علـى شـبيبها على فتاهــا وعلـــى خطيبهـــا

مِن مطلع الشمس إلـــى مغيبـها عجبت مِن كـثر ـــا وطيبـها

وعرف شبيب أبا جعفر المنصور قبل خلافته، ثم اتصل به بعدها، فجعله في حاشية ولي عهده "المهدي" وبقي كذلك حتى ولي المهدي الخلافة، فصار من خيرة سماره وجلسائه، إلى أن مات في حدود سنة 170هـ.

ومن خطبه القصار، ما عزى به المهدي يوم ماتت ابنته "البانوقة" وجزع عليها جزعا شديدا - أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت أجرا، وأعقبك صبرا ولا أجهد الله بلاءك بنقمة، ولا نزع منك نعمة، ثواب الله خير منها، رحمة الله خير لها منك، وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى رده.

الكتابة ـ خطية وإنشائية

الكتابة الخطية: تنوع في هذا العصر الخط الوفي إلى أنواع أربت على خمسين عاما، ومن أشهرها: المحرر، والمشجر، والمربع، والمدور، والمتداخل وبقي مستعملا في المباني ونسكة إلى حدود الألف. ثم نسي جملة وقد جددت منه أنواع في عصرنا؛ أما تاريخ حطا المستعمل الآن فحدث في آخر الدولة الأموية أن استنبط (قطبة) المحور من الخط الكوفي والحجازي خطًا هو أساس الخط الذي يكتب به الآن، واخترع القلم الجليل الذي يكتب به على المباني ونحوها وقلم الطومار (الورقة الكبيرة) وهو أصغر أنواع الجليل وحسن عمله غيره من كتاب صدر الدولة العباسية حتى ظهر إبراهيم الشحري، وأخوه يوسف من كتاب أواخر القرن الثاني فولد إبراهيم من الجليل قلم الثلثين وولد يوسف من الجليل القلم الرياسي، وهو قلم التوقيع، وعن إبراهيم أخذ الأحول المحرر من (صنائع البرامكة) واخترع قلم النصف.

هذه هي أشهر الخطوط وقد تولد منها نحو 20 خطا يختص كل منها بغرض خاص، واتفقوا على أن طول الألف يعتبر معيارا لارتفاع الحروف. وأن يكون طول الألف مربعا مقدار قطة القلم.

وعن الأحول أخذ مهندس الخط الأعظم، الوزير (أبو علي محمد بن مقلة وأخوه أبو عبد الله الحسن المتوفى سنة 338هـ - وهما اللذان تم على أيديهما هندسة خط النسخ والجليل وفروعه على الأشكال التي نعرفها الآن - وأتما العمل الذي بدأ به (قطبة) فهندسا الحروف، وقدرا مقاييسها وأبعادها وضبطاها ضبطًا محكما، واخترعا لـه القواعد - وعن الوزير ابن مقله اخذ أبو عبد الله بن أسد القارئ المتوفى سنة 410هـ وعنه أخذ أبو الحسن علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب - المتوفى سنة 413هـ - وهو الذي أكمل قواعد الخط واخترع عدة أقلام - وإليه انتهت الغاية. وكل من جاء بعده فهو تابع لطريقته كأمين الدين ياقوت الملكي المتوفى سنة 618هـ كاتب السلطان ملكشاه السلجوقي - أما الأندلسيون والمغاربة فلم يعبأوا ـذا الاصطلاح وبقوا يكتبون على طريقة الخط الحجازي إلى الآن بنوع من التعديل - واخترع الجليل الشكل المستعمل الآن بأن كتب الضمة واوا تكتب فوق الحروف، والفتحة ألفًا، والكسرة ياء والشدة رأس شين، والسكون رأس خاء وهمزة القطع رأس عين، ثم اختزل شكلها وزيد عليها حتى آلت إلى الشكل المعروف الآن، وهاك ترجمة الخطاط المتفنن المشهور:

ابن مُقلة

هو الوزير أبو عليّ محمد بن علي بن الحسن بن مقلة إمام الخطاطين. وأحد كبار الكتاب البارعين، أخذ الخط عن الأحول المحرر صنيعة البرامكة، وتم على يديه ويدي أخيه الحسن نقل الخط من الكوفي إلى الشكل المعروف في زماننا وكان ابن مقلة يتولى في أول أمره بعض أعمال فارس، يجبـي خراجها، وتنقلت به الأحوال إلى أن استوزره الإمام المقتدر بالله سنة 216هـ - ثم كاد لـه أعداؤه عنده فقبض عليه سنة 218هـ، ونفاه إلى فارس - ثم وزر للراضي فوشى به أعداؤه عنده فقبض عليه وعزل - ثم أطمعه نحسه أن يكيد لابن رائق أمير الأمراء ببغداد عند هذا الخليفة، فقبض عليه ابن رائق وقطع يده اليمنى ثم عاد فقطع لسانه أيضا حتى مات سنة 228هـ - ومن قوله في تلك الحوادث:

إذا ما مات بعضك فابـك بعضـا ... فإنّ البعض مـن بعـض قريـب

وقوله:

مـا سـئمت الحيـاةَ لكـن ... توثقت بأيمـا م فبانـت يمينـي

بعت ديني لهـم بـدنياي حـتى ... حرمـوني دنيـاهمو بعـد ديـني

ولقد حطْت ما استطعت بجهـدي ... حفظ أرواحهم فمـا حفظـوني

ليس بعـد اليمين لـذّةُ عـيش ... يـا حياتي بانت يمينـي فبـيني

الكتابة الإنشائية في الرسائل الديوانية والإخوانية

كانت كتابة الرسائل في أوائل حكم بني العباس جارية على نظام كتابتها في أاخر عهد بني أمية، سالكة الطريق التي سلكها (عبد الحميد، وابن المقفع، والقاسم بن صبيح، وعمارة بن حمزة، ونظراؤهم) من العناية بجعل عبار ا جزلة بليغة متناسقة الوضع والأسلوب، لا يقصد ا إلا إفهام المعنى الجيد بوضوح وبلاغة وقوة حجة، غير منظور فيها إلى زخرف اللفظ ومحسناته - وبقيت كذلك بل زادت حسنا وجمالاً ومراعاة مقتضى الحال إلى أوائل القرن الرابع ثم أخذت الصناعات اللفظية تغلب عليها تدريجيا بتضاؤل ملكة البلاغة في الكتاب وتقاصر هممهم عن استيفاء أدا ا لتغلب الأعاجم من الديلم البويهيين والترك السلجوقيين على سلطان الخلفاء في الشرق، وتغلب البربر على شمالي أفريقية والأندلس في

الغرب، فلم يعد في الملوك والأمراء من يعنيهم أمر العربية وبلاغتها. وما زالت كذلك حتى سقطت الدولة العباسية على أيدي الأعاجم من التتار فكان ذلك عصر ابتداء اضمحلال الكتابة، واضمحلال اللغة في الجملة.

الكتَّـاب

كان أكثر كتاب المشرق في هذا العصر، من سلالة فارسية أو سوادية، بلغوا بحذقهم سياسة الملك ونبوغهم في البلاغة أن ارتقوا عند خلفاء العباسيين إلى مرتبة الوزارة - وأول من ارتقى منهم إليها هو أبو سلمة الخلال وأشهر من بلغ نفوذه وسلطانه مبلغا زاحم فيه الخليفة، يحيى بن خالد بن برمك، وابناه جعفر والفضل ثم محمد بن الزيات في زمن المعتصم، والواثق) وكان كتاب الأندلس والمغرب أكثرهم من سلالة عربية، ومن أشهر كتاب هذا العصر في الشرق (ابن المقفع، ويحيى بن خالد بن برمك، وابناه جعفر والفضل، وإسماعيل ابن صبيح، وعمرو بن مسعدة، وأحمد بن يوسف، وابن الزيات، والحسن بن وهب، وعلي بن الفرات، وابن مقلة، وابن العميد، والصاحب بن عباد، وأبو بكر الخوارزمي، والبديع، والصابي، والعماد الكاتب، والقاضي الفاضل).

ومن أشهر كتابه في الأندلس (ابن شهيد، وأبو المطرف بن عميرة، وابن زيدون، ولسان الدين بن الخطيب).

ابن المقفع

هو محمد بن عبد الله بن المقفع - أحد فحول البلاغة، وثاني اثنين مهدا للناس طريق الترسل ورفعا لهم معالم صناعة الإنشاء - وأولهما (عبد الحميد).

منشؤه: نشأ ابن المقفع بين أحياء العرب. فكان أبوه (داذويه) المقفع الفارسي يعمل في جباية الخراج لولاة العراق من قبل بني أمية، وهو على دين ا ـوسية ثم أسلم في آخر عمره، وولد لـه ابنه هذا سنة 106هـ - وسماه (روزبة) فنشأ بالبصرة وهي يومئذ حلبة العرب ومنتدى البلغاء والخطباء، والشعراء فكان لكل ذلك - فوق ذكائه المفرط وتأديب أبيه لـه - أعظم أثر في تربيته و يئته لأن يصير من أكبر كتاب العربية، وعلمائها وأدبائها والمترجمين إليها، وقد أسلم بمحضر من الناس وتسمى (عبد الله) وتكنى بأبي محمد.

أخلاقه وبلاغته: وكان نادرة في الذكاء، غاية في جميع علوم اللغة، والحكمة وتاريخ

الفرس مأدبا متعففًا قليل الاختلاط إلا بمن شاكلته، كثير الوفاء لأصحابه.

وكان أمه في البلاغة ورصانه القول وشرف المعاني إلى بيان غرض وسهولة لفظ، ورشاقة أسلوب، ولا توصف بلاغته بأحسن مما وصف هو البلاغة حيث يقول: (البلاغة هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها).

ومن رسائله أنه عزى بعضهم فقال:

(أما بعد) فإن أمر الآخرة والدنيا بيد الله، هو يدبرهما ويقضي فيهما ما يشاء لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، فإن الله خلق الخلق بقدرته، ثم كتب عليهم الموت بعد الحياة، لئلا يطمع أحد من خلقه في خلد الدنيا، ووقت لكل شيء ميقات أجل، لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون، فليس أحد من خلقه إلا وهو مستيقن بالموت، لا يرجو أن يخلصه من ذلك أحد، نسأل الله تعالى خير المنقلب؛ وبلغني وفاة فلان، فكانت وفاته من المصائب العظام التي يحتسب ثوا ا من ربنا الذي إليه منقلبنا ومعادنا وعليه ثوابنا.

فعليك بتقوى الله والصبر وحسن الظن بالله، فإنه جعل لأهل الصبر صلوات منه ورحمة، وجعلهم من المهتدين.

وقد ترجم كتبا عديدة من أشهرها كتاب (كليلة ودمنة) وقيل إن هذا الكتاب من وضع ابن المقفع - وهو قول مقبول لا بأس به - ولـه كتاب (الأدب الكبير) و (الأدب الصغير) و (الدرة اليتيمة) وقتله والي البصرة سفيان بن معاوية سنة 142هـ لا امه بالزندقة والكيد للإسلام بترجمة كتب الزندقة.

إبراهيم الصُّولي

هو أبو إسحاق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، كاتب العراق، وأشعر أصحاب المقطعات، نشأ ببغداد، فتلقى العلم والأدب عن أئمة زمانه، واشتغل بالشعر في حداثته، فبرع فيه، وتكسب به، ورحل إلى العمال والأمراء يمدحهم ويستميح جدواهم، ثم قصد الفضل بن سهل وزير المأمون أيام مقامه معه بخراسان، ومدحه فوهب لـه عشرة آلاف درهم، وجعله الفضل كاتبا لأحد قواده وبقي يتنقل في أعمال النواحي والدواوين حتى كان زمن الواثق عاملاً على الأهواز، فتحامل عليه وزيره ابن الزيات، فعزله وسجنه ا، فكتب إليه يستعطفه، فلم يزدد بذلك إلا جفاء وغلظة، ثم أطلع الواثق على ذلك فأطلقه وتولى ديوان الضياع والنفقات في خلافة المتوكل، ومات سنة 242هـ ومن رسائله تعزية عن لسان المنتصر بالله

إلى طاهر بن عبد الله مولى أمير المؤمنين.

"أما بعد" تولى الله توفيقك وحياطتك، وما يرتضيه منك ويرضاه عنك؛ إن أفضل النعم نعمة تلقيت بحق الله فيها من الشكر، وأوفر حادثة ثوابا حادثة أدي حق الله فيها من الرضا والتسليم والصبر، ومثلك من قدم ما يجب لله عليه في نعمة فشكرها، وفي مصيبة فأطاعه فيها، وقد قضى الله سبحانه وتعالى في محمد بن إسحاق مولى أمير المؤمنين - عفا الله عنه! - قضاءه السابق والموقع، وفي ثواب الله ورضا أمير المؤمنين - أدام الله عزه! - وتقديم ما يقدم مثله أهل الحجا والفهم، ما اعتاضه معتاض وقدمه موفق، فليكن الله عز وجل وما أطعته به وقدمت حقه أولى بك من الأمور كلها، فإنك إن تتقرب إليه في المكروه بطاعته، يحسن ولا يتك في توفيقط لشكر نعمه عندك.

ابن العميد

هو الأستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين العميد، كاتب المشرق وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم، نشأ شغوفًا بمعرفة العلوم العقلية واللسانية فبرع في علوم الحكمة والنجوم، ونبغ في الأدب والكتابة وابتدع طريقة الشعر المنثور، حتى قيل فيه (بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد) ثم رحل عن أبيه إلى آل بويه، وتقلد شريف الأعمال في دولتهم - إلى أن تولى وزارة ركن الدولة سنة 328هـ فساس دولته ووطد أركا ا، وتشبه بالبرامكة ففتح بابه للعلماء والفلاسفة والشعراء والأدباء، وكان يشاركهم في كل ما يعملون إلا الفقه، وما زال في وزارته محط الرحال، وكبة الآمال حتى توفاه الله تعالى سنة 360هـ.

ومن رسائله إلى أبي عبد الله الطبري: كتابي إليك، وأنا بحال لو لم ينغضها الشوق إليك، ولم يرنق صفوها النـزوع نحوك، لعدد ا من الأحوال الجميلة، وعددت حظي منها في النعم الجليلة، فقد جمعت فيها بين سلامة عامة، ونعمة تامة، وحظيت منها في جسمي بصلاح، وفي سعيي بنجاح، لكن ما بقي أن يصفو لي عيش مع بعدي عنك، ويخلو ذرعي مع خلوي منك، ويسوغ لي مطعم ومشرب مع انفرادي دونك، وكيف أطمع في ذلك وأنت جزء من نفسي، وناظم لشمل أنسي، وقد حرمت رؤيتك، وعدمت مشاهدتك، وهل تسكن نفس متشعبة ذات انقسام، وينفع أنس بيتٍ بلا نظام، وقد قرأت كتابك، جعلني الله فداءك، فامتلأت سرورا بملاحظة خطك، وتأمر تصرفك في لفظك.

وما أقرظهما فكل خصالك مقرظ عندي، وما أمدحهما، فكل أمرك ممدوح في ضميري وعقدي.

وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقةً لتقديري فيك؛ فإن كان كذلك وإلا فقد غطى هواك وما ألقي على بصري.

الصاحب ابن عباد

هو كافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل الصاحب بن عاد، وزير آل بويه وكاتبهم، ولد سنة 316هـ بطالقان قزوين، وتعلم العلم والأدب من أبيه، ثم اتصل بابن العميد، فلزم صحبته، وأخذ عند الأدب، وتولى لـه كتابة خاصته، ثم تنقلت به الأحوال في خدمة ملوك بني بويه، فكان وزيرا لمؤيد الدولة، ثم لأخيه فخر الدولة، وله في ملكها اليد المطلقة، والأمر النافذ حتى مات سنة 385هـ.

ويعد ابن عباد في الكتابة ثاني ابن العميد في حلبته، وأبلغ من سلك طريقته غير أنه أولع بالسجع والجناس، ولا يعرف بعدهما من بلغ بشرف العلم والأدب مبلغهما، ولا حل من شرف الملك والسلطان بمهنة الكتابة منـزلتهما، ومن رسائله ما كتب له إلى بعض السادة، وقد أهدى إلى ابن عباد مصحفًا.

البر، أدام الله السيد، أنواع، تطول به أبواع، وتقصر عنه أبواع، فإن يكن فيها ما هو أكرم منصبا، وأشرف منسبا، فتحفة السيد، إذ أهدى ما لا تشاكله النعم، ولا تعدله القيم: كتاب الله وبيانه، وكلامه وفرقانه، ووحيه وتنـزيله وهداه وسبيله، ومعجزة رسول الله ﷺ ودليله، طبع دون معارضة على الشفاه وختم على الخواطر والأفواه، فقصر عنه الثقلان، وبقي ما بقي الملوان، لائح سراجه، واضح منهاجه، منير دليله، عميق تأويله، يقصم كل شيطان مريد، ويذل كل جبار عنيد، وفضائل القرآن لا تحصى في مطولات الأسفار؛ فأصف الخط الذي بهر الطرف، وفاق الوصف، وجمع صحة الأقسام، وزاد في نخوة الأقلام، بل أصفه بترك الوصف فأخباره آثاره، وعينه فراره، وحقا أقول إني لا أحسب أحدا ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت وابتدع في استكتابها ما ابتدعت، وإن هذا المصحف لزائد عن جميعها زيادة الفرع على الغرة، بل زيادة الحج على العمرة.

أبو بكر الخوارزمي

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي، الكاتب الشاعر اللغوي الأديب الرحالة، ولد بخوارزم سنة 323هـ ونشأ ا، وكان ضليعا من كل فن من فنون العربية، وخاصة الكتابة والشعر، جاب الأقطار، ودخل الأمصار من الشام إلى أقصى خراسان، في استفادة العلم والأدب وإفاد ما، وكان كثير الحفظ للشعر غزير مادة اللغة.

وتقلب الخوارزمي في خدمة كثير من الملوك والأمراء والوزراء - حتى ألقى عصا التسيار بمدينة نيسابور، وطاب عيشه ا إلى أن مني في آخر أيامه بمساجلة بديع الزمان الهمذاني ومناظرته ومناضلته، وأعانه عليه قوم من أعيان البلدة ووجوهها، فانخذل الخوارزمي انخذالاً شديدا، وكسف باله، ولم يحل عليه الحول حتى مات سنة 383هـ.

وكان الخوارزمي ممن يجري على طريقة ابن العميد في الكتابة متوخيا جزالة الألفاظ، محتفلاً بصحة المعاني مع ميل فيه إلى الغريب، وتقدم لـه كثير من الرسائل.

بديع الزّمان الهمذانيّ

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الكاتب المترسل، والشاعر المبدع.

منشؤه: نشأ مذان، ودرس العربية والأدب، ونبغ فيهما، وضرب في الأرض يتكسب بأدبه، ثم أقام بنيسابور مدة أملى ا أربعمائة مقامةٍ، بلفظ رشيق وسجع رقيق، وعلى منوالها نسج الحريري، ثم شجر بينه وبين الخوارزمي ما كان سببا في هبوب ريحه، وبعد صيته، إذ لم يكن في الحسبان أن أحدا يجترئ على الخوارزمي.

وبموت الخوارزمي خلا له الجو عند الملوك والأمراء، فجول في حواضرهم ثم استوطن هراة، وصاهر أحد أعيا ا العلماء، فحسنت حاله، ونعم باله، ولكن المنية عاجلته وهو في سن الأربعين سنة 393هـ، وتقدم لـه كثير من الرسائل والمقامات المشهورة.

ابن زيدون

هو الكاتب الشاعر ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله المشهور بابن زيدون المخزومي الأندلسي، ولد سنة 354هـ، ونشأ في مدينة قرطبة، وتأدب على كبار أئمتها، وقال الشعر وأجاده، ولما نبه شأنه بين شعراء قرطبة، اتصل بأبي الوليد بن جهور أحد ملوك الطوائف فحظي عنده ومدحه حتى أصبح لسان دولته الناطق، وحسامها المسلول، فأفسد

أعداؤه ما بينه وبين ابن جهبور، فاعتقله ومكث في محبسه مدةً استشفع فيها إليه بقصائد أبدعها، ورسائل استنفد فيها جهده، فما ألانت لـه قلبا، فأعمل الحيلة في فراره من سجنه، وخلص إلى المعتضد بن عباد ملك إشبيلية إذ كان أشد ملوك الطوائف رغبةً فيه، وأكثرهم تمسكًا بالأدباء، فألقى إليه مقاليد وزارته، وأصبح صاحب أمره و يه، ولما مات المعتضد وخلفه ابنه المعتمد كان لـه كما كان أبوه، وأغدق عليه بره ونعمته.

ومكث ابن زيدون على هذه الحال حتى مات بإشبيلية سنة 463هـ.

القاضي الفاضل

هو أبوعلي عبد الرحيم البيساني اللخمي، ولد بمدينة عسقلان سنة 529هـ، وتعلم على أبيه وغيره، قدم مصر وهو شاب، وتولى رئاسة ديوان الإنشاء في أواخر الدولة الفاطمية.

وتعلم في ديوان ابن حديد قاضي الإسكندرية، وظهر فضله فيما كان يرسله إلى القاهرة من الرسائل فاستقدم أيام الظافر إليها وكان من كتاب ديوانه، ولازم خدمة أكابر القضاة والكتاب في الديوان وأخذ عنهم، وحاكاهم بل فاقهم فصاحة وبلاغة لسعة إطلاعه، وغزارة مادته وسرعة بديهته، وصفاء خاطره.

ولما سقطت الدولة الفاطمية تولى وزارة صلاح الدين بن أيوب، وكان يتردد بين مصر والشام في الحروب الصليبية، ودبر أحسن تدبير - وبقي في الوزارة حتى مات صلاح الدين فوزر لأبيه العزيز على مصر، ثم وزر من بعده لأخيه، ومات سنة 596هـ. ومن رسائله القصيرة رسالة كتبها على يد خطيب عيذاب إلى صلاح الدين يتشفع لـه في توليته خطابة الكرك وهي:

أدام الله السلطان الملك االناصر وثبته، وتقبل عمله بقبول صالح، وأثبته، وأرغم أنف عدوه بسيفه وكبته.

خدمة المملوك هذه واردة على يد خطيب عيذاب، ولما نبا به المنـزل عنها وقل عليه المرفق منها وسمع هذه الفتوحات التي طبق الأرض ذكرها. ووجب على أهلها شكرها - هاجر من هجير عيذاب وملحها. ساريا في ليلة أملٍ كلها ار فلا يسأل عن صبحها، وقد رغب في خطابة الكرك وهو خطيب وتوسل بالمملوك في هذا الملتمس وهو قريب، ونزع من

مصر إلى الشام، وعن عيذاب إلى الكرك وهذا عجيب، والفقر سائق عنيف، والمذكور عائل ضعيف، ولطف الله بالخلق موجود ومولانا لطيف والسلام.

التدوين والتصنيف

كانت الحاجة إلى التدوين قد اشتدت في مبدأ الدولة العباسية لاتساع ممالك الإسلام، فهب العلماء إلى تهذيب ما كتب في الصحف المتفرقة، وما حفظوه في الصدور، ورتبوه وبوبوه وصنفوه كتبا، وكان من أقوى الأسباب لإقبال العلماء على التصنيف حث الخليفة، أبي جعفر المنصور عليه، وحمله الأئمة والفقهاء على جمع الحديث والفقه، ولم يقتصر على معاضدة العلوم الإسلامية، بل أوعز إلى العلماء والمترجمين أن ينقلوا إلى العربية من الفارسية واليونانية فنون الطب والسياسة والحكمة والفلك والتنجيم والآداب، وتابعه في ذلك أولاده وأحفاده، حتى زخرت بحور العلم، واخترعت الفنون، وتفرعت المسائل ودونت الكتب في كل فن.

كتابة التصنيف والتدوين

وكانت كتابة التصنيف في القرن الأول وبعض الثاني من النهضة عبارة عن سلسلةٍ من الروايات المسندة إلى رواتها، وبعضها يروى بلفظ أصحابها غالبا كما في الشعر والخطب والرسائل، وبعضها بلفظ الراوي كما في أخبار الفتوح والتاريخ والقصص، ثم ظهرت بعد ذلك في العلوم الشرعية واللسانية طبقات الاستنباط والتعليل، والتفريع والشرح والاختصار، وجمع الفروع تحت كليات عامة، فلم يكن للمؤلفين بد من حذف أسانيد الروايات، وترك المحافظة على نقلها بلفظها إلا في الحديث ونحوه.

أما كتب العلوم المترجمة فكانت عبارتها هي تفسير ألفاظها الأعجمية بالعربية، ولم تكن ترجمتها جيدةً في (عصر المنصور) ثم صححت ترجمتها في زمن الرشيد والمأمون، ثم لما أتقن كثير من فلاسفة المسلمين هذه العلوم كتبوا فيها بعباراتهم، وكانت أول أمرها بليغةً مفهومة، ثم عموها على بعض الفقهاء المكفرين لهم، والمغرين الأمراء بقتلهم حتى أصبحت عبارة كتب الفلسفة والتوحيد أصعب ما يقرأ باللسان العربي.

العلوم اللسانية ونشأتها

العلوم اللسانية: هي الأدب، والتاريخ، والعروض، والنحو، واللغة، والبلاغة.

علم الأدب: كانت كتبه في أول هذا العصر رسائل يبحث كل منها في ضرب خاص من ضروبه، كرسائل ابن المقفع، ورسائل سهل بن هرون: في الأخلاق، وكتاب النوادر، وكتاب الأراجيز، وكتاب الشعر للأصمعي، وكتاب الشعر والشعراء لأبي عبيدة، وإذا تابعنا من يقول إن ابن المقفع هو الذي ابتدع كتاب (كليلة ودمنة) ونحله الهند والفرس، كان هذا الكتاب أول كتاب ظهر في (الأدب العربي) الخاص بموضوع واحد، وأول كتاب ظهر فيه جامع لفنون كثيرة: منه كتاب (البيان والتبيين) وكتاب (الحيوان) للجاحظ، واقتفى أثره أحمد بن طيفور في كتابه العظيم (المنظوم والمنثور) في أربعة عشر جزءًا. ثم أبو العباس محمد المبرد في الكامل، والروضة)، ثم أبو حنيفة الدينوري وأبو بكر محمد الصولي، وابن قتيبة صاحب (أدب الكاتب)، وابن عبد ربه صاحب (العقد الفريد)، وأبو علي القالي صاحب (الأمالي)، وأبو الفرج الأصبهاني صاحب (الأغاني)، وغيرهم، ومن أشهر المؤلفين في الأدب: الجاحظ، وأحمد بن عبد ربه، والحريري، وها هي ترجما م.

الجاحظ

هو إمام الأدب أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكناني البصري ولد حوالي سنة 160هـ بمدينة البصرة ونشأ ا فتناول كل فن: ومارس كل علم عرف في زمانه مما وضع في الإسلام، أو نقل عن الأمم الأوائل، فأصبح لـه مشاركة في علم كل ما يقع عليه الحس أو يخطر بالبال، فهو راوية متكلم فيلسوف، كاتب مصنف، مترسل شاعر، مؤرخ عالم الحيوان والنبات والموات، وصاف لأحوال الناس ووجوه معايشهم واضطرا م وأخلاقهم وحيلهم - إلا أنه غلب عليه أمران: الكلام على طريقة المعتزلة؛ والأدب الممزوج بالفلسفة والفكاهة! وكان غاية في الذكاء، ودقة الحس، وحسن الفراسة، وكان سمحا جوادا كثير المواساة لإخوانه، وكان على دمامة خلقه وتناقض خلفه خفيف الروح فكه ا لمس غاية في الظرف وطيب الفكاهة وحلاوة الكلام - وهو على الجملة أحد أفذاذ العالم وإحدى حجج اللسان العربي - وأقام الجاحظ أكثر عمره بالبصرة يعيش معيشة الأدباء والعلماء، محبوبا لولا ا وأعيا ا، محبوا منهم بالعطايا والمنح، بما يصنفه لهم من الكتب المتفقة مع أهوائهم المختلفة - وكان كثير الانتجاع للخلفاء (ببغداد - وسر من رأى) حتى فلج

بالبصرة وبقي مفلوجا مدة إلى أن انتقل إلى بغداد فمات ا ودفن بمقبرة الخيزران (أم الرشيد) سنة 255هـ، ولـه أكثر من مائتي كتاب.

أحمد بن عبد ربه

هو أديب الأندلس وشاعرها أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبـي ولد سنة 246هـ ونشأ بمدينة قرطبة، ودرس علوم العربية فنبغ في جميعها وحفظ منها ما لم يحفظه أحد من علماء زمانه، وقرأ رسائل المحدثين من المشارقة، وما ترجم من كتاب الأوائل في أكثر العلوم، وأودع زبدة ذلك في كتابه (العقد الفريد). وكان يشتغل في حداثته بالشعر، ويجري في مضمار اللهو والطرب، ونظم في ذلك من القصائد والمقطعات الرقيقة الجميلة ما جعل المتنبي على صلفه وكبره حين سمع شعره يسميه (مليح الأندلس) ثم أقلع في كبره عن صبوته، وأخلص لله في توبته, فاعتد أشعاره التي قالها في الغزل واللهو عملاً باطلاً. وعمل على أعاريضها وقوافيها قصائد في الزهد يعرضها ا، وسماها (الممحصات) ونال من خلفاء بني أمية بالأندلس قبولاً، وحل عندهم في المكان الأسمى - وبقي بقرطبة رئيسا مسودا - حتى فلج، وعاش بعد ذلك عدة سنين - ثم مات ا سنة 328هـ.

الْحَريريُّ

هو أبو محمد القاسم بن محمد بن الحريري البصري، المولود سنة 446هـ الكاتب الشاعر اللغوي النحوي صاحب البدائع المأثورة في مقاماته المشهورة التي نسجها على منوال مقامات بديع الزمان الهمذاني وأنشأ خمسين مقامة، أتى فيها على كثير من مواد اللغة وفنون الأدب وأمثال العرب وحكمهان بعبارة مسجعة مزينة بأنواع البديع، ولاسيما الجناس، ترغيبا للطلاب في حفظ اللغة وأد ا، وتفكيها لهم بمطالعتها، ونحل وقائعها (أبازيدٍ السروجي) وهو أعرابي فصيح من سروج، كان قدم البصرة وأعجبه ا علماؤها، وسمى راويها عنه (الحارث بن همام) - يريد نفسه - وأهداها إلى الوزير جمال الدين بن صدقة وزير المسترشد العباسين ولـه غير المقامات شعر كثير ورسائل بديعة وكتب في النحو واللغة؛ ومنها كتابه (درة الغواص في أوهام الخواص) و (ملحة الإعراب في النحو) وتوفي بالبصرة سنة 522هـ.

فن التأريخ

أول ما وضع في التأريخ باللغة العربية الكتاب الذي وضعه عبيد بن شرية لمعاوية، وفي صدر الدولة العباسية وضع كثير من العلماء كتبا في التأريخ بأقسامه التي من أشهرها:

(1) فن السير والمغازي؛ وأشهر من ألف فيه من الأوائل: محمد بن إسحاق.

(2) فن الفتوح؛ واشهر من ألف فيه منهم الواقدي، والمدائني، وأبو مخنف.

(3) فن طبقات الرجال؛ وأشهر علمائه ابن سعد كاتب الواقدي، والبخاري.

(4) فن النسب؛ وأشهر قدماء علمائه: الكلبـي، وابنه.

(5) فن أخبار العرب وأيامها؛ وأشهر علمائه: أبو عبيدة، والأصمعي.

(6) قصص الأنبياء؛ وكتب فيه كثيرون.

(7) تاريخ الملوك؛ ومن أقدم من كتب فيه: ابن قتيبة الهيثم بن عدي، وابن واضح اليعقوبي، ثم شيخ المؤرخين وعمدتهم محمد بن جرير الطبري الجامع كتابة هذه الفنون السابقة مرتبا على حسب السنين الهجرية.

وحاكاه بعده ابن الأثير في تاريخه (الكامل).

العروض والقافية

أول من اخترع علم العروض "الخليل بن أحمد" من غير سابقة تعلم على أستاذ أو تدرج في وضع، بل ابتدعه، وحصر فيه أوزان العرب في خمسة عشر بحرا، وزاد عليه تلميذ تلميذه الأخفش بحرا آخر، ثم لم يزد عليهما أحدا يعتد به.

أما القافية، فقد كان العلماء قبل الخليل يتكلمون فيها، ولكن الخليل هو أول من فصل الكلام فيها، وجعلها علما مدونا.

النحو

جاءت الدولة العباسية والنحو علم يدرس في المعاهد، ولكن البصريين سبقوا الكوفيين في الاشتغال به، كما سبقهم الكوفيون في الاشتغال بالشعر وعلم الصرف.

ومن أكب الأئمة الذين اشتغلوا بالنحو وهذبوه من البصريين أبو عمرو بن العلاء وتلميذه الخليل، وتلميذ الخليل "سيبويه" الواضع لأول كتاب جامع في النحو، ثم بعده "الأخفش" شارح كتابه.

ومن الكوفيين: معاذ الهراء، والرؤسي، وتلميذهما الكسائي، وتلميذه الفراء.

علم اللغة

ويسمى "متن اللغة" ونعني به معرفة معاني ألفاظها المفردة، وأول ما وضع الأئمة فيه رسائل وكتبا صغيرة في موضوعات خاصة، فلما ظهر الخليل أحصى ألفاظ اللغة بطريقة حسابية في كتاب ورتبه على حروف المعجم مقدما حروف الحلق، ومبتدئًا منها بالعين، ولذلك سمى معجمه كتاب (العين) ثم ألف أبو بكر بن دريد معجمه العظيم الذي سماه (الجمهرة) مرتبا على حروف المعجم بترتيبها المعروف الآن. وأدرك عصر الأزهري فألف كتاب (التهذيب) على ترتيب الخليل، ثم وضع الجوهري كتابه المسمى (بالصحاح) على ترتيب الجمهرة وابن سيده الأندلسي كتابه المحكم على ترتيب الخيل، وابن فارس كتابه (ا مل) والصاحب بن عباد كتابه (المحيط) وهذه هي أصول كتب اللغة وما بعدها من العباب، والتكملة، ومجمع البحرين للصغاني، و(النهاية) لابن الأثير، و(لسان العرب) لابن مكرم و(المصباح) للفيومي، والقاموس للفيروزابادي فهو جمع لها أو اختصار منها.

علوم البلاغة - المعاني والبيان والبديع

أول كتاب دون في علم البيان كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة تلميذ الخليل ثم تبعه العلماء. ولا يعلم أول من ألف في المعاني بالضبط وإنما أثر فيها كلام عن البلغاء وأشهرهم الجاحظ في (إعجاز القرآن) وغيره وأول من دون كتبا في علم البديع ابن المعتز وقدامة بن جعفر، وقبل ذلك كان البديع يستعمل في الشعر عملا، وبقيت هذه العلوم تتكامل، ويزيد فيها العلماء حتى جاء فحل البلاغة عبد القاهر الجرجاني فألف في المعاني كتابه (دلائل الإعجاز) وفي البيان كتابه (أسرار البلاغة)، وجاء بعده السكاكي فألف كتابه العظيم (مفتاح العلوم).

الخليل بن أحمد

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي البصري، مخترع العروض ومبتكر المعجمات، وواضع الشكل العربي المستعمل حتى الآن.

ولد سنة مائة هجرية بالبصرة، ونشأ ا، وأخذ العربية والحديث والقراءة على أئمة زمانه، وأكثر الخروج إلى البوادي وسمع الأعراب الفصحاء، فنبغ في العربية نبوغًا لم يكن

لأحد ممن تقدمه أو تأخر عنه، وكان غاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله، ولقن ذلك تلميذه سيبويه.

ومما يشهد لـه بحدة الفكر وبعد النظر، اختراعه العروض علما كاملا، لم يحتج إلى تهذيب بعده، وابتكاره طريقة تدوين المعجمات بتأليف كتاب "العين" وتدوينه كتابا دقيقًا في الموسيقى على غير معرفة بلغة أجنبية واشتغال بلهو، وزاد في الشطرنج قطعة سماها "جبلا" لعب بها الناس زمنا، وبقي الخليل مقيما بالبصرة طول حياته، زاهدا متعففًا مكبا على العلم والتعليم - حتى مات في أوائل خلافة الرشيد سنة 170هـ بصدمة في دعامة مسجد ارتج منها دماغه.

سيبويه

هو أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر - إمام البصريين، وحجة النحويين.

ولد بالبيضاء من سلالة فارسية ونشأ بالبصرة، وكان يطلب أول أمره الحديث والفقه. فعيبت عليه لحنة لحنها في مجلس شيخه، فخجل وطلب النحو ولازم الخليل، وأخذ عن غيره أيضا، وكان الخليل يؤثره على أصحابه، فدون جميع ما أخذه عنه ونقله عن غيره في كتابه الذي لم يجمع قبله مثله - ولولا هذا الكتاب الذي رواه عنه، وشرحه تلميذه الأخفش، ما كان لسيبويه خبر يشهر لوفاته كهلا، ولقلة من أخذ عنه هذا الكتاب، ولأنه لا يعرف لـه كتاب غيره، وبحسبك هو، ومات ببلدته البيضاء بفارس سنة 180هـ - وسنه نيف وأربعون سنة.

الكسائي

هو أبو الحسن علي بن حمزة - أحد القراء السبعة، وإمام الكوفيين في النحو واللغة - نشأ بالكوفة، وتعلم على الكبر بعد لحنة لحنها أمام جمع من طلبة العلم، فلازم أئمة الكوفة حتى أنفد ما عندهم، ثم خرج إلى الخليل بالبصرة وجلس في حلقته، وأعجبه علمه، فقال لـه: من أين علمك هذا؟ فقال من بوادي الحجاز ونجد وتهامه، فخرج إليها، وأنفد خمس عشرة قينة حبر في الكتابة عن العرب، سوى ما حفظ عنهم، ولما رجع من البادية وجه إليه المهدي فخرج إلى بغداد فحظي عنده، وضمه إلى حاشية ابنه الرشيد، ثم جعله الرشيد مؤدب ولده الأمين، وكان يجلسه هو القاضي محمد بن الحسن الشيباني صاحب الإمام الأعظم أبي حنيفة على كرسيين مميزين بحضرته، وما زالا على هذه الكرامة حتى خرج الرشيد إلى الري

وهما في صحبته فماتا في يوم واحد فبكاهما، وقال: دفنت الفقه والعربية بالري - وذلك سنة 189هـ. وقد انتهت إليه إمامة القراءة والعربية بالكوفة وبغداد - وكان يروي الشعر، وليس فيه جيد نظر.

العلوم الشرعيـة

التفسير:لم يدون في كتب جامعة تجمع سور القرآن الكريم كلها إلا في عصر الدولة العباسية. وكان التفسير عبارة عن نقل روايات عن النبي ﷺ وأصحابه تبين المراد من آياته، وأول طبقة من المفسرين أدركت الدولة العباسية أو أنشئت في صدرها طبقة سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح وشعبه بن الحجاج، وإسحاق بن راهويه، ومقاتل بن سليمان، والفراء.

كتب الحديث

أول كتاب جمع في الحديث الكتاب الذي أمر الخليفة الأموي "عمر بن عبد العزيز" بتدوينه ولم يعرف لـه خير بعد، ثم أخذ العلماء يدونون فيه بحض الخليفة أبي جعفر وأولاده، فدون الإمام مالك "موطأه". ولما اشتدت رغبة الناس في طلب الحديث وضع كثير من الزنادقة واليهود المتظاهرين بالإسلام كثيرا من الأحاديث، فتجرد لها الأئمة الأعلام، وبينوا صحيحها من فاسدها، كإسحاق ابن راهويه وتلميذه محمد بن إسماعيل البخاري الذي دون كتابه في الأحاديث الصحاح فقط، وتبعه تلميذه مسلم بن الحجاج، والإمام أحمد بن حنبل، وأصحاب الكتب الستة الصحاح؛ وهم: الترمذي، وأبو داود، والنسائي وابن ماجه، والبخاري، ومسلم.

هذه هي أصول الكتب الصحيحة في الحديث.

الإمام البخاري

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، إمام المحدثين وصاحب "الجامع الصحيح" أجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله العزيز ولد البخاري من سلالة فارسية سنة 194هـ. ونشأ ا يتيما فحفظ القرآن وألم بالعربية وهو صبـي وحبب إليه سماع الحديث، فكان أول سماعه من علماء بخارى وهو لم يناهز البلوغ، حتى حفظ عشرات الألوف من الأحاديث ودخل من أجلها أكثر ممالك المشرق، وأخذ عنه علماؤها وأئمتها،

ومنهم أحمد بن حنبل؛ وتفقه مبدئيا على مذهب الشافعي. واستخرج كتابه "الجامع الصحيح" من ستمائة ألف حديث، في ست عشرة سنة، جمع فيه تسعة آلاف حديث مكرر بعضها بتكرر وجوهها؛ وقال: إني جعلته حجةً بيني وبين الله. فأجمع علماء السنة على أنه لم يكن فيها أصح منه، ومات سنة 256هـ.

علم الفقه

لما كان المروي عن رسول الله ﷺ وظاهر القرآن لا يستوعبان كل أحكام الوقائع المختلفة المتجددة بتجدد الزمان والمكان، كان الاجتهاد ضروريا في الدين؛ وجاءت الدولة العباسية وأهل الحجاز يرجحون جانب الأخذ بالحديث لكثرة رواته بينهم، وإمامهم في مذهبهم "مالك بن انس" وأهل العراق يرجحون الأخذ بالقياس، وإمامهم في مذهبهم "أبو حنيفة" لكثرة ما وضعه متزندقة العراق في الحديث. ثم لما دخل أهل الحجاز العراق، وتساوى الفريقان في معرفة الحديث عملوا بما ونشأ من ذلك عدة مذاهب أشهرها (مذهب أبي حنيفة، ومذهب مالك، ومذهب الشافعي، ومذهب أحمد بن حنبل) وهذه المذاهب الأربعة هي التي ارتضاها معظم الأمة في أمر دينها ودنياها ثم كان مذهب أئمة مجتهدون فيه.

الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان

هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت فقيه العراق. ولد سنة 80هـ من سلالة فارسية، ونشأ بالكوفة، وعاصر بعض الصحابة، وأخذ كل علمه عمن شافه الصحابة ونقل عنهم واستنبط فقهه من القرآن الكريم وما صح عنده من الحديث مع استعمال الرأي والقياس، وكان من أعبد الناس وأكثرهم جدا وقراءة للقرآن الكريم، وأكثرهم ورعا وتوخيا للكسب من وجه حلٍ، رضي أن يعيش تاجر خز، ورغب عن وظائف الملوك والخلفاء، وعرض عليه القضاء من قبل أمراء بني أمية، ثم المنصور فأبى، فسجنه وآذاه، حتى قيل إنه مات في سجنه، وكان يعتذر بأنه لا يأمن نفسه أن تزل، وقرأ عليه علماء الكوفة وبغداد، تخرج عليه منها الأئمة من أصحابه كمحمد بن الحسن، وأبي يوسف، وزفر. ومات ببغداد سنة 150هـ.

الإمام مالك

هو أبو عبد الله مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، وسيد فقهاء الحجاز، وهو عربي من

سلالة أقيال حمير. ولد سنة 95هـ بالمدينة المنورة ونشأ ا، وأدرك خيار التابعين من الفقهاء والعباد، ورحل إليهم وأخذ عنهم، وما زال يدأب في التحصيل وجمع السنة حتى صار حجة من حجج الله في أرضه، وضرب به المثل، فقيل: "لا يفتى ومالك بالمدينة" وعرف الخلفاء قدره فأجلوه، حتى أن الرشيد رحل هو وأولاده إليه بالحجاز ليسمع "موطأه" فسمعه وأغدق عليه.

وكان مالك أول أمره فقيرا، فلما كثرت منح الخلفاء لـه حسن حاله، فأظهر نعمة الله عليه، ووصل أهل العلم وأشركهم في ماله، ومنهم "الشافعي".

وأما أخلاقه من حيث الكرم والطلاقة والوقار والنبل والتواضع والحب لرسول الله ﷺ فإ ا تجل عن الوصف حتى أنه كان لا يركب دابة في المدينة إجلالا لأرض ضمت جسد رسول الله ﷺ. وتوفي سنة 179هـ بالمدينة - ودفن بالبقيع.

الإمام الشافعي

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، عالم قريش وفخرها، وإمام الشريعة وحبرها، وهو من ولد المطلب بن عبد مناف ولد بمدينة غزة سنة 150هـ، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين، ونشأ ا فقيرا تربيه أمه، ويواسيه ذوو قرابته من قريش، حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين وأولع بالنحو والشعر واللغة، ورحل إلى البادية في تصلبها ولم يناهز سن البلوغ حتى حفظ منها شيئًا كثيرا، ثم تفقه وحفظ (موطأ مالك) وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة، ثم رحل في هذه السن إلى مالك وقرأ عليه الموطأ من حفظه، فقال مالك: إن كان أحد يفلح فهذا الغلام، وأصافه وخدمه بنفسه، ثم رجع إلى مكة، وعلم ا العربية والفقه، وصحح عليه الأصمعي شعر الهذليين، ثم دخل بغداد سنة 195هـ، فاجتمع عليه علماؤها وأخذوا عنه، وفي سنة 199هـ، أو سنة 200هـ خرج إلى مصر وسكن الفسطاط فكانت دار هجرته، و ا أملى مذهبه بجامع عمرو، وتوفي ا سنة 204هـ.

الإمام أحمد بن حنبل

هو الإمام الصابر المحتسب أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني. ولد ببغداد من سلالة عربيةٍ سنة 164هـ، فتعلم وطلب لحديث وسمع من أئمة وقته، حتى حفظ مئات الألوف من الأحاديث، واختار منها نيفًا وأربعين ألف حديث ضمنها كتابه (المسند) واستنبط مذهبه من السنة مشوبا بشيء من القياس والرأي، وظهرت في مدته فتنة (خلق القرآن) فامتحن ا

في مجلس المعتصم ليجيبهم إلى القول بخلق القرآن، فلم يفعل، فضرب حتى أغمي عليه، وبقي مدة مريضا، ثم عوفي واشتغل بالعلم والتعليم ببغداد - حتى مات سنة 241هـ.

علم الكلام

كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يستدلون على عقائدهم بظاهر الكتاب والسنة، وما وقع فيهما من المتشابه، أو أوهم التشبيه المنافي لتنـزيه المعبود توقفوا فيه خوف أن يحيد بهم فهمهم في التأويل عن القصد غير أن ذلك لم يقنع من دخل في الإسلام فكثر جدلهم، واضطر العلماء أن يعارضوهم، وساعدهم الخلفاء، وأولهم المهدي الذي حرضهم على تدوين علم الكلام "التوحيد" فافترق المرضي عن مذهبهم من علماء الكلام فرقتين، فرقة اعتقدت ما يقرب من مذهب السلف وسموا (المعتزلة) أو أصحاب العدل، وجرى رجال الحكومة العباسية على هذا المذهب ونصروه، حتى ظهر أبو الحسن الأشعري فألف مذهبه الكلامي الذي سمي بعد بمذهب الأشاعرة، وغلب على كل مذهب سواه إلا بعض مذاهب قليلة كمذاهب الشيعة "وبقي كثير منها إلى الآن"، ومذاهب الخوارج وبقي منهم إلى عصرنا بقية في الجبل الأخضر من برقة، وفي جزيرة جربة على ساحل تونس وببلاد البحرين.

أبو الحسن الأشعري

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل شيخ طريقة أهل السنة والجماعة وإمام المتكلمين ولد بالبصرة سنة 270هـ ونشأ بها، وأخذ علم الكلام عن أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة، وتبعه في الاعتزال، واحتج لـه حتى صار لسان المعتزلة أكثر من ثلاثين عاما، ثم هداه البحث أخيرا فرأى أن كلا الفريقين من هؤلاء ومن المعتزلة غالٍ في نظره، فتوسط، وتغيب عن الناس مدة ألف فيها كتبه في نصرة أهل السنة، والرد على أكثر عقائد المعتزلة، وكان شافعي المذهب.

توفي سنة 324هـ ومن نصر مذهبه الفخر الرازي، وقاربه في مذهبه القاضي أبو منصور الماتريدي.

الإمام الغزالي

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي، حجة الإسلام، ولد سنة 450هـ ونشأ بطوس وتعلم بها مبادئ العلوم، ثم رحل إلى نيسابور، ولازم إمام الحرمين

الجويني، وهو يومئذ عالم الشافعية في الشرق، فما زال يتلقى عنه العلم حتى صار من أكابر متكلمي الأشاعرة وفقهاء الشافعية، ولما مات الجويني ذهب إلى بغداد ولقي الوزير نظام الملك صاحب المدرسة النظلمية الشهيرة وناظر بحضرته العلماء فظهر عليهم، وأقر لـه فحول العراق بالفضل، فتولى التدريس بالمدرسة النظامية أربع سنوات - ثم حج وذهب إلى الشام يدرس ويسيح لزيارة بعض مشاهد أنبيائها، ثم دخل مصر وأقام بالإسكندرية مدة ثم عاد إلى وطنه طوس، واشتغل بتأليف الكتب الجليلة وفي مقدمتها كتاب، "إحياء علوم الدين" ثم ألزم التدريس بنيسابور، ثم عاد إلى وطنه حيث مضى بقية عمره بين التدريس ووعظ الصوفية وعمل البر، ثم مات بالطابران قصبة طوس سنة 505هـ.

نشأة العلوم الكونية المنقولة
وترجمتها وأشهر المترجمين والمشتغلين بها

وكانت تسمى علوم الفلسفة والحكمة وتشمل أربعة علوم: المنطق، والطبيعيات، والرياضيات، والإلهيات، وتشمل الطبيعيات علم الطبيعة، والكيمياء، وفن المواليد الثلاثة، والطب والصيدلة والفلاحة.

وتشمل الرياضات: علم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وعلم الآلات (الميكانيكا) وعلم الفلك الشامل للهيئة والتنجيم، ومن متعلقاته علم الجغرافيا الرياضة، ويلحق ذه العلوم علم السياسة وتدبير المنـزل والمال وعلم الأخلاق وفنون الموسيقى.

وتشمل الإلهيات علم ما وراء الطبيعة من الروحانيات والمدركات العقلية كالبحث عن صفات الخالق والقوى النفسية والجن والملائكة، ونحو ذلك.

وهذه العلوم فطرية في الإنسان من حيث إنه متفكر متمدين لا تختص ا أمة دون أخرى، فكان الاشتغال ا ضروريا لكل أمة أصبحت ذات حضارة، ولذا ترجم المسلمون بعضها في عصر بني أمية، واستقدم "المنصور العباسي" كثيرا من الأطباء والمترجمين، فترجموا لـه كتب اليونان والفرس والهنود في الطب والفلك والسياسة.

ولما مات المنصور فتر أمر الترجمة إلى زمن الرشيد والبرامكة فحثوا العلماء على ترجمة الكتب اليونانية، وصححوا بعض ما ترجم زمن المنصور.

ثم جاء عصر "المأمون" فزخرت بحور الترجمة، وبعث إلى بلاد الروم جماعة من المترجمين كابن البطريق وسلم صاحب بيت الحكمة والحجاج بن مطر وحنين ابن إسحاق، فاختاروا كتبا حملوها إلى بغداد وترجمت، وتعلمها الناس وصححوا أغلاطها، واستدركوا عليها. ولم

يمض قرن من تأسيس الدولة العباسية حتى برع المسلمون في هذه العلوم كلها، وظهر بينهم من الحكماء والفلاسفة من كاد يلحق فلاسفة اليونان، ومن هؤلاء فيلسوف الإسلام والعرب "أبو يوسف يعقوب بن إسحق ابن الصباح الكندي" وتلميذه أحمد بن الطيب السرخسي، وبنو موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن أشهر رياضيي هذا العصر، وأول المخترعين من المسلمين في الحيل والهندسة، ومحمد بن موسى الخوارزمي مخترع علم الجبر والمقابلة ومذيع الحساب الهندي بين العرب، ثم ذهب طور الترجمة والتصحيح وتلاه طور التأليف والتكميل والاختراع فأتي فيه بالعجب العجاب أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي الحكيم الكبير مخترع آلة الطرب المسماة بالقانون؛ والتي استنبط الأفرنج بمحاكا ا آلة المعزف (البيانو) المتوفى سنة 339هـ، وأبو بكر بن محمد زكريا الرازي الطبيب الكيميائي الشهير المتوفى سنة 164هـ، والشيخ الرئيس حكيم المشرق أبو علي الحسين بن سينا المتوفى سنة 428هـ، وأبو الريحان أحمد بن محمد البيروني الفلكي الرياضي المقوم المتوفى سنة 430هـ.

وكان لدولة الفواطم في مصر اشتغال ـذه العلوم، فاشتهر في دولتهم في الفلك والرياضيات ابن يونس، وفي الطب ابن رضوان وغيرهما.

ولم يعن أهل الأندلس ـذه العلوم عناية أهل المشرق، وأشهر من نبغ منهم فيها أبو الوليد القاضي أحمد بن رشد، وأبو القاسم الزهراوي، ومن كتب هؤلاء الأئمة وأمثالهم اقتبس أهل (أوربا) كثيرا من أصول مدنيتهم الحاضرة.

الشعر والشعراء

قد كان للشعر عند الخلفاء والوزراء والقواد سوق نافعة، حتى عند رؤساء الأعاجم من الديلم والترك، ودام كذلك إلى انتهاء الدولة العباسية، و ـذه العناية العظيمة بل وكثرة قائليه تفنن الناس وأدخلوا عليه فنونا لم تعهد فيه واستعملوه في كل غرض حتى التعبد به، وتشكل أسلوبه، وتنوعت معانية بما يطابق أغراض استعماله.

ولم يقتصر الشعر على الموالي في صدر الدول العباسية كالكتابة بل اشتركوا فيه وهم وغيرهم من أعراب البادية أحيانا، ومن سلائل العرب بالأمصار أخرى، غير أن بضعةً من فحول صدر الدولة كانوا موالي مثل بشار، وأبي نواس، ومسلم وأبي العتاهية، وابن الرومي.

ومن أشهر شعراء الأمصار من العرب: أبو تمام، والبحتري، وابن المعتز، والمتنبـي وأبو فراس وأبو العلاء المعري، وابن هانئ الأندلسي، والشريف الرضي.

(1) بشارُ بن بُرد

هو أبو معاذ بشار المرعث بن برد، أشعر مخضرمي الدولتين، ورأس الشعراء المحدثين ومهد طريق الاختراع والبديع للمتفننين، وأحد البلغاء المكفوفين وأصله من فرس طخارستان من سبـي المهلب بن أبي صفرة، فنشأ بشار فيهم، واختلف إلى الأعراب الضاربين بالبصرة، حتى خرج نابغة زمانه في الفصاحة والشعر، وكان أكمه مجدور الوجه، قبيح المنظر، مفرط الطول، ضخم الجثة، متوقد الذكاء لا يسلم من لسانه خليفة ولا سوقة، ولا يألف ولا يؤلف.

شعره: قد أجمع رواة الشعر ونقدته على أن بشارا هو رأس المحدثين وأسبقهم إلى معاطاة البديع، وطرق أبواب ا ـون والخلاعة والغزل والهجاء، وأنه أول من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين، وفتق عن المعاني الدقيقة والأخيلة اللطيفة، حتى عد شعره برزخا بين الشعر القديم والحديث، ومجازا يعبر عليه الشعر من مرابع البداوة إلى مقاصير الحضارة ومات مقتولاً سنة 167هـ، ومن شعره في المشورة والحكم والنصائح قوله:

إذا بلغ الرأي المشـورة فاسـتعن ... برأي نصـيح أو نصـيحةٍ حـازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضـة ... فـإنّ الخـوافي قـوةٌ للقـوادم
وما خير كفٍّ أمسك الغيل أختـها ... ومـا خير سيف لم يؤيـد بقـائم
وخل الهوينـى للضعيف ولا تكـن ... نؤومـًا فإن الحُـر لـيس بنـائم

وقوله:

ظِلل اليسار على العبـاس ممـدود ... وقلبـه أبـدا بالبخـل مفقـود
إن الكريم ليخفي عنـك عسـرته ... حتى تراه غَنِيـا وهـو مجهـود
وللبخيل عـلى أموالـه علـلٌ ... زرق العيون عليهـا أوجـه سـود
إذا تكرهت أن تعطـي القليـل ولم ... تقدِر على سـعةٍ لم يظهـر الجـود
بث النـوالَ ولا تمنعـك قلتـه ... فكل مـا سد فقرا فهـو محمـود

وقال:

إذا كنت في كل الأمـور معاتبـا ... صديقك لم تلق الـذي لا تعاتبـه
فعش واحدا أو صِلْ أخـاك فإنـه ... مقـارف ذنـب مـرةً ومجانبـه

إذا أنت تشرب مرارا على القَذى ظمئت أي الناس تصفو مشاربه

وقال:

خليلي إن المالَ ليس بنافع إذا لم ينلْ منه أخ وصديق

وكنت إذا ضاقت علي محلةٌ تيممت أخرى ما علي مضيق

وما خاب بين الله والناس عاملٌ له في التقى أو في المحامِدِ سوق

وما ضاق فضلُ اللهِ عن متعفّفٍ ولكن أخلاق الرجال تضيق

(2) أبو نواس

هو أبو علي الحسن بن هانئ، الشاعر المتفنن، والجاد الماجن، صاحب الصيت الطائر، والشعر السائر، ورأس المحدثين بعد بشار؛ وهو فارسي الأصل، ولد بقرية من كورة خوزستان سنة 145هـ، ونشأ يتيما، فقدمت به أمه البصيرة بعد سنتين من مولده، فتعلم العربية ورغب في الأدب، فلم تعبأ أمه بحاله وأسلمته إلى عطار بالبصرة فمكث عنده لا يفتر عن معاناة الشعر، إلى أن صادفه عند العطار (والبة بن الحباب) الشاعر الماجن الكوفي، في إحدى قدماته إلى البصرة، فأعجب كل منهما بالآخر، فأخرجه والبة معه إلى الكوفة فبقي معه ومع ندمائه من خلعائها، وتخرج عليهم في الشعر وفاقهم جميعا، وقدم بغداد فبلغ خبره (الرشيد) فأذن له في مدحه فمدحه بقصائد طنانة، ثم انقطع إلى مدح محمد الأمين الخليفة العباسي، وثبت عنده بعض ما يوجب تعزيزه فسجنه ولم يلبث بعد خروجه من السجن أن مات ببغداد عام 198هـ وكان أبو نواس جميل الصورة، فكه المحضر، كثير الدعابة، حاضر البديهة، متينا في اللغة والشعر والأدب.

شعره: أجمع أكثر علماء الشعر ونقدته وفحول الشعراء على أن (أبا نواس) أشعر المحدثين بعد بشار وأكثرهم تفننا وأبدعهم خيلاً، مع دقة لفظ، وبديع معنى وأنه شاعر مطبوع برز في كل فن من فنون الشعر، وامتاز بقصائده الخمريات، ومقطعاته ا ونيات، وأراجيزه الطرديات (أقواله في تبكيره إلى الصيد ومطاردته) وكان شعره لقاح الفساد، والقدوه السيئة لنقله الغزل من أوصاف المؤنث إلى المذكر وإبداعه في وصف الخمر، فكان نموذج سوء لمن تأخر، ومن ذلك قوله:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداواني بالتي كانت هي الداءُ

صفراءُ لا تنزلُ الأحزانُ ساحتها ... لو مسها حجر مسته سراء
رقت عن الماء حتى ما يلائمها ... لطافه، وجفا عن شكلها الماءُ
فلو مزجت بها نورا لمازجها ... حتى تولد أنوار وأضواءُ

ومن قوله لما حضرته الوفاة:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرةً ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فبمن يلوذُ ويستجير المجرم؟
أدعوك رب كما أمرت تضرعا ... فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم؟
ما لي إليك وسيلةٌ إلا الرجا ... وجميل عفوك ثم إني مسلم

(3) مسلم بن الوليد

هو صريع الغواني أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري، أحد الشعراء المفلقين، قال الشعر في صباه، ولم يتجاوز به الأمراء والرؤساء، مكتفيا بما يناله من قليل الغطاء، ثم انقطع إلى يزيد بن مزيد الشيباني قائد الرشيد، ثم اتصل بالخليفة (هرون الرشيد) ومدحه ومدح البرامكة وحسن رأيهم فيه، ولما اصبح الحل والعقد بيد ذي الرياستين (الفضل بن سهل) وزير المأمون في أول خلافته قربه وأدناه وولاه أعمالاً بجرجان، ثم الضياع بأصبهان، واكتسب منهما مئات الألوف وأنفقها في لذاته وشهواته، ولما مات الفضل لزم منزله ونسك، ولم يمدح أحدا حتى مات بجرجان سنة 208هـ.

شعره: أول من تكلف البديع في شعره، واستكثر منه في قوله، ومزج كلام البدويين بكلام الحضريين، فضمنه المعاني اللطيفة، وكساه الألفاظ الظريفة، فله جزالة البدويين، ورقة الحضريين.

ومن جيد قوله يمدح داود بن يزيد المهلبي:

نفسي فِداؤك يا داود إذ علقت ... أيدي الردى بنواصي الضمر القودِ
تجود بالنفس إن ضن الجواد بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجُودِ

وقوله:

دلت على عيبها الدنيـا وصـدقها — **ما استرجع الدهر مما كان أعطـاني**

ما كنت أدخـر الشـكوى لحادثـة — **حتى ابتلى الدهر أسراري فأشـكاني**

(4) أبو العتاهية

هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد، أطبع أهل زمانه شعرا وأكثرهم قولاً، وأسهلهم لفظًا، وأسرعهم بديهة وارتجالاً؛ وأول من فتح للشعراء باب الوعظ والتزهيد في الدنيا، والنهي عن الاغترار ا، وأكثر من الحكمة.

ولد بعين التمر قرب الأنبار سنة 130هـ، ونشأ بالكوفة في عمل أهله وكانوا باعة جرار، إلا أنه ربأ بنفسه عن عملهم، وقال الشعر في صباه وامتزج بلحمه ودمه، فذاع صيته وسلك طريق خلعاء الكوفة، ثم قدم بغداد ومدح المهدي، ثم عرضت لـه حال امتنع فيها عن قول الشعر، حتى حبسه الرشيد لعدم تلبيته ما اقترحه عليه من القول فيه، ثم أطلقه بعد أن أجاب طلبته، وعاد إلى قول الشعر على عادته، وترك الغزل والهجاء وبقي على ذلك مدة الرشيد والأمين وأكثر أيام المأمون، حتى مات سنة 211هـ ببغداد.

شعره: يمتاز بالسهولة المتناهية بالنسبة لأهل عصره، ومن وقوله يمدح المهدي

أتتـه الخلافـة منقـادةً — **إليـه تجـرر أذيـالهـا**

فلم تك تصلـح إلا لـه — **ولـم يك يصلـح إلا لهـا**

ولـو رامهـا أحـد غـيره — **لزلزلـت الأرض زلزالهـا**

ولو لـم تطعه بنـات القلـو — **ب لما قبـل الله أعمالهـا**

وإن الخليفـة مـن بغـض لا — **إليـه ليبغض مـن قـالهـا**

وكتب على البديهة في ظهر كتاب:

ألا إننـا كلنـا بائـد — **وأي بنـي آدم خـالـد**

وبدؤهـم كـان من ربـهم — **وكـل إلـى ربـه عائـد**

فيا عجبا كيف يعصى الإلـه — **أم كيف يجحـده الجاحـد**

ولله في كـل تحريكـة — **وفي كـل تسكينـة شـاهد**

وفي كـل شيء لــه آيــةٌ تــدل على أنــه واحــد

(5) أبو تمام

هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، أسبق ثلاثة الشعراء الذين سارت بذكرهم الركبان، وخلد شعرهم الزمان، ثانيهم البحتري، وثالثهم المتنبي.

ولد من سلالة عربية سنة 190هـ بقرية جاسم من أعمال دمشق، ونقل صغيرا إلى مصر، فنشأ ا فقيرا، وكان يسقي الماء بالجرة في جامع عمرو، وتعلم العربية وحفظ ما لا يحصى من شعر العرب ونبغ في قوله، ثم خرج إلى مقر الخلافة فمدح المعتصم وحظي عنده ومدح وزيره محمد بن الزيات، والحسن بن وهب ، الذي ولاه بريد الموصل فأقام ا إلى أن مات سنة 231هـ.

شعره: يعد أبو تمام رأس الطبقة الثالثة من المحدثين، انتهت إليه معاني المتقدمين والمتأخرين، وظهر والدنيا قد ملئت بترجمة علوم الأوائل وحكمها من اليونان والفرس والهند، فحصف عقله ولطف خياله بالاطلاع عليها، وهو الذي مهد طريق الحكم والأمثال للمتنبي وأبي العلاء وغيرهما، ولذلك كان يقال: إن أبا تمام والمتنبي حكيمان، والشاعر هو البحتري.

وأجاد أبو تمام في كل فن من فنون الشعر، أما مراثيه فلم يعلق ا أحد جاش صدره بشعر، وأشهرها القصيدة التي رثى ا محمد بن حميد الطائي، ومنها:

كذا فليجِلّ الخطب وليفدح الأمـر فليس لعـينٍ لم يفِـض ماؤهـا عـذر

توفيــتِ الآمــالُ بعــد محمــدٍ وأصبح في شغل عـن السـفر السـفْر

وما كان إلا مالَ من قَـلّ مالُــه وذخرا لمن أمسى ولـيس لــه ذخـر

وما كان يدري مجتدي جود كفـه إذا مـا اسـتهلت أنـه خالـق السـر

ألا في سبيل اللهِ من عطّلــت لــه فِجــاج ســبيل الله وانثغــر الثغــر

فتى كلما فاضــت عيـونُ قبيلـة دما ضحكت عنه الأحاديـث والـذكر

فتى دهره شطران فيمــا ينوبـه ففي بأسِـه شـطر وفي جـوده شـطر

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة تقوم مقـام النصـر إن فاتـه النصـر

وما مات حتى مات مضرب سيفه ... من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
وقد كان فوت الموت سهلاً فرده ... إليه الحفاظ المر والخلق الوعر
ونفس تعاف العار حتى كأنما ... هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموت رجله ... وقال لها من تحت أخمصك الحشر
غدا غُدوةً والحمد نسج ردائه ... فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر
تردى ثياب الموت حمرا فما دجا ... لها الليلُ إلا وهي من سندس خضر

(6) البُحتري

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي - أشعر الشعراء بعد أبي نواس.

ولد سنة 206هـ بناحية منبج في قبائل طيئ وغيرها من البدو الضاربين في شواطئ الفرات - ونشأ بينهم فغلبت عليه فصاحة العرب، ولازم وهو فتى أبا تمام وعليه تخرج ثم خرج إلى العراق وأقام في خدمة (المتوكل والفتح ابن خاقان) محترما عندهما إلى أن قتلا في مجلس كان هو حاضره، فرجع إلى منبج بين أعراب طيئ، وبقي يختلف أحيانا إلى رؤساء بغداد، وسر من رأى، حتى مات سنة 284هـ.

وكان على فضله وفصاحته من أبخل خلق الله وأقذرهم ثوبا، وأكثرهم فخرا بشعره - حتى كان يقول إذا أعجبه شعره (أحسنت والله!) ويقول للمستمعين ما لكم لا تقولون أحسنت. والكثير على أنه يأت بعد أبي نواس من هو أشعر منه.

شعره: كله بديع المعنى، حسن الديباجة، صقيل اللفظ سلس الأسلوب، كأنه سيل ينحدر إلى الأسماع مجودا في كل غرض سوى الهجاء - ولذلك اعتبره كثير من أهل الأدب هو الشاعر الحقيقي واعتبروا أمثال أبي تمام والمتنبي والمعري حكماء، ولسهولة شعره ورقته كان أكثر الأصوات التي يتغنى بها في زمنه من شعره المطبوع في ديوان حافل. ومن قوله يمدح الخليفة المتوكل ويصف موكب خروجه لصلاة عيد الفطر:

بالبر صمت وأنت أفضلُ صائمٍ ... وبسنة الله الرضية تفطر
فانعم بيوم الفطر عيدا إنه ... يوم أغر من الزمان مشهر
أظهرت عِز المُلك فيه بجحفلٍ ... لجبٍ يحاط الدين فيه وينصر

خِلنا الجبالَ تسير فيه وقد غَـدت	عددا يسير ـا العديـد الأكثـر
فالخيلُ تصهلُ والفـوارس تـدعي	والبيض تلمـع والأسِـنةُ تزهـر
والأرض خاشـعةٌ تميـد بثقلهـ ـا	والجـو معتكـر الجوانـب أغـبر
والشمس طالعةٌ توقّد في الضـحى	طورا ويطفئها العجـاج الأكـدر
حتى طلعت بضوءِ وجهك فانجلـت	تلك الدجى وانجـاب ذاك العيـر
فافتن فيـك النـاظرون فإصـبع	يوما إليـك ـ ـا وعـين تنظـر
يجدون رؤيتك الـتي فـازوا ـا	مـن أنعـم الله الـتي لا تكفـر
ذكروا بطلعتـك الـنبي فهللـوا	لمـا طلعت من الصفوف وكبـروا
حتى انتـهت إلى المصـلى لابسـا	نور الهدى يبـدو عليـك ويظهـر
ومشيت مِشية خاشـع متواضـع	لله لا يزهـ ـى ولا يتكـ ـ ـبر
فلو أن مشتاقًا تكلـف فـوق مـا	في وسـعه لسـعى إليـك المنـبر
أبديت من فصل الخطاب بحكمـة	تنبـي عن الحـق المـبين وتخـبر
ووقفت في بـرد الـنبي مـذكورا	بـالله تنـ ـذِر تـ ـارةً وتبشـر

(7) ابن الرومي

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج الرومي مولى بني العباس، الشاعر المكثر المطبوع، صاحب النظم العجيب، والتوليد الغريب، والمعاني المخترعة والأهاجي المقذعة.

ولد ببغداد سنة 221هـ ونشأ ا، وأقام كل حياته ا وكان كثير التطير جدا وكان القاسم بن عبيد الله وزير المعتز يخاف هجوه وفلتات لسانه، فسلط عليه من دس لـه السم في الدسم إلى أن مات سنة 283هـ ببغداد.

شعره - قال الشعر في كل عرض، ولا سيما الوصف والهجاء، ونبغ في الشعر نبوغًا لم يقصر به كثيرا عن درجة البحتري، وربما فاقه في اختراع المعاني النادرة أو توليدها من معاني من سبقه بشكل جديد، ووضعها في أحسن قالب. ومن جيد قوله:

وإذا أمرؤ مـدح آمـرا لنوالـه وأطال فيـه فقد أطال هجـاءه
لـو لم يقدر فيـه بعـد المسـتقى عند الورود لمـا أطـال رشـاءه

(8) ابن المعتز

هو أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي أشعر بني هاشم وأبرع الناس في الأوصاف والتشبيهات.

ولد سنة 249هـ في بين الخلافة وتربى تربية الخلفاء وأخذ عن المبرد وثعلب ومهر في كل علم يعرفه أئمة عصره، وفلاسفة دهره، حتى هابه وزراء الدولة وشيوخ كتا ا، وعملوا على أن لا يقلدوه الخلافة، خشية أن يكف أيديهم عن الاستبداد بالملك، وولوا المقتدر صبيا، ثم حدثت فتن عظيمة، فتسرع محمد بن داود بن الجراح وجمع العلماء وخلعوا المقتدر، وبايعوا ابن المعتز بالخلافة، فلما رأى غلمان المقتدر أن الأمر سيخرج من أيديهم تآمروا على قتله، وخنق من ليلته سنة 296هـ وشعره - سهل العبارة مع رشاقة وقلة تكلف وتصنع - يعرف فيه نضرة النعيم.

(9) أبو الطيب المتنبي

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي المتنبي الشاعر الحكيم، صاحب الأمثال السائرة، وخاتم الثلاثة الشعراء، وآخر من بلغ شعره غاية الارتقاء، ولد بالكوفة سنة 303هـ في محلة كندة، ونشأ ا، وأولع بتعلم الشعر من صباه وخرج إلى بادية بني كلب فأقام بينهم مدة ينشدهم من شعره ويأخذ عنهم اللغة فعظم شأنه بينهم، حتى وشى بعضهم إلى لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيدية بأن أبا الطيب ادعى النبوة في بني كلب، وتبعه منهم خلق كثير، ويخشى على ملك الشام منه، فخرج لؤلؤ إلى بني كلب وحار م، وقبض على المتنبي وسجنه طويلاً ثم استتابه وأطلقه.

فخرج من السجن وقد لصق به اسم المتنبي مع كراهته لـه، ثم تكسب بالشعر مدة انتهت بلحاقه بسيف الدولة ابن حمدان، فمدحه بما خلد اسمه أبد الدهر.

ثم قصد كافورا الأخشيدي أمير مصر ومدحه، ووعده كافور أن يقلده إمارة أو ولاية، ولكنه لما رأى تغاليه في شعره وفخره بنفسه عدل عن أن يوليه، وعاتبه بعضهم في ذلك

فقال: يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ أما يدعي المملكة بعد كافور؟ فحسبكم - فعاتبه أبو الطيب واستأذن في الخروج من مصر فأبى، فتغفله ليلة عيد النحر سنة 350هـ - وخرج منها يريد الكوفة - ومنها قصد عضد الدولة ابن بويه بفارس مارا ببغداد فمدحه ومدح وزيره ابن العميد فأجزل صلته وعاد إلى بغداد، وخرج إلى الكوفة فخرج عليه أعراب بني ضبة وفيهم فاتك بن أسد وكان المتنبي قد هجاه هجاء مقذعا، فقاتلهم قتالاً شديدا حتى قتل المتنبي وابنه وغلامه سنة 354هـ.

شعره - لا خلاف عند أهل الأدب في أنه لم يبلغ بعد المتنبي في الشعر من بلغ شأوه أو داناه، والمعري على بعد غوره، وفرط ذكائه، وتوقد خاطره، وشدة تعمقه في المعاني والتصورات الفلسفية يعترف بأبي الطيب ويقدمه على نفسه وغيره، ويؤخذ هذا من قوله:

إذا رأيت نيـوب الليـثِ بـارزةً ... فــلا تظــنن أن الليــثَ يبتســم

أعيذُهـا نظرات منـك صـادقةً ... أن تحسب الشحم فيمن شـحمه ورم

أنا الذي نظـر الأعمـى إلى أدبي ... وأسمعت كلماتي مـن بـه صـمم

وما انتفاع أخـي الـدنيا بنـاظره ... إذا استوت عنده الأنـوار والظلـم

يا مـن يعـز علينـا أن نفـارقهم ... وجداننا كل شـيء بعـدكم عـدم

إن كان سركم ما قـال حاسِـدنا ... فمـــا لجـــرح إذا أرضــاكم ألمُ

وبيننا لـو رعيـتم ذاك معرفـة ... عن المعارف في أهـل النهـى ذِمـم

كم تطلبون لنا عيبـًا فيعجـزكم ... ويكــره الله مــا تــأتونَ والكــرم

إذا ترحلت عن قوم وقـد قـدروا ... ألا تفــارقهم فــالراحلونَ هـــم

وقوله:

ذو العقْل يشقى في النعـيم بعقْلـه ... وأخوا الجهالةِ في الشـقاوة يـنعم

لا يخدعنك مِـن عـدوٍّ دمعـه ... وارحم شبابك من عـدوٍّ تـرحم

لا يسلم الشرف الرفيع مـن الأذى ... حتى يراق علـى جوانبـه الـدم

والظلم مِن شيم النفوس فإن تجـد ... ذا عِفّـةٍ فلِعلـةٍ لا يظلِـم

ومِن البليةِ عذل مـن لا يرعـوي ... عن غيه وخطـاب مـن لا يفْهـم

ومن العداوة مـا ينالُـك نفْعـه ... ومن الصداقة مـا يضـر ويـؤلم

وقوله:

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثـرى ... أن الكواكـب في التـراب تغـور

ما كنت آمل قبـل نعشـك أن أرى ... رضوى على أيدي الرجال يسـير

خرجوا بـه والكـل بـاكٍ حولـه ... صعقات موسى يـوم دك الطـور

حتى أتوا جدثًـا كـأنّ ضريحـه ... في كُل قلْـبٍ موحـدٍ محفـور

كفل الثنـاءُ لـه بـرد حياتـه ... لمـا انطـوى فكأنـه منشـور

(10) ابن هانئ الأندلسي

هو القاسم محمد بن هانئ الأزدي الأندلسي، شاعر الغرب ومتنبيه. ولد بأشبيلية سنة 326هـ ولما نبه شأنه اتصل بعامل إشبيلية زمن المستنصر الأموي، ومدحه بغرر القصائد، فأحله منـزلة سنية، وأغدق عليه العطايا، فأكب على اللهو والطرب والاستهتار، وا م بالزندقة والكفر لاشتغاله بالفلسفة.

ولما شاع ذلك عنه نقم عليه أهل إشبيلية، وأشركوا عاملها في التهمة، وكادوا يهمون به، فأشار عليه بالهجرة من إشبيلية، فاجتاز البحر إلى عدوة المغرب، ومدح ولاته من قبل المعز الفاكمي، ثم نمي خبره إلى المعز فوجه في طلبه، فوفد عليه بإفريقية، ومدحه فاصطفاه واتخذ شاعر دولته.

ولما فتح جوهر مصر، وبنى القاهرة، ورحل إليها المعز ليتخدها دار ملكه شيعه ابن هانئ، ورجع لأخذ عياله والالتحاق به فتجهز وتبعه، ولما وصل إلى برقة مات ا سنة 362، وعمره 36 سنة.

شعره: لم ينبغ في شعراء جزيرة الأندلس ولا بر المغرب جميعه من يفوق "ابن هانئ" في صناعة الشعر أو يساويه، فقد كان عندهم في الشهرة والإجادة وشرف الشعر بمنـزلة المتنبي عند الشارقة، ومن قوله في وصف الخيل:

وصواهِلٍ لا الهَضب يـوم مغارهـا ... هضب ولا البيد الحُـزونُ حـزونُ

عرفـت بسـاعة سـبقها لا أ ـا ... علقت ا يـوم الرهـان عيـونُ

وأجل عِلم البرق فيهـا أنهـا	مرت بجانحتيـه وهـي ظنـونُ

ومن قوله الموهم الكفر في مطلع قصيدة يمدح المعز:

ما شِئت لا مـا شـاءَتِ الأقْـدار	فاحكُم فأنت الواحِـد القَهـار

(11) أبو العلاء المعري

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري التوخي، الشاعر الفيلسوف ولد بمعرة النعمان سنة 363، وجدر في الثالثة من عمره فكف بصره وتعلم على أبيه وغيره من أئمة زمانه، وكان يحفظ كل ما يسمعه من مرة واحدة، وقال الشعر وعمره إحدى عشرة سنة، ودخل بغداد، وأقبل عليه السيد المرتضى المتوفى سنة 436هـ إقبالاً عظيما ثم جفاه، ولما رجع إلى المعرة أقام ولم يبرح منـزله، ونسك وسمى نفسه رهين المحبسين: (محبس العمى، ومحبس المنـزل) وبقي فيه مكبا على التدريس والتأليف، ونظم الشعر مقتنعا بعشرات من الدنانير في العام يستغلها من عقار لـه مجتنبا أكل الحيوان وما يخرج منه مدة 45 سنة مكتفيا بالنبات والفاكهة والدبس، متعللاً بأنه فقير، وأنه يرحم الحيوان. وعاش عزبا. وعمر إلى أن مات سنة 449 من الهجرة بالمعرة وأوصى أن يكتب على قبره:

هـذا جنـاه أبي علـي	وما جنيت على أحـد

شعره: وله كثير من الشعر يناقض بعضه بعضا في حقيقة العالم والشرائع والمعبود، وللناس في اعتقاده أقوال كثيرة، والظاهر أنه كان شاكًا متحيرا، وهو أحكم الشعراء بعد المتنبي ويفضل عليه في الغريب والأخيلة الدقيقة والطبيعيات والاجتماعيات والأخلاق، والقوانين ونظام الحكومات، والفلسفة والشرائع والأديان، ولذلك يفضله الإفرنج عليه، وهو في هذه الأمور معدوم النظير، ومن مراثيه الجيدة قوله:

غَير مجدٍ في مِلّتي واعتقـادي	نوح بـاكٍ ولا ترنـم شـادِ
وشبيه صوت النعـي إذا قيـس	بصوت البشير في كـل نـادِ
أبكت تلكُـم الحمامـة أم غنـت	على فـرع غُصنهـا الميـادِ
صاح هذي قبورنا تمـلأ الرحـب	فأين القُبور مـن عهـد عـادِ
خفّف الـوطءَ مـا أظـن أديـم	الأرض إلا مِن هـذه الأجسـادِ

وقبيح بنا وإنْ قَدم العهد هوانُ الآباءِ والأجدادِ
سِر إن اسطعت في الهواء رويدا لا اختيالاً على رفات العبادِ
رب لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحكٍ من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين في طويل الأزمان والآبادِ
فاسأل الفرقدين عمن أحسا من قبيل وآنسا من بلادِ
كم أقاما على زوال نهار وأنارا لمدلج في سوادِ
تعب كلها الحياةُ فما أعجب إلا من راغبٍ في ازديادِ
إنّ حزناً في ساعةِ الموت أضعا ف سرورٍ في ساعةِ الميلاد
خُلِق الناس للبقاءِ فضلّت أمةٌ يحسبونهم للنفادِ
إنما ينقلون من دار أعما لٍ إلى دار شِقوةٍ أو رشادِ
ضجعةُ الموت رقْدةٌ يستريح الجسم فيها والعيش مِثلَ السهادِ

ومنها:

بانَ أمر الإلهِ واختلف النا س فداعٍ إلى ضلالٍ وهادِ
والذي حارت البريةُ فيه حيوان مستحدثٌ من جمادِ
فاللبيب اللبيب من ليس يغتر بكونٍ مصيره للفسادِ

وله:

ضحكنا وكان الضحك مِنا سفاهةً وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
تحطمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

(12) ابن خفاجة الأندلسي

هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن خفاجة (شاعر شرقي الأندلس) وأشهر وصاف الطبيعة. ولد بجزيرة شقر من أعمال بلنسية شرقي الأندلس سنة 450هـ، فتعلم ونظم

الشعر، وكتب الرسائل الإخوانية البلغية، وما زالت شمس أدبه في صعود حتى صار واحد زمانه في الأندلس، وغلب على شعره وصف الحوادث الجوية، ومناظر الطبيعة بأخيلة وتشبيهاتٍ بديعة. وله غزل رقيق، ومدح بارع، ورثاء بليغ.

شعره: يمتاز بالجزالة وكثرة المعاني وازدحامها في اللفظ، حتى يحتاج في فهمها إلى التأمل على خلاف مذهب الأندلسيين. وتوفي سنة 533هـ.

ومن قوله يصف زهرة:

ومائسة تزهى وقد خلع الحيا عليها حلى حمرا وأرديةً خضرا

يذوب لها ريق الغمائم فضةً ويجمد في أعطافها ذهبًا نضرا

وقوله:

يا أهل أندلس لله دركم ماءٌ وظل وأنهار وأشجار

ما جنةُ الخُلدِ إلا في دياركم ولو تخيرت، هذي كنت أختار

لا تختشوا بعد ذا أن تدخلوا سقرا فليس تدخلُ بعد الجنة النار

وقال في ذم علماء السوء من المسلمين والنصارى:

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم فيها صدور مراتب ومجالس

وتزهدوا حتى أصابوا فرصةً في أخذ مال مساجدٍ وكنائس

(13) الطغرائي[1]

هو مؤيد الدين الأستاذ العميد فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن محمد الطغرائي، صاحب (لامية العجم) وهو أصبهاني الأصل، برع في الكتابة والشعر حتى كان أوحد زمانه، ولم ينبغ بعده في الشرق من يضاهيه، وترقت به الحال في خدمة سلاطين آل سلجوق إلى أن صار وزيرا للسلطان مسعود بن محمد السلجوقي صاحب الموصل، ولما قهره أخوه السلطان محمود كان أول من اعتقل الوزير أبو إسماعيل الطغراني، فدس بعض حسدته من رؤساء الكتاب إلى السلطان محمود أنه ملحد، فقتله ظلما سنة 513هـ.

ومن شعره لامية العجم المعتبرة من عيون الشعر، وقد كان قالها ببغداد سنة 505هـ.

(14) البهاء زهُير

هو الوزير الشاعر الكاتب أبو الفضل اء الدين زهير بن محمد بن علي المهلبـي الأزدي المصري، صاحب السهل الممتنع، والغزل الرقيق والعتاب الرفيق.

ولد بوادي نخلة قرب مكة سنة 581هـ. ونشأ بمصر ببلدة قوص، ثم اتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب، وخرج معه في خدمته إلى بلاد الشام والجزيرة، فلما نكب الملك الصالح بخيانة عسكره وانضوائهم إلى ابن عمه الملك الناصر، صاحب الكرك وقبض على الصالح واعتقله، حفظ البهاء عهد صاحبه، ولم يخدم غيره، وأقام بنابلس حتى استرد الصالح ملك الديار المصرية فقدم إليها في خدمته واتخذه وزيرا - حتى مات بوباء في شوال سنة 656هـ.

شعره - كانت سهولة طباع زهير تفوق سهولة شعره الذي هو أسهل نظما ولفظًا.

الرواية والرواة

جاءت الدولة العباسية وقد اتسع نطاق الرواية، واختص كل فريق من الناس برواية شيء فلما دونت الكتب في عصر الدولة العباسية أفرغ الرواة ما حفظوه فيها، وأخذ أمر الرواية يضمحل شيئًا فشيئًا في أكثر العلوم، ولا سيما الأدب ثم اقتصر في الرواية على

---

11) الطغرائي من يكتب الطغراء (وهي الطرة) وكانت تكتب في الدولة السلجوقية فوق البسملة بخط معلق فيها نعوت السلطان وألقابه.

تصحيح النطق والأداء - ولكل علم رواة مشهورون.

وأما رواة الأدب والشعر خاصة فأشهرهم "حماد" الراوية الكوفي و(خلف الأحمر البصري) وأبو عمرو الشيباني الكوفي، والسكري البغدادي.

ومن رواة الأدب بجميع فنونه، لغةً وشعرا وأخبارا، أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة معمر بن المثنى، والأصمعي، وأبو زيد الأنصاري، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ومحمد بن سلام الجمحي، وغيرهم؛ وهاك ترجمة أشهرهم في الرواية.

الأصمعي

هو شيخ رواة الأدب، الإمام الثبت الحجة الثقة التقي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي البصري.

ولد سنة 123هـ - ونشأ بالبصرة، فأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة البصرة، وأخذ عن فصحاء الأعراب، وأكثر الخروج إلى البادية، وشافه الأعراب وساكنهم، وتعلم من (خلف الأحمر) نقد الشعر ومعانيه؛ وكان أحفظ أهل زمانه حتى قال مرة: إني أحفظ اثني عشر ألف أرجوزةٍ، فقال لـه رجل: منها البيت والبيتان، فقال: ومنها المائة والمائتان. وعمر حتى أدرك زمن "المأمون" وأراد وزيره أن يقدمه إليه فاعتذر بكبر السن، ومات سنة 216هـ، وله مؤلفات كثيرة.

العصر الرابع: عصر المماليك التركية: 656 - 1220هـ

حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

لما اكتسح التتار ممالك الدولة العباسية افترقوا إلى ممالك متعددة بآسيا وشرقي أوربا، ولم يلبثوا أكثر من نصف قرن حتى أسلموا، وشرعوا يخدمون الإسلام بتقريب العلماء إليهم، وترغيبهم في التأليف، فأفاد ذلك في إدامة الحركة العلمية في الجملة، وإن لم يفد اللغة العربية فائدة تذكر لمكان العجمة منهم، أما علوم العربية وآدا ا فلم يكن لها مباءة ترجع إليه إلا البلاد العربية كالشام ومصر، غير أن اللغة التركية العثمانية أصبحت هي اللغة الرسمية للأعمال الديوانية والسياسية في جميع الممالك العثمانية، فزاحمت اللغة العربية ودخل في اللغة أثناء دولتي المماليك والعثمانيين كثير من الألفاظ التركية والفارسية.

النثر - لُغة التخاطب

كادت تحل محل اللغة العامية العربية (في أعالي الجزيرة وشرقي العراق) اللغة الفارسية والتركية والكردية ممزوجة بشيء من الألفاظ العربية.

أما في بقية الجزيرة والعراق ومصر والشام فقد بقيت العامية العربية لسان الجميع لغلبة العناصر العربية فيها، ثم أخذت العناية ا في الانحطاط.

الخطابة

لم تتغير الخطابة عما كانت عليه أواخر الدولة العباسية من حيث قصورها على خطب الجمع والأعياد، وتلاوة بعض المرسومات والمنشورات، وبقيت لغة الخطابة العربية وحدها، أو مع الترجمة إلى الأعجمية.

الكتابة، الكتابة الخطية

درج الخط في هذا العصر في الطريق التي مهدها ابن مقلة، وابن البواب وياقوت الملكي، وياقوت المستعصمي، واستعملت فيه أكثر أنواعه، وما زال الخط يجري في مضماره، حتى قبض على عنانه مكتبو الترك العثمانيين، فأبدعوا في تحسينه بما جعل جميع العالم يعترف لهم بالسبق، ومن أشهرهم الشيخ حمد الله الأماسي إمام الخطاطين العثمانيين، وجلال الدين، ودرويش علي، والحفاظ عثمان المتوفى سنة 1110هـ.

الكتابة الإنشائية - كتابة الرسائل

اتبعت في كتابة الرسائل أثناء العصر طريقة القاضي الفاضل التي أساسها المعاني الخيالية، والتزام السجع والمحسنات البديعية، وعضد هذه الطريقة كتاب هذا العصر - شهاب الدين محمود الحلبي المتوفى سنة 755هـ - ومحيي الدين بن عبد الظافر وابن فضل الله العمري وأولاده، وبقيت هذه الطريقة مرعية في مصر والشام حتى اية دولة المماليك، وصدر حكومة العثمانيين، ولما غلبت التركية العثمانية على كتابة الدواوين وأصبحت رسمية في الحواضر والأمصار أخذ شأن الكتابة العربية في الاضمحلال.

الكُتّاب

(1) القاضي محيي الدين بن عبدالظاهر

هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الجذامي المصري، ولد سنة 620هـ، ورباه والده، وبرع في كتابه الرسائل، سالكًا طريقة القاضي الفاضل، وخدم في ديوان الإنشاء مدة الملك الظاهر بيبرس وولديه، وبعض أيام المنصور قلاوون، ويعتبر محيي الدين وابنه محمد فتح الله من واضعي اصطلاح الإنشاء ونظام ديوانه الذي ظل مرعيا في مصر والشام حتى نسخه النظام التركي العثماني، وتوفي سنة 692، ولـه من رسالة كتبها على لسان الملك المنصور قلاوون يرد على صاحب اليمن في تعزيته على موت ابنه، ويظهر التجلد على فقده:

ولنا (والشكر لله) صبر جميل، ولا نأسف معه على فائت، ولا نأسى على مفقود، وإذ علم الله (سبحانه وتعالى) حسن الاستنابة إلى قضائه، والاستكانة إلى عطائه، عوض كل يوما ما يقول المبشر به: هذا مولى مولود، وليست الإبل بأغلظ أكبادا ممن لـه قلب، لا يبالي بالصدمات كثرت أو قلت، ولا بالتباريح حقرت أو جلت، ولا بالأزمات إن هي توالت أو تولت، ولا بالجفون إن ألقت ما فيها من الدموع والهجوع وتخلت، ويخاف من الدهر من لا حلب أشطره، ويأسف على الفائت من لابات بنبأ الخحطوب الخطرة؛ على أن الفادح بموت الملك الصالح ﷺ وإن كان منكيا، والنافح بشجو وإن كان مبكيا، والناتج بذلك الأسف وإن كان لنار الأسف مذكيا، فإن وراء ذلك من تثبيت الله عز وجل ما ينسفه نسفًا، ومن إلهامه الصبر ما يجدد لتمزيق القلوب أحق ما به ترقًا، وبكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ عندنا حسن اقتداء يضرب عن كل رثاء صفحا.

(2) شهاب الدين بن فضل الله العمري

هو الشاعر الكاتب المصنف أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محيي الدين يحيى بن فضل الله العمري، سليل عمر بن الخطاب، وصاحب كتاب "مسالك الأبصار" ولد بمدينة دمشق سنة 700؛ وتفقه وتأدب على أبيه وغيره وتوفي سنة 749هـ ومن إنشائه في وصف (قط زباد من رسالة طويلة: "(وقط الزباد) الذي لا تحكيه الأسود في صورها، ولا تسمح غزلان المسك بما يخزنه من عرفه الطيب في سررها؛ كم تنقل في بيوت طابت موطنا ومشى من دار أصحابه فقالوا: **ربنا عجل لنا قِطّنا** [ص: 16]".

(3) لِسَان الدين بن الخطيب

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي المعروف بلسان الدين بن الخطيب وزير بني الأحمر ملوك غرناطة، وكان وزيرا لأبي الحجاج يوسف ولد سنة 713هـ بمدينة غرناطة، وتأدب وتفقه واجتمع لـه من الحكمة والأدب ملكة يبذ ا أدباء الأندلس كتابة وشعرا وتصنيفًا وسياسة ومات مقتولاً سنة 776هـ.

ومن قصار رسائله رسالة في الشوق، كتبها إلى ابن خلدون، وهي بعد الديباجة: "أما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج، وأما الصبر فصل به أيةً درج، بعد أن تجاوز اللوى والمنعرج، لكن الشدة تعشق الفرج، والمؤمن ينشق من روح الله الأرج، وأنى بالصبر على إبر الدبر؟ ومطاولة اليوم والشهر، حتى حكم القهر، وهل للعين أن تسلو سلو المقصر" عن إنسا ا المبصر؟ أو تذهل ذهول الزاهد عن سرها الرائي والمشاهد. وفي الجسد مضغة يصلح إذا صلحت، فكيف حاله إن رحلت عنه ونزحت؟ وإذا كان الفراق هو الحمام الأول، فعلام المعول؟ أعيت مراوضة الفراق على الراق، وكادت لوعة الاشتياق أن تفضي إلى السياق:

تركتموني بـ ـعد تشـ ييعكم أوسع أمـ ـر الصـ بر عصـ يانا
أقرع سـ ـني نـ دما تـ ـارة وأستميح الدمـ ـع أحيانـ ـا

التدوين

ألف علماء هذا العصر تآليف جمة أخلفت على العربية بعض ما أباده التتار والصليبيون من الكتب النفيسة. ويرجع أكثر الفضل في ذلك إلى علماء مصر والشام جالية الأندلس. أما أعاجم المشرق وإن ألفوا في العلوم الإسلامية والفلسفية فإن تأثير بيئتهم الأعجمية جعل كتبهم صعبة التناول، ضعيفة الأثر.

الأدب

قد كان لأدباء القاهرة من الكتاب السبق في وضع الكتب الجامعة التي تبحث في عدة علوم أدبية أو ملحقة ا، ومن هؤلاء: شهاب الدين النويري صاحب اية الأرب، وابن فضل الله العمري صاحب مسالك الأبصار، وشهاب الدين القلقشندي صاحب صبح الأعشى. وممن ألف في الأدب بمناح مختلفة: جمال الدين الوطواط صاحب الغرر والعرر، وشهاب الدين الحلبـي صاحب منازل الأحباب، وحسن التوسل إلى صناعة الترسل، وشهلب الدين الأبشيهي صاحب المستطرف، والنواجي صاحب حلبة الكميت.

بقية العلوم الإسلامية

لما أباد التتار بقية العلماء والنجاة في الشرق، كاد أفق المشرق والشام ومصر يصفر من النحاة وأهل اللغة، لولا أن تداركها الله بدخول التتار في الإسلام ومعاضد م هم والدول التي خلفتهم للعلم والعلماء، وبجلاء بعض كبار النحاة واللغويين من الأندلس والغرب قبيل حادث التتار وبعده كابن مالك والشاطبـي وأبي حيان وابن منظور الإفريقي، فجددوا النحو واللغة بمصر والشام، وتخرج عليهم تلاميذ أفاضل كانوا كواكب العصور المتأخرة فدونوا العلم وحفظوه لمن أتى بعدهم ممن نشأوا في العصور المظلمة.

كتابة التدوين والتصنيف

أما كتابة التدوين فكانت في المتون ونحوها موجزة جدا، وكانت في الشروح والمطولات مبسوطة. ومن أشهر المؤلفين في هذا العصر: ابن خلكان، وابن خلدون والسيوطي، وابن مكرم، والفيروزابادي، وعز الدين بن عبد السلام المتوفى سنة 660هـ وابن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852هـ وابن هشام النحوي المتوفى سنة 761هـ - ولسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة 776هـ - وسعد الدين التفتازاني المتوفى سنة 791هـ

والسيد الجرجاني المتوفى 816هـ - والشهاب الخفاجي.

(1) ابن خلكان

هو قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر خلكان الإربلي، ولد سنة 600هـ بمدينة إربل: وأقام ا إلى سنة 621هـ، ثم رحل إلى حلب ومكث ا سنتين، ثم عاد إلى دمشق، وأقام ا مدة، ثم أقام بمصر، وتولى القضاء ا وفيها ألف أكثر تاريخه (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) ثم تقلبت به الأحوال بين مصر والشام - إلى أن مات سنة 681هـ. ثم تمم عليه محمد بن شاكر الكتبـي المتوفى سنة 764هـ كتابه (فوات الوفيات).

(2) ابن خلدون

هو عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون، ولد بتونس سنة 732هـ، وتلقى العلم والأدب من أبيه ومن أكابر العلماء، وقرأ الكتب العقلية والفلسفية على بعض حكماء المغرب، واحترف بصناعة الكتابة وهو شاب لم يطر شاربه، ثم وصل بعد ذلك إلى ملوك بني الأحمر؛ فحظي عندهم.

وألف تاريخه في خلال أربعة أعوام، ومقدمته التي لم ينسج أحد على منوالها ثم عزم على الحج، فدخل مصر سنة 784هـ، زمن سلطا ا برقوق، ثم استقدم أهله وولده من المغرب، فغرقت م السفينة، فأقام بمصر حزينا، وجلس للتدريس بالجامع الأزهر، وتولى قضاء المالكية سنة 786هـ إلى أن مات سنة 808هـ.

(3) جلال الدين السيوطي

هو عبد الرحمن جلال الدين بن الإمام كمال الدين الخضري السيوطي، ولد سنة 849هـ، ونشأ يتيما وحفظ القرآن وعمره دون الثمان، وأخذ العلم عن مشايخ وقته، وابتدأ في التصنيف وسنه 17 سنة، ثم لازم الأشياخ وطلب العلم في بقاع الأرض، ونبغ في كثير من العلوم، وتولى التدريس والإفتاء، ولم يكن أشهر منه في زمنه، وقد ترك للناس أكثر من ثلثمائة مصنف وتوفي سنة 911هـ بالقاهرة.

الشعر

لما كان أكثر الملوك والأمراء في هذا العصر أعاجم بالفطرة كان ميلهم إلى الشعر العربي غير طبيعي، ولذلك انقرض الشعر العربي من أواسط آسيا، وبقيت صبابة منه بالعراق والجزيرة، وبقي على شيء من الرونق في الشام ومصر والأندلس والمغرب، غير أنه قل التكسب به فيها، فمال أكثر الشعراء إلى انتحال الكتابة في الدواوين صناعة، واستعملوا الشعر في تملق الملوك والرؤساء وفي إظهار التفصح والتسلية، فهجر قوله في الأغراض الهامة، وعدل به إلى أغراض أخرى.

الشعراء

ظهر في هذا العصر شعراء كثيرون، من أشهرهم، شرف الدين الأنصاري المتوفى سنة 662هـ، وجمال الدين بن نباتة المصري المتوفى سنة 768هـ، وشهاب الدين التلعفري المتوفى سنة 675هـ والشاب الظريف المتوفى سنة 695هـ، والإمام البوصيري المتوفى سنة 695هـ، وابن الوردي المتوفى سنة 749هـ، وأبو بكر بن حجة الله المتوفى سنة 837هـ، وصفي الدين الحلي المتوفى سنة 750هـ، وفخر الدين بن مكانس المتوفى سنة 864هـ، وابن معتوق الموسوي المتوفى سنة 1111هـ.

1- البوصيري

هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري، صاحب البردة والهمزية، ولد بدلاص، ونشأ ببوصير. ثم انتقل إلى القاهرة، وتعلم علوم العربية والأدب، فقال الشعر البليغ في جده وهزله، ومن شعره الجيد قوله في بردته:

أمِن تذكّر جيران بذي سلم — مزجت دمعًا جرى في مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة — وأومض البرق في الظلماء من إضم
فما لعينيك إنْ قلت اكففا همتا — وما لقلبك إنْ قلت استفق يهم
أيحسب الصب أن الحب منكتم — ما بين منسجم منه ومضطرم

ومنها:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على — حب الرضاع وإنْ تفطمه ينفطم

فاصرف هواها وحاذر أن توليه ... إن الهوى ما تولى يصم أو يصم

وراعها وهي في الأعمال سائمة ... وإن هي استحلت المرعى فلا تسم

كم حسنت لذة للمرء قاتلة ... من حيث لم يدر أن السم في الدسم

واخش الدسائس من جوع ومن شبع ... فرب مخمصة شر من التخم

واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت ... من المحارم والزم حمية الندم

ومن قصيدته الهمزية في مدح النبي عليه الصلاة والسلام التي أولها:

كيف ترقى رقيّك الأنبياءُ ... يا سماء ما طاولتها سماءُ

لم يساووك في علاك وقد حا ... ل سنًا منك دونهم وسناءُ

وتوفي البوصيري سنة 695هـ بالإسكندرية، وقبره مشهور يزار.

2- صفي الدين الحِلّي

هو عبد العزيز بن علي الشهير بابن سرايا الطائي الحلي شاعر الجزيرة:

ولد سنة 677هـ ونشأ بمدينة الحلة من مدن الفرات، فتأدب ونظم الشعر وتوفي سنة 750هـ؛ ويعتبر صفي الدين من أئمة البديع المبتدعين في أنواعه المغالين في استعماله من شعرهم بلا كثير تكلف، وهو أول من نظم القصائد النبوية الجامعة لأنواع البديع المسماة بالبديعيات، مثال بردة البوصيري ومن قوله في الأدب:

إسمع مخاطبة الجليس ولا تكن ... عجلا بنطقك قبلما تتفهم

لم تعط مع أذنيك نطقًا واحدا ... إلا لتسمع ضعف ما تتكلم

وله:

بقدر لغاتِ المرءِ يكثر نفْعه ... فتلك له عِند الشدائد أعوانُ

تهافت على حِفظ اللغات مجاهدا ... فكل لِسانٍ في الحقيقة إنسانُ

3- ابن نُباتة المصري

هو جمال الدين محمد بن محمد المعروف بابن نباتة، أشعر شعراء المصريين زمن المماليك. ولد سنة 686هـ. ونشأ بالقاهرة ومات سنة 767هـ، ومن شعره قوله:

يا مشتكي الهم دعه وانتظر فَرجـا ودارِ وقتك مـن حـينٍ إلى حـينِ

ولا تعانِد إذا أصـبحت في كَـدرٍ فإنما أنت مـن مـاءٍ ومـن طـينِ

4- ابن معتوق الموسويّ

هو شهاب الدين بن معتوق الموسوي، شاعر العراق في عصره، وسابق حلبته في رقة شعره. ولد سنة 1025هـ، ونشأ بالبصرة.

وابن معتوق من كبار شعراء الشيعة مدح عليا والشهيدين بما يخرج عن حد الشرع والعقل. ومات سنة 1111هـ.

ويمتاز شعره بالرقة وكثرة ا ازات، حتى لتكاد الحقيقة مل فيه جملةً.

العصر الخامس: عصر النهضة الأخيرة

محمد علي - سنة 1220هـ

قدم "محمد علي" إلى مصر ضابطًا في الحملة التي وجهتها تركيا لإخراج الفرنسيين من مصر، وكان راجح العقل، استطاع أن يجمع حوله أعيان المصريين وكبار علمائهم بلطف معاملتهم وحسن معاشر م، فأحبوه وآثروه، وأعانوه على الحكومة التركية حتى قلدته ولاية مصر وهي لذلك كارهة.

وكان أول هم لمحمد علي في ولاية الحكم أن يتخلص من المماليك، فأوقع بجمهر م في القلعة سنة 1226هـ (1811م).

بعد ذلك وجه همته إلى أن ينشئ جيشا لـه كل ما للجيوش الحديثة، فأنشأ في قصر ابن العيني مدرسة حربية إعدادية سنة 1825م وجمع فيها التلاميذ من طوائف مختلفة إلا المصريين، غير أن هذه التجربة أخفقت فاضطر إلى أن يجعل أكثر التلاميذ بعد من المصريين، وكانت لغة التعليم الأساسية هي التركية، وكانت تدرس إلى جانبها العربية وغيرها، وكان قد سبق فأرسل طائفة من المماليك إلى بعض البلاد الأوربية لدراسة الفنون الجندية.

ثم أنشأ مدرسة أركان الحرب في جهة أبي زعبل من ضواحي القاهرة، ودعا لها بأساتذة من الفرنسيين.

مدرسة الطب

علمت أن همة محمد علي اتجهت بادئ الأمر إلى إنشاء جيش منظم مجهز بجميع الوسائل الحديثة، ولم يكن في مصر إلى ذلك الوقت أطباء اللهم إلا نفرا قليلاً من الإفرنج لتطبيب مرضى الجاليات الأجنبية، وكانت إذا نشبت المعارك الحربية يدعى بالحلاقين ليأسوا الكلوم ويضمدوا الجروح، لهذا عمد محمد علي إلى إنشاء مدرسة طبية بجهة أبي زعبل في سنة 1342هـ (1826م) يقوم بإزائها مستشفى كبير، ودعا لها بأساتذة من الإفرنج، وكان التعليم في هذه المدرسة شاقًا مجهدا، فإن أساتيذها لم يكونوا يعرفون العربية، وطلا ا لا علم لهم باللغات الأفرنجية، فدعت هذه الضرورة إلى أن يقوم بين الأساتذة وتلاميذهم مترجمون.

إيقاظ محمد علي الشرق بحسن بلائه في السياسة والحرب

استمكن سلطان محمد علي بما أعد من جيش قوي في البر، وأسطول عظيم في البحر، وعلم عالٍ يأخذ به أبناء البلاد، ومعامل ومصانع أغنته عن كثير مما يرد من الغرب،

ومشروعات، للري ضاعف ا استثمار الأرض، وغير ذلك من وسائل الإصلاح، ولقد استعانت به تركيا في إخماد الفتن في أطراف بلادها، كما استعانت به في حرو ا مع الدول الأخرى، كما تمكن بجيشه من فتح السودان كما اقتطع شطرا من أملاك تركيا بعد أن شجر الخلف بينه وبينها، وكاد يظفر بحاضرة ملكها لولا أن تألبت عليه الدول الأوربية وحلن بينه وبين غايته.

أما الأسطول الضخم الذي بناه محمد علي، فقد أحرقته تلك الدول غيلة في واقعة "نافارين" ولقد أتى بالعلماء والأساتذة وأهل الفنون من أوربا، وبعث البعوث إلى بلادها، وأقام المدارس في مصر على ج مدارسها، وتقدم بترجمة ما يحتاج إليه في رسائل الحياة المختلفة، و ذا وغيره انتظمت العلاقات بين الشرق والغرب.

إسماعيل وإتمامه بناء جدِّه

قبض محمد علي باشا في سنة 1265هـ (1849م) بعد أن حكم مصر أكثر من أربعين سنة بعثها فيها من الموت بعثًا، وأ ضها ضة قوية تلفت لها وجه التاريخ، وما كاد الملك يصير إلى حفيده عباس الأول حتى خبت تلك النهضة فأغلقت المدارس، وعطلت المصانع وفترت تلك الحركة العظيمة التي تناولت جميع مرافق الحياة في البلاد، وكذلك كان شأن خلفه سعيد بن محمد علي طول أيام حكمه، حتى إذا انتهت ولاية مصر في سنة 1279هـ (1863م) إلى إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي تأثر في سبيل الإصلاح بخطى جده العظيم وراح يتم ما بني د مصر، و ض بوجوه الإصلاح التي تقوم عليها الثروة والقوة والعلم والعظمة في كل البلاد.

مظاهر النهضة الحديثة في العلم والأدب

لم يكن للبعوث العلمية التي أوفدها محمد علي في مبتدأ الأمر إلى أوربا شأن جليل. وأولها كان في سنة (1813م) على أنه ما برح يوالي إرسال البعوث حتى كانت سنة 1242هـ (1826م) إذ أوفد إلى أوربا بعثة عظيمة يزيد عدد طلا ا على الأربعين، أحرزوا قبل سفرهم قدرا صالحًا من التعليم والتثقيف. وظل بعد هذا يوفد البعوث العلمية إلى مختلف البلاد الأوربية للتبحر في العلوم والفنون، ولم يقنع ذا بل أقام في باريس نفسها "مدرسة" جمعت نحو الأربعين طالبا، فيهم بعض الأمراء من أولاده وأحفاده.

الترجمة والتأليف

كان أول عهد مصر بالترجمة في هذا العصر، ما قام به أولئك المترجمون الذين جاء م محمد علي ليؤدوا بالعربية إلى طلبة مدرية الطب ما كان يلقيه عليهم أساتذ م من الدروس باللغة الأجنبية، فلما أخرج بعض هؤلاء الأساتذة بلغا م كتبا ورسائل في فنون الطب، وأريد ترجمتها إلى العربية جاء محمد علي بطائفة ممن تفقهوا في العربية لمعاونة أولئك المترجمين على تحرير العبارة وضبط المصطلحات العلمية، بقدر ما اتسع لـه علمهم بالعربية، وما عثروا عليه من مصطلحا م، وكان هذا عملاً شاقا مضنيا.

وكانت جمهرة المترجمين أول الأمر من الأطباء، لأن الطب أول العلوم الحديثة التي عني بدراستها في مصر بعد العلوم الحربية، ثم توالت الترجمة في العلوم والفنون الأخرى على يد من تخرجوا فيها من الطلاب.

أما التأليف في العلوم الحديثة فكان في مبتدأ الأمر ضئيلاً، وكان أكثره من وضع الأجانب الذين جاء م محمد علي ليبتغي م وسائل الإصلاح المنشود.

على أن المصريين قد جعلوا يقبلوا على معالجته، وخاصة من عهد إسماعيل حتى بلغ غاية محمودة، مازالت البلاد تتطلع منها إلى المزيد[1].

---

(1) ومن أبرع من برعوا (في أثناء هذه النهضة) في التأليف والترجمة في فنون الطب والصيدلة مرتبين على حسب تاريخ وفيا م: إبراهيم بك النبراوي 1279هـ (1892م) وأحمد بك حسن الرشيدي 1272هـ (1865م)، ومحمد علي باشا البقلي 1293هـ (1876م) وأحمد بك ندى 1294هـ (1877م) وسالم باشا سالم 13121هـ (1893م)، ومحمد الدري باشا 1318هـ (1900م)، وحسن محمود باشا 1321هـ (1903م). ومن برعوا كذلك في العلوم الرياضية ترجمة وتأليفًا: محمد بك بيومي 1268هـ (1851م)، و جت باشا 1284هـ (1867م)، ومحمود باشا الفلكي 1303هـ (1885م)، وشفيق بك منصور 1308هـ (1890م)، ومختار باشا المصري 1315هـ (1897م)، وإسماعيل باشا الفلكي 1319هـ (1901م).

ومن خير من ألفوا أو ترجموا في العلوم المختلفة في صدر النهضة: الشيخ عبد الرحمن الجبرتي 1240هـ (1825م)، والشيخ شهاب الدين المصري 1274هـ (1857م)، ورفاعة بك رافع الطهطاوي 1290هـ (1873م)، ومحمد قدري باشا 1303هـ (1885م)، وأحمد فارس الشدياق 1305هـ (1878م)، والشيخ عبد الهادي نجا الأبياري 1306هـ (1888م)، والشيخ حسين المرصفي 1307هـ (1889م)، والشيخ محمد بيرم 1307هـ (1889م)، وعلي مبارك باشا 1311هـ =

حالة اللغة العربية وآدابها في هذا العصر

كانت حالة البلاد العربية في أوائل القرن الثالث عشر غاية ما وصلت إليه من الفساد والاضمحلال، فلما استولى محمد علي باشا على مصر رأى - كما علمت سابقًا - أن يربي من يكون خير واسطة لنقل المعارف الأوربية إليها، فبعث إلى أوربا بثلاثة بعوث علمية، في أزمنة مختلفة، كونت بعد ذلك ثلاث طبقات من العلماء والأطباء والمهندسين والضباط، فنقلوا إلى اللغة العربية عشرات الكتب الجليلة في العلوم المختلفة، فأحدث ذلك في اللغة العربية انقلابا عظيما واكتسبت من سعة الأغراض والمعاني والألفاظ العلمية والأساليب الأجنبية وطرق البرهنة والاستنباط وترتيب الفكر ثروة طائلة، ورأى العلماء والأدباء أنه صارت لهم دولة منظمة متحضرة تتقبل منهم بقبول حسن كل ما يحسبونه من نتيجة كدهم، وثمرة أفكارهم، فالتفوا حولها؛ وصار أيضا للدولة كتاب وشعراء ومنشئون، ومن الأسف أن هذه النهضة لم يستمر سيرها في مصر كما استمر في الشام بل ركدت ريحها في زمن عباس باشا الأول، وزمن سعيد باشا، ثم تنسمت في عصر إسماعيل وما لبثت أن صارت رخاء طيبة فأعاد سيرة جده في نشر العلم، وظهرت ثمرة أعماله في حياته، وكادت مصر توشك أن تكون قطعة من أوربا.

النثر - المحادثة - أو لغة التخاطب

كانت العامية في أوائل هذه العصور غاية في الانحطاط، ثم لما انتشر التعليم بين طبقات المصريين، دخل في عبارا م كثير من الفصيح، وانتقل ذلك لمعاشريهم من الأميين، وبعض النساء؛ ومما ساعد على ذلك جعل التقاضي باللغة الفصيحة وكثرة الصحف وا لات

=

(1893م)، والشيخ محمد العباسي المهدي 1315هـ (1897م)، وعثمان بك جلال 1316هـ (1898م)، وأمين فكري باشا 1317هـ (1899م)، والشيخ إبراهيم اليازجي 1323هـ (1906م)، وقاسم بك أمين 1326هـ (1908م)، وعمر بك لطفي (1914م) وعلي أبو الفتوح المتوفى سنة 1913م، ومحمد بك النجاري 1332هـ (1914م)، وأحمد فتحي زغلول باشا 1332هـ (1914م) وجرجي زيدان (1914م) وإسماعيل سرهنك باشا (1924م)، والشيخ محمد بك الخضري (1926م).

ولا شك في أن هذه النهضة الحديثة مدينة في مستهلها لشيخ المترجمين على الإطلاق رافع بك، كما أ ا مدينة لأكبر السابقين من المؤلفين المصلح العظيم علي مبارك باشا.

والروايات.

الخطـابة

كان المصريون والسوريون في أوائل هذا العصر لا يستمعون الخطابة في غير الأغراض الدينية، ثم اتسعت دائرة الأفكار في عصر إسماعيل باشا، وصادف ذلك مجيء السيد جمال الدين الأفغاني إلى مصر، والتف لفيف حوله من أدباء المصريين والسوريين، فأدخلهم في عداد جمعيته، وألف منهم أندية كانوا يتناوبون الخطابة فيها في الأمور الدينية والسياسية والاجتماعية، وانتشرت الخطابة بين شبان مصر، وفشت بعد عصر إسماعيل في زمن توفيق باشا وعباس حلمي باشا، ومن أشهر خطبائهم السيد عبد الله النديم المتوفى عام 1314هـ (1896م) والشيخ محمد عبده المتوفى عام 1323هـ (1905م) ومصطفى باشا كامل المتوفى عام 1326هـ (1908م) وسعد باشا زغلول المتوفى عام 1347هـ (1927م) والشيخ عبد العزيز جاويش بك المتوفى عام 1927م وغيرهم، حتى بلغت الخطابة في عصرنا هذا مبلغا عظيما.

الكتابة الخطية

وقف الخط في سبيل تقدمه على الحد الذي رسمته لـه الطبقة الناشئة في القرن العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر: من خطاطي الترك، وكل من نشأ بعدهم فإنما هو متبع طريقتهم. وأشهرهم: عبد الله زهدي، وهو الذي خط بالقلم الجليل جدران المسجد النبوي، وجدران سبيل والدة عباس باشا الأول بالصليبية بالقاهرة، ومحمد مؤنس أفندي، وتخرج عليه وعلى تلميذه محمد جعفر بك جميع خطاطي قطرنا المصري.

الكتابة الإنشائية

مضى العصر المتقدم وليس لكتاب الدواوين في أواخره شأن يذكر، لجعل التركية هي اللغة الرسمية، وأقبل العصر الحاضر والحال لم تتغير في الماليك العثمانية إلا قليلا، وشرعت تتغير في مصر، ثم لما أنشئت المدارس النظامية، نشأت طبقة من كتاب الدواوين رقوا كتابتها، وقد هجر السجع الذي أكثر منه الأقدمون إلى أن (عبد الله باشا فكري) أشهر المصلحين للكتابة الديوانية الفصيحة ألم به في كثير من مكاتباته الرسمية، وقد سبق كثير من رسائله في فن المكاتبات، وأما كتابة التأليف والصحف فأخذت تنحو منحى كتابة ابن خلدون في

مقدمته، ولما ولت الحكومة الشيخ محمد عبده تحرير "الوقائع الرسمية" والإشراف على تحرير الجرائد ترقت كتابتها كثيرا، ودرجت في سبيل التقدم إلى الآن.

كتابة التدوين

كان أكثر الكتب التي ألفت أو ترجمت في مصر علمية، لشدة احتياجها لها، أما سوريا فكانت حالة الأدب فيها في النصف الأول من العصر الحاضر خيرا منها في مصر ولكن مصر ـضت في النصف الثاني، واسترجعت حيا ا الأدبية، وأدخلت دراسة أدب اللغة في مدارسها، وألف فيه عدة كتب. وانحط شأن سوريا في العربية فلم ينبغ في اللغة من السوريين في السنوات الأخيرة من يضارع سابقيهم. ومن أشهر علماء الأزهريين في هذا العصر: الشيخ عبد الرحمن الجبرتي المتوفى في 1240هـ (1825م) والشيخ حسن العطار المتوفى في 1250هـ (1834م) ومن غير الأزهريين من أهل النهضة الحديثة: رفاعة بك شيخ المترجمين والمؤلفين، وعلي مبارك باشا المتوفى في 1311هـ (1893م) وجمال الدين الأفغاني المتوفى في 1314هـ (1897م) وجورجي بك زيدان المتوفى في 1332هـ (1914م) وأحمد فارس الشدياق اللبناني المتوفى 1305هـ (1887م) والدكتور يعقوب صروف صاحب مجلة المقتطف المتوفى في 1346هـ (1927م) وولي الدين بك يكن المتوفى في 1339هـ والشيخ محمد عبد المطلب المتوفي في 1350هـ (1931م) والشيخ محمد بك الخضري المتوفى في (1927م) والشيخ أحمد مفتاح المتوفى في 1329هـ. وفتحي باشا زغلول المتوفى في (1914م) والشيخ نجيب الحداد المتوفى في (1899م) وعبد الله باشا فكري، والشيخ حسين المرصفي المتوفى في 1307هـ (1889م) والشيخ ناصيف اليازجي المتوفى في 1287هـ، وإبراهيم بك المويلحي المتوفى في 1323هـ، ومحمد بك المويلحي المتوفى في (1930م) وقاسم بك أمين المتوفى في 1326هـ والسيد لطفي المنفلوطي المتوفى في (1924م) والشيخ إبراهيم اليازجي المتوفى في 1323هـ (1906م) وحفني بك ناصف المتوفى في 1337هـ والشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد المتوفى في 1331هت (1913م) وأديب إسحاق المتوفى في 1303هـ (1892م) ومصطفى بك نجيب المتوفى في 1330هـ وإسماعيل باشا صبري، وبطرس البستاني المتوفى في 1301هـ (1883م) وسليم باشا تقلا المتوفى في 1310هـ (1892م).

وهاك ترجمة بعض زعماء النهضة الحديثة:

(1) رفاعة الطهطاوي المتوفى سنة 1290هـ

هو الكاتب الشاعر السيد رفاعة بك الحسيني الطهطاوي، شيخ المترجمين وإمام النهضة الحديثة، ولد بطهطا من أسرة شريفة، وتأدب وتعلم في الجامع الأزهر ثم انتخب إماما لبعض فرق الجيش؛ ولم يلبث أن اختاره المرحوم محمد علي باشا إماما ومعلما لأول بعث علمي أرسل إلى فرنسا سنة 1241هـ فراقته علوم أوربا وعظمتها فأكب بنفسه على تعلم اللغة الفرنسية، فلما عاد إلى مصر سنة 1247هـ اختاره محمد علي باشا رئيسا للترجمة بمدرسة أبي زعبل. واشترك هو وأستاذه الشيخ حسن العطار في إنشاء جريدة "الوقائع المصرية" وتحريرها ثم نقل إلى مدرسة المدفعية (الطبجية) ثم صار مديرا لمدرسة الألسن والترجمة، ثم انتخب عضوا بلجنة المدارس، وتولى إدارة مجلة (روضة المدارس المصرية) وعكف على الترجمة والتأليف حتى توفي عام 1290هـ تاركا لمصر كتبا ورجالاً هم أركان النهضة الحديثة، وآخر ما ألفه كتاب " اية الإيجاز"، في سيرة ساكن الحجاز".

(2) عبد الله فكري باشا المتوفى عام 1307هـ - 1889م

عبد الله فكري بن محمد بليغ الضابط ابن الشيخ عبد الله العالم الأزهري، وهو من أركان النهضة الأدبية في الديار المصرية ولد عام 1250هـ، وأكب على تعلم علومه بالأزهر، مشتغلا أيضا باللغة التركية، واستخدم من أجلها مترجما للعربية والتركية في عدة مناصب، آلت إلى نقله إلى حاشية سعيد ثم إسماعيل باشا فعهد إليه بتأديب بنيه الكرام وغيره من أمراء بيت الملك، ثم تقلب في جملة مناصب آخرها نظارة المعارف عام 1299هـ وبقي ا حتى زمن الثورة العرابية، فسقط مع الوزارة، وا م في الثورة فقبض عليه، ثم اتضحت براءته فأطلق ورد إليه معاشه؛ بعد أن استعطف الخديوي توفيق باشا بقصيدة طويلة وتوفي عام 1307هـ (1889م).

وكان فكري باشا كاتبا بليغا، سلك في كتابته طريقة كتاب القرن الرابع كالبديع الهمذاني، والخوارزمي من التزام السجع القصير، القليل التكلف ولذلك يقوم فيه المرحوم الشيخ حسين المرصفي مدرس دار العلوم "لو تقدم به الزمان، لكان فيه بديعان، ولم ينفرد ذا اللقب علامة همذان".

(3) علي مبارك باشا المتوفى عام 1311هـ - 1893م

هو أبو المعارف المصرية، العالم المؤرخ المؤلف المترجم، المربي العظيم علي بن مبارك بن سليمان بن إبراهيم مؤسس دار العلوم، ودار الكتب العربية.

ولد عام 1239هـ، وكان والده يرسله إلى معلم قاس يتعلم عليه القرآن الكريم فحفظه، وهرب من العلم لقسوته وضربه، وأخذ يتعلم الكتابة على بعض الكتاب حتى عثر في بعض خرجاته بتلاميذ ذاهبين إلى مدرسة أبي زعبل فصحبهم ودخل المدرسة ثم اختير في جملة من تلاميذها إلى مدرسة قصر العيني، وعمره 12 عام، ودرس الرياضة فبرع فيها، فاختير طالبا بمدرسة الهندسة، فأكمل في خمسة أعوام درس فن الهندسة، وأرسل إلى أوربا عام 1260هـ ليتمم علومه ا، فمكث نحو أربعة أعوام درس فيها فن الهندسة والحرب، ثم عاد إلى مصر ضابطًا بالجيش، ثم قدم لعباس باشا الأول مشروعا بنظام المدارس المصرية فأعجبه وعهد إليه رياسة ديوا ا، فقام به خير قيام، وألف بعض الكتب الدراسية، فكان أول من نظم المدارس المصرية، وتزاحمت عليه المناصب فكان مديرا للسكك الحديدية وناظرا للمعارف وللأشغال وللأوقاف والقناطر الخيرية، فقام بذلك جميعا في آن واحد خير قيام؛ ومن أعماله العظيمة إنشاء دار الكتب وإنشاء مدرسة دار العلوم ليوفق بين طلبة العلم القديم وطلبة العلم الحديث، ومات عام 1311هـ - 1892م.

(4) الشيخ محمد عبده المتوفى عام 1323هـ - 1905م

هو المصلح الكبير ا تهد الكاتب الخطيب الإمام الشيخ محمد عبده، أحد أركان النهضة العربية ومؤسسي الحركة الفكرية، ولد عام 1266هـ بإحدى قرى مديرية الغربية، ونشأ بين أسرته بمحلة نصر من مديرية البحيرة وترك بلا تعليم حتى ناهزت سنه العاشرة، ثم رغب في التعليم فحفظ القرآن الكريم وطلب العلم بالجامع الأحمدي، ثم انتقل إلى الأزهر ونبغ في علومه - ولما قدم مصر السيد جمال الدين الأفغاني سنة 1286هـ، وأعاد إلى مصر دراسة الفلسفة وعلوم الحكمة لزمه الشيخ محمد عبده، وكان أنبغ تلاميذه، وأحرصهم على ملازمته، والاستفادة منه، ونال درجة العالمية سنة 1294هـ، واختير سنة 1295هـ مدرسا للأدب والتاريخ العربي بدار العلوم، ومدرسة الألسن، ثم اختير لإصلاح لغة (الوقائع المصرية) ثم صار رئيس تحريرها - وفي هذه المدة جعله رياض باشا مراقبا على كتابة الجرائد وتحريرها - وحدثت عقب ذلك الثورة العرابية، ونفي من مصر إلى سورية، وتولى التدريس

بمدارسها، ثم انتقل إلى أوربا فالتقى بالسيد جمال الدين بباريس، فأنشآ معا جريدة (العروة الوثقى) ثم عفا عنه الخديوي وعاد إلى مصر قاضيا بالمحاكم الأهلية، ثم مفتيا للديار المصرية، وتولى التدريس بالأزهر وإليه يرجع الفضل في إصلاحه، ومازال كذلك حتى توفي سنة 1323هـ.

(5) الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة 1336هـ - 1918م

هو الشيخ الوقور، الحجة، التقي، الشيخ حمزة فتح الله.

ولد رحمه الله بثغر الإسكندرية سنة 1266هـ (1849م) ونشأ ا وبعد أن حفظ القرآن الكريم انتظم في سلك طلبة العلم بجامع الشيخ إبراهيم باشا - ثم أكمل دراسته بالأزهر الشريف، وأمعن في قراءة الأدب واللغة، وقرض الشعر وحرر الرسائل، وحفظ الغريب، ثم عاد إلى الإسكندرية، واختير في منتصف العقد الثالث من عمره) محررا في إحدى الصحف التونسية فمكث هناك حوالي ثماني سنوات اكتسب فيها الدربة على كتابة الصحف السياسية، ثم عاد إلى مصر فوجد نار الثورة العرابية مستعرة، فانضم إلى حزب الخديوي توفيق، وكتب وخطب في تأييده، وبعد أن انتهت الثورة العرابية استخدم في وزارة المعارف ومكث ا زهاء ثلاثين سنة، متنقلاً بين التفتيش والتدريس حتى مات سنة 1918م.

علمه وأعماله: كان الشيخ كثير القراءة في كتب اللغة، والأدب، والحديث شديد الحفظ والذكر، قلما تحدث أمامه حادثة أو تذكر إلا روى فيها شعرا، أو مثلاً أو قصة وكان فكه المحاضرة، صحيح العبارة يحوكها على سنن العربية الفصيحة وهو أعلم من شاهدناه باللغة والأدب والصرف.

عهد إليه بالتدريس في دار العلوم فأحيا بتدريسه وتأليفه ما دثر من آثار السالفين كالجاحظ والمبرد والقالي والمرتضى، وأظهر ما كان ذلك في (مواهبه الفتحية).

أسند إليه تفتيش اللغة العربية في مدارس الحكومة على اختلاف أنواعها فرأى ا ال فسيحا لتخليصها من أدران العامية، وأوضار الدخيل، وفساد التراكيب وعجمة الأساليب، فأخذ يرشد المعلمين إلى ما يعثر عليه من ذلك في كتابة التلاميذ ويتحفهم بمرازفه تارة، ويرشدهم إلى المظان أخرى، فيتنبه بذلك الغافل.

أخلاقه: كان الشيخ حليما رحيما، تقيا ورعا، لا تأخذه في الله لومة لائم.

كان يحب العرب والعربية، ويروى أن الله خصهما بكل مزية.

مؤلفاته: مما عرف من مؤلفاته، كتاب المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية وباكورة السلام في حقوق النساء في الإسلام، ورسالة في التوحيد، وكتيب في المفردات الأعجمية التي في القرآن الكريم، وغير ذلك.

شعره وكتابته: كان بدوي الشعر من حيث ألفاظه ومعانيه، وتراكيبه وأساليبه وتشبيهاته واستعاراته على طريقة شعر العلماء فمنه قوله:

كم جامحٍ بالثريا راضه سفر — **فوق الثرى** بين **أكوار وأقتابِ**
إن الثواء ثواءٌ والقصور قبو — **ر العاجزين ولا إبراءَ للخا**بي
ومن بغى نيل مجدٍ **وهو** في **دعةٍ** — **فقد بغى من صفاةٍ در أحلاب**
والمرءُ في **موطن كالدر** في **صدفٍ** — **والتبر** في **معدنٍ والنبع** في **غاب**
والسيف مثلُ العصا إن كان مغتمدا — **وزامر الحي لا** يحظى **بإطراب**
وأزهد الناس في **عالم وصاحبه** — أدنى **الأحبة من أهلٍ وأصحاب**

(6) باحثة البادية السيدة ملك حفني ناصف المتوفاة سنة 337هـ

هي المفكرة، الكاتبة، الشاعرة، السيدة ملك حفني ناصف.

ميلادها ونشأتها: ولدت بالقاهرة سنة 1886م؛ ولما ميزت أرسلها والدها إلى إحدى المدارس الأولية، ثم إلى المدرسة السنية فحصلت منها على شهادة الدراسة الابتدائية سنة 1900م (وهي أول سنة تقدمت فيها الفتيات لنيل هذه الشهادة) ثم أتمت دراستها في قسمها العالي، واختيرت مدرسة في مدارس البنات بالقاهرة، وفي سنة 1907 تركت التعليم العلمي واشتغلت بالتعليم العملي في بيت زوجها.

أخلاقها وأعمالها: كانت مدة دراستها خير نموذج لقرينا تها، من أخلاق سامية وسريرة صافية، ونفس أبية، ومثابرة على العمل.

وكانت بعد زواجها تباشر أكثر أعمال بيتها بنفسها، لا لسبب، سوى أن تكون قدوة لغيرها من السيدات اللاتي يتركن بيوتهن إلى من لا يحسن القيام عليها والتدبير فيها، فيوقعن أزواجهن في الفقر المدقع، والبلاء الشديد، وكانت إذا فرغت من شئون منزلها، عكفت على قراءة الكتب النافعة، وتعرف أحوال السيدات، وزيارة مدارس البنات، وفحص مناهج

التعليم.

كل أولئك لتكون لها رأيا صحيحا، وفكرا ناضجا في تربية البنات وإصلاح حال الأمهات، وظلت تستسهل في ذلك الصعب، وتستحلي المر.

وكان من رأيها في تربية المرأة أن تباشر من أعمال الرجال ما لا ينافي الشرع الشريف، وألا يكون زينتها مشغلة لها ولا عبئًا ثقيلاً ينوء به بعلها، ولها في ذلك خطب في محافل نسوية، كان لها تأثير في عدول الكثيرات منهن عن جمودهن وأفكارهن القديمة، وكان بيتها مقصدا لزيارة كثير من السيدات الغربيات والشرقيات يستنرن به في الوقوف على مبلغ رقي المرأة المسلمة، وما ينتظرن من شئو ا المستقبلة، ولم يكن شيء من ذلك كله لينسيها ما يجب لزوجها، والبر بذوي قرباها ومن يقع تحت نظرها ممن أجهدهم الفقر، وأشد ما كان برها لوالدها.

آثارها العلمية:

(1) كتا ا الذي أسمته (النسائيات) وهو مجموع ما خطبته وكتبته في (الجريدة خاصا بالمرأة.

(2) حقوق النساء، وهو كتاب لم يطبع بعد: أنجزت منه ثلاث مقالات، الأولى في الموازنة بين المرأة المسلمة الشرقية والمرأة المتدينة الغربية في الحقوق المالية، والثانية في حقوق المرأة المسلمة من جهة إدارة الأعمال العامة، والثالثة في المرأة المسلمة من جهة الانتخاب.

(3) رسالة ضافية قدمتها للمؤتمر المنعقد في مايو عام 1911 بمصر الجديدة ضمنتها آراءها السديدة في وسائل ترقية المرأة المصرية.

ثم عاجلتها الحمى الأسبانية عام 1338هـ فاحتضرت وهي في ريعان شبا ا ويانع عمرها، فتركت بفقدها في العالم النسوي المصري فراغًا لم يشغل بعد.

كتابتها: إن الناظر في كتابا ا المختلفة يرى عبارةً سهلة، صحيحة الألفاظ عربية الأسلوب، خالية من تصنع السجع، وترى ذلك واضحا في كتا ا "النسائيات".

شعرها: قالت الشعر وهي في الحادية عشرة من عمرها وكان بدء أمرها فيه أن تقوله معارضة لما تحفظه في المدرسة تارة جدا، وتارة هزلاً؛ وشعرها حسن الديباجة، جميل الأسلوب يعد في الدرجة الوسطى من شعر هذا العصر.

وهاك نموذجا من نثرها وشعرها - رسالة كتبتها من رمل الإسكندرية لصديقة لها - وهي:

"عزيزتي السيدة بلسم"

أحييك، ولولا برودة البحر لالتهبت إليك شوقًا، ولولا تصبري لطرت إليك حبا، وإني لم ينسني صفاء السماء صفاء ودك، ولا رقة النسيم رقة حديثك إنما شجاني وذكرني، ولم أكن ناسية.

حبيبتي: ليتك معي ترين الطبيعة بجمالها، ترين البحر يزجر كالرعد والأمواج تتلاطم زرافات ووجدانا، صفاء في البحر، وصفاء في السماء، كأ ما قلبانا، وتسمعين تغريد الطيور، وحفيف الأشجار، إ ا لعمرك مناظر تلهي المرء، ولكن هيهات لمثلي أن تلهو، وهي تعلم ما يكنه الدهر، ويخبئه الليل والنهار، تقبلي مني أحر قبلاتي، وأوفر أشواقي". ومن شعرها تخاطب المصرأة المصرية:

سيري كسير السحب لا ... تأني ولا تتعجلي

لا تكنسي أرض الشوا ... رع بالإزار المسبل

أما السفور فحكمه ... في الشرع ليس بمعضل

ذهب الأئمة فيه ... بين محرم ومحلل

ويجوز بالإجماع منهم ... عند قصد تأهل

ليس النقاب هو الحجا ... ب فقصري أو طولي

فإذا جهلت الفرق بينهما ... فدونك فاسألي

من بعد أقوال الأئمة ... لا مجال لقولي

لا أبتغي غير الفضيلة ... للنساء فأجملي

الشعر

كانت حالة الشعر في النصف الأول من هذا العصر لا تزيد شيئًا مذكورا على ما كانت عليه في العصر الماضي، إذ كانت حكومة (محمد علي باشا) في أول أمرها تركية الصبغة، وكان هو أميا لا يحل عنده الأدب محل العلم الذي عليه مدار تأسيس المملكة، ولكن الشعر أخذ بعد ذلك في الترقي.

وسارت مصر في طريقه، وانتشرت بينهما العربية حتى زمن (إسماعيل باشا) وكان هو

متأدبا، وعصره غاصا بالأدباء، فتقدم الشعر في عصره خطوات تمثلت في شعر السيد علي أبي النصر، والشيخ علي الليثي، ثم طفر طفرة إلى عظيم الشعراء (البارودي).

ولم يزل للعلم والعلماء مع ذلك المقام الأول في مصر، حتى كان العصر الحاضر، ونالت مصر بعض حاجا ا من العلم وكتبه، فهب أهله يتفكهون بالأدب وكتابته والتأليف فيه ويستمعون الشعر، ويحضرون ا امع العظيمة لإنشاده، فأقبل الشعراء على نظمه في كل أغراضه القديمة والحديثة، ونحوا به نحو الشعر الإفرنجي من وصف المناظر الطبيعية، وأحوال الوجدان، والعواطف النفسية، وكثير من الشعراء بعد البارودي، لم يحاك القدماء في ندب الديار، ووصف الظعائن، وحث المطايا مستغنيا عن ذلك بوصف القطار، والكهرباء، والمسرة، والبرق، ويقول الآن الشعر على هذه الطريقة مئات من الشعراء في مصر والشام والعراق، إلا أن المصريين سبقوا السوريين بمراحل في هذا العصر.

ومما يمتاز به شعر هذا الوقت، خلوه من تكلف البديع والجناس، والرجوع به إلى حالته القديمة الطبيعية حتى صار شعر فحوله يشبه شعر أهل القرن الرابع والخامس.

نماذج من النظم

قال المرحوم السيد علي أبو النصر المتوفى سنة 1298هـ - 1880م:

بصادر آمالي ووارد خاطري   **كَلِفْتُ فيا نفسي الأبية خاطري**

ولا تجزعي إن هال خطب فربما   **تدين الأماني لامرئ غير قادر**

وكوني على حمل الذي مستعدة   **فكم عادل أرخى العنان لجائر**

ولا تشتكي الأيام إلا لمنصف   **فلا خير في الشكوى إلى غير ناصر**

ومن لم يكن ذا همةٍ هاشمية   **أخافته في الهجأ بروق البواتر**

وقال محمود صفوت الساعاتي المتوفى سنة 1298هـ يمدح شريف مكة ويعاتبه:

ترنو النجوم بلحظها البراق   **والجو في الإرعاد والإبراق**

فإذا تبسمت البروق لغبطة   **بكت السماءُ بدمعها المهراق**

عاملتموني بالجفاء رويدكم   **الورد ذو أرج بلا إحراق**

مالي أراكم تنكرون مكانتي   **الشمس لا تخفى مع الإشراق**

فلدتم غـيري الجميـل وقلـتم حسـب المغـردِ زينـةُ الأطـواق
أسديتم الجدوى لـه وسـددتم طرق الرجـاء علـي بـالإطراق
إن لم يكن مثلي يسـيء ومـثلكم يغضي فأين مكـارم الأخـلاق

وفي الحكم للمرحوم الشيخ علي الليثي المتوفى سنة 1313هـ - 1896م:

كل حـال لضـده يتحـولْ فالـزم الصبر إذ عليـه المعـولْ
يا فؤادي استرح فمـا الأمـر إلا مـا بـه محكم القضـاء تنـزلْ
قـدر غالـب وسـر الخفايـا فوق عقل الأريب مهمـا تكمـل
رب سـاع لحتفـه وهـو ممـن ظن بالسـعي للعـلا يتوصـل

وقال المرحوم الشيخ شهاب الدين المتوفى في سنة 1275هـ يرثي إبراهيم باشا:

صـبرا علـى مـا قـد مضـى إذ لا مخلـص مـن قضـا
كيـف التصـبر والمنـا يـا ذات عضـب منتضـى
أردت بـإبراهيـم منـذ بلـغ المقـام المُرتضـى
وإليـه آلَ الأمـر فـي حـكم (الإيـالـة) وانقضـى
فمضـى وقلـت مؤرخـاً (الله يـرحـم مـن مضـى)

حفني ناصف بك المتوفى
1276-1338هـ/1856-1919م

هو القاضي الفاضل الشاعر الكاتب، محمد حفني ابن الشيخ إسماعيل ابن الشيخ خليل ابن ناصف، ولد ببركة الحجر من أعمال القليوبية سنة 1272هـ يتيما فقيرا، فكفلته جدته أم أبيه.

ولما ترعرع تعلم القرآن على معلم كان يفرط في ضربه، ففر ماشيا على قدميه إلى الأزهر وجود فيه القرآن، وحفظ فيه المتون، ودرس فقه الشافعي، وعلوم اللسان العربي واشتغل بالأدب والشعر فبرع فيهما حتى أصبح من شعراء الأزهر المعدودين، وكان أول الناجحين من الطلبة المقبولين في دار العلوم، وبقي أولهم حتى خرج من المدرسة ثم اختير

مدرسا وضابطًا لمدرسة الخرس والعميان، ثم نقل إلى النيابة كاتب سر للمرحوم شفيق بك منصور يكن، ثم نقل مدرسا بمدرسة الحقوق، وفي أثناء ذلك كلفته نظارة المعارف مع آخرين تأليف سلسلة كتب سهلة، لتعليم النحو والصرف والبلاغة فألف خمسة كتب لم يزل العمل في التعليم جاريا عليها ثم نقل إلى القضاء الأهلي، فمكث يترقى في درجاته مدة عشرين سنة، كان خلالها مثال العدل والنـزاهة، ونقل من وكالة محكمة طنطا الأهلية مفتشا أول اللغة العربية بوزارة المعارف.

وتوفي صبيحة يوم الثلاثاء 26 فبراير سنة 1919م، ودفن يوم الأربعاء بمقبرة الإمام، وكان رحمه الله من أطيب خلق الله حديثًا، وأرقهم فكاهة، وأملحهم نادرة وأحضرهم جوابا، مع دعابة فيه.

شعره: لم ينكر الأدباء عليه أنه أبو الطبقة التي نشأت بعد طبقة البارودي، وعبدالله باشا فكري، وكل من نبغ بعد ممن انتهت إليهم الرياسة في الشعر فعليه تعلم، وله قلد، حتى أصبحوا شعراء هذا الزمان.

وأكثر شعره من نوع السهل الممتنع، الكثير الملح المطربة والنكت الأدبية المعجبة، حتى في المراثي، لتمثيلها في صورة جديدة بديعة، فمن ذلك قوله:

أتقْضي معي إن حان حيني تجاربي ... وما نِلتها إلا بطول عنائي

وأبذُلُ جهدي في اكتساب معارفٍ ... ويفنى الذي حصلته بفنائي

ويحزنني ألا أرى لي حيلة ... لإعطائها من يستحق عطائي

إذا ورث الجُهال أبناءهم غِنى ... وجاها فما أشقى بني الحكماءِ

ومن شعره أيضا يخاطب أحد الرؤساء:

أحييت آمالي وكنت أمتها ... من طول ما لقيت من إخواني

أدلي بإخلاصي لهم وأذود عن ... أعراضهم بجوارحي ولساني

محضتهم ودي فلما أيسروا ... كانت بداية أمرهم نسياني

مصطفى باشا كامل المتوفى سنة 1326هـ - 1908م

هو مصطفى بن علي أفندي محمد المهندس، المولود بالقاهرة في 14 أغسطس سنة

1874م ولما بلغ السادسة من عمره أدخله والده المكاتب الأولية، ثم انتقل إلى مدرسة والدة عباس باشا الأول، وفي أثناء وجوده في هذه المدرسة توفي والده فانتقل إلى مدرسة القربية، فأتم فيها الدراسة الابتدائية سنة 1887م ثم تحول إلى المدارس الثانوية، ونال في ايتها شهادة البكالوريا بتفوق باهر، وذكاء نادر، مما لفت إليه نظر المرحوم علي باشا ناظر المعارف، فاختصه بمرتب شهري يسرف إليه مساعدة لـه، وكان منظورا إليه بعين الإجلال والاحترام من إخوته ومعلميه ورؤسائه لما امتاز به من حسن الإلقاء، وفصاحة اللسان، وصراحة القول واستقلال الفكر ومناقشته في المسائل العلمية والاجتماعية، والكل يعجبون به، ويتوقعون لـه مستقبلاً مجيدا، ثم دخل مدرسة الحقوق الخديوية ارا، ومدرسة الحقوق الفرنسية ليلا فكان يتلقى دروسهما حتى نال الكفاية منهما، ثم ذهب إلى (طولوز بفرنسا) وأدى فيها الامتحان ونال الشهادة النهائية، وفي أثناء دراسته للحقوق تنبه خاطره إلى المسائل السياسية، وأصبح همه إنقاذ مصر من الاحتلال، وكان يتردد على الجرائد الوطنية، فيكتب فيها آيات الوطنية، وأنشأ ا لة المدرسية، وألف كتاب المسألة الشرقية، ورواية فتح الأندلس، وكتابا في حياة الأمم والرق عند الرومان، وكلها ترمي إلى تحبيب الاستقلال، وإحياء الشعور الوطني في أفكار المصريين، واجتمع مصطفى بالمرحوم "عبد الله النديم" الخطيب المفوه والكاتب البليغ ومشعل نار الوطنية من قبل، فاقتبس مصطفى منه الأساليب والتعليمات العظيمة، وأضاف ذلك إلى معلوماته الماضية، و ض ضة الأسد إلى فريسته، وأذكى أوار الوطنية في عقول الشباب الناهض، وتطورت مصر الفتاة إلى يومنا هذا في مراقي التقدم والنجاح، وقد طار صيته في الآفاق، وأنشأ جرائد اللواء العربي والفرنسي والإنكليزي لهذا الغرض، وتوفي يوم الأربعاء 10 فبراير سنة 1908م وخطبه الطنانة كثيرة لا نطيل بذكرها.

محمد بك فريد المتوفى سنة 1919م

هو المخلص الأمين، محمد بن أحمد باشا فريد، والدته أميرة من فضليات سيدات الخلفاء العباسيين، وكان ميلاده في 27 رمضان سنة 1284هـ، وعاش 52 سنة، ولما كان عمره 7 سنوات أدخله المرحوم والده مدرسة خليل أغا، ثم دخل المدارس الثانوية وفاز بشهادة البكالوريا، ثم دخل مدرسة الحقوق حتى نال الشهادة النهائية في شهر مايو سنة 1887م، وعقب ذلك عينته الحكومة المصرية بقلم قضايا الخديوي عباس باشا بالرتبة الثانوية، ثم تدرج في وظائف القضاء إلى أن صار أحد رؤساء النيابة العمومية؛ وفي خلال ذلك كان يكاتب

أمهات الصحف العربية والإفرنجية، حتى استقال من خدمة الحكومة في 21 نوفمبر عام 1896، واشتغل بالمحاماة، وانضم بكل قواه إلى الحزب الوطني لتحرير مصر والسودان، ولازم صاحبه المرحوم مصطفى باشا كامل، وقد ألف كتاب البهجة التوفيقية في تاريخ العائلة الخديوية، وتاريخ الدولة العثمانية، وتاريخ الرومان؛ وأنشأ مجلة "الموسوعات" وكتب آلاف المقالات في المؤيد واللواء والصحف الأوربية، وألقى مئات من الخطب في بلاد الشرق والغرب، وتعرف بكثير من ساسة العالم.

ولما شعر المرحوم مصطفى كامل باشا بدنو الأجل، جمع رجال الحزب الوطني وأوصاهم بانتخاب "فريد" بعده رئيسا، فقام برياسته خير قيام، وقد ضحى بنفسه وأولاده وأهله وماله ومناصبه حبا في الوطن، حتى مات غريبا في يوم الاثنين 15 نوفمبر عام 1919م، ونقلت جثته من بلد ألمانيا لدفنها بالقاهرة، فوصلت صباح يوم الثلاثاء 8 يونيه عام 1920م، وشيعت باحتفال مهيب، ورثته صحافة العالم شرقًا وغربا.

فمن رثاء المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم المتوفى عام 1959هـ، قال من قصيدة طويلة:

من لِيوم نحـن فيـهِ، مـن لغـد   مات ذو العزمة والـرأي الأسـد
أيها النيلُ لقـد جـل الأسـى   كن مِـدادا لي إذا الـدمع نفَـد
فلَقَـد والـى فريـد وانطَـوى   ركْن مصـر وفتاهـا والسـند
خالِد الآثـارِ لا تخـش البلـى   ليس يبلى من لـه ذكـر خلـد
قـل لِصـب النيـل إن لاقيتـه   في جوار الـدائم الفـرد الصـمد
إن مصرا لا تني عـن قصدِهـا   رغم ما تلقى، وإن طـال الأمـد
فاسـترح واهنـأ في غِبطـة   فلقَد بذرت الحب والشعب حصـد

(7) سعد باشا زغلول

هو الزعيم الأكبر سعد ابن الشيخ إبراهيم زغلول المولود ببلدة إبيانه بمديرية الغربية عام 1277هـ، قرأ القرآن الكريم ودخل الأزهر الشريف، وحضر علوم اللغة والأدب والنحو والمنطق والتوحيد وعلوم التشريع، وغيرها على فطاحل العلماء ثم تعين محررا لجريدة "الوقائع

المصرية" الرسمية بالداخلية، ثم انتقل معاونا بنظارة الداخلية في مدة وزارة "محمود سامي باشا البارودي" ثم تعين مديرا لقلم قضايا مديرية الجيزة، وذلك مدة اشتداد الثورة العرابية، ثم استقال واشتغل بالمحاماة وقد انتخبته الجمعية عضوا في لجنة تنقيح قانون الجنايات بالاستئناف، ثم اختاره اللورد "كرومر" أن يكون وزيرا للمعارف، ثم وكيلاً للجمعية التشريعية إلى أن تطورت الحالة الوطنية في القطر المصري، فانتخبته الأمة وكيلاً عنها في مطالبة إنجلترا بالجلاء عن مصر والسودان.

ومن كلماته المأثورة في الوطنية:

1- لا استعباد، لا استعمار، لا حماية، لا رقابة، لا تداخل لأحد في شأن من شؤوننا، هذا ما نريد، وهذا ما لا بد أن نحصل عليه.

2- أقسم بالوطنية وعز ا: لو كنت أعرف أني أقود أمة بلهاء تنقاد لكل زعيم بدون تصور ولا إدراك، كما يصفها أعداؤها، ما رضيت أن أكون قائدا لها.

3- إن قوتنا ليست مستمدة من الخارج، بل هي في نفوسنا، فلتكن نفوسنا قوية نصل إلى غايتنا.

4- الإرادة متى تمكنت من النفوس وأصبحت ميراثًا يتوارثه الأبناء عن الآباء، ذللت كل صعب، ومحت كل عقبة، وقهرت كل مانع مهما كان قويا، ووصلت عاجلاً أو آجلا إلى الغاية المطلوبة.

5- لا يمكن أن نعتبر للكحوميين مذهبا، لأن المذهب يقتضي مبادئ وقواعد، أما هم فقاعد م القوة، وما يعتمد على القوة لا يصح أن يسمى مذهبا.

ومن كلماته المأثورة في الحرية وحدودها:

1- كل أمر يقف في طريق حريتنا لا يصح أن نقبله مطلقًا، مهما كان مصدره عاليا، ومهما كان الآمر به.

2- كل تقييد للحرية لا بد أن يكون لـه مبرر من قواعد الحرية نفسها وإلا كان ظلما.

3- الصحافة حرة، تقول في حدود القانون ما تشاء، وتنتقد من تريد، فليس من الرأي أن نسألها لم تنتقدنا، بل الواجب أن نسأل أنفسنا لم نفعل ما تنتقدنا عليه.

4- نحن نحب الحرية، ولكننا نحب أكثر منها أن تستعمل في موضعها.

5- جميل جدا أن يقال: لا تحجروا على الناس، ولا تقيدوا حريتهم، وإ ا لنغمة لذيذة

يحسن وقعها في الأسماع والقلوب، ولكنا لا نريد الحجر على الناس ولا تقييد حريتهم، نريد حماية الحق وصيانته من أن يتمتع به غير صاحبه من حيث يحرم منه صاحبه.

ومن آرائه في التشريع

1- كل شريعة تؤسس على فساد الأخلاق فهي شريعة باطلة.

2- لا تصدقوا أن هناك قاعدة يرجع إليها القاضي في تقدير العقوبة، أو أن هناك ميزانا توزن به الجزاءات، وإنما هي أمور اجتهادية يلهم ا القاضي إلهاما.

3- الحق فوق القوة، والأمة فوق الحكومة.

4- إننا إذا احترمنا أمرا للحكومة، نحترمه لأنه نافع للأمة، لا لأنه صادر من تلك القوة المسيطرة.

5- يجب أن ننقاد للقانون، وألا نعتبر الانقياد إليه مهانة ومذلة، بل عزا وشرفًا.

6- إن كانت الحكومة تريد أن نكون في صفها، مدافعين عنها فما عليها إلا أن تتبع الحق والعدل، وتحترم القانون.

7- يعجبني الصدق في القول والإخلاص في العمل، وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون.

8- الذي يلزمنا أن تفاخر به هو أعمالنا في الحياة، لا الشهادة التي في أيدينا.

9- أعاهدكم عهدا لا أحيد عنه على أن أموت في السعي إلى استقلالكم فإن فزت فذاك، وإلا تركت لكم تتميم ما بدأت به.

هذا قليل من كثير لا نحيط به جمعا، خصوصا خطبه المطولة الممتعة التي تكاد أن تكون في درجة الإعجاز، ولا غرابة في ذلك فقد كان معروفًا بالشجاعة والصراحة يمتلك في يده أعنة الألفاظ ويتصرف فيها كيف يشاء حتى إنه ليعبر عن أقسى المعاني وأخشنها بأرق الألفاظ وأعذ ا وأخفها وقعا على النفوس والأسماع خصوصا وأنه قدير على التأثير على نفس السامع، وامتلاكه أزمة الأهواء وتلاعبه بالعواطف والقلوب، واقتداره على إسناد كل جزئية من جزئيات المسائل الاجتماعية أو القانونية أو الأخلاقية أو السياسية إلى قاعد ا العامة التي توضح طريقها وتكشف الغامض منها.

ولقد كان متشرعا يبحث النظامات ويدققها، وسياسيا يبارز خصمه مبارزة الرجل الذي يحسن تقليب الحسام بين يديه، فلا كلماته تخرق حجب الآداب، ولا تتجاوز حد

اللياقة، لقد كان كلامه ينـزل على السامعين نزول الندى على آكام الزهر فلا يرتفع صوت، ولا تبدو حركة مع طول خطابته نحو ساعتين وأكثر، حتى وافاه القدر المحتوم في أواخر أغسطس سنة 1927م، وعمره نحو 67 سنة وقد خلفه في زعامة "الوفد المصري" حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا.

(8) مصطفى النحاس

هو "مصطفى" ابن الشيخ محمد النحاس من أعيان بندر سمنود.

ولد "مصطفى النحاس" من أبوين كريمين عريقين في الحسب والنسب، في يونيه سنة 1879م.

وتربى تربية منـزلية قويمة طبعته على الأمانة والاستقامة والنـزاهة وأنشأته على الخير والعدل والصلاح والتقوى، فشب على مكارم الأخلاق من الصغر:

إنّ للأخـلاق وقعـًا في الصـغر رضـع الأخـلاق مـن ألبانهـا

وما بلغ السادسة من عمره إلا وهو يزاول مبادئ التعليم في أحد مكاتب البلدة وما تجاوز العاشرة من عمره إلا وكان حافظًا لجميع القرآن الكريم حفظًا جيدا، ثم ارتحل به والده إلى القاهرة وأدخله مدرسة الناصرية الابتدائية بنظارة أمين سامي في ذاك الوقت، فأمر بامتحانه للقبول فاجتازه بتفوق باهر وعكف على دروسه حتى كان في كل امتحاناته أول فرقته، وبعد إتمام الدراسة الابتدائية التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية بالقسم الداخلي، وأظهر جدا واجتهادا وتفوقًا ونبوغا منقطع النظير، حتى المرحلة الأخيرة التي كللت بنجاح عظيم، لفت نظر رؤسائه إليه حتى وصل خبره إلى اللورد "كتشنر" الذي رغب في رؤيته، ثم التحق بمدرسة الحقوق وتخرج منها في يونيه سنة 1900م، واشتغل بالمحاماة إلى أوائل سنة 1904م ثم عين قاضيا بالمحاكم الأهلية وظل يخدم العدالة نيفًا وخمسة عشر عاما، حتى نادى المغفور لـه "سعد زغلول" بوجوب المطالبة بحق مصر في الاستقلال فانضم إليه، وانضوى تحت لوائه، وأخذ يسعى في تحرير وطنه بكل إخلاص وتضحية عظيمة.

وقد تقلد رياسة الحكومة المصرية ست مرات:

الأولى سنة 1928، والثانية سنة 1930، والثالثة سنة 1936، والرابعة سنة 1937 بعد جهاده الذي نالت فيه مصر استقلالها التام، وإلغاء الامتيازات الأجنبية.

هذه لمحة وجيزة من تاريخ حياة مصطفى النحاس (محاميا، وقاضيا، وخطيبا، وخصما

سياسيا، ووزيرا، ورئيس للوزارة)

ومن خطبه:

"لا شك أن من يتولى الدفاع عن حقوق الأفراد وحريتهم مدفوعا بواجب مهنته وشعور التقديس لطائفته إنما هو مسوق حتما للاشتراك في الدفاع عن حقوق ا موع وحريات ا موع، لأن حقوق ا موع وحريات ا موع إنما هي مجموع حريات الأفراد وحقوق الأفراد".

ومن قوله:

(1) ليس مثل الصراحة سياسةً ناجعةً في وقت الخطر.

(2) إن القلوب إذا اتصلت لا تقوى على فصلها قوة مهما فتكت أو بطشت.

(3) ما كان لقوة في الوجود أن تمحق آمال شعب، ولا أن تبدد وحدة أمه

(4) إنما الموت في سبيل الأوطان حياة.

(5) ليس مصير الأمم لعبة في أيدي اللاعبين ولا هو تجربة في أيدي ا ربين.

(6) إن للحق قوةً معنويةً هي من روح الله يقذفها على الباطل فتدمغه فإذا هو زاهق.

(7) مصر أمة جديرة حقا بأن تكون مصدر السلطات.

(8) إن الأمر في قضية الأمة أمر الأمة وحدها لا كلمة لسواها ولا معول على غير رضاها.

(9) الأمم الحية لا تغلب وقد تعودت مصر أن تقهر قاهريها، والدهر قلب إن صفا اليوم لشخص ففي غدٍ يتقلب.

(10) اضطهاد الأحرار يزيدهم تمسكا بالحرية أضعافًا مضاعفة.

(11) إذا كان اعتناق المبدأ القويم فضيلة فإن الثبات على هذا المبدأ هو فضيلة الفضائل.

(12) إن الأمة هي الأول والآخر، وهي الأصل الذي يجب أن ترجع إليه كل الأمور.

(9) الغازي مصطفى كمال

أشهر حماة الشرق، وداهية أقطاب السياسة الغازي "مصطفى كمال" المولود في سلانيك سنة 1298هـ - 1880م، ولما بلغ السنة السادسة من عمره أدخله والده مدرسة ابتدائية، وما لبث أن تركها على أثر وفاة والده، ثم انتقل إلى قرية أخرى مع والدته ا خاله الذي كفله، وعهد إليه القيام بحراسة الحقول والاشتغال بالزراعة مدة فأوجست والدته خيفة من ضياع إبان شبابه بدون جدوى، وصحت عزيمتها على إرساله إلى دار

جدته في (سلانيك) ودخل في (المدرسة الملكية الإعدادية) غير أنه لم يوفق للتعلم ا - وذلك لشغفه بحب (المدرسة الرشدية العسكرية) الابتدائية، فدخلها وأخذ يتجر في الرياضيات ويناقش أستاذه المدعو مصطفى بك القائل لـه: إن بين اسمي واسمك اشتباها، فيجدر أن أضيف إلى اسمك لفظة "كمال" للتمييز بيننا، وقد أتم الدراسة في هذه المدرسة العسكرية الابتدائية، وفاق زملاءه في العلوم الرياضية بحيث لم يصادف أية صعوبة في امتحان المدرسة الإعدادية العسكرية الثانوية في (مناستر) وترود بقسط وافر في اللغة الفرنساوية - وفي خلال ذلك كان يجتمع بالمرحوم الشاعر التركي المشهور (عمر ناجي بك) فارتشف من منهله العذب، وتأدب بأدبه ودرس عليه آداب اللغة التركية، وضرب بسهم فيها حتى صار الشعر هو المادة التي تنجذب نفسه إليها وترتاح ا، رغم النصائح التي كان يلقيها عليه بعض معلميه العسكريين بقولهم: "إذا أردت أن تكون جنديا حقيقيا فاترك الأدب وخيال الشعراء"، وبعد إتمامه الدراسة في تلك المدرسة سافر إلى الآستانة سنة 1313هـ، والتحق بالمدرسة الحربية، وكان شغفه عظيما بالعلوم والأدب، ومزاولة الخطابة وأساليبها فتولد من ذلك توقه إلى حب الاشتغال بالسياسة، خصوصا وقد وقعت في يده مراميها فرسخت في عقيدته "الوطنية" وكان ذلك في عهد المرحوم "السلطان عبد الحميد" الداهية العظيم، ومع ذلك تخرج من هذه المدرسة برتبة "ملازم ثان"، ولما انتقل إلى مدرسة أركان حرب بدأ يتعرف مع بعض إخوانه من الطلبة ما يكتنف إدارة البلاد وسياستها من السوء والفساد، فكان أول ما فكر فيه أن يفهم زملاءه البالغ عددهم 5000 طالب، موقف البلاد الإداري والسياسي.

وقد فكروا جميعا في تأسيس جريدة تكون لسان حالهم، وقد أخذ على عاتقه تحرير الكثير من مقالا ٍا وأبحاثها. غير أن "إسماعيل" مفتش المدارس وقف على حركتها ثم وشى م إلى السلطان، وقال لـه: إن ناظر المدرسة "رضا" هو المسئول عن حركة الطلبة فاستدعاه السلطان فأقنعه بعدم وجود حركة سياسية. واستمر مع رفاقه على إصدار جريد م حتى آخر سني مدرسة أركان حرب.

وبعد أن خرج من المدرسة برتبة "يوزباشي" في أركان الحرب العامة واستأجر لنفسه مكانا خاصا في "بك أوغلي" رغبة في استئناف العمل وعقد الاجتماعات، وأصدر القرارات لصالح الوطن، ولكن لم تمض مدة وجيزة حتى اعتقل بضعة أشهر، ثم أطلق سراحه وأصر على اشتغاله بالسياسة حتى نفته الحكومة إلى ولاية الشام للخدمة في الجيش - وقد أسس

هناك "جمعية الحرية" وأسس لها فروعا في بيروت ويافا والقدس، وفي كل مدينة حل فيها ونزل ا، ولما كان انتشار مبادئ الجمعية غير ممكن في تلك المدن عزم على السفر إلى "مقدونيا" حيث هناك الأرض صالحة لبذر تلك المبادئ، والعمل على إنمائها وإنبا ا نباتا حسنا، وأطلع جمعيته على رأيه، وعلى ذلك سعى أفرادها وتمكن من إصدار إذن يستطيع به السفر في بادئ الأمر إلى "أزمير" وعلى إثر ذلك أرسل رسالة خاصة إلى (شكري باشا) المعروف بوطنيته الحارة، وطلب منه مساعدته، ولما شد الرحال إلى مقدونيا، وركب البحر غير وجهته إلى مصر، ومنها إلى بلاد اليونان، ثم إلى سلانيك رغبة في إخفاء أغراضه عن أعين الجواسيس وقد أسس في مدينة سلانيك فرعا عاما للجمعية، وما كادت حكومة الآستانة تتلقى تقرير الجواسيس عن أعماله حتى سافر إلى (يافا) وعلى أثر ذلك ظهرت مسألة العقبة، فاستصدرت جمعية الحرية أمرا بتعيينه على الحدود المصرية.

وقد مكث في سوريا ثلاثة أعوام، طلب من الحكومة نقله إلى مقدونيا، فقوبل طلبه بالقبول، وعلم بعد وصوله إلى سلانيك أن جمعية الحرية غيرت اسمها باسم جمعية "الاتحاد والترقي" وما وافى إعلان الدستور حتى برز إلى ميادين السياسة بفضل إعلانه جميع الأسرار.

ولما نشبت الثورة الرجعية في الآستانة سنة 1909م أخمدها واستتب الأمن، ثم تعين بمهمة الإصلاح على ولاية طرابلس.

وكان كثيرا ما يكتب لإصلاح شأن الجيش، فكان ذلك من الأسباب الجوهرية التي بعثت بعض القواد القدماء على حقدهم عليه، وكان جزاؤه تعيينه قائدا للآلاي الثلاثين فجاء هذا التعيين على عكس غرضهم الأساسي؛ إذ أفسح لــه مجالا واسعا لإلقاء بعض المحاضرات الفنية وشرح أساليب الخطط الحربية للضباط والقواد. ثم بعد ذلك دعته حكومة الآستانة، ضمن أركان الحرب العامة فيها، وقام بصحبة المرحوم (شوكت باشا) بالحركات الحربية لإخماد الثورة في بلاد ألبانيا.

وقد ذهبت متنكرا إلى مصر على أثر إعلان الحرب الإيطالية سنة 1911م، وسافر منها إلى بنغازي، ثم عاد إلى الآستانة بعد نشوب الحرب بين الترك والبلغار، وتعين رئيسا لأركان الحرب، بعدها عاد إلى الآستانة، وتعين ملحقًا عسكريا في سفارة "صوفيا" عاصمة بلغاريا، ومكث هناك مدة سنة كاملة.

ولما نشبت الحرب العامة سنة 1914م تعين قائدا الفرقة السادسة عشرة في (تكفور طاغ) ثم تعين قائدا لفيلق ديار بكر، وبعدهما تولى قيادة الجيوش، وعين بعد ذلك قائدا

للقوات الحجارية، ثم عاد إلى ديار بكر، ومنها عاد إلى الآستانة وأخذ القيادة على عاتقه، وحصل بينه وبين كبار القواد الألمانيين مناقشات أدت إلى استقالته، وسافر من الآستانة مع "ولي العهد" إلى ألمانيا، وفيها تقابل مع القائدين (هندنبورج، ولوندرف).

وقد صحت عزيمته على ترك الآستانة والتوغل في داخلية البلاد، وقد بذل جهده في العمل على إنقاذ الوطن خاصة والشرق عامة، وبينما كان مشتغلا بتهيئة الأسباب لذلك، إذ تلقى أمرا بتعيينه قائدا ومفتشا لجيش (الصاعقة) مع ضرورة ذهابه إلى الأناضول، فتقبل ذلك بالسرور العظيم، وقام إلى الأناضول، وهو حاصل على رتبة القائد والمفتش معا لذلك الجيش، وكان ذلك من أهم العوامل الفعالة للوصول إلى تحقيق إنقاذ الوطن، ولما شعرت الحكومة بخطئها استدعته في الحال إلى الآستانة، فرفض واستقال، وسعى في جمع نواب الأمة في الأناضول وقد افتتح المجلس الوطني الكبير يوم 13 فبراير سنة 1920م، وأخذ في مباشرة الأعمال والقيام بواجب البلاد، وكان شغله الشاغل كيف تمثل إرادة الأمة أحسن تمثل.

وقد تم لـه ما أراد، ففاز بالنصر والسداد، وفق الله أمثاله إلى ما فيه صلاح العباد، وقد اجتمع بين يديه إمارة السيف والقلم، وخطبه أشهر من أن تذكر.

ومن أقواله في حب الوطن العزيز: إن وطننا العزيز لا يموت ولن يموت، وإذا فرضنا المحال وسلمنا بموته (لا قدر الله) فكاهل الكرة الأرضية لن يستطيع حمل تابوته الجسيم. نعم لا يسقط مهشما، مقطع الأوصال، ما دام فرد منا يتنسم نسيم الحياة.

ومن آرائه في تعليم المرأة: تعليم المرأة (أم الوطن) وتثقيف عقلها بالعلوم الدينية والمعارف الأهلية من أهم ما ترمي إليه نهضتنا العلمية الوطنية.

ومن وصفه للفلاح: سيد تركيا، بل سيد العالم الحقيقي (الفلاح) لأنه هو العنصر الأول في تكوين عناصر الأمة وكيانها، والوطن بدونه لا شيء، بل الوطن هو، فيتعين أن نعتني به عناية خاصة، وإن نضع قبل كل شيء سعادته نصب أعيننا.

شعراء العصر الحاضر

(1) محمود سامي باشا البارودي

هو رب السيف والقلم، أمير الشعراء، وشاعر الأمراء (محمود سامي باشا ابن حسن حسني بك البارودي) أحد زعماء الثورة العربية، وأشعر الشعراء المتأخرين بالديار المصرية - ولد سنة 1255هـ، وتأدب وأدخل المدرسة الحربية وما زال يترقى حتى ولاه المرحوم

الخديوي توفيق باشا نظارتي الحربية، والأوقاف، ثم ولي رياسة مجلس النظار قبيل الثورة العرابية، فلما اضطرمت نيران الثورة أرغمه زعماؤها على اصطلاء نارها فخب فيها ووضع، وحكم عليه بعد انقضائها بالنفي إلى جزيرة (سيلان) حتى عمي، وشفع فيه فأذن لـه بالقدوم إلى مصر بعد مضي 17 سنة من منفاه، وبقي في منـزله يشتغل بالأدب إلى أن مات سنة 1323هـ/1904م ومن قوله:

والدهر كـالبحر لا ينفـك ذا كـدر   وإنما صفوه بـين الـورى لُمـع
لو كـان للمـرء فكـر في عواقبـه   ما شان أخلاقه حِـرص ولا طمـع
وكيف يدرك ما في الغيب من حـدث   من لم يزل بغرور العـيش ينخـدع
دهـر يغـر وآمـالٌ تسـر وأعـ   ـمار تمـر وأيـام لهـا خِـدع
يسعى الفتى لأمور قـد تضـر بـه   وليس يعـلم ما وما يـأتي يـدع
يا أيها السادر المـزور مـن صـلفٍ   مهلاً فإنـك بالأيـام منخـدع
دع ما يريب وخذْ فيما خلقت لـه   لعـل قلبـك بالإيمـان ينتفـع
إنّ الحَيـاة لثَـوب سـوف تخْلعـه   وكلّ ثوبٍ إذا مـا رثّ ينخلِـع

ومن قوله في الحماسة والفخر (وهو آخر ما قاله):

أنا مصدر الكلِـم البـوادي   بـين المحاضـر والنـوادي
أنا فـارس أنـا شاعـر   في كـلّ ملْحمـة ونـادي
فـإذا ركبـت فإنـني   زيد الفَـوارس في الجـلاد
وإذا نطقْـت فإنـني   قس بن ساعِـدة الإيـادي

وقال يصف هرمي الجيزة وأبا الهول:

سل الجيزةَ الفيحاءَ عن هرمـي مِصـر   لعلك تدري غيب ما لم تكن تدري
بنـاءان ردا صـولةَ الـدهر عنـهما   ومن عجبٍ أن يغلِبا صولةَ الـدهر
أقاما على رغـم الخطـوبِ ليشـهدا   لبانيهما بين البـرية بالفَخـر

فكم أمم في الدهر بادت وأعصر خلت وهما أعجوبةُ العين والفكر
تلوح لآثار العقول عليهما أساطير لا تنفك تتلى إلى الحَشر
رموز لو استطلعت مكنونَ سرها لأبصرت مجموع الخلائق في سطر
فما مِن بناءٍ كان أو هو كائن يدانيهما عِند التأمل والخُسر
يقصر حسنا عنهما صرح بابل ويعترف الإيوانُ[1] بالعجز والبهر
كأنهما ثديان فاضا بدرةٍ من النيل تروي غلة الأرض إذ تجري
وبينهما بالهيب[2] في زي رابض أكب على الكفّين منه إلى الصدر
يقلب نحو الشرق نظرةَ وامق كأنّ له شوقًا إلى مطلع الفَجر
مصانع فيها للعلوم غوامض تدل على أنّ ابن آدم ذو قَدر
رسا أصلُها، وامتد في الجو فَرعها فأصبح وكرا للسماكين[3] النسر[4]

(2) أحمد شوقي بك المتوفى سنة 1351 - 1932م

أشهر شعراء العربية في العصر الحاضر، وأقدرهم على التصورات البديعية شاعر النيل المرحوم أحمد شوقي بك ابن أحمد شوقي بك، المولود بمصر سنة 1285هـ - 1868م.

شعره: ينظم بين أصحابه، فيكون معهم وليس معهم، وينظم حين يشاء، وحيث يشاء، لا يجهد فكره، ولا يكده في معنى أو في مبنى, فأما المعنى فيجيئه على مرامه أو على أبعد من مرامه، ولا ينصب عنده، لأنه يستخلصه من عقلٍ فوار الذكاء ومعارف جامعة إلى أفانين الآداب، في لغات الإفرنج والأعراب، فلسفة الحقوق وحقائق التاريخ، وغرائب السير التي يحفظ منها غير يسير، إلى مشاركات علمية وتنبيهات فنية، استفادها من مطالعته في صنوف الكتب واتخذها عن ملاحظاته ومسموعاته في جولاته بين بلاد الشرق والغرب. وأما المبنى

(1) هو إيوان كسرى، كان بناءً عظيما في قصره بالمدائن وسقفه أزج معقود وبه سمي قصره الأبيض.
(2) اسم لأبي الهول عرف به صدر الإسلام. ولعل أبا الهول محرف عنه.
(3) السما كان نجمان نيران في السماء أحدهما السماك الرامح والثاني السماك الاعزل.
(4) النسر كوكبان: الواقع والطائر. وفي النسر تورية.

فله فيه أذواق متعددة بتعدد مقمامات القول، ترى فيه من نسخ (البحتري) ومن صياغة (أبي تمام) ومن وثبات المتنبي ومن مفاجآت (الشريف) ومن مسلسلات (مهيار). ومن قوله (يصف هيكل أنس الوجود):

أيـــها المُتنحـــي (بأســـوانَ) دارا   كالثـــريا تريـــد أنْ تنقَضـــا

إخلع النعلَ واخفِض الرف واخشـع   لا تحاولْ من آيـةِ الـدهر غَمضـا

قف بتلك (القصر) في الـيم غَرقَـى   ممسِكًا بعضها من الدهـــر بعضـا

كعذارى أخفِـين في المـاءِ بضـاً[1]   سـابحاتٍ بـــه وأبديـــن بعضـا

مشرفـاتٍ على الـزوال وكانـت   مشرقاتٍ علـى الكواكب ْضـــا

شاب من حولهـا الزمـان وشـابت   وشباب الفنون مـــا زال غَضـــا

رب (نقْشٍ) كأنمـا نقَـض الصـــا   نع منـه اليدين بالأســس نقْضـــا

و (دهان) كلامعِ الزيـتِ مـــرت   أعصر بالسراج والزيت وضـــا[2]

و (خطـوطٍ) كأ ـــا هـدب ريمٍ[3]   حسنت صنعة وطـــولاً وعرضـا

و (ضحايا) تكـاد تمشـي وترعـى   لو أصابت من قـدرةِ الله نبضـــا

و(محاريب) كالبـــروج بنتهـــا   عزمات من عزمةِ الجـن أمضـى[4]

شيدت بعضهـا الفراغين زلْفـى[5]   وبنـى البعض أجنـب يترضـى[6]

و(مقاصير) أبدِلَـت بفُتـات المـــ   ـسك تربـا وباليواقيـت قضـا[7]

حظّهـــا اليـــوم هـــده وقديمـــًا   صرفَت في الحظوظِ رفعـا وخفْضـا

---

(1) بضا: البض، الرخص الجسد.

(2) وضا: وضاء.

(3) ريم: غزال.

(4) أمضى: أحد.

(5) يترضى: يطلب الرضا.

(6) زلفى: تقربا.

(7) قضا: حصا.

سمّت العالمين بالسعـــد والـنحس | إلى أن تعاطت الـنحس محضـــا[1]
صـنعةٌ تـدهش العقـــولَ وفـن | كان إتقانه على القـــوم فرضـــا
قصورا نظرتهـا وهـي تقضـي[2] | فسكبت الدموع والحـــق يقضـى
أنت سطر ومجـد مصــر كتـاب | كيف سام البلى كتابـك فضـا
وأن المحتفـي بتاريـــخ مصــــر | من يصن مجد قومـه صـانَ عِرضـا
رب سـرٍّ بجانبيـــك مـــزالٍ | كان حتى على (الفـراعين) غمضـا
قلْ لها في الدعاء لـو كـان يجـدي | يا سماء الجـلال لا صـرتِ أرضـا
حـار (فيك) المهندسـون عقـولاً | وتولت عـزائم العلـم مرضـى
أيـن ملـك حيالهـا وفريـــد | من نظام النعيم أصبـح فضـا[3]
أين (فرعـون) في المواكـب تتـرى | يركض المـالكين كالخيـل ركضـا
ساق للفـتح في الممالـك عرضـا | وجلا للفخـار في السـلم عرضـا
أين (إيزيس) تحتـها النيـل يجـري | حكمـت فيـه شـاطئين وعرضـا
أسـدل الطـرف كـاهن ومليـك | في ثراها وأرسـل الـرأس خفضـا
يعـرض المـلكون أسـرى عليهـا | في قيود الهـوان عـانين جرضـى[4]
ما لهـا أصـبحت بغـير مجـير | تشتكي من نوائـب الـدهر عضـا
هي من الأسر بين صخر وبحـر | ملكة في السجون فوق حضوضـى[5]
أين (هوروس) بـين سـيف ونطـع | أ ذا في شـرعهم كـان يقضـى؟
ليت شعري قضـى شـهيد غـرام | أم رمـاه الوشـاة حقـدا وبغضـا

(1) محضا: خالصا.

(2) تقضي: تفنى.

(3) فضا: مفضوض.

(4)جلاضى: مغمومين.

(5) حضوضى: جبل في البحر.

رب ضرب من سوط فرعونَ مضّ[1] دون فعل الفـراق بـالنفس مضـا
وهـلاك بسـيفه وهــو فـــان دون سيف من اللواحـظ ينضـى[2]
قتلـوه فهــل لـذاك حــديث أين راوي الحديث نثـرا وقرضـا؟
يا إمام الشعوب بـالأمس واليــو م ستعطى مـن الثنــاء فترضـى
مصر بالنازلين مـن سـاح معـن[3] وحِمى الجود حاتم الجــود أفضـى
كن ظهـيرا[4] لأهلهــا ونصـيرا وابذل النصح بعـد ذاـك محضـا
قل لقوم على (الولايـات) أيقــا ظ إذا ذاقــت البريــة غمضــا
شيعة النيـل أن يفــي وعجيـب أخرجوه فضيـع العهــد نقضـا
حاشه[5] المـاء فهـو صيـد كريم ليت بالنيل يـوم يسقـط غَيضـا[6]
شـيدوا المــال، والعلـوم قليـلٌ أنقذوه بالمـال والعلـم نقضــا[7]

وقال أيضاً في استنهاض همم العمال من قصيدة:

أيها العمالُ أفنـوا العمــر كــــدا واكتسـابا
واعمـــروا الأرض فلــولا سعيكم أمسـت يبابـا[8]
أتقنـوا الصــنعة حتــى تأخذوا الخـلد اعتصـابا
إنْ للمتقـنين عنـــد اللـــــه والنـاس ثوابــا
أتقنــوا يحبــبكم اللــــه ويـرفعكم جنابــا

---

(1) مض: مرجع.
(2) ينضى: يسل.
(3) معن: هو معن بن زائدة أحد كرماء العرب.
(4) ظهيرا: نصيرا.
(5) غبضا: من غاض الماء غيضا، نقض أو غار فذهب في الأرض.
(6) حاشه: من حاش الصيد، أخرجه في كل مكان.
(7) نقضا: النقض ما انتقض من البناء، أي انتكث.
(8) الأرض واليباب الخراب.

أرضيتم أن تــرى مصــ	ــر من الفــن خرابــا
بعــد مــا كانــت سمــاءً	للصناعــات وغابــا
أيهــا الغــادون كنــ	ــحل ارتيــادا وطِلابــا
في بكــور الطــير للــرز	ق مجيــأ وذهابــا
اطلبــوا الحــق برفــق	واجعلوا الواجب دابــا
واستقيموا يفــتح اللــ	ــه لكم بابــًا فبابــا
اهجروا الخمر تطيعوا اللــ	ــه أو ترضوا الكتابــا
إنهــا رجــس فطــوبــى	لامــرئٍ كف وتــابــا
ترعش الأيــدي ومن يــر	عش من الصــناع خابــا
إنمــا العاقــلُ مــن	يجعلُ للدهــر حســابا

وقال أيضا في وصف الصحافة من قصيدة:

لكــل زمــان مضــى آيــةٌ	وآيــة هــذا الزمــان الصــحف
لسانُ البــلاد ونــبض العبــاد	وكهف الحقوق وحرب الجَنــف[1]
تسير مسير الضــحى في البــلا	د، إذا العِلم مزق فيها السدف[2]
وتمشــي تعــلم فــي أمــة	كــثير ــا لا يخــط الألــف!
فيا فِتيــة الصــحف صــبرا إذا	نبــا الرزق فيهــا بكم واختلــف
فإن الســعادة غــير الظهــو	ر، وغير الثــراء، وغــير التــرف
ولكنهــا في نواحــي الضمــ	ــير إذا هو باللؤم لــم يكتنــف
خذوا القصــد واقتنعــوا بالكفــا	ف وخلوا الفضولَ يغلها السرف[3]

(1) الجنف: الحيف.

(2) السدف: الظلام.

(3) الفصول: فضلات المال الزائدة عن الحاجة. وغالها السرف يغولها أتى عليها.

وروموا النبــوغَ فمـــن نالـــه تلقَّى من الحــظ أسنــى التحــف
ومــا الــرزق مجتنــب حرفــة إذا الحــظ لم يهجـــر المحتــرف
إذا آخــت الجوهـــري الحظــو ظُ كفلن اليتيم لــه في الصدفِ[1]
وإن أعرضــت عنــه لم يحـــلُ في عيون الخرائد[2] غـــير الخــزف

(3) المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم المتوفى سن 1351هـ - 1932م

هو الشاعر الكبير المرحوم محمد حافظ بن إبراهيم أفندي فهمي المولود سنة 1288هـ يقول الشعر في كل مكان يتفق لــه فيه أن يخلو بنفسه، ويتعب في قرض قريضة تعب النحات الماهر في استخراج تمثال جميل من حجره.

يؤثر الجزالة على الرقة، ولــه فيها آيات، يطرق الموضوع في الغالب من جوهره وربما نظم أكثر الأبيات قبل المطلع، شأن الصانع القدير الذي يبدأ بأصعب ما بين يديه، آمنا أن ن عزيمته دون الإجادة بعد، عالمًا أن الكلام لا بد أن يأتيه في أي مقام طبعا ولو بعد حين.

حاضر المحفوظ من أفصح أساليب العرب، ينسج على منوالها، ويتخير نفائس مفردا ا، وأعلاق حلاها. لــه غرام باللفظ لا يقل عن الغرام بالمعنى، وفي أقصى ضميره يؤثر البيت ا اد لفظًا على ا اد معنى. فإذا فاته الابتكار حينا في التصور لم يفته الابتكار حينا في التصوير، أولع بالاجتماعات فقال فيها وأجاد ما شاء.

فهو على الجملة أحد الثلاثة الذين هم نجوم الأدب العربي في مصر لهذا العصر ولكل من تلك النجوم منــزلته، وإضاءته وأثره الخالد.

أما شعره فشعر البيان، وإن من البيان لسحرا - ومن شعره الاجتماعي قوله:

كم ذا يكابــد عاشــق ويلاقــي في حب مصــر كــثيرة العشــاق
إني لأحملُ في هـــواكِ صبـــابة يا مصر، قد خرجت عن الأطــواق
لهفي عليــكِ، مــتى أراكِ طليقــة يحمي كــريم حمــاكِ شــعب راق
كِلف بمحمــود الخِــلال متيـــم بالبذل بين يديـــكِ والإنفـــاق

(1) اليتيم: اللؤلؤ المنقطع النظير.
(2) الخرائد: العذارى.

إني لتطـربني الخـلالُ كريمـةً ... طرب الغريب بأوبـةٍ وتـلاق
ويهزني ذكر المـروءة والنـدى ... بين الشـمائل هـزةَ المشـتاق
مـا البابليـة في صـفاءِ مزاجهـا ... والشرب بين تنـافس وسبـاق
والشمس تبدو في الكئوس وتختفـي ... والبدر يشرق من جـبين السـاقي
بألذ من خلق كريـم طـاهر ... قد مازجتـه سلامـة الأذواق
فـإذا رزقـت خليقـة محمـودة ... فقـد اصـطفاك مقسـم الأرزاق
فالنـاس هـذا حظـه مـالٌ، وذا ... عـلم، وذاك مكارم الأخـلاق
والمـال إن لم تـدخِره محصنـا ... بالعلـم كان نهايـة الإمـلاق
والعلـم إن لم تكتنفـه شمائـلٌ ... تعليه كـان مطيـة الإخفـاق
لا تحسبن العلـم ينفـع وحـده ... مـا لم يتـوج ربـه بخـلاق
مـن لي بتربيـةِ النسـاء فإنـهـا ... في الشرق عِلّـةُ ذلـك الإخفـاق
الأم مدرسـة، إذ أعـددتها ... أعددت شـعبا طيـب الأعـراق
الأم أسـتاذ الأساتـذة الألى ... شغلت مآثرهم مـدى الآفـاق
أنا لا أقولُ: دعوا النساءَ سـوافرا ... بين الرجـال يجلْـن في الأسـواق
يدرجن حيث أردن، لا مـن وازع ... يحـذرن رقبتـه ولا مـن واق
يفعلن أفعـال الرجـال لواهيـًا ... عن واجبـات نواعس الأحـداق
في دورهـن شـؤون كثيـرة ... كشئون رب السـيفِ والمـزراق
كـلا، ولا أدعـوكُم أن تسـرفوا ... في الحَجبِ والتضـييق والإرهـاق
ليست نساؤكُم حلـى وجـواهرا ... خوف الضياع تصان في الأحقـاق
ليسـت نسـاؤكُم أثاثـًا يقتنـى ... في الدور بـين مخـادع وطبـاق
تتشـكل الأزمـانُ في أدوارهـا ... دولا، وهـن على الجمود بـواق
فتوسطوا في الحـالتين، وأنصِـفوا ... فالشـر في التقييـد والإطـلاق

ربوا البنات على الفضيلة، إ ـا ... في الموقفين لهن خير وثاق
وعليكم أن تستبين بناتكم ... نور الهدى، وعلى الحياء الباقي

(4) المرحوم إسماعيل باشا صبري المتوفى سنة 1923م

هو أحد شعراء الطبقة الأولى في هذا العصر، ويمتاز بجمال مقطعاته وعذوبة أسلوبه إلى ما لا يجاريه فيه مجار.

وأكثر ما ينظم فلخطرة تخطر على باله، من مثل حادثة يشهدها، أو خبر ذي بال يسمعه، أو كتاب يطالعه. ينظم المعنى الذي يعرض لـه في بيتين عادة إلى أربعة إلى ستة، وقلما يزيد على هذا القدر إلا حيث يقصد قصيدة.

وهو شديد النقد لشعره، كثير التبديل والتحويل فيه حتى إذا استقام على ما يريده ذوقه من رقة اللفظ، وفصاحة الأسلوب أهمله ثم نسيه؛ ولد بالقاهرة سنة 1854م، وتوفي سنة 1923م.

ومن قوله يصف الأهرام:

لا القوم قومي ولا الأعوانُ أعواني ... إذا ونى يوم تحصيل العلى وان
ولست إن لم تؤيدني فراعنةٌ ... منكم بفرعون عالي العرش والشان
ولست جبار ذا الوادي إذا سلمت ... جباله تلك من غاراتِ أعواني
لا تقْربوا النيل إن لم تعملوا عملاً ... فماؤه العذْب لم يخلَق لكسلان
ردوا ا ـرة كداً دونَ مورده ... أو فاطلبوا غيره رياً لظمآن
وابنوا كما بنتِ الأجيالُ قبلكم ... لا تتركوا بعدكم فخرا لإنسان
أمرتكم، فأطيعوا أمر ربكُم ... لا يثْنِ مستمعا عن طاعةٍ ثان
فالمُلك أمر وطاعات تسابقه ... جنبا إلى جنب إلى غايات إحسان
لا تتركوا مستحيلاً في استحالته ... حتى يميط لكم عن وجه إمكان
مقالة قد هوت عن عرش قائلها ... على مناكب أبطال وشجعان
مادت لها الأرض من ذُعر ودانَ لها ... ما في المقطم من صخر وصوان
لو غير فرعونَ إن ألقاها على ملإ ... في غير مصر لعدت حلم يقظان

لكن فرعونَ إن نـادى ـا جـبلاً   لبـت حجارتـه في قبضـة البـاني
وآزرتـه جمـاهير تسـيل ـ ـا   بطـاح وادٍ بماضـي العـزم مـلآن
يبنون ما تقف الأجيـال حـائرة   أمامـه بـين إعجـاب وإذعـان
من كل ما لم يلد فكـر ولا فتحـت   على نظـائره في الكـون عينـان
ويشـبهونَ إذا طـاروا إلى عمـلٍ   جنـا تطـير بـأمرٍ مـن سـليمان
برا بذي الأمر لا خوفًـا ولا طمعـا   لكنـهم خلقـوا طـلاّب إتقـان
أهرامهم تلك، حـي الفـن متخـذًا   من الصخور بروجا فـوق كيـوان
قد مر دهر عليهـا وهـي سـاخرة   بما يضعضع مـن صـرح وإيـوان
لم يأخذِ الليلُ منها والنـهار سـوى   ما يأخذُ النملُ من أركـان ثهـلان
كأ ـا والعـوادي في جوانبـ ـها   صـرعى بنـاءٌ شـياطين لشـيطان
جاءت إليها وفـود الأرض قاطبـة   تسعى اشتياقًا إلى مـا خلـد الفـاني
فصغرت كـل موجـود ضخامتها   وغَض بنيا ـا مـن كـل بنيـان
وعاد منكر فضـل القـوم معترفًـا   يثني على القـوم في سِـر وإعـلان
تلك الهياكلُ في الأمصـار شـاهدةٌ   بأ م أهـلُ سـبق، أهـلُ إمعـان
وأنّ فرعـونَ في حـولٍ ومقـدرةٍ   وقوم فرعـون في الإقـدام كفـآن
إذا أقـام علـيهم شـاهدا حجـر   في هيكلٍ قامت الأخرى ببرهـ ـان
كأنمـا هـي والأقـوام خاشـعةٌ   أمامهـا صـحف مـن عـالم ثـان
تسـتقبلُ العـين في أثنائهـا صـور   فصيحة الرمزدارت حـولَ جـدران
لو أ ا أعطيت صوتا لكـان لـه   صدى يروع صم الإنـس والجـان
أين الألى سجلوا في الصخر سـير م   وصغروا كل ذي ملـك وسـلطان
بادوا، وبادت علـى آثـارهم دولٌ   وأدرجـوا طـيء أخبـارٍ وأكفـان

(5) خليل بك مطران

هو شاعر الشعور والخيال، وشاعر بعلبك والأهرام، ولد عام 1871م ببعلبك وتعلم ا، ثم قدِم مصر عام 1893م، واشتغل بمكاتبة الصحف، وأنشأ باسمه، "ا لة المصرية" عام 1899م، وأنشأ أيضا (جريدة الجوائب المصرية)، وله ديوانه المسمى (ديوان الخليل).

شعره: مجمع الصور، وملعب الخيال، ونفسه كالصحيفة الحساسة، ينطبع عليها كل ما يمر ا. بل الغصن الرطب يميل به كل نسيم، بل وجه البحيرة الصافي يحركه كل ريح.

ومن قصيدته يصف ضرب الأسطول الإيطالي لسواحل الشام ويستنهض الهمم:

بلادي لا يزالُ هواك مني   كما كان الهوى قبلَ الفِطامِ
أقبلُ منك حيث رمى الأعادي   رغاما طاهرا دون الرغامِ
وأفدي كلّ جلمود فتيتٍ   وهى بقنابل القومِ اللئامِ
لحَى الله المطامع حيثُ حلّت   فتلك أشد آفاتِ السلامِ
تشوب الماء وهو أغَر صافٍ   وتمشي في المشارب بالسقامِ
أقول وقد أفاق الترف ذعرا   من الحال الشبيهة بالمنام
على صخبِ المدافع في حماةٍ   ورقص الموت بين طُلى وهامِ
أقول: بصوته لحماة دار   رماها من بناةِ الغرب رامِ
أباةَ الضيم من عرب وترك   نسور الشم آساد الموامي
قروم العصر فرسانا ورجلاً   نجوم الكر من خلف اللثامِ
بنا مرض النعِيمِ فَنسمونا   وغى يشفِي مِن الصفْو العقَامِ
بنا برد المكوثِ فأدفئونا   بحمى الوثْبِ حيث الخطب حامِ
بنا عطلُ السماع فشنفونا   بقعقعة الحديد لدى الصدامِ
على هذا الرجاءِ ونحن فيه   نسير موقفين إلى الأمامِ

وقال أيضا في "نابليون" وهو يرقب السماء في آخر أيامه:

قالوا لنابليون ذات عشية   إذ يرقب كان في السماء الأنجما
هل بعد فتح الأرض من أمنيةٍ   فأجاب أنظر كيف أفتتح السما!

أبواب الشعر العربي

الباب الأول: في المديح

قال أمية بن أبي الصلت المتوفى في أول ظهور الإسلام حامد شاكرا الإله:

لك الحمد والنعماء والملك ربنا … فلا شيء أعلى منك مجدا وأمجد

مليك على عرش السماءِ مهيمن … لعزتهِ تعنو الوجوه وتسجد

فسبحانَ من لا يعرف الخلق قدره … ومن هو فوق العرش فرد موحد

هو الله باري الخلق والخلق كلهم … إماء له طوعا جميعا وأعبد

مليك السماوات الشداد وأرضها … يدوم ويبقى، والخليقة تنفَد

وقال أيضا في الكونيات وذكر الفناء وما يلقاه الناس بعد ذلك:

إله العالمين وكل أرض … ورب الراسيات من الجبال

بناها وابتنى سبعا شدادا … بلا عمدٍ يرين، ولا رجال

وسواها وزينها بنور … من الشمس المضيئةِ والهلال

ومن شهب تلألأ في دجاها … مراميها أشد من النصال

وشق الأرض فانبجست عيونا … وأ ارا من العذْب الزلال

وبارك في نواحيها وزكّى … ا ما كان من حرث ومال

فكل معمرٍ لا بد يوما … وذي دنيا يصير إلى زوال

ويفنى بعد جِدتِهِ ويبلى … سوى الباقي المقدس ذي الجلال

وسيق ا رمونَ وهم عراة … إلى ذات المقامع والنكال

فَنادوا ويلنا ويلاً طويلاً … وعجوا في سلاسلها الطوال

فليسوا ميتين فيستريحوا … وكلهم بحر النار صالي

وحل المتقون بدار صِدق … وعيش ن اعمٍ تحت الظلال

لهم ما يشتهون وما تمنوا … من الأفراح فيها والكمال

وقال محمود سامي البارودي باشا مادحا سيد الأمة، من قصيدة كشف الغمة

"محمد" خاتمُ الرسل الذي خضعت ... لـه البريةُ من عرب ومن عجـــم

سمير وحي ومجنى حكمــة ونــدى ... سماحةٌ وقـرى عـافٍ وري ظـمِ

قد أبلغَ الوحي عنـه قبـل بعثتـه ... مسامع الرسل قولاً غـير منكـتم

فذاك دعـوةُ إبراهيم[1] خالقـه ... وسـر ما قاله عيسى[2] من القـدم

أكرم بـه، وبآبــاء محجــلةٍ ... جاءت به غرةً في الأعصر الـدهم

قد كان في ملكـوت الله مـدخرا ... لدعوة كان فيهـا صاحب العلـم

نور تنقـلَ في الأكـوان سـاطعه ... تنقّلَ البدر من صـلبٍ إلى رحـم

وقال شوقي مادحا أفضل الخلق على الإطلاق من قصيدة ج البردة:

"محمــد" صـفوةُ البـاري ورحمتـه ... وبغيةُ الله من خلـق ومـن نسـم

وصاحب الحوض يوم الرسل سـائلة: ... متى الورود؟ وجبريلُ الأمين ظمـي

سـناؤه وسـناء الشـمس طالعــةٌ ... فالجرم في فلكٍ والضـوء في علـم

قد أخطأ الـنجم مـا نالـت أبوتـه ... من سؤدد باذخ في مظهـرٍ سـنم

نموا إليه فـزادوا في الـورى شـرفًا ... ورب أصل لفرع في الفخـار نمـى

حواه في سـبحات الطهـر قبلـهم ... نوران قاما مقام الصلب والـرحم

لمــا رآه بحيــرا قــال نعرفـــه ... بمـا حفظنا من الأسمـاءِ والسـيم

وقال أبو تمام مادحا المعتضد بالله:

إلى قطبِ الدنيا الـذي لـو بفضـله ... مدحت بني الدنيا كفتهم فضـائله

من البأس والمعروف والجود والتقـى ... عيـالٌ عليـه رزقهـن شمائـــله

هو البحر مـن أي النـواحي أتيتـه ... فلجته المعروف والجـود سـاحله

---

(1) يشير إلى قوله جل ذكره: **ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** .

(2) يشير إلى قوله تعالى: **ربنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمةَ ويزكيهم** .

تعود بسط الكـف حـتى لـو أنـه ... ثناهـا لقـبض لم تطعـه أناملـه
ولو لم يكن في كفـه غـير روحـه ... لجـاد ـا فليتـق الله سائلـ ـه

وقال مادحا المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد من قصيدة:

السيف أصدق إنبـاءً مـن الكُتـب ... في حدهِ الحد بين الجـد واللعِـبِ
بيض الصفائح لاسود الصحائف في في ... متو ـن جـلاءُ الشـك والريـبِ
فتح تفـتح أبـواب السـماء لـ ـه ... وتبرز الأرض في أثوا ـا القُشـبِ
غادرت فيها يم الليل وهو ضـحى ... يقله وسطها صـبح مـن اللـهبِ
حتى كأنّ جلابيب الـدجى رغِبـت ... عن لونها أو كأنّ الشمس لم تغِـبِ
أجبتـه معلنـا بالسـيفِ منصـلتا ... ولو أجبت بغير السـيف لم تجِـبِ
خليفةَ الله جـازى الله سـعيك عـن ... جرثومة الدين والإسلام والحَسـب
إن كان بين صروف الدهر من رحـم ... موصولةٍ أو ذمامٍ غـير منقضـبِ
فبين أيامـك الـلاتي نصِـرت ـا ... وبين أيامِ بـدر أقـرب النسـب

وقال أبو العلاء المعري:

إليك تناهى كـل فخـرٍ وسـؤددٍ ... فأبـل الليـالي والأنـام وجـددِ
لجدك كـان ا ـد ثم حويتـه ... ولابنك يبنى منـه أشـرف مقعـدِ
ثلاثةُ أيـامٍ هـي الـدهر كـله ... وما هن غير الأمس واليوم والغـدِ
ما البـدر إلى واحـد غـير أنـه ... يغيـب ويـأتي بالضـياءِ المُجـددِ
فلا تحسبِ الأقمار خلقـًا كـثيرة ... فجملتـها مـن نـيرٍ متـرددِ
وللحسن الحُسنى وإن جاد غَيـره ... فذلك جـود لـيس بالمتعمـدِ

وقال أبو الطيب المتنبي مادحا سيف الدولة:

ضاق الزمانُ ووجه الأرض عن ملك ... مِلْءِ الزمان ومِلْءِ السهل والجبـل
فنحن في جـذَل والـروم في وجـلٍ ... والبر في شغل والبحـر في خجـل

ليت المدائح تستوفي مناقبه	فما كليب وأهلُ الأعصر الأول
خذْ ما تراه ودع شيئًا سمعت به	في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل
وقد وجدت مكان القول ذا سعةٍ	فإن وجدت لسانا قائلاً فَقُل
إنّ الإمام الذي فَخر الأنام به	خير السيوف بكفي خيرةِ الدول
تمسي الأماني صرعى دون مبلغه	فما يقولُ لشيءٍ ليت ذلك لي

وقال أيضا يمدح أبا شجاع:

لا خيلَ عندك تهديها ولا مالُ	فليسعدِ النطق إن لم تسعِد الحالُ
واجز الأمير الذي نعماه فاجئةٌ	بغير قولٍ ونعمى الناس أقوالُ
فربما جزت الإحسانَ موليه	خريدةٌ من عذاري الحي مكسال
وإن تكن محكمات الشكل تمنعني	ظهور جري فلي فيهن تصهال
وما شكرت لأن المال فرحتي	سيان عندي إكثار وإقلالُ
لكن رأيت قبيحا أن يجادلنا	وإننا بقضاء الحق بخال
فكنت منبت روض الحزن باكره	غيث بغير سباخ الأرض هطال
غيثٌ يبين للنظار موقعه	أنّ الغيوث بما تأتيه جهالُ
لا يدرك المجد إلى سيد فطن	لما يشق على السادات فعال
لا وارثٌ جهلت يمناه ما وهبت	ولا كسوب بغير السيف سئال
قال الزمانُ له قولاً فأفهمه	أن الزمان على الإمساك عذالُ
تدري القناةُ إذا اهتزت براحته	أن الشقي بها خيلٌ وأبطالُ
كفاتك، ودخول الكاف منقصةٌ	كالشمس قلت وما للشمس أمثال
القائد الأسد غذتها براثنه	بمثلها من عِداه وهي أشبالُ

وقال أيضا يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه قلعة الحدث عام 343هـ:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم	وتأتي على قدر الكِرام المكارم

وتعظم في عـين الصـغير صـغارها وتصغر في عين العظـيم العظـائم
يكلف سيف الدولـة الجـيش همـه وقد عجزت عنه الجيوش الخضـارم
ويطلب عند الناس ما عنـد نفسـه وذلك مـا لا تدعيـه الضـراغم
يفـدي أتم الطـير عمـرا سـلاحه نسور القَلا أحـداثها والقشـاعِم
وما ضرهم خلـق بغـير مخالـب وقد خلقـت أسـيافه والقـوائم
هل الحدث الحمـراء تعـرف لو نـا وتعلـم أي السـاقيين الغمـائم
سقتها الغمـام الغـر قبـل نزولـه فلما دنـا منها سـقتها الجمـاجم
بناها فـأعلى والقنـا تقـرع القنـا وموج المنايـا حولهـا مـتلاطم
وكان ا مثـلُ الجنـون فأصـبحت ومن جثث القتلـى عليهـا تمـائم
طريـدة دهـر سـاقها فردد ـا على الدين بالخطي والدهر راغـم
تبيد الليـالي كـل شـيء أخذتـه وهن لمـا يأخـذْن منـك غـوارم
وكيف ترجي الروم والفرس هـدمها وذا الطعن آساس لهـا ودعـائم

وقال جرير يمدح عبد الملك بن مروان:

تعـزت أم حـزرة ثم قالـت رأيت الـواردين ذوي امتنـاح
ثقي بـالله لـيس لـه شـريك ومن عنـد الخليفـة بالنجـاح
سأشـكر إنْ رددت إلي ريشـي وأنبت القوادم فـي جناحـي
ألستم خير من ركـب المطايـا وأنـدى العـالمين بطـونَ راح

وقال أيضا يمدح عمر بن عبد العزيز ويستعطفه:

كم باليمامة مـن شـعثاء أرملـة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظـر
ممن يعـدك تكفـي فقـد والـده كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطـر
يدعوك دعوةَ ملـهوف كـأنّ بـه خبلاً من الجن أو مسا من البشـر
إنا لنرجو إذا ما الغيـثُ أخلفنـا من الخليفة مـا نرجو مـن المطـر

أتى الخلافة أو كانت لــه قــدرا   كما أتى ربه موســى علــى قــدر

هذي الأرامل قد قضيت حاجتــها   فمن لحاجة هذا الأرمــل الــذكر؟

وقال أيضا يمدحه:

يعود الفضلُ منك علــى قــريش   وتفرج عنهم الكــرب الشــدادا

وقـــد أمنـــت وحشـــهم برفــق   ويعيني الناس وحشــك أن يصــادا

وتـــدعو الله مجتهـــــدا ليرضـــى   وتـــذكر في رعيتـــك المعـــادا

وما كعب ابن امامة وابن ســعدى   بأجودِ منــك يــا عمــر الجــوادا

وقال الثعالبي المتوفى سنة 439هـ مادحا الأمير أبا الفضل الميكالي:

لك في المفــاخر معجــزات جمــة   أبــدا لغــيرك في الــورى لم تجمــع

بحــران بحــر في البلاغـــة شـــابه   شعر الوليد وحسن لفــظ الأصــمعي

وترسل الصابـــي يـــزين علـــوه   خط ابــن مقلــةَ ذو المحــل الأرفــع

كالنور أو كالسحر أو كالبــدر أو   كالوشـــى في بـــرد عليـــه موشـــع

شكرا فكم من فِقرى لك كــالغنى   وافى الكـــريم بعيـــد فقـــر مـــدقع

وإذا تفتق نــور شــعرك ناضــرا   فالحســـن بـــين مرصـــع ومصـــرع

أرجلت فرسان الكــلام ورضـــ   ـــت أفراس البديع وأنت أمجد مبــدع

ونقشت في فص الزمــان بــدائعا   تـــزري بآثـــار الربيـــع الممـــرع

وقال أبو محمد اليمني المتوفى سنة 569هـ يمدح الملك الفائز ووزيره الصالح:

أقسمت بالفائز المعصــوم معقــده   فوز النجاة وأجر الــبر في القســم

لقد حمى الدين والدنيا وأهلــهما   وزيــره الصــالح الفــرج للغمــم

اللابس الــــحمد لم تنســـج غلائلــه   إلا يد الصانعين: الســيف والقلــم

قــد ملكتــه العــوالي رق مملكــة   تعير أنــف الثريــا عــزة الشــمم

أرى مقاما عظيم الشــأن أوهمــني   في يقظتي أنــه مــن جملــة الحلــم

ليت الكواكب تـدنولي فأنظمهـا عقود مدح فما أرضى لكم كلمـي

خليفـة ووزيـر مـد عدلهمـا ظلا على مفرق الإسـلام والأمـم

زيادة النيل نقص عنـد فيضـهما فما عسى يتعـاطى هاطـلُ الـديم

وقال المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم يمدح المرحوم الشيخ محمد عبده ويهنئه:

رأيتك والأبصار حولـك خشـع فقلت أبو حفص ببرديك أم علـي

وخفضت من حزني على مجد أمـة تداركتها والخطب للخطب يعتلـي

طلعت ا باليمن من خـير مطلـع وكنت لها في الفوز قدح ابن مقبـل

وجردت للفتيا حسـام عزيمـة بحديه آيـات الكتـاب المنـزل

محوت به في الـدين كـل ضـلالة وأثبت مـا أثبـت غـير مضـلل

لئن ظفر الأفتـاء منـك بفاضـل لقد ظفر الإسلام منـك بأفضـل

الباب الثاني: في الفخر والحماسة

قال السموأل بن عادياء المتوفى سنة 62 قبل الهجرة:

إذا المرء لم يدنس من اللــؤم عرضـه فكـل رداء يرتديـــه جميـل[1]

وإن هو لم يحمل على النفس ضـيمها فليس إلى حسن الثنـاء سـبيل[2]

تعيرنـا أنـا قليـلٌ عديـدنـا فقلت لها: إن الكــرام قليـل[3]

وما قل مـن كانـت بقايـاه مثلنـا شباب تسامى للعـلا وكهـول[4]

وما ضرنـا أنـا قليـلٌ وجارنـا عزيز وجـار الأكثـرين ذليـل[5]

لنـا جبـل يحتـله مـن نجـيره منيع يـرد الطرف وهو كليـل[6]

رسا أصله تحت الثـرى وسمـا بـه إلى النجم فرع لا ينـالُ طويـلُ[7]

هو الأبلق الفرد الذي شـاع ذكـره يعز على مـن رامـه ويطـولُ[8]

وإنا لقـوم لا نـرى القتـل سـبة إذا مـا رأتـه عـامر وسـلولُ[9]

---

(1) اللؤم اسم جامع للخصال المذمومة: والمعنى أن الإنسان إذا لم يتدنس باكتساب اللؤم واعتياده فأي ملبس يلبسه بعد ذلك كان جميلا.

(2) وإن هو لم يحمل إلى آخر البيت: أي من لم يصبر النفس على مكارهها فلا سبيل لـه إلى اكتساب حسن الثناء وليس معنى الضيم ضيم الغير لهم لأ م يأنفون من ذلك ويعدونه تذللا.

(3) يقال عيرته كذا وعيرته بكذا والأول المختار.

(4) الشباب: جمع شاب كالشبان، وقوله تسامى أراد تتسامى فحذف إحدى التاءين، والكهول جمع كهل ضد الشبان.

(5) وما ضرنا يجوز في إما أن تكون نافية، والمعنى لم يضرنا ويجوز أن تكون استفهامية على طريق التقرير.

(6) قيل إنه أراد بذكر الجبل العز والسمو: وقيل إن هذه الجبل هو حصن السموأل الذي يقال لـه الأبلق الفرد بناه أبوه، وقيل بناه سيدنا سليمان عليه السلام!.

(7) رسا أصله إلى آخر البيت يريد به أنه أثبت جبل في الأرض وأعلى طود عليها.

(8) الأبلق الفرد الذي شاع ذكره هو حصن السموأل بناه أبوه وقيل سليمان عليه السلام بأرض تيماء وقصدته الزباء فعجزت عنه وعن مارد فقالت تمرد مارد وعز الأبلق.

(9) السبة العار، وعامر وسلول قبيلتان: يقول إذا حسب هؤلاء القتل عارا عدته عشيرتي فخرا.

يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول(1)

وما مات منا سيد حتف أنفه ... ولا طل منا حيث كان قتيل(2)

تسيلُ على حد الظبات نفوسنا ... وليست على غير الظبات تسيل(3)

صفونا فلم نكدر وأخلص سرنا ... إناث أطابت حملنا وفحول(4)

علونا إلى خير الظهور وحطنا ... لوقت إلى خير البطون نزول(5)

فنحن كماء المزن ما في نصابنا ... كهام ولا فينا يعد بخيل(6)

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول(7)

إذا سيد منا خلا قام سيد ... قؤولٌ لما قال الكرام فعول(8)

وما أخمدت نار لنا دون طارق ... ولا ذمّنا في النازلين نزيل(9)

وأيامنا مشهورة في عدونا ... لها غُرر معلومة حجول(10)

---

(1) يقرب إلى آخر البيت يسير به إلى أنهم يغتبطون لاقتحامهم المنايا وأن عامرا وسلولا يعمرون لانبتهم الشر كراهة للموت وحبا للحياة.

(2) يقال مات فلان حتف أنفه إذا مات من غير قتل ولا ضرب: قيل إن أول من تكلم بقولهم حتف أنفه النبي ﷺ.

(3) الظبات: جمع ظبة وهي حد السيف قيل أراد بالظبات السيوف كلها فأضاف الحد إليها أي أنهم لشجاعتهم وشرفهم لا يقتلون إلا بالسيف ولا يقتلون بالعصي ولا بالحجارة كما يقتل رعاع الناس.

(4) المراد بالسر هنا الأصل الجيد.

(5) علونا إلى آخر البيت يشير به صريح نسبهم وخلوصه مما يحط بشرفهم.

(6) كماء المزن يريد بذلك تشبيه صفاء أنسابهم بصفاء المطر والنصاب: الأصل ومنه نصاب السكين والكهام الكليل الحد يقول نحن كماء المزن وكل منا نافذ ماض ولا فينا بخيل فيعد.

(7) ولا ينكرون إلى آخر البيت معناه أنهم لشدة بأسهم وحماستهم يخشاهم الناس فلا ينكرون عليهم.

(8) يعني أن السيادة مستقرة فينا حتى إذا خلا منا سيد خلفه سيد يقول ما تقول الكرام ويفعل ما تفعل.

(9) وما أخمدت نار لنا يشير بذلك إلى أنهم لكثرة كرمهم يديمون إيقاد نار الضيافة ولا يطفئونها دون طارق ليل وأنهم يثني عليهم كل نزيل.

(10) الحجول: جمع حجل وهو الخلخال يقول وقعاتنا مشهورة في أعدائنا فهي بين الأيام كالأفراس الغر المحجلة بين الخيل.

وأسيافُنا في كلّ شرق ومغربٍ ... ا من قِراع الدار عين فُلُولُ[1]

معودةٌ ألا تسلّ نصالُها ... فتغمد حتى يستباح قبيل[2]

سلي إن جهلتِ الناس عنا وعنهم ... فليسوا سواءً عالمٌ وجهول[3]

فإنّ بني الديان قطب لقومهم ... تدور رحاهم حولهم وتجول[4]

وقال عنترة العبسي المتوفى سنة 7 قبل الهجرة:

لعمرك إن ا د والفخر والعلا ... ونيلَ الأماني وارتفاع المراتب

لمن يلتقي أبطالهَا وسرا ا ... بقلب صبور عند وقع المضارب

ويبني بحد السيف مجدا مشيدا ... على فلك العلياء فوق الكواكب

ومن لم يرو رمحه من دم العدا ... إذا اشتبكت سمر القنا بالقواضب

ويعطي القنا الخطي في الحرب حقه ... ويبري بحد السيف عرض المناكب

يعيش كما عاش الذليل بغصة ... وإن مات لا يجري دموع النوادب

فضائلُ عزم لا تباع لضارع ... وأسرار عزمٍ لا تذاع لعائب

برزت ا دهرا على كل حادث ... ولا كحلَ إلا من غُبار الكتائب

إذا كذَب البرق اللموع لشائم ... فبرق حسامي صادق غير كاذب

وقال في الحماسة والفخر:

سكت فغر أعدائي السكوت ... وظنوني لأهلي قد نسيت

وكيف أنام عن سادات قوم ... أنا في فضل نعمتهم ربيت

---

(1) القراع، بكسر القاف: المقارعة والمضاربة، والدارعين: أصحاب الدروع.

(2) القبيل: الجماعة من آباء شتى وجمعه قبائل يقول عودت أسيافنا أن لا تجرد من أغمادها فتردفيها إلا أن يستباح ا قبيل، وفي رواية قتيل.

(3) عنا وعنهم ويروي عنا فنخبري معناه إن كست جاهلة بنا فسلي الناس تخبري بحالنا فالعالم والجاهل مختلفان.

(4) القطب الحديد المغروس في الطبق الأسفل من الرحى يدور عليه الطبق الأعلى منها والمعنى أن أمر قبيلتهم لا يستقيم ولا يتم إلا م مثل الرحى لا يتم أمرها إلا بالقطب.

وإن دارت ـم خيـلُ الأعـادي ... ونـادوني، أجبـت مـتى دعيـت
بسيف حـده مـوج المنـايا ... ورمح صـوره الحتـف المميـت
خلقت مـن الحديـد أشـد قلبـا ... وقد بلـي الحديـد ومـا بليـت
وإني قـد شـربت دم الأعـادي ... بأقحافِ الرؤوس ومـا رويـت
وفي الحرب العوان ولـدت طفـلاً ... ومن لبن المعامـع قـد سـقيت
فمـا للرمح في جسـمي نصـيب ... ولا للسـيف في أعضـاي قـوت
ولي بيـت عـلا فلـك الثريـا ... تخـر لعظـم هيبتـهِ البيـوت

وقال أيضا في الحماسة والفخر يوم المصانع:

إذا كشف الزمان لـك القناعـا ... ومد إليك صرف الـدهر باعـا
فـلا تخـش المنيـة والتقيهـا ... ودافع مـا استطعت لهـا دفاعـا
ولا تختـر فراشـا مـن حريـر ... ولا تبـكِ المنـازل والبقاعـا
وحولك نسـوة ينـدبن حزنـًا ... ويهتكن البراقـع واللفاعـا
يقول لك الطبيـب دواك عنـدي ... إذا مـا جـس كفـك والـذراعا
ولـو عـرف الطبيـب دواء داءٍ ... يرد الموت مـا قاسـى النـزاعا
وفي يوم المصانع قـد تركنـا ... لنـا بفعالنـا خـبرا متاعـا
أقمنـا بالـذوابل سـوق حـرب ... وصيرنا النفـوس لهـا مصـاعا
حصـاني كـان دلالَ المنايـا ... فخاض غمارهـا، وشرى وباعـا
وسـيفي كـأن في الهيجـا طبيبـا ... يداوي رأس من يشكو الصـداعا
أنا العبـد الـذي خبـرت عنـه، ... وقـد عاينتني فـدع السـماعا
ولو أرسلت رمحـي مـع جبـان ... لكانَ بهيبتي يلقـى السباعـا
ملأت الأرض خوفـًا من حسـامي ... وخصمي لم يجـد فيهـا اتسـاعا
إذا الأبطال فرت خـوف بأسـي ... ترى الأقطـار باعـًا أو ذراعـا

وقال أيضا في الفخر والحماسة:

أعادي صرف دهر لا يعادى ... واحتمل القطيعة والبعادا
واظهر نصح قوم ضيعوني ... وإن خانت قلوبهم الودادا
أعلل بالمنى قلبا عليلاً ... وبالصبر الجميل وإن تمادى
تعيرني العدا بسواد جلدي ... وبيض خصائلي تمحو السوادا
وردت الحرب والأبطالُ حولي ... ـز أكفها السمر الصعادا
وخضت بمهجتي بحر المنايا ... ونار الحرب تتقد اتقادا
وعدت مخضبا بدم الأعادي ... وكرب الركض قد خضب الجَوادا
وسيفي مرهف الحدين ماض ... تقد شفاره الصخر الجمادا
ورمحي ما طعنت به طعينا ... فعاد بعينه نظر الرشادا
ولولا صارمي وسنان رمحي ... لما رفعت بنو عبس عمادا

وقال يتوعد النعمان بن المنذر ملك العرب، ويفتخر بقومه:

لا يحملُ الحقْد من تعلو به الرتب ... ولا ينال العلى من طبعه الغضب
للهِ در بني عبس لقد نسلوا ... من الأكارم ما قد تنسلُ العرب
قد كنت فيما مضى أرعى جمالهم ... واليوم أحمي حماهم كلما نكِبوا
لئن يعيبوا سوادي فهو لي نسب ... يوم النزال إذا ما فاتني النسب
أن كنت تعلم يا نعمان أنّ يدي ... قصيرةٌ عنك فالأيام تنقلب
أن الأفاعي وأن لانت ملامسها ... عند التقلب في أنيا ـا العطب
اليوم تعلم يا نعمان أي فتى ... يلقى أخاك الذي قد غره العصب
فتى يخوض غمار الحرب مبتسما ... وينثني وسنانُ الرمح مختضِب
أن سل صارمه سالت مضاربه ... وأشرق الجو وانشقت له الحُجب
والخيلُ تشهد لي أني أكفكفها ... والطعن مثل شرار النار ينتهب

إذا التقيت الأعادي يـوم معركـة تركـت جمعهـم المغـرور ينتـهب
ليَ النفوس وللطير اللحوم ولل ـ ـوحش العظام وللخيالـة السـلب
لا ابعد الله عـن عـيني غطارفـةً أنسا إذا نزلـوا جنـان إذا ركبـوا
أسود غاب ولكن لا نيـوب لهـم إلا الأسِـنة والهنــ ـدية القضــب
تعدو ـم أعوجيـات مضـمرةٌ مثل السراحين في أعنافهـا القبـب
مازلت ألقى صدور الخيل منـدفقًا بالطعن حتى يضج السرج واللبـب
فالعمي لو كان في أجفا م نظـروا والخُرس لو كان في أفواههم خطبـوا
والنقع يوم طرادِ الخيل يشـهد لي والضرب والطعن والأقلام والكتـب

وقال أيضا في إغارته على بني حريقة:

حكم سـيوفك في رقـاب العـذل وإذا نزلت بـدار ضـلٍّ فارحـل
وإذا الجبـانُ ـاك يـوم كريهـة خوفًا عليك من ازدحام الجَحفـل
فـاعص مقالتــه ولا تحفــل ـا وأقـدم إذا حـق اللقـا في الأول
واختر لنفسك منـ ـزلاً تعلـو بـه أو مت كريما تحت ظـلّ القسـطل
إن كنت في عـدد العبيـد فهمـتي فوق الثريـا والسـماكِ الأعـزل
أو أنكرت فرسـانُ عـبس نسـبتي فَسِنان رمحـي والحُسـام يقـر لي
وبـذابلي ومهنـدي نلـت العلـى لا بالقرابــة والعديــد الأجــزل
وركَيت رمحي في العجاج فخاضـه والنار تقْدح من شِـفار الأنصـل
خاض العجـاج محجـلا حـتى إذا شهد الوقيعةَ عـاد غـير محجـل
ولقد نكبـت بـني حريقـة نكبـة لما طعنت صـميم قلـبِ الأخيـل
وقتلــت فارســهم ربيعــة عنــوةً والهَيـدبانَ وجـابر بـن مهلـهل
لا تسـقِني مـ ـاء الحيـاة بذِلـ ـة بل فاسقِني بـالعز كـأس الحْنظـل
مـ ـاءُ الحيـاة بذلـ ـة كجهـنمٍ وجهنم بالعـز أطيـب منـ ـزل

وقال هبة الله بن سناء الملك المتوفى سنة 235هـ:

سواي يهاب الموت أو يرهب الردى — وغيري يهوى أن يعيش مخلدا
ولكنني لا أرهب الدهر إن سطا — ولا أحذر الموت الزؤام إذا عدا
ولو مد نحوي حادثُ الدهر كفه — لحديث نفسي أن أمد له يدا
توقد عزمي يترك الماء جمرة — وحلية حلمي تترك السيف مبردا
وفرطُ احتقاري للأنام لأنني — أرى كلّ عار من حلى سؤددي سدا
ويأبى إبائي أن يراني قاعدا — وإني أرى كلّ البرية مقعدا
وأظمأ إن أبدى لي الماء منة — ولو كان لي نهر المجرة موردا
ولو كان إدراك الهدى بتذلل — رأيت الهدى ألا أميل إلى الهدى
وقدما بغيري أصبح الدهر أشيبا — وبي وبفضلي أصبح الدهر أمردا
وإنك عبدي يا زمانُ وإنني — على الرغم مني أن أرى لك سيدا
وما أنا راض أنني واطئُ الثرى — ولي همةٌ لا ترتضي الأفق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتي — لخرت جميعا نحو وجهي سجدا
أرى الخلق دوني إذ أراني فوقهم — ذكاء وعلمًا واعتلاء وسؤددا
وبذْلُ نوالي زاد حتى لقد غدا — من الغيظ منه ساكن البحر مزبدا
ولي قلم في أنملي إن هززته — فما ضرني ألا أهز المهندا
إذا صال فوق الطرس وقع صريره — فإن صليل المشرفي له صدى

وقال حسان بن ثابت الأنصاري المتوفى سنة 54هـ:

لعمر أبيك الخير يا شعثُ ما نبا — على لساني في الخطوب ولا يدي
لساني وسيفي صارمان كلاهما — ويبلغُ مالا يبلغُ السيف مذْودي
وإن أك ذا مال كثير أجد به — وإنْ يهتصر عودي على الجهد يحمد
فلا المالُ ينسيني حيائي وعفتي — ولا واقعات الدهر يفللن مبردي

وإني لمُعطٍ ما وجدت وقائلٌ ... لموقدِ ناري ليلة الريح أوقد
وإني لقوالٌ لِذي البث مرحبا ... وأهلا إذا ما جاء من غير مرصدِ
وإني ليدعوني الندى فأجيبه ... وأضرب بيض العارض المتوقد
وإني لحُلو تعتريني مرارةٌ ... وإني لتراك لما لمَ أعود
وإني لمزجٍ للمطي على الوجى ... وإني لتراك الفِراش الممهدِ

وقال الفرزدق:

لنا العِزةُ القعساءُ[1] والعدد الذي ... عليه إذا عد الحصى يتخلف[2]
ومنا الذي لا ينطق الناس عِنده ... ولكن هو المستأذَن المتصرف[3]
تراهم قُعودا حوله وعيونهم ... مكسرة أبصارها ما تصرف[4]
نرى الناس إن سرنا يسيرون خلفنا[5] ... وإن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا[6]
ولا عز إلا عزنا قاهر له ... ويسألنا النصف الذليلُ فننصف[7]
وما قام عنا قائم في نديِنا[8] ... فينطق إلا بالتي هي أعرف[9]

وقال وقد نزل في بادية وأوقد نارا فرآها ذئب فأتاه أطعمه من زاده وأنشد:

وأطلس عسالٍ وما كان صاحبًا[10] ... دعوت بناري موهِنًا فأتاني[1]

---

(1) يعني عددنا كثير، وعدد الحصى أقل منه.
(2) العزة القسعاء أي القوة والمنعة الشامخة الثابتة.
(3) يعني منا من لا يتكلم في مجلسه إلا بإذنه ولا يفعل إلا بأمره.
(4) يعني ما تنظر يمنة ولا يسرة من مهابته وجلالته.
(5) يعني نحن سادة أشراف نمشي أمام الناس.
(6) يعني إذا أشرنا إلى الناس أن قفوا أوقف بعضهم بعضا طوع إشارتنا.
(7) ويطلب منا الضعيف النصفة والعدل فنمكنه من ذلك.
(8) الندى كغنى والنادي مجتمع القوم.
(9) يعني لا نطق إلا حيث يحسن الكلام وإذا نطق جاء بالقول الصادق الذي لا يمكن لأحد أن ينكره.
(10) الأطلس الذئب الخبيث الذي في لونه غبرة مائلة إلى السواد، والعسال الذي يضطرب في عدوه ويهز رأسه.

فلما أتى قلت أدنُ دونك[2] إنني … وإياك في زادي لمشتركان

فبت أقد الزاد بيني وبينه[3] … على ضوء نار مرةً ودخان

وقلت له لما تكشر ضاحكا[4] … وقائم سيفي في يدي بمكان[5]

تعش فإن عاهدتني لا تخونني … نكن مثل من يا ذئب يصطحبان[6]

وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما … أخيين كانا أرضعا بلبان[7]

ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى … رماك بسهم أو شباةِ سنان[8]

وقال الشريف الرضي[9]:

لغير العلى مني القلى والتجنب … ولولا العلى ما كنت في الحب أرغب

إذا اللهُ لم يعذرك فيما ترومه … فما الناس إلا عاذلٌ ومؤنب

ملكت بحلمي فرصة ما استرقّها … من الدهر مفتول الذراعين أغلب

=

(1) الموهن: الساعة الأولى بعد نصف الليل أي دعوته بسبب إيقاد النيران في الساعة الأولى بعد نصف الليل فجاء إلي.

(2) أي لما جاء وقف فقلت له اقترب وخذ: إشارة إلى إعطائه لزاده.

(3) أقد: أي أقطع والزاد: الطعام، ولعل طعامه كان لحما بدليل القد.

(4) لما تكشر لما أبدى ضاحكا أي كأنه يضحك.

(5) يعني ومقبض سيفي ثابت في يدي.

(6) يعني إذا لم تظهر عليك علامة الغدر بقيت معك وبقيت معي كالمصطحبين.

(7) يعني مع أني أعرف أنك والغدر متلازمان لا تفترقان ومعناه أن شيمته الغدر.

(8) تلتمس القرى تكلب الضيافة وشباة السنان حده.

(9) هو أبو الحسين محمد بن الحسين بن موسى الأبرش الشريف الملقب الرضي ذي الحسين نقيب الطالبيين المولود سنة 369هـ وتوفي 406هـ ثم نقل إلى مشهد سيدنا الحسين عليهما السلام بكربلاء، دفن عند أبيه، ومن شعره ما كتبه إلى الإمام أبي العباس أحمد المقتدر:

عطفا أمير المؤمنين فإننا … في دوحة العلياء لا نفترق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت … أبدا كلانا في المعالي معرق

إلا الخلافة ميزتك فإنني … أنا عاطل منها وأنت مطوق

لئن تك كفي مـا تطـاولَ باعهـا فلي من وراء الكـف قلـب مـدرب
فحسبي أني في الأعـادي مـبغض وأني إلى عـز المعـالي محبـب
وللحلم أوقات وللجهـل مثلـها ولكـن أوقـاتي إلى الحلـم أقـرب
يصولُ علـي الجـاهلونَ وأعتلـي ويعجـم فيَّ القـائلون وأعـرب
يرون احتمـالي غصـة ويزيـدهم لواعج ضغن أنـني لسـت أغضـب
وأعرض عن كأس النـديم كأ ـا وميض غمـام غـائر المـزن خلـب
وفور فلا الألحـانُ تأسـر عـزمتي ولا تمكر الصـهباءُ بي حـين أشـرب
ولا أعرف الفحشاء إلا بوصـفها ولا أنطق العوراء والقلـب مغضـب
تحلم عن كـر القـوارض شـيمتي كأنَّ معيـد المـدح بالـذم مطنـب
لساني حصاةٌ يقْرع الجهل بالحجـا إذا نـال مـني العاضـه المتوثـب
ولست براض أن تمـس عـزائمي فضالت ما يعطـي الزمـان ويسـلب
غرائـب آداب حبـاني بحفظهـا زماني وصرف الـدهر نعـم المـؤدب
تعلم فإن الجود في النـاس فطنـة تقوم ا الأحـرار والطبـع أغلـب

وقال العميد مؤيد الدين الطغرائي المتوفى سنة 513هـ:

أبى الله إن أسمـو بغـير فضـائلي إذا ما سمـا بالمـال كـل مسـود
وإن كرمت قبلـي أوائـل أسـرتي فـإني بحمـد الله مبـدأ سـؤددي
ومـا منصـب إلا وقـدري فوقـه ولو حط رحلي بين نسـر وفرقـد
إذا شرفت نفـس الفـتى زاد قـدره على كل أسنى منه ذكـرا وأمجـد
كذاك حديد السيف إن يصف جوهرا فقيمته أضعافـه وزن عسجـد
ومـا المـال إلا عـارةٌ مسـتردةٌ فهـلا بفضلـي كاثروني ومحتـدي
إذا لم يكـن لي في الولايـة بسـطة يطول ا باعي وتسطو ـا يـدي
ولا كان لي حكـم مطـاع أجيـزه فأرغم أعدائي وأكبـت حسـدي

فأعذر إن قصـرت في حـق مجتـد **وآمـن أن يعتـادني كيـد معتـد**
ولولا تكـاليف العلـى ومغـارم **ثقال وأعقاب الأحاديـث في غـد**
لأعطيت نفسي في التخلـي مرادهـا **فذاك مرادي مذ نشأت ومقصـدي**

وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

مهلاً بـني عمنـا مهـلاً موالينـا **لا تنبشوا بيننا مـا كـان مـدفونا**
لا تطمعوا أن تهينونـا ونكـرمكم **وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونـا**
مهلاً بني عمنا مـن نحـتِ أثلتنـا **سيروا رويدا كما كنـتم تسـيرونا**
الله يعلـم أنـا لا نحـبكم **ولا نلـومكم إن لـم تحبونـا**
كل لـه نيـةٌ في بغـض صـاحبه **بنعمـة الله نقليـكم وتقلونـا**

وقال محمد بن عبد الله الأزدي:

لا أدافع ابن العم يمشي على شـفا **وإن بلغـتني مـن أذاه الجنـادع**
ولكـن أواسـيه وأنسـى ذنوبـه **لترجعـه يومـاً اليّ الرواجـع**
وحسبك من ذُل وسـوء صـنيعة **مناواة ذي القربى وإن قيل قـاطع**

وقال حطان بن المعلي:

أنـزلني الـدهر علـى حكمـه **من شـامخ عـال إلى خفـض**
وغـالني الـدهر بـوفر الغنـى **فليس لـي مالٌ سـوى عرضـي**
أبكـاني الدهـر ويـا ربمـا **أضحكني الـدهر بمـا يرضـي**
لـولا بنيـات كزغـب القطـا **رددن من بعـض إلـى بعـض**
لكان لـي مضـطرب واسـع **في الأرض ذات الطول والعـرض**
وإنمـا أولادنـا بيننـا **أكبادنـا تمشـي علـى الأرض**
لو هبت الـريح علـى بعضـهم **لامتنعـت عـيني مـن الغمـض**

وقال أوس بن حبناء:

إذا المـرءُ أولادك الهـوان فأولـه **هوانا وان كانت قريبـا أواصـره**

فإن أنت لم تقدر على أن تهينه ... فذره إلى اليوم الذي أنت قادره
وقارب إذا ما لم تكن لك حيلة ... وصمم إذا أيقنت أنك عاقره

وقال سعد بن ناشب:

تفندني فيما ترى من شراستي ... وشدة نفسي أم سعد وما تدري
فقالت لها إنّ الكريم وإن حلا ... ليلفى على حال أمر من الصبر
وفي اللين ضعف وفي الشراسة هيبةٌ ... ومن لم يهب يحمل على مركب وعر
وما بي على من لان لي من فظاظة ... ولكنني فظ أبي على القسر

وقال إبراهيم النبهاني:

تعز فإن الصبر بالحر أجملُ ... وليس على ريب الزمان معول
فلو كان يغني أن يرى المرء جازعا ... لحادثة أو كان يغني التذللُ
لكان التعزي عند كل مصيبة ... ونائبة بالحر أولى وأجمل
فكيف وكلّ ليس يعدو حمامه ... وما لامرئ عما قضى الله مرحل
فإن تكن الأيام فينا تبدلت ... ببؤسى ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة ... ولا ذللتنا للتي ليس تجمل
ولكن رحلناها نفوسا كريمة ... تحمل ما لا يستطاع فتحمل
وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا ... فصحت لنا الأعراض والناس هزل

وقال آخر:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ... ومات أكثرنا غيظًا بما يجد
أنا الذي يجدوني في صدورهم ... لا أرتقي صدرا منها ولا أرد

وقال سالم بن وابصة:

عليم بالقصد فيما أنت فاعلُه ... إن التخلق يأتي دونه الخلق
وموقف مثل حد السيف قمت به ... أحمي الذمار وترميني به الحدق

فما زلقـت ولا أبـديت فاحشـة إذا الرجال علـى أمثالهـا زلقـوا

وقال تأبط شرا:

إذا المرء لم يحتل وقـد جـد جـده أضاع وقاسى أمـره وهـو مـدبر
ولكن أخو الحزم الذي ليس نـازلا به الخطب إلا وهو للقصدِ مبصـر

وقال حبيب بن أوس أبو تمام الطائي:

أنا ابن الذي استرضع الجـود فـيهم وقد ساد فيهم وهو كهـلٌ ويـافع
نجـوم طواليـع جبـال فـوارع غيـوث هواميـع سـيول دوافـع
مضـوا وكـأن المكرمـات لـديهم لكثرة مـا أوصـوا بهـن شـرائع
فأي يد في المحل مـدت فلـم يكـن لها راحـةٌ مـن جـودهم وأصـابع
هم استودعوا المعروف محفوظ مالنـا فضاع وما ضاعت لـدينا الودائـع
بهاليلُ لـو عاينـت فـيض أكفهـم لأيقنت أن الرزق في الأرض واسـع
إذا خفقت بالبـذل أرواح جـودهم حداها الندى واستنشـقتها المـدامع
رياح كريح العنبر الغـض في النـدى ولكنـها يـوم اللقـاء زعـازع
هي السم ما تنفـك في كـل بلـدة تسيلُ بـه أرمـاحهم وهـو نـاقع
أصارت لهـم أرض العـدو قطائعـا نفوس لحـد المرهفـات قطـائع
بكل فتى ما شاب مـن روع وقعـة ولكنـه قـد شـاب منـه الوقـائع
إذا ما أغاروا فاحتووا مـال معشـر أغارت علـيهم فاحتوتـه الصـنائع
فتعطي الذي تعطيهم الخيـل والقنـا أكـف لإرث المكرمـات موانـع

وقال أبو فراس الحمداني[1] المتوفى سنة 357هـ:

(1) هو الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان التغلبـي ابن عم سيف الدولة وناصر الدولة توفي سنة 357 هجرية عن عمر 37 سنة، وكان فرد دهره وشمس عصره أدبا وفضلا وكرما ومجدا وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة، فلله دره شاعرا من قبل ومن بعد. وأنشد وهو يحتضر يخاطب ابنته:

أبنيـتي لا تجزعـي كـل الأنـام إلى ذهـاب
=

ووالله ما قصرت في طلب العلا ولكن كأن الدهر عني غافل
مواعيد آمال متى ما انتجعتها حلبت بكيات وهن حوافل
تدافعني الأيام عما أريده كما دفع الدين الغريم المماطل
فمثلي من نال الأعادي بسيفه ويا ربما غالته عنها الغوائلُ
ومالَ لا تمسي وتصبح في يدي كرائم أموال الرجال العقائل
أحكم في الأعداء عنها صوارما أحكمها فيها إذا ضاق نازل
وما زال محمى الحمائل عنوة سوى ما أقلت في الجفون الحمائل
ينال اختيار الصفح عن كل مذنب له عندنا ما لا تنال الوسائل
لنا عقب الأمر الذي في صدره تطاولُ أعناق العدى والكواهل
أصاغرنا في المكرمات أكابر وآخرنا في المأثرات أوائل
إذا صلت صولاً لم أجد لي مصاولاً وإن قلت قُولاً لم أجد من يقاول

وقال:

إنا إذا اشتد الزمـا نُ وناب خطب وادلهم
ألفيت حول بيوتنا عدد الشجاعة والكرم
للقا العدا بيض السيو ف وللندى حمر النعم
هذا، وهذو دأبنا يودى دم ويراق دم

وقال:

وإني لنزالٌ بكل مخوفه كثير إلى نزالها النظر الشزر
وإني لجرار لكل كتيبة معودة إلا يخل بها النصر

=

نوحي على بحسرة من خلف سترك والحجاب
فولي إذا كلمتني فعييت عن رد الجواب
زين الشباب أبو فرا س لم يمتع بالشباب

ولا راح يطغيني بأثوابه الغنى ... ولا بات يثنيني عن الكرم الفقر
وما حاجتي في المال أبغي وفوره ... إذا لم افر عرشي فلا وفر الوفر
أسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى ... ولا فرسي مهر ولا ربه غمر
ولكن إذا حم القضاء على امرئ ... فليس له بر يقيه ولا بحر
وقال اصيحابي الفرار أو الردى ... فقلت هما أمران أحلاهما مر
ولكنني أمضي لما لا يعيبني ... وحسبك من أمرين خيرهما الأسر

ومنها:

يمنون أن خلوا ثيابي وإنما ... علي ثياب من دمائهم حمر
وقائم سيف فيهم دق نصله ... وأعقاب رمح فيهم حطم الصدر
سيذكرني قومي إذا جد جدهم ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
ولو سد غيري ما سددت اكتفوا به ... وما كان يغني التبر لو نفق الصفر
ونحن أناس لا توسط بيننا ... لنا الصدر دون العالمين أو القبر
أعز بني الدنيا وأعلى ذوي العلا ... وأكرم من فوق التراب ولا فخر

وقال:

غيري يغيره الفعال الجافي ... ويحول عن شيم الكريم الوافي
لا أرتضي ودا إذا هو لم يدم ... عند الجفاء وقلة الإنصاف
إن الغني هو الغني بنفسه ... ولو أنه عاري المناكب حاف
ما كل ما فوق البسيطة كافيا ... وإذا قنعت فبعض شيء كاف
وتعاف لي طمع الحريص قنوتي ... ومروءتي وقناعتي وعفافي
ومكارمي عدد النجوم ومنزلي ... مأوى الكرام ومنزل الأضياف

وقال:

أتدعو كريما من يجود بماله ... ومن جاد بالنفس النفيسة أكرم

إذا لم يكن ينجي الفرار من الردى ... على حالةٍ فالصبر أرجى وأحزم
لعمري لقد أعذرت لو أن مسعدا ... وأقدمت لو أن الكتائب تقدِم
وما عابك ابن السابقين إلى العلا ... تأخر أقوامٍ وأنت مقدم
ومالك لا تلقى بمهجتك القنا ... وأنت من القوم الذين هم هم

وقال أبو الطيب المتنبي المتوفى سنة 354هـ:

أطاعن خيلاً من فوارسها الدهر ... وحيدا وما هو لي كذا ومعي الصبر
وأشجع مني كلّ يوم سلامتي ... وما ثبتت إلا وفي نفسها أمر
غرست بالآفات حتى تركتها ... تقول أمات الموت أم ذُعِر الذعر
وأقدمت إقدام الأبي كأن لي ... سوى مهجتي أو كان لي عندها وتر
ذَر النفس تأخذْ وسعها قبل بينها ... فمفترق جاران دارهما العمر
ولا تحسبن المجد زقا وقينة ... فما المجد إلا السيف والفَتكة البكر
وتضريب أعناق الملوك وأن ترى ... لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك في الدنيا دويا كأنما ... تداول سمع المرء أنمله العشر
إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص ... على هِبةٍ فالفَضل فيمن له الشكر
ومن ينفق الساعاتِ في جمع ماله ... مخافةَ فقر، فالذي فعلَ الفقر

وقال صفي الدين الحلي المتوفى سنة 740هـ:

سل الرماح العوالي عن معالينا ... واستشهد البيض هل خاب الرجافينا
لقد سعينا فلم تضعف عزائمنا ... عما نروم ولا خابت مساعينا
قوم إذا استخصموا كانوا فَراعنة ... يوما وإن حكموا كانوا موازينا
إذا ادعوا جاءت الدنيا مصدقة ... وإن دعوا قالت الأيام آمينا
إنا لقوم أبت أخلاقنا شرفًا ... أن نبتدي بالأذى من ليس يؤذينا
بيض صنائعنا سود وقائعنا ... خضر مرابعنا حمر مواضينا

لا يظهر العجز منادون نيـل مـنى ... ولـو رأينـا المنايـا في أمانينـا

وقال أبو العلاء المعري:

ألا في سبيل ا د ما أنـا فاعِـل ... عفاف وإقدام وحـزم ونائـل[1]

أعندي وقد مارست كـل خفيـةٍ ... يصـدق واشٍ أو يخيـب سـائل[2]

تعد ذنوبي عنـد قـوم كـثيرةً ... ولا ذنب لي إلا العلا والفضـائل[3]

كأني إذا طلت الزمـان وأهلـه ... رجعت وعنـدي للأنـام طوائـل[4]

وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم ... بإخفاء شمـس ضـوءها متكامـل[5]

يهم الليالي بعض مـا أنـا مضـمر ... ويثقِلُ رضوى دون ما أنا حامـل[6]

وإني وإن كنت الأخـير زمانـه ... لآتٍ بمـا لم تسـتطعه الأوائـل[7]

وأغْدو ولو أن الصـباح صـوارم ... وأسري ولو أنّ الظـلام جحافـل[8]

---

(1) أي قد جمعت العفة والشجاعة والحزم والجود، وسلوك هذا الطريق هو ا د أي أن أفعالي كلها واقعة في سبيل ا د ثم فصل أفعاله، وعدها وكانت كلها من خلال ا د.

(2) أي بعد أن جربت الأمور التي تخفى وعرفتها لا أصدق الساعي بيني وبين إخواني بالإفساد أو أخيب من يرجو معروفي ويطلب نائلي أي أني لا أفعل ذلك استفهام بمعنى الإنكار.

(3) أي ذنوبي كثيرة عند من لا يناسبه حالي لقصوره ونقصه ولا ذنب لي إلا فضائلي وعلو شأني.

(4) الطوائل: جمع طائل وهو الثروة، يقول متى فقت أهل العصر بالفضائل أبغضوني وعادوني وصرت كأني وترت الناس وأن عندي لهم ديونا يطالبونني ا.

(5) أي يجهد حسادي في ستر حالي وإخفاء أمري وكيف يمكنهم ذلك وقد سارصيتي في البلاد مسير الشمس ومن يضمن للحساد إخفاء شمس قد تكامل ضوؤها وشعاعها أي لا يضمن ذلك أحد لأنه غير ممكن فكذلك إخفاء ذكري غير ممكن.

(6) الليالي في موضع نصب لأنه مفعول به، وسكن لضرورة الشعر أي يهم بعض ما أضمر من الهموم الليالي.

(7) أي أني وإن كنت الذي آخر زمانه أفعل من الأمور العجيبة ما عجزت الأولون زمانا عن مثاله أي سبقت الأوائل في المساعي وإن تأخر زماني.

(8) لا يصرفني عن همي أمر من الأمور بل أغدو أول النهار لحاجاتي ولو كان الصباح سيوفا لم يثنني عن قصدي والصبح يشبه بالسيف لبياضه وهيئته وأسري في الليل المظلم لما يهمني ولا تمنعني ظلمة الليل عن همي ولو كان جحافل وهي جمع جحفل وهو الجيش العظيم والظلام يشبه بالجيش وبالعكس.

وإني جواد بـــم يحـلّ لجامـــه ... ونصـلُ يمان أغفلتـه الصـياقل[1]

فإن كان في لبئس الفتى شرف لـه ... فما السيف إلاّ غِمـده والحمائـل[2]

ولي منطِق لـم يرض لي كنه م لي ... على أنني بين السماكين نـــازل[3]

لدى موطْن يشتاقه كـــل ســيد ... ويقصر عن إدراكــــه المتنــاول[4]

ولما رأيت الجهلَ في النــاس فاشـيا ... تجاهلت حتى ظُـن أنـي جاهـل[5]

فَواعجبا كم تدعي الفضلَ نــاقص ... ووا أسفًا كم يظهر النقض فَاضـل[6]

وكيف تنام الطـير في وكنا ـــا ... وقد نصِبت للفَرقـدين الحبائـل[7]

ينافس يومي فِـي أمســي تشـرفًا ... وتحسد أسحاري علي إلا صـائل[8]

---

(1) يصف اعتزاله الأمور وإيثاره ملازمة الخمول والتنـزه عن الأعمال مع استعداده للأ اض إلى معالي الأمور مشبها حاله بحال جواد عطل عن تحلية لجامه وبسيف يمني قد سدئ لطول عهده بالصقل، أي كما لا يزرى بعنق الجواد وجوهر السيف فكذلك إيثاره العزلة والتنـزه عن الأعمال لا يذري بمنصبه ومكانه.

(2) أي ليس الشرف في ملابسه الأعمال ولبس الفاخر من اللباس ولو كان ذلك لكان قيمة السيف بحسب نفاسة غمده وحمائله، وليس كذلك وإنما قيمة السيف بجوهره وكذلك شرف ذات الفتى بالتحلي بأوصاف الشرف ومعالي ا د.

(3) أي منطقي لا يرضى لي بغاية منـزلتي هذه مع ارتفاعها وعلوها فإ ا قد بلغت السماكين بل يقتضي أعلى وأشرف منها.

(4) أي منـزلي عند محل يتمنى كل سيد أن يبلغه ويرقى إلى حده. ويتقاصر من يريد تناوله عن الوصول إليه.

(5) أي لما كثر الجهل في الناس وعز العلم والفضل وجهل قدرها تكلفت الجهل وسترت فضلي تشبها بأهل زماني حتى ظن بي أني جاهل مثلهم.

(6) يتعجب من ادعاء الناقص التحلي بالفضل زورا - ويتأسف من إظهاره النقص مع فضله تشبها بالجاهلين في زمانه.

(7) الوكنات: جمع وكنة وهي الموضع الذي ينام فيه الطير والحبائل جمع حبالة وهي الشبكة التي ينصبها للصيد ضرب لنفسه مثلا بالفرقدين علوا ولغيره بالطير في أوكارها.

(8) ينافس يفاخر أي أن الوقت الذي أكون فيه يتشرف بي، فسائر الأوقات يحسد الوقت الذي أكون فيه فصار أمسي المقتضى يحسد يومي الحاضر لكوني فيه - وكذلك تحسد الأصائل الأسحار التي أكون فيها.

وطال اعترافي بالزمـان وصرفـهِ فلست أبالي من تغـول الغوائـل[1]
فلو بانَ عنقي ما تأسف منكبـي ولو مات زندي ما بكته الأنامـل[2]
إذا وصف الطائي بالبخل مـادر وعير قُسـا بالفهاهـة باقـل[3]
وقال السهى للشمس أنت ضئيلةٌ وقال الدجى يا صبح لونك حائـل[4]
وطاولت الأرض السـماءَ سـفاهةً وفاخرت الشهب الحصى والجنادل[5]
فيا موت زر إن الحيـاةَ ذميمـةٌ ويا نفس جدي إن دهرك هـازل[6]

وقال المرحوم محمود سامي باشا البارودي:

ولي شيمةٌ تأبـى الدنايـا وعزمـةٌ ترد لهُـام الجـيش وهـو يمـور
إذا سرت فالأرض التي نحن فوقهـا مـراد لمهـري والمعــاقلُ دور
فلا عجب إن لم يصـرنيَ منـزل فليس لعقبـان الهـواء وكـور
همامة نفس لـيس ينفـي ركابهـا رواح على طول إلى أن تتم أمـور

---

(1) طالما عرفت الزمان وأحواله، ونالت مني حوادثه وصرفه، وتمرنت نفسي على نوائبه فصرت لا أجزع على المصائب ولا أبالي بمن تنـزل نوازل الدهر.

(2) يهون على نفسه خطوب الزمان بعد معرفته بصروفه حتى لو أصيب عضده وبان لم يتأسف أي لم يجزع منكبه عليه، ولو مات زندة لم تبك أنامله عليه مع أن الكف لا تبطش إلا بواسطة قوة الزند وما داناه.

(3) يعني بالطائي حاتمًا الطائي وقد سار به المثل في الجود، ومادر: رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة يضرب به المثل في البخل، وإنما قيل لـه مادر لأنه سقى إبله من بعض الحياض فلما شربت إبله وصدرت عن الماء سلح في الحوض ومدر الحوض أي لطخه بالطين لئلا يشرب منه غيره فسمي مادرا، وقيل ابخل من مادر.

(4) السها: كوكب خفي تمتحن به الأبصار، أي وحين ينعكس الأمر بأن يصف إليها الشمس بالخفاء مع ائها، ويصف الدجى الصبح بأنه حائل اللون أي متغير.

(5) أي إذا كانت الأرض تياهي السماء من جهلها وتفاخر الحصى والحجارة الكواكب في العلو.

(6) أي إذا كانت الأمور معكوسة كما وصف لم تبق رغبة في الحياة وصارت مذمومة وكان الموت بحيث يتمنى إلمامه ليقطع الحياة الذميمة التي لا يحمدها صاحبها لما ترى من الأمر المحال: ويأمر الحازم نفسه بالجد فيما يعنيها غير معرجة على شيمة الدهر في تلونه وعدم ثباته.

لها مـن وراء الغيـب أذنٌ سميعـة ... وعين ترى مـا لا يـراه بصـير
وفيت بما ظـن الكـرام فراسـةً ... بأمري ومثـلي بالوفـاء جـدير
وأصبحت محمـد الخـلال كـأنني ... على كل نفـس في الزمـان أمـير
إذا صلت كف الدهر من غلوائـه ... وإن قلت غُصت بالقلوب صـدور
ملكت مقاليد الكـلام وحكمـةً ... لهـا كوكب فخم الضيـاء منير
وإني امروٌ صعب الشكيمة بـالغٌ ... بنفسي شأوا لـيس فيـه نكـير

وقال أيضا:

سواي بتحـان الأغاريـد يطـرب ... وغيري باللذات يلهـو ويلعـب
وما أنا ممـن تأسـر الخمـر لبـه ... ويملك سمعيـه الـيراع المثقـب
ولكن أخـوهمٍّ إذا مـا ترجحـت ... به سورةٌ نحـو العـلا راح يـدأب
نفى النوم عن عينيـهِ نفـس أبيـه ... لها بين أطـراف الأسـنةِ مطلـب
أبانة نفس أصغرت كـل مـأربٍ ... فكلّفت الأيام مـا لـيس يوهـب
إذا أنا لم أعـطِ المكـارمِ حقـها ... فلا عزني خـالٌ ولا ضـمني أب
ومن تكن العليـاءُ همـة نفسـه ... فكـل الذي يلقاه فيهـا محبـب

وقالت السيدة عائشة هانم التيمورية المتوفاة سنة 1320هـ:

بيدِ العفـاف أصـون عِـز حجـابي ... وبعصمتي أسمـو علـى أتـرابي
وبفكـرة وقّـادةٍ وقريحـةٍ ... نقّـادة، قـد كملـت آدابي
ما ضـرني أدبي وحسـن تعلمـي ... إلى بكونـي زهـرةَ الألبـابِ
ما عاقني خجلـي عـن العليـا، ولا ... سدلُ الخمـار بلمـتي ونقـابي
عن طي مضمار الرهان إذا اشـتكت ... صعب السباق مطـامح الركـابِ
بلّ صـولتي في راحـتي، وتفرسـي ... في حسن ما أسـعى لخـير مـآب

وقال المرحوم الشيخ عثمان الزناتي المتوفى سنة 1934م:

أرقت وأصحابي خليونَ نوم ... وما أنا ذو ثأر ولا أنا مغرم
ولكن هما بين جنبي هاجه ... علي ذوو القربى، عفا الله عنهم
فإن يك حلمي مد أعناق جهلهم ... فلا زلت فيهم يجهلون وأحلم
وما أنا ممن يغلب الجهلُ حِلمه ... وينزو على الأعراض أو يتهجم
ولكن صفوح حين أظلم قادرا ... وإن كنت في بعض الأحايين أظلم
فإن كان حلم القادرين مذلةً ... فإني ذليلٌ غير أني مكرم
هموا ثلموا عِرضي لغير جريرةٍ ... سوى أنهم مني وأنيَ منهم
أوطّئُ أكنافي لهم وأحوطهم ... من الدهر لا أشكو ولا أتبرم
يطولُ علي الليل إن طالّ ليلهم ... ومهما يطلْ ليلي فهم عنه نوم
وينكر أدناهم علي فضائلي ... وما ضرني إنكاره وهو يعلم

الباب الثالث: في شكوى الزمان والحال

قال الشنفرى[1] المتوفى سنة 510هـ:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم	**فإني لقوم سواكم لأميل**[2]
فقد حمت الحاجات والليل مقمر	**وشدت لطياتٍ مطايا أرحل**[3]
وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى	**وفيها لمن خاف القلى متعزل**[4]
لعمرك ما في الأرض ضيق على امرئٍ	**سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل**[5]
ولي دونكم أهلونَ سيد عملّس	**وأرقط زهلولٌ وعرفاءُ جيأل**[6]
هم الأهل مستودع السر ذائع	**لديهم ولا الجاني بما جر يخذلُ**[7]
وكل أبي باسلٌ غير أنني	**إذا عرضت أولى الطرائدِ أبسل**[8]

(1) هو ثابت بن أوس الأزدي الشاعر المشهور من أهل اليمن من شعراء الطبقة الثانية ومن جيد شعره هذه القصيدة المشهورة بلامية العرب مات سنة 510م، والشنفرى: هو العظيم الشفتين وهو شاعر الأزد من العذائين. وكان في العرب من العدائين من لا تلحقه الخيل، منهم هذا وسليك بن سليكة، وعمر بن برق، وأسير بن جابر، وتأبط شرا - وكان الشنفرى حلف ليقتلن من بني سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين وكان إذا وجد الرجل منهم يقول الشنفري لطرفك ثم يرميه فيصيب عينيه، فاحتالوا عليه فأمسكوه وكان الذي أمسكه أسير بن جابر أحد العدائين وقد رصد له حتى نزل في مضيق ليشرب الماء فوقف له فيه فأمسكه ليلا ثم قتلوه فمر رجل منهم بجمجمته فضربها برجله فدخلت فيها شظية من الجمجمة فمات منها فتمت القتلى مائة والله أعلم بذلك.

(2) مطا جد في السير. والمطية الدابة تمطو في سيرها جمعها مطايا ومطى.

(3) حم الأمر حماقضى، والطيات جمع طية وهي النية.

(4) نأى عنه بعد، والقلى بكسر القاف شدة الكراهة وتعزل عنه تنحى.

(5) المعنى وحياتك أن الأرض لا تضيق على الإنسان العاقل الذي يستعمل عقله في إدراك المرغوب وترك المرهوب.

(6) السيد، بالكسر: الأسد والذئب، والعملس، بفتح العين والميم واللام المشددة: القوي على السير السريع والذئب الخبيث والأرقط: النمر، والزهلول، كعصفور: الأملس، والعرفاء: الضبع لكثرة شعر رقبتها الذي هو بمنزلة عرف الفرس، وجيألة وجيأل ممنوعتان من الصرف، وجيل، بلا همزة: الضبع.

(7) جر على نفسه وغيره جريرة أي ذنبا والجريرة الذنب والخيانة.

(8) الأبي كعلي: من يكره الدنايا ولا يحتمل الضيم والباسل: الأسد الشجاع والطريدة: ما طردته وأبعدته =

وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن ... بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل[1]
وما ذاك إلا بسطةٌ عن تفضلٍ ... عليهم، وكان الأفضلَ المتفضل[2]
وإني كفاني فَقد من ليس جازياً ... بحسنى ولا في قُربه متعلل[3]
ثلاثة أصحاب: فؤاد مشيع، ... وأبيض إصليت، وصفراء عيطل
هتوف من المُلْس المتون يزينها ... رصائع قد نيطت إليها ومحمل[4]
إذا زلّ عنها السهم حنت كأنها ... مرزأةٌ ثكلى ترنّ وتعول
ولست بمهياف يعشى سوامه ... مجدّعةً سقبانها وهي بهل[5]
ولا جبأٍ أكهى مربٍ بعرسه ... يطالعها في شأنه كيف يفعل[6]
ولا خرقٍ هيقٍ كأن فؤاده ... يظل به المُكاءُ يعلو ويسفل[7]

=
من ناحية وضممته إليك من الصيد والفرسان.

(1) الجشع بالتحريك: شدة الحرص وأسوؤه أخذ الإنسان نصيبه والطمع في غيره.
(2) المعنى: وما دعاني إلى ذلك إلا توسعي بالفواضل عليهم لأن أفضل القوم هو المتفضل عليهم.
(3) تعلل بالأمر تشاغل وشيع فلان شجعه ويأتي أيضا بمعنى خرج معه ليودعه، والإصليت السيف الصقيل الماضي والبطل والقوس الطويلة العنق الصلبة المتن.
(4) قوس هتوف ذات صوت حنون، والملس الناعمات والمتون جمع متن بمعنى الصلب والرصائع جمع رصيعة حلية السيف المستديرة أو كل حلقة مستديرة في سيف أو سرج أو غيره، ونيطت إليها علقت بها وزل السهم عن القوس خرج منها بسرعة والمرزأة المصابة بالرزايا، والثكلى الفاقدة أولادها، وأعول رفع صوته بالبكاء والصياح (المعنى) قوس طنانة رنانة من نبات مزينة بالحلى ترن عند خروج السهم منها بحنين كأنها امرأة عاجلها فقد ابنها الغالي فهي تبكي وتعول لفقده.
(5) المهياف: السريع العطش، والسوام: الإبل الراعية، وناقة باهل لاصرار عليها ولا خطام ولا سمة لها، يقال بهلت الناقة حل ضرارها أو مجدعة محبوسة على غير علف وسقبان جمع سقب وهو ولد الناقة.
(6) جبأ كنصر: جبن والأكهى الجبان الضعيف ومرب بعرسه أي زوجته لزمها وقعد معها كأرب (المعنى) ولست بالجبان الضعيف الذي يلازم قرينته ويطلعها على أمره ويأخذ رأيها فيه.
(7) الخرق: ككتف الذي يندهش ويبهت لأقل شيء والهيق الواحد من النعام ويسمى بالظليم، والمكاء كرمان: نوع من الطير.

ولا خـــالفٍ داريـــــةٍ متغـــزلٍ يروح ويغدو داهنـــًا يتكحـــل[(1)]
ولست بعلّ شـره دون خـيره ألف إذا ما رعته اهتـاج أعـزل[(2)]
ولست بمحيار الظلام إذا انتحـت هدى الهوجل العسيف يهماء هوجل[(3)]
إذا الأمعز الصوان لاقـى مناسمي تطاير منـه قـادح ومفلـل[(4)]
أديـم مطال الجـوع حتى أميتـه وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل[(5)]
وأستف ترب الأرض كي لا يرى لـه علي من الطول امـرؤ متطـول[(6)]
ولولا اجتناب الذّام لم يلف مشرب يعـاش بـهِ إلا لـدي ومأكـل[(7)]
ولكن نفسا حرةً لا تقيـم بـي على الضيم إلا ريثمـا أتحـول[(8)]

---

(1) يقال فلان خلفه أهل بيته وخالفهم بمعنى أنه غير نجيب لا خير فيه إذ أنه يقعد بعدهم ويأتي خالف بمعنى أحمق والدارية الملازم لبيته.

(2) العل الصغير الجسم الضعيف والألف الرجل الثقيل اللسان العي بالأمور والأعزل الخالي من السلاح (المعنى) ولست من سقط الرجال الذين يخشى شرهم ولا يرجى خيرهم الذين يرتبكون في الأمور ويرتاعون لكل مروع حيث لا سلاح لهم يقيهم من الخوف.

(3) يقال نحاه وانتحاه بمعنى قصده، الهوجل المفازة البعيدة لا علم ا، والناقة ا هوج من سرعتها والرجل الأهوج والدليل والعسيف صيغة مبالغة من عسف في السير خبط فيه خبط عشواء، واليهماء عند أهل البادية السيل والجمل الهائج الصئول، وعلى ذلك يمكن أن يقال ناقة يهماء.

(4) المعز: الصلابة، ومكان المعز: صلب وأرض معزا: صلبة، والصوان نوع من الحجارة شديدة الصلابة، والمنسم كمجلس خف البعير، والمفلل المكسر والمراد بالقادح هنا الحجر الذي يضرب بغيره فيفتته ويخرج منه الشرر.

(5) صفحا إما مصدر من صفح عنه أرض مفعول لـه على معنى أصرف عنه التذكر إعراضا عنه وإما ظرف بمعنى الجانب على معنى أنحى التذكر عنه جانبا كما تقول ضعه جانبا.

(6) الطول: الفضل والإنعام وتطول عليه امتن وأنعم.

(7) الذام العيب والذم (المعنى) ولولا أني أخشى العار والمذمة التي تلحق الباذلين ماء وجوههم لأجل المأكل والمشرب لكان عندي من أشكالها وألوا ا كل ما تشتهيه الأنفس.

(8) الضيم: الذل؛ وريثما معناها مقدار ما.

وأطوي على الخمص الحوايا كما انطوت | خيوطـة ماري تغـار وتفتـل[1]
وأغدو على القوتِ الزهيد كما غدا | أزل تهاداه التنـائف أطحـل[2]
غدا طاويا للريح يعـارض هـافيا | يخوت بأذناب الشعـابِ ويعسِل[3]
فلما لواه القوت من حيـث أمـه | دعـا، فأجابته نظـائر نحـل[4]
مهلّلةٌ شيب الوجـوه كأنـها | قِداح بكفّـي ياسـرٍ تتقلقـل[5]
أو الخشرم المبعوث حثحث دبـره | محابيض أرساهن سـامٍ معسـل[6]
مهرتةٌ فـوه كـأن شـدوقهـا | شقوق العصي كالحـات وبسل[7]
فضج وضجت بـالبراح كأنـها | وإياه نوح فـوق عليـاء ثكّـل[8]

(1) الخمص: الجوع والحوايا جمع حوية كغنيمة ما تحوي وانطوى بعضه على بعض من الأمعاء والخيوطة جمع خيط، وماري اسم صانع مشهور يفتل الخيوط وأغار شد الفتل (المعنى) وأضمر أمعائي بالجوع حتى تصير مثل الخيوط يشد فتلها ماري المشهور بفتل الخيوط.

(2) الزهيد: القليل والأزل السريع والموصوف به هنا الذئب بدليل ما بعده، التنوفة المفازة والأرض الواسعة البعيدة الأطراف أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس، وإن كانت معشبة وجمعها تنائف، والطلحة لون بين الغبرة والسواد ببياض قليل وذئب اطحل لونه الطحلة.

(3) غدا طاويا أي بكر بالضرب في الأرض جائما ويعارض الريح يسابقه وهافيا مسرعا، وخات البازي انقض على الصيد وخات الرجل اختطف، وأذناب الشعاب أطراف الأراضي التي بين الجبال، وعسل الذئب يعسل عسولا وعسلا: اشتد اهتزازه في عدوه.

(4) لواه القوت قتله وضمره، وأمه قصده، ونظائر نحل يعني أمثاله.

(5) المهللة: الضامرة المنقوشة، والقدح: جمع قدح وهو السهم قبل أن يراش ويركب عليه نصله.

(6) الخشرم كجعفر: جماعة النحل وأمير النحل ومأواها، وحثحث كحث حض وحرض والدبر بفتح الدال: جماعة النحل، ومحابيض جمع محبض كمنبر: عود يشتار به العسل أو يطرد به الدبر، وهي هنا منصوبة على نزع الخافض والمعنى إلى محابيض، وراسى: وقف وأوقف، وسام: مرتفع ومعسل: طالب العسل.

(7) المهرتة الواسعة، والفوه جمع الأفوه وهو الواسع الفم أو الذي يخرج أسنانه من الشفتين، والشدوق أطراف الفم من باطن الخدين، وكالحات شديدة العبوس، وبسل كريهات المنظر.

(8) البراح كسحاب المتسع من الأرض التي لا زرع بها ولا شجر.

وأغضى وأغضت واتسى واتست به مراميل عزاهـا وعزتـه مرمـل[1]
شكاو شكت ثم أرعوى بعد وارعوت وللصبر إن لم ينفع الشكو أجمـل[2]
وفـاءٌ وفاءت بـادرات وكلهـا على نكظٍ ممـا يكاتـم مجمـل[3]
وتشرب أسآري القطا الكدر بعدما سرت قربا أحشاؤها تتصلصـل[4]
هممت وهمّت وابتـدرنـا وأسدلت وشمر مني فـارطٌ متمهـل[5]
فوليت عنهـا وهـي تكبـو لعقره يباشره منهـا ذقونٌ وحوصـل[6]
كأنّ وغاهـا حجرتيـه وحـولـه أضاميم من سفر القبائـل نـزل[7]

---

(1) أغضى على الشيء سكت، واتسى اقتدى والمرمل الذي نفد زاده، وعزاها سلاها على مصا ا (المعنى) ثم سكت فسكتت اقتداء به وسلاها على جوعها وسلته على مخمصته.

(2) الأرعواء النـزوع عن الجهل وحسن الرجوع منه (المعنى) شكوا فلما لم تنفع الشكوى رجعوا عنه وصبروا على الجوع - والصبر أحسن من الشكوى التي لاتفيد.

(3) فاء رجع، وبادرات مسرعات، والنكظ محركة الجوع الشديد.

(4) أسؤر: جمع سؤر وهو بقية الماء بعد الشرب والقطا: نوع من الطير صوته قطاطا وهو ثلاثة اضرب كدري وجوني وغطاط - فالكدر الغبر الألوان الرقش الظهور والبطون الصفر الحلوق وهو الطف من الجوني، والجوني السود البطون والأجنحة وهو أكبر من الكدري، والغطاط كسحاب، الغبر الظهور والبطون والأبدان سود بطون الأجنحة طوال الأرجل والأعناق لطاف لا تجتمع أسرابا بل أكثر ما يكون ثلاث واثنان الواحدة غطاطة ويقال إن القطا يطلب الماء على مراحل عديدة أبلغها بعضهم إلى عشرين .

(5) سدل ثوبه وشعره وأسدله: أرخاه وأرسله، وفرط القوم يفرطهم فرطا وفراطة فهو فارط تقدمهم إلى الورد لإصلاح الحوض والدلاء.

(6) تكبو تنكب على وجهها، والعقر بضم العين والمراد به هنا الماء في أقصى الحوض والذقون جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين، والحوصلة للطير كالمعدة للإنسان (المعنى) وقد انصرفت عنهم بعد ما رويت وتركتها تغمس بأذقا ا وحواصلها في الماء لترتوي من شدة العطش التي أصابتها من إجهادها نفسها في الطيران.

(7) الوغى كالفتى الصوت والجلبة، والحجرة الناحية والأضاميم جمع إضمامة بكسر الهمزة وهي الجماعة والسفر القوم المسافرون (المعنى) كان جلبتها بجانب الماء وحوله ضوضاء الجماعات من القبائل المسافرين عند حطهم من السفر.

توافين من شـت إليـه فضمهـا	**كما ضم أذواد الأصاريم منهـل**[1]
فعبت غِشاشا ثـم مرت كأ ـ ـا	**مع الصبح ركب من أحاظةَ مجعل**[2]
وآلف وجه الأرض عنـد افتراشها	**بأهـدأ تنبيه سناسـن قحـ ـلُ**[3]
وأعدِلُ منحوضـًا كـأنّ فصوصه	**كعاب دحـاها لاعب فهي مثَّلُ**[4]
فإن تبتئس بالشـنفرى أم قسـطل	**لما اغتبطت بالشنفرى قبل أطول**[5]
طريـد جنايـات تياسـرنَ لحْمـه	**عقيرتـه لأيهـ ـا حـ ـم أول**[6]
تنام إذا ما نـام يقظـى عيو ـ ـا	**حثاثًـا إلى مكروهـهِ تتغلغـل**[7]
وإلف هموم مـا تـ ـزال تعـوده	**عيادا كحمى الربع أو هـي أثقلُ**[8]

---

(1) توافين إليه: تلاحقن إلى الماء وشتى: أي من جهات متفرقة والأذواد: جمع ذود وهو جماعة الإبل والأصاريم، جمع صرم بكسر الصاد وهو: جماعة الأعراب.

(2) العب: جرع الماء وابتلاعه كتلة واحدة كما تفعل الحمامة في شر ا، وغشاشا: أي عبا قليلا عجلا غير مرئي، وإحاظة بن سعد بن عوف أبو قبيلة من حمير إليه ينسب مخلاف، إحاظة باليمن والمحدثون يقولون وحاظة واجفل النعام فهو مجفل حركها وطردها.

(3) الأهدأ المنكب المسترخي اللحم وتنبيه ترفعه والسناسن حروف فقار الظهر وقحل مجردة من اللحم.

(4) أعدل معناه هنا أسوي أو أفرش لرأسي وأجعل لها وسادة. ومنحوضا يعني ساعدا قليل اللحم: والفصوص المراد ا الأصابع والكعاب لعب على شكل الأقماع ودحاها بمعنى بسطها. ومثل معناها ماثلة وقائمة بين يدي اللاعب.

(5) تبتئس: تحزن وأم قسطل: الحرب واغتبطت: سرت وقرت عينا.

(6) كان من عادات العرب غير المحمودة إذا أرادوا أن تحصل لهم ميسرة بدون كبير كد ولا عظيم تعب أن يشتروا ناقة نسيئة وينحروها ويقسموا لحمها جملة أقسام ويجعلوا لها سهاما بعضها ذوات نصباء وبعضها غفل بلا نصيب ليستوفوا ببيعها بقدر زهيد ثمن الناقة ثم يقترعون السهام فيفوز من تخرج لهم ذوات الأنصباء ويحرم من تخرج لهم الغفل وهذه هي لعبة الميسر (القمار) المشهورة الفساد وحرمها الدين الحنيف والقوم الذين يجتمعون على الميسر يقال لهم: يسر، والناقة التي تذبح فيه يقال لها جزور. ويقال لها عقيرة لأ ا تعقر وتنحر ويقال تياسروا أي أخذوا الأنصباء من اللحم، ويقال حم بمعنى دنا وقرب.

(7) تنام أي الجنايات والمراد أصحا ا وحثاثًا: سراعا وتتغلغل: تدخل بشدة.

(8) الإلف والأليف: الحليف المعاود، والعودة والرجوع مرة بعد أخرى وربعت عليه الحمى جاءت ربعا يعني =

إذا وردت أصدر ــ ــا ثم إ ــ ــا **يؤوب فتأتي من تحيت ومن عـلُ**(1)

فإما تراني كابنة الرمـ ـل ضـاحيا **على رقـة أحفـ ـى ولا تنعـلُ**(2)

فإني لمولي الصـبر أجتـاب بـزه **على مثل قلب السمع والحزم أفعل**

وأعـْدِم أحيانا وأغـنى، وإنمـ ـا **ينـالُ الغنى ذو البعـدة المتبـذلُ**(3)

فلا جـزع من خـلة متكشـف **ولا مـرح تحت الغنـى أتخيـلُ**(4)

ولا تزدهي الأجهـال حلمي ولا أرى **سئولاً بأقعاب الأقويـل أنمـ ـلُ**(5)

وليلة نحس يصطلـي القوس ر ـا **وأقطعـه اللاتي ــ ـا يتنبـ ـلُ**(6)

دعست على غطش وبغش وصحبـتي **سعار وإرزيـز ووجـر وأفكـل**(7)

فأيمت نسوانا وأيتمـت ولـ ـدة **وعدت كما أبدأت والليل أليـلُ**(8)

=

ترددت عليه في كل أربعة أيام مرة تتركه في الثلاثة وتأتيه في الرابع وتسمى هذه الحمى حمى الربع.

(1) تؤوت: ترجع، المعنى كلما ثلرت علي جيوش الهموم وأحاطت بي من كل جانب ردد ا عني بعزم ماض وصبر جميل.

(2) فإما ترابي، بإهمال أن حملا على لو، كفراءة طلحة: فإما ترن بياء ساكنة ونون مفتوحة وابنة الرمل معناها الحية أو البقرة الوحشية، وضاحيا بارزا للشمس، وعلى رقة معناها سوء بالكسر ولد الذئب من الضبع يزعمون أنه لا يموت حتف انفه كالحية وأنه في عدوه أسرع من الطير ووثبة تزيد على ثلاثين ذراعا.

(3) أعدم، بالضم: أفتقر وذو البعد بالضم: أي صاحب الابتعاد في الأرض، والمتبذل: من لا يصون نفسه.

(4) الجزع: نقيض الصبر، الخلة: الحاجة والفقر والمرح: البطر والاختيال (المعنى) الفقر لا يظهر علي ترحـ ا والغنى لا يبدي منى مرحا.

(5) تزدهي: تستخف والأجها: جمع جهل شذوذا لأنه قياسه أجهل وجهل إلا أنه حسنه كون عينه الهاء الشبيهة بحرف اللين، والباء في "بأعقاب" بمعنى عن؛ والأنمل: النمام وهو نمل ونامل ومنمل كمجلس ومنبر، ونمال كشداد: نمام؛ وقد نمل كنضر وعلم، وانمل نم.

(6) اصطلى: استدفأ، والأقطع جمع قطع: وهو القضيب تبرى منه السهام وتنبل بالأقطع: اتخذها نبلا.

(7) ودعس عليه: كمنع هجم وفي الظلام دخل، والغطش: الظلمة والبغش: المطر الخفيف والسعار، بضم السين: شدة الجوع والإرزيز: برد صغار كالمنح: الوجد والحقد والغل والغيظ والأفكل الرعدة.

(8) أيمت نسوانا: يعني قتلت رجالهن فتركهن بلا أزواج، وأيتمت ولدة بكسر الواو جمع ولد يعني قتلت

=

وأصبح عني بالغميصـاء جالسـا — فريقان مسئولٌ وآخـر يسـأل،[1]

فقالوا: لقد هرت بليـل كلابنـ ـا — فقلنا أذئب عس، أم عس فرعل[2]

فمن يك إلا نبـأةٌ ثـ ـم هومـت — فقلنا قطـاة ريع، أم ريع أجدل[3]

فإنْ يك من جـن لأبـرح طارقًـا — وإن يك إنسا ماكهـا الإنس يفعل

ويوم من الشعرى يـذوب لُعابـه — أفاعيه في رمضـائـه تتململ[4]

نصبت لـه وجهي وذا الكن دونه — ولا ستر إلا الأتحمـ ـي المرعبـلُ

وضـاف إذا هبتٍ الريـح طيرت — لبائد عن أعطافـه مـا ترجـ ـلُ

بعيد بمس الدهن والفلـي عهـده — لـه عبس عاف مِن الغسل محول،[5]

وخرق كظهر الترس قفـر قطعتـه — بعاملتين ظهـره لـيس يعمـل[6]

=

آباءهم: وابدأت بدأت والليل أليل يعني طويل الظلمة.

(1) الغميصاء: موضع أوقع فيه خالد بن الوليد ﷺ ببني خذيمة.

(2) هر الكلب هريرا: صوت صوتا دون النابح وعس: طاف بالليل، والفرعل بالضم: ولد الضبع.

(3) والنبأة: الصوت الخفي وهوم: هز رأسه من النعاس، والقطا جمع قطاة نوع من الطير صوته قطا قطا والأجدل: الصقر وريع أخيف ولأبرح معناه لقد أتى بالبرح وهو الشدة وها في كها ضمير القصة دخلت عليه الكاف شذوذًا.

(4) الشعرى: نجم يطلع في شدة القيظ واللعا:ب معناه هنا ما تراه في شدة الحر كأنه منحدر من السماء إذا قام قائم الظهيرة ويكون على هيئة البخار أو على هيئة نسج العنكبوت ويسمى أيضا لعاب الشمس، والرمضاء: الأرض الشديدة الحرارة وتململ: تقلب، الكن: الستر والأتحمي: برد معروف، المرعبل: الممزق، وضاف صفة الشعر المحذوف ومعناه طويل، ولبائد، جمع لبدة وهي: الشعر المتراكم وأعطافه: جوانبه وترجل: تمشط (المعنى) وكم يوم من أيام الشعرى التي تتصاعد فيها الأبخرة وتتململ فيها الأفاعي من شدة الحر عرضت لـه وجهي بغير ستر ومشيت فيه ولا شيء على جلدي إلا ثوب ممزق وشعر مسترسل إذا هبت عليه الريح لم تطير منه إلا لبائد في كل جانب منه لم تمسه الأمشاط.

(5) الفلي: تفلية الرأس من القمل،. والعبس محركة: ما تعلق بأذناب الإبل من أبوالها وأوبارها يجف عليها، وعاف من الغسل: لم يغسل، والمحول: الذي أتى عليه بالحول.

(6) الخرق: الأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح وقفر: خالية من النبات والسكان والعاملتان: الرجلان وظهره ليس يعمل: أي ليس يسلك.

فألحقت أولاه بأخــراه موفيــاً ... على قنــة أقعــي مــرار وأمثل[1]
ترود الأراوي الضخم حـولي كأنها ... عذارى عليهــن الملاء المذيــل[2]
ويركدن بالآصــال حولــي كأنني ... من العصم أدفي ينتحي الكيح أعقل[3]

وقال الطغرائي يواسي معين الملك في نكبته:

فصبرا معين الملك إن عن حـادث ... فعاقبــةُ الصــبر الجميــل جميــلُ
لا تيأسن مــن صــنع ربــك إنــه ... ضــمين بــأن الله ســوف يــديلُ
فــإن الليــالي إذ يــزول نعيمهــا ... تبشــر أن النــائباتِ تــزول
ألم تر أن الليل بعــد ظلامــه ... عليــه لإســفار الصــباح دليــل
وأن هلال النضــو يقمــر بعــدما ... بدا وهو شــخت الجــانبين ضــئيل
فقد يعطف الدهر العســير قيــاده ... فيشــفي عليــل أو يبــلّ غليــل
ويرتاش مقصوص الجناحين بعــدما ... تســاقط ريــش واســتطار نســيل
ولا غرو إن أخنت عليــك فإنمــا ... يصــادم بالخطــب الجليــل جليــلُ
ما أنت إلا السيف يسكن غمــده ... ليشفي بــه يــوم النــزال فتيــلُ
أما لك بالصديق يوســف أســوةٌ ... فتحملَ وطء الــدهر وهــو ثقيــل

وقال المرحوم محمود باشا سامي البارودي وهو في منفاه:

محا البين ما أبقت عيون المها مــني ... فَشِبت ولم أقض اللبانةَ مــن سِــني
عنــاءٌ ويــأس واشــتياق وغُربــةٌ ... ألا شد ما ألقاه في الدهر من غُــبنِ
فإن أك فارقت الديار فلــي بهــا ... فؤاد أضــلته عيــون المهــا عــني

---

(1) أوفى عليه: أشرف، والقنة بضم القاف قلة الجبل وأقعى في جلوسه تساند إلى ما وراءه ومثل قام منتصبا.
(2) الرود الذهاب والمجيء والأراوي جمع روية بالضم والكسر وهي أنثى الوعول والعذارى جمع عذراء وهي البكر؛ والملاء بضم الميم نوع من الأردية المذيل طويل الذيل.
(3) الركوع السكون والثبات، والآصال جمع أصيل وهو العشي والعصم جمع أعصم وهو الوعل الذي في موضع المعصم منه، والأدفي الذي يميل قرناه ناحيتي ظهره وينتحي يتعمد: والكيح ناحية الجبل، وأعقل ممتنع في الجبل.

بعثت به يوم النـوى إثـر لحظـةٍ **فأوقعه المقدار في شـركِ الحُسـن**
فهل من فتى في الدهر يجمـع بيننـا **فليس كِلانا عن أخيـه بمسـتغني**
ولمـا وقفنـا للـوداع وأسـبلت **مدامِعنا فـوق الترائـب كـالمزن**
أهبت بصيري أن يعـود فخـانني **وناديت حِلمي أن يثوب فلم يغـن**
وما هـي إلا خطـرةٌ ثم أقلعـت **بنا عن شطوط الحَي أجنحة السفن**
فكم مهجةٍ من زفرة الوجد في لظى **وكم مقلةٍ من غَزرة الدمع في دجن**
وما كنت جربت النوى قبل هـذه **فلما دهتني كِدت أقضي من الحزن**
ولكـنني راجعـت حلمـي وردني **إلى الحزم رأي لا يحوم علـى أفـن**
ولولا بنيـات وشـيب عواطـلٌ **لما قرعت نفسي على فائتٍ سِـني**

وقال المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم

لم يبق شيء مـن الـدنيا بأيـدينا **إلا بقيـــةُ دمـــع في مآقينـــا**
كُنا قِلادة جيدِ الـدهر وانفرطـت **وفي يمين العـلأ كنـا رياحينـا**
كانت منازلنـا في العـز شـامخة **لا تشرق الشـمس إلا في مغانينـا**
وكان أقصى منى ـر ا ـرة لـو **من مائه مزجـت أقـداح سـاقينا**
والشهب لو أ ا كانـت مسـخرةً **لِرجم من كان يبدو مـن أعادينـا**
فلم نزل وصروف الـدهر ترمقنـا **شزرا وتخـدعنا الـدنيا وتلـهينا**
حتى غدونا ولا جـاه ولا نشـب **ولا صـديق ولا خِـل يواسـينا**

وقال أيضا في شكوى الزمان والحال:

سعيت إلى أن كِدت أنتعلُ الـدما **وعدت وما أعقبـت إلا التنـدما**
سلام على الـدنيا سـلام مـودعٍ **رأى في ظلام القبر أنسـا ومغنمـا**
تبلّغَ بالصـبر الجميـل وبالأسـى **زمانـا وجادتـه المنـى فتأدمـا**
أضرت بـه الأولى فهـام بأختـها **وإن ساءَت الأخرى فويلاه منـهما**

فهبي رياح الموت نكباءَ واطفئي سراج حياتي قبلَ أن يتحطّما
فما عصمتني من زماني فضائلي ولكن رأيت الموت للحر أعصما
فيا قلب لا تجزع إذا عضك الأسى فإنك بعد اليوم لن تتألما
ويا عين قد آن الجمود لمدمعي فلا سيلَ دمع تسكُبين ولا دما
ويا يد ما كلفتكِ البسطَ مرةً لذي منة أولى الجميلَ وأنعما
فلله ما أحلاكِ في أنمل البلى وإن كنتِ أحلى في الطروس وأكرما
ويا قدمي ما سرتِ بي لمذلةٍ ولم ترتقي إلا إلى العز سلما
فلا تبطئي سيرا إلى الموت واعلمي بأنّ كريم القوم من مات مكرما

وقال السيد أحمد الهاشمي يشكو ما أصاب الشرق:

قَضيت شبيبتي وبذلت جهدي فلم تكن الحياةُ كما أريد
إلى كم أستحِث النفس عزما وكم أسعى، وغيري يستفيد؟
نهضت، فقيلَ: أي فتى؟ فلما خبرت الأمر أعجبني القُعود
وإني بعد مجهدةٍ وقومي كضاريةٍ وقد برد الحديد
وحيد بينهم ولعلّ يوما عصبيا فيه يفْتقَد الوحيد
لنا في الشرق أوطانٌ، ولكن تضيق بنا كما ضاقت لحُود
تنازع أهلها فلكل حِزبٍ حِمى، ولكل مملكة عميد
نقيم ا على ذُلٍّ وفقر ونظمأ لا يسوغ لنا الورود
أكاذيب السياسة بينات تكيد ا الحكومة ما تكيد
وعود كلها كذِب وزور فكم وإلام تخدعنا الوعود؟
إذا ما الملك شيد على خِداعٍ فلا يبقى الخداع ولا المشيد
ومن لم يتخذْ ملكًا صحيحا فلا تغني الممالك والحدود
وقالوا دولةٌ نشأت حديثًا تؤيدها السياسة والعهود

كذبتم ما لنا في الأمر شيءٌ … فقولوا: إننا شعب عبيد

وقالوا: أمة نهضت تداعي … بحق كاد طالبه يبيد

تفرّق أهلها ومضى بنوها … وفي أرواحهم عزم عتيد

أرى الأملَ الذي نحيا عليه … أضاءَ من الصباح له عمود

خذوا بنفوسكم طرق المعالي … فدهركُم عِصامي عنيد

وجرح الشرق يضمده بنوه … وهل يتلاءم الجُرح الفصيد؟

نيام أغرقوا في النوم حتى … أشيع بأنهم شعب بليد!

أرى الحرية اختضبت دماءً … وقد خفقت لطلبها بنود

وأقسم أنّ عاشقها زعيم … بخطبتها لو قطع الوريد

رخيص كل ما بذلوه فيها … ولا تغلو النفوس ولا النقود

إذا جعلت لها الأرواح مهرا … فإن عهدها كتب الخلود

يسوم المجد طالبه بغالٍ … ولا يطغى به الثمن الزهيد

إذا سهل النزول إلى حضيض … يشق إذًا إلى القِمم الصعود

وقال أحمد شوقي بك يشكو ما أصاب دمشق من ظلم فرنسا بعد الحرب الكبرى:

قم ناج "جِلق" وانشد رسم من بانوا … مشت على الرسم أحداثٌ وأزمانُ

هذا الأديم كتاب لا كِفاءَ له … رث الصحائفِ، باقٍ منه عنوان

الدين والوحي والأخلاق طائفةٌ … منه وسائره دنيا وبهتان

ما فيه إن قُلبت يوما جواهره … إلا فرائح من رادٍ وأذهان

بنو أمية للأنباءِ ما فتحوا … وللأحاديثِ ما سادوا وما دانوا

كانوا ملوكًا سرير الشرق تحتهم … فهل سألت سرير الغربِ ما كانوا؟

عالين كالشمس في أطراف دولتهم … في كل ناحيةٍ ملكٌ وسلطان

يا ويح قلبي مهما انتاب أرسمهم … سرى به الهَم أو عادته أشجان

بالأمس قمت على الزهراء أندبهم واليوم دمعي على الفيحاءِ هتان
في الأرض منهم سماوات وألوية ونيرات وأنواءٌ وعقبان
معادن العز قد مال الرغام بهم لو هانَ في تربهِ الإبريز ما هانوا
لولا دِمشق لما كانت طُليطلةٌ ولازهت ببني العباس بغدان[1]
مررت بالمسجدِ المحزون أسأله هل في المصلى أو المحراب مروان
تغير المسجد المحزون واختلفت على المنابر أحرار وعبدان
فلا الأذان أذانٌ في منارته إذا تعالى ولا الآذان آذان
آمنت باللهِ واستثنيت جنته دِمشق روح وجنات وريحان
قال الرفاق وقد هبت خمائلها الأرض دار لها الفيحاء بستان[2]
جرى وصفّق يلقانا بها بردى كما تلقّاك دون الخلد رضوان[3]
دخلتها وحواشيها زمردةٌ والشمس فوق لُجين الماء عِقيان[4]
والحور في (دسر) أو حول (هامتها) حور كواشف عن ساقٍ وولدان[5]

---

(1) إحدى لغات كثيرة في بغداد.

(2) الفيحاء: من أسماء دمشق والخمائل جمع خميلة وهي الشجر الكثير الملتف.

(3) يقول: إن مكان (بردى) من دمشق كمكان رضوان خازن الجنان من جنة الخلد، فهو دليل ضيوفها إليها، يؤنسهم بما على ضفافه من غياض تأوي إليها السعادة، ومقاصف لا تبلغها الهموم وقوله: (جرى وصفق) من قولهم، صفق فلان الشراب، أي حوله من إناء إلى إناء ليصفيه وقد وصف حسان بن ثابت نهر بردى بذلك يوم نزل على أمراء غشان في البريص، وهي غوطة دمشق، فقال:

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

(4) العقيان الذهب الخالص.

(5) الحور في صدر البيت: شجر باسق معتدل القامات يملأ غياض دمشق، وقد شبهه بحور الجنان كاشفات عن سوقهن، لأن اعالي هذه الأشجار مكسوة أوراقها وسائرها عريان، "دمر" و"الهامة" من متنزهات دمشق في وادي بردى.

و(ربوةُ) الوادي في جلباب رافصــةٍ ... الساق كاسيةٌ والنحــر عريــان(1)
والطير يصدح مِن خلفِ العيون ا ... وللعيون كمــا للطــير ألحــان(2)
وأقبلت بالنبــاتِ الأرض مختلفًــا ... أفوافه، فهــو أصــباغٌ وألــوان(3)
وقد صفى (بردى) الريح فابتردت ... لدى ســتور حواشــيهن أفنــان(4)
شِيدوا لها المُلك وابنوا ركن دولتها ... فالمُلك غــرس وتجديــد، وبنيــان

وقال الشاعر المطبوع السيد خير الدين أفندي الزركلي في سورية الشهيدة من قصيدة:

الأهل أهلي، والديــــار ديــاري ... وشعار "وادي النيــرين" شــعاري
ما كــان مــن ألم "بجلّــق" نــازل ... واري الزنــــاد، فزنـــده بي واري
إنّ الـــدم المهـــراق في جنبا ـــا ... لـــدمي، وإن شِـــفارها لشـــفاري
دمعي لما منيــت بــه جــارٍ هنــا ... ودمي هناك علــى ثراهــا جــاري
يا ولمض البرق اطمــئن ونــاجني ... إن كنت مطلعــا علــى الأســرار
ماذا هنــاك فــإنّ صــوتا راعــني ... والصوت فيــهِ جفــوة الإذعــار

---

(1) يقول: إن ربوة هذا الوادي على خلاف ما فيها من أشجار الحور، فإذا كانت الأشجار كاسية النحور عارية السوق فإن جبال الربوة كاسية الساق بما فيها على سفحها من أشجار ومرج وأزهار، بينما نحرها عريان لتجرد أعالي تلك الجبال من خضرة النبات وأفواف الزهور و(الربوة) هي متنــزه دمشق الغريب وصفها الله تعالى في القرآن الحكيم بقوله: **ربوة ذات قرار ومعين** قال ياقوت في معجم البلدان: هي موضع ليس في الدنيا أنزه منه.

(2) العيون عيون الماء يسمع خريرها مع ألحان البلابل والعصافير في الجبال والأودية.

(3) جمع فوف نوع من الثياب والمراد هنا الزهر.

(4) بردى هو ر دمشق، وينبع من جبال الزبداني على مسافة أربعين كيلو مترا ونيف من دمشق في شمالها الغربي، وينحدر في وادي بردى حتى إذا بلغ ينبوع (الفيجة) انضم هذا إليه، ثم ينفصل عنه (ر يزيد بن معاوية) نحو الشرق في لحف الجبل قاسيون وينفصل عنه بعد ذلك ر ثورا فيجري في جنوب ر يزيد، ثم ينفصل عن بردى ر (بانياس) والقنوات ويدخل بردى مدينة دمشق من مرجتها الشهيرة، حتى إذا ارتوت منه بساتينها وضواحيها الشرقية انصب في بحيرة المرج، وكان السريانيون يسمون بردى (ر أبانا) وسماه اليونان (خريستو ورثه) أي مجرى الذهب.

النار محدقـةٌ "بجلّـق" بعـد مـا تركت "حماةَ" على شـفيرٍ هـار
تنساب في الأحياءِ مسرعة الخطـى تأتي علـى الأطمـارِ والأعمـار
والقـوم منغمسـونَ في حمئا ـا فتكـا بكـل مـبرإٍ صبـار
الطفل في يد أمـه غـرض الأذى يرمـى، وليـس بخـائض لِغمـار
والشيخ متكِئًـا علـى عكـازهِ يرمى، ومـا للشـيخ مـن أوزار

وقال أيضا سعادة الشاعر الجليل فؤاد الخطيب:

يا ساهر الليـل، مـا للـبرق يـأتلِق والمُزن ترعـد والأنـواء تصـطفق
هل بالطبيعـة مـا بي؟ أم ألـم ـا ما بالديار فثـارت - كلـها حنـق
مربـدةً لم يهـريم في جوهـا قمـر ولا تـنفس في أطرافهـا فلَـق
قدت مـن الليـل سـربالاً يجللـها وحف الذبول فلم يسفر لهـا أفـق
مرأى يمثـل هـولَ الحـزن مختبطًـا بين الجوانح سـدت دونـه الطـرق
أبصرت بالعين ما استشعرت من كمد في الـنفس لج بـه التـبريح والأرق
ويح الهمـومِ كـم أرخـت أعِنتهـا شـعثًا تـدفّق أرسـالاً وتسـتبق
هوجاء تسمع منـها كلمـا اقتربـت صوت السلاسل فوق الصخر تنـزلق
ْـوي إليّ وأهـوي مطـبقين معـا حـتى نصـرع ملـتفين نعتنِـق
هاجت وهجت فكانـت ثم ملحمـة دارت وسال دمي يجري بـه العـرق

الباب الرابع في وصف الشعر - آراء الحكماء والشعراء فيه

إن من الشعر لحكمة. قال أفضل الخلق على الإطلاق سيدنا محمد ﷺ: «**سمي الشاعر شاعرا لفطنته**». (الأخفش)

وجد الشعر حينما وجد السحر شقيقين ليس يفترقان. (إلياس فياض)

إن المنشئ يولد مطبوعا على الإنشاء، كما يولد الشاعر مطبوعا على النظم.

والشعراء لسان حال الأمة، وتراجمة شعورها، وعنوان إحساسها.

والشعر العصري أضاف إلى معارفنا معاني جديدة يرقى ا الخيال، وتتسع ا التصورات المبنية على الحقائق. (الهلال)

الشعراء زينة ا الس. (الأمين بن هارون الرشيد)

الشاعر العربي الذي يمكن أن يترجم أكثر شعره من غير أن تفقده الترجمة جماله هو شاعر الحقائق. (الدكتور شبلي شميل)

الشعر عاطفة ذائبة، أو فكرة متوقدة، أو خاطرة عميقة سبكت في قالب موزون الكلام والنغمة. (الآنسة مي)

ما الشعر إلا تصوير الخيال والشعر النفسي في شكل الأشعار التي تدنيه من أفهام الناس، فقدر الشعر ورقته وبلاغته يكون على قدر تنبه إحساس الشاعر ورقة عواطفه.

(وسيلة محمد)

خلق الشاعر سمحا طروبا ... (شوقي)

الشعر إله قديم مات ودفن في العواطف الراقية، فجعل شعور النفس كفنا لـه، كلما تحركت العواطف ولمس الكفن استيقظ ذلك الإله وملأ الدنيا أنينا مدهشا.

(توفيق مفرح)

ولولا خلاً سـنها الشـعر مـا درى بغاة المعالي كيـف تـبنى المكـارم
أرى الشعر يحيي الجود والبأس بالذي تبقيـه أرواح لـــه عطــرات
وما المجد لـولا الشـعر إلا معاهـد ومـا النـاس إلا أعظـم نخـرات

(أبو تمام)

أجلّ الشعر ما في البيت منه غَرابة نكتة أو نوع لُطف
وبئس الشعر بيت ليس فيه أماكن غير حيطان وسقف
للشعر في كل عصر مركب خشن لا يستقل عليه الراكب الوهن

(ناصيف اليازجي)

ليس شعرا إلا الذي كُلّ بيتٍ فيهِ معنى يدعو إلى الأسماع

(خليل اليازجي)

وخير الشعر ما أوحاه طبع فكانَ له بأفئدة دبيب
معانيه قد اتسقت بلفظ يكاد لفرط رقته يذوب

(عيسى المعلوف)

الشعر كالمرآةِ يرسم فيه عقل الناظِم

(إبراهيم الحوراني)

وما الشعر إلا الشهد والسحر والطلى يجلي المنى، يرقي العقول ويسكر
وما الشعر لا أدري وأدري لأنني تصورته لكنه لا يصور

(فائز السمعاني)

أنصت فكل لسان شاعر هزج حتى الكواكب والأقمار والشهب

(المقتطف)

لا يحسن الشعر إلا وهو مبتكر وأي حسن لشعر غير مبتكر
وأجود الشعر ما يكسوه قائله بوشي ذا العصر لا الخالي من العصر
هو الشعر لا أعتاض عنه بغيره ولا عن قوافيه ولا عن فنونه
إذا كانَ من معنى الشعور اشتقاقه فما بعده للمرء غير جنونه

(معروف الرصافي)

انظـم الشـعر ولازم مذهبـي ... في اطراح الرفـد لا تبـغ النحـلْ
فهو عنوانٌ على الفضـل ومـا ... أحسـن الشـعر إذا لم يبتـذلْ

(ابن الوردي)

الشـعر در والخيـال بحـور ... والفكر فلـك في العبـاب يمـور
والشعر ما ابتكر الـذكاء موالـدا ... معنى لـه يرتـاح منـك شـعور
فإذا أتـى نظمـا فتلـك صـناعةٌ ... أخرى جلاهـا الطبـع والتحريـر

(سليم عنجوري)

وقال دعبل بن علي الخزاعي يصف الشعر الخالد:

يقول إنْ ذاق الردى مات شـعره ... وهيهات عمر الشعر طالت طوائله
سأقضي ببيت يحمد النـاس أمـره ... ويكثر من أهل الروايـة حاملـه
يموت رديء الشعر من قبل أهلـه ... وجيده يبقى، وإن مـات قائلـه

العناية بلغة الشعر لعدي بن الرقاع:

وقصيدة قـد بـت أجمـع بينـها ... حتى أقـوم ميلـها وسنادهـا
نظر المثقـف في كعـوب قناتـه ... حتى يقيـم ثقافـه منآدهـا

سحر البيان لأبي تمام:

كشفت قناع الشعر عن حر وجهه ... وطيرته عن وكـره وهـو واقـع
يغرّ يراها مـن يراهـا بسـمعه ... ويدنو إليها ذو الحجا وهو شاسـع
يـود ودادا أنّ أعضـاء جسـمه ... إذا أنشدت شوقًا إليهـا مسـامع

وصف قصيدة لابن الرومي:

نظم الفكر درهـا غـير مثقـو ... ب إذا الـدر شـين بالتثقيـب
لن يعبها سوى قـواف تشاغلـ ... ـن عن المدح فيـك بالتشـبيب
يطرب السامعين أيسر مـا فيـ ... ـها وإن أنشدت بـلا تطريـب
سودت فيك كل بيضـاء تسويـ ... ـدا تـراه العيـون كالتـذهيب

لو يناغي بيا ـا العجـم يومـ ـًا عرب العجـ ـم أيمـ ـا تعريـ ـب

سير الشعر للمتنبي:

وما الدهر إلا مـن رواة قصـائدي إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

فسار بـه من لا يسـير مشـمرا وغنـى بـه من لا يغـني مغـردا

أجزني إذا أنشـدت شـعرا فإنمـا بشعري أتـاك المـادحون مـرددا

سهولة الشعر لبشار بن برد:

عميت جنينا والذكاء مـن العمـى فجئت عجيب الظن للعلم مـوئلا

وغاض ضياء العين للعلـم رافـدا لقلب إذا ما ضيع النـاس حصـلا

وشعر كزهر الروض لاءمت بينـه بقول إذا ما أحزن الشـعر أسـهلا

شعر فيكتور هيجو للمرحوم حافظ بك إبراهيم:

ما ثغـور الزهـر في أكمامهـ ـا ضاحكاتٍ من بـ ـكاء السـحب

نظـم الـوسمي فيهـ ـا لؤلـؤا كثنـ ـايا الغيـ ـد أو كالحبـ ـب

عند من يقضي بأ ـ ـى منظـ ـر مـن معانيـ ـهِ الـتي تلعـب بي

بسمت للذهن فاسـتهوت نهـى مغرم الفضـ ـل وصـب الأدب

وقال أيضا المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف طيارة:

يجـ ـري بسـ ـابحةٍ تشـ ـق سبيلهـ ـ ـ ـا شـ ـ ـ ـق الإزار

وتكـاد تقـدح فـ ـي الأثـ ـ ـ ـير فيسـتحيل إلـى شـرار

مثـ ـلَ الشهـ ـاب انقـض في آثـ ـ ـار عِفريـ ـت وطـ ـ ـار

فإذا علـت فكدعـ ـوة المضـ ـ ـ ـطر تختـ ـ ـرق السـ ـتار

وإذا هـوت فكمـ ـا هـ ـوت أنثـى العقـاب علـى الهـزار

وتسِـ ـ ـ ـف آونـ ـ ـ ـةً وآ ونـ ـَـةً يحيـ ـد ـ ـا ازورار

فيخالهـ ـا الـ ـراؤون قـ ـد فـ ـرت وليـ ـس ـ ـا فـرار

لعـب الجـَ ـواد أقـ ـل ليـ ـ ـ ـتًا مـن قُضاعـ ـة أونـزار

أو كـالقــلوب مــن الحمــا ئــم فــوق ملعبــهِ اســتطار
وكأ ـا فــي الأفْــق حــ ــين يميــل ميــزان النهــار
والشمــس تلقــي فوقهــا حــلل اصفــرار واحمــرار
مــلك تمثّــله لنــا السـ ـيما فيأخــذنــا انبهــار

وقال أيضا المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف زلزال صقلية 1909م:

نبئــاني إن كنتمــا تعلمــان ما دهى الكــونَ أيهـا الفَرقـدان
غَضِبَ الله أم تمــردت الأر ض فأنحَت على بنــي الإنســان
لــيس هــذا ســبحانَ ربي ولا ذا ك ولكــن طبيعــة الأكــوان
غليــانٌ في الأرض نفــس عنــه ثــورانٌ في البحــر والبركــان
رب أين المفــر والبحــر والبــر على الكيد للــورى عـاملان؟
كنت أخشى البحار والموت فيهـا راصــد غفــلة مــن الربــان
سـابح تحتنــا مطــل علينــا حائم حولنـا منــاءٍ مــداني[1]
فـإذا الأرض والبحــار ســواءٌ في خلاق كلاهمــا غــادران[2]

وقال البحتري يصف سيفًا:

يتنــاول الــروح البعيــد منالــه عفوا ويفــتح في القضــاء المقفَــل
يغشى الوغى فالترس لــيس بجــنة من حده والــدرع لــيس بمعقِــل
ماض وإن لم تمْضِــه يــد فــارس بطــل ومصــقولٌ، وإن لم يصــقل
مصغ إلى حكم الردى فإذا مضــى لم يلتفــت، وإذا قضــى لم يعــدِل
متوقــد يــبري بــأول ضــربة ما أدركت، ولــو أ ــا في يــذْبل
فإذا أصاب فكــل شــيءٍ مقتــلٌ وإذا أُصيب فما لــه مــن مقتــل

---

(1) مناء مدان: مقارب.

(2) الخلاق: الحظ أو الدين وإنما يكون ذلك في الخير ولكن الشاعر توسع في استعمال الكلمة.

وقال فقيد الأدب السيد مصطفى لطفي المنفلوطي يصف القلم:

كم أثار اليراع خطبا كمينا — وأمات اليراع خطبا مثارا
قطرات من بين شقيه سالت — فأسالت من الدما أنهارا
كان غصنا فصار عودا ولكن — لم يزل بعد يحمل الأثمارا
كان يستمطر السحاب فحال الـ — أمر فاستمطر العقول الغزارا

وقال المرحوم أحمد شوقي يصف أبا الهول:

أبا الهول: طالت عليك العصر — وبلغت في الأرض أقصى العمر(1)
فيا لدة الدهر لا الدهر شب — ب، ولا أنت جاوزت حد الصغر(2)
إلام ركوبك متن الرما — ل لطي الأصيل وجوب السحر(3)
تسافر منتقلا في القرو — ن فأيان تلقي غبار السفر؟
أبينك عهد وبين الجبا — ل تزولان في الموعد المنتظر؟(4)
أبا الهول ماذا وراء البقا — ء إذا ما تطاول غير الضجر؟(5)
عجبت للقمان في حرصه — على لبد والنسور الأخر(6)

(1) العصر: الدهر فالعصر جمع عصر بسكون الصاد. ومعنى طول الدهر على أبي الهول أنه عمر أعمارا طوالاً: والعمر بضم العين والميم لغة في العمر.

(2) فيا لدة الدهر: فيا أخا الدهر وقرينه فكأنك والدهر توأمان، خلقتما معا في أوان. ولا أنت جاوزت حد الصغر: أي برغم أنك بلغت في الأرض أقصى العمر، وشب فُك فيها الإدغام لغرض الكتابة العروضية.

(3) إلام ركوبك: إنه تصوير شعري بديع لتصوير أبي الهول راكبا متن الرمال يطوي الليل والنهار ويسافر متنقلا في القرون والأدهار و(جوب) في معنى طي.

(4) (في الموعد المنتظر) يوم يزول كل شيء أي اليوم الآخر.

(5) (ماذا وراء البقاء) يقول ما وراء البقاء المتطاول غير السأم قال زهير بن أبي سلمى:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش — ثمانين حولا، لا ابا لك، يسأم

(6) للقمان: هو لقمان بن عادياء، وتزعم العرب أنه هو الذي بعثته عاد في رفدها إلى الحرم ليستقي لها، فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء عمره يبيع بقرات سمن من أطيب عفر في جبل وعر لا يمسها القطر، أو بقاء عمره سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر فاستحقر الأبقار وآثر النسور فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ له: يا عم ما بقي من عمرك إلا عمر هذا فقال لقمان: هذا لبد، ولبد =

وشكوى لبيد لطـــول الحيـــاةِ ولو لم تطُـلْ لتشـكى القِصـر[1]

فـإن الحيـــاةَ تقُـــل الحديـــد إذا لبستـه، وتبـلي الحَجـر

ولو وجِـدت فيك يا ابن الصـفا ةِ لحقـت بصـانعك المُقتـدِر[2]

أبـا الهَول، مـا أنت في المعضِـلا تِ! لقد ضلت السبلَ فيك الفِكر[3]

=

بلسا م الدهر. قالوا: وكان يأخذ فرخ النسر فيجعله في جوبة في الجبل الذي هو في أصله فيعيش الفرخ خمسمائة سنة أو أكثر فإذا مات أخذ آخر مكانه حتى هلكت كلها إلا السابع فأخذه فوضعه في ذلك الموضع وسماه لبدا وكان أطولها عمرا، فضربت العبر به المثل: فقالوا طال الأبد على لبد فعاش لقمان، كما زعموا، ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة، وقال النابغة:

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد

هذا، ولقمان بن عادياء غير لقمان الحكيم وغير اليهودي الذي آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، وكلا الاثنين مذكور في القرآن الكريم.

(1) "وشكوى لبيد" أي وعجبت لشكوى لبيد لطول الحياة إلخ كان لبيد من المعمرين روي أنه مات وهو ابن مائة وأربعين سنة. وقيل وهو ابن سبع وخمسين ومائة اول خلافة معاوية - أما شكواه التي ألمع إليها فذلك حيث يقول:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد؟!

يقول: إذا لم يكن وراء البقاء المتطاول إلا الضجر فإني أعجب للقمان في حرصه على أن تطول حياته وللبيد الذي وأن مل الحياة وسئم من طولها فإنه لا محالة كان أكثرها شكاة إذا هي لم تطل لأن حب الحياة جبلة وغريزة مركوزة في الطباع.

(2) "وجدت" أي الحياة "يا ابن الصفاة" الصفاة الحجر الصلد الذي لا ينبت شيئا وفي المثل فلان ما تندى صفاته: وفي الحديث لا تقرع لهم صفاة أي لا ينالهم أحد بسوء وأبو الهول ابن الصفاة لأنه من الحجر "لحقت إلخ" أي لأدركك الموت.

(3) ما أنت في المعضلات، خبرني أي معضلة أنت في المعضلات. وأي معمى مخفى.

تحَيـرتِ البـدو مـ ـاذا تكـ ـو ن، وضلّت بوادي الظنون الحضر(1)

فكنت لهـم صـ ـورةَ العنفُـ ـوا ن، وكنت مِثال الحجى والبصـر(2)

وسِـرك في حجبِـ ـهِ كلمـ ـا أظلّت عليـهِ الظنـونُ اسـتتر(3)

وما راعهـم غـير رأس الرجـ ـا ل على هيكلٍ مـن ذواتِ الظفُـر

ولو صوروا من نواحـ ـي الطبـا ع توالوا عليك سِـباع الصـور(4)

فيا رب وجـهٍ كصـافي النميـ ـر تشابـ ـه حامِلُـ ـه والنمـر

أبـا الهول، ويحـ ـك لا يستقَـ ـل مع الدهر شـيءٌ ولا يحتقَر(5)

تهزأت دهرا بديـ ـكِ الصبـ ـا ح فَنقّر عينيك فيـ ـما نقَـ ـر(6)

أسال البيـاض وسـ ـلّ السـوا د وأوغَلَ مِنقـ ـاره في الحُفَـ ـر

فعدت كأنـ ـك ذُو المَحبسيـ ـن قطيع القيام سليب البصـر(7)

كأن الرمـ ـال علـى جانبيـك وبـين يـديك، ذنـوب البشـر

---

(1) تحيرت: يقول حار الناس قاطبة في أمرك حاضرهم والبادي.

(2) صورة العنفوان لما ينطوي عليه جسمك الذي صور على صورة أسد من معاني القوة، مثال الحجى والبصر لما ينم عنه وجهك ورأسك المصوران على صورة وجه الإنسان من معاني الفطنة والبصر بالأمور.

(3) يقول ومع ذلك لا يزال سرك مكتما ومخفيا في حجبه. والناس من أمرك في ظلام.

(4) ولو صوروا أي ما كان ينبغي أن يروع الناس منك أن كان رأسك على هيكل من ذوات الظفر لأن الناس لو صوروا من نواحي شيمهم وطبائعهم لتولوا عليك كأ م وحوش، فيارب وجه كصافي النمير الماء الناجع في الري أو النامي أو الكثير والنمر هو ذلك الحيوان المعروف بمكروه وخبثه وشراسته.

(5) لا يستقل لا يعد قليلا وهذا البيت كالتمهيد لما بعده..

(6) بديك الصباح يريد الزمن والعلاقة بين الديكة وبين الصباح من ناحية صياحها فيه معروفة، ومن حسن التعليل أن جعل سبب عبث الدهر بأبي الهول وتشويه خلقه حتى أسال بياض عينيه وسل سوادهما هو هزء أبي الهول به وسخره منه وعدم اكثراته لـه ثم تعبيره عن الدهر بديك الصباح، هذا ولمناسبة ذكر ديك الصباح نقول إنه ورد في بعض الآثار لا تسبوا الديكة فإ ا تدعو إلى الصلاة.

(7) "المحبسين" المحبس الموضع الذي يحبس فيه، وكان يقال عن أبي العلاء المعري رهين المحبسين أي رهين عماه وبيته: فكأنه من عماه في المحبس وكذلك أبو الهول عده شاعرنا بعد أن نقر ديك الصباح عينيه كأنه من عماه وسكوته في محبسين.

كأنك فيهـ ـا ـاـ ـواءُ القضـ ـا	**ءِ على الأرض أو ديدبانُ القَـ ـدر[1]**
كأنك صاحـ ـب رمـ ـل يـ ـرى	**خبايـ ـا الغيوب خِلال السـ ـطر[2]**
أبـ ـا الهول، أنت نـ ـديم الزمـ ـا	**ن نجي الأوان سمير العصـ ـر[3]**
بسـ ـطت ذراعيـ ـك مـ ـن آدم	**ووليت وجهـ ـك شطر الزمـ ـر[4]**
تطِـ ـل علـ ـى عـ ـالِمٍ يستهلُّ ـ ـ	**ـ ـلُ وتوفي على عالـ ـمٍ يحتضر[5]**
فعين إلـ ـى من بـ ـدا للوجـ ـو	**دِ، وأخـ ـرى مشيعةٌ مـ ـن عـ ـبر[6]**
فحدث فَقَـ ـد يهتـ ـدى بالحـ ـديـ	**ثِ، وخبر فقد يؤتسـ ـى بالخبـ ـر**
ألم تبـ ـلُ فرعـ ـونَ فـ ـي عـ ـزه	**إلى الشمس معتزيـ ـا والقمـ ـر[7]**

(1)"ديدبان" فارسية معربة أصلها ديده بان ومعنى ديده العين وبان أي ذو أي الرقيب والعين ومعناها الخاص الجندي المكلف بالحراسة.

(2) "السطر" السطر الصف من الكتاب والشجر ونحوهما ومعنى البيت ظاهر.

(3) "نجي الألوان" النجي بوزن فعيل الذي تساره - وفي الحديث "اللهم بمحمد بيك وبموسى نجيك" هو المناجي المحدث للإنسان.

(4) "من آدم" أي من قديم (الزمر) جمع زمرة الجماعة من الناس، والمراد هنا الناس جميعا.

(5) "يستهل" يعني يقدم على الدنيا من استهل الصبى بالبكاء ورفع صوته وصاح عند الولادة (يحتضر) حضر فلان واحتضر إذا نزل به الموت.

(6) وأخرى مشبعة من عبر ممن مضى.

(7) "ألم تبل فرعون" بلاه يبلوه بلوا وابتلاه جربه واختبره وفرعون لقب يطلق على كل من ولي ملك مصر كالنجاشي لملوك الحبشة وقيصر لملوك الرومان وفرعون أصلها في الهيروغلفية مركبة من بي وهي أداة التعريف كأل، ورع أي الشمس فتكون كلمة واحدة ورع أو راهوا معبود قوي حاكم جبار يقاتل احتفاظًا بالحياة، وإبقاء على الكون ومن هنا كان العتو والجبروت وما في معناها من مدلولات كلمة فراعنة عند العرب، وإذن لا يقصد بفروعون فرعونا معينا ولكن جميع فراعنة مصر وقد ابتلاهم أبو الهول (إلى اللشمس معتزيا) يقول ألم تبل يا أبا الهول فرعون وهو في عزه حتى لكأنه من العزة والمنعة بحيث يناطح الشمس والقمر لأن من اعتزى إلى شيء قاربه وشاكله وقد كان أكثر الفراعنة يضعون على تيجا م صور أوزريس "الشمس" وإزيس "القمر" لأ م من اصنامهم فلعله يشير إلى هذا مع إرادة معنى العز والمنعة.

ظليـل الحضـارة في الأولــ ـين، رفيع البنـاء، جليلَ الأثر[1]
يؤسس في الأرض للغـابـريـ ـن ويغرس للآخـرين الثمـر[2]
وراعك ما راع مِن خيـل قمبـ ـيز ترمي سنابـكها بالشـرر[3]
جوارف بالنـار تغـزو البلا د، وآونـةً بالقنـا المُشتجـر

(1) "ضليل الحضارة" مكان ظليل ذو ظل دائم يستظل به يريد أن حضارة فرعون كانت من الكمال بحيث تظل الناس ويرتعون في ذارهـا وكنفهـا والحضارة بكسر الحاء وفتحها الإقامة في الحضر خلاف البدو البادية وهي المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار.

(2) "للغابرين" الغابر من الأضداد فيكون بمعنى الباقي ويكون بمعنى الماشي ومن ثم يكون معنى البيت إما أن فرعون يخلد ذكر الماضيين بإقامة الآثار لهم والتماثيل ويغرس للآتين ما يجنون ثمره من دور العلم والعرفان وما إليها، وإما أن فرعون يؤسس للآتين ويغرس لهم كل ما يجدي ويثمر.

(3) "قمبيز" هو ابن قورش الأكبر الذي أسس دولة الفرس التي غزت مصر أزمان الأسرة السادسة والعشرين وذلك حين تولى الملك "أبسمتيك الثالث" أحد ملوك هذه الأسرة فأعد الفرس لهذه الغزوة المعدات الكبيرة وجاء ملكهم "قمبيز" بجيش جرار لفتح البلاد التي طالما شرهت نفس أبيه قورش العظيم إلى إخضاعها وكانت مصر إذ ذاك حصينة غاية في المنعة، يقول مؤرخو الإغريق: إن أحد الجنود اليونانية هو الذي خان مصر والمصريين ودل الفرس على أسهل الطرق التي يمكنهم بواسطها أن يدخلوا البلد فهوجمت مدينة "بلوز" "الفرما" بحرا وزحفت الجنود الفارسية على مصر برا وبعد مقاومة عنيفة جهتي بلوز ومنف سقطت البلد وأخذ قمبيز أبسمتيك أسيرا وكان ذلك سنة 525 قبل الميلاد، ثم سار قمبيز أول أيامه سيرة حسنة وعامل المصريين معاملة طيبة يحترم ديانتهم وتقاليدهم، ولكنه بعد ذلك لبس لهم جلد النمر وحنق على البلاد ومن فيها فكر على المعابد والهياكل فهدمها وقتل بيده العجل أبيس أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة وعند عودته إلى فارس مات في الطريق سنة 521ق.م. ولما ولي ملك الفرس دار الأول زار مصر وأراد أن يصلح ما أفسده قمبيز فأبدى احتراما كبيرا لديانة المصريين ومعبودا م وشيد هيكلا عظيما للمعبود آمون بواحة سيوة الكبرى وعضد التجارة وشيد كثيرا من المدارس وفتح الخليج الموصل بين النيل والبحر الأحمر، ورأى المصريون آخر أيامه ما لحقه من الخسائر في واقعة "مرثون" في حربه من الإغريق فخرجوا من طاعته وطردوا الفرس من البلاد بقيادة أحد الأمراء الوطنيين سنة 486ق.م.، ثم غزا الفرس مصر ثانية وما زالوا بها حتى طردهم المصريون سنة 405ق.م.

وأبصـرت إسكندرا فـ ـي المَـلا   فَشيب العـلا في الشباب النضر[1]
تبلج فـ ـي مصـ ـر إكليـ ـله   فلم يعـد في الملك عمـر الزهـر
وشاهدت قَيصـر كيـف استبـ ـ   ـد وكيف أذلّ بمصـر القصـر؟
وكيـ ـف تجبـ ـر أعـوانـ ـه؟   وساقوا الخـلائق سـوق الحُمـر؟
وكيف ابتـلوا بقليـ ـل العديـ ـ   ـد من الفـاتحين كـريم النـ ـفَر
رمـى تـاج قيصر رمـي الزجـا   ج، وفـل الجُموع وثلّ السـرر[2]
فـدع كـ ـلّ طاغيـة للزمـ ـا   ن فإن الزمانَ يقيـ ـم الصـعر[3]
رأيت الديانـاتِ فـ ـي نظمهـا   وحـين وهـى سلكُها وانتثـر[4]

---

(1) "إسكندر" هو الإسكندر الأكبر المقدوني الفاتح العظيم قال المؤرخون: بعد أن هزم الإسكندر الفرس في واقعة أفوسس زحف على مدينة صور فأخذها عنوة وبذلك تم استلاؤه على الشام ثم قدم إلى مصر وقد كان الفرس استدعوا حاميتها منها بسبب حرو م مع الإسكندر فلما وصل الإسكندر إلى "بلوز" "الفرما" سنة 332ق.م رحب به المصريون لما سمعوه من عدالة حكمه ولما لاقوه من الذل والهوان في حكم الفرس ففتحت أبوا ا ودخلها دون عناء حتى إن الوالي الفارسي لم يجرؤ على مقاومته وقابله في منف بترحاب، ومن ثم سار الإسكندر إلى واحة آمون الكبرى ودخل معبد آمون ولقبه الكهنة بابن آمون، فاحترم ديانة المصريين وقدم القرابين لمعبودا م ولم يهمل مع ذلك التقاليد الاغريقية فأدخل منها في مصر الموسيقى والألعاب النظامية، ولما رأى الإسكندر أن قرية "راقودة" وهي قرية صغيرة كانت بقرب الإسكندرية، ذات موقع بحري موفق، أنشأ بجوارها حاضرة جديدة له هي الإسكندرية، وبعد أن استوثق الأمر للإسكندر في مصر خرج إلى فتوحاته الأخرى في المشرق وكانت وفاته سنة 333 وكان عمره إذ ذاك 32 سنة ونيفا ولم يقم بمصر كما ترى إلا قليلا، فذلك حيث يقول في البيت التالي "فلم يعد في الملك عمر الزهر" وخلف الإسكندر على مصر البطالسة ومازالوا ا إلى أن استولى الرومان عليها. "إكليله" تاجه.

(2) "رمى" يريد هذا النفر القليل وهم أصحاب عمرو بن العاص وفل الجموع: هزمها وثل السرر كسرها والسرر جمع سرير والمراد ا العروش التي يجلس عليها القياصرة.

(3) "الصعر" ميل في العنق وانقلاب الوجه إلى أحد الشقين، وقد صعر خده أماله من الكبر، قال المتلمس:

وكنا إذا الجبار صعر خده   أقمنا لـه من ردئه فتقوما

والزمان يقيم الصعر يعدل الطغاة يقال أقمت الشيء فقام أي استقام.

(4) "في نظمها وحين وهي سلكها" في حالتي قو ا وضعفها.

تشاد البيوت لها كالبروج ... إذا أخذ الطرف فيها انحسر(1)

تلاقى أساسا وشم الجبال ... كما تتلاقى أصولُ الشجر(2)

وإيزيس خلف مقاصيرها ... تخطّى الملوك إليها الستر(3)

تضيءُ على صفحات السماء ... وتشرق في الأرض منها الحُجر

وآبيس في نيره العالمون، ... وبعض العقائد نير عسر(4)

تساس به معضلات الأمور ... ويرجى النعيم وتخشى سقر

ولا يشعر القوم إلا به ... ولو أخذته المدى ما شعر

يظل أبو المسك عبدا له ... وإنْ صاغ أحمد فيه الدرر(5)

وآنست موسى وتابوته ... ونور العصا والوصايا الغرر(6)

وعيسى يلم رداءَ الحَياءِ ... ومريم تجمع ذيلَ الخفر(7)

وعمرو يسوق بمصر الصحاب ... ويزجي الكتاب ويحدو السور(8)

---

(1) "انحسر" كل والبصر يحسر عند أقصى بلوغ النظر.

(2) "تلاقى" تتلاقى بحذف إحدى التائين أي أ ا راسخة رسوخ الجبال.

(3) "إيزيس" هي من معبودات قدماء المصريين وهي أخت أوزيريس وزوجته في الوقت نفسه وأم هوربوس وهاربوقراط.

(4) "وآبيس" هو العجل أبيس. رووا أن نيفون إله الشر تغلب أخيرا على أوزيريس إله الخير وقتله فتقمصت روحه جسد عجل، وكان هذا العجل عندهم يمثل الخصب والتوليد الخلقي وكانوا يعتقدون أن العجل الذي تقمصته روحه هو ابن بقرة حملت بواسطة شعاع من القمر وله علامات ظاهرة في جسده فإنه يكون أسود اللون وفي جبهته سمة بيضاء مربعة مثلثة وصورة نسر على ظهره وصورة خنفساء تحت لسانه.

(5) "أبو المسك" كافور الإخشيدي، و"أحمد" أبوالطيب المتنبي.

(6) وتابوته ونور العصا والوصايا الغرر، التابوت: الذي وضع فيه موسى وقذف به في النيل وعصا موسى ما كان منها من الآيات والوصايا العشر كل أولئك معروف فلا حاجة بنا إلى الإفاضة فيه.

(7) وعيسى يلم رداء الحياء: يقول وشاهدت عيسى وهو المثل الأعلى للحياء ومثله في ذلك العذراء.

(8) وعمرو ... يقول وقد رأيت عمرو بن العاص إذ يسوق المسلمين لفتح مصر ويزجي كتاب الله وآياته.

فكيف رأيت الهـــدى والضـلا ... ل ودنيا الملوكِ وأخـــرى عمـر
ونبـذ المقوقس عهـد الفُجـو ... ر وأخذَ المقوقـس عهـد الفجـر
وتبـديـله ظُلمـاتِ الضـلا ... ل بِصبـح الهدايـة لمـا سـفر
وتأليفـه القبـط والمسلميـن ... كما ألفت بالـولاء الأسـر(1)
أبـا الهول، لو لـم تكـن آيـة ... لكانَ وفاؤك إحـدى العبر(2)
أطلت على الهرميـن الوقـو ... ف كثاكلةٍ لا تريـم الحُفَـر(3)
ترجـي لبانيهـما عـودةً ... وكيف يعود الرميـم النخِـر؟(4)
تجوس بعيني خلال الديـا ... ر وترمي بأخـرى فضاء النهـر(5)
تروم بمنفيس بيض الظبـا ... وسمر القنـا والخميس الدثـر(6)
ومهـد العلوم الخطير الجلا ... ل وعهـد الفنون الجليـلَ الخَطـر
فـلا تستبين سـوى قريـةٍ ... أجد محاسنـها مـا انـدثر(7)
تكـاد لإغـراقها في الجمـو ... د إذا الأرض دارت لهـا لم تـدر
فهل من يبلـغُ عنـا الأصـو ... ل بأن الفروع اقتـدت بالسـير؟
وأنـا خطبنا حسـانَ العـلا ... وسقنـا لهـا الغـاليَ المـدخر؟

---

(1) وتأليفه أي المقوقس (الأسر) جمع الأسرة وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون.
(2) إحدى العبر إحدى الآيات.
(3) أطلت إلخ بيان لوفاء أبي الهول كثاكلة: يقول إنك في إطالتك الوقوف على الهرمين وفاء منك كثاكلة ولدها لا تبرح قبره ولا تزايله فالثاكلة هي التي فقدت ولدها، ولا تريم أي لا تبرح.
(4) "لبانيهما" أي لباني الهرمين.
(5) "تجوس" تطوف وتتخلل و"للنهر" النهر واحد الأنهار يعني نهر النيل.
(6) "وتروم" تنشد وتطلب "بمنفيس" منف، وموضعها اليوم البدرشين وميت رهينة وهي عاصمة ملك الفراعنة والذي بناها مينا مؤسس الأسرة المالكة الأولى وكانت كما قال شاعرنا مهد العلوم الخطير الجلال وعهد الفنون الجليل الخطر.
(7) "أجد محاسنها ما اندثر" يقول إن طلوها الدوارس ورسومها المندثرة البوالي أجدت محاسنها.

وأنــا ركبنــا غمــار الأمــور وأنــا نزلنــا إلــى المؤتمــر
بكُــل مبيــن شــديد اللــدا د وكــل أريب بعيــد النظــر
تطالب بالحَــق فــي أمــة جــرى دمــها دونــه وانتشــر
ولــم تفتخــر بأساطيلهــا ولكــن بدستورهــا تفْتخــر
فلم يبــق غيرك من لــم يخــف ولــم يبــق غيرك من لــم يطــر
تحرك أبــا الهول، هــذا الزمــا نُ تحرك مــا فيــه، حــتى الحجــر

وقال أيضا المرحوم أحمد شوقي بك يصف حياة النحل ومملكته:

مملكــة مُــدبــرة بــامــرأة مــؤمــره
تحمل فــي العمــال والصناع عِبء السيطره
فاعجب لعمــال يولــو نَ عليهــم قيصــره
تحكمهــم راهبــة ذَكــارةٌ مغيــره(1)
عــاقــدةٌ زنــارهــا عــن ساقهــا مشمره
تلثّمــت بالأرجــوان وارتدتــه مِئزره
وارتفعــت كــأ ّنــا شــرارة مطّــيره
ووقعت لــم تختلــج كــأ نــا مســمره؟(2)
مخلوقــة ضعيفــة مــن حلــق مصــوره
يــا مــا أقــلّ ملكهــا ومــا أجــلّ خطــره
قِف سائــل النحــل بــأي عقْــل دبــره؟
يجبك بالأخلاق وهــي كالعقــول جــوهــره
تغنــي قوى الأخلاق مــا تغني القــوى المفكّــره

---

(1) التغير: ترديد الصوت بالقراءة.
(2) الاختلاج: الاضطراب.

ويرفـع الله ـا	من شـاء حتى الحشـره
أليس في مملكـة النحـ	ـل لقـوم تبصـره؟
مـلك بنـاه أهـله	مـةٍ ومجـدره[1]
لـو التمست فيه بطـ	ـال اليـدين لـم تـره
تقْتلُ أو تنفـى الكسـا	لـى فيـه غير منـذَره
تحكـم فيـه قيصـره	فـي قومـها موقّـره
مِن الرجـال وفيـو	دِ حكمهـم محـرره
لا تورثُ القـوم و لـو	كـانوا البـنين البـرره
الملك للإنـاث في الـد	سـتور لا لِلذكّـره[2]
نيـرة تنـولُ عـن	هالِتـها لنيـره
فهـل ترى تخشى الطّمـا	ع في الرجال والشـره[3]
فطالمـا تـَلاعبـوا	بـالمهـج المصيـره
وعـبروا غفّـلهـا	إلـى الظهور فنطـره
وفـي الرجـال كـرم	الضعف ولـؤم المقـدِره
وفتنـة الـرأي ومـا	وراءهـا مـن أثـره
أنثـى ولكن في جنـا	حيهـا لبـاة مخـدره[4]
ذائِـدةٌ عـن حوضِـها	طـاردةٌ مـن كـدره
تقلـدت إبرتهـا	وادرعـت بـالحَبره

(1) يقال هذا الامر مجدرة ذاك أي جديرا به.
(2) الذكرة: الذكور.
(3) الطماع: الذكور.
(4) اللباة: اللبؤة وهي أنثى الأسد.

كأنهــــا تركيـــةٌ	قـد رابطــت بــأنقره
كأنهــا جاندرك في	كتيبــةٍ معســكِره
تلقــى المغــيرين الجنو	دِ الخشــن المنمــره
الســالبين شكــةً	الســالبين جســره
قــد نثــر ت جعبــةٌ	ونقضــتهم منبــره
من يبــنِ ملكــاً أو يــذُد	فبالقنــا المجــرره
إن الأمــور همــةٌ	لــيس الأمــور ثرثــره
ما الملك إلا في ذرى ال	ألويــةِ المنشــره
ما الملك إلا في ذرى ال	ألويــةِ المنشــره
عرينــه مــذ كــانَ لا	يحميــهِ إلا قســوره
رب النيوبِ الـزرق وال	مخالــبِ المــذكره
مالكــةٌ عاملــةٌ	مصــلحةٌ معمــره
المــالُ في أتباعِهــا	لا تســتبين أثــره
لا يعرفــونَ بيــنهم	أصــلاً لــه مــن ثمــره
لــو عرفــوه عرفــوا	مــن الــبلاءِ أكثــره
واتخــذوا نقابــةً	لــأمرهم مســيره
سبحانَ مــن نــزه عــن	ه ملكهــم وطهــره
وساســه بحــرةٍ	عاملــةٍ مســخره
واردة دســكــرة	صــادرة عن دسكره[1]
بــاكرة تســتنهض	العصــائب المبــكره[2]

(1) الدسكرة: القرية.
(2) العصائب: جمع عصابة.

السـامعـين الطائـعين المحسنـ ـين المهـ ـره
من كل من خـط البنـا ء أو أقـ ـام أسـ ـطره
أو شـد أصـل عقـدِه أو سـده أو قـ ـوره[1]
أو طـاف بالمـاءِ علـى جـ ـدرانه ا َـ ـدره[2]
وتذهب النحـلُ خفـ ـا فـًا وتجـيء موقـ ـره
جوالب الشمـ ـع مـن الخـ ـمائل المنـ ـوره
حـوالب المـاذي[3] من زهـر الريـاض الشيره[4]
مشـدودة جيـو ـ ـا علـ ـى الجـنى مـزرره
وكـ ـل خرطـوم أدا ةُ العسـ ـل المقطّـ ـره
وكـ ـل أنـف قـانئٍ فيه من الشهدِ بـ ـره[5]
حتى إذا جـاءَت بـ ـه جاست خلال الأدوره[6]
وغيبتـ ـه كـ ـالسلا ف في الدنان المحضـره[7]
فهـل رأيـت النحـ ـل عـن أمانـة مقصـره؟
مـا اقترضت من بقلـة أو استـعارت زهـ ـره
أدت إلـى الناس بـ ـه سـ ـكرة بسكـ ـره

وقال أيضا أحمد شوقي بك يصف مقبرة توت عنخ آمون وما حوته:

---

(1) قور الشيء قطعه من وسطه خرقا مستديرا.
(2) ا ـدرة: المشيدة.
(3) الماذي: العسل.
(4) الشيرة: الحسان.
(5) البرة: الحلقة في الأنف.
(6) الأدورة: الديار يراد ا الخلايا هنا.
(7) السلاف: أفضل الخمر.

قفي يا أخت (يوشــع) خبرينـــا — أحاديــث القُــرون الغابرينـــا[1]

وقُصــي من مصــارعهم علينـــا — ومن دولا ـــم مـــا تعلمينــا[2]

فمثلك مــن روى الأخبــار طُــراً — ومن نسب القبائــلَ أجمعينـــا[3]

نرى لكِ في السماءِ خضيب قــرن — ولا تحصي على الأرض الطعينــا[4]

مشيت على الشبابِ شواظ نـــار — ودرت على المشيبِ رحى طحونا[5]

تعينـــين الموالـــد والمنـــايـــا — وتبــنين الحيـــاة و دمينـــا[6]

فبالك هـــرة أكلــت بنيهـــا — ومـــا ولدوا وتنتظـــر الجنينــا[7]

أأم المـــالكين بنــــي (أمـــون) — لينهــلكِ أ م نزعوا (أمونـــا)[8]

ولــدت لــه (المآمين) الــدواهى — ولــم تلدي لــه قط (الأمينــا)[9]

---

(1) الخطاب للشمس، وقد أشار إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس، فقد روي أن يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ويدخل السبت ولا يحل لــه قتالهم فيه فدعا الله تعالى فرد لــه الشمس حتى فرغ من قتالهم، وقد لمح ابن مطروح إلى هذه القصة بقوله:

وما أنت لا أنس المليحة إذ بــدت — دجى فأضاء الأفق من كل موضع

فحدثت نفسي أ ا الشمس أشرفت — وأنــي قد أوتيت آيــة يوشــع

القرون الغابرين: الأجيال الماضية.

(2) قصي: حدثي، ومنه: "نحن نقص عليك أحسن القصص" مصارعهم: مهالكهم دولا م، جمع دولة بضم ففتح وهي الداهية يقال: "جاف الدهر بدولاته" أي بدواهيه.

(3) طرا جميعا دون أن تترك منها شيئًا، نسب القبائل: ذكر أنسا م.

(4) الخضاب: الملون بالخضاب، القرن: حاجب الشمس. الطعين: المطعون.

(5) الشواظ بالضم والكسر: دخان النار.

(6) المنايا جمع منية وهي الموت.

(7) الهرة: القطة، ويقال في المثل "أعق من الهرة" لأ ا تأكل أولادها، الجنين: الولد ما دام في الرحم.

(8) نزع أباه أشبهه، وفيه إشارة إلى أم "أمون" واختلف المؤرخون هل كانت أمه زوجة شرعية لأبيه أو إحدى سراريه وكان عاد م أن لا يتولى الملك بواسطة زواجه بابنة الملك خوأتون.

(9) أشار للخليفتين، الأمين والمأمون، وقد اختار المأمون لأنه كان أفضل بني العباس حزما وعلما ورأيا =

فكانوا الشهب حين الأرض ليلٌ … وحين الناس جد مضلّلينا
مشت بمنارهم في الأرض (روما) … ومن أنوارهم قبست (أثينا)[1]
ملوك الدهر بالوادي أقاموا … على (وادي الملوك) محجبينا[2]
فرب مصفد منهم وكانت … تساق له الملوك مصفدينا[3]
تقيد في التراب بغير قيد … وحل على جوانبه رهينا
تعالى الله كان السحر فيهم … أليسوا للحجارة منطقينا[4]
عدوا يبنون ما يبقى وراحوا … وراء الآبدات مخلدينا
إذا عمدوا لمأثرة أعدوا … لها الإتقانَ والخلق المتينا
وليس الخلد مرتبة تلقى … وتؤخذُ من شفاهِ الجاهلينا
ولكن منتهى همم كبار … إذا ذهبت مصادرها بقينا
وسر العبقرية حين يسري … فينتظم الصنائع والفنونا
وآثار الرجال إذا تناهت … إلى التاريخ خير الحاكمينا

=

ودهاء وهيبة وشجاعة، أي ولدت له أبناء صاروا ملوكا وكانت صفا م في الملك كالصفات التي عرفناها في المأمون.

(1) روما: عاصمة إيطاليا، قبست: أخذت، أثينا: عاصمة اليونان، وفيه إشارة إلى ما أخذته الأمم الغابرة عن المصريين من العلوم والحضارة.

(2) وادي الملوك هو الشاطئ الغربي للنيل بالأقصر على مسيرة نصف ساعة تقريبا وهو هضاب صلبة ا مقابر الملوك فراعنة مصر من الأسرة الثامنة عشر وما بعدها وقد كانوا يبالغون في العناية ا وإبقائها إلى حد يفوق الوصف.

(3) مصفدين مقيدين: يصف فراعنة مصر في مقرهم الأخير، وهو مقام يتساوى فيه الملوك والسوقة.

(4) منطقين أليسوا هم الذين أنطقوا الحجارة ويريد أ م أنشأوا من الأبنية ما يدل على عظمة نشأ م دلالة النطق علة معناه وأشهر هذه الأبنية الهرمان القائمان بجانب الجيزة وهما من أعجب ما بنى البناة وفيهما دليل على أن المصريين القدماء كانوا أعلم الأمم القاطبة بفن العمارة وهندستها وقد توالى الدهر عليهما فلم ينل منهما مر الحوادث وعصف الرياح وهطل السحاب.

وأخذك من فم الدنيا ثناء — وتركك في مسامعها طنينا[1]
تعالى في بنيك الصيد غالي — فقد حب العلو إلى بنينا[2]
فشيب قنع لا خير فيهم — وبورك في الشباب الطامحينا[3]
فناجيهم بعرش كان صنوا — لعرشك في شبيبته سنينا[4]
وكان العز حليته وكانت — قوائمه الكتائب والسفينا
وتاج من فرائده (ابن سيتي) — ومن خرزاته (خوفو) و (مينا)[5]
علا خداً به صعر وأنفا — ترفع في الحوادث أن يدينا[6]
ولست بقائل ظلموا وجاروا — على الأجراء أو جلدوا القطينا[7]
فإنا لم نوق النقص حتى — نطالب بالكمال الأولينا[8]

(1) الطنين: صوت الذباب والطست والناقوس ونحو ذلك.
(2) الصيد جمع أصيد وهو الرجل يرفع رأسه كبرا وعجبا ولا يلتفت من زهوه يمينا وشمالا، فقد حب بضم الحاء أي فقد حبب.
(3) شيب: أي قانعون لا يطلبون شيئًا وراء ما بلغوا، الطامحون: المتفانون في طلب المعالي.
(4) الصنو: الأخ الشقيق ولابن، السنين بفتح السين من يكون في سنك.
(5) ابن سيتي: هو رمسيس الثاني المعروف بسوزستريس ويلقب بالأعظم لأنه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة وطالت مدة حكمه وكثرت فيها الآثار المصرية، وتزايدت العمارات حتى لا يكاد يوجد بوادي النيل أثر من الآثار القديمة والعمائر المشهورة إلا وعليه اسمه ورسمه، وولي الملك صغيرا في حياة والده، وقد تربى على الشجاعة والحماسة وأراد أبوه أن يعلمه اقتحام الأهوال فأرسله في جيش إلى بلاد الشام وكان عمره عشر سنين فغزاها حتى أدخلها تحت الطاعة وله حروب عظيمة ثم حارب في جملة فتوح وبخاصة في آسيا الشمالية وكان في أيامه (بنتاءور) الشاعر المصري وله فيه عدة مدائح يصف ا شجاعته وإقدامه.
(6) علا خدا: أي ذلك التاج والصعر أن يميل الرجل بخده عن النظر إلى الناس اونا أو كبرا.
(7) القطين: الخدم أي أنه لا يجاري بعض المؤرخين الذين يزعمون أن الملوك الفراعنة كانوا يظلمون الأجراء ويجلدون الخدم ليسخروهم في إنشاء تلك الأبنية.
(8) لم نوق النقص: أي لم نحفظ منه.

ومـا (البستيلُ) إلا كنـت أمـس ... وكم أكـلَ الحديد ـا سجينا[1]

وربـةَ بيعـةٍ عـ ـزت وطالـت ... بناها النـاس أمـس مسـخرينا[2]

مشيدةٍ لشافي العمـ ـي (عيسـى) ... وكم سملَ القُسوس ا عيونـا[3]

خليلي اهبطـا الـوادي ومِيـ ـلا ... إلى غُرف الشموس الغـارِبينـا[4]

وسـيرا في محاجـ ـرهم وريـدا ... وطوفـا بالمضاجع خاشعينـ ـا[5]

وخصـا بالعمـ ـار وبالتحايـ ـا ... رفات ا ـدِ من (توتنخميـنـ ـا)[6]

وقـبرا كـاد من حسنٍ وطيـب ... يضيءُ حجارةً ويضوع طينـ ـا[7]

يخُال لروعـة التـاريخ قُـ ـدت ... جنادلـه العلا من (طور سـينا)[8]

وكـان نزيلُـ ـه بالمُلـك يـدعى ... فصـار يلقب الكنـز الثمينـا[9]

وقومـا هاتفَين بـ ـه، ولكـ ـن ... كمـا كان الأوائـلُ يهتفونـا[10]

---

(1) البستيل: سجن يرجع تاريخ إنشائه إلى عهد شارل الخامس ملك فرنسا سنة 1469 وفي هذا السجن ذاق رجالات العلم والفضل في فرنسا أشد أنواع العذاب أيام الاستبداد فكم هلك فيه فيلسوف عظيم وفنى بين جدرانه المظلمة مصلح كبير، وكم من سياسي جنى عليه لخير بلاده فدخله حيا وفارقه ميتا. وقد كره الفرنسيون (البستيل) واسم (البستيل) وعدوه مستقر الظلم ومعهد العسف والقسوة فلم يكادوا يثورون على حكومتهم حتى كان غرضهم (البستيل) فهدموه واقتلعوا أصوله وأخذت فتات أحجاره فجعلها النسوة عقودا يتحلون ا في أمكنة اللآلئ إشارة إلى غلبة الأمة على الظلم وانتقامها من الظالمين.

(2) البيعة بكسر الباء: معبد النصارى. مسخرين: أي كلفوا عملهم بلا أجرة.

(3) سمل العين: فقأها بحديدة محماة وقلعها.

(4) يريد بالشموس الغاربينا ملوك الفراعنة، وغرفهم مدافنهم.

(5) المحاجر: ما يحميه الملوك حول منازلهم ومنها محاجر إقبال اليمن وهي أحماؤهم أي ما كان يحميه كل منهم.

(6) العمار: التحية وهو أيضا الريحان يزين به مجلس الشراب.

(7) يضوع: يتحرك وينتشر أي كادت حجارته تضيء حسنا وكادت تنتشر رائحته الطيبة الزكية.

(8) لروعة المسحة من الجمال، الجنادل جمع جندل وهو الحجارة وطور سينا هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى.

(9) النـزيل: الضيف.

(10) هاتفين به: أي الملك الذي هو نزيل القبر وليكن هتافكما كما كانوا يهتفون لـه أيام حياته.

فَــثَم جلالــةٌ قَــرت وراهــت عـلـى مر القُــرون الأربعينــا[1]
جــلالُ الْملك أيــام وتمضــي ولا يمضي جــلالُ الخالدينــا[2]
وقولا للنــزيل "قُــدوم ســعدٍ" وحيــا الله مقدمــك اليمينــا[3]
سلام يــوم وارتــك المنايــا بواديها ويــوم ظَهرت فينــا[4]
خرجت من القبور خروج عيسى عليــك جلالــةٌ في العالمينــا[5]
يجوب البرق باسمك كــل سهل ويخترق البخــار بــه الحزونــا[6]
تعــالَ اليــوم خبرنــا أكانــت نواك سِناتِ نــومٍ أم سنينا؟[7]
وماذا جبت مــن ظُلمــاتِ ليــلٍ بعيد الصبح ينضــي المدلجينا[8]
وهلْ تبقــى النفــوس إذا أقامــت هياكلُهــا وتبــلى إن بلينــا؟
وما تلك القبــاب وأيــن كانــت وكيف أضل حافرهــا القُرونــا؟[9]
ممردةَ البِنــاء تخــالُ برجــًا ببطن الأرض محطوطًا دفينــا[10]
تغطّى بالأثــاث فكــان قصــرا وبالصور العِتاق فكــان زونــا[11]

---

(1) فثم: فهناك الجلالة من عظم القدر، ورامت: أقامت.
(2) أي أن الجلال بالصحيح ما خلد به في التاريخ أما جلال الملك فلا بقاء لــه.
(3) اليمين المبارك وهو من اليمن.
(4) وارتك: أخفتك.
(5) خروج عيسى أي كما خرج عيسى من القبر على قول النصارى.
(6) يجوب: يقطع، والبرق: اسم منقول من معناه الأصلي (التلغراف) الحزون: جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض.
(7) تعال اليوم إلخ الخطاب لتوت عنخ آمون، نواك: قصدك.
(8) ينضي: يهزل، المدلجون: الذين يسيرون من أول الليل.
(9) وما تلك القباب: جمع قبة وهي ما ظهر من أبنية المقبرة الفخمة.
(10) ممردة البناء مملسته.
(11) تغطى: أي هذا البناء تغطى إلخ والأثاث: متاع البيت، والصور: جمع صورة يريد ا الرسوم التي تحاكي صور الأشياء، الزون :الموضع تجمع فيه الأصنام.

حملت العرش فيــه فهــل ترجــي ... وتأملُ دواــــة في الغابرينــــا؟[1]

وهل تلقى المُهــيمن فــوق عــرش ... ويلقــاه المــ ـَلا مترجلينـــــا؟[2]

ومــا بــالُ الطّعام يكــاد يقــدي ... كما تركتــه أيدي الصانعينــــا[3]

ولم تك أمس تصــبر عنــه يومــا ... فكيف صبرت أحقابــا مِئينــا؟[4]

لقد كان الــذي حــــذر الأوالي ... وخــاف بنو زمانك أن يكونــا[5]

يحب المرءُ نــبش أخيــــه حيــــًا ... وينبشه ولــو فــــي الهالكينـــــا

سلِلت مــن الحفــائر قبــل يــومٍ ... يسل من التــراب الهامدينـــا[6]

فإنْ تك عنــد بعــثٍ فيــه شــك ... فــإنّ وراءه البعــثَ اليقينـــا[7]

ولو لــم يعصِموك لكــان خــيرا ... كفــى بالموت معتصما حصــينا[8]

يضر أخو الحيــاةِ ولــيس شــيءٌ ... بضائره إذا صحــب المنــونــا

وقال علي بن محمد القاضي التنوخي واصفًا مكتوبا:

وصـــحيفة ألفاظـــــها ... في النظم كالــدر النــثير

جاءت إليّ من شــكوى ... التوفيق في كل الأمــور

---

(1) في الغابرين في الباقين وفي القرآن الكريم {فأنجيناه وأهله إلا امراته كانت من الغابرين} ويكون أيضا بمعنى الماضين فهو من الكلمات التي تستعمل للأضداد.

(2) المهيمن: من أسماء الله تعالى، المترجلون: الذين ينــزلون عن ركائبهم ويمشون على أرجلهم.

(3) ما بال الطعام: ما حاله، يقدي: من قدى الطعام أي طاب طعمه ورائحته.

(4) الأحقاب: جمع حقب بضم القاف وهو الدهر، المئين: جمع مائة.

(5) لقد كان: أي لقد حصل الذي حذر الأوالى، والأوالي: جمع أول.

(6) سللت: أخرجت منها برفق، الحفائر: جمع حفيرة وهي الحفرة، واليوم الذي يسل الهامدين من التراب: هو يوم القيامة.

(7) فإن تك عند بعث إلخ أي فإن تكن الآن تشك في هذا البعث الذي خرجت به من قبرك فلا محاله سيأتي البعث الذي لا تشك فيه وهو بعث القيامة.

(8) يعصموك: يمنعوك من المكروه أي لو أ م تركوك فلم يتخذوا لك هذه العصمة لما أصابك مكروه لأن الموت يمنع الأذى أن يصل وجلاء هذا المعنى في البيت الثاني.

بارق من شكوى وأحـ ـسن من حياة في سرور
لو قابلت أعمى لأصبـ ح وهو ذو طرف بصـير
وكأ ا أملٌ تحقق بعـ ـ ـد يـأس في الصـدور
أو كالفقيـد إذا أتـت بقدومه بشرى البشـير
أو كالمنـ ـام لسـاهر أو كالغِنى عند الفقـ ـير
أو كالشفـ ـاء لمـدنفٍ أو كالأمـان لمسـتجير
وكأنمـا هي من وصـا ل أو شباب أو نشـور
لفظ كـأسر معانـ ـد أو مِثل إطلاق الأسـير
وكأنـه إذْ لاح مـ ـن فوق المهـارق والسطور
ورد الخُدود إذا انتقلـ ـت به على راح الثغور
غُرر ةَـدت وكأ ـ ـا من طلعة الظبـي الغرير
من كان معنى كالسـلا مة أو كتيسيـر العسـير

وقال أيضا واصفًا الخط والكتابة والبلاغة:

خـطٌ وقرطاس كأ ـ ـما السوالف والشـعور
وبدائـع تـدع القـلو ب تكاد من طَرب تطير
في كـل معنـى كالغِنى يحويه محتـاج فقـير
أو كالفَـكاك ينـالـ ـه من بعدِ مـا يأسٍ أسـير
وكأ ـا الإقبـال جـا ءَ بـه الشفاء أو النشور
وكأ ـا شرخ الشـباب وعيشه الخضل النضـير

وقال البحتري في الموضوع نفسه:

وإذا دجت أقلامـه ثم انتحـت برقت مصابيح الدجى في كتبـه
فاللفظ يقرب فهمـه في بعـدِهِ مِنـا ويبعد نيـله في قربـ ـهِ

فكأ ـا والسمع معقود ـ ـا   **شخص الحبيب بدا لعين محبـه**

وقال الوزير المهلبـي في وصف كتاب:

ورد الكتـاب مبشـرا   **نفسي بأنواع السـرور**
وفضضـته فوجدتـ ـه   **ليلاً على صفحات نور**
مثل السوالف والخُـدود   **البيض زينت بالشـعور**
أنزلتـه مِنـي بمنـزلة   **القلوب من الصـدور**

وقال النجم بن إسرائيل يصف الموز:

أطعمته مـوزا شـهي المنظـر   **مستحكم النضج لذيـذَ المخـبر**
كـأن تحـت جلـدهِ المزعفـر   **لفات زبـد، عجنـت بسـكر**

وقال البهاء زهير يصف الموز أيضا:

في ريحه، ولونـه، وطعمـه   **كالمسك، أو كالتبر أو كالضربِ**
وافت بـه أطباقـه منضـدا   **كأنـه مكاحـلٌ مـن ذهـبِ**

وقال آخر:

يحكـي إذا قشرتـه   **أنيـاب أفيـال صغـار**
ذو بـاطن مثـل الأقـا   **ح، وظاهـر مثل البهـار**[1]

الكمثرى:

وكمـثراء بسـتان   **شهي الطعـم والمنظـر**
لـه طعـم إذا ذيـق   **كمـاء الورد والسكـر**
كأنه في شكله، ولونـه   **وطعمه قوالب مـن سـكر**

التفاح - قال ابن المعتز:

كأنمـا التفـاح لمـا بـدا   **يرفـل في أثوابـه الحمـر**

---

(1) الأقاح: الأقحوان وهو نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر، والبهار: نبت أصفر طيب الريح.

شهد بماء الورد مستودع **في أكر من جامد الخمر**[1]
كأننا حين نحيا به **نستنشق الند من الجمر**[2]

الخوخ:

كأنما الخوخ على دوحه **وقد بدا أحمره العندمي**[3]
بنادق من ذهب أصفر **قد خضبت أنصافها بالدم**
وخوخة بستان ذكي نسيمها من **المسك والكافور قد كسبت نشرا**[4]
ملبسة ثوبا من التبر نصفه **مصوغٌ، وباقيه كيافوتة حمرا**

المشمش:

ومشمش جاءنا من أعجب العجب **أشهى إليّ من اللذاتِ والطربِ**
كأنه وهبوب الريح ينثره **بنادق خرطت من خالص الذهبِ**

وقال محيي الدين بن عبد الظاهر:

حبذا مشمش على الدوح أضحى **ذا شعاع يستوقف الأبصارا**
شجر أخضر لنا جعل اللهُ **"تعالى" منه كما قال نارا**[5]

الرمان:

رمانة صبغ الزمان أديمها **فتبسمت في ناصر الأغصان**
فكأنما هي حقّه من عسجد **قد أودعت خرزا من المرجان**
غيره- كأنما حقه، فإن فتحت **فصرة من فصوص ياقوت**
غيره- حقاق كأمثال العقيق تضمنت **فصوص بلخش في غشاء حرير**[6]

---

(1) الأكر: جمع كرة وهي لغة في الكرة.
(2) الندى: طيب.
(3) العندم: صبغ أحمر.
(4) نشر: رائحة طيبة.
(5) يشير إلى قوله تعالى: **الذي جعلَ لكُم من الشجر الأخضر نارا** .
(6) البلخش: حجر معدنه بنواحي بلخشان المتاخمة للتركستان، أحمره يشبه الياقوت.

غيره- إذا فض عنه قشره فكأنــه **فصوص عقيق في حقاق من الــدر**
فدر، ولكــن لم يدنســه عــارض **وماء ولكن في مخــازنَ مــن جمــر**

النخيل، والبلح:

كأن النخيل الباسقات وقد بــدت **لناظرها حسنا قبــاب زبرجــد[1]**
وقد علقت من حولهــا زينــة لهــا **قناديل ياقوت بــأمراس عســجد**

وقال السري الرفاء المتوفى سنة 366هـ:

فالنخل من باسق فيــه وباسقةٍ **يضاحك الطلع في قِنوانه الرطبا[2]**
أضحت شماريخه في النحر مطلعة **إما ثُريا، وإما مِعصما خضِبا[3]**
تريك في الظل عِقيانا، فإن نظــرت **شمس النهار إليها خِلتــها لهبــا[4]**

وقال آخر في البلح الأخضر:

أما ترى النخل قد نثــرت بلحــا **جــاء بشــيرا بــــدولة الرطــب**
مكاحِلاً مــن زمــــرد خرطــت، **مقمعــات الــرءوس بالــذهبِ[5]**

وفي البلح الأحمر:

أنظــر إلــى البسر إذ تبــدى **ولونــه قــد حكى الشــقيقا[6]**
كأنمـــا خوصــــه عليــــه **زبرجـــــد مهـــــر عقيقـــــا**

البطيخ:

(1) بسحق النخل: طال.
(2) الطلع: ما يطلع من النخلة ثم يصير تمرا إن كانت أنثى، فإن كانت ذكرا لم يصر تمرا بل يؤكل طريا، أو يترك على النخل أياما حتى يصير فيه شيء أبيض مثل الدقيق فتلقح به الأنثى والقنوان جمع قنو وهو من التمر كالعنقود من العنب.
(3) المعصم موضع السوار أو اليد وهو المراد هنا.
(4) العقيقان: الذهب الخالص.
(5) مقمعة: ذات قمع وهو ما التزق بأعلى التمرة.
(6) البسر: البلح قبل أن يرطب فإذا انتهى نضجه فرطب، والشقيق: نبت أحمر فيه بقع سوداء.

رأيتهـــا في كـــف جلا ـــــا | وقـد بـدت في غايـة الحُسـن
كســلة خضــراء مختومـــة | على الفصوص الحمـر في القطـن

وقال أبو طالب المأموني:

ومبيضة فيها طرائق خضـرة كمـا | اخضر مجرى السيل من صيب المزن[1]
كحقـة عـاج ضـببت بزبرجـدٍ | حوت قطع الياقوت في عصب القطن[2]

وقال في بطيخة صفراء:

وبطيخـــةٍ مســـكية عســـلية | لها ثوب ديباج وعـرف مـدام[3]
إذا فُصلت للأكل كانـت أهلّـةً | وإنْ لم تفصل فهـي بـدر تمـام

وقال سبط بن التعاويذي المتوفى سنة 584هـ:

رب صفـــراء أتتنـــا | وهـــي في أحســـن حلّـــه
تعتريهـا صفـرةٌ فـي | لو ـا مـن غـير عِلّـه
حلـوةُ الريـق، حـلال | دمهـا في كـل مِلّـه
نصفهـــا بـــدر، وإن | قســمتها فهـــي أهلّـــه

غيره:

ألا فانظروا البطـيخ وهـو مشـقق | وقد حاز في التشـقيق كـل أنيـق
تـروه كبلـور بـدا في زمـرد | مركبة فيـه فصـوص عقيـق

العنب - قال ابن المعتز المتوفى سنة 296هـ:

كـأن عناقيد الكـروم وظلـها | كواكب درٍّ، في سمـاء زبرجـد

وقال السري الرفاء:

---

(1) الصيب: المطر، والمزن: السحاب أو أبيضه.
(2) الضبيب: شدة القبض على شيء لئلا ينفلت أي كأ ا مخاطة بخيوط الزبرجد تمسكها والعصب جمع عصبة، ما يعصب به أي صرر من القطن.
(3) العرف: الريح.

والكرم مشتبك الأفنان، توسعنا   أجناسه في تساوي شربها عجبا[1]
فكرمةٌ قطرت أغصانها سبجا   وكرمه قطرت أغصانها ذهبا[2]
كأنما الورق المخضر دونهما   غيرانُ يكسوهما من سندس حجبا

قصب السكر:

تحكيه سمر القنا ولكن   تراه في جسمه طلاوه[3]
وكلما زدته عذابًا   زادك من ريقه حلاوه

النبق:

وسدرة كل يوم   من حسنها في فنون[4]
كأنما النبق فيها   وقد بدا للعيون
جلاجلٌ من نضارٍ   قد علقت في الغصون

الجزر: قال ابن المعتز:

انظر إلى الجزر الذي   يحكي لنا لهب الحريق
كمذبة من سندس   ولها نصاب من عقيق

وقال ابن رافع القيرواني:

انظر إلى الجزر البديع كأنه   في حسنه قضب من المرجان
أوراقه كزبرجد في لونها   وقلوبه صيغت من العقيان[5]

اللوز الأخضر: قال ظاهر الحداد:

كأنما قلوبه   من توأم ومفردِ
جواهر لكنما الأصد   اف من زبرجدِ

---

(1) الأفنان: الأغصان والشرب: الماء.
(2) السبج: خرز أسود.
(3) الطلاوة مثلثة الطاء: الحسن.
(4) السدرة: شجرة النبق.
(5) العقيان: الذهب الخالص.

التين: قال ابن المعتز:

أنعم بتين طاب طعمــا، واكتســى **حسنا، وقارب منظرا مــن مخــبر**

في بـــرد ثلـــج، في نقـــاتبر، وفي **ريح العبير، وطيب طعم الســكر**[1]

يحكي إذا مــا صــف في أطباقــه **خِيما، ضربن من الحريــر الأحمــر**

الفستق:

والقلب ما بين قشــريه يلــوح لنــا **كألسن الطير مــن بــين المنــاقير**

غيره: زبرجدة خضراء وسط حريــرة بحقــةٍ عــاجٍ في غـــلاف أديم[2]

غيره: زبرجدة ملفوفــة في حريــرة **مضــمة دراً مغشـــى بيــاقوت**

النارنج: قال ابن المعتز:

وكأنمــا النــارنج في أغصـــانه **من خالص الذهب الذي لم يخلــطِ**[3]

كرة رماها الصــولجانُ إلى الهــوا **فتعلقت في جـــوه لـــم تســقطِ**

غيره: انظر إلى منظر تلهيك جنتــه بمثلــه في البرايـــا يضــرب المثــلُ

نار تلوح على الأغصان في شــجر **لا النار تطفأ، ولا الأغصان تشــتعل**

وقال أبو الحسن الصقلي:

إذا ميلتها الــريح مالــت كــأكرةٍ **بدت ذهبا في صــولجان زبرجــدِ**

الليمون: قال ابن المعتز:

يــا حبـــذا ليمونـــةٌ تحــدثُ للــنفس الطــرب

كــأ ـــ ـــا كافـــــورة لهــا غِشــاء مــن ذهــب

القلم: قال "ابن المعتز": القلم مجهز لجيوش الكلام، يخدم الإرادة ولا يمل استزادة، يسكت واقفًا، وينطق سائرا، على أرض بياضها مظلم وسوادها مضيء، وكأنه يقبل بساط

---

(1) العبير: أخلاط من الطيب، ونقا: مقصور نقاء.
(2) الأديم: الجلد أو أحمره، وهو المراد هنا.
(3) النارنج: نوعان احدهما حامض معروف والآخر حلو وهو "البرتقال".

سلطان، أو يفتح نوار[1] بستان.

وقال "علي بن عبيد" : القلم أصم يسمع النجوى[2]، أعيا من باقل، وأبلغ من سحبان وائل، يجهل الشاهد، ويخبر الغائب، ويجعل الكتب بين الإخوان أسنا ناطقة، وأعينا لاحظة، وربما ضمنها من ودائع القلوب ما لا تبوح به الألسن عند المشاهدة.

ومن كلام "أبي حفص بن برد الأندلسي": ما أعجب شأن القلم، يشرب ظلمة، ويلفظ نورا، قد يكون قلم الكاتب أمضى من شباة[3] المحارب، القلم سهم ينفذ المقاتل، وشفرة[4] تطيح ا المفاصل.

وقال "محمود بن أحمد الأصبهاني":

أخـــرس ينبيـــك بإطراقـــهِ عن كل ما شـئت مـن الأمـر[5]

يذري علـى قرطاسـه دمعـة يبدي ا السـر ومـا يـدري[6]

كعاشق أخفـى هـواه وقـد نمّت عليـه عـبرةٌ تجـري

تبصـره في كـل أحـواله عريانَ يكسو النـاس أو يعـري

يـرى أسـيرا في دواة وقـد أطلـق أفواهـًا مـن الأسـر

أحـرق لـو لـم يكـن يرشق أفواهـًا ومـا يـبري[7]

كـالبحر إذ يجـري، وكالليـل إذ يغشى، وكالصـارم إذ يفـري

وقال "أحمد بن عبد ربه" المتوفى سنة 228هـ :

يخاطب الغائب البعيـد بهـا يخاطـب الشاهـد الذي حضـرا

---

(1) الزهر أو الأبيض منه.
(2) السر.
(3) الشباة: حد كل شيء.
(4) سكين.
(5) أطرق: أرخى عينيه ينظر إلى الأرض.
(6) يذري: يصب.
(7) أخرق: أحمق، ويبرى: يقطع، وكذا يفري.

شخت ضئيلٌ لفعله خطر أعظم به في ملمة خطرا[1]
تمج فكـاه ريقة صغرت وخطبها في القلوب قد كبرا
يوافع النفس منه ما حذرت وربما جنبت به الحذَرا
مهفهف تزدهي به صحف كأنما حليت به دررا

و "لابن المعتز" في قلم الوزير "القاسم بن عبيد الله":

قلم ما أراه، أم فلك يجري بما شاء "قاسم" ويسير؟
خاشع في يديه يلثم قرطاسًا كما قبل البساط شكور
ولطيف المعنى، جليل، نحيف وكبير الأفعال وهو صغير!
كم منايا، وكم عطايا، وكم حتف وعيش تضم تلك السطور
نقشت بالدجى نهارا، فما أدري أخط فيهن أم تصوير؟

وقال "أبو تمام" في قلم "محمد بن عبدالملك الزيات":

لك القلم الأعلى الذي بشباته تصاب من الأمر الكلى والمفاصل
لعاب الأفاعي القاتلات لُعابه وأري الجنى اشتارته أيد عواسلُ[2]
له ريقةٌ طلٌ، ولكن وقعها بآثاره في الشرق والغرب وابلُ[3]
فصيح إذا ما استنطقته وهو راكب وأعجم إن خاطبته وهو راجِلُ[4]
إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت عليه شعاب الفكر وهي حوافل[5]
أطاعته أطراف القنا وتقوضت لنجواه تقويض الخيام الجحافلُ

---

(1) شخت ضامر: دقيق وكذا مهفهف.
(2) الأري: العسل. اشتاره: اجتناه، العوامل: جمع عاملة، تشتار العسل: تجمعه.
(3) الطل: أخف المطر. والوابل: المطر الشديد الضخم القطر.
(4) أعجم: لا يبين كلامه، راجل: واقف.
(5) الشعاب جمع شعبة: وهي ما عظم من حوافي الأودية والميل في الرمل، وحوافل: ملأى.

إذا استغزر الذهن الجلـي وأقبلـت ... أعاليه في القرطاس وهي أسـافل[1]

رأيت جليلاً شـأنه (وهـو مرهـف ... ضنا وسمينا خطبه (وهو ناحـل)[2]

وقال ابن الرومي:

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت ... لـه الرقاب، ودانت خوفه الأمـم

فالموت -والموت لا شيء يغالبـه- ... ما زال يتبع مـا يجري بـه القلـم

كذا قضى الله للأقلام مـذْ بريـت ... أن السيوف لها مذ أرهفت خـدم

وقال المتنبي:

نحيف الشوى يعدو على أم رأسـه ... ويحفى فيقوى عدوه حين يقطـع[3]

يمـج ظلامـا في ـ ـار لسـانه ... ويفهم عمن قال مـا ليس يسـمع

وقال ابن نباتة السعدي، المتوفى سنة 405هـ:

يرنو إلى الأفكـار غـير ملاحـظ ... ويخاطب القرطاس غيـ ـر محـابي

ويعلـم الآداب أفهـ ـام الـورى ... وفـ ـؤاده صفـ ـر مـن الآداب

وقال مهيار الديلمي المتوفى سنة 427هـ في وصف الدولة والأقلام:

وأم بنين اسـتبطنتهم فصدرهـ ـا ... غصيص م عند الحضـان كظـيم

يعقو ا بالضـغط، وهـي علـيهم ... عطوف بدرات الرضـاع رءوم[4]

يخالُ الأفاعي الرقش ماضم منـهم ... حشاها، وهم فيهـا أخ وحمـيم[5]

فمن ذي لسان مفصح وهو أخرس ... ومن بـائح بالسـر وهـو كتـوم

وقال أبو الفتوح البستي المتوفى سنة 400هـ:

---

(1) استغزر: طلب ما فيه من مادة غزيرة.

(2) مرهف: دقيق مرفق، ضني: مرض مرضا يلزمه الفراش حتى أشرف على الموت.

(3) الشوى: الأطراف وجلدة الرأس.

(4) الدر: اللبن، رءرم: عطوف.

(5) الرقش: جمع رقشاء وهي الحية المنقطة بسواد وبياض، والحميم: القريب.

إذا أقسم الأبطالُ يومــا بسـيفهم ... وعدوه مما يكسب المجـد والكـرم

كفى قلم الكتـاب عـزا ورفعـة ... مدى الدهر أن الله أقسـم بـالقلم

وقال أعرابي من بني الحرث بن كعب، يصف الشمس:

مخبـأة، أمـا إذا الليـلُ جنهـا ... فتخفى، وأمـا بالنـهار فتظهـر(1)

إذا انشق عنها ساطع الفجر وانجلى ... دجى الليل وانجاب الحجاب المستر(2)

وألبس عرض الأرض لونـًا كأنـه ... على الأفق الشرقي ثـوب معصـفر

تجلت، وفيها حين يبـدو شـعاعها ... ولم يجـل للعـين البصـيرة منظـر

بلون، كدرع الزعفـران يشـوبه ... شعاع تلألأ، فهـو أبـيض أصـفر

إلى أن علت وابيض منها اصفرارها ... وجالت كما جال المهيج المسـهر(3)

وجللت الآفـاق ضـوءًا ينيرهـا ... فخر لهـا صـدر الضـحى يتسـعر

ترى الظلّ يطوي حين تعلو وتـارة ... تـراه إذا مالـت إلى الأرض ينشـر

وتدنف حتى مـا يكـاد شـعاعها ... يـبين إذا غابـت لمـن يتبصـر(4)

كما بدأت، إذ أشرقت، في مغيبـها ... تعود كمـا عـاد الكـبير المعمـر

فأفنت قرونا، وهي في ذاك لم تـزل ... تموت وتحيا كـل يـوم وتنشـر(5)

وقال الطغرائي يصف طلوع الشمس وغروب البدر:

وكأنما الشمس المـنيرة إذ بـدت ... والبدر يجنح للغروب ومـا غـرب

متحاربان لـذا مجـن صاغـه ... من فضة، ولـذا مجن مـن ذهـب

وقال ابن خفاجة الأندلسي المتوفى سنة 522 يصف غروبها في نهر:

---

(1) جنها: سترها.

(2) انجاب: انكشف.

(3) المهيج: المفزع.

(4) دنفت الشمس: دنت للغرب واصفرت.

(5) تحيا.

وقـد واـتِ الشـمس محثثـة إلى الغرب ترنو بطرف كحيـل[1]
كـأن سناهـا علـى ـرِه بقايا نجيـع بسـيف صـقيل[2]

وقال ابن طاهر الكرخي أيضا:

أما ترى الأفق كيف قـد ضـرب الغيم عليه مـن مزنـه قببـا؟
وحاجب الشمس مـن رفارفهـا يضرم فيهـا بنـوره لهبـا[3]
كـأنـه فضـة مطـرقـةٌ أطرافها قـد تطوسـت ذهبـا[4]

وقال ابن مكي أيضا:

كأن الشمس إذا غربـت غريـق هـوى في البحـر أو وافى مغاصـا
فأتبعهـا الهـلال علـى غـروب بزورقـه، يريـد لهـا خلاصـا

وقال عبد العزيز القرطبـي أيضا:

إني أرى شمس الأصيـل عليلـة ترتـاد من نحو المغـارب مغربـا
مالت لتحجب شخصـها فكأ ـا مدت على الدنيا بسـاطًا مـذهبا

وقال ابن الرومي أيضا:

وقد طفلت شمس الأصيل ونفضت على الجانب الغربي ورسا مذَعـذَعا[5]
ولاحظت النوار وهـي مريضـةٌ وقد وضعت خدا على الأرض أضرعا[6]
كما لحظت عواده عـين مـدنف توجع من أوصـابه مـا توجعـا[7]

وقال ابن أفلح من قصيدة طويلة في الموضوع نفسه:

---

(1) محثثة: مسرعة، ترنو: تديم النظر.

(2) سناها: ضوؤها، والنجيع: دم يضرب إلى السواد.

(3) رفارفها: أطرافها وجوانبها.

(4) مطرقة: مضروبة بالمطرقة، وتطوست: تزينت.

(5) طفلت الشمس: احمرت عند الغروب، ونقضت: نثرت، والورس: نبات أصفر، والمذعذع: المبدد والمفرق.

(6) أضرعا: ذليلا.

(7) الأوصاب: الأمراض.

والشمس خافضة الجناح مسِفّةٌ — في الغرب تنساب انسياب الأرقط(1)
أو كالعروس بدت فأسدلَ دونها — جنبات سِتر كالجساد مخطّط(2)
وأتى الظلام على الضياء كما أتى — أجلٌ على أملٍ، فلم يتباطِ

وقال أيضا شاعر العراق الكبير الأستاذ معروف الرصافي:

نزلت تجرّ إلى الغروب ذيولاً — صفراء تشبه عاشقًا متبولا(3)
تهتز بين يدي المغيب كأنها — صبّ تململَ في الفراش عليلا
ضحكت مشارقها بوجهك بكرة — وبكت مغاربها الدماء أصيلا
وغدت بأقصى الأفق مثل عرارة — عطِشت فأبدت صفرة وذبولا(4)
غربت فأبقت كالشواظ عقيبها — شفقًا بحاشية السماء طويلا(5)
شفق يروع القلب شاحب لونه — كالسيف ضمخ بالدماء مسلولا
رفت أعاليه وأسفله الذي — في الأفق أشبع عصفُرا محلولا

وقال ابن المعتز يصف الهلال:

انظر إليه كزورق من فضة — قد أثقلته حمولة من عنبر
غيره: وكأن الهلال نصف سِوار — والثريا كف تشير إليه
غيره: فخ بوسطِ السماء ملقى — ينتظر الصيد للنجوم
غيره: انظر إلى حسن هلالٍ بدا — يهتك من أنواره الحندسا(6)

---

(1) مسفة: من أسف الطائر إذا دنا من الأرض في طيرانه، وحية رقطاء: من الرقطة وهي سواد يشوبه بياض أو عكسه.
(2) الجساد: الزعفران.
(3) ذاهب العقل.
(4) العرار: نبت طيب الريح.
(5) الشواظ: اللهب لا دخان فيه.
(6) يهتك: يمزق و "من" في كلمة "من أنواره" بمعنى الباء، والحندس: الظلمة.

كمنجل قد صيغَ من فضة يحصد من دهر الدجى نرجسا

غيره: يتلو الثريا كفاغر شره يفتح فاه لأكل عنقود[1]

غيره: في ليلةٍ أكل المحاق هلالها حتى تبدى مثل وقف العاج[2]

غيره: قالت لها هوت لمغربها الشمس ولاح الهلال للنظار

أقرض الشرق ضده الغرب دينا را فأعطاه الرهن نصف سوار

وقال ابن طَباطِبا:

وكأنّ الهلال لما تبدى شطر طوق المرآة ذي التذهيب

أو كقوس قد أحنيت أو كنؤيٍ أو كنونٍ في مهرق مكتوبِ[3]

وقال أبو عاصم البصري في الهلال والثريا والزهرة:

رأيت الهلال وقد حلقت نجوم الثريا لكي تلحقه

فشبهته وهو في إثرها وبينهما الزهرة المشرقه

بقوس الرام: رمى طائرا فأرسل في إثره بندقه

وقال في اقتران الثريا بالهلال:

فإذا ما تقارنا قلت طوق من لُجين قد علقت فيه دره

وقال الطغرائي:

فكأنه وكأنها في جنبه عنقوده في زورق من عسجد

وقال أبو الفضل الميكالي:

كأكرة من فضةٍ مجلوةً أوفى عليها صولجان من ذهب

غيره: كأن الهلالَ تحت الثريا ملك فوق رأسه أكليل[4]

(1) فاغر: فاتح فاه.

(2) المحاق، مثلثة الميم: آخر الشهر والوقف سوار من عاج.

(3) النؤي: الحفير حول الخيمة يمنع السيل، المهرق: الصحيفة (معرب).

(4) التاج.

غيره: كأنما النجم قرط صيغ من ورق **معلق من هـلال الأفـق في أذن**[1]

وقال شرف الدين الحسين:

كـأن الهـلال نزيــل السـماء **وقـد قــارن الزهـرة النيـرة**

سـوار لحسـناء مـن عسـجدٍ **على قُفـلِهِ وضـعت جوهــره**

وقال البدر البشتكي في وصف الهلال والنجوم حوله:

ذبالة شمع عـوج الـريح ضـوءها **فطار لهـا بالقرب بعض شـرار**[2]

وقال علي بن محمد الكاتب:

بــدا مسـتدق الجـانبين كأنــه **على الأفق الغربي مِخلـب طـائر**

ولاح لمســرى ليلــتين كأنمــا **تفرق منه الغيم عـن إثـر حـافر**

غيره: وشمر عنه الغـيم ذيـلاً كأنمـا **تكشف منه عن جنـاحٍ محلـق**[3]

وقال: البدر كالملك الأعلى وأنجُمـه **جنوده، ومبـاني قصـره الفَلـك**

ولابن المعتز:

وكـأن البـدر لمــا **لاح من تحـت الثريـا**

ملـك أقبـل في التـا **ج يفَــدى ويحيــا**

ولـه في البدر مع الشمس:

حتى رأيت الشمس تتــ **ـلو البدر في أفق السما**

فكأ ـــ ـا وكـأنـــه **قدحـان من خمر ومـا**

وغيره:

والبدر في أفق السـماء كـدرهم **ملقى على ديبـاجــةٍ زرقـاء**

وللسلامي:

---

(1) الورق: بكسر الراء الفضة.

(2) الذبالة: الفتيلة.

(3) حلق الطائر: ارتفع في طيرانه.

والبـدر في أفـق السـما كروضـة فيهـا غـدير

وللشريف العقيلي:

والبدر في كبد السـماء كـوردة بيضاء تضحك في رياض بنفسـج

غيره: وقد برز البدر المنير ووجهـه كجامِ لُجين فيـه آثـار عنـبر(1)

وقال سهل بن المزبان:

شبهت بـدر سمائهـا لمـا دنـت منه الثريـا في قمـيص سندسـي

ملكًـا مهيبـا قاعـدا في روضـة حياه بعـض الزائـرين بنـرجس

وقال الوأواء الدمشقي يصف البدر طالعا من خلال السحاب:

والبدر أول مـا بـدا متلثمـا يبدي الضياء لنـا بخـدٍّ مسـفر(2)

فكأنمـا هو خـوذة مـن فضـة قد ركبت في هامة مـن عنـبر(3)

وقال الشريف الرضي يصف السماء والأرض والليل والبرق:

سـمائي مذهبـةٌ بـالبروق وأرضـي مفضضـةٌ بالحبـابِ

وروضـي مطـارفه غضـةٌ تطـرز أطرافهـا بالذهـابِ

وليل ترى الفجـر فـي عِطفـهِ كما شاب بعض جنـاح الغـرابِ

يغـار الظـلام علـى شمسـهِ إلى أن يواريهـا بالحجـابِ

وتصـقلُ أنجُمـه العاصفـات إذا صدِئت من عمـود السـحاب

وقال البحتري يصف الغيث:

ذات ارتجـازٍ بحـنين الرعـدِ مجرورة الذيل صـدوق الوعـدِ(4)

مسفوحة الـدمع لغـير وجـدٍ لهـا نسـيم كنسـيم الـوردِ

---

(1) الجام: إناء من فضة.

(2) مضيء: مشرق.

(3) الخوذة: المغفر، وهو زرد ينسج على قدر الرأس" والهامة: الرأس.

(4) من ارتجز الرعد إذا دمدم.

ورنـــــةٌ مثــل زئـــير الأســـدِ **ولمـع بـرق كسـيوف الهنـــد**
جاءت ا ريح الصـبا مـن نجـد **فـانتثرت مثــلُ انتثــار العِقــدِ**
فراحـــتٍ الأرض بعـــيش رغـــدِ **مِن وشي أنـوار الـربى في بـردِ**
كأنمـــا غدرا ـــا في الوهـــدِ **يلعبـن مـن حبا ـــا بـالنرد[1]**

ومن قصيدة لصفي الدين الحلي يصف فيها الربيع:

خلع الربيع علـى غصـون البـان **حللا فواضلها علـــى الكثبـان**
ونمت فروع الدوج حـتى صـافحت **كفلَ الكثيب ذوائـب الأغصـان**
وتتوجت هام الغصـون وضـرجت **خـد الريـاض شـقائق النعمـان**
وتنوعت بسـط الريـاض فزهرهـا **متباين الأشكـــال والألـــوان**
مـن أبـيض يقِـق وأصـفر فـاقع **أو أزرق صــــافٍ وأحمـــر قـان**
والظل يسـرع في الخمائـل خطـوه **والغصن يخطـر خِطـرة النشـوان**
وكأنما الأغصـانُ سـوق رواقـص **قـد قيـدت بسلاسـل الريحـان**
والشمس تنظر من خـلال فروعهـا **نحـو الحـدائق نظـرةُ الغـيران**
والأرض تعجب كيف يضحك والحيا **يبكـــي بـــدمع دائـــم الهمـــلان**
حـتى إذا افتـرت مباسـم زهرهـا **وبكى السـحاب بمـدمع هتـان**
طفح السرور علـــي حـتى أنـــه **من عظم ما قـد سـرني أبكـاني**
فاصرف همومـك بـالربيع وفصـله **إن الربيع هـو الشـباب الثـاني**

ولـه من قصيدة في وصف واد:

تعانقت الأغصـان فيـه فأسـبلت **على الروض أستارا من الورق الخضر**
إذا ما حبال الشمس منها تخلصـت **إلى روضه ألقت شراكًا مـن التـبر**

ومن قول أبي الفتح كشاجم في وصف الجمر يعلوه الرماد:

---

(1) النرد: لعبة تعرف عبد العامة بلعبة (الطاولة).

كأنمـا الجمـر والرمـاد وقـد ... كـاد يواري من نـاره النـورا

ورد جني القطـاف أحمـر قـد ... ذرت عليـهِ الأكـف كـافورا

ومن قصيدة لأبي الفرج عبد الواحد الببغا في وصف جيش:

قـاد الجيـادِ إلى الجيـادِ عوابسـا ... شعثًا ولـولا بأسه لـم تنقـدِ[1]

في جحفلٍ كالسـيل أو كالليـل أو ... كالقطْر صافح مـوج بحـر مزبـدِ

رد الظلام على الضـحى فاسـترجع ... الإظلام من ليل العجـاج الأربـدِ

وكأنما نقشـت حوافـر خيلـه ... للنـاظرين أهـلةً في جلمـدِ

وكأن طرف الشمس مطروف وقـد ... جعل الغبار لـه مكـان الإثمـد

ولـه من قصيدة في وصف روضة:

مداهن يحملـن طـل النـدى ... فهاتيك تـبر وهـذي عقيـق[2]

تـنظم أوراقهـا درهـا ... وتنـثر منهـا الـتي لا تطيـق

يميـلُ النسـيم بأغصانـها ... فـبعض نشـاوى وبعـض مفيـق

ويـومٍ سـتارته غيمـه ... وقد طرزت رفرفيهـا البـروق

جعلنـا البخـور دخانـا لـه ... ومن شرر الـراح فيـه حريـق

تظل بـه الشـمس محجـوبةً ... كـأن اصطباحك فيـه غبـوق

على شـجراتٍ رافعـات الـذيو ... ل لمـاء الجداول منهـا شـهيق

ومن قصيدة للحسن بن علي بن وكيع في وصف روض:

أسفر عن بهجته الـروض الأغـر ... وابتسم الدوح لنـا عـن الزهـر

أبدى لنا فصـلُ الربيـع منظـرا ... بمثله تفتـن ألبـاب البشـر

وشيا ولكـن حـاكه صانعـه ... لا لابتذال اللابس لكـن للنظـر

---

(1) الأشعث: الأسود.

(2) الطل: المطر الضعيف.

عاينه طرف السماء فانثنى عشقًا له يبكي بأجفان المطر
فالأرض في زي عروس فوقها من أدمع القطر نثار من درر
وشي طواه في الثرى صوانه حتى إذا ملّ من الطي انتشر[1]

وله من قصيدة في وصف الربيع:

انظر إلى زهر الربيع وما جلت فيه عليك طرائف الأنوار
أبدت لنا الأمطار فيه بدائعا شهدت بحكمة منزل الأمطار
ما شئت للأزهار في صحرائه من درهم بهج ومن دينار
وجواهر لولا تغير حسنها جلت عن الأثمان والأخطار[2]

وله أيضا في وصف الربيع:

ألست ترى وشي الربيع المنمنم وما رصع الربعي فيه ونظما[3]
فقد حكت الأرض السماء بنورها فلم أدر في التشبيه أيهما السما
فخضرا كالجو في حسن لونه وأنوارها تحكي لعينيك أنجما
فمن نرجس لما رأى حسن نقشه تداخله عجب به فتبسما
وأبدى على الورد الجني تطاولا فأظهر غيظ الورد في خده دما
وزهر شقيق نازع الورد فضله فزاد عليه الورد فضلاً وقدما
وظلّ لفرط الحزن يلطم خده فأظهر فيه اللطم جمرا مضرما
ومن سوسن لما رأى الصبغ كله على كل أنوار الرياض تقسما
تجلبب من زرق اليواقيت حلة فأغرب في الملبوس منه وأحكما[4]
وأنوار منثور تخالف شكلها فصار شكل الربيع متمما

(1) الصوان: الوعاء الذي يصان فيه الشيء.
(2) جمع خطر، وهو المثل والعديل في العلو.
(3) الربعي: نسبة إلى الربيع والمراد به هنا المطر في الربيع.
(4) أغرب: أتى بشيء غريب.

جواهر لو قد طـال فينـا بقاؤهـا رأيت ـا كـل الملـوك مختمـا

وللقاضي محمد بن النعمان في وصف الهلال:

انظر إلى حسن ذا الهـلال وقـ ـد بـدا لستٍّ مضين مـن عمـ ـره
وقد أطافـت بـ ـه كواكبـ ـه حسنـ ـًا فبينتـ ـه لمعتبـ ـره
مثل زنـاد قد صيغ مـن ذهـب يقدح نـارا وهن مـن شـرره[1]
ثـم تـ ـولى يريـ ـد مغربـ ـه في شفق الشمس وهي في أثـره[2]
فخلتـ ـه غائصـ ـًا ببحـ ـر دم يقـذف بالرائـ ـعاتِ مـن درره
فـ ـلم أزل ليلـ ـتي أراجعـ ـه لحظي وأبكي للوقتِ مـن قصـره
حـتى تبـدى الصـباح منتـهيا قبلَ انتباه المخمور مـن سـكره

ومن قصيدة لسليمان بن حسان الصيـبي في وصف شمعة:

ومجدولـة مثل صـدر القنـا ة تعـرت وبـاطنها مكتسـي
لهـا مقلـة هـي روح لهـا وتـاج علـى الـرأس كـالبرنس
إذا رنقـت لنعـ ـاس عـ ـرا وقطت مـن الـرأس لم تـنعس[3]
إن غازلتـها الصبـ ـا حركـت لسانـًا مـن الـذهب الأملـس
وتنـتج في وقـت تلقيحـ ـها ضيـاء يجلـى دجـى الحنـدس
فـنحن مـن النـور في أسـعد وتلـك مـن النـار في أنحـس
توقدهـ ـا نـزهـ ـة العيـ ـو ن ورؤيتـ ـها منيـ ـة الأنفـس
تكيد الظـلام كمـا كادهـا فـتفنى وتفنيـ ـه في مجلـ ـس
فيـا حامل العود حـث الغنـا ويا حامـل الكـأس لا تحـبس

(1) الزناد، جمع زند: ما تقدح به النار.
(2) الشفق: الحمرة في الأفق من الغروب إلى قريب من العتمة.
(3) كدرت.

ويا صالح[1] انعـم وعـش سـالمًا **على الدهر** في **عـزك الأقعـس[2]**

ولأبي الحسن العقيلي في وصف الصبح والبرق:

الصـبح ينشـر فـوق مسـكٍ **الليـل كافـور الضيـاء**

والبرق يذهـب مـا تفضضـه **الغيـوم مـن السمـاء**

فاشـرب علـى ديبـاج نبـتٍ **قـد أحـاط بشـرب مـاء[3]**

فـالعيش في **زمـن الربيـع** **رقيـق حاشيـةِ الـرداء**

وقال أيضا في نارنجة:

ونارنجـة بين **الريـاض نظرتهـا** **على غصن رطبٍ كقامةِ أغْيـد[4]**

إذا ميلتها الـريح مالـت كـأكْرةٍ **بدت ذهبـا** في **صـولجان زمـردِ**

لابن أبي عمرو الطرازي في وصف نار:

نـار جـرت في **غابـةٍ** **ترمـي العـلى بالشهـب**

كأنـها جـيش وغـى **فرسانـه مـن ذهـب**

ولعلي بن لؤلؤة الكاتب في الصبح والليل:

رب صبحٍ كطلعة الوصـل جلـى **جنح ليـل كطلعـة الهجـران**

زار في **حلةِ البـزاةِ فـولّي الليـلُ** **عنـه فـي حـلة الغـربان**

ولأبي العباس الكندي في الندى على البحر:

كأن الندى في **البحر** بحـران **مـائع** **على مائع هـذا على ذاك مطبـق**

فهـذا لجـين **سـابح مترقْـرق** **وذاك لُجين** في **السـماء معلـق[5]**

---

(1) اسم الممدوح.

(2) الثابت: المنيع.

(3) الشراب: المورد.

(4) النارنجة: واحدة النارنج وهو شجرة ورقها أملس ليس بشديد الخضرة يحمل حملاً مدورا في جوفه حماض كحماض الأترج ووردها أبيض في ـاية من طيب الرائحة.

(5) مترقرق: متلألئ.

إذا أبصرته الشمس بعد احتجا ا ... **بـه سـ ـاعةً أبصـرته يتمـزق**

وللسري بن أحمد الكندي في وصف الفجر من قصيدة:

وركائبٍ يخرجن من غلس الـدجى ... **مثل السهام مرقْن منـه مروقـا**[1]

والفجر مصـقولُ الـرداء كأنـه ... **جلباب خـودٍ أشـربته خلوقـا**[2]

ولـه من أخرى في سحابة:

وبـ ـكر إذا جنبتهـ ـا الجنـوب ... **حسبت العشـار تـؤم العشـار**[3]

ترى البـرق يبسِـم سِـراً ـ ـا ... **إذا انتحب الرعـد فيهـا جهـارا**

يعارضـها في الهـ ـواء النسـيم ... **فينثـ ـر في الأرض درا صـ ـغارا**

فطـورا يشـق جيـوب الحيـ ـا ... **وطورا يسـح الـدموع الغـزارا**

ولـه من أخرى:

غيـوم تمسـك أفـ ـق السـما ... **ء وبـرق يكتبـ ـه بالذهـ ـب**

وخضراءُ ينـثر فيهـا النـدى[4] ... **فريدا نـدى**[5] **مـاالـ ـه ثُقَـب**

فأوراقهـا مثـلُ نظـ ـم الحلـى ... **وأ ارهـا مثـلُ بـيض القُضـب**

حللت ـا مـع نـدامى سـلوا ... **عن الجـ ـد واشـتهروا باللعِـب**

وأغنتهم عـن بديـ ـع السمـ ـا ... **ع بدائع مـا ضمنتـ ـه الكتـب**

وأحـسن شيء ربيـ ـع الحيـ ـا ... **أضـيف إليـ ـه ربيـ ـع الأدب**

ولأبي بكر الخالدي في وصف الجو وإدبار الليل وإقبال الفجر:

والجو يسحب من عليل هوائـ ـه ... **ثوبـًا يجـود بظـ ـله المترقـرق**

حتى رأينـا الليـل قـوس ظهـره ... **هرما وأثـر فيـه شـيب المفـرق**

---

(1) خرجن ونفذن من الجانب الآخر.

(2) الخود: المرأة الحسنة الخلق الشابة، والخلوق: ضرب من الطيب مائع.

(3) البكر: السحابة الغزيرة، وجنبتها: دفعتها، والعشار: النوق.

(4) الندى: ما سقط في آخر الليل، والفريد: الجوهر النفسي والدر.

(5) الندى الكلأ.

وكأن ضوءَ الفجر في باقي الدجى سيف حلاه من اللجين المحرق

ولسعيد بن هاشم الخالدي في وصف المطر والصبح والليل والبرق:

أما ترى الطل كيف يلمع في عيون نور تدعو إلى الطرب
في كل عين الطل لؤلؤةٌ كدمعةٍ في جفون منتحِب
والصبح قد جردت صوارمه والليلُ قد هم منه بالهرب
والجو في حلةٍ ممسكة قد كتبتها البروق بالذهب

وللمهلبي الوزير في الربيع:

الورد بين مضمخ ومضرج والزهر بين مكلل ومتوج
والثلج يهبط كالنثار فقم بنا نلتذ بابنة كرمة لم تمزج
طلع النهار ولاح نور شقائق وبدت سطور الورد تلو بنفسج
فكأنّ يومك في غلالة فضة والنبت من ذهب على فيروزج[1]

وللقاضي التنوخي أبي القاسم علي في طول الليل والفجر:

وليلة مشتاق كأن نجومها قد اغتصبت عين الكرى وهي نوم
كأن عيون الساهرين لطولها إذا شخصت عين للأنجم الزهر أنجم
كأن سواد الليل والفجر ضاحك يلوح ويخفى أسود يتبسم

وله أيضا في وحشة الليل والنجوم والسما:

رب ليل قطعته كصدودٍ وفراق ما كان فيه وداع
موحش كالثقيل تقذى به العين وتأبى حديثه الأسماع
وكأن النجوم بين دجاه سنن لاح بينهن ابتداع
وكأن السماء خيمة وشيٍ وكأن الجوزاء فيها شراع

وله أيضا في وصف رياض:

(1) الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضا. الفيروزج: حجر كريم.

رياض حاكت لهن الثريا حللا كان غزلها للرعود
نثر الغيثُ در دمع عليها فتحلت بمثل در العقودِ
أقحوان معانق لشقيق كثغور تعض ورد الخدود
وعيونٌ من نرجس تتراءى كعيون موصولة التسهيد
وكأن الشقيق حين تبدى ظلمة الصدغ في خدود الغيد
وكأن الندى عليها دموع في جفون مفجوعة بفقيد

وكتب محمد بن عبد الله السامي إلى صديق له يصف النارنج:

أتنشط للصبوح أبا علي على حكم المُنى ورضِا الصديق
بنهر للرياح عليه دِرع تذهب بالغروبِ وبالشروق
إذا اصفرت عليه الشمس صبت على أمواجه ماء الخلوق[1]
وجمر شب في الأغصان حتى أضاع الماء في وهج الحريق
فدهم الخيل في ميدان تِبر يصاغ لها كرات من عقيق

وكتب إليه في وصف ر حوله أشجار الجلنار[2]:

و ر تمرح الأمواج فيه مراح الخيل في رهج الغبار[3]
إذا اصفرت عليه الشمس خلنا نمير الماء يمزج بالعقار[4]
كأن الماء أرض مِن لُجين مغشاة صفائح مِن نضار
وأشجار محملة كؤوسًا تضحك في احمرار واخضرار
وإذا أبصرن في ر سماء وهبن له نجوم الجلنار

وله من قصيدة في وصف الرياض والبرق:

---

(1) الخلوق: ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران.
(2) الجلنار: زهر الرمان.
(3) الرهج: ما اثير من الغبار.
(4) الخمر.

نسب الرياض إلى الغمـام شـريف ... ومحلها عنـد النسـيم لطيـف
فاشرب وثقـل وزن جامِـك إنـه ... يوم على قلب الزمـان خفيـف[1]
أو ما ترى طُرر البروق توسطت ... أفقًا كـأن المزنَ فيـه شـفوف[2]
اليوم من خجل الشـقيق مضـرج ... خجل ومن مرض النسيم ضـعيف
والأرض طرس والرياض سـطوره ... والزهر شـكل بينهـا وحـروف

ولأحمد صفي الدين بن صالح بن أبي الرجال يصف روضة صنعاء:

روضة قد صبا لهـا السـعد شـوقًا ... وصفـا ليلها وطـاب المقيـل
جوهـا سجسـج وفيهـا نسـيم ... وكل غُصن إلـى لقـاه يميـل
صـح سكا ـا جميعا من الـدا ... ءِ وجسم النسـيم فيهـا عليـل
إيه: يا ماءَ ـرها العـذب صلصِـلْ ... حبذا يـا زلالُ مِنـك الصـليل
إيه: يـا ورقهـا المُرنـة غنـي ... فحياةُ النفوس منـكِ الهديـل
روض صنعاءَ فقـتِ طبعـا ووصـفًا ... فكـثير الثنـاءِ فيـكِ قليـل
ـر دافـق وجـو فتيـق ... زهـر فـائق وظـل ظليـل
لست أنسى انتعاش شحرور غصـن ... طربـًا والقضيب منـه يميـل
وعلى رأس دوحة خاطـب الـور ... ق ودمع الغصـون طـلاً يسـيل
ولسانُ الرعـود يهتـف بالسـحبِ ... فكـان الخفيف منهـا الثقيـل
وفم السـحب باسـم عـن بـروق ... مستـطير شعاعهـا مستطيـلُ

ولابن سكرة الهاشمي في وصف روضة:

أمـا ترى الروضة قـد نـورت ... وظاهر الروضـة قـد أعشـبا
كأنـا الأرض سمـاءٌ لنـا ... نقطف منهـا كوكبـًا كوكبـا

---

(1) الجام: إناء من فضة.

(2) الطرر: جمع طرة وهي علم الثوب، والمزن: السحاب.

ومن وصف زهرية لابن الراجح الحلي:

نثرت عقود سمائها الأنداءُ ... بيد النسيم فللثرى إثراءُ
وبدت تباشير الربيع كأنما ... نشرت مطاوف وشيها صنعاء[1]
والأرض قد زهيت بحلي نباتها ... والجو حلةُ سحبه دكناء[2]
والروض في نشوات سكرته وقد ... طافت عليه الديمة الوطفاء
فكأن أعطاف الغصون منابر ... والورق في أوراقها خطباءُ

ومن وصف زهرية لبدر الدين الذهبي:

ترنح عطف البان في الحلل الخضر ... وغنى بألحان على عوده القُمرى[3]
ورافت أزاهير الحدائق بالضحى ... نواظر أحداقٍ بنوارها النضر[4]
وأشرق خد الوردِ يبدي نضاره ... واشرق جيد الغصن في لؤلؤ القطر
وبات سقيطُ الطل في كل روضة ... ينبه في أرجائها ناعس الزهر
وما ذهبت شمس الأصيل عشية ... إلى الغربِ حتى أذهبت فضة النهر
وغنت قيانُ الطير في كل أيكة ... وقد راق كحل الطل في مقل الغدر
اقامت لها دوح الأراك أرائكا ... وأرخت لها أوراق أستارها الخُضر
وأمسى أصيلُ اليوم ملقى من الضنى ... على فرش الأزهار في آخر العمر
بكته حمامات الأراكِ وشققت ... عليه الصبا أثواب روضاتها النضر
فكم من نحيبٍ للحمائم بالضحى ... عليه وللأنواء من دمعة تجري

ولعلي بن أحمد الجوهري من قصيدة في وصف الغيث:

---

(1) صنعاء: عاصمة بلاد اليمن.
(2) الدكناء: الضارب لونها إلى السواد.
(3) القمري: ضرب من الحمام.
(4) أصله بكسر العين وتسكينها للضرورة.

زر الصباح علينا شملــةَ الســحبِ ومدت الريح منها واهي الطُنب[1]

صك النسيم فراخ الغيث فانزعجت ينفضن أجنحةً من عنبر الزغَــبِ[2]

ولأبي معمر بن أبي سعيد الإسماعيلي من قصيدة في وصف الثلج:

فرحنا وقد بات السماءُ مع الثـرى وغاب أديم الأرض عنا فما يـرى

كأن غُيــوم الجــو صــوغُ فِضــة تواصوا برد الحلي عمدا إلى الورى

ولأبي العلاء السروي في وصف روض:

مررنا على الروض الذي قد تبسمت ذراه وأوداج السحائِب تسـفك[3]

فلم نر شيئًا كان أحســن منظــرا من الروض يجري دمعه وهو يضحك

لــه أيضا في وصف روض من قصيدة:

أمــا ترى قُضب الأشجار قد لِبست أنوارهــا تتثنــى بــين جــلاس

منظومة كسموط الــدر لابســةً حسنا يبيح دم العنقودِ للحاســي[4]

وغردت خطبــاء الطّــير ســاجعة على منابــر مــن وردِ ومــن آس

وقال أبو الفتح كشاجم يصف مرآة أهداها:

أخت شمس الضحــاء في الحُســن والإشراق غير الإعشاءَ للأجفـان

ذات طوق مشرقٍ مــن لجــينٍ أجريــت فيــه صــفرةُ العِقيــان

فهو كالهالــة المحيطــة بالبــد ر لبست مضــين بعــد ثمــان

وعلى ظهرهــا فَــوارس تلــهو ببزاةٍ تعــدو علــى غِــزلان

عدلت عكسها الشـعاع فَمبـدا ه إليهــا ورجعــه سِــيان

وهي شمــس وإنْ مِثالــك يومــًا لاح فيهــا فإ ــا شمســان

---

(1) زر: بمعنى نفض والشملة كساء يشتمل به، وزر شملة السحب كناية عن سقوط المطر.

(2) الزغب: صغار الشعر والريش.

(3) الأوداج، جمع ودج وهو: عرق في العنق.

(4) من حسا الشراب إذا شربه شيئًا بعد شيء وفي مهلة.

أينمــا قابلت مِثالــك مـــن أر ض ففيهـــا تقابـــل النيـــران
فألقَها منــك بالــذي مـــا رآه خائف فانثنــى بغيـــر أمـــان

ولأبي القاسم الدينوري في وصف جواد:

ومطّهم[1] طرف العِنــان[2] معــود خوض المهالكِ كــلّ يــوم بــراز
وإذا توغّـــلَ في ذُرى متمنـــع صعب بعيـــد العهـــدِ با ْتـــاز
تركت سنابكـــه بصـــم صـــخوره أثرا يلوح كنقْش صـــدر البـــازي

ولـــه في وصف سفرجل وتفاح ورمان:

بعثْت إليـــك ضـحى المهرجـــا ن بمعشـــوقة العـــرفِ والمنظـــر
معطـــرةٍ صا ـــا في الحجـــا ل مطارف ِـــن ســـندس أخضـــر
وبيضـــاء رائـــقةٍ غضـــةٍ منقطـــةِ الوجـــهِ بالعصـــفُر
وحـــق عقيـــق مـــلاه الهجيـــ ـــر من الجـــوهر الرائـــق الأحمـــر
وأقداح تـــبرٍ حشـــت قعرهـــا يـــد الشـــمس بالمســـكِ والعنبـــر
فكن ذا قُبـــول لهـــا إ ـــا هـــداهـــا مقِـــل إلـــى مكثـــر

ولـــه في صفة النارنج:

أمـــا ترى شجر النارنج طالعـــة نجومها في **غُصونَ لدنـــة مِيـــل[3]**
كأ ـــا بين **أوراق** تحـــ**ف ـــا زهر المصابيح** في **خضـــر القناديـــل**

ولأبي الفضل الميكالي في صفة الشقائق:

تصوغ لنا كـــف الربيـــع حـــدائقًا كعقْـــدِ عقيـــق بـــين سِـــمطِ لآلي
وفيهن أنوار الشقائق قـــد حكـــت خدود عـــذارى نقطـــت بغـــوالي

ولـــه في اقتران الزهرة والهلال:

---

(1) شبه حسنه وأظهر ماءه والموصوف محذوف أي الفرس.
(2) طرف العنان: بمعنى خفيف، والمطهم: البارع الجمال والتام من كل شيء.
(3) جمع أميل.

أما ترى الزهرة قـد لاحـت لنـا **تحت هلالٍ لونـه يحكـى اللـهب**

ككُـرةٍ مـن فضـة مجـلوة **أوفى عليها صولجانٌ من ذَهـب**(1)

وله في الفجر:

أهلاً بفجر قد نضا ثـوب الـدجى **كالسيف جرد من سـوادِ قِـرابِ**

وقال في صفة الندى الساقط على غصون الشجر:

نثر السحاب على الغصـونُ ذرارةً **أهدت لها نـورا يـروق ونـورا**

شابت ذوائبهـا فعـدنَ كأنـها **أجفانُ عيـنٍ تحْمِـلُ الكـافورا**

وقال في الجليد:

رب جـنين مـن جـني نمـير **مهتـك الاستـار والضمـير**

سللتـه يـد رحـم الغـدير **كـأنه صحائـف البـلور**

او أكر تجَسمـت مـن نـور **أو قطـع من خـالص الكافـور**

لو بقيت سلكـا على الدهـور **لعطلـت قلائـد النـحور**

وأخجلت جـواهـر البـحور **وسميـت ضرائـر الثغـور**(2)

يـا حسنه في زمـن الحـدور **إذ فيضـه مثـل حشـا المهجـور**

يهدي إلى الأكبـادِ والصـدور **روحـًا تحاكي نفثةَ المصـدور**(3)

ولأبي طاهر بن الهاشمي في روضة:

وروضةٍ زارهـا النـدى فغـدت **لها من الزهـر أنجُـم زهـر**

تنشر فيهـا أيدي الربيـع لنـا **ثوبا من الوشي حاكـه القطْـر**

كأنمـا شـق مـن شقائقهـا **على ربـاهـا مطارف خضـر**

ثم تبـدت كأنهـا حـدق **أجفانهـا من دمـائها حمـر**

---

(1) أوفى: أشرف.

(2) جمع ضرة وهي إحدى زوجتي الرجل وأراد بضرائر الثغور الأسنان.

(3) النفثة: ما ينفثه المصدور من فيه.

ولأبي نصر سهل بن المرزبان في البدر:

كم ليلة أحييتها ومؤانسي ... طُرف الحديث وطيب حث الأكؤس

شبهت بدراً سما لما دنت ... منه الثريا في قميص سندسي

ملكاً مهيباً قاعداً في روضةٍ ... حياه بعض الزائرين بنرجس

وللحسن بن أحمد البروجردي في حوض لبعض الرؤساء:

حوض يجود بجوهر متسلسلٍ ... ساد الجواهر كلّها بنفاسته

لا زال عذبا جاريا ببقاءِ من ... هو مثله في طبعه وسلاسته

ولابن أنيس في حسام عمرو بن معد يكرب:

أخضر المتن بين حديه نور ... من فرندٍ تحار فيه العيون

أوقدت فيه للصواعق نار ... ثم ساطت به الزعاف المنونُ[1]

فإذا ما سللته بهر الشمس ... ضياء فلم تكد تستبين

فكأن الفرند والرونق الجا ... ري في صفحتيه ماءٌ معين[2]

وكأنّ المنون نيطت إليه ... فهو من كل جانبيه منون

ما يبالي من انتضاه لحربٍ ... أشمالٌ سطت به أم يمين

وقال ابن عبد ربه في الرمح والحسام:

بكل رديني كأنْ سنانه ... شهاب بدا في ظلمة الليل ساطع

تقاصرت الآجالُ في طول متنه ... عادت به الآمالُ وهي فجائع

وساءت ظنون الحرب في حسن ظنه ... فهن لحبات القلوب قوارع

وذي شطبٍ تقضي المنايا لحكمه ... وليس لما تقضي المنيةُ دافع[3]

وقال أيضا في الحرب:

(1) هطلت.

(2) جار.

(3) جمع شطب وهي طريقة السيف أي الواحدة من الخطوط التي في نصله.

ومعتركٍ تهز به المنايا ذُكور الهند في أيدي ذُكور
لوامع يبصر الأعمى سناها ويعمى دونها طرف البصير
يحوم حولها عقبانُ موتٍ تخطفت القلوب من الصدور

ومن قوله في الحرب وأبطلها:

سيوف يقيلُ الموت تحت ظُباتها لها في الكُلى وبين الكلى شرب
إذا اصطفقت الرايات حمرا متونها ذَوائبها تهفو فيهفو لها القلب(1)
ولم تنطق الأبطال إلا بفعالها فألسنها عجم وأفعالُها عرب
إذا ما التقوا في مأزق وتعانقوا فلقُياهم طعن وتعنيفهم ضرب

ولابن قلاقس في وصف السحاب والبرق والغيث:

سرى وجبين الجو بالطلّ يرشح وثوب الغوادي بالبروق موشح
وفي طي أبراد النسيم خميلةٌ بأعطافها نور المنى يتفتح(2)
يضاحك في مثنى المعاطف عارض مدامعه في وجنة الروض تسفح
وتوري به كف الصبا زند بارق شرارته في فحمة الليل تقدح

ولأبي القاسم بن بابك في الصاحب يصف له إضرار النار في بعض غياض:

وليلةٍ بت أشكو الهم أولها وعدت آخرها أستنجد الطربا
في غيضة من غياض الحزن دانية مد الظلام على أورافها طنبا
حتى إذا النار طاشت في ذوائبها عاد الزمرد من عيدانها ذهبا
مرفت منها وثغر الصبح مبتسم إلى أغر يرى المدحور ما وهبا
يا أغزر الناس أنواء ومحتلبا وأشرف الناس اعراقًا ومنتسبا
أصبت ذا ثقة بالوفر منك وإن قال العواذلُ ظن ربها كذبا

---

(1) هفت الراية خففت وهفا القلب ذهب في أثر الشيء.
(2) الخميلة: الشجر الكثير الملتف والموضع الكثير الشجر.

فحسن ظني بك استوفى مدى أملـي **وحسن رأيك لي لم يبـق لي أربـا**

ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي يصف دارا بناها الصاحب بن عباد:

وسامية الأعـلام تلحـظ دونـها **سنا الـنجم في آفاقهـا متضـائلا**

نسخت بها إيوانَ كِسرى بن هرمز **فأصبح في أرض المـدائن عـاطلا**

تناطح قرن الشمس مـن شـرفاتها **صفوف ظبـاءٍ فـزقهن مواثـلا**

وأغنى الورى عن مـثلٍ من بنت له **معاليه فـوق الشـعريين منـازلا**

ولاغر وأن يستحدث الليثُ بالثرى **عيرنا وأن يستطْرق البحر سـاحلا**

ولم تعتمد دارا سوى حومة الوغـى **ولا خدمـًا إلا القنـا والقنـابلا**

ووالله ما أرضى لك الدهر خادمـا **ولا البدر منتابا ولا البحـر نـائلا**

ولا الفلك الدوار دارا ولا الـورى **عبيدا ولا زهـر النجـوم قبـائلا**

فإن الذي يبنيـه ملـك خالـد **وسائر ما يبني الأنـام إلى بلـى**

ولشاعر القطرين خليل مطران بك في وصف روض:

أيها الروض كن لقلبـي سـلاما **وملاذًا مـن الشقـاء الملازم**

زهـر ذابـلٌ كـأني أراه **ثمـلا مـن أنفاسـه في الكمـائم**

وغدير صـافٍ أقـام سـياجا **حولـه باسق مـن الـدوح قـائم**

تتناغى بـيض مـن الطـير فيـه **سـابحات وتحتـها الـنجم عـائم**

كيفمـا سـرن فـالطريق عقـود **نظمـت مـن محـاجر ومباسـم**

حبـذا البـدر مؤنسـا يتجلـى **كحبيب بعـد التغيـب قـادم**

حبذا رسمـه البرايـا كمـا أرى **ما ترى العين في صـحيفة راسـم**

حبـذا المـاء والمصـابيح فيـه **كبـان يزينـها بخـواتم**

جنـةٌ بانـت المكـاره عنهـا **وهي بكـر مـن الأذى والمحـارم**

إنمـا أهلـها طُيـور حسـان **إن دعاها الصباح قامـت تنـادم**

وضياء يمـوج في الماء حتى ... لتـراه كأنـه متـلاطم
ومروج مدبجات كوشي ... أتقنت صنعه حسان المعاصم
وغصون نزهـا نسمات ... كمهـودٍ نزهن روائم(1)

وقال البحتري واصفًا صناعة الكتابة والإنشاء:

تفننت في الكتابة حتى ... عطل الناس فن عبد الحميد
في نظام من البلاغة ما ... شك امرؤ أنه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضـا ... حك في رونق الربيع الجديد
مشرق في جوانب السمع ما ... يخلقه عود على المستعيد
ما أعيرت منه بطون القراطيس ... وما حملت ظهور البريد
حجج تخرس الألد بألفاظ ... فرادى كالجوهر المعدود
ومعان لو فصلتها القوافي ... هجنت شعر جرول ولبيد
حزنَ مستعمل الكلام اختيارا ... وتجنبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظَ الغريب فأدركن ... به غايةَ المراد البعيد
كالعذارى غدون في الحُلل البيض ... إذا رحن في الخُطوط السود

ووصف أعرابي تزوج امرأتين ما وقع له منهما فقال:

تزوجت اثنتين لفرط جهلي ... بما يشقى به زوج اثنتين
فقلت أصير بينهما خروفًا ... أنعم بين أكرم نعجتين
فصرت كنعجة تضحي وتمسي ... تداولُ بين أخبثِ ذئبتين
رضا هذي يهيج سخط هذي ... فما أعري من إحدى السخطتين
وألقى في المعيشة كل ضر ... كذاك الضر بين الضرتين
لهذي ليلة ولتلك أخرى ... عتاب دائم في الليلتين

(1) جمع الرائمة وهي الوالدة العاطفة على ولدها الملازمة له.

فإن أحببـت أن تبقـى كريمـ ـًا — مـن الخـيرات ممـ ـلوء اليـدين
فعِش عزبا فـإن لـم تسـتطِعه — فضربـ ـًا في عـراض الجحفلـين

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في وصف الربيع:

يا صاحِبـي تقصيـا نظريكمـ ـا — تريـا وجوه الأرض كيف تصـور
تريـا نهـارا مشمسا قـد زانـه — زهـر الربـا فكأنمـا هو مقمـر
دنيـا معاش للـورى حتـ ـى إذا — حـل الربيـع فإنمـا هي منظـر
أضحت تصوغ بطو نا لظهورهـ ـا — نورا تـكاد لـه القلـوب تنـور
من طلّ زاهـرة ترقـرق بالنـدى — فكأ نـ ـهـا عـين لـديك تحـذر

وقال أبو عبادة البحتري في قصر المعتز بالله:

لمـا كملـت رويـ ـة وعزيمـ ـةً — أعملت رأيك في ابتنـاء الكامـل
وغدوت من بين الملـوك موفقـ ـًا — منـه لأيمـ ـن حـ ـلة ومنـازل
ذُعـر الحمام وقد ترنـ ـم فوقـه — من منظر خطـر المزلـ ـة هائـل
رفعت لمخترق الريـاح سـموكه — وزهت عجائب حسـنه المتخايـل
وكـأن حيطان الزجـاج بجـ ـوه — لجج يمجن على جنـوب سـاحل
وكأن تفويف الرخـام إذا التقـى — تأليفـ ـه بالمنـ ـظر المتقـ ـابل
حبك الغمام رصـفن بـين منمـر — ومسير ومقـ ـارب ومشاكـ ـل
لبست بالذهب الصـقيل سـقوفه — نورا يضيء على الظـلام الحافـل
فترى العيون يجلـن في ذي رونـق — متلـهب العـالي أنيـق السـافل
وكأنما نشرت علـ ـى بستـ ـانه — سيراء وشـي اليمنـة المتواصـل
أغنته دجلة إذ تلاحق فيضها عـن — صوب منسحب الربـاب الهاطـل
وتنفست فيه الصبـ ـا فتعطفـت — اشجاره مـن حـول وحوامـ ـل

وقال المتنبي في جواده:

ويــوم كانــون المــدنفين كمنتــه أراقب فيه الشمس أيــان تغــرب
وعــــيني إلى أذني أغــــر كأنــــه من الليل باق بين عينيــه كوكــب
لــه فضلة من جســمه في إهابــه تجيءُ على صدر رحيب وتــذهب
شققت بــه الظلمــاء أدني عنانــه فيطغى وأرخيــه مــرارا فيلعــب
واصرع أي الــوحش قفيتــه بــه وأنزل عنه مثلــه حــين أركــب
وما الخيــل إلا كالصــديق قليلــة وإن كثرت في عين من لا يجــرب
إذا لم تشاهد غير حســن شــيا ا وأعضائها فالحسن عنــك مغيــب

وقال صفي الدين الحلي المتوفى سنة 750هـ في الربيع:

ورد الربيــع فمرحبــ ـًا بــورودِه وبنور بهجتــه ونــور ورودِه
وبحسن منظــره وطيــبِ نســيمِهِ وأنيق مبسمــه ووشــي بــروده
فصــل إذا افتخــر الزمــان فإنــه إنســان مقلتــه وبيــت قصــيده
يغني المزاج عن العــلاج نســيمه باللطفِ عند هبوبــه وركــوده
يــا حبــذا أزهــاره وثمــاره ونبات ناجمــهِ وحــب حصــيده
والغصن قد كسي الغلائل بعد مــا أخذت يدا (كــانونَ) في تجريــده
نال الصبا بعد المشيب وقد جــرى مــاءُ الشبيبة في منابــت عــودهِ
الورد في أعلى الغصــون كــأنه ملك تحف بــه ســراة جنــوده
وانظر لنرجسهِ الجــني كــأنــه طرف تنبــه بعد طــول هجــودِه
وانظــر إلى المنثــور في منظومــة متنوعــًا بفصــوله وعقــوده

وقال أيضا في حديقة:

وأطلق الطير فيهــا ســجع منطقــه مــا بــين مختلــف منــه ومتفــق
والظل يسرق بين الــدوح خطوتــه وللميــاه دبيــب غــير مســترق
وقــد بــدا الــورد مفتــرا مباسمــه والنرجس الغض فيها شاخص الحــدق

والسحب تبكي وثغر البرق مبتسم ... والطير تسجع من تيه ومن أنق
فالطير في طرب والسحب في حرب ... والماء في هرب والغصن في قلق

وقال والمرحوم أحمد شوقي بك في الطبيعة:

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري ... حتى أريك بديع صنع الباري
فالأرض حولك والسماء اهتزتا ... لروائع الآيات والآثار
ولقد تمر على الغدير تخاله ... والنبت مرآةٌ زهت بإطار
حلو التسلسل موجه وخريره ... كأنامل مرت على أوتار
ينساب في مخضلة مبتلةٍ ... منسوجة من سندسٍ ونضار
وترى السماء ضحى وفي جنح الدجى ... منشقة عن أحمر وبهار
في كل ناحية سلكت ومذهب ... جبلان من صخر وماء جاري

وقال المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف النيل:

نظرت للنيل فاهتزت جوانبه ... وفاض بالخير في سهل ووديان
يجري على قدر في كل منحدرٍ ... لم يجف أرضا ولم يعمد لطغيان
كأنه ورجالُ الري تحرسه ... مملك سار في جند وأعوان
قد كان يشكو ضياعا مذ جرى طلقًا ... حتى أقمت له خزان أسوان

وقال أيضا عن لسان حال اللغة العربية واصفًا لها:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ... وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني ... عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت، ولما لم أجد لعرائسي ... رجالاً وأكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظًا وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني ... ومنكم وإن عز الدواء أساتي

فـــلا تكلـــوني للـــزمن فـــإنني ... أخـــاف عليكم أن تحـــين وفـــاتي
أرى لرجـــال الغـــرب عـــزا ومنعـــة ... وكم عـــز أقـــوام بعـــز لغـــات
أتـــوا أهلـــهم بـــالمعجزات تفننـــاً ... فياليتكم تأتـــون بالكلمـــاتِ
أيطربكم من جانب الغـــرب ناعِـــب ... ينادي بـــوأدي في ربيـــع حيـــاتي
ولو تزجرونَ الطـــير يومـــًا علمـــتم ... بمـــا تحتـــه مـــن عثـــرةٍ وشـــتات
سقى الله في بطـــن الجزيـــرة أعظمـــا ... يعـــز عليهـــا أن تلـــين قنـــاتي
حفظـــن ودادي في البلـــى وحفظتـــه ... لهُـــن بقلب دائـــم الحســـرات
وفاخرت أهلَ الغرب والشرق مطـــرق ... حياءً بتلـــك الأعظـــم النخِـــرات
أرى كـــل يـــوم بالجرائـــد مزلقـــاً ... من القـــبر يـــدنيني بغـــير أنـــاة
وأسمـــع للكُتـــاب في مصـــر ضـــجةً ... فـــأعلم أن الصـــائحين نعـــاتي
أيهجـــرني قـــومي عفـــا الله عنـــهم ... إلى لغـــةٍ لم تتصـــل بـــرواتي
سرت لوثةُ الأعجام فيها كمـــا ســـرى ... لُعاب الأفاعي في مسـيل فـــرات
فجاءَت كثوب ضـــم ســـبعين رقعـــة ... مشـــكلةَ الألـــوان، مختلفـــات
إلى معشر الكُتـــاب والجمـــع حافـــل ... بسطت رجائي بعد بسط شـــكاتي
فإما حيـــاةٌ تبعـــث الميـــت في البلـــى ... وتنبِت في تلـــك الـــرمُوس رفُـــاتي
وإمـــا ممـــات لا قيامـــةَ بعـــده ... ممات لعمـــري لم يقـــس بممـــات

وقال شاعر العراق الكبير معروف الرصافي واصفًا قطار البخار:

وقـــاطرة ترمـــي الفضـــا بـــدخا ا ... وتملأُ صدر الأرض في سيرها رعبـــا
تمشت بنـــا ليلاً تجُـــر وراءَهـــا ... قِطارا كصف الدوح تسحبه سحبا
فطورا كعصف الريح تجري شـــديدة ... وطورا رخـــاءً كالنسيم إذا هبـــا
تساوى لديها السهل والصعب في السرى ... فما استسهلت سهلا ولا استصعبت صعبا
تـــدك متـــون الحـــزن دكـــا وإ ـــا ... لتنهب سهـــل الأرض في سيرهـــا بـا

يمر ـا العالي فتعـ ـلو تسلقـ ـًا ويعترض الوادي فتجتـازه وثْبـ ـا
طوت بالمسـ ـير الأرض كأ ـ ـا تسابق قرص الشمس أن تدرك الغربا
هو العلم يعـلو بالحيـاة سعـ ـادةً ويجعلهـا كالعلم محمـودةَ العقبـى

وقال المرحوم محمود باشا سامي البارودي يصف حرب سكان جزيرة كريد:

أخذَ الكَـرى بمعاقـ ـد الأجفـان وهفـا السرى بأعنـةِ الفرسـان
والليلُ منشور الـذوائبِ ضـارب فوق المتـ ـالع والربـ ـى بجـران
لا تستبين العين فـ ـي ظلمائـ ـه إلا اشتعـ ـال أسِـنة المـ ـران
تسري بـه ما بـين لُجـة فتنـةٍ تسمو غوار ـا على الطوفـان
في كل مربـأةٍ وكـ ـلّ ثنيـ ـةٍ تهدار سـامرةٍ وعـزف قِيـ ـان
تستن عادِيـ ـة ويصـهلّ أجـرد وتصيح أجراس ويهتـف عـ ـان
قوم أبى الشـيطانُ إلا خسرهـ ـم فتسللوا عن طـ ـاعة السـلطان
ملؤوا الفضاءَ فمـا يـبين لنـاظرٍ غير التمـاع البـيض والخرصـان
فالبدر أكـدر والسـماء مريضـة والبحر أشـكلُ، والرمـاح دوان
والخيلُ واقفة علـ ـى أرطا ـ ـا لطـراد يـوم كريهـة ورهـ ـان
وضعوا السلاح إلى الصباح وأقبلوا يتكلمـونَ بألسـ ـنِ النـ ـيران
حتى إذا ما الصبح أسفَر وارتمـت عينـاي بـين ربى وبـين مجـان
فإن الجبالُ أسِـنة، وإذا الوهـ ـا د أعِنة، والمـ ـاء أحمـر قـ ـان
فتوجست قَرط الركاب ولم تكـن لتهاب، فامتنعت علـى الارسـان
قَزعـت قَرجعـت الحـنين وإنمـا تحنا ـا شـجن مـن الاشـجان
ذكرت مواردها بمصر وأيـن هـن مـاءٍ بمصـر منـ ـازلُ الرومـان

وقال السيد عبد الله النديم المتوفى سنة 1314هـ يصف قطارا بخاريا:

نظر الحكـيم صفاتِـ ـهِ فـتحيرا شكلاً كطود بالبخـ ـار مسـيرا

دوما يحن إلى ديار أصوله ... بحديد قلب باللهيب تسعرا
ويظل يبكي والدموع تزيده ... وجدا فيجري في الفضاء تسترا
تلقاه حالَ السير أفعى تلتوي ... أو فارس الهيجا أثار العِثيرا
أو أكرةً أرسلتها ترمي ـ ـا ... غرضا فجلت أن ترى حال السرى
أو سبع غاب قد أحسن بصائدٍ ... في غابه فعدا عليه وزمجرا
فكأنه المديون جاء غريمه ... فانسلّ منه وغاب عن تلك القرى
أو أنه شهب هوت من أفقها ... أو قبة المنطاد تنبذُ بالعرا
لا عجب للنيران إذ يمشي ـ ـا ... فمن اللظى تجري الورى كي تحشرا

وقال أحمد بك شوقي يصف الجسر الواصل بين ضفتي البسفور في الآستانة:

أمير المؤمنين رأيت جسرا ... أمر على الصراط ولا عليه!
له خشب يجوع السوس فيه ... وتمضي الفأر لا تأوي إليه
ولا يتكلف المنشار فيه ... سوى مر القطيم بساعديه
ويبلى نعلُ من يمشي عليه ... وقبلَ النعل يدمي أخمصيه
وكم قد جاهد الحيوان فيه ... وخلف في الهزيمة حافريه
وأسمج منه في عيني جباة ... تراهم وسطه وبجانبيه
إذا لاقيت واحدهم تصدى ... كعفريت يشير براحتيه
ويمشي (الصدر) فيه كل يوم ... بموكبه السني وحارسيه
ولكن لا يمر عليه إلا ... كما مرت يداه بعارضيه
ومن عجب هو الجسر المعلّى ... على (البسفور) يجمع شاطئيه
يفيد حكومة السلطان مالاً ... ويعطيها الغنى من معدنيه
يجود العالمون عليه، هذا ... بعشرته، وذاك بعشرتيه
وغاية أمره أنا سمعنا ... لسان الحال ينشدنا لديه

(أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قل ممتنعا عليه)
(وتؤخذ باسمه الدنيا جميعًا وما من ذاك شيء في يديه)

وقال المأمون المتوفى سنة 383هـ يصف المِقْراض:

وصاحبين اتفقا على الهوى واعتنقا
وأقسما بالود والإ خلاص أن لا يفترقا
ضمهما أزهر كالنجـ ـم بِهِ قد وثقا
لم يشك خصريهما مذ ضمناه قلقا
من تحته عينان منـ ـذ انفتحا ما انطبقا
وفوقه نابان ما حلا فما مذ خلقا
يفرقان بين كـ ـلّ ما عليه اتفقا
فأي شيء لاقيا ه ألقياه فرقا

وقال أبو بكر الأرجاني المتوفى سنة 524هـ يصف الشمعة:

نمت بأسرار ليلٍ كان يخفيها وأطلعت قلبها للناس من فيها
غريقة في دموع وهي تحرقُها أنفاسها بدوامٍ من تلظيها
تنفّست نفس المهجور إذ ذكرت عهد الخليط فبات الوجد يذكيها
يخشى عليها الردى مهما ألم بها نسيم ريح إذا وافى يحييها
قد أثمرت وردةً حمراءَ طالعة تجني على الكف إن أهويت تجنيها(1)
ورد تشاك به الأيدي إذا قُطِفت وما على غُصنها شوك يوقّيها
صفر غَلائلها، حمر عمائمها، سود ذَوائبها، بِيض لياليها

وصف قصر المنصور:

(1) تجني الأولى بمعنى تعتدي والثانية بمعنى تقطف.

قال ابن حمديس[1] الصقلي في صفة قصر شيده المنصور بن أعلى الناس ببجاية[2]، وجعل فيه بركة عليها أشجار من ذهب وفضة، وعلى حافا ا أسود تقذف بالماء:

أعمر بقصر المُلكِ ناديـك الـذي — أضحى بمجـدِك بيتــه معمـورا
قصر لو أنك قد كحلـت بنـوره — أعمى لعاد مـن الضـياءِ بصـيرا
واشتق مِن معنى الجنـان نسـيمه — فيكاد يحـدِثُ بالعظـامِ نشـورا
أذكرتنا الفـردوس حـين أريتنـا — غُرفًا رفعـت بناءَهـا وقصـورا
فلـك مـن الأفـلاكِ، إلا أنــه — حقَر البـدور فـأطلع "المنصـورا"
وإذا الولائـد فتحـت أبوابـه — جعلت ترحب بالعفـاة صـريرا[3]
عضت علـى حلقـا ن ضـراغِم — فَغـرت ــا أفواههـا تكـبيرا[4]
فكأ ا لبِـدت لِتهصـر عندهــا — من لم يكـن بـدخولها مـأمورا[5]
ومصفح الأبـوابِ تِـبرا نظّـروا — بالنقش فوق شكولـه تـنظيرا[6]
خلعت عليـه غلائـل موشـيةً — شمس ترد الطرف عنـه حسـيرا[7]
وإذا نظـرت إلى غرائـب سـقفِه — أبصرت روضا في السماء نضـيرا
وعجبت مـن أطيـار عسـجدِهِ — حامت لِتـبني في ذُرتـه وكـورا
وضعت بـه صـناعها أقلامهـا — فأرتك كـلّ طَريـدة تصـويرا[8]

---

(1) هو عبدالجبار بن أبي بكر توفي سنة 527هـ وهو من أبرع الشعراء إن لم يكن أبرعهم في وصف البرك والأ ار والقصور والتماثيل فلقد كان إذا وصف شيئًا من ذلك جعله كالحسناء وخيالها في المرآة.
(2) بجاية كحكاية: بلد بالمغرب.
(3) العفاة: جمع عاف وهو طالب الحاجة، والصرير صوت الباب.
(4) فغرفاه: فتحه.
(5) لبد كنصر: أقام، والهصر: الدفع.
(6) نظير: مثل، والشكول: جمع شكل.
(7) الغلائل: جمع غلالة وهي شبه القميص يلبس على الجسم والمراد هنا الطلاء، والموسية المنقوشة.
(8) الطريدة: ما يطارده الصياد ويتعبه.

وكأنمـا للشمس فيـه لقـةٌ   مشقوا ـا التزويق والتشـجيرا[1]
وضراغمٍ سكنت عـرين رياسـة   تركت خريـر المـاء فيـه زئـيرا
فكأنما غشـى النضـار جسـومها   وأذاب في أفواههـا البلّـورا
أسـد كـأن سـكو ا متحـرك   في النفس لو وجدت هنـاك مـثيرا
وتـذكرت فتـكا ا فكأنمـا   أقْعت علـى أدبارهـا لتثـورا[2]
وتخالها والشـمس تجـلو لو ـا   نـارا، وألسنها اللاّـواحس نـورا
فكأنمـا سلمت سـيوف جـداول   ذابت بلا نـار فَسـعدن غـديرا
وكأنمـا نسـج النسـيم لمائـه   دِرعا، فقدر سردهـا تقـديرا[3]
وبديعةِ الثمـراتِ تعـبر نحوهـا   عيناي بحر عجائـب مسـجورا[4]
شـجريةٍ، ذهبيـة، نزعـت إلى   سِحر يؤثر في النـهى تأثيـرا[5]
قد سـرجت أغصـا ا فكأنمـا   قبضت ـن من الفضـاء طيـورا[6]
وكأنمـا تأبـى لوقـع طيرهـا   أن تستقلّ بنهضهـا وتطـيرا[7]
من كل واقعـة تـرى مِنقارهـا   مـاءً كسلسال اللجـين نمـيرا[8]
خرص تعد من الفصاح فإن شدت   جعلت تغرد بالميـاه صفـيرا[9]

---

(1) اللقة ما يكون في الدواة لاصقًا بصوفه أو نحوها والفعل منها كباع، ومشق الكتابة مد حروفها، والتشجير: أن تشكل على هيئة الشجر.
(2) أقعى الكلب والسبع: جلس على مؤخره ناصبا يديه.
(3) السرد: نسج الدرع وتقديره: أن تكون ثقوب الدرع مساميرها.
(4) المسجور: المملوء.
(5) نزع إليه أشبه، يقال: فلان ي ع إلى أبيه أو ي ع أباه أي يشبهه.
(6) سرجه: حسنه وزينه.
(7) الوقع كركع: جمع واقع.
(8) السلسلة: اتصال الشيء بالشيء، ومن ذلك الماء السلسال أي السهل الجريان واللجين: الفضة، والنمير: الناجع من الماء.
(9) شدا: ترنم.

وكأنها في كل غصن فضة لانت فأرسل خيطها مجرورا
وتريك في الصهريج موقع قطرها فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا
ضحكت محاسنه إليك كأنما جعلت لها زهر النجوم ثغورا

وصف زلزال صقلية

قال المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف زلزال صقلية في سنة 1909م:

نبئاني إن كنتما تعلمان ما دهى الكون أيها الفرقدان[1]
غضب الله أم تمردت الأرض فأنحت على بني الإنسان[2]
ليس هذا "بحار ربي" ولا ذاك ولكن طبيعة الأكوان
غليانٌ في الأرض نفس عنه ثورانٌ في البحر والبركان[3]
رب أين المفر والبحر والبر على الكيد للورى عاملان
كنت أخشى البحار والموت فيها راصد غفلة من الربان[4]
سابح تحتنا مطل علينا حائم حولنا مناء مداني[5]
فإذا الأرض والبحار سواءٌ في خلاق، كلاهما غادران[6]
ما (لمسين) عوجلت في صباها ودعاها من الردى داعيان[7]

---

(1) الفرقدان: نجمان في السماء لا يغربان وهذا هو السر في قول المعري:

فاسأل الفرقدين عمن أحسا من قبيل وآنسا من بلاد

وفي أثره جرى شاعرنا.

(2) أنحى عليه ضربا: أقبل.

(3) نفس عنه: فرج.

(4) الربان كرمان: رئيس الملاحين.

(5) مناء مدان: مباعد مقارب.

(6) الخلاق: الحظ أو الدين وأنما يكون ذلك في الخير ولكن الشاعر توسع في استعمال الكلمة.

(7) مسين: مدينة من مدن صقلية خر ا هذا الزلزال وتعرف عند العرب بمسيني ومن شعر ابن قلاقس "يا من يمسيني على مسيني" وداعيا الردى: الإغريق والإحراق.

ومحت تلكـم المحاسـن منهــا حـين تمّــت آياتهــا آيتــان
خسفت ثم أغرقـت ثم بــادت فضي الأمــر كــله في ثـوانِ
وأتى أمرهـا فأضحت كأن لـم تك بالأمس زينــةَ البــلدان
ليتها أمهلـت فتقضـي حقوقـًا من وداع اللـداتِ والجـيران(1)
لحظةٌ يسـعد الصديقـان فيهــا باجـتماع ويلتقـي العاشقــان
بغــت الأرض والجبــال عليهــا وطغــى البحــر أيمــا طغيــان
تلك تغلي حقـدا عليهـا فتنشـق انشقاقًــا مــن كثـرة الغليــان
فتجيب الجبال رجمـًا وقذفــا بشواظ مــن مــارجٍ ودخـان(2)
وتســوق البحــار رداً عليهــا جيش مـوج نـائي الجنـاحين داني
فهنا الموت أسـود اللـون جـون وهنا الموت أحمـر اللـون قـاني(3)
جنــد المــاء والثــرى لهــلاك الخلـق ثــم، استعان بالنيران
ودعـا السـحب عاتيـا فأمدتـه بجــيش مــن الصــواعق ثــاني(4)
فاستحال النجاء واستحكم اليـأ س وخـارت عــزائم الشـجعان
وشفى الموت غلـةً مـن نفـوس لا تباليــه في مجـــال الطعـــان
أين (رجيو) وأين ما كـان فيهـا من معــانٍ مأهولـة وغـواني(5)
عوجلت مثل أختهــا ودهاهــا مــا دهاهــا مــن ذلـك الثـوران
رب طفلٍ قد سـاخ في بـاطن الأر ض ينادي أمــي! أبي! أدركـاني(6)

---

(1) اللدات: جمع لدة وهو الترب أي النظير في السن.
(2) الشواظ: لهب لا دخان فيه، والمارج: النار بلا دخان.
(3) الجون الأسود فهو تأكيد والقاني "بالهمزة": الشديدة الحمرة وقد يسهل.
(4) العاتي: المتجاوز للحد.
(5) رجيو: مدينة بإيطاليا أمام مسيني وتعرف عند العرب بربو، والمغاني جمع مغنى وهو المقام.
(6) ساخ في الأرض: دخل فيها وغاب.

وفتاةٍ هيفاء تشوى علـى الجمـر تعـاني مـن حـره مـا تعـاني
وأب ذاهـلٌ إلى النـار يمشـي مسـتميتا تمتـد منـه اليـدان
باحثًـا عـن بنـاته وبنيـه مسرع الخطو مسـتطير الجنـان(1)
تأكل النار منه لا هـو نـاج من لظاها ولا اللظـى عنـه واني(2)
غصت الأرض، أتخم البحـر ممـا طـواه مـن هـذه الأبـدان(3)
وشكـا الحوت للنسـور شـكاة رددتـها النسـور للحيتـان
أسرفا في الجسـوم نقـرا ونهشـا ثم باتـا مِن كِظـة يشـكوان(4)
لا رعى الله ساكن القِمـم الشـم ولا حـاط سـاكن القيعـان(5)
قد أغـارا على أكـفٍّ براهـا بـارئ الكائنـات للاتقـان
كيف لـم يرحما أناملـها الغـر ولم يرفقـا بتلـك البنـان
لهف نفسي وألـف لهـفٍّ عليهـا من أكُف كانت صنـاع الزمـان(6)
مولعـاتٍ بصـيد كـل جميـل نـاصباتٍ حبائـل الألـوان
حافراتٍ في الصـخر أو نافشـات شـائدات روائـع البنيـان
منطقعات لسان كـل جمـاد مفحِمـاتٍ سواجـع الأفنـان(7)
ملهمات من دقـة الصـنع مـا لا يلهم الشـعر مـن دقيـق المعـاني

---

(1) المستطير: المتفرق المشتت.

(2) اللظى: اللهب، وونى: تراخى.

(3) غص كفرح: اعترض في حلقه شيء، والمراد هنا امتلأ وأتخمه الطعام، أحدث لـه تخمة وأصل تائه واو من الوخامة.

(4) الكظة: ما يعتري الإنسان من امتلاء الطعام.

(5) القيعان: جمع قاع وهو الأرض السهلة المطمئنة انفرجت عنها الجبال ومراد الشاعر ا البحر أو قراره.

(6) يا لهفي على كذا: عبارة يتحسر ا على فائت وضمير عليها للأكف ومن أكف بيان للضمير وصناع: حاذقة ماهرة في العمل اليدوي.

(7) سواجع الأفنان: الحمام يسجع على الغصون.

من تماثيـلَ كـالنجوم الـدراري | يهـدم الـدهر وهـي في عنفـوان
عجب صـنعها وأعجـب منـ ـه | صمتهـا، تلـك قـ ـدرة الـرحمن
إيـه (مسين) آنسي اليـوم بمبـا | ي فقد أوحشـت بـذاك المكـان
آيسي الدرة التي كانـت الحليـة | في تـ ـاج دولـ ـة الرومـ ـان
غالهـا قبلـك الزمـان اغتيـالا | وهي تلـهو في غبطـ ـة وأمـ ـان
جـاءها الأمر والسـراة عكـوف | في الملاهي علـى غِنـاء القيـان[1]
بين صـبٍّ مـدلـ ـه وطـروب | وخليع في اللهو مرخـى العنـان[2]
فانطووا كانطواء أهلـك بـالأمس | وزالـت بشاشـ ـة العمـ ـران
أنت (مسين) لم تزولـ ـي كمـا زا | لت ولكن أمسـيت رهـن الأوان
إن إيطاليـ ـا بنوهـ ـا بنـ ـاةٌ | فاطمئني مـا دام في الحـ ـي بـاني
فسلام عليـ ـك يـ ـوم توليـ ـ | ـت بما فيك مـن مغـان حسـان
وسلام عليـك يـ ـوم تعوديـ ـ | ـن كما كنـتِ جنـ ـة الطليـان

وقال أبو الطيب المتنبي يصف الأسد:

ورد إذا ورد الـبحيرة شـ ـاربا | ورد الفرات زئـ ـيره والنـيلا[3]
متخضب بـدم الفـوارس لابـس | في غِيـله مـن لبدتيـه غيـلا[4]
ما قوبلـت عينـ ـاه إلا ظنتـ ـا | تحت الدجى نار الفريق حلـولا[5]
في وحـ ـدة الرهبـ ـان إلا أنـ ـه | لا يعرف التحريـ ـم والتحليلا

---

(1) السراة: الأشراف، والقيان جمع قينة، وهي الجارية المغنية.
(2) الخليع: المستهتر بالشراب واللهو.
(3) الورد: الجريء والبحيرة: يريد بحيرة طبرية.
(4) الغيل: الأجمة والشجر الكثير الملتف. ولبدتا الأسد: ما على كتفيه من الشعر.
(5) الفريق: الجماعة، وحلولا: حال من الفريق.

يطأ الثرى مترفقًا من تيهه ... فكأنه آس يجس عليلا[1]

ويرد عفرته إلى يافوخه ... حتى تصير لرأسه إكليلا

وتظنه مما يزمجر نفسه ... عنها بشدة غيظه مشغولا

فصرت مخافته الخطى فكأنما ... ركب الكمي جواده مشكولا[2]

وصف شعب بوان[3]:

قال أبو العباس المبرد: كنت مع الحسن بن رجاء بفارس، فخرجت إلى شعب بوان، فنظرت إلى تربة كأنها الكافور، ورياض كأنها الثوب الموشى وماء يتحدر كأنه سلاسل الفضة، على حصباء كأنها حصى الدر، فجعلت أطوف في جنباتها، فإذا في بعض جدرانها مكتوب:

إذا أشرف المكروب من رأس تلعة ... على شعب بوان أفاق من الكرب[4]

وألهاه مرج كالحرير لطافة ... ومطرد يجري من البارد العذب

وطيب رياض في بلاد مريعة ... وأغصان أشجار جناها على قرب[5]

وفي شعب بوان يقول المتنبي:

مغاني الشعب طيبًا في المغاني ... بمنزلة الربيع من الزمان[6]

طبت فرساننا والخيل حتى ... خشيت وإن كرمن من الحران[7]

غدونا تنفض الأغصانُ فيها ... على أعرافها مثل الجمان

فسرت وقد حجبن الشمس عني ... وجئن من الضياء بما كفاني

(1) الآسي: الطبيب.

(2) عفرة الأسد: الشعر المجتمع على قفاه.

(3) هو جنان الدنيا الأربع عند أدباء العرب.

(4) التلعة: ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها والمراد الأول.

(5) المريعة: الخصيبة، والميم أصلية يقال: مرعت الأرض وأمرعت.

(6) المغاني جمع مغني: اسم مكان من غنى أي أقام.

(7) طباه وأطباه: استهواه واستماله.

وألقـى الشـرق منـها في ثيـابي دنـانيرا تفـر مـن البنــان[1]
وأمواه تصـل ـ ـا حصاهـ ـا صليل الحلـي في أيـدي الغـواني
إذا غـنى الحمـام الـورق فيهـا أجابتــ ـه أغــ ـاني القيــ ـان
يقـول بشـعب بـوانٍ حصـاني أعـن هـذا يسـار إلى الطعـان!

وقال حافظ بك إبراهيم يصف طيارة:

يجـري بسابحـ ـةٍ تشـق ســبيلها شــ ـق الإزار
وتكـاد تقـدح في الأثـير فيســتحيل إلى شــرار[2]
مثل الشـهاب انقـض في آثـار عفريـت وطـ ـار
فـإذا علــت فكــدعوة المُضطر تخـرق السـتار
وإذا هوت فكمـا هـوت أنثى العقاب على الهزار[3]

وصف السيف للمرحوم البارودي:

أمضى به الهولُ مقداما ويصـحبني ماضي الغِرار إذا ما استفحل الوهل[4]
يمر بالهامِ مـر الـبرق في عجـل وفت الضراب ولم يعلـق بـه بلـل
ترى الرجال وقوفًـا بعـد فتكتـه ـم يظنـونَ أحيـاءً وقـد قُتِلـوا
كأنه شـعلة في الكـف قائمــةٌ فو ـا الريح أحيانـا وتعتـدل
لولا الدماء التي يسقى ـا ـلا لـكاد من شـدة الـلألاء يشـتعل
يفلّ ما بقيـت في الكـف قبضـته كل الحديـدِ ولم يثــأر بـه فَلـل

(1) يقول: إن اشتباك الأغصان يجعل ما يسقط من ضوء الشمس دوائر صغيرة كالدنانير إلا أ ا لا يمكن تناولها.
(2) الشرار والشر: ما يتطاير من النار واحد ا شرارة وشررة.
(3) العقاب: طائر جارح وجمعه عقبان، ولفظه مؤنث. والأنثى منه تسمى اللقوة والذكر يسمى الغرن وهو ضعيف وإنما القوة للأنثى، ومن هذا يتبين السر في قول شاعرنا أنثى العقاب.
(4) الغرار: حد السيف ونحوه، الوهل: الفزع.

وصف الأسطول للأيادي

وقال علي بن محمد الأيادي يصف أسطول الفاطمي المتوفى سنة 433هـ:

أعجب بأسطول الإمام محمد وبحسنه وزمانه المستغرب
لبست به الأمواج أحسن منظر يبدو لعين الناظر المستعجب
من كل مشرفة على ما قابلت إشراف صدر الأجدل المتنصب[(1)]
دهماء قد لبست ثياب تصنع تسبي العقول على ثياب ترهب[(2)]
من كل أبيض في الهواء منشر منها وأسحم في الخليج مغيب
كملاءة في البر يقطع سيرها في البحر أنفاح الرياح الشذّب[(3)]
محفوفة بمجادف مصفوفة في الجانبين دوين صلبٍ صلب[(4)]
كقوادم النسر المرفرف عريت من كاسيات رياشه المتهدب[(5)]
وتحثها أيدي الرجال إذا ونت بمصعد منه بعيد مصوب[(6)]
خرقاء تذهب إن يد لم تهدها في كل أوبٍ للرياح ومذهب[(7)]
جوفاء تحمل كوكبا في جوفها يوم الرهان وتستقل بموكب
ولها جناح يستعار يطيرها طوع الرياح وراحة المتطرب
يعلو بها حدب العباب مطارةً في كلُّ لجّ زاخر مغلولب[(8)]

(1) الأجدل: الصقر جمعه أجادل، والمتنصب: المنتصب.
(2) يشير إلى لون السفن الذي هو السواد الشبيه بلباس الرهبان وإلى لون أشرعتها الذي هو البياض.
(3) الشذب: جمع شاذب وهو الذي يطرد ويبعد أي الرياح التي تقذف على وجه الأرض وهذا كناية عن الشدة.
(4) الصلب كسكر: مبالغة في الصلب.
(5) الرياش: اللباس الفاخر والمراد هنا ريش الطائر، والمتهدب: ذو الأهداب ونسر أهدب، أي سابغ الريش.
(6) صعد الشيء: رفعه، وصوبه: خفضه.
(7) الأوب: الجهة والطريق، والمتطرب :الحادي الذي يتغنى في سوق الإبل والمراد هنا الربان.
(8) حدب الماء: تراكبه في جريه والمغلولب: الكثير، يقال: اغلولب القوم إذا كثروا.

تسمو بـأجرد في الهـواء متـوج عريان منسوج الذؤابة شـوذَب[1]
يتركب المـلاح منـه ذبـابه لو رام يركبها القطـا لم يركـب[2]
فكأنمـا رام استـراقة مقعـد للسمـع إلا أنـه لم يشـهب
وكأنمـا جـن ابـن داود هـم ركبوا جوانبـها بـأعنف مركـب
سجروا جواحم نارهـا فتقـاذفوا منها بألسـن مـارج ملتـهب[3]
من كل مسجور الحريق إذا انبرى من سجنه انصلت انصلات الكوكـب[4]
عريان يقدمـه الدخـان كأنـه صبح يكـر على الظـلام الغيهـب
ولواحـق مثـل الأهـلة جنـح لحـق المطالب فائتـات المهـرب[5]
يذهبن فيمـا بينـهن لطافـة ويجـئن فعـل الطـائر المتغلـب
كنضانض الحيات رحـن لواعبـا حتى يقعن بـبرك مـاء الميـزب
شرجوا جوانبـها بمجادف أتعبـت شادي الريـاح لهـا ولمّا تتعـب[6]
تنصاع من كثَب كمـا نفر القطـا طورا وتجتمع اجتماع الربـرب[7]
والبحر يجمـع بينهـا فكأنـه ليلٌ يقرب عقربـًا مـن عقـرب
وعلـى جوانبـها أسـود خلافـة تختال في عدد السـلاح المرهـب
فكأنما البحـر استـعار بزيهـم ثوب الجمال من الربيـع المـذهب

---

(1) الشوذب: الطويل والبيت يصف فيه القرية كهدية وهي العود الطويل الذي يشبه القلع.
(2) ذبابة السيف: طرف حده والمراد طرف القرية.
(3) سجر: ملأ، الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال.
(4) انصلت: مضى وسبق.
(5) اللحق جمع لاحق، كخدم، جمع خادم.
(6) شرج العيبة: أدخل بعض عراها في وبعض المراد هنا شبكوا في جوانبها ا اذيف، والشادي: السائق.
(7) انصاع القوم: ذهبوا سراعا أو انفتلوا، والربرب: القطيع من بقر الوحش.

وصف القطار الحديدي

وقال المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف القطار الحديدي من قصيدة:

صفح البرق أو مضت في الغمـام أم شهاب يشـق جـوف الظـلام
أم سليلُ البخار طـار إلى القصـد فأعيـا سوابـق الأوهـام[1]
مر كاللمح لم تكـد تقـف العـين على ظـل جرمـه المترامـي[2]
أو كشرخ للشباب لم يدر كاسـيه تولـى في يقظـة أو منـام[3]
لا يبالي السرى إذا اعتكر الليـ ـل وخانت مواقـع الأقـدام[4]
يقطع البيـد والفيـافي وحيـدا لم تضعضـه وحشـة الإظـلام[5]
ليس يثنيه ما يذيب دماغ الضـ ـب يوم الهجير بـين المـوامي[6]
لا ولا يعتريـه مـا يخـرس النـا بـح في الزمهريـر بـين الخيـام
هائما كـالظليم أزعجـه الصيـ ـد وراعته طائشـات السـهام[7]
فهو يشتد في النجـاء ويهـوي حيث ترمـى بجانبيـه المرامـي[8]
يا حديدا ينسـاب فـوق حديـد كانسياب الرقطاء فوق الرغـام[9]
قد مسحت البلاد شرقًا وغربـًا بذراعـي مثمـر مقـدام

* * *

---

(1) السليل: الولد.
(2) المترامي: المتتابع.
(3) شرخ الشباب: أولـه.
(4) السرى: سير عامة الليل، واعتكر الليل: اشتد سواده.
(5) البيد: جمع بيداء وهي الصحراء والفيافي جمع فيفاء: وهي المفازة لا ماء فيها.
(6) الموامي جمع موماة: وهي الفلاة، والضب: حيوان من أخص صفاته احتمال الحر الشديد.
(7) الظليم: ذكر النعام.
(8) النجاء: السرعة.
(9) الرقطاء: الحية والرغام: التراب.

وقال حفني بك ناصف المتوفى عام 1919 يهنئ ويصف حريق عابدين:

وافى يقبل راحتيك العام　　　وحنت إليك رءوسها الأيام
والدهر أقسم لا يجيءُ بغير ما　　　ترضى وكم برت له أقوام
فاقبل معاذير الزمان فطالما　　　قبلت معاذير المنيب كرام
واغفر جنايته على القصر الذي　　　لم تحو مصر نظيره والشام
شبت به النيرانُ فارتاعت لها　　　مهج الأنام وهالها استعظام
لولا الدخان أحاط حول لهيبها　　　ما شك فرد أنها أعلام
أمر به نفذ القضاءُ وليس في　　　أحكامه نقض ولا إبرام
بل حكمةٌ شاء الإله بيانها　　　لعباده ليذيع الاستسلام
حتى يروا أن الملوك وإن علوا　　　قدرا تسير عليهم الأحكام
فإذا اقتدى بهم الرعية أحسنوا　　　صبرا وخفّت عنهم الآلام
عين السماء لعابدين تطلّعت　　　حسدا عليك والعيون سِهام
وتشوق القصر الكريم لأهله　　　والشوق في قلب المحب ضرام
لم يستطع صبرا على طول النوى　　　والصبر في شرع الغرام حرام
فتصعدت زفراته وتأججت　　　جمراته والصب كيف يلام
لولا الدموع من المطافئ ما انقضى　　　منه الهيام ولم يبل إوام
خرقت طباق الجو إلا أنها　　　برد قصارى أمرها وسلام

وقال حافظ إبراهيم يصف خزان أسوان ويمدح الحضرة الخديوية:

أخزان مِصر أنت أم هرما مصر　　　أجل وأسمى في المكانة والقدر
أعدت لنا مجد القرون التي مضت　　　وجددت من عهد الفراعنة الغر
وهيهات ما أهرام مصر وإن سمت　　　بأرفع رأسا من حضيضكِ لو تدري
وليس سنانُ بن المشلل خالدا　　　بأنبه من (عباس) عصرك في الذكر

وما قطرات السحب كالدرتنهمي ... بألطف وقعا من عفيفك إذ يجري
وما أنت خزان المياه وطميها ... وإبليزها بل خازن الدر والتبر
تدفقت بالخيرات من كل جانب ... وجمعت أقطار المنافع في قُطر
فقل للغوادي والروائح تنجلي ... وفي غير مصر فلتسح على قفر
إذا ما جرت أمواهها دون حاجة ... وفاضت جرت منك المياه على قدر
ضربت على آثار مصر ولم يكن ... ليطمسها لولا جلالك من أثر
ألا فلتسد مصر على كل بقعة ... به وليطاول قطرها مسقط القطر
بناءٌ من الدهر استعار بقاءه ... وأقسم ألا يسترد من الدهر

الباب الخامس: في الاستعطاف والمعاتبات والاعتذارات

قال النابغة الذبياني الشاعر الجاهلي المتوفى سنة 904م من قصيدة طويلة:

يا دار مية بالعلياء فالسند ... أقوت وطال عليها سالف الأبد(1)
وقفت فيها أصيلاً لا أسائلها ... عيت جوابا وما بالربع من أحد(2)
إلا الأواري لأيًا ما أبينها ... والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد(3)
ردت عليه أقاصيه ولبده ... ضرب الوليد بالمسحاة في الثأد(4)
خلت سبيلَ أتيّ كان يحبسه ... ورفعته إلى السجفين فالنضد(5)

(1) العلياء: المكان العالي، والسند، محركة: ما قابلك من الجبل وعلا من السفح، وأقوت الدار: خلت من السكان، والأبد: الزمان الماضي.
(2) أصل أصيلا أصيلانا بالنون تصغير أصلان جمع أصيل وهو العشي أبدلت بالنون لاما، وعيت: أي حصرت وعجزت عن الجواب.
(3) الأواري: منصوب على أنه مستثنى منقطع وهو جمع أري بمعنى الآخية، والآخية كآنية: الوتد الذي في رأسه حلقة يدق في الحائط أو يدفن في الأرض لتربط فيه الدواب. ولأيا ما أرى: بعد جهد، ما أنظرها، والنؤي: الحفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل. والمظلومة: الأرض التي حفر فيها حوض وليست بموضع حفر الحوض فيها من أ ا ليست بموضعه ظلم لها، والجلد: الأرض الصلبة المستوية المتن.
(4) ردت: بالبناء للمجهول، ولبده: ألصق بعضه ببعض، والمسحاة: هي آلة يجرف ا الطين. والثأد: الطين.
(5) الأتي: الجدول الذي تؤتيه إلى أرضك. والسيل: الغريب ويحبسه الضمير فيه يعود إلى النؤي. =

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا ... أخنى عليها الذي أخنى على لبدِ[1]

وقال أمية بن أبي الصلتِ الجاهلي يعتِب على ابن لـه[2]:

غَذَوتك مولـودا وعلتـك يافعـا ... تعل بمـا أُدني إليـك وتنـهلُ[3]

إذا ليله نابتـك بالشـكْو لم أَبِـت ... لشكواك إلا ساهـرا أتملمـل[4]

كأني أنا المطروق دونـك بالـذي ... طرقْت بـه دوني، وعيني تهمـل[5]

تخاف الردى نفسي عليك، وإنهـا ... لتعلم أن الموت حتـم مؤجـل[6]

فلما بلغت السـن والغايـةَ الـتي ... إليها مدى ما كُنت فيـك أؤمـل

جعلت جزائي منك جبها وغِلظـة ... كأنك أنـت المُـنعِم المتفَضـلُ[7]

فليتـك إذ لم تـرع حـق أبـوتي ... فعلت كما الجار المجـاور يفعـل[8]

وسميـتني باســم المفَنــدِ رأيــه ... وفي رأيك التفنيد لو كنت تعقِل[9]

تراه معِـداً للخـلاف كأنــه ... بِردٍّ على أهل الصواب موكّـل[10]

=

والسجفين: الستارتان اللتان تعلقان على الباب، أو النافذة.

(1) احتملوا: ذهبوا من دار إلى أخرى، وأخنى عليها: أهلكها يقال إن لقمان بن عاد عاش بمقدار عمر سبعة نسور كلما هلك نسر خلفه نسر آخر وكان آخرها لبد على وزن صرد.

(2) هو عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي نشأ بالطائف جاهليا يلتمس المعارف الدينية متعبدا راجيا أن يكون نبي العرب، حتى إذا كانت بعثة النبي ﷺ أكبرها عليه، وناضله مع أعدائه حتى مات بالطائف سنة 9هـ).

(3) غذاه: قام بمؤنته وعاله: كفله وقام به، واليافع: من قارب العشرين، تعل: من العلل وهو الشرب الثاني والنهل: الشرب الأول، يريد أنه يسبغ عليه من نعمه الكثير والقليل.

(4) أتململ: اتقلب على الملة وهي الجمر.

(5) تهمل: أي يسيل منها الدمع.

(6) الردى: الهلاك، حتم: أي لا مفر منه، مؤجل: أي لـه وقت.

(7) الجبه: مقابلة الإنسان بما يكره.

(8) أي ليتك إذ أبيت أن تعاملني معاملة الأب عاملتني كما يعامل الجار جاره.

(9) فنده: نسبه إلى سوء العقل أي وصمتني بسوء الرأي والغباوة ولو عقلت لعلمت أن الفند حقيق بأن ينسب إليك لا إلي.

(10) معدا: أي محضرا ومهيئًا، أي يهيئ الخلاف، ويقابل به كل رأي كأنه كلف أن يفند آراء أهل الصواب.

وقال المغيرة بن حبناء:

خذ من أخيك العفو واغفر ذنوبه ... ولا تك في كل الأمور تعاتبه
فإنك لن تلقى أخاك مهذّبا ... وأي امرئٍ ينجو من العيب صاحبه
أخوك الذي لا ينقُض النأي عهده ... ولا عند صرف الدهر يزور جانبه
وليس الذي يلقاك في البشر والرضا ... وإنْ غِبت عنه لسعتك عقاربه

وقال سعيد بن حميد المتوفى سنة 888هـ:

أقلِلْ عِتابك فالبقاءُ قليل ... والدهر يعدلُ مرة ويميلُ
لم أبكِ مِن زمن ذممت صروفه ... إلا بكيت عليه حين يزول
ولكل نائبةٍ ألمت فُرجةٌ ... ولكل حال أقبلت تحويل
والمنتمون إلى الصفاءِ جماعة ... إن حصلوا أفناهم التحصيل
وأجل أسبابِ المنية والردى ... يوم سيقطع بيننا ويحول
فلئن سبقت لتفجعن بصاحب ... حبل الصفاءِ بحبله موصول
ولعل أيام البقاءِ قليلة ... فعلام يكثر عتبنا ويطول؟

وقال شاعر الحجاز المخضرمي معن بن أوس المزني المتوفى سنة 29هـ:

لَعمرك ما أدري وإني لأوجلُ ... على أينا تعدو المنية أول
وإني أخوك الدائم العهد لم أخن ... إن ابزاك خصم أو نبا بك منزلُ
أحارب من حاربت مِن ذي عداوة ... وأحبس مالي إن غَرِمت فأعقِل
وإني على أشياء منك تريبني ... قديما لذو صفح على ذاك مجمِل
ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني ... يمينك فانظر أي كيف تبدل
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ... على طرفِ الهجران إن كان يعقِل
ويركب حد السيف من أن تضيمه ... إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
وكنت إذا ما صاحب رام ظنتي ... وبدل سوءًا بالذي كنت أفعل

قلبت له ظهر المجن فلم أدم	على ذاك إلا ريثما أتحولُ
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد	إليه بوجه آخر الدهر تقبل

وقال بهاء الدين زهير المتوفى سنة 656هـ معتذرا لتأخيره عن لقاء بعض أصحابه:

على الطائر الميمون يا خير قادم	وأهلاً وسهلاً بالعلا والمكارم
قدمت بحمد الله أكرم مقدم	مدى الدهر يبقى ذكره في المواسم
قدوما به الدنيا أضاءت وأشرقت	ببشر وجوه أو بضوء مباسم
فياحسن ركب جئت فيه مسلما	ويا طيب ما أهدته أيدي الرواسم
أمولاي سامحني فإنك أهله	وإن لم تسامحني فما أنت ظالمي

وقال محمد بن زريق البغدادي نادما على الإفراط في طلب الدنيا وكان قصد الأندلس في طلب الغنى فلم يرجع لبغداد رحمة الله عليه:

لا تعذليه فإن العذلَ يولعه	قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
جاوزتِ في لومه حدا أضر به	من حيث قدرتِ إن اللوم ينفعه
فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلاً	من عنفه فهو مضنى القلب موجعه
قد كان مضلعا بالخطب يحمله	فضيقت بخطوب البين أضلعه
يكفيه من لوعة التفنيد أن له	من النوى كل يوم ما يروعه
ما آب من سفر إلا وأزعجه	رأي إلى سفر بالعزم يجمعه
كأنما هو من حل ومرتحل	موكلٌ بفضاء الأرض يذْرعه
إذا الزمانُ أراه في الرحيل غنى	ولو إلى السند أضحى وهو يزمعه
تأبى المطامع إلا أن تجَشمه	للرزق كداً، وكم ممن يودعه
وما مجاهدة الإنسان توصله	رزقًا، ولا دعة الإنسان تقطعه
والله قسم بين الخلق رزقهُم	لم يخلق الله مخلوقًا يضيعه
والسعي في الأرزاق والأرزاق قد قسمت	بغي ألا إن بغي المرء يصرعه

والدهر يعطي الفتى ما ليس يطلبه يوما، ويمنعه من حيث يطمعه
أستودع الله في بغداد لي قمرا بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه
ودعته، وبودي لو يودعني صفو الحياة وأني لا أودعه
وكم تشفع أني لا أفارقه وللضرورات حال لا تشفعه
وكم تشبثَ بي عند الرحيل ضحى وأدمعي مستهلات وأدمعه
لا أكذب الله ثوب العذْر منخرق عني بفرقته لكن أرقعه
إني أوسع عذري في جنايته بالبين عنه، وقلبي لا يوسعه
أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا شكر الإله، فعنه الله ينزعه
اعتضت عن وجه خلي بعد فرقته كأسا أجرع منها ما أجرعه
كم قائل ليَ ذنب البين قلت له الذنب والله ذنبي لست أدفعه
هلا أقمت فكان الرشد أجمعه لو أنني يوم بانَ الرشد أتبعه
إني لأقطع أيامي وأنفدها بحسرة منه في قلبي تقطعه
بمن إذا هجع النوام بت له بلوعة منه ليلي لست أهجعه
لا يطمئن لجنبي مضجع، وكذا لا يطمئن له مذْ بنت مضجعه
ما كنت أحسب أن الدهر يفجعني به، ولا أن بي الأيام تفجعه
حتى جرى الدهر فيما بيننا بيد عسراء تمنعني حظي وتمنعه
لله يا منزل القصف الذي درست آثاره وعفت مذْ غبت أربعه
هل الزمان معيد فيك لذتنا؟ أم الليالي التي أمضته ترجعه
في ذمة الله من أصبحت منزله وجاد غيثٌ على مغناك يمرعه
من عنده لي عهد لا يضيعه كما له عهد صدق لا أضيعه
ومن يصدع قلبي ذكره، وإذا جرى على قلبه ذكري يصدعه

لأصـــبرن لـــدهر لا يمـــتعني — بــه، ولا بــي في حــال يمتعــه

علما بأن اصطباري معقب فرجـا — وأضيق الأمر إن فكـرت أوسـعه

علّ الليالي الـتي أضـنت بفرقتنـا — جسمي ستجمعني يومـًا وتجمعـه

وإن تنلْ أحـدا منـا منيتـه — فما الـذي بقضـاء الله يصـنعه

وقال محمد حافظ بك إبراهيم (بين اليقظة والمنام) في استعطاف الزمان:

أشرق فدتك مشـارق الإصـباح — وأمط لثامـك عـن نـار ضـاح

بوركت يا يوم الخلاص ولا ونـت — عنك السـعود بغـدوة ورواح

بالله كن يمنا وكن بشـرى لنـا — في رد معتـرب وفـك سـراح

أقبلت والأيـام حوالـك مثـلٌ — صـفين تخطـر خطـرة المـاح

وخرجت من حجب الغيوب محجـلا — في كل لحظ منك ألـف صبـاح

لو صـح في هذا الوجـود تناسـخ — لرأيت فيـك تناسـخ الأرواح

ولكنـت يـوم (اللابرنـت) بعينـه — في عـزة، وجـلالة، وسمـاح

يـوم يريـك جـلاله ورواؤه — في الحسن قدرة فـالق الإصـباح

خلعت عليه الشمس حـلة عسـجد — وحبـاه (آذار) أرق وشـاح

اللهُ أثبتـه لنـا في لوحِـه — أبد الأبيد فمـا لـه مـن مـاح

حييه عنـا يـا أزاهـر واملئـي — أرجـاءه بأريجـك الفيـاح

وانفخه عنـا يـا ربيع بكـل مـا — أطلعت من رنـد ونـور أقـاح

للنيل مجـد في الزمـان مؤثـل — من عهد (آمون) وعهـد (فُتـاح)

فَسل العصـور بـه وسـل آثـاره — في مصر كم شهدت من السـياح

قد قـال (عمـرو) في ثراهـا آيـة — مـأثورة نقشت علـى الألـواح

بينـا نـراه لآلئـًا وكأنمـا — نثـرت بتـربته عقـود مـلاح

وإذا بـهِ للنـاظرين زمـرد — يشفيك أخضـره من الأتـراح

وإذا بـــه مِســـك تشـــق ســـواده ... شق الأديـــم مـحـــارث الفـــلاح
قم يا ابن مصر فأنت حـــر واســـتعد ... مجـــد الجدود ولا تعـــد لمـــزاح
شمـــر وكـــافح في الحيـــاة فهـــذه ... دنيـــاك دار تناحـــر وكفـــاح
وا لل مع النهال من عـــذب الحيـــا ... فإذا رفـــا فامتح مـــع المتـــاح
وإذا ألح عليـــك خطـــب لا ـــن ... واضرب على الإلحـــاح بالإلحـــاح
وخض الحياة وإن تلاطـــم موجهـــا ... خوض البحـــار رياضـــة الســـباح
واجعل عيانك قبل خطـــوك رائـــدا ... لا تحسبن الغمـــر كالضحضـــاح
وإذا احتـــوتك مـحـــلةٌ وتنكـــرت ... لك فاغدهـــا وانزح مع النـــزاح
في البحر لا تثنيـــك نـــار بـــوارج ... في البر لا يلويـــك غـــاب رمـــاح
وانظر إلى الغربي كيف سمـــت بـــه ... بين الشـــعوب طبيعـــة الكـــداح
والله ما بلغت بنـــو الغـــرب المـــنى ... إلا بنيـــات هنـــاك صحـــاح
ركبوا البحار وقـــد تجمـــد ماؤهـــا ... والجـــو بـــين تنـــاوح الأرواح
والبر مصهور الحصـــى متأججـــا ... يرمـــي بنـــزاع الشـــوى لـــواح
يلقـــي فتـــيهم الزمـــان مـــة ... عجب، ووجه في الخطوب وقـــاح
ويشـــق أجـــواز القفـــار مغـــامرا ... وعر الطريق لديـــهِ كالصحصـــاح
وابـــن الكنانـــةِ في الكنانـــةِ راكـــد ... يرنو بعـــين غـــير ذات طمـــاح
لا يستغلّ، كمـــا علمـــت، ذكـــاءه ... وذكـــاؤه كالخـــاطف اللمـــاح
أمسى كماء النـــهر ضـــاع فراتـــه ... في البحر بـــين أجاجـــهِ المـــداح
فا ض ودع شكوى الزمان ولاتـــنح ... في فـــادح البؤسى مـــع الأنـــواح
واربح لمصـــر بـــرأس مالـــك عـــزة ... إن الذكـــاء حبـــالة الأربـــاح
وإذا رزقت رياســـة فانســـج لهـــا ... بردين من حـــزم ومـــن إســـجاح
واشرب من المـــاء القـــراح منعمـــا ... فلكم وردت المـــاءَ غـــير قـــراح

* * *

الباب السادس: في التهاني والتهادي والأغراء

قال أبو الطيب المتنبي المتوفى سنة 345هـ:

ا د عـوفيَ إذ عوفيـت والكـرم	**وزالَ عنــك إلى أعــدائك الألمُ**
صحت بصحتك الغارات وابتهجت	**ا المكارم وا لـت ـ ـا الـديم**
وراجع الشمس نور كـان فارقهـا	**كأنما فقـده في جسمهـ ـا سـقم**
ولاح برقك لي من عارضي ملـك	**ما يسقط الغيثُ إلا حـين يبتسـم**
يسمى (الحسام) وليست ذي مشا ة	**وكيف يشتبه المخـدوم والخـ ـدم**
تفرد العـرب في الـدنيا بمحتـدهِ	**وشارك العرب في إحسانه العجـم**
وأخلص الله للإسـلام نصرتـ ـه	**وإن تقلب في آلائـ ـه الأمـ ـم**
ومـا أخصك في بـ ـرء بتهنئـة	**إذا سلمت فكـل الناس قد سلموا**

وقال الوزير الصاحب إسماعيل بن عباد المتوفى سنة 385هـ:

هذي المكـارم والعليـاء تفتخـر	**بيـوم مأثـرة ساعاتـه غـ ـرر**
يوم تبسم عنه الـدهر واجتمعـت	**لـه السعود وأغضت دونه الغـير**
حتى كأنا نـرى في كـل ملتفـت	**روضـا تفـتح في أثنائـه الزهـر**
لما تجلـى عـن الآمـال مشـرقة	**فالَ العلى بك أسـتعلي وأفتـدِر**
وافى علـى غـير ميعـاد يبشـرنا	**بأن ستتبعـه أمثالـ ـه الأخـ ـر**
أهنى المسرات ما جـاءت مفاجـأة	**وما تناجى ـا الألفـاظ والفكـر**
لو أن بشرى تلقتـها بموردهـ ـا	**لأقبلت نحوهـ ـا الأرواح تبتـدِر**
وما تعنف مـن يسـخو بمهجتـه	**فإن يومك هـ ـذا وحـده عمـر**
فما غدوت ومـا للعـين منقلـب	**إلا إلى منظـر يبـهي ويحتـ ـبر**
ثنت مهابتـك الأبصـار حاسـرة	**حتى تبـين في ألحاظهـا خـزر(1)**
إذا تأملتهم غضـوا، وإن نظـروا	**خلال ذلك فـأدنى لفتـة نظـروا**

---

(1) الخزر: ضيق العين وصغرها.

في ملبس ما رأتـه عـين معتـرض ... فشك في أنـه أخلاقـك الزهـر
ألبسته منك نـورا يستضـاء بـه ... كما أضاء ضواحي مزنة القمـر(1)
وقد تقلدت عضبا أنت مضربـه ... وعنك يأخذ ما يـأتي ومـا يـذَر
ما زال يزداد من إشـراق غرتـهِ ... زهرا ويشرق فيه التيه والأشـر(2)
والشمس تحسد طرفًا أنت راكبـه ... حتى تكاد من الأفـلاك تنحـدر
حتى لقد خلت أن الشمس أزعجهـا ... شوقًا وقد ظلت على عطفيه تنتشـر

وقال أبو أذنية يغري الأسود بن المنذر بقتل آل غسان وكانوا قتلوا أخا لـه:

ما كل يوم ينال المـرء مـا طلبـا ... ولا يسوغه المقدار مـا وهبـا
وأحزم الناس من إن فرصة عرضـت ... لم يجعل السبب الموصول منقضـبا
وأنصف الناس في كل المواطن مـن ... سقى المعادين بالكاس الذي شـربا
وليس يظلمهم مـن راح يضـر م ... بحد سيف به مـن قبلـهم ضـربا
والعفو إلا عن الأكفـاء مكرمـة ... من قال غير الذي قد قتلـه كـذبا
قتلت عمرا وتستبقي يزيـد لقـد ... رأيت رأيا يجـر الويـل والحَربـا
لا تقطعن ذنب الأفعـى وترسـلها ... إن كنت شهما فأتبع رأسـها الـذنبا
هم جردوا السيف فاجعلهم له جـزرا ... وأوقدوا النار فاجعلهم لهـا حطبـا
إن تعف عنهم يقول الناس كلـهم ... لم يعف حلما ولكن عفوه رهبـا
هـم أهِلّـة غسـان ومجدهـم ... عال، فإن حاولوا ملكًا فلا عجبـا
وعرضوا بفـداء واصِـفين لنـا ... خيلا وإبلا تفوق العجـم والعربـا
أيحلبون دمًـا مِنـّـا ونحلبهـم ... رسلا، لقد شرفونا في الورى حلبـا

وقال صفي الدين الحلي يحرض السلطان الصالح على الاحتراز من المغول:

(1) المزن: السحاب الأبيض ويقال للهلال ابن مزنة وهي القطعة من المزن لخروجه منها.
(2) الأشر بفتح الشين المرح والاختيال.

لا يمتطي المجد من لم يركب الخطرا ... ولا ينال العلا من قدم الحذرا
ومن أراد العلا عفواً بلا تعبٍ ... قضى ولم يقض من إدراكها وطرا
لا بد للشهدِ من نحلٍ يمنعه ... لا يجتني النفع من لم يحمل الضررا
لا يبلغُ السؤل إلا بعد مؤلمةٍ ... ولا يتم المنى إلا لمن صبرا
وأحزم الناس من لو مات من ظمأٍ ... لا يقرب الورد حتى يعرف الصدرا
وأغزر الناس عقلاً من إذا نظرت ... عيناه بالأمر غدا بالغير معتبرا
فقد يقال عثار الرجل إن عثرت ... ولا يقالُ عثار الرأي إن عثرا
من دبر العيش بالآراء دام له ... صفوا وجاء إليه الخطب معتذرا
يهون بالرأي ما يجري القضاء به ... من أخطأ الرأي لا يستذنب القَدرا
من فاته العز بالأقلام أدركه ... بالبيض يقْدح من أطرافها الشررا
لا يحسن الحلم إلا في مواطنه ... ولا يليق الوفا إلا لمن شكرا
ولا ينالُ العلا إلا فتى شرفت ... خِلاله فأطاع الدهر ما أمرا
كالصالح الملكِ المرهوبِ سطوته ... فلو توعد قلب الدهر لانفطرا
لما رأى الشر قد أبدى نواجذه ... والغدر عن نابه للحرب قد كشرا
رأى القسي إناثًا عن حقيقتها ... فعافها واستشار الصارم الذكرا
فجرد العزم من قبل الصفاح لها ... ملك عن البيض يستغني بما شهرا
يكاد يقرأ من عنوان همته ... ما في صحائف ظهر الغيبِ قد سطرا
كالبحر والدهر في يومي ندى وردى ... والليث والغيث في يومي وغى وقرى
ما جاد للناس إلا قبل ما سألوا ... ولا عفا قط إلا بعد ما قدرا
لاموه في بذلِه الأموال قلت لهم ... هل تقدر السحب ألا ترسل المطرا

وقال السيد أحمد الهاشمي مؤلف هذا الكتاب مهنئًا المرحوم علي يوسف بك صاحب

جريدة المؤيد سنة 1320هـ بأوبته من أوربا:

(علي) القدر ذو الشرف المؤيد ... شديد العزم (يوسف) قد تفرد

وحيد الفضل والعلياء تشهد ... رفيع المجد في عز وسؤدد

شريف النفس محمود السجايا ... عريق الأصل في المعروف أوحد

همام ما له أبدا مثيل ... بليغُ النطق في الكُتاب مفرد

محِب العدل مشكور المساعي ... عليم بالسياسة، بل (مؤيد)

قوي البأس بسام الثنايا ... سعيد الجد ذو قدرٍ ممجد

فمن يك راقيا شرف المعالي ... كمثلك في الورى لا شك يحمد

وكيف وأنت أعظم من تصدى ... لتأييد الصحافة (بالمؤيد)

وكيف وأنت أفوق كل راءٍ ... بسهم للكتابة قد تجرد

وليس الشمس تخفى عن عيون ... سوى أن كان صاحبهن أرمد

وإنّ البدر بالأنوار زاهٍ ... ويأبى الله إلا أنْ تؤيد

فسبحان الذي أسرى (عليا) ... إلى التاميز والسين المنضد

تهنيكِ المناصب كُلّ وقتٍ ... وتخدمك السعادةُ ما تجَدد

قدم يا سيدي بدرا منيرا ... وحِصنا للمعالي قد تشيد

وهاك من المحب قصيد شِعر ... تشير إلى وفائي، بل وتشهد

تفاخر مصر أهلَ الشرق فيها ... تقول الهاشمي شدا وأنشد

وقال محمد حافظ بك إبراهيم مهنئًا أبناء وطنه بالعام الهجري:

أهلاً بنابغةِ البلاد ومرحبًا ... جددتمُ العهد الذي قد أخلقا

لا تيأسوا أن تستردوا مجدكم ... فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى

مدت له الآمالُ في أفلاكها ... خيط الرجاء إلى العلا فتسلقا

فتجشموا للمجد كلّ عظيمة ... إني رأيت المجد صعب المرتقى

من رام وصل الشمس حاك خيوطها	**سببا إلى آماله وتعلقا**
عار على ابن النيل سباق الورى	**مهما تقلب دهره أن يسبقا**
أو كلما قالوا: تجمع شمله،	**لعب الخلاف بجمعنا فتفرقا**
فتدفقوا حججا وخوضوا نيلكم	**فلكم أفاض عليكم وتدفقا**
حملوا علينا بالزمان وصرفه	**فتأنقوا في سلبنا وتأنقا**
فتعلّموا فالعلم مفتاح العلا	**لم يبق بابا للسعادة مغلقا**
ثم استمدوا منه كلّ قواكم	**إنّ القوي بكلّ أرض متقى**
وابنوا حوالي حوضكم من يقظة	**سورا وخطوا من حذارٍ خندقا**
وزنوا الكلام وسددوه فإنهم	**خبأوا لكم في كل حرفٍ مزلقا**
وامشوا على حذر فإن طريقكم	**وعر أطاف به الهلاك وحلقا**
نصبوا لكم فيه الفخاخ وأرصدوا	**للسالكين بكل فج موبقا**
الموت في غشيانه وطروقه	**والموت كل الموت ألا يطرقا**
فتحينوا، فرص الحياة كثيرةٌ	**وتعجلوها بالعزائم والرقى**
أو فاخلقوها قادرين فإنما	**فرص الحياة خليقةٌ أن تخلقا**

* * *

الباب السابع: في المراثـي

قال المهلهل التغلبـي يرثي أخاه كليبا وهو جاهلي توفي سنة 531م:

أهـاج قذاء عـيني الادكـ ـار؟	**هـدوءًا فالدموع لهـا ا مـ ـار**
وصارح الليـل مشـتمِلا علينـا	**كأن الليـل لـيس لـ ـه ـار**
وبـت أراقـب الجـوزاء حـتى	**تقـارب مـن أوائلـها انحـدار**
أصـرف مقلـتي في إثـ ـر قـومٍ	**تباينـت الـبلاد ـم فغـاروا**
وأبكـي والنجـوم مطلعـ ـات	**كـأن لم تحوهـ ـا عـني البحـار**
على من لو نعيـت وكـان حيـا	**لقـ ـاد الخيـل يحجبهـا الغبـار**
دعوتك يـا كليـب فلـم تجـبني	**وكيـف يجيـبني البلـد القفـار؟**
أجبني يـ ـا كليـب خـلاك ذم	**لقـد فجعـت بفارسـها نـزار**
سقاك الغيثُ إنـك كنـت غيثًـا	**ويسـرا حـين يلـتمس اليسـار**
أبـت عينـاي بعـدك أن تكفـا	**كـأن غضا القتاد لهـ ـا شِـفار**
وإنك كنت تحلـم عـن رجـال	**وتعفـو عنـهم ولـك اقتـدار**
وتمنـ ـع أن يمسهـ ـم لسـان	**مخافـ ـة مـن يجـير ولا يجـار**
وكنت أعد قـربي منـك ربحـ ـا	**إذا مـا عـدت الـربح التجـار**
فلا تبعـد فكـل سـوف يلقـى	**شعوبا يسـتدير ـ ـا المـ ـدار**
يعيش المـرء عنـد بـني أبيـ ـه	**ويوشك أن يصير بحيـث صـاروا**
أرى طـول الحيـاة وقـد تـولى	**كما قد يسلب الشـيء المعـ ـار**
كأني إذ نعـ ـى النـاعي كليبـا	**تطـاير بـين جنـ ـبي الشـرار**
قَدرت وقد غشي بصـري عليـه	**كمـا دارت ِبشار ـ ـا العقـار**
سـألت الحـي: أيـن دفنتمـوه؟	**فقـالوا لي؟: بأقصـى الحـي دار**
فسرت إليه مـن بلـدي حثيثًـا	**وطـ ـار النـوم وامتنـع القـرار**

وحادت ناقتي عـن ظـل قـبر ... ثـوى فيــه المكـارم والفخـار

أتغدو يا كليـب معـي إذا مـا ... جبـان القـوم أنجـاه الفـرار؟

خذ العهد الأكيد علـي عمـري ... بتركي كل مـا حـوت الديـار

ولست بخـالع دِرعـي وسـيفي ... إلى أن يخلـع الليـلَ النهـار

* * *

وقال صفي الدين الحلي المتوفى سنة 50هـ يرثي غريقًا:

أصـفيح مـاءٍ أم أديم سمـاء ... فيـه تغـور كواكـب الجـوزاءِ

ما كنت أعلم قبل موتـك موقنـا ... أن البـدور غُروبـا في المـاءِ

ولقد عجبت وقد هويـت بلجـة ... فجرى على رسـلٍ بغـير حيـاء

لو لم يشق لـك العبـاب وطالمـا ... أشبهت موسـى باليـد البيضـاء

أنف العلاء عليك من لمس الثـرى ... وحلـولُ بـاطن حفـرة ظلمـاء

وأجلّ جسـمك أن يغـير لطفـه ... عفن الثـرى وتكـاثف الأرجـاء

فأحالـه جـدثًا طهـورا مشـربها ... أخلاقــه في رقــة وصفــاء

ما ذاك بِـدعا أن يضـم صـفاؤه ... نورا يضئ بـه علـى الغـبراء

فالبحر أولى في القياس من الثـرى ... بجـوار تلـك الـدرة الغـراء

* * *

وقال أيضا يرثي الملك ناصر الدين عمر:

بكى عليـك الحُسـام والقـلم ... وانفجـع العِلـم فيـك والعلَـم

وضـجت الأرض، فالعبـاد لـها ... لاطمــة والبـلاد تلتطــم

تظهــر أحزانهـا علـى ملـك ... جـل ملوك الورى لـه خـدم

أبلـج، غـض الشـباب مقتبـل ... العمر، ولكـن مجـده هـرم

محكـم في الـورى وآمـاله ... يحكـم في الـورى ويحتكـم

يجتمـع الحمد والثنـاء لـه ... ومالـه في الوفـود يقتسـم

قد سئمت جوده الأنام، ولا يلقاه من بذله الندى سأم
ما عرفت منه "لا" ولا "نعم" بل دون الآلاء والنعم
الواهب الألف وهو مبتسم، والقاتل الألف وهو مقتحم
مبتسم والكماة عابسة وعابس والسيوف تبتسم
لم يعلم العالمون ما فقدوا منه، ولا الأقربون ما عدموا
ما فقد فرد من الأيام كمن إن مات ماتت لفقده أمم
يا طالب الجود قد قضي عمر، فكل جود وجوده عدم
فالناس كالعين إن فقدتهم تفاوتت عند فقدك القيم
مضى الذي كان الأنام أبا فاليوم كل الأنام قد يتموا
وحلّ داراً ضافت بساكنها ودون أدنى ديار إرم

وقال أبو الحسن التهامي يرثي صغيرا له، ويفتخر بفضله، ويشكو زمانه وحاسديه:

حكم المنية في البرية جار ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يرى الإنسان فيها مخبرا حتى يرى خبرا من الأخبار
طبعت على كدر وأنت تريدها صفوا من الأقدار والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنما تبني الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال سار
فاقضوا مآربكم عجالا إنما أعماركم سفر من الأسفار
وتراكضوا خيل الشباب وبادروا أن تسترد فإن عن عوار
فالدهر يخدع بالمنى ويغص إن هنا ويهدم ما بني ببوار
ليس الزمان وإن حرصت مسالمًا خلق الزمان عداوةُ الأحرار
إني وترت بصارم ذي رونق أعددته لطلابة الأوتار

والنفس إن رضيت بذلك أو أبـت ... منقـادةٌ بأزمـة المقـدار
أثني عليـه بإثـره ولـو أنـه ... لم يغتبـط أثنيـت بالآثـار
يا كوكبا، ما كان أقصـر عمـره ... وكذاك عمر كواكـب الأسـحار
وهـلال أيـامٍ مضـى لم يستـدر ... بـدرا ولم يمهـل لوقـت سـرار
عجل الخسوف عليه قبـل أوانـه ... فمحاه قبـل مظنـة الإبـدار
واستل مـن أترابـه ولداتـه ... كالمقـلة استلت مـن الأشفـار
فكـأن قلبـي قـبره وكـأنه ... في طيـه سِـر مـن الأسـرار
إن يعتبط صِـغرا فـرب مقمـم ... يبدو ضـئيل الشـخص للنظـار
إن الكواكـب في علـو محلـها ... لترى صِغارا وهـي غـير صـغار
ولد المعزى بعضـه فـإذا مضـى ... بعـض الفـتى فالكـل في الآثـار
أبكيه ثم أقـولُ معتـذرا لـه ... وفقـت حـين تركـت ألأم دار
جاورت أعـدائي وجـاور ربـه ... شـتان بـين جِـواره وجـواري
ثوب الريـاء يشـف عمـا تحتـه ... وإذا التحفْت بـه فإنـك عـار
قصرت جفـوني أم تباعـد بينهـا ... أم صـورت عـيني بـلا أشـفار
جفت الكرى حتى كـأن غِـراره ... عند اغتماض العين وخـز غـرار
ولو اسـتزارت رقـدةً لطحا بـها ... مـا بـين أجفـاني مـن التيـار
أحيي الليالي الـتم وهـي تميـتني ... ويميتهـن تبـلج الأسحـار
حتى رأيت الصـبح تـتـك كفـه ... بالضوء رفـرف خيمـة كالقـار
والصبح قد غمـر النجـوم كأنـه ... سـيلٌ طغـى فطفـا النـوار
والهـونُ في ظِـل الهوينـا كـامِن ... وجلالة الأخطـار في الإخطـار
تنـدى أسِـرة وجهـه ويمينـه ... في حالـة الإعسـار والإيسـار
ويمـد نحـو المكرمـات أنـاملاً ... للـرزق في أثنـائهن مجـار

يحـوي المعـالي كاسِـبا أو غالبـا أبـدا يـدارى دو ـا ويـداري
قد لح في ليل الشـباب كواكـب إن أمهـت آلـت إلى الإسـفار
وتلهب الأحشاء شـيب مفرقـي هذا الضياء شـواظ تلـك النـار
شاب القذالُ وكل غصـن صـائر فينانه الأحـوى إلى الإزهـار
والشبه منجذب فلم بيض الـدمى عن بـيض مفرقـه ذوات نفـار
وتودا ـو جعلـت سـواد قلو ـا وسواد أعينـها خضـاب عـذار
لا تنفِر الظبيات عنـه فقـد رأت كيف اختلاف النبت في الأطـوار
شـيئان ينقشـعان أول وهلـة ظِل الشـباب، وخلـة الأشـرار
لا حبذا الشـيب الـوفيّ وحبـذا ظِـل الشـباب الخـائن الغـدار
وطري من الدنيا الشباب وروقـه فإذا انقضى فقد انقضت أوطـاري
قصرت مسـافته ومـا حسـناته عنـ ـدي ولا آلاؤه بقِصـ ـار
نزداد همّـا كلمـا ازددنـا غِـنى والفقر كـل الفقـر في الإكثـار
ما زاد فوق الزاد خلـف ضـائعا في حـادث أو وارثٍ أو عـ ـار
إني لأرحم حاسِـدي لِحـر مـ ـا ضمِنت صدورهم من الأوغـ ـار
نظـروا صـنيع الله بي فعيـو م في جنـ ـة وقلـو م في نـ ـار
لا ذنب لي قد رمت كتم فضـائلي فكأنمـا برقعـت وجـه ـ ـار
وستريهـ ـا بتواضـعي فتطلعـت أعناقُهـا تعلـو علـى الأسـتار
ومن الرجـال معـالِم ومجاهـ ـل ومن النجـوم غـوامض ودراري
والنـاس مشـتبهونَ في إيـرادهم وتفاضـلُ الأقـوام في الإصـدار
عمري لقد أوطأ م طُـرق العـلا فعموا فلم يقفـوا علـى آثـاري
لو أبصروا بقلـو م لاستبصـروا وعمى البصائر من عمى الأبصـار
هلا سعوا سعي الكـرام فـأدركوا أو سـلّموا لمواقِـ ـع الأقـ ـدار

ولربما اعتضد الحليم بجاهل   لا خير في يمنى بغير يسار

وقال أبو البقاء صالح بن شريف الرندي، المتوفى سنة 798هـ يرثي الأندلس:

لكل شيءٍ إذا ما تم نقصانُ   فلا يغر بطيب العيش إنسانُ

هي الأمور كما شاهدتها دولٌ   من سره زمن ساءته أزمان

وهذه الدار لا تبقي على أحدٍ   ولا يدوم على حالٍ لها شان

يمزق الدهر حتماً كُل سابغةٍ   إذا نبت مشرفيات وخرصانُ

وينتضي كل سيف للفناء ولو   كان ابن ذي يزن والغمد غُمدان

أين الملوك ذَوو التيجان من يمن   وأين منهم أكاليلٌ وتيجان؟

وأين ما شاده شداد في إرمٍ   وأين ما ساسه في الفرس ساسان؟

وأين ما حازه قارون من ذهب   وأين عاد وشداد وقحطان؟

أتى على الكُل أمر لا مرد له   حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا

وصار ما كان من مُلك ومن مَلِك   كما حكى عن خيال الطّيف وسنان

دار الزمانُ على "دارا" وقاتلهِ   وأم كِسرى فما آواه إيوان

كأنما الصعب لم يسهل له سبب   يوما ولا ملك الدنيا سليمان

فجائع الدهر أنواع منوعة   وللزمان مسرات وأحزان

وللحوادث سلوان يسهلها   وما لما حلّ بالإسلام سلوان

دهى الجزيرة أمر لا عزاءَ له   هوى له أحد وانهد ثهلان

أصابها العين في الإسلام فارتزأت   حتى خلت منه أقطار وبلدان

فاسأل (بلنسيةً) ما شأن (مرسيةً)   وأين (شاطبةٌ) أم أين (جيانُ)

وأين (قُرطبةٌ) دار العلوم فكم   من عالم قد سما فيها له شان؟

وأين (حِمص) وما تحويه من نزه   ونهرها العذْب فياض وملآن

قواعد كُن أركان البلاد فما   عسى البقاءُ إذا لم تبق أركان

تبكي الحَنيفية البيضاءُ من أسفٍ كما بكى لفراق الألف هيمان
على ديار من الإسلام خالية قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما فيهن إلا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة حتى المنابر ترثي وهي عيدان
يا غافلاً وله في الدهر موعظة إن كنت في سِنة فالدهر يقظان
وماشيا مرحاً يلهيه موطنه أبعد حمص تغر المرءَ أوطان؟
تلك المصيبة أنست ما تقدمها وما لها من طوال الدهر نسيان
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة كأنها في ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر في دعة لهم بأوطانهم عز وسلطان
اعندكم نبأ من أهل اندلس فقد سرى بحديث القوم ركبان؟
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم قتلى وأسرى فما يهتز إنسان؟
ماذا التقاطُع في الإسلامِ بينكم وأنتم يا عباد الله إخوانُ؟
ألا نفوس أبيات لها همم أما على الخير أنصار وأعوانُ
يا من لذلة قوم بعد عزهم أحال حالهُم جور وطُغيان
بالأمس كانوا ملوكا في منازلهم واليوم هم في بلاد الكفر عبدانُ
لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

وقال أبو الطيب المتنبي يرثي أبا شجاع فاتكا:

الحزن يقلق والتجملُ يردع والدمع بينهما عصي طيع
يتنازعان دموع عين مسهد هذا يجيء بها وهذا يرجع
النوم بعد أبي شجاع نافر والليلُ معيي والكواكب ظلع
إني لأجبن من فراق أحبتي وتحس نفسي بالحمام فاشجع

ويزيدني غضب الأعـادي قسـوة ... ويلم بي عتب الصـديق فـأجزع
تصفو الحيـاةُ لجاهـل أو غافـل ... عما مضى منـها ومـا يتوقـع
ولمن يغـالط في الحقـائق نفسـه ... ويسومها طلـب المحـال فتطمـع
أين الذي الهرمـان مـن بنيانـه ... ما قومه، ما يومه، مـا المصـرع؟
تتخلـف الآثـار عـن أصـحا ا ... حينـا ويـدركها الفنـاءُ فتتبـع

وقال عبد ا يد بن عبدون الفهري المتوفى سنة 510هـ راثيا ملوك بني الأفطس من قصيدة طويلة ممتعة في التاريخ والأدب، ومطلعها:

الدهر يفجع بعـد العـين بـالأثر ... فما البكاءُ على الأشباح والصـور
أ ـاك أ ـاك لا آ ـاك واحـدة ... عن نومه بين ناب الليث والظفـر
فالدهر حرب وإن أبـدى مسـالمة ... فالبيض والسمر مثلُ البيض والسـمر
ولا هوادة بـين الـرأس تأخـذه ... يد الضراب وبين الصـارم الـذكر
فلا يغرنك مـن دنيـاك نومتـها ... فما صناعة عينيها سـوى السـهر
فياليـالي وقـاك الله عثر ـا ... من الليالي وغالتـها يـد الغـير
في كل حين لها في كـل جارحـة ... منا جراح وإن زاغت عن البصـر
نسر بالشيء لكن كـي تغـر بـه ... كالأيم ثار إلى الجاني مـن الزهـر
كم دولة وليت بالنصـر خدمتـها ... لم تبق منها وسل دنياك عـن خـبر

وقال أبو ذؤيب يرثي أولاده

أمـن المنـون وريبـها تتوجـع ... والدهر ليس بمعتـب مـن يجـزع
قالت أمامة ما لجسـمك شـاحبا ... منذ ابتذلت ومثـل مالـك ينفـع
ولقد حرصت بأن أدافـع عنـهم ... وإذا المنيـة أقبلـت لا تـدفع
وإذا المنيـة أنشـبت أظفارهـا ... ألفيـت كـل تميمـة لا تنفـع
فالعين بعـدهم كـأن جفو ـا ... كحلت بشوك فهي عـور تـدمع

وتجلـــدي للشـــامتين أريهـــم … أني لريـــب الـــدهر لا أتضعضـــع
حـــتى كـــأني للحـــوادث مـــروة … بصفا المشرق كـــل يـــوم تقـــرع
لا بد مـــن تلـــف مقـــيم فـــانتظر … أبأرض قومك أم بأخرى المصـــرع
ولقـــد أرى أن البكـــاء ســـفاهةٌ … ولسوف يولع بالبكا مـــن يفجـــع
وليـــأتين عليـــك يومـــًا مـــرة … يبكي عليـــك معنقًـــا لا تســـمع
فلئن ـــم فجـــع الزمـــان وريبـــه … إني بأهـــل مـــودتي لمفجـــع
والـــنفس راغبـــة إذا رغبتـــها … وإذا تـــرد إلى قليـــل تقنـــع

وقال أبو الحسن الأنباري، المتوفى سنة 238هـ يرثي أبا طاهر بن بقية وزير عز الدولة لما قُتل وصلب[1]، وهي من أعظم المراثي ولم يسمع بمثلها في مصلوب حتى أن عضد الدولة الذي صلبه تمنى أن لو كان هو المصلوب، وقيلت فيه:

علـــو في الحيـــاة وفي الممـــات … لحـــق تلـــك إحـــدى المعجـــزات
كأن الناس حولـــك حـــين قـــاموا … وفود نـــداك أيـــام الصـــلات
كأنـــك قـــائم فيهـــم خطيبـــا … وكلهـــم قيـــام للصـــلاة
مددت يـــديك نحـــوهم احتفـــاءً … كمدهمـــا إليهـــم بالهبـــات
ولما ضـــاق بطـــن الأرض عـــن أن … يضم عـــلاك مـــن بعـــد الوفـــاة
أصاروا الجو قـــبرك واستعاضـــوا … عن الأكفـــان ثـــوب الســـافيات
لعظمك في النفوس تبيـــت ترعـــى … بحـــراس وحفّـــاظ ثقـــات
وتوقـــد حولـــك الـــنيرانُ لـــيلا … كـــذلك كنـــت أيـــام الحيـــاة
ركبـــت مطيـــة مـــن قبـــلُ زيـــد … علاهـــا في الســـنين الماضـــيات
وتلـــك فضـــيلةٌ فيهـــا تـــأسٍّ … تباعـــد عنـــك تعـــيير العـــداة

(1) وذلك لما استمرت الحرب بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة ظفر عضد الدولة بوزير عز الدين أبي طاهر محمد بن بقية فطرحه للفيلة فقتلته ثم صلبه عند داره بباب الطارق وعمره نيف وخمسون سنة، ولما صلب رثاه أبو الحسن محمد بن عمران يعقوب الأنباري أحد العدول ببغداد بهذه القصيدة المذكورة.

ولم أر قبل جِذعك قط جِذعا ... تمكّن من عِناق المكرمات
أسأت إلى النوائب فاستثارت ... فأنت قتيل ثأر النائبات
وكنت تجيرنا من صرف دهر ... فعاد مطالبا لك بالترات
وصير دهرك الإحسانَ فيه ... إلينا من عظيم السيئات
وكنت لمعشر سعدا فلما ... مضيت تفرقوا بالمحسنات
عليك بباطن لك في فؤادي ... يخفّف بالدموع الجاريات
ولو أني قدرت على قيام ... بفرضك والحُقوق الواجبات
ملأت الأرض من نظم القوافي ... ونحت ا خِلاف النائحات
ولكني أصبر عنك نفسي ... مخافة أن أعد من الجناة
ومالك تربةٌ فأقول تسقى ... لأنك نصب هطل الهاطلات
عليك تحية الرحمن تترى ... برحماتٍ غوادٍ رائحات

وقال اء الدين زهير المتوفى سنة 656هـ:

أراك هجرتني هجرا طويلا ... وما عودتني من قبلُ ذاكا
عهدتك لا تطيق الصبر عني ... وتعصي في ودادي من اكا
فكيف تغير تلك السجايا ... ومن هذا الذي عني ثناكا
فلا والله ما حاولت غدرا ... فكل الناس يغدر ما خلاكا
فيا من غاب عني وهو روحي ... وكيف أطيق من روحي انفكاكا
وما فارقتني طوعا ولكن ... دهاك من المنية ما دهاكا
يعز علي حين أدير عيني ... أفتش في مكانك لا أراكا
ختمت على ودادك في ضميري ... وليس يزال مختوما هناكا
فوا أسفي لجسمك كيف يبلى ... ويذهب بعد جته سناكا
فيا قبر الحبيب وددت أني ... حملت ولو على عيني ثراكا

ولا زال السـلام عليـك مـني يزف علـى النسـيم إلى ذُراكـا

وقالت السيدة تماضر الخنساء الشاعرة المخضرمة المتوفاة في خلافة معاوية قبل سنة 46هـ راثية أخاها صخرا:

قَذًى بعينيـكِ أم بـالعين عـوار أم أقْفَرت إذ خلت من أهلـها الـدار
كأن عيني لـذكراه إذا خطـرت فيض يسيل على الخـدين مِـدرار
تبكي خناس على صخر وحق لهـا إذ را ا الدهر إن الـدهر ضـرار
لا بد من ميتـةٍ في صـرفها عِـبر والدهر في صرفه حـولٌ وأطـوار
يا صخر وراد مـاء قـد تـوارده أهلُ المـوارد مـا في ورده عـار
وإنّ صـخرا لحامينـا وسـيدنا وإن صـخرا إذا نشـتو لنحـار
وإنّ صـخرا لتـأتم الهُـداةُ بـه كأنـه علـم في رأسـه نـار
لم تلقِـه جـارةٌ يمشـي بطاحتـها لريبة حـين يخلـي بيتـه الجـار
مثـل الـرديني لم تنفـد شـبيبته كأنه تحـت طـي الـبرد أسـوار
طلق اليدين يفعـل الخـير معتمـد ضخم الدسـيعة بـالخيرات أمـار
حمـال ألويـةٍ، هبـاط أوديـةٍ شـهاد أنديـةٍ، للجـيش جـرار

وقالت أعرابية ترثي ابنها:

أيا ولـدي قـد زاد قلـبي تلـهبا وقد حرقت مني الشؤونَ المـدامع
وقد أضرمت نار المصـيبة شـعلةً وقد حميت مني الحشـا والأضـالع
وأسأل عنك الركب هل يخـبرونني بحالك كيمـا تسـتكن المضـاجع
فلا بك فيهم مخبر عنـك صـادق ولا فيهم من قـال إنـك راجـع
فيا ولدي مذغبت كدرت عيشـتي فقلبي مصـدوع وطـرفيَ دامـع
وفكري مسقوم وعقلـي ذاهـب ودمعـي مسـفوح وداري بلاقـع

وقالت ليلى الأخيلية المتوفاه سنة 80هـ:

لَعمرك ما بالموت عار على الفـتى إذا لم تصـبه في الحيـاة المعـاير

وما أحد حـي وإن عـاش سـالما … بأخلـد ممـن غيبتـه المقـابر
ومن كان مما يحدثِ الدهر جازعِـاً … فلا بد يوما أنُ يرى وهـو صـابر
وليس لذي عيش عن الموت مقصـر … وليس على الأيام والـدهر غـابر
ولا الحي مما يحدث الدهر معتـب … ولا الميت إن لم يصبر الحـي ناشـر
وكل شـبابٍ أو جديـد إلى بلـى … وكل امرئ يومـ ـًا إلى الله صـائر

وقالت عائشة هانم التيمورية المتوفاة سنة 1300هـ ترثي ابنتها:

إن سالَ من غرب العيـون بحـور … فالـدهر بـاغ والزمـان غـدور
فلكل عين حـق مـدرار الـدما … والكـل قلـبٍ لوعـةٌ وثبـور
ستر السنا وتحجبت شمس الضـحى … وتغيبت بعـد الشـروق بـدور
ومضى الذي أهوى وجر عني الأسـى … وغـدت بقلـبي جـذوةٌ وسـعير
يا ليته لمـا نـوع عهـد النـوى … وافى العيون مـن الظـلام نـذير
ناهيك ما فعلت بمـاءِ حشاشـتي … نار لهـا بـين الضـلوع زفـير
لو بثّ حزني في الـورى لم يلتفـت … لمصاب قـيس والمصـاب كـبير
طافت بشهر الصوم كاسات الـردى … سحرا وأكواب الـدموع تـدور
فتناولـت منـها ابـنتي فـتغيرت … وجنـات خدٍّ شانهـا التغـيير
فذوت أزاهـير الحيـاة بروضـها … وانقدّ منهـا مـائس ونضـير
لبست ثياب السقم في صغر وقـد … ذاقت شراب الموت وهـو مريـر
جاء الطبيب ضحى وبشر بالشـفا … إن الطبيـب بطبـه مغـرور
وصف التجرع وهـو يـزعم أنـه … بالبرء مـن كـل السـقام بشـير
فتنفست للحـزن قائـلة لـه … عجل ببرئي حيـث أنـت خـبير
وارحم شبابي إن والـدتي غـدت … ثكلى يشير لهـا الجـوى وتشـير
وارأف بعين حرمت طيب الكـرى … تشكو السهاد وفي الجفـون فُتـور

لما رأت يـأس الطبيـب وعجـزه قالـت ودمـع المقلـتين غزيـر
أماه قـد كـل الطبيـب وفـاتني مما أؤمـلُ في الحيـاة نصـير
أماه قـد عـز اللقـاءُ وفي غـدٍ سترين نعشـي كـالعروس يسـير
وسينتهي المسعى إلى اللحد الـذي هو منـزلي وله الجمـوع تصـير
قولي لـرب اللحـد رفقـًا بـابنتي جاءت عروسـا سـاقها التقـدير
وتجلـدي بـإزاء لحـدي برهـةً فتـراك روح راعهـا المقـدور
أمـاه قـد سـلفت لنـا أمنيـة يـا حسنها لـو سـاقها التيسـير
كانت كأحلام مضـت وتخلفـت مذ بان يوم الـبين وهـو عسـير
عـودي إلى ربـع خـلا ومـآثر قـد خلفـت عـني لهـا تـأثير
صوني جهاز العرس تـذكارا فلـي قد كان منه إلى الزفـاف سـرور
جرت مصائب فرقتي لـك بعـدذا لُـبس السـواد ونفـذ المسـطور
والقبر صار لغصن قـدي روضـة ريحا نهـا عنـد المـزار زهـور
أمـاه لا تنسـي بحـق بنـوتي قـبري لـئلا يحـزنَ المقبـور
فأجبتها والـدمع يحـبس منطقـي والدهر من بعـد الجـوار يجـور
بنتاه يا كبـدي ولوعـة مهجـتي قـد زال صـفو شـانه التكـدير
لا توص ثكلى قـد أذاب فؤادهـا حـزنٌ عليـك وحسـرةٌ وزفـير
أبكيـك حـتى نلتقـي في جنـة بريـاض خلـد زينتـها الحـور
إن قيل "عائشة" أقول لقـد فـنى عيشي وصبري - والإله خبـير
ولهي على "توحيدة" الحسن الـتي قد غـاب بـدر جمالهـا المسـتور
قلبي وجفـني واللسـان وخـالقي راض وبـاكٍ شـاكر وغفـور
متعتِ بالرضوان في خلـد الرضـا ما ازينت لـك غرفـة وقصـور

وقالت المرحومة ملك حفني ناصف ترثي المرحومة عائشة هانم تيمور:

ألا يـا مـوت ويحـك لم تـراع ... حقوقـا للطـروس ولا الـيراع

تركـت الكتـب باكيـة بكـاءً ... يشيب الطفل في عهـد الرضـاع

ولم تَـرعَ الفضـائلَ والمعـالي ... وطولَ السعي في خـير المسـاعي

ولم يمنعـك مـا رمـت نثـر ... ولا شعـر ولا حسـن ابتـداع

نـراك تجـود بـالأرزاء حـتى ... عددنا البخل مـن كـرم الطبـاع

فذُب يا قلب لا تـك في جمـود ... وزد يا دمـع لا تـك في امتنـاع

ولا تبخـل علـي وكـن جموحـا ... فكنـز العلم أمسـى في ضـياع

سنبقى بعـد (عائشـةٍ) حيـارى ... كسـربٍ في الفـلاة بغـير راع

لقـد فُقِـدت ولم تفقـد علاهـا ... وهل شمـس تغيـب بـلا شـعاع

هي الـدر المصـون بـبطن أرض ... وقـد كانـت كـذلك في قنـاع

هي البحـر الخضـم ومـا سمعنـا ... بـأن البحـر يـدفن في التـلاع

وكانـت للمكـارم خـير عـون ... وللخـيرات كانـت خـير داع

لهـا القـدح المعلـى في العـوالي ... وفي نشـر المعـارف طـول بـاع

فيا شمـس المحامـد غِبـتِ عنـا ... وخلفـتِ البكـاءَ لكـل نـاع

ويا خير النسـاء بـلا خـلاف ... وفدوتنــا بـلا أدنى نــزاع

لقد أحييتِ ذكـر نسـاء مصـر ... وجـددتِ العـلا بعـد انقطـاع

وشِدتِ صروح طُهـر باذخـاتٍ ... محصنةً كتحصـين القِـلاع

وقال المرحوم حفني بك راثياً المرحوم عبد الله باشا فكري:

ليدع المدعون العـلم والأدبـا ... فقد تغيـب (عبـد الله) واحتجبـا

ولينتسب أدعياء الفضل كيف قضـت ... آراءهم إذ قضى من يحفظ النسـبا

وليفخر اليوم قـوم بـاليراع، ولا ... خوف عليهم فمن يخشـونه ذهبـا

وليرق من شاء أعـواد المنـابر إذ ... مات الذي يتقيه كل مـن خطبـا

لو عاش لم يطرق الأسماع ذِكـرهم	**في طلعة الشمس من ذا يصرع الشهبا**
فليسم من شاء بالإنشاء لا عجـب	**مضى الذي كان من آياته عجبـا**
طود من الفضل من بعد الرسوخ هوى	**وكوكب بعد أن أبدى الهوى غربـا**
أجلْ فقد مات (عبد الله) واأسـفًا	**وأوحِشت مصر من (فكري) فواحربا**
فكل نفس لعلياه شـكت وبكـت	**وكل فكرا (بفكري) ماج واضـطربا**
قضى الحياة ونصر الحـق ديدنـه	**لا ينثني رهبـًا عنـه ولا رغبـا**
سارت جنازته والعلـم في جـزع	**والفضل يندبه في ضمن مـن نـدبا**

وقال أحمد بك شوقي يرثي المرحوم مصطفى باشا كامل المتوفى سنة 1336هـ:

المشـرقان عليـك ينتحـبان	**قاصـيهما في مـأتمٍ والـداني**
يا خادم الإسـلام أجـر مجاهـدٍ	**في الله، من خلـد ومـن رضـوان**
الله يشـهد أن موتـك بالحجـا	**والجـد، والإقـدام، والعِرفـان**
إن كان للأخـلاق ركـن قـائم	**في هـذه الـدنيا، فأنـت البـاني**
بالله فتش عن فـؤادك في الثـرى	**هـل فيـه آمـال وفيـه أمـاني؟**
وجدانك الحي المقيم علـى المـدى	**ولـرب حـي ميـت الوجـدان**
النـاس: جـارٍ في الحيـاة لغايـة	**ومضـللٌ يجـري بغـير عِنـان**
والخلـد في الـدنيا ولـيس بـين	**عليـا المراتـب لم تـتح لجبـان**
فلوان رسلَ الله قـد جبنـوا لمـا	**مـاتوا علـى ديـن ولا إيمـان**
المجد والشـرف الرفيـع صـحيفة	**جعلت لهـا الأخـلاق كـالعنوان**
وأحب من طـول الحيـاة بذلـةٍ	**قصـر يريـك تقاصـر الأقـران**
دقات قلب المـرء قائلـةٌ لـه:	**إن الحيـاةَ دقـائق وثـواني**
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرهـا	**فالـذكْر للإنسـان عمـر ثـاني**
للمرء في الـدنيا وجـم شـؤونها	**ما شاء من ربـح ومـن خسـران**

فهـي القضـاء لراغـبٍ متطلـع وهـي المضـيق لمـؤثر السـلوان
الناس غـادٍ في الشـقاء ورائـح يشقى لـه الرحماء، وهـو الهـاني
ومـنعم لم يلـق إلا لـذّةً في طيها شـجن مـن الأشـجان
فاصبر على نعم الحيـاة وبؤسـها نعـم الحيـاة وبؤسـها سـيان
يا طـاهر الغـدوات والروحـات والخطرات، والإسـرار والإعـلان
هل قام قبلـك في المـدائن فاتحًـا غـازٍ بغـير مهنـدٍ وسِـنان
يدعو إلى العلم الشـريف وعنـده أن العلـوم دعـائم العمـران
لفـوك في علـم الـبلاد منكسـا جزع الهلالُ علـى فـتى الفتيـان
ما احمر من خجل ولا مـن ريبـة لكنمـا يبكـي بـدمع قـاني
يزجونَ نعشك في السناء وفي السـنا فكأنمـا في نعشـك القمـران
وكأنه نعـش (الحسـين) بكـربلا يختالُ بين بكـى وبـين حنـان
في ذمـة اللهِ الكـريم وبـره ما ضم من عرف ومـن إحسـان
ومشى جلالُ الموتِ وهـو حقيقـة وجلالـك المصـدوق يلتقيـان
شقت لمنظـرك الجيـوب عقائـلٌ وبكتك بالـدمع الهتـون غـواني
والخلق حولك خاشعون كعهـدهم إذ ينصتـون لخطبـة وبيـان
يتسـاءلون: بـأي قلـب ترتقـى بعـد المنـابر، أم بـأي لسـان
فلـو أن أوطانـا تصـور هـيكلا دفنـوك بـين جـوانح الأوطـان
أو كانُ يحمل في الجـوارح ميـت حملـوك في الأسمـاع والأجفـان
أو صيغَ من غُر الفضائل والعلـى كفَن لَبسـت أحاسـن الأكفـان
أو كـان للـذكر الحكـيم بقيـة لم تأتِ بعـد رثيـت في القـرآن
يا صب مصر ويا شـهيد غرامهـا هذا ثـرى مصـر، فـنم بأمـان
اخلع على مصـر شـبابك عاليـاً والبس شـباب الحـور والولـدان

فلعلّ مصرا من شبابك ترتدي مجدا تتيه به على البلدان
فلو أن بالهرمين من عزماته بعض المضاء تحرك الهرمان
علّمت شبان المدائن والقُرى كيف الحياة تكون في الشبان
مصر الأسيفة ريفها وصعيدها قبر أبر على عظامك حاني
أقسمت أنك في التراب طهارة ملك يهاب سؤاله الملكان

وقال ابن هانئ الأندلسي يرثي إبراهيم بن جعفر بن علي:

وهب الدهر نفسيا فاسترد ربما جاد بخيلٌ فحسد
خاب من يرجو زمانا دائما تعرف البأساء منه والنكد
فلقد أذكر من كان سها ولقد نبه من كان رقد
قل لمن شاء يقل ما شاءه إن خصمي في حياتي لألد
منتض نصلا إذا شاء مضى رائش سهما إذا شاء قصد
مات من لو عاش في سرباله غلب النور عليه فاتقد
إنما كان شهابا ثاقبا صعق الليل له ثم خمد
لا رجاء في خلود كلنا وارد الماء الذي كان ورد

* * *

وقال أحمد بك شوقي راثيا:

ومن هذين كلّ الحادثاتِ خلقنا للحياة وللمماتِ
يمر خياله بالكائناتِ ومن يولد يعش ويمت كأن لم
كنعش المرء بين النائحاتِ ومهد المرء في أيدي الروافي
فهل يخلو المُعمر من أذاةٍ وما سلم الوليد من اشتكاء
مقاصد للحمام وللقناةِ هي الدنيا قتالٌ نحن فيه
كما دفع الجبان إلى الثبات وكل الناس مدفوع إليه

بسهم مـن يـــد المقـدور آت ... نروع ما نـروع ثـم نرمـى

وقال المرحوم محمد بك حافظ إبراهيم راثيا الإمام الحكيم الشيخ محمد عبده:

سلام على الإسـلام بعـد محمـد ... سلام علـى أيامـه النضـرات
على الدين والدنيا على العلم والحجـى ... على البر والتقوى على الحسـنات
لقد كنت أخشى عادي الموت قبله ... فأصبحت أخشى أن تطول حيـاتي
فـوالهفي والقـبر بـيني وبينـه ... على نظرةٍ من تلكـم النظـراتِ
وقفت عليه حاسِر الرأس خاشـعا ... كأني حيـال القـبر في عرفـاتِ
أبنت لنا التنزيل حكمـا وحِكمـةً ... وفرقت بـين النـور والظلمـاتِ
ووفقت (لها نوتو، ورينـان) وقفـة ... أمدك فيهـا الـروح بالنفحـات
وخفت مقام الله في كـل موقـف ... فخافك أهل الشك والنـزعات
وأرصدت للباغي على دين أحمـد ... شبـاة يـراع سـاحر النفثـات
مشى نعشه يختال عجبـا بربـه ... ويخطر بين اللمـس والقبـلات
بكى الشرق فارتجت له الأرض رجة ... وضاقت عيونُ الكـون بـالعبرات
بكى عالم الإسلام عـالم عصـره ... سِراج الدياجي هـادم الشـبهاتِ
فياويح (للشورى إذا جـد جِـدها ... وطاشت بها الآراء مشـتجراتِ
وياويح (للفُتيا) إذا قيل مـن لهـا ... ويا ويح للخـيرات والصـدقات
بكينا على فـرد، وإن بكاءنـا ... علـى أنفـسٍ لله منقطعـاتِ
تعهدها فضـل الإمـام وحاطهـا ... بإحسـانه والـدهر غـير مـؤاتي

وقال جمال الدين بن نباتة، المتوفى سنة 768هـ، معزيا عن ملك، ومهنئًا بملك:

هنـاءٌ محـا ذاك العـزاءَ المقـدما ... فما عبس المحـزون حـتى تبسـما
ثُغـور ابتسـامٍ في ثغـور مـدامع ... شبيهان لا يمتاز ذو السبق منـهما
تدِر مجاري الدمع والبشر واضـح ... كوابل غيث في ضحى الشمس قد همى

سقى الغيث عنا تربة الملك الـذي عهدنا سـجاياه أعـز وأكرمـا
ودامت يد النعمى على الملك الذي تدانت به الدنيا وعز بـه الحمـى
مليكان: هذا قد هـوى لضـريحه برغمي، وهذا للأسرة قـد سـما
ودوحةُ فضل شـاذَوي تكافـأت فغصن ذَوى منها وآخر قـد نمـا
كأنّ ديار الملك غاب إذا انقضـى به ضيغم أنشـأ الـدهر ضـيغما
فإنْ تك أوقات المؤيد قـد خلـت فقد جددت علياك وقْتـا وموسمـا
هو الغيث ولّـى بالثنـاءِ مشـيعا وأبقاك بحـرا بالمواهـبِ مفْعمـا
إذا الغيث صلى خلف جدواك راكعـا ثنت عزمـه للاعتـراف فسـلما
يراعك يوم السـلم ينـهل ديمـةً وسيفك يوم الحرب ينهلُ في الـدما
فعش للورى واسلم سـعيدا مهنـأ فحظ الورى في أن تعيش وتسـلما
أعدت زمان البشر والجود والثنـا إلى أن ملأت العين والكف والفمـا

* * *

وقال المرحوم حافظ بك إبراهيم يرثي الدكتور يعقوب صروف صاحب مجلة المقتطف المتوفى سنة 1927م[1]:

أبكي وعين الشرق تبكـي معـي على الأريـب الكاتـب الألمعـي
جرى عصي الـدمع مـن أجلـهِ فزاد في الجـود علـى الطيـع
نقص من الشـرق ومـن زهـوه فقْـد اليـراع المعجـز المبـدع
لـيس لمصـر في رجالا ـا حـظٌ، ولا للشـام في أروع
مصاب (صروف مصـاب النـهى فليبكـه كـل فـؤاد يعـي

---

(1) هو الدكتور يعقوب صروف بن نقولا. ولد في بلدة الحدث بقرب بيروت وتعلم ا ونبغ في العلوم والمعارف فنال الإجازات العالية سنة 1870م. ثم نزح إلى القاهرة وأسس مع زميله الدكتور فارس نمر باشا مجلة المقتطف وجريدة المقطم ومات سنة 1927م.

(صروف) لا تبعد فلسـت الـذي — **يطويـه طـاوي ذاك المضـجع**
أسـكنك المـوت ولكـنه — **لم يسـكت الآثـار في المـجمع**
ذِكْراك لا تنفـك موصولـة — **في معهـد العلـم وفي المصـنع**

* * *

الباب الثامن: في الحكم والنصائح

قال عبيد بن الأبرص الأسدي أحد فحول شعراء الجاهلية:

كفى زاجرا للمـرء أيـام دهـره — **تروح لـه بالواعظـات وتغتـدي**
إذا أنت طالبت الرجـال نـوالهم — **فعِف ولا تطلـب بجهـد فتنكـد**
عسى سائل ذو حاجـة إن منعتـه — **من اليوم سؤلا أن يسـرك في غـد**
ولا تقعدن عن سعي ما قد ورثتـه — **وما سطعت مِن خير لنفسـك فـازدد**
إذا ما رأيت الشـر يبعـث أهلـه — **وقام جناة الشـر بالشـر فاقعـد**
وبالعدل فانطق إن نطقت ولا تجـر — **وذا الذم فاذممه وذا الحمد فاحمـد**
عن المَرءِ لا تسأل وسل عن قرينـه — **فكل قـرين بالمُقـارن يقتـدي**
ولا تأملن ود امـرئ قـل خـيره — **ولا تك عن وصل الصديق بأحيـد**
إذا أنت حملت الخـؤون أمانـة — **فإنك قـد أسـندها شـر مسـند**
ولا تظهرنْ ود امرئ قبـل خـبره — **وبعد بلاء المـرء فـاذمم أو احمـد**

وقال أبو بكر محمد بن الحُسين بن دريد الأزدي المتوفى سنة 321هـ:

يا ظبيـةً أشـبه شـيءٍ بالمهـا — **ترعى الخُزامى بين أشجارِ النقـا**[(1)]

---

(1) الظبية: الأنثى من الغزلان، والمها: جمع مهاة، وهي الأنثى من البقر الوحشي. الخزامى: نبت معروف طيب الرائحة، النقا: اسم موضع.

إما تـري رأسـي حـاكى لونـه ... طرة صبح تحت أذيـال الـدجى(1)

واشـتعل المبـيض في مسـوده ... مثل اشتعال النار في جزل الغضـى(2)

فكـان كالليـل البـهيم حـل في ... أرجائه ضوءُ صـباح فانجـلى(3)

وغاض مـاء شِـرتي دهـر رمـى ... خواطر القلب بتـبريح الجَـوى(4)

وآض روض اللـهو يبسـا ذاويـا ... من بعد ما قد كان مجاج الثـرى(5)

وضـرم النـأي المشِـت جـذوةً ... ما تأتلي تسـفَع أثنـاء الحشـى(6)

واتخذَ التسـهيد عـيني مألفـًا ... لما جفا أجفا ا طيـف الكـرى(7)

فكـل مـا لاقيتـه مغتفـر ... في جنب ما أسأره شحط النـوى(8)

---

(1) إما: أصلها إن ما فإن شرطية وما زائدة، وتري أصلها ترين وتري فعل الشرط وجوابه فيما بعد، فكل إلخ حاكى أشبه طرة صبح: يعني وجه صبح، وطرة كل شيء: حافته وجانبه.

(2) اشتعل: فشا وانتشر، جزل ما غلظ من الحطب، الغضى: جمع غضاة وهي نوع من الشجر يبقى جمره طويلاً.

(3) فكان كالليل البهيم: كناية عن المظلم جدا، والبهيم هو الأسود الذي لا ضوء فيه، حل: نزل، أرجائه: جمع رجا بالقصر: الطرف، فانجلى: فانكشف وظهر.

(4) غاض: نقص أو ذهب، الشرة: الحدة والنشاط استعيرت هنا للشباب. والتبريح: البلوغ في المشقة إلى غايتها.

(5) آض: رجع، يبسا: يابسا، ذاويا: ذابلاً، مجاج: من قولهم مج الغصن الماء إذا ألقاه، الثرى، بالقصر: التراب الندي.

(6) ضرم: أشعل وأوقد، النأي: البعد. المشت: المفرق، جذوة: هي الجمرة العظيمة، ما تأتلي: ما تقصر، تسفع: تحرك و لمك، أثناء الحشى: يعني ما رق من البطن وأراد به القلب والجوف.

(7) التسهيد والسهاد: السهر وهو عدم النوم، مألفًا: صاحبا، والمألوف هو الموضع الذي تقع فيه الألفة أي الاجتماع والصحبة. جفا: هجر، والأجفان: أغطية العيون واحدها جفن، الطيف: ما يراه الإنسان من خيال المحبوب، الكرى: النوم.

(8) مغتفر: متجاوز عنه، أسأره: أبقاه. شحط: بعد، النوى: البعاد.

لو لابس الصخر الأصم بعض ما يلقاه قلبي فَض أصلاد الصفا[1]
إذا ذَوى الغصن الرطيب فاعلمن أن قصاراه نفاد وتوى[2]
شجيت لا بل أجرضتني غصةٌ عنودها أقتلُ لي من الشجى[3]
إن يحم عن عيني البكا تجلدي فالقلب موقوف على سبل البكا[4]
لو كانت الأحلام ناجتني بما ألقاه يقظانَ لأصماني الردى[5]
منزلةٌ ما خِلتها يرضى بها لنفسه ذو أدب ولا حِجا[6]
ما خِلت أن الدهر يثنيني على ضراء لا يرضى بها ضب الكدى[7]
شيم سحابٍ خالب بارقه وموقف بين ارتجاء ومنى
أرمق العيش على برص فإن رمت ارتشافًا رمت صعب المنتهى[8]
أراجع لي الدهر حولاً كاملا إلى الذي عود أن لا يرتجى
يا دهر إن لم تك عتبى فاتئد فإن إروادك والعتبى سوى[9]

11) لابس: خالط، الأصم: الصلب. فض: كسر، وأصل الانفضاض التفرق. وأصلاد: جمع صلد وهي الحجارة الصلبة الشديدة.
(2) ذوى: جف وذبل، الرطيب: الناعم الرطب. قصاراه: آخر أمره وغايته، نفاد: فناء وذهاب، وتوى بالتاء: الهلاك.
(3) شجيت: حزنت أو غصصت، والغص الاختناق باللقمة يقال شجيت بالعظم أي اختنقت به. وأجرضتني: خنقتني، وغصة الموت والجرض: هو الاختناق بالريق، وعنودها: معارضها.
(4) إن: حرف شرط، يحم: فعل الشرط بمعنى يمنع. وتجلدي: تصبري. فالقلب: الشرط وسبل: الطرق واحدها سبيل.
(5) الأحلام: جمع حلم وهو ما يراه الإنسان في منامه. وناجتني: أخبرتني، لأصماني: لقتلني مكاني بلا تأخير، الردى: الهلاك.
(6) المنزلة: الدرجة، ما خلتها: ما حسبتها، الحجا: العقل.
(7) يثنيني: يعطفني. ضراء: الصخرة الصماء، الكدى بالضم، جمع كدية وهو: ما ارتفع من الصخور.
(8) أرمق العيش: أعطاني منه بقدر ما يسد رمقي، برص العطاء: القليل.
(9) العتبى: الرضى، فاتئد: ارفق، والإرواد: الرفق.

رفـــه علـي طالمـا أنصبتني | واستبق بعض ماء غصـن ملتحـى[1]
لا تحسبن يـا دهـر أني ضـارع | لنكبـة تعـرقني عـرق المـدى[2]
مارست من لو هوت الأفلاك مـن | جوانب الجـو عليه مـا شـكا[3]
وعد لو كانـت لـه الدنيا بمـا | فيها قرارات عنـه دنيـاه سـوا
لكنـها نفثـة مصـدور إذا | جاش لغام مـن نواحيهـا غمـا[4]
رضيت قسرا وعلى القسر رضـى | من كان ذا سخط على صرف القضا[5]
إن الجديـدين إذا مـا استوليا | على جديـد أدنيـاه البلـى[6]
ما كنـت أدري والزمـان مولـع | بشت ملموم وتنكيـث قـوى[7]
إن القضـاء قاذفـي في هـوة | لا تستبل نفس من فيهـا هـوى[8]
فـإن عثـرت بعـدها إن وألـت | نفسي من هاتـا فقـولا لا لعـا[9]
وإن تكـن مدتـها موصـولةً | بالحتف سلطت الأسى على الأسا[10]

(1) رفه: وسع. أنصبتني: أتعبتني، استبق: ابق، ملتحى: الذاهب لحاه أي القشر الظاهر.
(2) ضارع: ذليل خاشع، لنكبة: المصيبة والشدة، تعرقني: تزيل لحمي عن عظمي. المدى، بالضم جمع مدية، وهي: السكين.
(3) مارست بتاء الخطاب: عالجت، هوت: سقطت، الأفلاك جمع فلك وهي: التي تجري فيها الشمس والقمر والنجوم، جوانب: الأطراف، والجو: الفضاء الذي بين السماء والأرض.
(4) لكنها: الضمير فيها كناية عن هذه القصيدة التي قالها، النفثة: ما يلقيه الرجل من فيه إذا بصق، المصدور: الذي يشتكي صدره، جاش: علا وارتفع. اللغام: الزبد.
(5) القسر: القهر، السخط: الغضب.
(6) الجديدين: الليل والنهار، استوليا: غلبا وملكا. وأدنياه: قرباه، للبلى: للإخلاق.
(7)ما كنت أري: ما كنت أعلم وجاء بالمعمول في البيت الذي بعده.
(8) قاذفي: رام بي. والهوة: الحفرة التي يتسع أسفلها ويضيق أعلاها، لا تستبل: أي لا تبرأ ولا تفيق، هوى: سقط.
(9) عثرت: زالت، وقوله لا لعا: أي نجا وهو دعاء للعاثر بعدم السلامة.
(10) ضمير مدتها عائد على النكبة، الحتف: الموت، الأسى، بضم الهمزة جمع أسوة وهي: التعزية.

إن امرأ القيس جـرى إلى مـدى ... فاعتاقـه حِمامـه دون المَـدى[1]
وخامرت نفس أبي الجـبر الجَـوى ... حتى حواه الحتف فيمن قد حوى[2]
وابن الأشج القيل ساقتـه نفسـه ... إلى الردى حذار إشماتِ العِـدى[3]
واخترم الوضاح مـن دون الـتي ... أملهـا سيف الحمـامِ المنتضـى[4]
فقد سمـا قبلـي يزيـد طالبـًا ... شأو العلا فمـا وهـى ولاونى[5]
فاعترضت دون الذي رام وقـد ... جـد به الجِـد اللـهيم الأربى[6]
هل أنا بدع مـن عـرانين عـلاً ... جار عليهم صرف دهر واعتدى[7]

---

(1) امرؤ القيس معلوم أنه كان هو طريد أبيه لقوله الشعر وخلاصة قصته: أن بني أسد قتلت أباه وكان ملكًا عليهم فبعد عناء توجه إلى قيصر ملك الروم واستنجده على قتلة أبيه فوعده وكان قد تعشق ابنة قيصر فحضر أحد أعدائه من بني أسد وأخبر قيصر بعشقه لها فكره ذلك وكره أن يقتله أو يخذله بعدما وعده فأرسل معه عسكرا أردفه بحلة ملوكية مسمومة فلبسها فمات. المَدى: الغاية، فاعتاقه وعاقه: عوقه، وحمامه بكسر الحاء: موته.

(2) خامرت: خالجت، أبو الجبر: من ملوك كندة، وخلاصة قصته: أنه تألب قومه عليه فاستعان بكسرى فأعطاه جيشا من أساورته فرأوا بلاد العرب فاستوحشوها فسموه فمرض وعندها طلبوا الإذن بالرجوع فأذن لهم ثم بعد مدة مات على طريق اليمن بالمرض الذي نشأ من السم.

(3) ابن الأشج: هو عبد الرحمن بن الأشعث، وخلاصة قصته: أن الحجاج ولاه سجستان فخرج ثم هرب إلى "ريتقل" ملك الترك فبذل الحجاج إلى "ريتقل مالاً فسلمه إلى أعوان الحجاج وكان في الطريق مقيدا معه رجل من بني تميم على سطح برج فرمى بنفسه من أعلى البرج فمات هو والتميمي وحمل رأسه إلى الحجاج.

(4) اخترم: أهلك واقتطع.

(5) سما: علا. ويزيد: هو ابن المهلب وخلاصة قصته: أنه خرج على بني أمية وخطب لـه بالبصرة وسلم عليه بالخلافة، فدست بنو أمية رجلاً من بني كلب فقتله واستتب الأمر لهم. الشأو: الغاية، العلا: الشرف، فما وهى: ضعف. ولا ونى: ولا فتر.

(6) فاعترضت: عارضت، رام: طلب، جد بالفتح: أسرع الجد بالكسر العزم. الليهم بالتصغير والأربى: اسمان من أسماء الداهية وهما فاعل اعترضت.

(7) بدع: الذي يكون أول مخترع من كل أمر؛ عرانين: الأشراف واحدها عرنين وهو الأنف.

فـإن أنـالتني المقـادير الـذي | أكيـده لم آلُ في رأب الثـأى[1]
وقـد سمـا عمـرو إلى أوتـاره | فاحتطّ منها كلّ عالي المستمى[2]
فاستنزل الزبـاء قسرا وهي مـن | عقاب لوح الجو أعلـى منتمـى[3]
وسيف استعلت بـه همتـه | حتى رمى أبعـد شـأو المرتمـى[4]
فجرع الأحبوش سمـا ناقعـًا | واحتل من غمدان محراب الـدمى
ثم ابـن هنـدٍ باشـرت نيرانـه | يوم أوراتٍ تميمـًا بالصـلا[5]
ما اعتن لي يـأس ينـاجي همـتي | إلا تحـداه رجـاء فـاكتمى[6]

---

(1) أنالتني: أعطتني، والمقادير، جمع مقدار وهو: القدر. أكيده: أطلبه وأحتال عليه، لم آل: لم أقصر، رأب: أصلح، الثأى: الفاسد.

(2) سما:علا. وأوتار، جمع وتر وهو: طلب الدم. فاحتط: فأنزل، والمستمى: المكان العالي المرتفع.

(3) الزباء: اسم امرأة، عقاب: طائر معلوم وهو من سباع الطير وجمعه عقبان. ولوح الهواء: الذي بين السماء والأرض. منتمى: موضع مرتفع إليه. وخلاصة قصة الزباء وعمرو: أن الزباء لما قتلت جذيمة الأبرش قعد عمرو ابن أخته مكانه وكان قصير وزيره كما كان لخاله، وكان وقت قتل خاله نجا على فرس تسمى العصى فطلب قصير أن يجدع لـه عمرو أنفه وأذنيه دهاء منه لأخذ ثأر خاله فرحل قصير إلى الزباء على هذه الحالة فاستأمنت لـه ثم بعد مدة وعناء أتى بالرجال مدججة بالسلاح في جوالق على ظهور الجمال، فهربت الزباء إلى نفق لها لتهرب منه فرأت عمرا على باب النفق فمصت خاتمًا مسموما كان بيدها وقالت: "بيدي لا بيد عمرو" وماتت مكا ا فاستولى على ملكها.

(4) سيف: يعني به سيف بن ذي ملك اليمن، استعلت: علت. والشأو: الغلبة. المرتمى: وهو الذي يقال لـه الغرض والهدف والقرطاس، فجرع: فسقى، الجرع: القليل من الماء، والأحبوش: ملك الحبش، ونافعا: بالغا، واحتل: نزل بالمكان، غمدان: موضع بصنعاء اليمن، ومحراب: ههنا بصنعاء.

(5) ابن هند: هو عمرو عم النعمان بن المنذر وكان لـه أخ مسترضع من بني تميم فقتل لهم ناقة فقتله صاحبها فنذر عمرو المذكور أن يقتل من بني تميم مائة فأجج نارا وألقى فيها واحدا منهم إلى تسعة وتسعين فبينما هم كذلك يرجون تمام المائة إذ جاء رجل من البراجم يظن هناك وليمة لقتار اللحم فألقي في النار تماما للمائة، وبشرت: خالطت. يوم أورات: يوم معروف من أيام العرب. أورات: اسم موضع، تميما: قبيلة، الصلا بالفتح: وهج النار.

(6) ما أعتن: ما اعترض. تحداه: اعتمده وقصده. فاكتمى: استتر وتغطى.

أليــــه باليعمــــلات يــرتمـــــي	ا النجــاء بين أجــواز الفَــلا[1]
خــوص كأشباح الحنــايا ضــمرٍ	يرعفن بالأمشاج من جذب البرى[2]
يرسبن في بحر الــدجى وبالضــحى	يطفــون في الآل إذا الآل طفــا[3]
أخفافهن من حفًــا ومــن وجــى	مرثومةٌ تخضب مبــيض الحصــا[4]
يحلــن كــل شــاحب محقوقــفٍ	من طول تدآب الغدو والسرى[5]
بار برى طــولُ الطــوى جثمانــه	فهو كقِــدح النبــع محني القــرا[6]
ينوي التي فضــلها رب العــــلى	لمــا دحــا تربتها على البنــــى[7]
حــتى إذ قابلهــــا استعــــبر لا	يملك دمع العين من حيثُ جرى[8]
ثمــت طــاف وانــثنى مســتلما	ثُمّت جــاء المــروتين فسـعى[9]

(1) ألية: قسما. باليعملات، جمع يعملة هي: الناقة الصلبة الشديدة، النجاء: السرعة، أجواز: جمع جوز وجوز كل شيء وسطه. والفلا، جمع فلاة وهي: الصحراء.

(2) خوص: الإبل الغائرة العيون من الهزال. والأشباح: الأشخاص جمع شبح، والحنايا، جمع حنية والحنية: القوس. وضمر: جمع ضامر وهو المهزول، ويرعفن: يسلن مأخوذ من الرعاف وهو سيلان الدم من الأنف. والأمشاج: الأخلاط جمع مشج وهو ما يسيل من الأنوف، ومن جذب: من سوق. والبرى: جمع برة وهي الحلقة التي تكون في أنف البعير.

(3) يرسبن: يغبن والرسوب الخوض في الماء والمغيب فيه، والدجى: جمع دجية وهي الظلمة. ويطفون: يعلون، والآل: سحاب كالماء يرى عندما ترتفع الشمس.

(4) أخفافهن: جمع خف للإبل بمنــزلة الحوافر للخيل. وحفا مقصور: وهو رقة أخفاف الإبل من كثرة المشي؛ ووجى في الرجل يصيبها من الحفا. ومرثومة: مشقوقة من الحجارة؛ وتخضب: تصبغ.

(5) شاحب: متغير اللون من السفر وغيره، ومحقوقف: معوج. وتدآب: مداومة. والسرى: سير الليل.

(6) بار: مطيع والجمع أبرار تعبير للشاحب. وبري: من برى القلم وهو إضعافه وترقيقه. والطوى: الجوع. وجثمانه: جسمه. وقدح: عود صلب تعمل منه السهام. والنبع: شجر يعمل منه القسي واحدها نبعة. ومحني: معوج، والقرا: الظهر.

(7) ينوي: يقصد. والتي فضلها رب العلى: يعني مكة، ودحا: بسط والبنى: جمع بنية وهو الشيء المبني.

(8) استعبر: بكى وهو مأخوذ من العبرة وهي الدمعة.

(9) ثمت: هي "ثم" زيدت عليها تاء التأنيث. وانثنى: انعطف، ومستلما: لمس الحجر الأسود بيده أو بفمه.

=

وأوجب الحـج وثنـى عمـرةً من بعد مـا عج ولبـى ودعـا[1]

ثمت راح فـي الملبـين إلـى حيث تحجـى المأزمان ومنـى[2]

ثم أتى التعريـف يقـرو مخبتـًا موافقـًا بـين ألال فالنقـا[3]

واستأنف السـبع وسـبعا بعـدها والسعي ما بين العقاب والصوى[4]

وراح للتوديع فـيمن راح قـد أحرز أجرا وقـلى هجر اللغـا[5]

بذاك أم بالخيـل تعـدو المرطـى ناشزة أكتادهـا قـب الكلـى[6]

شعثًا تعادى كسـراحين الغضـا ميلَ الحماليـق يبـارين الشـبا[7]

يحملن كـل شمّـري باسـل شهم الجنان خائض غمر الـوغى[8]

=

والمروتين: المراد بهما الصفا والمروة. فسعى: فمشى.

(1) أوجب الحج: ألزمه نفسه. وثنى عمرة: ألزم نفسه مع الحج عمرة، عج: رفع صوته بالدعاء والتلبية.

(2) راح: خرج بالرواح وهو الخروج بالعشي، والملبين: جمع ملب وهو المجيب بالتلبية. تحجى: أقام.

(3) التعريف وعرفات: واحد وهو اسم موضع من مناسك الحج. ويقرو: يتبع المواضع مخبتا متواضعا لله تعالى، ألال: موضع بعرفات، النقا: الرمل.

(4) استأنف: ابتدأ. السبع: رمي الجمار السبع. وسبعا: أراد الثانية التي تلي الأولى، والسعي: المشي. والعقاب: جمع عقبة.

(5) وراح للتوديع: لتوديع البيت الحرام كما يفعل الحاج بأن يطوف به سبعا ويسعى بين الصفا والمروة، أحرز أجرا: ملكه وأصابه، وقلى: أبغض، وهجر بضم الهاء: القبيح من الكلام، واللغا: الباطل من الكلام.

(6) أقسم بذاك أم بالخيل، تعدو: تجري. المرطى: ضرب من العدو وهو السهل منه، وناشزة: مرتفعة ومنه قولهم قعدت على نشز من الأرض أي مرتفع، وأكتادها: جمع كتد وهو العظم الذي يكون في رأس الكتف. وقب: ضامرة.

(7) شعثا: مغبرين، يعني مقربين من الله تعالى. تعادى: أصله تتعادى تسابق، سراحين: ذئاب الواحد سرحان. الغضا: شجر غليظ يدوم جمره، ميل الحماليق: مائلة العيون. يبارين: يعارضن، الشبا: جمع شباة وشباة كل شيء حده.

(8) يحملن: أي الخيل. شمري: مأخوذ من التشمير، باسل: شجاع، شهم الجنان: حديد القلب، خائض: داخل غمر الماء الكثير، الوغى: الحرب.

يغشى صلا الحـرب بحـــديه إذا كان لظى الحرب كريه المصطلى[1]
لو مثـلَ الحتف لـــه قرنـا لمـا صدته عنـــه هيبـةٌ ولا انـثنى[2]
ولو حمى المقـدار عنـــه مهجـة لرامها أو يستبيح مــا حمـى[3]
تغدو المنايـا طائعـــات أمـــره ترضى الذي يرضى وتأبى مـا أبى[4]
بل قسما بالشم من يعـرب هـل لمقسم من بعد هـــذا منتـهى[5]
هم الأولى أجروا ينابيع النـــدى هاميـة لمن عـــرا أو اعتفـى[6]
هم الذين دوخـوا مـن انتخـى وقوموا من صـعر ومـن صـغا[7]
هم الـذين جرعـوا فمـــاحلوا أفاوق الضيـم ممـراة الحسـا[8]
أزالُ حشـو نثـــرة موضونـــة حتى أوارى بين أثنـــاء الحثـى[9]

(1) يغشى: يدخل، صلا: حر النار كلظى.
(2) مثل: صور، الحتف: الهلاك. وقرنك: الذي يقارنك في بطش أو قتال أو علم.
(3) حمى: منع، المقدار: القدر، المهجة: النفس، لرامها: لطلبها. وأو: بمعنى حتى، ويستبيح: يدرك ذلك الشيء نافذًا أمره فيه وهو منصوب بأن مضمرة بعد أو.
(4) تغدو: تأتي بالغدوة، وروي "تعدو" أي تسرع.
(5) قسما: يمينا، بالشم: الطوال أو أشراف الناس، يعرب: قبيلة من العرب تنسب إلى يعرب بن يشجب بن قحطان، لمقسم: لحالف. منتهى: الغاية.
(6) ينابيع: جمع ينبوع. الندى: الجود والكرم. وهامية: سائلة، عرا: قصد وتعرض للطلب، أو اعتفى أو طلب من غير تعرض.
(7) دوخوا: أذلوا، انتخى: تكبر، صعر: تكبر أيضا وأصل الصعر الميل وهو أن يميل الإنسان خده من التكبر. والصغا: الميل.
(8) جرعوا: سقوا. ماحلوا: خاصموا، أفاوق: هو شرب مقطع بنفس بعد نفس. الضيم: الذل. ممراة: مدراة. الحسا: جمع حسوة وهو أخذك الشيء بفمك متجرعا لـه قليلاً.
(9) أزال: جواب القسم محذوف منه لا. حشو: ما أدخل في جوفه فكأنه سار حشوا إذا لبسها، نثرة: درع واسعة. موضونة: محكمة النسج، أواري: أغطي. وأثناء: جمع ثنا وهو ما تثنى منها أي تراكب على بعض، الحثى: جمع حثوة وهو التوب المجتمع.

وصـاحبي صـارم في متنـه	**مثل مدب النمل يعلو في الـربى**[1]
أبـيض كـالملح إذا انتضـيته	**لم يلق شـيئًا حـده إلى فـرى**[2]
كـأن بـين عيـره وغربـه	**مفْتأدا تأكلت فيـه الجُـذى**[3]
يري المنـون حـين تقفـو إثـره	**في ظُلم الأكباد سـبلاً لا تـرى**[4]
ومشرف الأقطـار خـاظٍ نحضـه	**حابى القصيرى جر شع عرد النسى**[5]
قريب مـا بـين القطـاةِ والمطـا	**بعيد ما بـين القـذال والصـلا**[6]
سامي التليـل في دسـيع مفعـمٍ	**رحب اللبان في أمينات العجـى**[7]
ركّـبن في حواشـبٍ مكتنـة	**إلى نسور مثل ملفـوظ النـوى**[8]
يرضخ بالبِيد الحصى فـإن رقـى	**إلى الربى أورى بهـا نـار الحبـا**[9]

(1) صاحبي: يعني سيفه وفرسه، مدب النمل ودبيبه: مشيه..

(2) انتضيته: جردته من غمده، وفرى: قطع.

(3) العير: هنا الموضع الناتئ في وسط السيف، الغرب: الحد يعني حد السيف، مفتأدا: موضع النار أكل بعضها بعضا. والجذى: جمع جذوة وهي الجمرة العظيمة.

(4) المنون: المنية. وتقفو: تتبع، سبلاً: طرقًا.

(5) مشرف: مرتفع عال، والأقطار: النواحي، خاظ: غليظ؛ والنحض: اللحم، القصير: ضلع في الجنب وهي الضلع السفلى. جرشع: غليظ الأضلاع أو الضخم الصدر وهو محمود في الخيل. وعرد: الشديد من كل شيء، النسى: عرق مستبطن الفخد يمر بالساق والعروق حتى ينتهي إلى الرسغ.

(6) القطاة: مكان الردف. والمطا: الظهر كله؛ سمي بذلك لأنه يمطى أي يركب والقذال: من رأس الفرس معقد عذاره أي حيث ينعقد عذاره، وهو ما بين الأذنين، والعذار: هو اللجام، الصلا: العجز وهو آخر الوركين.

(7) سامي: هو العالي المرتفع. والتليل: هو العنق. ودسيع: مغرز العنق، ودسيع في الظهر. ومفعم: ممتلئ. والرحب: الواسع، اللبان: الصدر. وأمينات: القويات الصحاح السالمات الصلاب. والعجى: جمع عجاية، وهي عصب مركب به شيء كفص الخاتم.

(8) ركبن: يعني العجى، حواشب: جمع حوشب، وهو عظم في باطن الحافر. مكتنة: مستورة أو مكتنـزة.

(9) يرضخ: يكسر، البيد: جمع بيداء وهي القفار، رقى: ارتفع. الربى: جمع ربوة. وأورى. أوقد بها. الحبا: دابة تضيء بالليل اسمها الحباحب فرخم لضرورة الشعر.

يـدير إغليطين فـي ملمومــة ... إلى لموحـين بألحــاظ الـلأى[1]
مداخلُ الحلـق رحيـب شـجره ... مخلولق الصـهوة ممسـود وأي[2]
يجري فتكبو الريـح في غاياتــه ... حسـرى تلوذ بجراثيم السـحا[3]
لو اعتسفت الأرض فوق متنــه ... يجوبها ما خفت إن يشكو الوجى[4]
تظنــه وهــو يــرى محتجبــا ... عن العيـون إن دأى أو إن ردى[5]
إذا اجتهدت نظــرا في إثــره ... قلت سنا أو مض أو برق خفـا[6]
كأنمـــا الجـــوزاءُ في أرســـاغه ... والـنجم في جبهتــه إذا بـدا[7]
هما عِتادي الكافيـان فقـد مـن ... أعددته فلينأ عني مــن نــأى[8]
فــإن سمعــت برحــى منصــوبة ... للحرب فاعلم أنني قطب الرحى[9]
وإن رأيت نــار حـرب تلتظـي ... فاعلم بأني مسعر ذاك اللظـى[10]

---

(1) الإغليط: وعاء ثمر المرخ شبه أذني الفرس بذلك وهو شبيه بقشور الباقلا الرطب تشبه آذان الخيل، وملمومة: هي الهامة المتمعة.

(2) مداخل الحلق: مجموعه، شجره: هو مجتمع اللحيين. مخلولق: أملس.

(3) فتكبو: فتعثر، غاية: هي منتهى جريه، حسرى: منكشفة، تلوذ: تلجأ، جراثيم: جمع جرثومة وهو التراب الذي يجتمع في أصول الشجر، والسحا: ضرب من الشجر.

(4) اعتسفت الأرض: قطعتها باعتساف منك أي على غير هدى، متنه: ظهره، يجو ا: يقطعها ويخرقها. الوجى: أن يبلغ الوجع إلى باطن الرسغ.

(5) دأى: جرى وكذا ردى يقال دأى يدأى دأيا وردى يردى رديا إذا جرى جريا سريعا.

(6) سنا: الضوء. وأومض: أضاء أي لمع.

(7) الجوزاء: نجم معروف وهو التوأمان، وأرساغ: جمع رسغ وهو مفصل بين الحافر والوظيف من كل دابة، والنجم: هو الثريا يصف غرة الفرس وتحجيله، وبدا: ظهر.

(8) العتاد: ما يتخذ عدة الدهر، فينأ: فليبعد من نأى إذا بعد.

(9) برحى منصوبة: يريد برحى الحرب وهو موضع استدارة أهلها إذا تعاركوا، قطب: الحديدة أو الخشبة التي تدور عليها.

(10) تلتظى: تشتعل. ومسعر: موقد. اللظى: اللهب.

خير النفـوس السـائلات جهـرة ... على ظباتِ المرهفـات والقنـا[1]
إن العـراق لم أفـارق أهــله ... عن شنآن صـدني ولا قِلـى[2]
ولا اطَّبـى عـيني مـذ فـارقتهم ... شيءٌ يروق العين من هذا الورى[3]
هم الشـناخيب المنيفـات الـذرا ... والناس أدحـالٌ سواهم وهوى[4]
هم البحـور زاخـر آذيهـا ... والناس ضحضاح ثعاب وأضى[5]
إن كنت أبصرت لهم من بعـدهم ... مثلاً فأغضيت على وخز السفا[6]
حاشا الأميرين اللـذين أوفـدا ... علي ظلا من نعـيم قـد ضفا[7]
هما اللذان أثبتـا لـي أمـلا ... قد وقف اليأس به على شفا[8]
تلافيـا العـيش الـذي رنقـه ... صرف الزمان فاستساغ وصفا[9]
وأجريا مـاء الحيـا لي رغـدا ... فاهتز غصني بعد ما كان ذوى[10]

(1) جهرة: عيانا، وظباة: جمع ظبة، كتيبة: حد السيف. والمرهفات: السيوف الرقاق.
(2) العراق: قطر معروف على شاطئ دجلة والفرات. وشنآن: بغض. وصدني: منعني وصرفني. والقلى: البغض.
(3) اطبى: استمال، ويروق: يعجب.
(4) الشناخيب: أطراف الجبال واحدها شنخوب. والمنفيات: المرتفعات الطوال وهي الشواهق. والذرا: جمع ذروة وهي أعالي الجبال، وأدحال: جمع دحل وهي الحفير الغامض من الأرض يتسع أسفله ويضيق أعلاه. وهوى. جمع هوة بمعنى الدحل.
(5) زاخر: الماء الكثير الفائض. والآذي: الموج. وضحضاح: الماء القليل.
(6) أغضيت: صبرت على المكروه. وخز: طعن غير نافذ، وقيل الوخز الطعن بسرعة.
(7)أوفدا: أرسلا، وضفا: كثر، من قولهم: ضفا ذيل الفرس إذا كثر وطال.
(8) شفا: الشيء طرفه وحرفه.
(9) تلافيا: تداركا، رنقه: كدره والمرنق الماء الكدر. صرف الزمان: تقلبه من حال إلى حال. واستساغ: سلس في الحلق وطاب.
(10) الحيا: مقصور الغيث والخصب. ورغدا: السعة في العيش. فاهتز غصني: طال وأصل الهز التحريك، ذوى: ذبل.

همـا اللـذان سمـوا بنـاظري من بعد إغضائي على لذْع القذى[1]
همـا اللـذان عمـرا لي جانبـاً من الرجاء كان قدما قـد عفـا[2]
وقلـداني منـة لـو قرنـت بشكر أهل الأرض عني مـا وفى[3]
بالعشر من معشارها وكان كالحسـ ـوة في آذي بحـر قـد طمـى[4]
إن ابن ميكـال الأمـير انتاشـني من بعد ما قد كنت كالشيء اللقا[5]
ومد ضبعي أبو العباس مـن بعـد انقباض الذرع والبـاع الـوزى[6]
ذاك الذي مـا زال يسمو للعـلا بفعله حتى عـلا فـوق العـلا[7]
لو كـان يرقـى أحـد بجـوده ومجـده إلى السـماء لارتقـى[8]
ما إن أتى بحـر نـداه معتـف على أوارى علـم إلا ارتـوى[9]
نفسي الفـداءُ لأمـيري ومـن تحت السـماء لأمـيري الفـدا
لا زال شكري لهمـا مواصـلا لفظي أو يعتاقني صـرف المـنى[10]

---

(1) سموا بناظري: رفعا ناظري والباء للتعدية. إغضائي: تغافلي. لذع: حرق، القذى: ما يقع في العين.

(2) قدما: قديما. عفا: درس.

(3) وقلداني منة: أي جعلاها في عنقى وهو موضع القلادة، منة: نعمة وجمعها منن. وقرنت: قيست. ما وفى: ما قام ولا عدل شكرهم.

(4) الحسوة: الجرعة مما يشرب. الآذي: الموج. وطمى: امتلأ وارتفع.

(5) ابن ميكال: هو عبد الله بن محمد بن ميكال وهو فارسي من أمراء فارس. وانتاشني: نعشني. واللقا: الشيء المطروح.

(6) ضبعى: عضدي. وأبو العباس: هو إسماعيل بن عبد الله المتقدم فمدح الأب والابن. والذرع: واحد الباع قدر مد اليدين ويطلق على الشرف والكرم. والوزى: القصير.

(7) يسمو: يرتفع.

(8) يرقى: يرتفع.

(9) الندى: الكرم. معتف: طالب للرفد. أوارى: حرارة الشمس والنار. وعلم: جبل صغير، ارتوى: اكتفى من الماء وغيره.

(10) أو يعتاقني: أو يصرفني. وأو: بمعنى حتى. والصرف: التقلب.

إن الألى فارقت مـن غـير قلـى ... ما زاغ قلبي عنـهم ومـا هفـا[1]
لكــن لي عزمــا إذا امتطيتــه ... لمبهم الخطـب فــآه فانفـأى[2]
ولو أشاء ضـم قطريـه الصبــا ... علي في ظـل نعـيم وغنــى[3]
ولاعبـــتني غـــادةٌ وهنـــانةٌ ... تضني وفي ترشافها برء الضنى[4]
تفري بسيف لحظهـا إن نظـرت ... نظرة غضبي منك أثنـاء الحشـا[5]
في خدها روض من الـورد علـى ... النسرين بالألحاظ منـها يجـتنى[6]
لو ناجت الأعصم لانحـط لهـا ... طوع القياد في شمـاريخ الـذرا[7]
أو صـابت القانـت في مخلولـق ... مستصعب المسلك وعر المرتقـى[8]
ألهـاه عـن تسـبيحه ودينـه ... تأنيسها حتى تراه قـد صبـا[9]
كأنمـا الصهباءُ مقْطـوب بـهـا ... ماء جنى ورد إذا الليـلُ عسـا[10]

---

(1) من غير قلى: من غير بغض، ما زاغ: ما مال، ولا هفا: ولا زال.
(2) عزما: عقدا على فعل أمر، المبهم من الأمور: المغلق، فآه: شقه.
(3) ضم قطريه: جمع ناحيتيه. نعيم: ما امتد عليه منه والنعيم ضد البؤس وهو طيب العيش وسعته.
(4) لاعبتني: من اللعب ومعناه مازحتني. غادة: الفتاة الناعمة. وهنانة: ثقيلة القيام والقعود وقيل الطيبة الحديث. وتضني: تسقم. والضنى: الهزال من المرض. والترشاف: المص في الثغر أو فوقه، برء الضنى: ذهاب السقم أي هي تضنى وفي تقبيلها البرء من السقم.
(5) تفري: تقطع، اللحظ: النظر، غضبى: مغاضبة. أثناء الحشى: ما انثنى منها أي ما انعطف. والحشا: الكبد وما اتصل بها.
(6) النسرين: النور الأبيض. والألحاظ: النظرات جمع لحظة، يجتنى: يقتطف.
(7) ناجت: كلمت، الأعصم: الوعل الذي في إحدى يديه بياض وربما كان البياض فيهما وسائر يديه أسود أو أحمر، لانحط: لنـزل، القياد: التذلل.
(8) صابت: صادفت. والقانت: القائم بالعبادة. ومخلولق: الجبل الأملس. ومستصعب: صعب. والوعر: الصعب. والمرتقى: المصعد.
(9) ألهاه: شغله، تأنيسها: أنسها وحديثها؛ صبا: مال ولها.
(10) الصهباء: الخمرة. ومقطب: ممزوج، ماء جنى ورد: ما أخذ من الورد طريا، عسا الليل: أظلم.

يمتاحه راشـف بـرد ريقهـا **بين بياض الظلم منهـا واللمـى**[(1)]
سقى العقيـق فـالحزيز فالمـلا **إلى النحيت فالقُريـات الدنـا**[(2)]
فالمَربد الأعلى الذي تلْقى بـه **مصارع الأسد بألحـاظ المَهـا**[(3)]
محلّ كـل مقـرمٍ سـمت بـه **مآثر الآبـاءِ في فَـرع العـلا**[(4)]
مـن الألى جـوهرهم إذا اعتـزوا **من جوهر منه الـنبي المُصـطفى**[(5)]
صلى عليه الله مـا جـن الـدجى **ما جرت في فَلكٍ شمس الضـحى**[(6)]
جـونٌ أغارتـه الجنـوب جانبـا **منها وواصت صوبه يد الصـبا**[(7)]
نـأى يمانيـا فلمـا انتشـرت **أحضانه وامتـد كسـراه غَطـا**[(8)]
فجلـل الأفـق فكـل جانـب **منها كأن مِن قُطرِهِ المـزن حبـا**[(9)]
وطبَّـق الأرض فكـل بقْعـةٍ **منها تقول الغيثُ في هاتا ثَـوى**[(10)]

---

(1) يمتاحه: يستقيه، راشف: التناول الشراب بشفتيه. اللمى: سمرة الشفتين.
(2) العقيق والحزين والملا والنحيت: مواضع بالبصرة ونواحيها.
(3) المربد: موضع بالبصرة بفتح الميم وكسر الباء. مصارع الأسد: مواضع سقوطها عند الموت وأراد بالأسد الرجال وأراد أنهم صرعوا بألحاظ المها أي قتلتهم ألحاظ النساء الحسان البيض المشبهة بالمها وهي البقر الوحشي الواحدة مهاة. وألحاظ: نظرات.
(4) مقرم: السيد الكريم وأصله فحل الإبل. ومآثره: جمع مأثرة الصنيعة الحسنة. وفرع كل شيء: أعلاه.
(5) من الألى: من الذين. وجوهرهم: أصلهم. وإذا اعتزوا: إذا انتسبوا. والمصطفى: المختار محمد ﷺ.
(6) جن الدجى: أظلم وستر. والدجى: الظلمة.
(7) جون: فاعل سقى المقدمة وهي هنا السحاب الأسود وتأتي للأبيض ضده. أغارت: أنزلت. والجنوب: الريح القبلية تجيء بالمطر. وواصت: واصلت. والصوب: نزول المطر. والصبا: الريح الشرقية.
(8) نأى يمانيا: أي طلع من ناحية اليمن. وأصل الحضن: ما دون الإبط إلى الكشح. وكسراه: تثنية كسر وهو طنب الخبا وإنما كني بالكسرين عن أذيال السحاب ويريد أن السحاب جرت على الأرض أذيالها. وغطا: ارتفع أو انبسط.
(9) فجلل: فغطى. والأفق: الناحية وجمعها آفاق. ومن قطره: بضم القاف من ناحيته وجمعه أقطار. والمزن: السحاب والواحدة مزنة. وحبا: امتلأ. ودنا: يريد السحاب.
(10) طبّق الأرض: ملأها. فكل بقعة: فكل مكان. وفي هاتا: أي هنا. وثوى: أقام.

إذا خبت بروقه عنت لها ... ريح الصبا تشب منها ما خبا[1]
وأنْ ونت رعوده حدا بها ... راعي الجنوب فحدت كما حدا[2]
كأنّ في أحضانه وبركه ... بركا تداعى بين سجر ووحى[3]
لم ير كالمزن سواماً بهلاً ... تحسبها مرعية وهي سدى[4]
تقولُ للأجراز لما استوسقت ... بسوقه ثقي بري وحيا[5]
فأوسع الأحداب سيباً محسباً ... وطبق البطنان بالماء الروى[6]
كأنما البيداءُ غِب صوبه ... بحر طما تياره ثم سجا[7]
ذاك الجدا لا زال مخصوصاً به ... قوم هم للأرض غيث وجدا[8]
لست إذا ما بهظتني غمرةٌ ... ممن يقول (بلغَ السيل الزبى)[9]

---

(1) خبت بروقه: أي خمدت وسكنت. وعنت: عرضت. وتشب: توقد.

(2) وإن ونت: ضعفت وفترت، وحدا بها: ساقها بالحداء وهو صوت السائق الذي يسوق الإبل بالغناء.

(3) كأن في أحضانه: في نواحي هذا الأفق فالضمير عائد على الأفق أو على السحاب وهو أحسن، والبرك الأول الصدر والثاني الإبل.

(4) المزن: السحاب. وسواما: بلا راعية. و بهلا: هي التي لم تحلب فتركت ضروعها ملأى من ألبانها لفصائلها. وسدى: المهملة التي لا راعي لها.

(5) الأجراز: جمع جزر وهي الأرض الصلبة التي لم يصبها المطر. واستوسقت: حملت ما يكفيها من الماء. وثقي بري: أي بشبع من الماء. وحيا: خصب.

(6) الأحداب: جمع حدب وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ. وسيبا: غطاء، محسبا: كافيا. وطبق: غطى. والبطنان: جمع بطن وهو الغامض من الأرض. والروى: الماء الكثير.

(7) البيداء: القفر. وغب صوبه: عقب مطره، وانتصب غب على الظرف. والصوب: نزول المطر.

(8) الجدا: الأول النائل والعطاء، والذي في آخر البيت يحتمل أن يكون أراد به الجداء بالمد وهو العناء ثم قصره لضرورة الشعر ويحتمل أن يكون أراد به المعنى الأول.

(9) بهظتني: شقت علي. وغمرة: هي الكربة والشدة واحدة الغمرات. والزبى: جمع زبية وهي حفرة تحفر للأسد في المكان العالي من الأرض وليس يبلغها إلا سيل عظيم، وهو مثل تضربه العرب إذا اشتد بأحدهم الأمر.

وإن ثَوت تحْـت ضـلوعي زفْـرةٌ تملأ ما بـين الرجـا إلى الرجـا[1]
نهنهتهـا مكظومـة حـتى يـرى مخْضوضِعا منها الذي كان طغـا[2]
ولا أقـول إن عـرتني نكْبـةٌ قول القنوط انقَد في البطن السلا[3]
قد مارست مني الخطـوب مارسـا يساور الهـولَ إذا الهـولُ عـلا[4]
ليَ التـواءٌ إنْ معـادي التـوى وليَ استواءٌ إن مـواليّ اسـتوى[5]
طعمي شـري للعـدو تـارة والراح والأري لمن ودي ابتغـى[6]
لدنٌ إذا لُوينـت سـهلٌ معطفـي ألوي إذا خوشنت مرهوب الشدا[7]
وصونُ عِرض المرء أن يبذُلَ مـا ضن بـه ممـا حـواه وانتضـى[8]
والحمد خـير مـا اتخـذْت عـدةً وأنفس الأذْخار من بعد التقـى[9]
وكـل قـرنٍ ناجـم في زمـن فهو شبيـه زمن فيـه بـدا[10]
والناس كالنبت فمنـهم رائـق غض نضير عوده مـر الجـنى[11]

---

(1) ثوت: أقامت. زفرة: هي ترجيع الصوت بالبكاء. والرجا مقصورة: الجانب.

(2) نهتها: كفقتها وزجر ا. مكظومة: متجرعة. ومخضوضعا: متذللا. وطغا: كثر أو تكبر.

(3) عرتني: أصابتني، نكبة: مصيبة. القنوط: اليأس. انقد: انقطع. والسلا بفتح السين: المشيمة التي تتعلق بالولد وتسقط معه.

(4) مارست: عاركت وضاربت، الخطوب: الأمور، مارسا: شديدا، يساور الهول: يطاوله. والحول: الشدة. علا: ارتفع.

(5) التواء: انعواج، معادي: العدو، الموالي: الصديق الذي يوالي، استوى: اعتدل.

(6) شرى: حنظل. والأري: العسل الأبيض. ابتغى: طلب.

(7) لدن: لين، لوينت: أخذت باللين.

(8) انتضى: اختار.

(9) عدة عمدة. والأذخار: ذخر وهو المخبوء.

(10) وكل قرن: أي وكل أمة. وناجم: مرتفع.

(11) رائع: معجب. والغض: الطري الأخضر الناعم وكذلك النضير.

ومنه مـــا تقـتحم العـين فـإنْ ذقت جناه انساغَ عذبا في اللـها[1]
يقـوم الشـارخ مـن زيغانـه فيستوي ما انعاج منـه وانحنى[2]
والشيخ إن قومتـه مـن زيغـهِ لم يقم التثقيف منه مـا التـوى[3]
كذلك الغصـن يسـير عطفـه لدنا شديد غمـزه إذا عسـا[4]
من ظلم النـاس تحـاموا ظلمـه وعز عنهم جانبـاه واحتمى[5]
عبيـد ذي المـال وإن لم يطمعـوا من غمره في جرعة تشفي الصدى[6]
وهـم لمـن أملـق أعـداءٌ وإنْ شاركهم فيمـا أفـاد وحـوى[7]
عاجمت أيامي ومـا الغِـر كمـن تأزر الدهـر عليـهِ وارتدى[8]
لا يرفع اللـب بـلا جـدٍّ ولا يحطك الجهلُ إذا الجـد علا[9]
من لم يعظه الـدهر لم ينفعـه مـا راح به الواعظ يوما أو غـدا[10]
من لم تفـده عِبـرا أيامـه كان العمى أولى به من الهدى[11]
من قاس مـا لم يره بمـا يـرى أراه مـا يدنو إليه مـا نـأى[12]

---

(1) تقتحم العين: تتركه كرها لـه وتعدوه إلى غيره. وجناه: ما اجتني منه. وانساغ: سهل بلعه. وعذبا: حلواً. واللها: جمع لهاة وهي اللحمة المعلقة بأصل الحنك.

(2) الشارخ: الشاب والحدث المستقبل للشباب وشرخ الشباب أوله.

(3) من زيغه: من ميله. لم يقم: أي يقوم، التثقيف: التقويم، ما التوى: ما انعوج.

(4) لدنا: لينا. والغمز: التقويم. عسا: صلب.

(5) تحاموا ظلمه: تباعدوا عنه، وعز عنهم: امتنع. والعزة: الشدة. احتمى: امتنع.

(6) الغمر: الماء الكثير. الجرعة: القليل من الماء. تشفى: تبرأ، والصدى: العطش.

(7) أملق: افتقر.

(8) عاجمت أيامي: أي امتحنتها واختبرتها. الغر: الذي لم يجرب الأمور. وتأزر: من الإزار.

(9) لا يرفع اللب: من الرفعة أي لا تعلو منـزلته. واللب: العقل وجمعه ألباب. والجد بالفتح: الحظ والبخت.

(10) راح: أتى بالعشي. غدا: أتى بالغدو.

(11) من لم تفده: أي تكسبه. عبرا: جمع عبرة وهي التذكرة.

(12) من قاس: من مثل، وأراه ما يدنو: أي ما يقرب. ما نأى: ما بعد.

من ملك الحرص القياد لم يزل ... يكرع من ماءِ الذّل صرى[1]
من عارض الأطماع باليأس رنت ... إليه عين العز من حيث رنا[2]
من عطف النفس على مكروهها ... كان الغنى قرينه حيث انتوى[3]
من لم يقف عند انتهاء قدرهِ ... تقاصرت عنه فسيحات الخُطا[4]
من ضيع الحزم جنى لنفسه ... ندامةً ألذعَ من سفْعِ الذّكا[5]
من ناط بالعجبِ عرى أخلاقه ... نيطت عرى المقت إلى هاتيك العرى[6]
من طال فوق منتهى بسطته ... أعجزه نيلُ الدنى بله القُصا[7]
والناس ألف منهم كواحد ... وواحد كالألف إن أمر عنى[8]
وللفتى من ماله ما قدمت ... يداه قبل موتِهِ لا ما اقتنى[9]
وإنما المرءُ حديثٌ بعده ... فكن حديثًا حسنا لمن وعى[10]
إني حلبت الدهر شطريهِ فقد ... أمر لي حينا وأحيانا حلا[11]
وفر عن تجربةٍ نابي فقل ... في بازلٍ راض الخطوب وامتطى[12]

---

(1) القياد: الطاعة. يكرع: أي يشرب بفيه بدون آلة، وصرى: الماء الدائم الذي قد طال مكثه جمع صراة.
(2) الأطماع: جمع طمع، واليأس: انقطاع الرجاء. ورنت: نظرت.
(3) عطف: أمال ورد، وقرينه: صاحبه، وحيث انتوى: أي حيث نوى من النية بمعنى القصد، وقيل من النوى وهو البعد.
(4) تقاصرت: قصرت، وفسيحات: واسعات. والخطا: جمع خطوة.
(5) الحزم: الاحتراس بالأفعال، ندامة: حسرة؛ ألذع: أشد حرقة، سفع: إحراق، الذكا: التهاب النار.
(6) ناط: علق وألصق، نيطت: علقت. والمقت: أشد الغضب.
(7) من طال: من ارتفع، البسطة: الفضيلة، أعجزه: أضعفه.
(8) عنى: قصد أو لزم.
(9) اقتنى: اكتسب.
(10) لمن وعى: لمن حفظ.
(11) حلبت الدهر: جربته. وشطريه: نصفيه وأراد بشطريه أول زمانه وآخره أو نعيمه وبؤسه.
(12) وفر عن تجربة نابي: أي كشف عن أمره وهذا مأخوذ من قولهم فر عن الدابة إذا فتح فاها ليعرف سنها =

واللوم للحر مقيم رادع ... والعبد لا يردعه إلا العصا[1]
وآفة العقل الهوى فمن علا ... على هواه عقله فقد نجا[2]
كم من أخ مسخوطة أخلاقه ... أصفيته الود لخلق مرتضى[3]
إذا بلوت السيف محمودا فلا ... تذمه يوما أن تراه قد نبا[4]
والطِرف يجتاز المدى وربما ... عن لمعداه عِثار فكبا[5]
من لك بالمهذّب الندبِ الذي ... لا يجد العيب إليه مختطى[6]
إذا تصفحت أمور الناس لم ... تلف أمرا حاز الكمال فاكتفى[7]
عول على الصبر الجميل فإنه ... أمنع ما لاذ به أولو الحجا[8]
وعطفِ النفس على سبل الأسى ... إذا استفز القلب تبريح الجوى[9]
والدهر يكبو بالفتى وتارةً ... ينهضه من عثرة إذا كبا[10]
لا تعجبن من هالك كيف هوى ... بل فاعجبن من سالم كيف نجا
إن نجوم المجدِ أمست أفّلاً ... وظله القالص أضحى قد أزى[11]

=
وينظر صغرها من كبرها، البازل: من الأبل الذي أتت عليه تسعة أعوام. وراض الخطوب: أذلها.
(1) اللوم بالفتح: من الملامة وهي العتاب. مقيم: مصلح، رادع: كاف.
(2) آفة العقل: مضرته ومفسدته. والهوى: الشهوة.
(3) مسخوطة: من السخط وهو ضد الرضا، أخلاقه: طبائعه. أصفيته الود: أخلصت له الود.
(4) بلوت: اختبرت، نبا: ارتفع عن المضرب ولم يقطع فيه شيئًا.
(5) الطرف بالكسر: الكريم من الخيل. يجتاز: يجوز، لمعداه: لجريه. وعثار: مصدر عثر يعثر عثارا.
(6) المهذب: العاقل الظريف. والندب: الرجل الخفيفف في الحاجة.
(7) تصفحت: نظرت واستيقظت. لم تلف: لم تجد، اكتفى: اجتزأ به.
(8) عول على الصبر: أي ارجع إليه واعتمد عليه.
(9) الأسى: التصبرة.
(10) يكبو: يعثر.
(11) أفلا: غائبات، القالص: المرتفع. وفرس قالص طويل القوائم. أزى: قصر ونقص.

إلا بقـايا مـن أنـاس ـم إلى سبيل المكرمـات يقتـدى[1]
إذا الأحاديث انتضـت أنبـاءهم كانت كنشر الروض غاداه السدى[2]
لا يسمع السـامع في مجلسهـم هجـرا إذا جالسـهم ولا خنـا[3]
ما أنعـم العيشـةُ لـو أن الفـتى يقبلُ منه الموت أسـناءَ الرشـا[4]
أو لـو تحلـى بالشـباب عمـره لم يستلبه الشيب هاتيك الحُلـى[5]
والليل ملـق بـالموامي بركـه والعيس ينبثن أفـاحيص القطـا[6]
بحيث لا تهـدي لسـمع نبـأة إلا نئيم البوم أو صوت الصـدى[7]
شايعتهم على السرى حتـى إذا مالت أداة الرحل بالجبس الدوى[8]
قلـت لهـم: إن الهوينـا غِبـها وهن فجد واتحمدوا غِب السرى[9]
ومـوحش الأقطـار طـامٍ مـاؤه مدعثر الأعضاد مهزوم الجَنـا[10]
كأنما الـريش علـى أرجائـه زرق نصال أرهفـت لتمتـهى[11]

---

(1) يقتدى: يتبع فعلهم.

(2) انتضت: أظهرت من نضا الشيء إذا ظهر. الأنباء: الأخبار، النشر: الرائحة الطيبة.

(3) هجرا بضم الهاء: القبيح من القول وكذا الخنا أيضا.

(4) العيشة: الحياة، أسناء الرشا: أرفعها وأعلاها.

(5) تحلى بالشباب: لبسه وتزيا به. لم يستلبه: لم يجرده. الحلى: جمع حلية.

(6) الموامي: جمع موماة وهي القفر. البرك: الصدر، العيس: الأبيض من الابل. ينبثن: يخرجن. أفاحيص القطا: أوكارها وواحدها فحوص.

(7) نبأة: الصوت الخفي: ونئيم البوم: صوته. والبوم: الهام، الصدى: ذكر الهام.

(8) شايعتم: تابعتم على رأيهم في سير الليل، أداة الرحل: حوائج الرجل، الجبس: الرجل الثقيل الجبان، الدوى: الأحمق.

(9) وهن: ضعف. فجدوا: فاجتهدوا.

(10) موحش الأقطار: يعني بئرا أو حوضا، الموحش: ضد المونس، والأقطار: النواحي. وطام: مرتفع، مدعثر: مهدوم. الأعضاد: ما حواليه من صفائح الحجارة التي تعضده، والجبا بفتح الجيم: ما حول البئر أو الحوض.

(11) أرجاؤه: نواحيه. زرق نصال: بيض نصال، أرهفت: رققت، تمتهى: تسقي الماء.

وردته والـذئب يعـوي حولـه **مسنك شم السمع من طول الطـوى**[1]
ومنتـجٍ أم أبيـه أمـه **لم يتخون جسمه مس الضـوى**[2]
أفرشـته بنـت أخيـه فانشـت **عن ولـد يورى بـه ويشـتوى**[3]
ومرقـبٍ مخلولـق أرجـاؤه **مستصعبِ المسلكِ وعـر المرتقـى**[4]
والشخص في الآل يـرى لنـاظر **ترمقه حينا وحينـًا لا يـرى**[5]
أوفيت والشمس تمـج ريقهـا **والظل من تحت الحذاء محتـذى**[6]
وطـارق يؤنسـه الـذئب إذا **تضور الذئب عشـاءً وانضـوى**[7]
آوى إلى نـاري وهـي مـألف **يدعو العفاة ضوؤها إلى القِـرى**[8]
لله مـا طيـف خيـالٍ زائـر **تزفّه للقلـب أحـلام الـرؤى**[9]
يجـوب أجـواز الفـلا محتقـرا **هول دجى الليل إذا الليلُ انبرى**[10]
سائله إن أفصـح عـن أنبـائه **أنى تسدى الليل أم أنى اهتدى؟**[11]

---

(1) وردته: يعني وردت هذا الماء والهاء عائدة على الماء في قوله طام ماؤه.
(2) ومنتج: يريد رب. وغصن منتج: أي مولود، أم أبيه أمه: يريد غصنا قطع من فرع من شجرة فتلك الشجرة أم الفرع والفرع جعله للغصن بمنـزلة الأب على الاستعارة والشجرة أم الفرع وأم الغصن لأنهما منها فصارت أما لأبيه وأما لـه.
(3) أفرشته بنت أخيه: حككت به غصنا آخر.
(4) مرقب: الموضع العالي الذي ينظر منه إلى بعد. ومخلولق: أملس.
(5) الشخص: سواد الإنسان وغيره تراه من بعد، والآل: السراب.
(6) أوفيت: أتيت ووصلت إليه. وتمج: تلقى، وريقها: لعابها، ولعاب الشمس إنما يكون في وقت الظهيرة.
(7) وطارق: الذي يجيء بالليل. وتضور: صاح من الجوع.
(8) أوى إلى ناري: أي انضم إلى ناري. ومألف: الموضع الذي يجتمع فيه الأحباب. والعفاة: طلاب المعروف.
(9) لله ما طيف: اللام في هذا بمعنى التعجب وما زائدة، والطيف ما يراه النائم في صورة محبوبه، خيال الشخص: الذي يتخيل لك؛ وتزفه: تحمله.
(10) يجوب: يقطع. أجواز: أوساط. والفلا: جمع فلاة وهي القفر من الأرض، والدجى: الظلمة. وانبرى: اعترض.
(11) سائله: يعني الخيال. وعن أنبائه: يعني عن أخباره. وإن أفصح: أي وإن أبان. وأنى: كيف. تسدى: =

أو كان يدري قبلـها مـا فـارس ومـا مواميهـا القفار والقـرى[1]
وسائـلي بمزعجـي في وطنــي مـا ضاق بي جنابــه ولا نبـا[2]
قلت: القضاءُ مالـك أمـر الفـتى من حيث لا يدري ومن حيث درى
لا تسألني واسـأل المقـدار هـل يعصـم منــه وزر ومـزدرى
لا غــرو إن لحّ زمــانٌ جـائر فاعترق العظم الممـخ وانتقـى[3]
فقد ترى الناحـلَ مخضـرا وقـد تلقى أخـا الإقتار يومـًا قد نما[4]
يـا هؤليـا هـل نشدتن لنــا ناقبـة البرقع عن عيني طـلا[5]
مـا أنصفت أم الصبيــين الـتي أصبت أخـا الحلم ولما يصـطبى[6]
استحي بيضـا بـين أفـوادك أن يقتادك البيض اقتيـاد المهتـدى[7]
هيهات مـا أسفع (هاتـا) زلــةً أطربـا بعد المسيب والجــلا[8]

=

قطع الليل بالسير، وأم أنى: أي من أين.

(1) أو كان يدري قبلها: يريد قبل هذه الذروة، وما فارس: يريد بلاد فارس، والموامي: واحدها موماة وهي الأرض المقفرة.

(2) بمزعجي: بمزيلي ومخرجي والباء بمعنى عن فكأنه قال وسائلي عن مزعجي. الجناب بفتح الجيم: الناحية.

(3) لا غرو: لا عجب، لح: عرض. فاعترق العظم: أي أزال عنه اللحم، الممخ: الذي فيه المخ، انتقى: استخرج منه النق وهو المخ.

(4) القاحل: اليابس، أخا الإقتار: المُقِلّ من المال. نما: زاد واستغنى.

(5) يا هؤليا: يا هؤلاء. ونشدتن: طلبتن. ناقبة البرقع: أي المتقنع به.

(6) ما أنصفت أم الصبيين: هذا تقوله العرب تمدح به المرأة الكاملة العقل. والصبيان: ما يتخايل في بؤبؤ العين، أصبت أخا الحلم: أي رددته إلى الصبا.

(7) استحي: فعل أمر من الاستحياء بمعنى الحياء. وبيضا: شيبا. وبين أفوادك: جمع فود والفودان جانبا الرأس أي ناحيتاه من يمين وشمال، والبيض الثانية: النساء. المهتدى: الأسير.

(8) هيهات: كلمة تبعيد. وها: إشارة للمؤنث، وزلة: خطيئة وسقطة، الجلا بفتح الجيم: انحسار الشعر عن مقدم الرأس.

يـا رب ليـل جمعـت قطريـهِ لي … بنت ثمـانين عروسـا تجتلـى[1]

لم يملك المـاءُ عليهـا أمرهـا … ولـم يدنسهـا الضرام المحتضى[2]

حينا هي الـداء، وأحيانـا … من دائهـا إذا يهيـج يشـتفى

قد صا ا الخمـار لمـا اختارهـا … ضنا ا على سـواها واحـتبى[3]

فهي ترى من طول عهد إن بـدت … في كأسها لأعين الناس كلا عمى[4]

كأن قرن الشـمس في ذرورهـا … بفعلِها في الصحن والكاس اقتدى[5]

نازعتـها أروع لا تسـطو علـى … نديمـهِ شرتـه إذا انتشـى[6]

كأن نـور الـروض نظـم لفظـه … مرتجلاً أو منشـدا أو إن شـدا[7]

من كل ما نال الفـتى قـد نِلْتـه … والمرءُ يبقى بعـده حسن الثنـا[8]

فإن أعش صاحبت دهـري عالمـا … بما انطوى من صرفه ومـا انتشـى

وإن أمـت فقـد تناهـت لـذتي … وكل شيء بلغ الحـد انتهـى[9]

---

(1) جمعت قطريه: أي جانبيه أول الليل وآخرة. بنت ثمانين: هنا الخمر وإنما سماها بنت ثمانين لأنه من شر ا أوجبت عليه ثمانين جلدة. وتجتلي: من جلوت العروس وهو إظهارها.

(2) لم يملك الماء عليها أمرها: يريد لم تمزج بالماء فتكسر حد ا وسور ا ولم يغيرها. والضرام: الحطب الدقيق يوقد به الحطب الغليظ. والمحتضى: العود تحرك به النار.

(3) صا ا: حفظها، ضنا: بخلا، احتبى: ستر.

(4) كلا: عمي يعني أنه يعمى من نظر إليها فكيف من شر ا.

(5) قرن الشمس: شعاعها، ذرورها: طلوعها يقال ذرت الشمس إذا طلعت. والصحن: القدح الكبير الواسع، والكاس: القدح إذا كان فيه خمر، اقتدى: اتبع أثره.

(6) نازعتها: ناولتها، أروع: الحسن المنظر الجميل. لا تسطو: لا تعدو النديم الصاحب، الشرة: الحدة، انتشى: سكر.

(7) نور الروض: زهر الروض. مرتجلا: الذي يأتي بما يخطر على باله على البديهة بغير استعداد، وشدا: غنى ومنه الشادي.

(8) الثنا: هنا الثناء وهو في الأصل علم للخير والشر.

(9) تناهت لذتي: بلغت النهاية.

وقال المثقب العبدي الحكيم الجاهلي من قصيدة:

لا تقــولن إذا مــــا لم تــرد أن تتم الوعــد في شــيء "نعــم"
حسن قولُ "نعم" مــن بعــد "لا" وقبــيح قــول "لا" بعــد "نعــم"
إن "لا" بعـــد "نعـــم" فاحشـــةٌ فبلا فابـدأ إذا خفـت النــدم
وإذا قلت "نعـم" فاصـبر لهــا بنجـاز الوعــد إن الخلـف ذم
أكـــرم الجــــار وراعِ حقــــه إن عِرفان الفــتى الحــق كـرم
لا تــراني راتعـــًا مــن مجلــس في لحوم الناس كالسـبع الضـرم
إن شر النــاس مــن يمدحنــي حــين يلقــاني وإن غبــت شــتم
وكــلامٍ ســيئ قـــد وقـــرت عنه أذنــاي وما بي مــن صــمم
ولبعض الصفح والإعــراض عــن ذي الخَنا أبقــى وإن كــان ظلــم

وقال الأفوه الأزدي أحد فحول شعراء الجاهلية وحكمائها:

البيــت لا يــبنى إلا علــى عمــدٍ ولا عمــاد إذا لم تــرس أوتــاد
فــإن تجمــع أوتـــاد وأعمـــدة يوما فقد بلغوا الأمر الذي كــادوا
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا ســراة إذا جهــالهم ســادوا
تهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت فإن تولــت فبالأشــرار تنقــاد
إذا تــولى ســراة النــاس أمــرهم نما على ذاك أمر القــوم فــازدادوا

وقال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه المتوفى سنة 40هـ:

أمــا والله إن الظــلم شــؤم ولا زال المســيء هــو الظلــوم
إلى الــديان يــوم الــدين نمضــي وعنـــد الله تجتمــــع الخصـــوم
ســتعلم في الحســاب إذا التقينــا غدا عند المليــك - مــن الملــوم؟
ستنقطع اللــذاذة عــن أنـــاس مــن الــدنيا وتنقطـــع الهمــوم
لأمـــر مــــا تصـــرمت الليــالي لأمـــر مــــا تحركـــت النجـــوم

سـل الأيام عـن أمـم تقضـت ... سـتنبيك المعـالم والرسـوم
تـروم الخـلد في دار الـدنايا ... فكم قـد رام غيرك مـا تـروم
تنـام ولم تـنم عنـك المنـايا ... تنبـه للمنيـة يـا نـؤوم
لهوت عن الفنـاء وأنـت تفـنى ... فمـا شـيءٌ مـن الـدنيا يـدوم
تموت غـدا وأنـت قريـر عـين ... مـن الشـهوات في لجُـج تعـوم

وقـال:

عليـك بـبر الوالـدين كليهمـا ... وبر ذَوي القـربى وبـر الأباعـد
ولا تصـحبن إلا تقيـا مهـذبا ... عفيفًا ذكيـًا منجـزا للمواعـد
وقارنْ إذا قارنـت حـرا مؤدبـا ... فتى من بني الأحرار زين المشـاهد
وكف الأذى واحفظ لسـانك واتـق ... فـديتك في ود الخليـل المسـاعد
ونافس ببذل المال في طلب العلـى ... بهمة محمـود الخـلائق ماجـدِ
وكن واثقًا بالله في كـل حـادث ... يصنك مدى الأيام من شر حاسـد
وبالله فاستعصم، ولا تـرج غـيره ... ولا تك في النعمـاء عنـه بجاحـد
وغض عن المكروه طرفك واجتنـب ... أذى الجار واستمسك بحبل المحامـد
ولا تـبن في الـدنيا بنـاء مؤمـل ... خلودا فما حـي عليهـا بخالـد

وقال أيضا:

قدم لنفسـك في الحيـاة تـزودا ... فلقد تفارقهـا وأنـت مـودع
واهتم للسـفر القريـب فإنـه ... أنأى من السـفر البعيـدِ وأشـنع
واجعل تزودك المخافـة والتقـى ... فلعل حتفك في مسـائك أسـرع
واقنع بقوتك فالقناع هـو الغـنى ... والفقـر مقـرونٌ بمـن لا يقنـع
واحذر مصـاحبة اللئـام فـإنهم ... منعوك صفو ودادهـم وتصـنعوا
أهلُ المـودة مـا أنلتـهم الرضـا ... وإذا منعت فسـمهم لـك منقـع

لا تفش سرا ما استطعت إلى امرئ يفشي إليك سرائرا يستودع
فكما تراه بسر غيرك صانعا فكذا بسرك لا محالة يصنع
لا تبدأنْ بمنطق في مجلس قبل السؤال فإن ذلك يشنع
فالصمت يحسن كل ظن بالفتى ولعله خرق سفيه أرفع
ودع المزاح فرب لفظة مازح جلبت إليك بلابلا لا تدفع
وحفاظ جار لا تضعه فإنه لا يبلغ الشرف الجسيم مضيع
وإذا استقالك ذو الإساءة عثرة فأقله، إن ثواب ذلك أوسع
وإذا ائتمنت على السرائر فاخفها واستر عيوب أخيك حين تطلع
وأطع أباك بكل ما أوصى به إن المطيع أباه لا يتضعضع

وقال:

صن النفس واحملها على ما يزينها تعش سالمًا والقولُ فيك جميلُ
ولا ترين الناس إلا تجملا نبا بك دهر أو جفاك خليلُ
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد عسى نكبات الدهر عنك تزولُ
يعز غني النفس إن قلّ ماله ويغنى غني المال وهو ذليلُ
ولا خير في ود امرئ متلون إذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد إذا استغنيتِ عن أخذ مالِهِ وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الإخوان حين تعدهم ولكنهم في النائبات قليل

وقال عبد الله بن جعفر الطالبي المتوفى سنة 580هـ:

إذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولا توصهِ
وإن باب أمر عليك التوى فشاور لبيبًا ولا تعصهِ
وإن ناصح منك يومًا دنا فلا تنأ عنه ولا تقصهِ
وذا الحق لا تنتقص حقه فإن القطيعة في نقصهِ

ولا تــذكر الــدهر في مجلــس حــديثًا إذا أنــت لم تحصــه
ونــص الحــديثَ إلى أهــله فــإن الأمانــة في نصــه
وكم من فـتى عـازب لبـه وقد تعجب العـين مـن شخصـه
وآخــر تحســبه أنوكــًا ويأتيك بالأمـر مـن فصـه

وقال أبو الأسود الدؤلي التابعي المتوفى سنة 65هـ:

حسدوا الفتى إذ لم ينـالوا سـعيه فالقوم أعـداء لـه وخصـوم
وترى اللبيب محسـدا لم يجتـرم شتم الرجـال وعِرضـه مشـتوم
وكذاك من عظُمت عليـه نعمـةٌ حسـاده سـيف عليـه ضـروم
فاترك مجـاراة السـفيه فإنهـا نـدم وغِب بعـد ذاك وخـيم
فإذا جريت مع السفيه كما جـرى فكلاكمــا في جريـهِ مــذموم
وإذا عتبت علـى السـفيه ولُمتـه في مثل مـا تـأتي فأنـت ظلـوم
يـا أيهـا الرجـل المعلـم غـيره هـلاّ لنفسك كـان ذا التعلـيم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضـنى كيما يصح بـه وأنـت سـقيم
وأراك تصــلح بالرشــاد عقولنــا أبدا، وأنت مـن الرشـادِ عقـيم
لا تنــه عــن خلــق وتــأتي مثلــه عـار عليـك إذا فعلـت عظـيم
ابدأ بنفسـك فانههـا عـن غيهـا فإذا انتهت عنـه فأنـت حكـيم
فهناك يقبـل مـا وعظـت ويقتـدى بالعلم منـك، وينفـع التعلـيم

* * *

وقال العباس بن مرداس المتوفى سنة 16هـ، وأمه الخنساء الشاعرة:

ترى الرجـلَ النحيـف فتزدريـه وفي أثوابــه أســد مزيــر
ويعجبــك الطريــر فتبتليــهِ فيخلف ظنـك الرجـل الطريـر
فما عِظَـم الرجـال لهـم بفخـر ولكـن فخـرهم كـرم وخـير

يغاثُ الطير أكثرها فراخا | وأم الصقر مقلاة نزور
ضعاف الطير أطولها جسوما | ولم تطل البزاة ولا الصقور
لقد عظم البعير بغير لبٍّ | فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بكل وجه | ويحبسه على الخسف الجرير
فإن أك في شراركم قليلا | فإني في خياركم كثير

وقال الإمام الشافعي المتوفى سنة 204هـ رضي الله تبارك وتعالى عنه:

دع الأيام تفعل ما تشاءُ | وطب نفسا إذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالي | فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلاً على الأهوال جلدا | وشيمتك السماحة والسخاء
يغطى بالسماحة كل عيبٍ | وكم عيب يغطيه السخاء
ولا حزن يدوم ولا سرور | ولا عسر عليك ولا رخاء
ولا ترِ الأعادي قط ذُلا | فإن شماتةَ الأعداء بلاء
ولا ترج السماحة من بخيل | فما في النار للظمآن ماءُ
ورزقك ليس ينقصه التأني | وليس يزيد في الرزق العناء
إذا ما كنت ذا قلبٍ قنوع | فأنت ومالك الدنيا سواء
ومن نزلت بساحته المنايا | فلا أرض تقيه ولا سماء
وأرض الله واسعة ولكن | إذا نزلَ القضاء ضاق الفضاء

* * *

وقال عبدة بن الطبيب المتوفى سنة 39هـ يوصي أبناءه:

ابني، إني قد كبرت ورابني | بصري، وفيّ لمنظر مستمتع
أوصيكم بتقى الإله فإنه | يعطي الرغائب من يشاء ويمنع
وببر والدكم وطاعة أمره | إن الأبر من البنين الأطوع

إن الكـــبير إذا عصــــاه أهلـــه ... ضاقت يداه بــأمره، مــا يصــنع
ودعوا الضغائن، لا تكن من شــأنكم ... إن الضغائن للقرابـــة توضـــع
يزجي عقاربـــهُ ليبعــث بيــنكم ... حربا كما بعث العروق الأخـدع
إن الــذين ترونهـــم إخــوانكم ... يشفي غليل صدورهم أن تصـرعوا
وإذا مضيت إلى ســبيلي فــابعثوا ... رجلاً لــه قلــب حديــد أصــمع
إن الحوادث تختــر مــن وإنمـــا ... عــم الفــتى في أهلــهِ مســتودع
يسعى ويجمــع جاهــدا مســتهترا ... جــدا، وليس بآكــل مــا يجمــع

وقال قيس بن الخطيم المتوفى سنة 611م من قصيدة:

ومــا بعــض الإقامـــة في ديــار ... يهــانُ بهــا الفــتى إلا بــلاء
وبعـــض خلائـــق الأقـــوام داء ... كداء الــبطن لــيس لـــه دواء
يريـــد المــرء أن يعطـــى منـــاه ... ويأبـــى الله إلا مـــا يشـــاء
وكــل شديـــدة نزلــت بقــوم ... ســيأتي بعــد شدتهــا رخـــاء
ولا يعطى الحريص غــنى لحــرص ... وقد ينمــى على الجــود الثــراء
غني النفس مـــا عمــرت غــني ... وفقر النفس مــا عمــرت شــقاء
ولــيس بنــافع ذا البخــل مــال ... ولا مــــزر بصـــاحبه الســـخاء
وبعض الــداء ملــتمس شفـــاء ... وداء النوك لــيس لـــه شــفاء

وقال صالح بن عبد القدوس المتوفى سنة 855هـ:

المــرء يجمـــع والزمــانُ يفــرق ... ويظل يرقــع والخطــوب تمــزق
ولأن يعادي عاقــلا خــير لـــه ... من أن يكونَ لــه صــديق أحمــق
فاربأ بنفسك أن تصــادق أحمقًــا ... إن الصديق على الصديق مصــدق
وزن الكلام إذا نطقــت فإنمـــا ... يبدي عقول ذوي القــول المنطــق
ومن الرجال إذا استوت أخلاقهــم ... من يستشار إذا استشــير فيطــرق

حتى يحل بكل واد قلبه فيرى ويعرف ما يقول فينطق
ما الناس إلا عاملان فعامل قد مات من عطش وآخر يغرق
والناس في طلب المعاش وإنما بالجد يرزق منهم من يرزق
ولو يرزقون الناس حسب عقولهم ألفيت أكثر من ترى يتصدق
لكنه فضل المليك عليهم هذا عليه موسع ومضيق

وقال أيضا:

صرمت حبالك بعد وصلك زينب والدهر فيه تصرم وتقلب
وكذاك وصل الغانيات فإنه آل ببلقعة وبرق خلب
فدع الصبا فلقد عداك زمانه واجهد، فعمرك مر منه الأطيب
ذهب الشباب فما له من عودة وأتى المشيب فأين منه المهرب
دع عنك ما قد فات في زمن الصبا واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
واخش مناقشة الحساب فإنه لابد يحصي ما جنيت ويكتب
والليل، فاعلم، والنهار كلاهما أنفاسنا فيه تعد وتحسب
لم ينسه الملكان حين نسيته بل أثبتاه، وأنت لاهٍ تلعب
والروح فيك وديعةٌ أودعتها ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التي تسعى لها دار حقيقتها متاع يذهب
وجميع ما حصلته وجمعته حقاً يقينا بعد موتك ينهب
تباً لدارٍ لا يدوم نعيمها ومشيدها عما قليل يخرب
لا تأمن الدهر الخؤون لأنه ما زال قدما للرجال يهذب
وكذلك الأيام في غصاتها مضض يذل له الأعز الأنجب
ويفوز بالمال الحقير مكانةً فتراه يرجى ما لديه ويرغب
ويسر بالترحيب عند قدومه ويقام عند سلامه ويقرب

لا تحرصن فالحرص ليس بزائد ... في الرزق بل يشقى الحريص ويتعب
كم عاجز في الناس يأتي رزقه ... رغدا ويحرم كيس ويخيب
فعليك تقوى الله فالزمها تفز ... إن التقي هو البهي الأهيب
واعمل بطاعته تنل منه الرضا ... إن المطيع لربه لمقرب
أد الأمانة، والخيانة فاجتنب ... واعدل ولا تظلم يطيب المكسب
واحذر من المظلوم سهما صائبا ... واعلم بأن دعاءه لا يحجب
وإذا أصابك في زمانك شدة ... وأصابك الخطب الكريه الأصعب
فادع لربك إنه أدنى لمن ... يدعوه من حبل الوريد وأقرب
واحذر مؤاخاة الدني لأنه ... يعدي كما يعدي الصحيح الأجرب
واختر صديقك واصطفيه تفاخرا ... إن القرين إلى المقارن ينسب
ودع الكذوب ولا يكن لك صاحباً ... إن الكذوب لبئس خلاًّ يصحب
وذر الحسود وإن تقادم عهده ... فالحقد باق في الصدور مغيب
واحفظ لسانك واحترز من لفظه ... فالمرء يسلم باللسان ويعطب
وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ... ثرثارةً في كل ناد تخطب
والسر فاكتمه ولا تنطق به ... فهو الأسير لديك إذ لا ينشب
واحرص على حفظ القلوب من الأذى ... فرجوعها بعد التنافر يصعب
إن القلوب إذا تنافر ودها ... شبه الزجاجة كسرها لا يشعب
واحذر عدوك إذ تراه باسما ... فالليث يبدو نابه إذ يغضب
لا خير في ود امرئ متملق ... حلو اللسان وقلبه يتلهب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ منك كما يروغ الثعلب
يلقاك يحلف أنه بك واثق ... وإذا توارى عنك فهو العقرب
وإذا رأيت الرزق ضاق ببلدة ... وخشيت فيها أن يضيق المكسب

فارحل فأرض الله واسعة الفضا … طولاً وعرضًا شرقها والمغرب

وقال أبو الفتح البستي المتوفى ببخارى سنة 400هـ:

زيادة المرء في دنياه نقصانُ … وربحه غير محض الخير خسرانُ

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم … فطالما استعبد الإنسان إحسان

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته … أتطلب الربح مما فيه خسران؟

أقبلْ على النفس واستكمل فضائلها … فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وكن على الدهر مِعوانا لذي أملٍ … يرجو نداك فإن الحر مِعوان

واشدد يديك بحبل الله معتصما … فإنه الركن إن خانتك أركان

من يتق الله يحمد في عواقبه … ويكفهِ شر من عزوا ومن هانوا

من استعانَ بغير الله في طلبٍ … فإن ناصره عجز وخذلان

من كان للخير مناعا فليس له … على الحقيقة خلان وأخدان

من جاد بالمال جاد للناس قاطبة … إليه، والمال للإنسان فتان

من سالم الناس يسلم من غوائلهم … وعاش وهو قرير العين جذلان

من يزرع الشر يحصد في عواقبه … ندامة، ولحصدِ الزرع إبان

من استنام إلى الأشرار نام وفي … رِدائِه منهم صلٌ وثعبان

كن ريق البشر إن الحر همته … صحيفةٌ وعليها البشر عنوان

ورافق الرفق في كل الأمور فلم … يندم رفيق ولم يذممه إنسان

ولا يغرنك حظ جره خرق … فالخُرق هدم ورفق المرء بنيان

أحسن إذا كان إمكان ومقدرة … فلن يدوم على الإحسان إمكان

فالروض يزدان بالأنوار فاغمه … والحر بالعدل والإحسان يزدان

صن حر وجهك لا تهتك غلالته … فكل حر لحر الوجه صوان

دع التكاسل في الخيرات تطلبها … فليس يسعد بالخيرات كسلان

لا ظلّ للمرء يعرى من ى وتقـى … وإن أظلتـ ـــه أوراق وأفنـ ـــان
والناس أعوانُ من والتـه دولتـ ـه … وهم عليـه إذا عادتـ ـه أعـوان
"سبحانُ" من غير مال باقلٌ حصـر … و"باقلٌ" في ثَراءِ المـ ـال سـحبان
لا تودِع السر وشـاء بـه مـذِلاً … فما رعى غنما في الـدو سـرحان
لا تستشر غير ندبٍ حـازم يقِـظ … قد استوى فيـه إسـرار وإعـلان
فللتـدابير فرسـان إذا ركضـوا … فيها أبروا كما للحـرب فرسـان
وللأمـــور موافيـــت مقـــدرةٌ … وكـلّ أمر لـ ـه حـد وميـزان
فلا تكن عجِلاً في الأمـر تطلبـه … فليس يحمد قبل النضـج بحـران
كفى من العيش ما قد سد مِن عوز … ففيـه للحـر قنيـان وغُنيـان
وذو القناعـةِ راض مـن معيشـته … وصاحِب الحرص إن أثرى فغضبان
حسب الفتى عقله خِـلاً يعاشـره … إذا تحامـ ـاه إخـوان وخـلاّن
إذا نبـا بكـريمٍ مـوطن فـ ـله … وراءه في بسـيط الأرض أوطـان
يا ظالمًا فرحِـ ـًا بـالعز سـاعده … إن كنت في سِنةٍ فالـدهر يقظـان
يا أيهـا العـالم المرضـي سـيرته … أبشِر فأنـت بغـير المـاء ريـان
ويا أخا الجهل لو أصبحت في لجـج … فأنت ما بينـها لا شـك ظمـآن
لا تحْسـبن سـرورا دائمـا أبـدا … من سـره زمـن سـاءته أزمـان
وكلّ كسر فـإن الـدين يجبـره … وما لكسر قنـاةِ الـدين جـبران

* * *

وقال ابن أبي بكر المقري المتوفى سنة 785هـ:

زيادة القول تحكي النقْص في العمـل … ومنطق المرء قـد يهديـه للزلـل
إن اللسان صـغير جرمـه ولـ ـه … جرم كبير كما قد قيـل في المثـل
عقلُ الفتى ليس يغني عن مشـاورة … كحِدةِ السيف لا تغني عن البطـل

إن المشاور إمــا صــائب غرضــا | أو مخطئٌ غير منسوب إلى الخطــل
لا تحقر الرأي يأتيــك الحقــير بــه | فالنحل وهو ذباب طــائر العســل
ولا يغرنك ود مــن أخــي أمــل | حــتى تجربــه في غيبــة الأمــل
لا تجزعن لخطب ما بــه حيل | تغني وإلا فلا تعجز عن الحيل
وقد شــكر الفــتى لــك نعمتــه | كقدر صبر الفتى للحادث الجلــل
وإنّ أخوف ج ما خشيت بــــه | ذهاب حريــة أو مرتضــى عمــل
لا تفرحن بســقطات الرجــال ولا | زأ بغيرك واحذر صــولة الــدول
وقيمة المرء ما قــد كــان يحســنه | فاطلب لنفسك ما تعلو به وصِــل
وكل علم جنــاه ممكــن أبــــدا | إلا إذا اعتصم الإنســانُ بالكســل
والمــالَ صــنه وورثــه العــدو لا | تحتج حياتك للاخــوان في الأكــل
فخير مال الفتى مالُ يصــون بــه | عرضا وينفقه في أشــرف الســبل
وأفضل الــبر مــا لا مــن يتبعــه | ولا تقدّمــه شــيء مــن المطــل

* * *

وقال الإمام علي الرضا المتوفى سنة 77هـ:

واعجبـــا للمـــرء في لذتـــــه | يجــر ذيــل التيــــه في خطرتــه
يزجــــره الــوعظ فــلا ينتــهي | كـــأنه الميـــت في سكرتـــــه
يبــــــارز الله بعصيــانــــــه | جهـــرا ولا يخشــاه في خلوتــه
وإن يقـــع في شـــدة يبتهــــل | فـــإن نجـــا عـــاد إلى عادتــه
إرغــب لمــولاك وكــن راشــدا | واعلم بــأنّ العـــز في خدمتــه
واتــل كتــاب الله تهـــد بـــه | واتبــع الشــرع علـــى ســنته
لا تحرصن فالحرص يــزرى بــالفتى | ويــذهب الرونــق مــن جتــه
والحـــظ لا تجلبـــه حيـــلة | كيف يخاف المــرء مــن فوتتــه؟

ما فاتك اليوم سيأتي غدا	**ما في الذي قدر من حيلته**
والرزق مضمون على واحدٍ	**مفاتح الأشياء في قبضته**
قد يرزق العاجز مع عجزه	**ويحرم الكيس مع فِطنته**
لا تنهر المسكين يوما أتى	**فقد اك الله عن رته**
إن عضك الدهر فكن صابرا	**على الذي نالك من عضته**
أو مسك الضر فلا تشتكي	**إلا لمن تطمع في رحمته**
لسانك احفظه وصن نطقه	**واحذر على نفسك من عثرته**
فالصمت زين ووقار وقد	**يؤتى على الإنسان من لفظته**
من أطلق القول بلا مهملة	**لا شك أن يعثر في عجلته**
من لزم الصمت نجا سالمًا	**لا يندم المرءُ على سكتته**
من أظهر الناس على سره	**يستوجب الكي على مقلته**
من مازح الناس استخفوا به	**وكان مذموما على مزحته**
من جعل الخمر شفاءً له	**فلا شفاه الله من علته**
من نازع الأقيال في أمرهم	**بات بعيد الرأس عن جثته**
من لاعب الثعبان في كفه	**هيهات أن يسلم من لسعته**
من عاشر الأحمق في حاله	**كان هو الأحمق في عشرته**
لا تصحب النذل فتردى به	**لا خير في النذل ولا صحبته**
من اعتراك الشك في جنسه	**وحاله فانظُر إلى شيمته**
من غرس الحنظل لا يرتجى	**أن يجتني السكر من غرسته**
من جعل الحق له ناصرا	**أيده الله على نصرته**

وقال أبو العتاهية المتوفى سنة 211هـ:

أنلهو وأيامنا تذهب؟	**ونلعب والموت لا يلعب**

عجبت لـذي لعـب قـد لهـا ... عجبـت ومالـي لا أعجـب
أيلهـو ويلعـب مـن نفسـه ... تمـوت ومنـزله يخـرب
نرى كل مـا ساءنـا دائمـا ... على كـل مـا سرنا يغلـب
نرى الليل يطلبنـا والنهـار ... ولم نـدر أيهمـا أطلـب
أحـاط الجديـدان جميعـا بنـا ... فليس لنـا عنـهما مهـرب
وكـل لـه مـدةٌ تنقضـي ... وكـل لـه أثـر يكتـب

وقال صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى سنة 764هـ:

الجّد في الجد والحرمان في الكسـل ... فانصب تصب عن قريب غاية الأمل
واصبر على كل ما يأتي الزمان بـه ... صبر الحُسام بكف الدارع البطـل
وجانب الحِرص والأطماع تحظ بهـا ... ترجو من العز والتأييـد في عجـل
ولا تكونن على ما فات ذا حـزن ... ولا تظل بمـا أوتيـت ذا جـذل
واستشعر الحلم في كل الأمـور ولا ... تسرع ببادرة يومـًا إلى رجـل
وإن بليت بشخص لا خلاق لـه ... فكن كأنـك لم تسـمع ولم يقـل
ولا تمـار سـفيها في محـاورة ... ولا حليما لكي تقصى عن الزلـل
ولا يغرك من يبـدي بشاشـته ... إليك خدعا فإنّ السم في العسـل
وإن أردت نجاحا في كـل آونـة ... فاكتم أمورك عن حـاف ومنتعـل
إن الفتى من بماضي الحزم متصف ... ومـا تعود نقص القـول والعمـل
ولا يقيم بأرض طـاب مسـكنها ... حتى يقـد أديم السـهل والجبـل
ولا يضيع ساعات الزمـان فلـن ... يعود مـا فات من أيامـه الأول
ولا يراقـب إلا مـن يراقبـه ... ولا يصـاحب إلا كـل ذي نبـل
ولا يعـد عيوبـا للـورى أبـدا ... بل يعتني بالذي فيـه مـن الخلـل
ولا يظن بهـم سـوءًا ولا حسـنا ... بل التجارب تهديـه علـى مهـل

ولا يصد عـن التقـوى بصـيرته | لأ ا للمعـالي أوشـح السبـل
فمن تكن حلة التقـوى ملابسـه | لم يخش في دهره يوما مـن العطـل
من لم تفده صروف الـدهر تجربـةً | فيما يحاول فليسكن مـع الهمـل
من سالمتـه الليالي فليثـق عجـلاً | منها بحرب عدو جـاء بالحيـل
من ضيع الحزم لم يظفـر بحاجتـه | ومن رمى بسهام العجـب لم ينـل
من جاد ساد وأحيا العالمون لـه | بديع حمدٍ يمـدح الفعـل متصل

وقال حسام الدين الواعظي المتوفى سنة 990هـ:

من ضيع الحـزم في أفعالـه نـدما | وظل مكتئبا والقلب قـد سـقما
ما المرءُ إلا الذي طابـت فضـائله | والـدين زيـن العاقـل الفهمـا
والعلم أنفس شيءٍ أنـت ذاخـره | فلا تكن جاهلاً تسـتورث النـدما
تعلم العلـم واجلـس في مجالسـه | ما خاب قط لبيب جـالس العلمـا
والوالدين فأكرم تنج مـن ضـرر | ولا تكن نكدا تسـتوجب النقمـا
ولازم الصمت لا تنطـق بفاحشـة | وأكرم الجار لا تك لـه حرمـا
واحذر من المزح كم في المزح من خطر | كم من صديقين بعد المزح فاختصما
وصبر النفس وأرشدها إذا جهلـت | وإن حضرت طعاما لا تكـن مـا

وقال عمر بن الوردي المتوفى سنة 749هـ مخاطبا ولده:

اعتزلْ ذِكـر الأغـاني والغـزلْ | وقل الفصل وجانـب مـن هـزلْ
ودع الذكـر الأيـام الصبـا | فلأيـام الصبـا نجـم أفَـلْ
واتـركِ الغـادة لا تحفـلْ ا | تمْـس في عـزٍّ رفيـع وتجَـلْ
وافتكر في منتـهى حسـن الـذي | أنـت وه تجـد أمـرا جلـل
واهجر الخمـرة إن كنـت فـتى | كيف يسعى في جنونٍ مـن عقـل؟
واتـق الله فتقـوى الله مـا | جاورت قلـب امـرئ إلا وصـل

ليس من يقطع طرقاً بطلا ... إنما من يتقي الله البطل

كتب الموت على الخلق فكم ... فلّ من جيش وأفنى من دول

أين نمرود وكنعانُ ومن ... ملك الأرض وولى وعزل؟

أين من سادوا وشادوا وبنوا ... هلك الكلّ ولم تغن القُلل؟

أين أرباب الحِجى أهل النهى ... أين أهل العلم والقوم الأول؟

سيعيد الله كلاً منهم ... وسيجزي فاعلاً ما قد فعل

أطلب العلم ولا تكسلْ فما ... أبعد الخير على أهل الكسل

واحتفل للفقه في الدين ولا ... تشتغل عنه بمالٍ وخول

واهجر النوم وحصله فمن ... يعرف المطلوب يحقر ما بذل

لا تقل قد ذهبت أربابه ... كل من سار على الدرب وصل

في ازدياد العلم إرغام العدا ... وجمال العلم إصلاح العمل

جمل المنطق بالنحو فمن ... يحرم الإعراب بالنطق اختبل

إنظم الشعر ولازم مذهبي ... في اطراح الرفدِ لا تبغ النحل

فهو عنوان على الفضل وما ... أحسن الشعر إذا لم يبتذل

أنا لا أختار تقبيلَ يدٍ ... قطعها أجمل من تلك القُبل

ملك كِسرى عنه تغني كِسرةٌ ... وعن البحر اجتزاءٌ بالوشل

اطرح الدنيا فمن عاداتها ... تخفض العالي وتعلي من سفل

عيشةُ الراغب في تحصيلها ... عيشةُ الجاهل فيها أو أقل

كم جهول بات فيها مكثرا ... وعليمٍ بات منها في علل

كم شجاعٍ لم ينل فيها المنى ... وجبان نال غايات الأمل

فاترك الحيلةَ فيها واتكل ... إنما الحيلة في ترك الحيل

لا تقل أصلي وفصلي أبدا ... إنما أصل الفتى ما قد حصل

قد يسود المرءُ من دون أبٍ وبحسن السبك قد ينفي الدغل
إنما الورد من الشوك وما ينبت النرجس إلا من بصل
قيمة الإنسان ما يحسنه أكثر الإنسانُ منه أم أقل
بين تبذير وبخل رتبة وكلا هذين إن زاد قتل
ليس يخلو المرءُ من ضدٍّ ولو حاول العزلة في رأس الجبل
دارِ جار السوء بالصبر وإن لم تجد صبرا فما أحلى النقل
جانب السلطان واحذر بطشه لا تعاند من إذا قال فعل
إن نصف الناس أعداءٌ لمن ولي الأحكام هذا إن عدل
قصر الآمال في الدنيا تفز فدليلُ العقل تقصير الأمل
غب، وزر غِبا تزد حبا فمن أكثر الترداد أقصاه الملل
لا يضر الفضل إقلالٌ كما لا يضر الشمس إطباق الطفل
خذْ بنصل السيف واترك غِمده واعتبر فَضلَ الفتى دون الحُلل
حبك الأوطان عجز ظاهر فاغترب تلق عن الأهل بدل
فبمكث الماء يبقى آسنا وسرى البدر به البدر اكتمل

وقال العميد أبو إسماعيل الطغرائي المتوفى سنة 513هـ[1]:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحليةُ الفضل زانتني لدى العطل[2]
مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل[3]

---

(1) هو العميد إسماعيل الحسين بن علي الملقب بمؤيد الدين المشهور بالطغرائي المتوفى سنة 513هـ.
(2) صانتني: حفظتني. والخطل: الخطأ.
(3) مجد وشرف وشرع: سواء. ورأد الوقت: الذي بعد العصر وقبل الغروب (المعنى) شرفي وقت تجردي من الإمارة وشرفي وقت تسربلي بها سواء. إن حالي كالشمس في كون ضوئها وقت الضحى مخالفًا لضوئها وقت الطفل، ولكنه لم ينقص من ذاتها الواحدة شيئًا، يفتخر بدوام شرفه على اختلاف الأزمان.

فيم الإقامةُ بالزوراء؟ لا سكنى ... ا ولا ناقتي فيها ولا جملي[1]

ناءٍ عن الأهل صفر الكف منفرد ... كالسيف عري متناه عن الخلل

فلا صديق إليه مشتكي حزني ... ولا أنيس إليه منتهى جذلي[2]

طال اغترابي حتى حن راحِلتي ... ورحلها وقرا العسالةِ الذبل[3]

وصج مِن لغب نضوي وعج لما ... ألقى ركابي ولج الركب في عذلي[4]

أريد بسطة كف أستعين ... ا ... على قضاءِ حقوقٍ للعلى قِبلي

والدهر يعكِس آمالي ويقنِعني ... من الغنيمة بعد الكَد بالقَفل[5]

وذي شطاط كصدر الرمح معتقل ... بمثلهِ غير هيابٍ ولا وكل[6]

حلة الفكاهةِ مر الجد قد مزجت ... بشدة البأس منه رقةُ الغزل[7]

---

(1) الزوراء: اسم لبغداد وناء: بعيد. وصفر: خال. وعري: جرد. والخلل: كسوة غمد السيف.

(2) الجذل: السرور (المعنى) اعتزلني الناس ببغداد فلم يأو إلي ا حبيب أبث إليه كدري من جور الزمان فيفرجه عني ويساعدني على صرفه ولا سمير أوصل إليه فرحي فيزيد سروري ويدفع وحشتي.

(3) حن: مال. والراحلة: ما يرحل عليه من الإبل مذكرا كان أو مؤنثًا. والرحل: العدة التي يركب عليها. وقرا: ظهره. العسالة: الاهتزاز. والذبل: الحافة.

(4) ضج: صوت. واللغب: التعب. ونضوي: أي مضوي بمعنى مهزول. وعج: صوت. ولج: تمادى. والعذل: اللوم (المعنى) امتد بعدي حتى صوت من أجل تعبه ركوبتي وصوت المثل ما صادف من تعب السفر إلى أصحابي الذين معي فيه وتمادوا في لومي على هذا السفر الذي امتد ولم ينته إلا لكي أطلب بامتداد بعدي عن وطني ثروة أتساعد بسببها على أداء عادة ثابتة ثبوت مروءة جهتي.

(5) يعكس: يرد. ويقنعني: يرضيني. والكد: التعب. والقفل: الرجوع. (المعنى) والزمن يرد على ما أرجوه ويجعلني بعد التعب في السفر والتغريب راضيا بالرجوع بدل الغنيمة التي هي مطمح نظري في تكبد المصاعب.

(6) شطاط: اعتدال القامة. ومعتقل: قابض. وهياب: خواف وكل عاجز. (المعنى) ورب صاحب اعتدل قامة كاعتدال صدر الرمح معتقل برمح مثله لا يخاف المخاوف ولا يعجز عن شيء من شئونه، التفت إلى وصف صاحب ا ه ذه الأوصاف وغيرها وهو اقتضاب على عادة البلغاء من الالتفاف من فن إلى آخر تنشيطًا للسامع.

(7) مزجت: خلطت. والبأس: الشجاعة، ورقة الغزل: لطف الكلام.

طردت سرح الكرى عن ورد مقلته والليل أغرى سوام النوم بالمقـل[1]
والركب مِيلٌ على الأكوار من طـرب صاح وآخر من خمر الكرى ثمل[2]
فقلت: أدعوك للجلـى لتنصـرني وأنت تخْذُلني في الحادث الجَلـل[3]
تنام عني وعـين الـنجم سـاهرةٌ وتستحيل وصِبغُ الليل لم يحـل[4]
فهل تعين على غيٍّ هممـت بـه والغي يزجر أحيانا عن الفَشـل[5]
إني أريد طروق الحَي مـن إضـم وقد حماه رماةٌ من بـني ثُعـل[6]
يحمونَ بالبيض والسمر اللدان بـه سود الغدائر حمر الحُلى والحلـل[7]
فسِر بنا في ذمام الليـل معتسِـفًا فنفحةُ الطيب تهدينا إلى الحِلـل[8]
فالحب حيثُ العِدا والأسد رابضـةٌ حولَ الكِناس لها غاب من الأسل[9]

---

(1) طردت: أبعدت. وسرح الكرى: وثباته. والورد: الوصول. والمقلة: شحمة العين الجامعة للسوداء والبيضاء. وأغرى: أولع، وسوام: ثبات.

(2) ميل: منحني. وطرب: نشط. وثمل: سكران. (المعنى) وأصحابي منحنون على رحالهم، فريق منهم نشط يقظ لم يتغلب عليه النوم وفريق آخر خمل متثاقل من تغلبه عليه.

(3) الجلى: الأمر العظيم، وتخذلني: تتركني. والحادث الجلل: العظيم.

(4) تستحيل: تتحول. وصبغ: ظلام. ويحل شأني: ينتقل.

(5) غي: ضلال، ويزجر: يمنع (المعنى) قد غفرت ما حصل من تقصيرك في بنومك فهل تساعدني على ضلال أردته ولا تخش عقباه بالذم على فعله.

(6) الطروق: المجيء ليلاً. والحي: القبيلة، وإضم: اسم جبل. وحماه: منعه، ورماة كسعاة: خفراء، وثعل: قبيلة من طيئ.

(7) البيض: السيوف. والسمر: الرماح. واللدان: اللينة، الغدائر: الضفائر من الشعر، والحلى: ما تتحلى به المرأة، والحلل: الثياب المزركشة.

(8) ذمام: كفالة، ومعتسفًا: متكلفًا طريقًا غير مألوف، والحلل: بيوت القوم التي يحلونها.

(9) الحب: المحبوب ورابضة: واقفة، والكناس: بيت الظبـي. والغاب: شجر يسمى بالأسل ملتف على بعضه ويكون مأوى الأسود. (المعنى) المحبوب في مكان به الرقباء ورجال الحي مقيمة حول مكانه مستعدة برماح تصوبها على من يقرب منه.

نؤم ناشئةً بـالجزع قـد سـقيت ـِنصالها بميـاه الغـنج والكحـل[1]
قد زاد طيب أحاديث الكرام ـا ما بالكرائم من جـبن ومـن بخـل
تبيت نار الهـوى منـهن في كبـد حرى ونار القرى منهم على القلل[2]
يقتلن أنضاء حب لا حِـراك ـم وينحرون كرام الخيـل والإبـل[3]
يشفى لـديغُ العـوالي في بيـو م بنهلة من غَدير الخمر والعسـل[4]
لعل لي إلمامـة بـالجزع ثانيـة يدب منها نسيم البرء في عللـي[5]
لا أكره الطعنة النجلاء قد شـفعت برشقَةٍ من ـِنبال الأعـين النجـل[6]
ولا أهاب الصفاح البيض تسـعدني باللمح من خلل الأستار والكلل[7]
ولا أخـل بغـزلان تغازلنـ ـي ولو دهتني أسود الغيـل بالغِيـل[8]

---

(1) نؤم: نقصد. والجزع: منعطف الوادي، والنصال: السيوف. والغنج: حسن شكل العيون. والكحل: سواد يعلو جفون العين خلقة. (المعنى) نقصد بسيرنا قبيلة تربض في منعطف الوادي قد أعطيت عيو ا حسن الشكل والكحل.

(2) مقرى: إكرام الضيف، والقلل: جمع قلة وهي أعلى الجبل.

(3) إن نساء هذه القبيلة يقتلن ببراعة جمالهن عشاقهن حتى أعدم حركتهم عشقهم لهن، ورجالها لفرط كرمهم يذبحون جياد الأفراس والجمال لضيافهم.

(4) أي يبرأ من قتل في حبهن بأول شربة من ريق ثغرهن.

(5) إلمامة: نزولا. ويدب: يسري.

(6) أكره: أبغض، والطعنة النجلاء: الجرح المتسع برمح، وشفعت: قرنت. ورشقة ونبال السهام المراد ا هنا اللحاظ والنجل الواسعات. (المعنى) لا أبغض الوخزة الواحدة من رماح رجال هذه القبيلة مقرونة برمية من لحاظ الأعين الواسعات لنسائها.

(7) الصفاح: السيوف، وخلل الثقب الخفيف النافذ في الشيء والكلل ستر يحاط به شبه الناموسية "المعنى" ولا أخاف ضرب السيوف من رجال هذه القبيلة مسعدة لي بخفيف نظري لها من ثقوب أستار بيو ن وحجرا ن.

(8) أي لا أترك النظر من خلل الأستار إلى نساء هذه القبيلة التي تحادثني ولو أصابتني شجعا ا بالهلاك فجأة.

حب السلامة يثني عزم صاحبه ... عن المعالي ويغري المرء بالكسل[1]
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقًا ... في الأرض أو سلمًا في الجو فاعتزل[2]
ودع غِمار العلى للمقدمين على ... ركوبها واقتنع منهن بالبلل[3]
يرضى الذليل بخفض العيش مسكنة ... والعز عند رسيم الأينق الذلل[4]
فادرأ بها في نحور البيد جافلة ... معارضاتٍ مثاني اللجم بالجُدل[5]
إن العلى حدثتني وهي صادقةٌ ... فيما تحدث أن العز في النقل[6]
لو أن في شرف المأوى بلوغَ منى ... لم تبرح الشمس يوما دارةَ الحَمل
أهبت بالحظ لو ناديت مستمعا ... والحظ عني بالجهال في شغل
لعله إن بدا فضلي ونقصهم ... لعينه نام عنهم أو تنبه لي
أعللُ النفس بالآمال أرقبها ... ما أضيق العيش لولا فسحةُ الأمل
لم أرتض العيش والأيام مقبلةٌ ... فكيف أرضى وقد ولت على عجل
غالى بنفسي عرفاني بقيمتها ... فصنتها عن رخيص القَدر مبتذل
وعادة السيف أن يزهى بجوهره ... وليس يعملُ إلا في يدي بطل
ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني ... حتى أرى دولة الأوغاد والسفل
تقدّمتني أناس كان شوطهم ... وراء خطوي لو أمشي على مهل
هذا جزاءُ امرئ أقرانه درجوا ... ومن قبله فتمنى فسحة الأجل

---

(1) أي الرغبة في النجاة من المشاق تصرف عزم ملازمها عن مكاسب الشرف وتولعه بالتثاقل والفتور عنها.
(2) النفق كجبل سرب في الأرض له منفذ من مكان آخر.
(3) غمار: كثير. والبلل: القليل.
(4) رسيم: سرعة، والأنيق: الذلل أي الإبل المروضة التي ليست بجموحة.
(5) أدفع بهذه الأنيق في أوائل الصحاري، مسرعة مقابلات بأزمتها أعنة الخيل التي تصحبها في السير أي غير متأخرة عنها فيه.
(6) النقل: التحول والانتقال.

فإن علاني من دوني فـلا عجـب — لي أسوةٌ بانحطاط الشمس عن زحل
فاصبر لها غير محتـال ولا ضجـرٍ — في حادث الدهر ما يغني عن الحِيل
أعدى عدوك أدنى من وثقـت بـه — فحاذِر الناس واصحبهم على دخل
فإنما رجـل الدنيـا وواحـدها — من لا يعول في الدنيا علـى رجـل
وحسن ظنـك بالأيـام معجـزةٌ — فَظن شراً وكن منها علـى وجـل
غاض الوفاءُ وفاض الغدر وانفرجت — مسافةُ الخلفِ بين القَول والعمـل
وشانَ صدقك عند الناس كـذ م — وهـل يطـابق معـوج بمعتـدِل
إن كان ينجـع شـيءٌ في ثبـا م — على العهود فَسبق السيف للعـذل
يا واردا سؤر عـيش كلـه كـدر — أنفقت صـفوك في أيامـك الأول
فيم اقِتحامك لج البحـر تركبـه؟ — وأنت تكفيك منه مصـةُ الوشـل
ملك القناعة لا يخشى عليـه ولا — يحتاج فيـه إلى الأنصـار والخـول
ترجو البقاء بـدار لا ثبـات ـا — فهل سمعت بظـل غـير منتقـل؟
ويا خبيرا علـى الأسـرار مطلعـا — أصمت ففي الصمت منجاةٌ من الزلل
قد رشحوك لأمر إن فطنت لـ ـه — فاربأ بنفسِك أن ترعى مع الهمـل

وقال المرحوم عبد الله باشا فكري يخاطب نجله المرحوم أمين باشا:

إذا نام غر في دجى الخطْب فاسـهر — وقم للمعـالي والعـوالي وشمـ ـر
وخلّ أحاديـثَ الأمـاني فإ ـ ـا — علالةُ نفـس العاجـ ـز المتحيـر
وسارع إلى مارمت مادمت قـادرا — عليه فإن لم تبصِر الـنجح فاصـبر
ولا تأتِ أمرا لا ترجـي تمامـ ـه — ولا موردا ما لم تجد حسن مصـدر
وأكثر من الشورى فإنـك إن تصِـب — تجد مادحا أو تخطئ الـرأي تعـذَر
ولا تستشر في الأمر غـير مجـربٍ — لأمثالــهِ أو حـ ـازم متبصــر
ولا تبغ رأيا مـن خـؤون مخـادع — ولا جاهـل غـرٍّ قليـل التـدبر

فمن يتبع في الخَطب خدعة خـائن يعـض بنـانَ النـادم المتحسـر
ومن يتبـع في أمـره رأي جاهـل يقُده إلى أمـر مـن الغـي منكـر
ولا تصغ في رِدِ الصديق لكـاذب نموم وإن يعرض لك الشك فـاخبر
ولا تغترر تنـدم ولا تـك طامعـا تـذَل ولا تحقِـر سـواك تحقـر
وعود مقالَ الصدق نفسك وارضـه تصدق ولا تركن إلى قول مفتـرى
ودع عنك إسراف العطاء ولا يكـن ـِلكفيك في الإنفاق إمسـاك مقتـر
ولا تقــف زلاّتِ العبــادِ تعــدها فلست على هذا الـورى بمسـيطر
ولا تتعــرض لاعتــراض علــيهم دع الخلق للخلاق تسلم وتـؤجر

وقال عبد القيس بن خفاف البرجمي المتوفى سنة 51هـ:

أبـني إن أبـاك كـارب يومـه فإذا دعيت إلى المكـارم فاعجـل
أوصيك إيصاء امرئ لـك ناصـح طَبِنٍ بريب الـدهر غـير مغفـل
الله فاتقِـــه وأوف بنـــذره وإذا حلَفْــت ممارِيــا فتحلــل
والضـيف أكرمـه فـإن مبيتـه حق ولا تـك لعنــة للنــزل
واعلم بأن الضـيف مخـبر هلـه بمبيــتِ ليلتــه وإن لم يســأل
وصل المواصل ما صـفا لـك وده واجذذْ حبـال الخـائن المتبـدل
واحذر محل السـوء لا تحلـل بـه وإذا نبا بـك منــزلٌ فتحـول
واستأن تظفـر في أمـورك كلـها وإذا عزمت على الهـدى فتوكـل
واستغن ما أغنـاك ربـك بـالغنى وإذا تصبك خصاصـة، فتحمـل
وإذا افتقرت فلا تكـن متجشـعا ترجو الفواضِل عند غـير المفضـل
وإذا تشــاجر في فــؤادك مــرة أمران فاعمـد للأعـف الأجمـل
وإذا هممت بـأمر سـوءٍ فاتئـد وإذا هممت بأمر خـيرٍ فاعجـل

وقال فقيد اللغة ناصف بن عبد الله البازجي اللبناني المتوفى سنة 1287هـ:

دع يوم أمس وخذ في شأن يوم غد ... واعدد لنفسك فيه أفضل العدد
واقنع بما قسم الله الكريم ولا ... تبسط يديك لنيل الرزق من أحد
والبس لكل زمانٌ بردة حضرت ... حتى تحاك لك الأخرى من السرد
ودر مع الدهر انظر في عواقبه ... حذار أن تبتلى عيناك بالرمد
متى ترى الكلب في أيام دولته ... فاجعل لرجليك أطواقًا من الزرد
واعلم بأن عليك العار تلبسه ... من عضة الكلب لا من عضة الأسد
لا تأمل الخير من ذي نعمة حدثت ... فهو الحريص على أثوابه الجدد

وقال مؤلف هذا الكتاب السيد أحمد الهاشمي معارضا لامية الطغرائي:

عليك بالصبر والإخلاص في العمل ... ولازم الخير في حِل ومرتحَل
وجانب الشر واعلم أن صاحبه ... لا بد يجزاه في سهل وفي جبل
واثبت ثبات الرواسي الشامخات ولا ... تركن إلى فشل في ساعة الوهل
وكن كرضوى لما يعروك من نوب ... ولا تكن جازعا في الحادث الجلل
واصبر على مضض الأيام محتملا ... ففيه فرع لباب النجح والأمل
تأن متئدا فيما تروم ولا ... تعجل وإن خلق الإنسان من عجل
لا تطلب العِز في دار ولدت بها ... فالعز عند رسيم الأينق الذلل
شم وجد لأمر أنت طالبه ... إذ لا تنالُ المعالي قط بالكسل
واحذر مساوئ أخلاق تشان بها ... وأسوأ السوء سوءُ الخلق والبخل
واخفض جناحك للمولى وجد ونل ... ما أقبح الكِبر والإمساك بالرجل
لا تسأل النذلَ واقصد ماجدا حدبا ... في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
ولا تجادل جهولا ليس يفهم ما ... تقولُ فالشر كل الشر في الجدل
ولا تكن لحلول الخطب مضطربا ... في حادث الدهر ما يغني عن الحيل
الجود أحسن ما أوليت من خلق ... والعفو أنقى لداء الضغن والدخل

والحلم ملح فساد الأمـر يصـلحه والبذلُ خير فِعال الماجـد البطـل
لا تقتحم غمرات البحـر مرتكبـا وأنت يكفيك منه مصـة الوشـل
ولا تعاشر سوى حزم أخـا ثقـة واربأ بنفسك أن ترعى مع الهمـل
لا تنخدع لصـديق يـدعي ملقـا بل حاذر الناس واصحبهم على دخـل
ولا تأمنن أحدا واحذر مكائـدهم وظن شراً وكن منهم على وجـل
ولا تغرنــك الــدنيا بزهر ــ ــا فهل سمعــت بظـل غـير منتقـل
إن الغني غـني الـنفس في كـرم بالطبع لا باقتناء الشـاء والابـل
إن الصـنيعة للأنـذال تفسـدهم كما تضر رياح الـورد بالجُعـ ــل
مرارة النصح تحلولي مضاضتهـ ـا وربما صحت الأجسـام بالعلـل
دع التكلــف لا يجـديك منفعـة ليس التكحل في العينين كالكحـل
أرى الرعاء رعاء الشاء في تـرفٍ في أرفع العيش بين الخيل والخـول
وسادة العصر قد ألقَـوا مقالِـدهم إلى الطغام شِرار النـاس والسـفل
تحكموا في قضايا الناس واحتكمـوا وحكموا كل ذي جهل أخي خبـل
من كل غر جهول لا يرى رشـدا كباقل مـثلاً في العـي والخطـل
تعسا لشر زمان ظـل طـوع يـد اللئام يسقيهم علاً علـى ــ ــل
القبض والبسط في أيدي ذوي شـطط من كل سكران من خمر الهوى ثمـل
تسطو الكلاب على أسدِ الشرى سفَها والباز الأشهب يخشى صولة الحجل
والقرد يضحك من نمر على هـزؤ والكلب يوعِد ليث الغيل بالغيـل
نالَ المرام علـوج لا خـلاق لهـم فوق المؤمل من شـيٍّ ومكتـهل
أملى لهم دهرهم فاسـتمهلوا أبـدا مرخى لهم من مروع العيش والطول
شر العصور زمـانٌ يسـتمد بـه خِب لئيم عَدا في الشـر كالثمـل
لا يعلم الرشد من غَي وليس لـ ــه سوى الشرارة في قول وفي عمـل

يشكو الطوى كل ذي فضل وذي أرب وسوقةُ الناس في رغـد وفي جـذل
ما لي وللبلـدةِ الحمقـاء أسـكنها مساكنا لذوي خـرق أولى حِيـل
ولـيس لي ناقـةٌ فيهـا ولا جمـل وليس لي ثم مـن ثـور ولا حمـل
لا يسـتقيم وفـاق لي بمثلهــ ـم وهـل يطـابق معـوج بمعتـدل؟
قد ذقتهم وبلوت الحـال عنـدهم فما حصلت على صـاب ولا عسل
لا يفعلون إذا قالوا فقـد بعـدت مسافة الخلف بين القول والعمـل
أضحت مواعيد عرقوب لهم مـثلا وما مواعيـدهم إلا علـى دخـل
أشكو الزمـان وأهليـه وأمقتـهم إذ سوءُ أفعالهم أوفى علـى القلـل
ساءت سرير م، حالت طريقتـهم زاغت بصير م عن أقـوم السـبل
علم بلا عمل، حكم بـلا حكـم ظلم على عجل وعد علـى مهـل
الإفك والزور والبـهتان عنـدهم مستهجن من صفات العاجز الوكل
أهنى الطعام لحوم النـاس عنـدهم والنم فيما لديهم شـربة العسـل
نكثُ العهود سـجاياهم ودأ ـم خلف الوعـود وذا أسـوإ الثقـل
يا دهر مالك والأحـرار تقهـرهم تذل كل كـريم الأصـل مقتبـل
حتى متى يا زمان السوء تفعل مـا تشيب فيه النواصي غـير محتمـل
تؤخر الفاعـل المرفـوع تحفظـه مقدما لمفاعيـل علـى البـدل
وسافة الجيش قد أضحت مقدمـة مثل التليل غدا في مـؤخر الكفـل
فلست أحفظ في ذي الدهر من أسف أطال أيام عمـري أم دنـا أجلـي
واها لقلبي يـوم الـبين إذ ظعنـوا فالعين في لجج والقلـب في شـغل
كيف التصبر من ناري نوى وجوى؟ وفي الحشا نكءُ جرح غير مندمل
فقد فقدت الألى كانت ببهجتـهم نور النواظر في الأحـداق والمقـل
لم أكتحل بقرار بعد مـا ارتحلـوا ولا ابتغيت لهم في الناس من بـدل

لم يبق لي الدهر بعد البين من جلـد ما أسـتطيع بـه توديـع مرتحـل
ولا من الغمض ما أقرى الخيال بـه ولا من الدمع ما أبكي على طلـل
قلبي على لهبٍ والجسم في نصـبٍ والروح في وصب واللب في ذهـل
حسبي الغرام حليف والجوى أبـدا منادمـا، وسـير غـير منفصـل
خـذها محـبرة غيـداءَ غانيـة أتت على عجل كالقابس العجـل
جاءت من (الهاشمي) لا تبتغي مهـراً من خاطب لبنات النظم في عطـل

وقال محمد اليمني بنجم الدين المتوفى سنة 569هـ:

ولا تحتقِرنْ كيد الضـعيف فربمـا تموت الأفاعي من سموم العقـارب
وقدهد قِدما عرش بلقيس هدهـد وخرب حفر الفـأر سـد مـأرب
إذا كان رأس المال عمرك فـاحترز عليه من الأنفاق في غـير واجـب
فبين اختلاف الليل والصبح معـرك يكـر علينـا جيشـه بالعجائـب
وما راعني غـدر الشـباب لأنـني أنِست بهذا الخلق من كل صـاحب
وغَدر الفـتى في عهـدِه ووفائِـه وغدر المواضي في نبـو المضـاربِ

وقال الحريري المتوفى سنة 516هـ:

سـامِح أخـاك إذا خلـط مـنه الإصـابة بالغلـط
وتجـاف عـن تعنيفـه إن زاغَ يومـاً أو سـقَطْ
واحفـظ صنيعـك عنـده شكـر الصـنيعة أو غمـط
وأطِعـه إن عاصـى، وهـن إن عـز، وادن إذا شحط
واقـن الوفـاءَ ولـو أخـل بمـا اشـترطت ومـا اشـترط
واعلـم بأنـك إن طلبـت مهـذبا رمـت الشـطط
من ذا الـذي مـا سـاءَ قـط ومـن لـه الحسـنى فقـط؟

وقال أيضاً:

اسمع أخـي وصـيةً مـن ناصـح ... ما شاب محض النصح منـه بغشـهِ
لا تعجلـن بقضـيةٍ مبتوتـةٍ ... في مدح مـن لم تبلـه أو خدشـهِ
وقفِ القضيةَ فيـهِ حـتى تجتلـي ... وصفَيهِ في حـالي رضـاه وبطشـهِ
فهناك إن تـر مـا يشـين فـواره ... كرما وإن تر مـا يـزين فأفشـه
واعلم بأن التبر في عِـرق الثـرى ... خـافٍ إلى أن يسـتثار بنبشـهِ
وفضـيلة الـدينار يظهـر سـرها ... من حكهِ لا مـن ملاحـةِ نقشـه
ومن الغبـاوة أن تعظـم جـاهلاً ... لِصِقال ملبسـه ورونـق رفشـهِ
أو أن تهـين مهـذبا في نفسـه ... لِـدروس بزتـهِ ورثّـةِ فرشـهِ

الباب التاسع في العلم

قال مؤيد الدين الأصبهاني المعروف بالطغرائي المتوفى سنة 513هـ:

من قـاس بـالعلم الثـراء فإنـه ... في حكمه أعمى البصـيرة كـاذب
العلـم تخْدِمـه بنفسـك دائمـا ... والمال يخدم عنـك فيـه نائـب
والمال يسـلب أو يبيـد لحـادثٍ ... والعلم لا يخشى عليـه السـالب
والعلم نقـش في فـؤادك راسـخ ... والمال ظِل عـن فنائـك ذاهـب
هذا على الإنفـاق يغـزر فيضـه ... أبدا وذلك حـين تنفِـق ناضِـب
العلم أشرف شـيءٍ قالـه رجـلٌ ... من لم يكن فيه علم لم يكن رجـلا
تعلم العلْم واعمل يـا أخـي بـهِ ... فالعلم زين لمن بالعلم قـد عمِـلا
العلم مبلـغ قـومٍ ذروةَ الشـرف ... وصاحب العلم محفوظ من التلـفِ
يا صاحب العلم مهـلا لا تدنسـه ... بالموبقات، فما للعلم مـن خلـفِ
العلم يرفع بيتا لا عمـاد لـه ... والجهل يهدِم بيت العز والشـرفِ
لو كان نور العلـم يـدرك بـالمنى ... ما كان يبقـى في البريـة جاهـل

اجهد ولا تكسل ولا تك غافلا ... فندامة العقبى لمن يتكاسل

وفي الجهل قبل الموتِ موت لأهله ... وأجسادهم دونَ القُبور قُبور

وإن امرأ لم يحي بالعلم قلبه ... فليس له حتى النشور نشور

لكل مجد في الورى نفع فاضِلٍ ... وليس يفيد العلم من دون عامِل

يسابق بعض الناس بعضا بجدهم ... وما كل كرٍ بالهَوى كر باسِل

إذا لم يكن نفع لذي العلم والحجا ... فما هو بين الناس إلا كجاهِل

كذاك إذا لم ينفع المرء غيره ... يعد كشوكٍ بين زهر الخمائِل

يا ساعيا وطِلاب المال هِمته ... إني أراك ضعيف العقْل والدين

عليك بالعلم لا تطلب له بدلاً ... واعلم بأنك فيهِ غير مغبون

العلم يجدي ويبقى للفتى أبدا ... والمال يفنى وإن أجدى إلى حين

هذاك عز وذا ذل لصاحبِه ... ما زال بالبعد بين العز والهون

العلم زين وتشريف لصاحبِه ... فاطلب هديت فنون العلم والأدبا

كم سيدٍ بطَل آباؤه نجب ... كانوا الرؤوس فأمسى بعدهم ذَنبا

ومقْرفٍ خامِل الآباء ذي أدب ... نالَ المعاليَ بالآداب والرتبا

العلم كنز وذخر لا فناء له ... نعم القرين إذا ما صاحِب صَحِبا

قد يجمع المال شخص ثم يحرمه ... عما قليل فيلقى الذل والحَربا

وجامع العلم مغبوط به أبدا ... ولا يحاذِر منه الفوت والسلبا

يا جامع العِلم نعم الذخر تجمعه ... ولا تعدلن به درا لا ذهبا

بالعلم والعقل لا بالمال والذهب ... يزداد رفع الفتى قَدرا بلا طلبِ

فالعلم طوق النهى يزهو به شرفًا ... والجهلُ قيد له يبليه باللعب

كم يرفع العلم أشخاصا إلى رتب ... ويخفض الجهلُ أشرافًا بلا أدب

العلم كنز فلا تفْنى ذخائره ... والمرءُ ما زال علما زاد بالرتب

فالعلم فاطلب لكي يجديك جـوهره ... كالقوت للجسم لا تطلب غِنى الـذهب
العلم زين فكـن للعلـم مكتسـبا ... وكن له طالبا ما عِشـت مقتبسـا
أركن إليه وثق بـالله واغـن بـه ... وكن حليما رزين العقـل محترسـا
وكن فتى سالكًا محض التقى ورعـا ... للدين مغتنما في العلـم منغمسـا
فمن تخلـق بـالآداب ظـلّ بـها ... رئيس قوم إذا ما فـارق الرؤسـا
الناس من جهـة التمثـال أكفـاءُ ... أبـوهم آدم والأم حـواءُ
فإن يكن لهم في أصـلهم شـرف ... يفـاخرون بـه فـالطين والمـاءُ
ما الفخر إلا لأهـل العلـم إنهـم ... على الهدى لمـن اسـتهدى أدِلاء
وقدر كل امرئ ما كـان يحسـنه ... والجاهلون لأهـل العلـم أعـداء
وإن أتيت بجـود في ذَوي نسـب ... فإن نسبتنـا جـود وعليـاء
ففُز بعلم تعِـش حيـاً بـه أبـدا ... الناس موتى وأهل العلـم أحيـاء
العلم يغرس كل فَضـلٍ فاجتهـد ... ألا يفوتـك فضـلَ ذاك المغـرس
واعلم بـأن العلـم لـيس ينالُـه ... مـن همـه في مطعـم أو ملـبس
إلا أخو العلم الـذي يزهـو بـه ... في حالتيـه عاريـا أو مكتسـي
فاجعل لنفسك منه حظـا وافـرا ... واهجر لـه طيب الرقادِ وعـبس
فلعل يوما أن حضـرت بمجلـس ... كنت الرئيس وفَخر ذاك المجلـس

وقال المرحوم أحمد شوقي بك في العلم والمعلم والتعليم:

قُـم للمعلـم وفِّـهِ التبجـيلا ... كـاد المعلـم أن يكـون رسـولا
أعلمت أشرف أو أجل من الـذي ... يـبني وينشـئ أنفسـا وعقـولا؟
سـبحانك اللّهـم، خـير معلـم ... علمـت بـالقلم القُـرون الأولى
أخرجت هذا العقل مـن ظُلماتـه ... وهديتـه النـور المُـبين سـبيلا
وطبعتـه بيـدِ المعلـم، تـارة ... صدأ الحديدِ، وتـارة مصـقولا

أرسلت بالتوراة موسى مرشدا ... وابن البتول فعلم الإنجيلا
وفجرت ينبوع البيان محمدا ... فسقى الحديث وناول التنزيلا
علمت يونانا ومصر فزالتا ... عن كل شمس ما تريد أفولا
واليوم أصبحنا بحالِ طفولةٍ ... في العلم تلتمسانه تطفيلا
من مشرق الأرض الشموس تظاهرت ... ما بال مغربها عليه أديلا
يا أرض مذ فقد المعلم نفسه ... بين الشموس وبين شرقك حيلا
ذهب الذين حموا حقيقة علمهم ... واستعذبوا فيها العذاب وبيلا
في عالم صحب الحَياة مقيدا ... بالفرد، مخزوما به، مغلولا
صرعته دنيا المُستبد كما هوت ... من ضربة الشمس الرؤوس ذهولا
سقراط أعطى الكأس وهي منية ... شفتي محب يشتهي التقبيلا
عرضوا الحياة عليه وهي غباوةٌ ... فأبى وآثر أن يموت نبيلا
إن الشجاعة في القلوب كثيرةٌ ... ووجدت شجعان العقول قليلا
أمعلمي الوادي وساسة نشئه ... والطابعين شبابه المأمولا
والحاملين إذا دعوا ليعلموا ... عبء الأمانةِ، فادحا مسئولا
ونيت خطا التعليم بعد محمد ... ومشى الهُوينا بعد إسماعيلا
حتى رأينا مصر تخطو إصبعا ... في العلم، إن مشتِ الممالك ميلا
تلك الكفور وحشوها أميةٌ ... من عهدِ (خوفو) لم تر القنديلا
تجد الذين (بنى) المسلةَ جدهم ... لا يحسنون لإبرة تشكيلا!
ويدللونَ إذا أريد قيادهم ... كالبهم تأنس إذ ترى التدليلا
يتلو الرجال عليهم شهواتهم ... فالناجحونَ ألذهم ترتيلا
الجهل لا تحيا عليه جماعةٌ ... كيف الحياة على يدي عِزريلا؟
ربوا على الانصاف فتيان الحمى ... تجدوهم كهف الحقوق كهولا

فهو الذي يـبني الطبـاع قويمـة وهو الذي يبني النفـوس عـدولا
وتقيم منطق كـل أعـوج منطـق ويريـد رأيـا في الأمـور أصـيلا
وإذا المعلم لم يكـن عـدلا مشـى روح العدالة في الشـباب ضـئيلا
وإذا المعلـم سـاء لحـظ بصـيرة جاءت على يده البصـائر حـولا
وإذا أتى الإرشاد من سبب الهـوى ومن الغرور فسـمه التضليـلا
وإذا أصيب القـوم في أخلاقهـم فـأقم علـيهم مأتمًـا وعويـلا
إني لأعذُركم وأحسـب عِبئكم من بـين أعبـاء الرجـال ثقـيلا
وجد المساعد غيركـم وحرمتمـو في مصر عـون الأمهـاتِ جلـيلا
وإذا النســاء نشـأن في أميـةٍ رضع الرجـالُ جهالـة وخمـولا
ليس اليتيم من انتهى أبـواه مـن هم الحيـاة وخلفـاه ذليـلا
فأصاب بالدنيا الحكيمـة منـهما وبحسـن تربيـة الزمـان بـديلا
إن اليتيم هو الـذي تلقـي لـه أمـا تخلـت أو أبـا مشـغولا

* * *

الباب العاشر: في العقل

لولا العقـول لكـان أدنى ضـيغمٍ أدنى إلى شـرفٍ مـن الإنسـان
ولربمـا طعـن الفـتى أقرانـه بـالرأي قبـلَ تطـاعن الأقـران
ألم تـر أن العقـلَ زيـن لأهلـه ولكن تمام العقل طـول التجـارب
يقول لك العقل الذي زين الفـتى إذا لم تكـن تقـدِر عـدوك دارِهِ
ولاقِهِ بالترحيب والبشر والقـرى وبارك لـه ما دمت تحت اقتـداره
وقبل يد الجاني التي لسـت قـادرا على قطعها وارقب سقوط جـداره
العقلُ حلة فخـر مـن تسـربلها كانت لـه نسبا تغني عن النسـب
والعقلُ أفضل ما في الناس كلـهم بالعقل ينجو الفتى من حومة الطلـب
وأفضل قسـم اللهِ للمـرء عقلـه فليس من الخيرات شـيءٌ يقاربـه

يعيش الفتى بالعقل في النـاس إنـه — على العقل يجري علمـه وتجاربـه
يشين الفتى في الناس قِلـةُ عقلـه — وإن كرمـت أعراقـه ومناسـبه
إذا أكمل الـرحمن للمـرء عقلـه — فقـد كملـت أخلاقـه ومآربـه
مـا وهـب الله لامـرئٍ هبــة — أشرف مـن عقلـه ومـن أدبـه
همـا حيـاةَ الفـتى فـإن عـدما — فـإن فقـد الحيـاةِ أجمـل بـه
يعد رفيع القوم من كـان عـاقلاً — وإن لم يكـن في قومـه بحسـيب
وإن حل أرضا عاش فيهـا بعقلـه — ومـا عاقـل في بلـدة بغريـب
ومن كان ذا مال ولم يـك عـاقلا — فذاك حمـار حملـوه مـن التـبر
أرى العقل مِرآة الطبيعـة إذ بـه — نرى صور الأشياءِ في عالم الفكـر
ذو العقل في معترك الأقدار مقتـدر — لكن ذا الجهل مغلـوب ومغلـولُ
وعقل ذي الحزم مرآة الأمور ـا — يرى الحقائق، وا هـولُ مجهـولُ
وعقـولُ الأنـام لـو تسـتوي لم — يك فـرق بـين الغـبي والنبيـه
محور الأرض لـو غـدا مسـتقيما — لتسـاوى النـهار والليـل فيـه

* * *

الباب الحادي عشر: في الأدب

قال أبو تمام في مكارم الأخلاق:

إذا جاريــت في خلــق دنيئًــا — فأنــت ومــن تجــاريه ســواءُ
رأيــت الحُــر يجتنــب المخــازي — ويحميــه عــن الغــدر الوفــاءُ
ومــا مــن شــدة إلا سيــأتي — لهـا من بعـد شد ـا رخـاء
لقد جربـت هـذا الـدهر حـتى — أفـادتني التجـارب والعنـاء
يعيش المـرءُ مـا اسـتحيا بخـير — ويبقى العود متـا بقـي اللحـاء
إذا لم تخــش عاقبــة الليــالي — ولم تستح فاصـنع مـا تشـاء

وقال أيضا في الحرية:

سأصرف وجهي عن بلاد غدا بها ... لساني معقولا وقلبي مقفلا
وإن صريح الحزم والرأي لامرئ ... إذا بلغته الشمس أن يتحولا

وقال أبو فراس الحمداني في نتيجة الاختبار والتجارب:

لا أشتري بعد التجارب صاحبا ... إلى وددت بأنني لم أشره
وتركت حلو العيش لم أحفل به ... لما رأيت أعزه في مره
والمرء ليس بغانم في أرضه ... كالصقر ليس بصائد في وكره

وقال أبو العلاء المعري في الشيوخ المتظاهرة بالصلاح:

لئن قدرت فلا تفعل سوى حسن ... بين الأنام وجانب كل ما قبحا
فكم شيوخ غدوا بيضا مفارقهم ... يسبحون وباتوا في الخنا سبحا
وليس عندهم دين ولا نسك ... فلا تغرك أيد تحمل السبحا
لو تعقلُ الأرض ودت أنها صفرت ... منهم فلم ير فيها ناظر شبحا

وقال الطغرائي في المقارنة بين العدو والحسود:

جامل عدوك ما استطعت فإنه ... بالرفق يطمع في صلاح الفاسد
واحذر حسودك ما استطعت فإنه ... إن نمت عنه فليس عنك براقد
إن الحسود وإن أراك توددا ... منه أضر من العدو الحاقد
ولربما رضي العدو إذا رأى ... منك الجميل فصار غير معاند
ورضا الحسود زوالُ نعمتك التي ... أوتيتها من طارف أو تالد
فاصبر على غيظ الحسود فناره ... ترمي حشاه بالعذاب الخالد
أو ما رأيت النار تأكلُ نفسها ... حتى تعود إلى الرماد الهامد
تضفو على المحسود نعمة ربه ... ويذوب من كمدٍ فؤاد الحاسد

وقال ابن الرومي في عدم الإكثار من الأصحاب:

عدوك من صديقك مستفاد ... فلا تستكثرن من الصحاب

فـإن الـداءَ أكثـر مـا تـراه … يكون مـن الطعـام أو الشـراب
إذا انقلب الصـديق غـدا عـدوا … مبينـا والأمـور إلى انقـلاب
ولو كان الكـثير يطيـب كانـت … مصاحبة الكـثير مـن الصـواب

وقال في الانفراد والوحدة:

ذقت الطعوم فما التذَذت براحـة … من صـحبة الأخيـار والأشـرار
أما الصـديق فـلا أحـب لقـاءه … حذر القلى وكراهـة الإعـوار
وأرى العدو قـذًى فـأكره قربـه … فهجرت هذا الخلق عـن أعـذار
من جور إخوان الزمان سـرورهم … بتفاضل الأحـوال والأخطـار
لـو أن إن الصـفاء تناصـفوا … لم يفرحـوا بتفاضـل الأعمـار
أأحـب قومـًا لم يحبـوا ربـهم … إلا لفـردوس لديـه ونـار!؟

وقال المتنبي يلفت نظر العقلاء إلى طلب المعالي:

إذا غـامرت في شـرف مـروم … فـلا تقنـع بمـا دون النجـوم
فطعـم المـوت في أمـر حقـير … كطعـم المـوت في أمـر عظـيم
يـرى الجبنـاءُ أن العجـز عقـل … وتلـك خديعـة الطبـع اللئـيم
وكـل شـجاعة في المـرء تغـني … ولا مثـلَ الشـجاعة في الحكـيم
وكم من عائـب قـولاً صـحيحا … وآفتـه مـن الفهـم السـقيم

وقال بشار بن برد في وصف الأخ الحقيقي:

خير إخوانـك المشـارك في المُـر … وأيـن الشـريك في المـر أينـا؟
الذي إن شهدت سـرك في الحـي … وإن غبت كـان أذنـا وعينـا
مثل سِر اليـاقوت إن مسـه النـا … ر جـلاه البـلاء فـازداد زينـا
أنت في معشـر إذا غبـت عنـهم … بدلوا كل مـا يزينـك شينـا
وإذا مـا رأوك قـالوا جميعـا … أنت مـن أكـرم البرايـا علينـا

مـا أرى للأنـام وداً صـحيحا عـاد كـل الـورى زورا ومينـا

وقال أبو العتاهية في صنع الجميل مع الناس:

خـير أيـام الفـتى يـوم نفـع واصطناع الخير أبقـى مـا صـنع
مـا ينـالُ الخـير بالشـر ولا يحصـد الـزارع إلا مـا زرع
خذ من الدنيا الـذي درت بـه واسلُ عمـا بان منـها وانقطـع
إنمـا الـدنيا متـاع زائـلٌ فاقتصد فيـه وخـذ منـه ودع
وارض للناس بمـا ترضـى بـه واتبـع الحـق فنعـم المتبـع
كن ابن من شئت واكتسب أدبـا يغنيـك محمـوده عـن النسـب
إن الفـتى مـن يقـول هأنـذا ليس الفتى مـن يقـول كـان أبي
لكـل شـيءٍ زينـة في الـورى وزينـة المـرء تمـام الأدبِ
قـد يشـرف المـرءُ بآدابـه فينا وإن كـان وضـيع النسـب

وأنشد أبو عبد الله نفطويه لنفسه في كون التعلم في الصغر كالنقش في الحجر:

أراني أنسى ما تعلمـت في الكبـر ولست بناس ما تعلمت في الصـغر
ولو فُلق القلب المعلـم في الصـبا لألفي فيه العلم كالنقش في الحجـر
وما العلم بعد الشيب إلا تعسـف إذا كَل قلب المرء والسمع والبصـر
وما المرء إلا اثنان: عقـل ومنطـق فمن فاته هذا وهذا فقـد دمـر[1]

ومما ينشد خلف الأحمر[2] في كون ميراث العلم أبقى من ميراث المال:

خـير مـا ورث الرجـال بنـيهم أدب صـالح وحسـن ثنـاءِ
هـو خـير مـن الـدنانير والأو راق[3] في يـوم شـدة ورخـاءِ

(1) أي هلك.
(2) كان راوية للشعر والأدب وشيخا من شيوخ النحويين البصريين توفي سنة 180هـ.
(3) جمع ورق مثلثة وهي الدراهم المضروبة من الفضة.

تلك تفنى، والدين والأدب الصالح لا يفنيان حتى اللقاء[1]
إن تأدبت يا بني صغيرا كنت يومًا تعد في الكبراء
وإذا ما أضعت نفسك ألفيت[2] كبيرا[3] في زمرة الغوغاء

ليس عطفي للعود إن كان رطبا وإذا كان يابسًا بسواء

ومن شعر المنصور الفقيه في كون العلم بلا عمل كشجر بلا ثمر:

أيها الطالب الحريص تعلم إن للحق مذهبا قد ضللته
ليس يجدي عليك علمك إن لم تك مستعملا لما قد علمته
قد لعمري اغتربت في طلب العلم وحاولت جمعه فجمعته
ولقيت الرجالَ فيه وزاحمت عليه الجميع حتى سمعته
ثم ضيعت أو نسيت، وما ينفع علم نسيته أو أضعته
وسواءٌ عليك علمك إن لم يجدِ نفعاً عليه أم ما جهلته
كم إلى كم تخادع النفس جهلا ثم تجري خلاف ما قد عرفته
تصف الحق والطريق إليه فإذا ما عملت خالفت سمته

وقال محمود سامي باشا البارودي في انتهاز الفرصة:

بادر الفرصة واحذر فوتها فبلوغ العز في نيل الفرص
واغتنم عمرك إبان الصبا فهو إن زاد مع الشيب نقص
وابتدر مسعاك واعلم أن من بادر الصيد مع الفجر قنص
واجتنب كل غبي مائق فهو كالعير[4] إذا جد قمص

---

(1) يوم اللقاء أي لقاء الله وهو يوم القيامة.
(2) نصب على الحال.
(3) أي وجدت.
(4) الحمار.

إنمـا الجاهـلُ في العـين قذًى حيثما كان، وفي الصدر غصص
واختبر من شئت تعرفه، فما يعرف الأخلاق إلا من فحص
إن ذا الحاجة إن لم يغترب عن حماه مثل طير في قفص

وقال أبو إسحاق إبراهيم الغزي في كون الحركة بركة[1]:

بمسيره نقص الهلال، وزادا فاجعل كراك[2] إذا اعتزمت سهادا[3]
لولا انصلات[4] البيض[5] من أغمادها[6] مشحوذة لم تفضل الأغمادا
وفضيلةُ الحيوان في حركاته لولا منافعه لكان جمادا
ما العمر إلا راحلٌ، وأظنه اتخذ الشبيبة للمسافة زادا
لا تخلعن عن اللسان لجامه وتوق فرط جماحه المعتادا
فالله خص الاستماع بآلة مثنى، وجارحة الكلام فرادى

وقال أبو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي[7] في طلب العلا:

حاولْ جسيمات الأمور، ولا تقل إن المحامد والعلا أرزاق
وارغب بنفسك أن تكون مقصرا عن غاية فيها الطلاب سباق
لا تشفقن فإن يومك إن أتى ميقاته لم ينفع الإشفاق

---

(1) هو إبراهيم بن يحيى بن عثمان الكلبي شاعر مجيد صاحب مطولات ولد بغزة سنة 441هـ وتصرفت به الأحوال فذهب إلى المشرق ومات بين مرو وبلخ سنة 524هـ.
(2) الكرى النوم.
(3) السهاد السهر.
(4) تجرد.
(5) السيوف.
(6) جمع غمد وهو قراب السيف.
(7) هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر المشهور بابن نباتة. وينسب إلى سعد تميم وعد في شعراء سيف الدولة الحمداني، وله ديوان حافل توفي سنة 405 ببغداد. وهو القائل:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والموت واحد

وإذا عجزت عن العدو فداره وامزح له إن المزاح وفاق
فالنار بالماء الذي هو ضدها تعطي النضاح، وطبعها الإحراق

وقال المعتمد بن عباد في وجوب التضحية لفدية الوطن:

إن يسلب القوم العدى ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم نزالهم ألا تحصنني الدروع
وبرزت ليس سوى القميص على الحشا شيء دفوع
أجلي تأخر لم يكن بهواي ذلي والخضوع
ما سرت قط إلى القتال وكان من أملي الرجوع
شيم الأولى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع

وقال موسى بن عبد الله في وجوب عدم الثقة بالغير:

تولت بهجة الدنيا فكل جديدها خلق
وخان الناس كلهم فما أدري بمن أثق
رأيت معالم الخير ات سدت دونها الطرق
فلا أدب ولا كرم ولا فضلٌ ولا خلق
فلست مصدق الأقوام في شيء وإن صدقوا

وقال الأبيوردي الأموي المتوفى سنة 557هـ بخراسان في تقلب الزمان:

ملكنا أقاليم البلاد فأذعنت لنا رغبةً أو رهبة عظماؤها
فلما انتهت أيامنا علقت بنا شدائد أيامٍ قليل رخاؤها
وصرنا نلاقي النائباتِ بأوجه رقاق الحواشي كاد يقطر ماؤها
إذا ما هممنا أن نبوح بما جنت علينا الليالي لم يدعنا حياؤها

وقال القاضي عبد الوهاب في دوام الخير بين الناس ما داموا درجات فإذا تساووا

هلكوا:

متى تصـلُ العطـاش إلى ارتـواء إذا استقتِ البحـار مـن الركايـا

ومن يثني الأصـاغر عـن مـرادٍ وقد جلـس الأكـابر في الزوايـا

وإن ترفــع الوضــعاء يومـــًا على الرفعاء من أحـدى البلايـا!

إذا استوتِ الأسـافلُ والأعــالي فقد طابـت منادمـــة المنــايا

وقال سعيد بن محمد في كون عمل الإنسان يدل على أصله:

ملكنا فكان العفـو منـا سـجية فلما ملكتم سـالَ بالـدم أبطـح

وحلّلتم قتـل الأسـارى وطالمـا غَدونا على الأسرى نمن ونصـفح

فحسبكم هذا التفـاوت بيننـــا وكل إنـاءٍ بالـذي فيـه ينضـح

وقال معن بن أوفى في لزوم التحفظ بآثار الآباء والجدود:

ورثنا المـد عـن آبـاءِ صـدق أسأنـــا في جــوارهم الصـنيعا

إذا المـــد الرفيـــع توارثتـــه بناةُ السـوءِ أوشـك أن يضـيعا

وقال الإمام الشافعي في المن والأذى وتعداد صنائع الإحسان:

لا تحْملن لمــن يمــنن مــن الأنـــام عليـــك منـــه

واختـــر لنفسِــك حظّهــا واصبر فإن الصــبر جنــه

منن الرجال علــى القلــوب أشد مــن وقْــع الأســنه

وقال علي بن عبد العزيز الجرجاني في وصف النفوس الأبية:

وقالوا توصلْ بالخضوع إلى الغِـنى وما علموا أن الخضوع هو الفَقْـر

وبيني وبين المــال شـيئان حرمـا علي الغنى: نفسي الأبيـةُ والـدهر

إذا قيل هذا اليسر أبصرت دونـه موافف خير من وقوفي ا العسـر

وقال الشريف الرضي في كون المال خادما للإنسان:

اشتـر العِـز بمـــا بيـــع فمــــا العـــــز بغـــــال

ليس بالمغبــون عقــلا مشـــتر عـــزاً بمـــال
إنمـــا يدخـــر المـــالُ لحـــاجـــاتِ الرجـــال
والفـــتى مـــن جعـــلَ الأمـــوالَ أثمـــان المعـــالي

وقال أبو تمام في كون العز والمجد لا ينالان إلا بالتعب والجد:

قد علمنا أنْ ليس إلا بشق النفس صـار الكـريم يـدعى كريمـا
طلب المجد يـورث المـرءَ خـبلا وهمومـًا تقضقِض الحيزومـا
فتراه وهـو الخَلـي شجيـاً وتراه وهـو الصحيـح سـقيما
تيمته العلى فليس يعـدُ البـؤس بؤسـا ولا النعـيم نعيمـا

وقال مخيس بن أرطاة في لزوم تجنب الإنسان كل ما يعاب:

عرضـت نصـحةً مـني ليحيى فقـال غششـتني والنصـح مـر
وما بي أن أكـونَ أعيـب يحـيى ويحـيى طـاهر الأخـلاق بـر
ولكـن قـد أتـاني أن يحـيى يقـال عليـه بقـاءَ شـر
فقلت لـه تجنـب كـل شـيء يعـاب عليـك إن الحـر حـر

وقال ابن هانئ (متنبي الغرب) في: أن ليس للإنسان إلا ما سعى:

ولم أجدِ الإنسانَ إلا ابـن سـعيه فمن كان أسعى كان بالمجدِ أجـدرا
وبالهمةِ العليـاء ترقـى إلى العلـى فمن كانَ أعلى همة كـان أظهـرا
ولم يتـأخر مـن أراد تقـدما ولم يتقـدم مـن أرادا تـأخرا

وقال بعضهم في كون التقليد في الخير فضيلة:

إذا أعجبتك خـلال امـرئ فكنه تكـن مثـلَ مـن يعجبـك
وليس علـى المجـد والمكرمـاتِ إذا جئتـها حاجـب يحجبـك

وقال أبو روح ظفر بن عبد الله في الهمة والعزيمة الماضية:

السـيف يعلـم أن لي في حـده سِراً نهـاه الـدهر عـن إفشـائه

والدهر يعلم أن لي في صدره ... نارا مضرمة على أحشائه
ولو أنّ أطراف السيوف وفين لي ... لأخذت حق الدهر من أبنائه
همم مؤرقة جفوف كلما ... أرخى الظلام على ذيل خبائه
همم النفوس منوطة بعنائها ... والمرءُ يخدعه لسانُ رجائه

وقال عمارة اليمني المتوفى سنة 669 في الشجاعة والإقدام:

العلم مذ كان محتج إلى العلم ... وشفرة السيف تستغني عن القلم
وخير خيلك إن غامرت في شرف ... عزم يفرق بين الساق والقدم
لا يدرك المجد إلا كل مقتحم ... في موج ملتطم أو فوج مضطرم
ورب أمرٍ يهاب الناس غايته ... والأمر أهونُ فيه من يدٍ لقم
تنمى قوى الشيء بالتدريج إن رزقت ... لطفاً ويقوى شرار النار بالضرم

وقال أبو الحسن التهامي المتوفى سنة 416هـ في الأدب العام:

لا تحمدِ الدهر في بأساء يكشفها ... فلو أردت دوام البؤس لم يدم
فالدهر كالطيف بؤساه وأنعمه ... عن غير قصدٍ فلا تحمد ولا تلم
لا تحسبن حسب الآباء مكرمة ... لمن يقصر عن غايات مجدهم
حسن الرجال بحسناهم وفخرهم ... بطولهم في المعالي لا بطولهم
ما اغتابني حاسد إلا شرفت به ... فحاسدي منعم في زي منتقم
فالله يكلأ حسادي فأنعمهم ... عندي وإنْ وقعت عن غير قصدهم

وقال أبو تمام في كون المرء يجمع والزمان يفرق:

ولكنني لم أحو وفْرا مجمعا ... ففُزت به إلا بشمل مبددِ
ولم تعطني الأيام نوما مسكنا ... ألذ به إلا بنومٍ مشردِ
وطولُ مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه فاغترب تتجددِ
فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس أن ليست عليهم بسرمدِ

وليس يجلّي الكرب رمح مسـدد إذا هو لمْ يـؤنس بـرأي مسـدد

وقال أبو تمام في كون الحركة بركة:

من أبن البيـوت أصـبح في ثـو بٍ من العيش ليس بالفضـفاض[1]

والفـتى مـن تعرقْتـه الليـالي في الفيـافي كالحيـةِ النضـناض

صلتانٌ[2] أعـداؤه حيـثُ كـانوا في حديث مـن عزمـه مسـتفاض

كلّ يوم لـه بصـرفِ الليـالي فتكـةٌ مثـلَ فتكـة البـراض

وقال بعضهم في أن الأمور تسهل بالصبر والاطمئنان لا بالذل والهون:

إذا ضيقت أمـرا ضـاق جـدا وإن هونت مـا قـد عـز هانـا

فلا تهلـك لشـيء فـات يأسـا فـكم أمـرٍ تصـعب ثم لانـا

سأصبر مـن رفيقـي إن جفـاني علـى كـل الأذى إلى الهوانـا

وقال الحسين بن مطير في مكارم الأخلاق:

أحب مكـارمِ الأخـلاق جهـدي وأكـره أن أعيـب وأن أعابـا

وأصفح عن سباب النـاس حِلمـا وشر الناس مـن يهـوى السـبابا

ومـن هـاب الرجـالَ تهيبـوه ومن حقّر الرجـالَ فلـن يهابـا

وقال القطامي في التأني السلامة وفي العجلة الندامة:

والناس من يلق خيرا قـائلونَ لـه ما يشتهي، ولام المُخطـئ الهَبـل

قد يدرك المُتـأنيَ بعـض حاجتـهِ وقد يكون مع المسـتعجل الزلـلُ

وربما فات قومـا بعـض أمـرهم مِن التأني وكان الحزم لـو عجلـوا

والعيش لا عيش إلا ما تقـر بـهِ عين ولا حالَ إلا سـوف تنتقـلُ

وقال رجل من بني أسد في أنه خير في ود يجيء تكلفاً:

(1) أبن: لازم وأقام، والفضفاض بفتح الفاء: الشيء الواسع.
(2) الصلتان: الرجل الجاد في أموره.

وما أنا بالنكس الدنيّ ولا الذي	**إذا صد عني ذو المودة أحرب**
ولكنني إن دمت وأن يكن	**له مذهب عني فلي عنه مذْهب**
ألا إن خير الود ود تطوعت	**له النفس لا ود أتى وهو متعب**

وقال القاضي الجرجاني في كون النفس الأبية لا تقبل الدنايا وتستقبل المنايا:

يقولون لي: فيك انقباض وإنما	**رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما**
إذا قيل هذا منهلٌ قلت قد رأى	**ولكن نفس الحر تحتملُ الظما**
ولم أبتذل في خِدمة العلم مهجتي	**لأخدم من لاقيت لكن لأخدما**
أأشقى به غرسا؟ وأجنيهِ ذلة	**إذنْ فاتباع الجهل قد كان أحزما**

وقال البعيث بن حريث في كون كرامة الإنسان متوقفة على حفظ الأوطان:

وإن مسيري في البلادِ ومنزلي	**لبالمنزل الأقصى إذا لم أقَرِبِ**
ولست وإن قربت يوما ببائع	**بلادي ولا ديني ابتغاء التحبب**
ويعتده قوم كثير تجارة	**ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي**

وقال عمرو بن الإطنابة في اقتحام الأخطار لنيل الفخار:

أبت لي عفتي وأبى بلائي	**وأخذي الحمد بالثمن الربيح**
وإقحامي على المكروه نفسي	**وضربي هامة البطل المشيح**
وقولي كلما جشأت وجاشت	**رويدك تحمدي أو تستريحي**
لأدفع عن مآثر صالحات	**وأحمي بعد عن عِرض صحيح**

وقال أبو تمام لا يستحق الشكر والحمد إلا من تعب وجد:

الحمد شهد لا ترى مشتارة	**يجنيه إلا من نقيع الحنظل**
غلٌ لحامله ويحسبه الذي	**لم يوه عاتقه خفيف المحمل**

وقال بعضهم في الفقير الصابر المتجمل بالعفاف والكفاف:

كم فاقة مستورة بمروءة	**وضرورة قد غطيت بتجمل**

ومن ابتسـام تحتـه قلـب شـج قد خامرته لوعـة مـا تنجلـي

وقال أبو تمام في صدق اليقين:

فلوا ولكنهـم طـابوا فأنجـدهم جيش من الصبر لا يحصى له عـدد

إذا رأوا للمنايـا عارضـا لبسـوا من اليقين دروعا مـا لهـا زرد

وقال هدبة العذري في وجوب وضع الشيء في موضعه:

ولا أتمنى الشـر والشـر تـاركي ولكن متى أحمل على الشر أركـب

ولست بمفراح إذا الـدهر سـرني ولا جازع مـن صـرفه المتقلـب

وقال بعضهم في وجوب الثبات على المبدأ:

قد عِشت في الدهر أطوارا على طـرق شتى وقاسيت فيها اللـين والفظعـا

كلاً بلوت فـلا النعمـاء تبطـرني ولا تخشعت مـن لأوائهـا جزعـا

لا يملأ الهَول صدري قبـل موقعـه ولا أضـيق بـه ذَرعـا إذا وقعـا

عود بنيك على الآداب في الصـغر كيما تقـر بهـم عينـاك في الكـبر

فإنمـــا مثـــلُ الآداب تجمعهـــا في عنفوان الصبا كـالنقش في الحجـر

هي الكنوز التي تنمـو ذخائرهـا ولا يخـاف عليهـا حـادثُ الغـير

إن الأديب إذا زلـت بـه قـدم يهوى على فرش الـديباج والسـرر

الناس صِنفان: ذو علم ومسـتمع واعٍ وسـائرهم كـاللغو والفكـر

مـن لم يكـن عقـله مؤدبـه لم يغنـه واعـظٌ مـن النسـب

كم من وضيع الأصـول في أمـم قـد سـودوه بالعقـل والأدب

لا تيأسن إذا مـا كنـت ذا أدب على خمولك أن ترقـى إلى الفلـك

فبينما الـذهب الإبريـز مختـلطٌ بالترب إذ صار إكليلاً على الملـك

السبع سبع ولـو كلـت مخالبـه والكلب كلب ولو بين السـباع ربـي

وهكذا الـذهب الإبريـز خالطـه صفر النحاس وكان الفضل للـذهب

لا يعجبنـك أثـواب علـى رجـل دع عنك أثوابـه وانظـر إلى الأدب
فالعود لو لم تفُـح منـه روائحـه لم يفرق الناس بين العـود والحطـب
وليس يسـود المـرءُ إلا بنفسـه وإن عد آباءً كرامـا ذوي حسـب
إذا العود لم يثْمر ولو كان شعبةً من المثمراتِ اعتده الناس مـن حطـب
قد ينفع الأدب الأحداث مـن صـغر وليس ينفـع بعـد الشـيبة الأدب
إن الغصون إذا قومتـها اعتـدلت ولـن يلـين إذا قومتـه الخشـب

وقال حاتم الطائي في الكرم:

أمـاوي إنَ المـالَ غـادٍ ورائـح ويبقى من المال الأحاديثُ والـذكر
أمـــاوي إني لا أقـــولُ لســـائلٍ إذا جاءَ يوما حلّ في مالنـا النـذْر
أمـاوي إمـــ ـا مـــانع فمبـــين وإمـا عطـاءٌ لا ينهنهـه الزجـر
أماوى إن يصبح صـداي بقفـرةٍ من الأرض لا ماءٌ لدي ولا خمـر
ترى أن ما أنفقت لم يـك ضـرني وأن يدي مِما بخلْـت بـه صـفر

وقال حاتم الطائي أيضا في الإيثار:

وما أنا بالساعي بفضـل زمامهـا لتشرب ماء الحوض قبل الركائـب
وما أنا بالطـاوي حقيبـة رحلـها لأبعثهـا خفّـا وأتـرك صـاحبي
إذا كنت ربا للقلوص فـلا تـدع رفيقك يمشي خلفها غـير راكـب
أنخْهـا فأرْدِفْـه فـإن حملتكمـا فذاك وإن كان العقـاب فعاقِـب

وقال بعض الشعراء المتقدمين في ذم الغيرة:

مـا أحسـن الغـيرة في حينـها وأقـبح الغيـرة في كـل حـين
مـن لم يـزلْ متهمـ ـًا عِرسـه مناصـبا فيهـا لريـب الظنـونْ
أوشـ ـك أن يغر ـ ـا بالـ ـذي يخـــاف أن يبرزهـــ ـا للعيـــونْ
حسبك مـن تحصـينها وضـعها منك إلى عِـرض صـحيح وديـن

لا تطّلــع منــك علــى ريبــــةٍ فيتبع المقــرونُ حبــــل القــرين

وقال بعض الشعراء المتقدمين في كرم الضيافة:

أضاحِك ضيفي قبل إنــزال رحلــه ويخْصب عنــدي والمحــل جــديب

وما الخِصب للأضــيافِ أن يكثــر القِرى ولكنما وجه الكريم خصيب

وقالت ليلى الأخيلية في العفة:

وذي حاجةٍ قلنــا لــــه: لا تــبح فليس إليها مــــا حييــت ســبيلُ

لنا صاحب[1] لا ينبغــي أن نخونــه وأنت لأخرى صــاحب وخليــلُ

وقال ابن الرومي في القناعة:

مرحبــا بالكفــافِ يــأتي هنيئًــا وعلــى المتعبــاتِ ذَيــلُ العفــاءِ

ضِلة لا مــرئٍ يثمــر في الجمــع لعــــيش مشــــمر للفنــــــاءِ

دائبــا يكنــــز القنــاطير للــوا رث العمـــر دائبـــا في انقضـــاءِ

يحسب الحــظّ كُــــله في يديــه وهو منه علــى مــدى الجَــوزاء

ليس في أجل النعــيم لــــه حــظ ومــا ذاق عاجــــل النعمــــاءِ

ذلك الخائب الشــقي وإنْ كـــا نَ يــّرى أنــه مِــن السعــــداءِ

حســب ذي إربــةٍ ورأي جلــيّ نظــرت عينــــه بــــلا غلــواءِ

صِحة الــدين والجــوارح والعِــر ض وإحـــراز مســـكة الحَوبـــاءِ

تِلك خــير لعــارفِ الــــحمــا يجرع الناس مــن فضــول الثــراءِ

وقال بعض الشعراء المتقدمين في القناعة:

أحِب الفتى ينفي الفــواحِش سمعــه كأن به عن كــل فاحشــةٍ وقْــرا

سليم دواعي الصــدر لا باســطًا أذى ولا مانعا خيرا ولا قــائلا هجــرا

إذا ما أتت من صاحب لــك زلــة فكن أنت محتــالاً لِزلتــه عــذرا

---

(1) الصاحب هنا: الزوج.

غنى النفس ما يكفيك من سد خلة ... فإن زاد شيئًا عاد ذاك الغنى فقْرا

وقال بعض الشعراء المتقدمين في حب البنين:

لولا أميمة لم أجزع من العدم ... ولم أجب في الليالي حندس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي ... أن اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
أحاذر الفقر يوما أن يلم بها ... فيهتك الستر عن لحم وعن وضم
تهوى حياتي وأهوى موتها شفقًا ... والموت أكرم نزال على الحرم

وقال مسكين في كتمان السر:

وفتيان صِدق لست مطلع بعضهم ... على سر بعض غير أني جِماعها
لكل امرئٍ شِعب من القلب فارغ ... وموضع نجوى لا يرام اطلاعها
يظلون شتى في البلاد وسِرهم ... إلى صخرة أعيى الرجالَ انصداعها

وقال أبو العتاهية في المغفرة:

إني شكرت لظالمي ظلمي ... وغفرت ذاك له على علمي
ورأيته أسدى إلي يدا ... لمّا أبان بجهله حِلمي
رجعت إساءته عليه وإحسانا ... ني فعاد مضاعف الجُرم
وغدوت ذا أجرٍ ومحمدة ... وغدا بكسب الظلم والإثم
فكأنما الإحسان كان له ... وأنا المُسيء إليه في الحُكم
ما زال يظلمني وأرحمه ... حتى بكيت له من الظلم

وقال ابن مطير في إكرام النفس:

ومن يتبع ما يعجب النفس لم يزل ... مطيعا لها في فعل شيء يضيرها
فنفسك أكْرِم من أمور كثيرة ... فما لك نفس بعدها تستعيرها

وقال بشار في السعادة:

وما خاب بين الله والناس عامِلٌ ... له في التقى وفي المحامد سوق

ولا ضاق فضل الله عـن متعفـفٍ ... ولكن أخـلاق الرجـال تضـيق

وقال أبو تمام في الصداقة الكاذبة:

إن شئت أن يسـود ظنـك كلـه ... فأجله في هـذا السـواد الأعظـم

ليس الصديق بمن يعـيرك ظـاهرا ... متبسما عـن باطـن متجهـم

وقال بعض الشعراء المحدثين في الثقة:

إذا في انقبـاض وحشـمة فـ... صادفت أهـلَ الوفـاءِ والكـرمِ

أرسلت نفسي علـى سجيتهـا ... وقلت مـا قلـت غـير محتشـمِ

وقال أبو تمام في القناعة:

من زاحف الأيـام ثم عبـا لهـا ... غير القناعـة لم يـزل مفْلـولا

من كان مرعى عزمـهِ وهمومـه ... روض الأمـاني لم يـزل مهـزولا

لو جـاز سلطان القنوع وحكمـه ... في الأرض ما كان القليـلُ قليلا

وقال أبو العلاء المعري في الخمر:

أيأتي نـبي يجعـل الخمـر طلْقـةً ... فتحمل شيئًا من همومي وأحـزاني

وهيهات لو حلّت لما كنت شـاربا ... مخففةً في الحـلم كفـة ميـزاني

ولـه أيضا في أن الملك أجير الرعية:

مـل المَقـام فكـم أعاشِـر أمـةً ... أمرت بغـير صـلاحها أمراؤهـا

ظلموا الرعِية واستجاوزا كيـدها ... فَعدوا مصـالحها وهـم أجراؤهـا

وقال أيضا في رياء الوعاظ:

رويدك قد غُـررت وأنـت حـر ... بصاحبِ حيـلة يعـظ النسـاء

يحرم فـيكم الصـهباءَ صبحـًا ... ويشر بـا على عمـد مسـاء

يقول لكم: غَدوت بـلا كسـاء ... وفي لذّا تـا رهـن الكِسـاء

إذا فعلَ الفتى مـا عنـة ينهـى ... فمن جهتـين، لا جهـةٍ، أسـاء

وله أيضا:

إذا كان علم الناس ليس بنافع ... ولا دافع، فالخُسر للعلماء

قضى الله فينا بالذي هو كائن ... فتم وضاعت حكمة الحكماء

وله أيضا في سلطان العقل:

يرتجي الناس أن يقوم إمام ... ناطق في الكتيبة الخرساء

كذب الظن لا إمام سوى العقل ... مشيرا في صبحه والمساء

إنما هذه المذاهب أسباب ... ب لجلب الدنيا إلى الرؤساء

وله أيضا في رياء العباد:

لعل أناسا في المحاريب خوفوا ... بآي، كناس في المشارب أطربوا

إذا رام كيدا بالصلاة مقيمها ... فتاركُها عمدا إلى الله أقرب

وله أيضا:

أيا جسد المرء ماذا دهاك ... وقد كُنت من عنصر طيب

تصير طُهورا إذا ما رجعت ... إلى الأصل كالمطر الصيب

وقال أيضا في قسمة الأرزاق:

لقد جاءنا هذا الشتاء وتحته ... فقير معرى أو أمير مدرج

وقد يرزق المجدود أقوات أمةٍ ... ويحرم قوتا واحد وهو أحوج

وقال أيضا في ذم البطالة:

ويعجبني دأب الذين ترهبوا ... سوى أكلهم كد النفوس الشحائح

فما حبس النفس المسيح تعبدا ... ولكن مشى في الأرض مشية سائح

وقال أيضا في الرفق بالحيوان:

قد رابني مغدى الفقير بجهله ... على العير ضربا ساءَ ما يتقلّد

يحمله ما لا يطيق فإن ونى ... أحتال على ذي فَترة يتجلّد

ولـه أيضا في أين الحقيقة:

نفارق العـيش لم نظفـر بمعرفـة — أي المعاني بأهـل الأرض مقصـود
لم يعطنا العلم أخبـار يجـيءُ بـها — نقلٌ ولا كوكب في الأرض مرصود
وابيض ما اخضر من نبت الزمان بنا — وكلّ زرعٍ إذا ما هـاج محصـود

وقال أيضا في حقيقة الإيمان:

ما الخير صوم يذوب الصائمون لـه — ولا صلاة ولا صوف على الجسـد
وإنما هو تـركُ الشـر مطّرحـاً — ونفضك الصدر من غِل ومن حسد

وقال أيضا في خرافات النساء:

سألت منجهما عن الطفـل الـذي — في المهد كم عـائش مـن دهـره؟
فأجا با مائـة، ليأخـذ درهمـاً — وأتى الحِمام وليدهـا في شـهره!

وقال أيضا في راحة الموت:

فِدم الفـتى ومضـى بغـير تثيـةٍ — كهـلا أول ليلـة مـن شـهره
لقد استراح مـن الحَيـاة معجـلٌ — لو عاش كابد شِـدةً في دهـره

وقال أيضا في العفة:

أحسِن جِـوارا للفتـاة وعدهـا — أخت السماك على دنـو الـدار
كتجاور العيـنين لـن تتلاقيـا — وحجـاز بينهمـا قصـير جـدار

وقال أيضا في بقاءِ الملك:

مضى الأنام فلـولا علـم حـالهم — لقلت قول زهيرٍ آيـة سـلكوا
في الملك لم يخرجوا عنه ولا انتقلـوا — منه فيكف اعتقادي أنـهم هلكـوا

وقال أيضا في الصبر والأذى:

إذا قال فيك النـاس مـا لا تحبـه — فصبرا يفيء ود العـدو إليكـا
وقد نطقوا مينا علـى الله وافتـروا — فمـا لهـم لا يفتـرون عليكـا

والدين المعاملة، للمعري أيضا:

سبح وصل وطُف بمكة زائرا	**سبعين لا سبعا فلست بناسك**
جهلَ الديانة من إذا عرضت له	**أطماعه لم يلف بالمتماسك**

قتل الأفراد، وقتل الأمم، للمرحوم أديب بك إسحاق:

قتل امرئٍ في غابةٍ	**جريمة لا تغتفر**
وقتل شعب آمن	**مسألةٌ فيها نظر**
والحق للقوة لا	**يعطاها إلا من ظفر**
ذي حالة الدنيا فكن	**من شرها على حذَر**

الوطن، لابن الرومي:

وطن به صحبت الشبيبة والصبا	**ولبست ثوب العيش وهو جديد**
فإذا تمثل في الضمير رأيته	**وعليه أغصان الشباب تميد**

البنات، لمعن بن أوس:

رأيت رجالاً يكرهونَ بناتهم	**وفيهن لا نغلو نساءٌ صوالحُ**
وفيهن والأيام يعثرنَ بالفتى	**عوائد لا يمللنها ونوائح**

الكرم، للبستي:

فسامح، ولا تستوفِ حقك كله	**وأبق فلم يستقص قط كريم**
ولا تغلُ في شيء من الأمر واقتصِد	**كلا طرفيْ قصدِ الأمور ذميم**

الشهيد حي، والميت هو خائن الوطن، للأمير الجليل شكيب أرسلان:

بالله لا تندبوا قتلي، ولا تنوا	**بعدي، ولا تغرقوا في النوح والحزن**
إنّ الشهيد لحي عند خالقه	**وإنما الميت حقا خائن الوطن**

الدواة، للمرحوم إسماعيل صبري باشا:

يا دواةُ اجعلي مدادك وردا	**لوفود الأقلام حينا فحينا**

وليكن كالزمـان حـالاً وحـالا تـارة آسِـنا وأخـرى معينـا
أكرمي العلـم وامنحـي خادميـه مـاءك الغـاليَ النفـيس الثمينـا
وابـذُلي الصـافيَ المطهـر منـه لِهـداة السـرائر المرشدينـا
وإذا الظلـم والظـلام اسـتعانا يـوم نحـسٍ بأجهـل الجاهلينـا
واسـتمد مـن الشـرور مِـدادا فاجعليـه مـن قِسـمةِ الظالمينـا
واقذفي النقطة الـتي بـات فيهـا غضب القـاهر المُـذِلّ كمينـا
لِـيراعِ امـرئٍ إذا خـط سـطرا نبذَ الحـق وارتضـى المـين دينـا
وإذا كـان فيـكِ نقطـةُ سـوءٍ كُونـت مـن خباثـةٍ تكوينـا
فاجعليها لِقسط الـذين اسـتباحوا في السياساتِ حرمـة الأضـعفينا
وإذا خِفتِ أن يكون من الصـخر جلاميـد تـرجم السـامعينا
فـانجلي بالمِـداد بخـلاً وإن أعطيـت فيـه المـثين ثم المئينـا
فـإذا أعـوز المـداد طبيبـاً يصـف الـداءَ دائبـا مسـتعينا
فامنحيـه المـراد منـا وعرفًـا واستطيبـي معونـة المحسنينـا
وإذا مهجـة الحمـائم أسـدت نقطـة سِـرها الـذكي المصـونا
فاجعليها علـى المـودات وقفًـا وهبيهـا رسـائلَ الشيقينـا
فـإذا لم تكـن بقلبـكِ إلا ما أعـد الأخـلاص للمخلصـينا
فاجعليه حظـي لأكتـب منـه شرح حـالي (لسـيد المرسـلينا)

والقمار، للشيخ نجيب الحداد المتوفى سنة 1899م من قصيده طويلة:

لكـل نقيصـةٍ في النـار عـار وشـر مصـائب المـرء القِمـار
هو الـداء الـذي لا بـرءَ منـه ولـيس لـذنب صـاحِبه اغتفـار
تشـاد لـه المنـازل شـاهقات وفي تشـييد سـاحِتها الـدمار
تصـيب النـازلين بهـا سـهاد وافـلاس فيـأس فانتحـار

الوطنية للشاعر المرحوم مصطفى أفندي صادق الرافعي المتوفى سنة 1937م:

بلادي هواها في **لسـاني** وفي **دمـي** **يمجدها قلبي ويـدعو** لهـا **فمـي**

ولا خير فـيمن **لا محـب بـلاده** **ولا** في **حليف الحـب إن** لم يتـيم

الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل: للمرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي المتوفى سنة 1343هـ:

إذا ما سفيه نـالني منـه نائـلٌ **من الذم يحرج** بموقفـه **صـدري**

أعود إلى **نفسي فإن كـان صـادقًا** **عتبت على نفسي وأصلحت من أمـري**

وإلا فما ذنبي إلى **الناس أن طغـى** **هواها فما ترضى** بخـير **ولا شـر**

النفس الأبية للشاعر الكبير أحمد أفندي نسيم:

ولم **أدرع بالـذلّ** شـيمة **حـازم** **عـن العـز والعليـاء لا يتنكـب**

كذا أنا يا نفسـي فكـوني أبيـة **ومالكِ إلا مذهب الفضل مـذهب**

الجمال: لشاعر النجف بالعراق الشيخ محمد رضا الشبيبـي:

لقد عصفت بالمكرمـات **زعـازع** **وعفّت رسـوم الأكـرمين** ريـاح

إذا أظلمـت أخلاقنـا وتجهمـت **فهـل نـافع أن الوجـوه مـلاح**

الأدب: للمرحوم محمد أفندي إمام المتوفى سنة 1917م:

لم **يثبت الخير مـال ولا نسـب** **إنما الخـير كـل الخـير** في **الأدبِ**

مزيـةٌ تمـ**لأ الدنيـا** محاسِـ**نها** **سلم لكمـال الفضـل والحسـبِ**

الحكام: للمرحوم السيد توفيق البكري المتوفى سنة 1353هـ:

حكم الألى يح**كمون الناس يضحكني** **وسوءُ فعلـهم** في **النـاس يبكـيني**

ما الذئب قد عاث بين **الضأن أفتك من** **هذي الـولاة** **اتيـك** المسـاكين

نشر العلم: لشاعر العراق الفيلسوف المرحوم جميل الزهاوي المتوفى سنة 1936م:

إذا كان نشر العلم ذَنبـا معاقبـا **عليه فإنـي أشـهد الله مـذنب**

الثبات على المبدأ لشاعر الشام أسعد أفندي رستم:

لا بد المرء مما ليس يرضيه إذا تداخل فيما ليس يعنيه
فابدأ بتحسين مبدأ أنت صاحبه فالمرء يعرف أصلاً من مباديه

طلب المحال: للشاعر الجليل أحمد أفندي محرم:

صرفت رجائي عن مطالب جمةٍ وليس الذي يرجو المحالَ بكيس
أقول لنفسي والأسى ليثيرها مكانك أن النفس بالنفس تأتسي

وقال محمد بن بشير في الصبر الجميل:

إن الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبر يفتق منها كل ما ارتتجا
لا تيأسن وأن طالت مطالبه إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا
قدر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقا عن غرةٍ زلجا
ولا يغرنك صفو أنت شاربه فربما كان بالتكدير ممتزجا

وقال الأضبط بن قريع في الأدب العام:

لِكل ضيق من الأمر سعه والصبح والمسا لا فلاح معه
قد يجمع المالَ غير آكلهِ ويأكل المالَ غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابسه ويلبس الثوب غير من قطعه
فاقبل من الدهر ما أتاك به من قر عينا بعيشه نفعه
وصِلْ حِبال البعيد أن وصل الحَبل وأقص القريب أن قطعه
لا تعادِ الفقير علك أن تركع يوما والدهر قد رفعه

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي أحد فحول شعراء الجاهلية في الصبر:

صبر النفس عند كلّ ملم أن في الصبر حيلةَ المحتال
لا تضيقن بالأمور فقد تكشف غماؤها بغير احتيال
بما تكره النفوس من الأمر فرجة كحل العقال

الباب الثاني عشر: في الصبر والتأني

تصبر ففي للأواء قد يحمد الصبر ولولا صروف الدهر لم يعرف الحر
وإن الذي أبلى هو العون فانتدب جميل الرضا يبقى لك الذكر والأجر
وثق بالذي أعطى ولا تك جازعا فليس بحزمٍ أن يروعك الضر
فلا نعم تبقى ولا نقم ولا يدوم كلا الحالين عسر ولا يسر
تقلب هذا الأمر ليس بدائم لديه مع الأيام حلو ولا مر
اصبر على مضض الادلاج في السحر وفي الرواح إلى الطاعات في البكر
إني رأيت وفي الأيام تجربة للصبر عاقبة محمودةُ الأثر
وقلّ من جد في أمر يؤمله واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر
عليك بإظهار التجلد للعدى ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
أما تنظر الريحان يشمم ناضرا ويطرح في البيدا إذا ما تغيرا
صبرا على نوب الزمان وإن أبى القلب الجريح
فلكلّ شيءٍ آخر إما جميل أو قبيح
الدهر أدبني والصبر رباني والقوت أقنعني واليأس أغناني
وحنكتني من الأيام تجْربة حتى نهيت الذي قد كان ينهاني
إني رأيت الصبر خير معول في النائبات لمن أراد معولا
ورأيت أسباب القناعة أكّدت بعرى الغنى فجعلتها ليَ معقلا
فإذا نبا بي منزل جاوزته وجعلت من غيره ليَ منزلا
وإذا غلا شيءٌ علي تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا
إذا ما أتاك الدهر يوما بنكبةٍ فأفرغْ لها صبرا وأوسع لها صدرا
فإن تصاريف الزمان عجيبة فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا
على قدر فضل المرء تأتي خطوبه ويحمد منه الصبر مما نصيبه

فمن قلّ فيما يتقيه اصطباره لقد قلّ فيما يرتجيه نصيبه
اصبر قليلاً فبعد العسر تيسير وكلّ وقتٍ له أمر وتدبير
وللمهيمن في حالاتنا نظر وفوق تدبيرنا لله تدبير
اصبر ففي الصبر خير لو علمت به لكنت باركت شكرا صاحب النعم
واعلم بأنك إن لم تصطبر كرها صبرت قهرا على ما خطّ بالقلم
كن حليما إذا بليت بغيظٍ وصبورا إذا أتتك مصيبه
فالليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كلّ عجيبه
تصبر أيها العبد اللبيب لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكلّ الحادثات وأن تناهت يكون وراءها فرج قريب
أيا صاحبي أن رمت أن تكسب العلا وترقى إلى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر في كلّ حالة فما صابر فيما يروم بنادم
بنى الله للأخيار بيتا سماؤه هموم وأحزانٌ وحيطانه الصبر
وأدخلهم فيه وأغلق بابه وقال لهم مفتاح بابكم الصبر
اصبر قليلاً وكن بالله معتصما لا تعجلن فإن العجز بالعجل
الصبر مثل اسمه في كل نائبة لكن عواقبه أحلى من العسل
إذا جرحت مساويهم فؤادي صبرت على الإساءة وانطويت
وجئت إليهم طلق المحيا كأني لا سمعت ولا رأيت
تأنّ ولا تضق للأمر ذرعا فكم بالنجح يظفر من تأنى
تأنّ فحيثما المرءُ تأنى ينلْ نجْحا ويدرك ما تمنى
تأنّ ولا تعجل بلومك صاحبا لعلّ له عذرا وأنت تلوم

الباب الثالث عشر في الصدق

الصدق عز فلا تعدل عن الصدق واحذر من الكذب المذموم في الخلق

عليك بالصـدق ولـو أنـه　　　أحرقك الصدق بنـار الوعيـد
عليك بالصدق في كل الأمـور ولا　　　تكذب فأقبح ما يزري بك الكذب

الباب الرابع عشر في الكذب

لــي حيــلةٌ فيــمن ينـم	وليـس للكــذاب حيــله
مـن كـان يخـلق مــا يقـو	ل فحيــلتي فيــه قليــله
نعم نعم إنمـا النمـام ذو ضـرر	لكنما الكاذب الجاني أشـد ضـرر
أخو النميمة إن يسمع ينـم ومـن	يكذب يقل ما يشاء قولا بغير أثـر
لذاك لي حيلةٌ في من ينـم ومـا	لي حيلةٌ في كذوب ملء فيه شـرر
لـي حيـلة في مـن ينـم فـإنني	أطوي حديثي دونـه وخطـابي
لكنمـا الكذاب يخلـق قولـه	ما حيلتي في المفـتري الكـذاب
لا يكذب المـرء إلا مـن مهانتـه	أو فعله السوء، أو من قلـة الأدب
لبعض جيفة كلـب خـير رائحـة	من كذبة المرء في جـد وفي لعـب
إياك من كـذب امـرئ وإفكـه	فلربمــا مـزج الـيقين بشـكه
ولربمـا كـذب امـرؤ بكلامـه	وبصمتـه وبكائـه وبضحكـه
إذا عرف الإنسان بالكذب لم يـزل	لدى الناس كذابا ولو كان صـادقا
فإن قال لم تصغ لـه جلسـاؤه	ولم يسمعوا منه ولو كـان ناطقـا

الباب الخامس عشر في التواضع

إن شئت أن تـبني بنــاء شـامخًا	يلـزم لـذا البنيـان أس راسـخ
إن البنـاء هـو الكمـالُ وأسـه	الصخري فهو الاتضـاع البـاذخ
تواضع لرب العرش علـك ترفـع	فما خاب عبد للمهـيمن يخضـع
تواضع تكن كـالنجم لاح لنـاظر	على صفحات المـاء وهـو رفيـع
ولا تـك كالدخـان يعلـو بنفسـه	إلى طبقات الجـو وهـو وضـيع
إذا شئت أن تزداد قـدرا ورفعـة	فلن وتواضع واترك الكبر والعجبـا
تواضع إذا ما نلت في الناس رفعـة	فإن رفيـع القـوم مـن يتواضـع

الباب السادس عشر في الكرم والكرماء

ونكـرم ضـيفنا مـا دام فينـا ... وتتبعه الكرامـة حيـثُ مـالا
فتى كملـت خيراتـه غـير أنـه ... جواد فما يبقي مـن المـال باقيـا
إن الكرام إذا ما أيسـروا ذكـروا ... من كان يألفهم في المنـزل الخشن
أبى الجود في الـدنيا سـواك لأنـه ... تفرع من جود وأنت أبـو الجـودِ
أن الكريم الذي لا مـال في يـده ... مثلُ الشجاع الذي في كفه شـللُ
والمال مثل الحصى ما دام في يـدنا ... فلـيس ينفـع إلا حـين ينتقـلُ
لو أشبهتك بحـار الأرض في كـرم ... لأصبح الدر مطروحا على الطـرق
أو أشبه الغيثُ جودا منك منـهملا ... لم ينج في الأرض مخلوق من الغـرق
من قاس جـدواك بالغمـام فمـا ... أنصف في الحكـم بـين شـكلين
أنت إذا جـدت ضـاحك أبـدا ... وهـو إذا جـاد دامـع العـين
ما نـوال الغمـام وقـت ربيـع ... كنـوال الأمـير وقـت سـخاء
فنـوالُ الأمـير بـدرةُ مـال ... ونوالُ الغمـام قطـرة مـاء

الباب السابع عشر في البخل والبخلاء

يفنى البخيل بجمـع المـال مدتـه ... وللحوادث والأيـام مـا يـدع
كدودة القـز مـا تبنيـه يهـدمها ... وغيرهـا بالـذي تبنيـه ينتفـع
إن هـذا الفـتى يصـون رغيفًـا ... ما إليه مـن نـاظر مـن سـبيل
في جِراب في جوف تابوت موسـى ... والمفـاتيح عنـد ميكائيـل
شرابك مختـوم وخبـزك لا يـرى ... ولحمـك بـين الفرقـدين معلـق
نديمك عطشانٌ وضـيفك جـائع ... وكلبـك نبـاح وبابـك مغلـق
نوالـك دونـه شـوك القتـاد ... وخبـزك كالثريـا في البعـاد
ولو أبصـرت ضـيفا في المنـام ... لحرمـت الرقـاد علـى العبـاد
قد شاب رأسي ورأس الدهر لم يشـب ... إن الحريص على الدنيا لفي تعـب

وذي حـرص تـراه يلـم وفـرا لوارثـه ويدفـع عـن حمـاه
ككلب الصيد يمسك وهـو طـاوٍ فريسته ليأكلهـا سـواه
حسـبي بعلمـي إن نفـع مـا الـذل إلا في الطمـع
مـن راقـب الله نـزع عن سـوء مـا كـان صنع
مـا طـار طـير وارتفـع إلا كمـا طـار وقـع
أصبحت أجوع خلـق الله كلـهم وأفزع الناس من خبـز إذا وضعا
خبز البخيـل لمكتـوب عليـه ألا لا بارك الله في ضـيف إذا شـبعا
إياك والحرص إن الحـرص متعبـةٌ فإن فعلت فراع القصد في الطلـب
قد يروق المرءُ لم تتعـب رواحلـه ويحرم المرء ذو الأسـفار والتعـب
إذا كسر الرغيـف بكـى عليـه بكاء الخنساءِ إذ فجعـت بصـخر
ودون رغيفـهِ قلـع الثنـايا وضرب مثـل وقعـة يـوم بـدر
تغـير إذ دخلـت عليـه حـتى فطنت فقلـت في عـرض المقـال
علي اليـوم نـذر مـن صيـامٍ فأشـرق وجهـه مثـل الهـلال
رغيف في الحجـاب عليـه قفـلٌ وحـراس وأبـواب منيعـة
رأى في بيتـه ضـيف رغيفـا فقـال لضـيفه هـذا وديعـة
رأى "الصيف" مكتوبا على بـاب داره فصحفه "ضيفًا" فقام إلى السـيف
فقلنـا لـه "خـيرا" فظـن بأننـا نقول له "خبرا" فمات من الخـوف

وقال أبو محمد إسحاق الموصلي المتوفى سنة 235هـ في ذم البخل:

وآمرة بالبخل قلت لهـا اقصـري فليس إلى مـا تـأمرين سبيـلُ
أرى الناس خلان الجـواد ولا أرى بخيلاً لـه في العـالمين خليـل
وإني رأيت البخـل يـزري بأهلـه فأكرمت نفسـي أن يقـال بخيـلُ
ومن خير حالاتِ الفتى لو علمتـهِ إذا نـال شـيئًا أن يكـون ينيـلُ

عطائي عطاءُ المكثرين تجملا … ومالي كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى … ورأي أمير المؤمنين جميل

* * *

الباب الثامن عشر في وصف الدنيا

أيا من عاش في الدنيا طويلاً … وأفنى العمر في قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى … وجمّع من حرامٍ أو حلالِ
هب الدنيا تقاد إليك عفوا … أليس مصير ذاك إلى انتقال
إن لله عبادا فطنا … طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فكروا فيها فلما علِموا … أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجُة واتخَذوا … صالح الأعمال فيها سفنا
عجبت للمرء في دنياه تطمعه … في العيش، والأجلُ المحتوم يقطعه
يمسي ويصبح في عشواء يخبطها … أعمى البصيرة والآمالُ تخدعه
يغتر بالدهر مسرورا بصحبته … وقد تيقن أن الدهر يصرعه
ويجمع المال حِرصا لا يفارقه … وما درى أنه للغير يجمعه
تراه يشفِق من تضييع دِرهمه … وليس يشفق من دين يضيعه
وأسوأ الناس تدبيرا لعاقبة … من أنفق العمر في ما ليس ينفعه
ألا إنما الدنيا كأحلام نائمٍ … وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل إذا نلت بالأمر لذةً … فأفنيتها هل أنت إلا كحالِم؟
ومن يذق الدنيا فإني طعِمتها … وسيق إلينا عذْبها وعذابها
فلم أرها إلا غرورا وباطلا … كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وما هي إلا جيفةٌ مستحيلة … عليها كِلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سِلما لأهلها … وإن تجتذبها نازعتك كلابها
فدع عنك فضلات الأمور فإنها … حرام على نفس التقي ارتكابها

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره فسوف لعمري عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرةً إن أقبلت كانت كثيرا همومها
هي الدنيا تقولُ بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركموا مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي
يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الأقذار
دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا، تبا لها من دار

الباب التاسع عشر في الأسرار

ولست بمبدٍ للرجال سريرتي ولا أنا عن أسرارهم بسؤول
لا يكتم السر إلا كل ذي ثقةٍ والسر عند خيار الناس مكتوم
فالسر عندي في بيت له غلق ضاعت مفاتيحه والباب مختوم
صن السر عن مستخبر وحاذر فما الرأي إلا الحذَر
أسيرك سرك إن صنته وأنت أسير له إن ظهر
كل علم ليس في القرطاس ضاع كل سر جاوز الإثنين شاع
إذا لم يكن في الورى صاحب وفيه ثلاثُ خصال حميده
وفاءٌ وسر، وحفظُ الولا فصحبته قط ليست مفيده

الباب العشرون في اللسان

لا يعجبك من خطيب خطبةٌ حتى يكون مع الكلام أصيلا
إن الكلام لفي الفؤادِ وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا
يصاب الفتى من عثرةٍ بلسانه وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته في القول تذهب رأسه وعثرته بالرجل تبرا على مهل
احفظ لسانك أيها الإنسانُ لا يلدغنك إنه ثعبانُ
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

الصمت زين والسـكوت سـلامة … فإذا نطقت فـلا تكـن مكثـارا
فإذا ندمت على سـكوتك مـرة … فلتندمن على الكــلام مــرارا
إن القليل مـن الكـلام بأهـله … حسـن وإن كثـيره ممقـوت
ما زلّ ذو صمت وما مـن مكثـر … إلا يزلّ ومـا يعـاب صـموت
إن كان ينطق نـاطق مـن فضـة … فالصمت در زانـه الياقـوت
احفظ لسانك واستعذ مـن شـره … إن اللسان هـو العـدو الكاشـح
وزن الكلام إذا نطقـت بمجالـس … فإذا استوى فهناك حلمك راجـح
عود لسانك قول الخير تـنج بـه … من زلة اللفظ أو من زلـة القـدم
واحذر لسانك من خِـل تنادمـه … إن النـديم لمشـتق مـن النـدم

الباب الحادي والعشرون في المعاشرة

إذا المـرء لا يـرعاك إلا تكلفًا … فدعه ولا تكثـر عليـه التأسـفا
ففي الناس أبدال وفي الترك راحـة … وفي القلب صبر للحبيب ولو جفـا
فما كل من تهواه يهواك قلبـه … ولا كل من صافيته لك قـد صفـا
إذا لم يكن صـفو الـوداد طبيعـة … فـلا خـير في وِدٍّ يجـيء تكلفـا
ولا خير في خِـلٍّ يخـونُ خليلـه … ويلقاه مـن بعـد المـودة بالجفـا
وينكر عيشا قـد تقـادم عهـده … ويظهر سرا كان بالأمس قد خفـا
سلام على الدنيا إذا لم يكـن بهـا … صديق صدوق صادق الوعد منصـفا
صافِ الكرام فخير مـن صـافيته … من كـان ذا أدبٍ وكـان ظريفـا
واحذر مؤاخـاة اللئـيم فإنـه … يبدي القبـيح وينكـر المعروفـا
إن الكـريم وإن تضعضـع حالـه … فـالخُلق منـه لا يـزال شـريفا
والنـاس مثـل دراهـمٍ قلبتهـا … فأصبت منـها فضـة وزيوفـا
ولن يصحب الإنسـان إلا نظـيره … وإن لم يكونا مـن قبيـل ولا بلـد

وما الغي إلا أن تصـاحب غاويـا | وما الرشد إلا أن تصاحب ذا رشـد
أخو الفسق لا يغررك منـه تـودد | فكـل حبـال الفاسـقين مهـين
وصاحب إذا ما كنت يومـا مصـاحبا | أخا ثقـة بالغيـب منـك أمـين
اجعل قرينك مـن رضـيت فعالـه | واحذر مقارنـة اللئـيم الشـائن
كم مـن قـرين شـائن لقرينـه | ومهجـن منـه لكـل محاسـن
وعينك إن أبـدت إليـك مسـاويا | من الناس قل يا عين للناس أعـين
وعاشـر بمعـروف وكـن متـوددا | ولا تلق إلا بـالتي هـي أحسـن

الباب الثاني والعشرون في القناعة

وأكـل كُسـيرة في جنـب بـيتي | أحـب إلي مـن أكـل الرغيـف
ولـبس عبـاءة تقـر عـيني | أحب إلي مـن لـبس الشـفوف
هي القناعة فالزمها تعِـش ملِكـا | لو لم يكن منك إلا راحـة البـدن
وانظر لمن ملـك الـدنيا بأجمعهـا | هل راح منها بغير القطن والكفـن
قنعـت بالقـوتِ مـن زمـاني | وصـنت نفسـي عـن الهـوان
خوفـًا مـن النـاس أن يقولـوا | فضـلُ فـلانٍ علـى فـلان
من كنـت عـن مـاله غنيـا | فـلا أبـالي إذا جفـاني
ومن رآنـي بعـين نقـص | رأيتـه بالـتي رآنـي
ومـن رآنـي بعـين تِـمٍّ | رأيتـه كامـلَ المعـاني
إذا المـرء عـوفيَ في جسـمه | وملّكـه الله قلبـًا قنوعـا
وألقـى المطامـع عـن نفسـه | فذاك الغنـي ولو مـات جوعـا
النفس تجـزع أن تكـون فقـيرةً | والفقر خـير مِـن غِـنى يطغيهـا
وغنى النفوس هو الكفاف فـإن أبـت | فجميع مـا في الأرض لا يكفيهـا
إن القنوع نفيس النفس راشـدها | وهو الغني الذي يحيا بـلا نصـبِ

وذو المطـامع مغـرور ومفتقـر ... ولو حوى ملك سلطان وعلم نـبي
أفـادتني القناعـة كـلّ عـز ... وهل عز أعـز مـن القناعـه
ولقد طلبت رضا البريـة جاهـدا ... فـإذا رضـاهم غايـةٌ لا تـدرك
وأرى القناعة للفتى كنـزا لـه ... والبِر أفضلُ مـا بـه يتمسـك

الباب الثالث والعشرون في الحسد

تخلق الناس بالأدنـاس واعتمـدوا ... من الصفات الدها والمكر والحسـدا
كرهت منظرهم من سوء مخـبرهم ... وقد تعاميت حـتى لا أرى أحـدا
اصبر علـى كيـد الحسـو ... د فـإنّ صـبرك قاتلـه
فالنـار تأكـل نفسـها ... إن لـم تجـد مـا تأكلـه
دع الحسود وما يلقاه مـن كمـدٍ ... يكفيك منه لهيب النـار في كبِـدِه
إنْ لمت ذا حسد نفّسـت كربتـه ... وان سكت فقـد عذّبتـه بيـدِه
أيـا حاسدا لـي علـى نعمـتي ... أتدري على مـن أسـأت الأدب
أسـأت علـى الله في حكمـه ... لانـك لم تـرض لي مـا وهـب
فـأخزاك ربي بـأن زادنـي ... وسـد عليك وجـوه الطلـب
إن شئت قتلَ الحاسـدين تعمـدا ... من غير مدياتٍ عليـك ولا قـود
وبغـير سـم قاتـل وصـوارم ... وعقاب رب ليس يغفل عن أحـد
عظم تجـاه عيـو م محسـودهم ... فتراهمو موتى النفوس مع الجسـد

الباب الرابع والعشرون في الحلم

ألا أنّ حلم المرءِ أكرم نسبة … تسامى بها عند الفخار حليم

فيا رب هب لي منك حِلما فإنني … أرى الحلم لم يندم عليه كريم

ولا خير في حِلم إذا لم يكن له … بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهلٍ إذا لم يكن له … حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

إذا كنت محتاجا إلى الحلم إنني … إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج

ولي فرس للحلم بالحلم ملجم … ولي فرس للجهل بالجهل مسرج

فمن شاء تقويمي فإني مقوم … ومن شاء تعويجي فإني معوج

وما كنت أرضى الجهل خِدنا وصاحبا … ولكنني أرضى به حين أحرج

إذا كنت بين الحلم والجهل ناشئًا … وخيرت أنى شئت فالحلم أفضلُ

ولكن إذا أنصفت من ليس منصفًا … ولم يرض منك الحلم فالجهلُ أمثلُ

وعين الرضا عن كل عيب كليلة … كما أن عين السخط تبدي المساويا

ولست بهياب لمن لا يهابني … ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا

فإن تدنُ مني تدنُ منك مودتي … وإن تنأ عني تلقَني عنك نائيا

كلانا غني عن أخيه حياته … ونحن إذا متنا أشد تغانيا

الباب الخامس والعشرون: في الحماقة

لكل داء دواء يستطب به … إلا الحماقة أعيت من يداويها

لا تيأسن من اللبيب وان جفا … واقطع حبالك من حبال الأحمق

فعداوةٌ من عاقلٍ متجمل … أولى وأسلم من صداقة أخرق

الباب السادس والعشرون في الوطن

قال ابن الرمي:

ولي وطــن آليــت ألا أبيعــه وألا أرى غيري لــه الدهر مالكـا
عمرت به شرخ الشـباب منعمـا بصحبة قوم أصـبحوا في ظلالكـا
وحبب أوطـانَ الرجـال إلـيهم مآرب قضاهـا الشـباب هنالكـا
إذا ذكــروا أوطــانهم ذكــرتهمُ عهود الصبا فيها فحنـوا لـذالكا
وقد ألفتــه الــنفس حــتى كأنــه لها جسد إن بـان غـودر هالكـا

الباب السابع والعشرون: في المال

إن الـدراهــــم كالمـــــرا هــم تجـبــر العظــم الكســيرا
لـــــو نالهُــــن تُعيلـــب في صبحِــه أضحى أمــيرا
إن قلّ مالي فـلا خِـلٌ يصـاحبني وأن زاد مالي فكل النـاس خـلاني
فكم عدوٍّ لأجل المـال صـاحبني وكم صديق لفقد المـال عـاداني
لعمـرك أن المـال يجعـلُ الفـتى سريا وأن الفقر بالمرء قـد يـزري
وما رفع الـنفس الدنيـة كـالغنى ولا وضع النفس النفسية كـالفقر
وإذا رأيــت صـعوبة في مطلــب فاحملْ صـعوبته علـى الدينــار
وابعثْــه فيمـــا تشـــتهيه فإنـــه حجــر يلّــين قســوةَ الأحجــار
الناس أتباع من دامت لــه نِعـم والويل للمرء إن زلّت بــه القـدم
المال زين، ومــن قلّــت دراهمــه حي كمن مـات إلا أنـه صـنم
لمــا رأيــت أخلائــي وخالِصــتي والكل مسـتتر عـني ومحتشـم
أبدوا جفاءً وإعراضا فقلت لهـم: أذنبت ذنبا؟ قالوا ذنبـك العـدم
فصاحةُ حسان وخط ابـن مقلـة وحِكمة لُقمان وزهد ابـن أدهـم
إذا اجتمعت في المرءِ والمرء مفلـس ونودي عليـه لا يبـاع بـدرهم

إذا كنت في حاجةٍ مرسِلاً ... وأنت بها كلِف مغرم
فأرسِلْ حكيمًا ولا توصِهِ ... وذاك الحكيم هو الدرهم
أظهروا للناس زهدا ... وعلى الدينار داروا
وله صاموا وصلوا ... وله حجوا وزاروا
لو يرى فوق الثريا ... ولهم ريش لطاروا
المالُ يفرق بين الأم والولدِ ... فذاك أدنى نسيب عند كلّ يدِ
عهدي به خادما كالعبد تملكه ... فما لعيني تراه سيد البلد؟
مالٌ يميل إلى الإنسان من صِغر ... وكلما شب شب الحب في الكبد
لو يجمع الله ما في الأرض قاطبة ... عند امرئ لم يقُلْ حسبي فلا تزد
كلٌ يروح من الدنيا الغرور كما ... أتى بلا عدد منها ولا عدد
لو كان يأخذ شيئًا قبلنا أحد ... لم يبق شيء لنا من سالف الأمد
إذا المرء لم يعتق من المال نفسه ... تملكه المالُ الذي هو مالكه
ألا إنما مالي الذي أنا منفِق ... وليس ليَ المال الذي أنا تاركه
من كان يملك درهمين تعلمت ... شفتاه أنواع الكلام فقالا
لولا دراهمه التي يزهو بها ... لوجدته في الناس أسوأ حالا
إن الغني إذا تكلم بالخطا ... قالوا صدقت وما نطقت محالا
أما الفقير إذا تكلم صادقًا ... قالوا كذبت وأبطلوا ما قالا
إن الدراهم في المواطن كلها ... تكسو الرجالَ مهابة وجمالا
فهي اللسانُ لمن أراد فصاحة ... وهي السلاح لمن أراد قتالا

الباب الثامن والعشرون في السياحة والغربة

وإذا البلاد تغيرت عن حالها فدع المقام وبادر التحويلا
ليس المقام عليك فرضاً واجباً في بلدة تدع العزيز ذليلا
تنقل فلذّات الهوى في التنقل ورِد كل صافٍ ولا تقف عند مَنهل
ففي الأرض أحباب وفيها مناهل فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسافِر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم، واكتساب معيشةٍ، وعلم، وآداب، وصحبة ماجد
وإن قيلَ في الأسفار ذل ومحنة وقطع الفيافي واكتساب الشدائد
فموت الفتى خير له من حياته بدار هوانٍ بين واشٍ وحاسد
ارحل بنفسك من أرض تضام بها ولا تكن لفراق الأهل في حرق
من ذلّ بين أهاليه ببلدته فالاغتراب له مِن أحسن الخُلق
الكحل نوع من الأحجار منطرحاً في أرضه كالثرى يرأى على الطرق
لما تغرب نال العز أجمعه وصار يحمل بين الجفن والحدق
ما في المقام لذي عقل وذي أدب من راحة فدع الأوطان واغترب
سافر تجد عِوضاً عمن تصاحبه وانصب فإن لذيذ العيش في النصب
إني رأيت وقوف الماءِ يفسِده إن سالَ طاب وإن لم يجر لم يطِب
والأسد لولا فراق الغاب ما قُنِصت والسهم لولا فراق القوس لم يصِب
والشمس لو وقَفَت في الفلك دائمةً لملها الناس من عجم ومن عرب
والبدر لولا أفول منه ما نظرت إليه في كل حين عين مرتقب
والتبر كالترب ملقى في أماكنه والعود في أرضه نوع من الحطب
فإن تغرب هذا عز مطلبه وإن أقام فلا يعلو على رتبِ
إذا ما ضاق صدرك من بلاد ترحلْ طالباً أرضاً سواها

عجبـت لمـن يقـيم بـأرض ذل   وأرض الله واسـعةٌ فضـاهـا
فذاك من الرجـال قليـلُ عقـل   بليد لـيس يعلـم مـا طحاهـا
فنفسك فز بها إن خفـت ضـيما   وخل الدار تنعـي مـن بناهـا
فإنـك واجـد أرضـا بـأرض   ونفسـك لم تجـد نفسـا سـواها
ومـن كانـت منيتـه بـأرض   فلـيس يمـوت في أرض سـواها

وقال الحريري في الحث على السفر من آخر مقامة له:

لا تقعـدن علـى ضـر ومسـغبة   لكي يقالَ عزيز الـنفس مصـطبر
وانظر بعينيـك هـل أرض معطلـة   من النبات كأرض حفهـا الشـجر
وجانبن مـا يشـير الأغبيـاء بـه   فأي فضـل لعود مـا لـه ثمـر
وارحل ركابك عن ربع ظمئـت بـه   إلى الجناب الذي يهمى بـه المطـر
واستنزل الري من در السـحاب فـإن   بلت يداك بـه فليهنـك الظفـر
بـلاد الله واسـعة فضـاء   ورزق الله في الـدنيا فسـيح
فقـلْ للقاعـدين علـى هـوان   إذا ضاقت بكـم أرض فسـيحوا
وإذا رأيـت الـرزق ضـاق ببلـدة   وخشيت فيها أن يضيق المكسـب
فارحلْ فـأرض الله واسـعة الفضـا   طولاً وعرضا، شـرقها والمغـرب
إذا مـا كنـت في قـوم غريبـا   فعاملـهم بفعـل يسـتطاب
ولا تحـزن إذا فـاهوا بفحـش   غريب الـدار تنبحـه الكـلاب
ومـا طلـب المعيشـة بـالتمني   ولكـن ألـق دلـوك في الـدلاء
يجـيء بمائهـا طـورا وطـورا   يجـيء بحمـأة وقليـل مـاء
ولا تقعـد علـى كسـل الـتمني   تحيـلُ علـى المقـدر والقضـاء
فـإن مقـادر الـرحمن تجـري   بـأرزاق الرجـال مـن السـماء
مقـدرة بقـبض أو ببسـط   وعجـز المـرء أسـباب الـبلاء

الباب التاسع والعشرون في الغدر

لا أشتكي زمـني هـذا فأظلمـه وإنما أشتكي من أهـل ذا الـزمن
هم الذئاب التي تحت الثياب فـلا تكـن إلى أحـد منـهم بمـؤتمن
وزهدني في النـاس معـرفتي ـم وطول اختياري صاحبا بعد صـاحب
فلم ترني الأيـام خـلا تسـرني مباديـه إلا سـاءني في العواقـب
إني بلوت النـاس أطلـب منـهم أخا ثقة عند اعتـراض الشـدائد
فلم أر فيما ساءني غـير شـامت ولم أر فيما سـرني غـير حاسـدٍ

وقال علي بن الجهم وهو مسجون:

قالوا حبست فقلت ليس بضـائري حبســي وأي مهنــد لا يغمــد
فالشـمس لـولا أ ـا محجوبـة عن ناظريك لمـا أضـاء الفرقـد
والبدر يدركـه السـرار فتنجلـي أيامــه وكأنــه متجــدد

الباب الثلاثون في الدعاء والختام

أراني الله وجهــك كــل يــوم صبحــا للتــيمن والســرور
وأمتــع مقلتــي بصفْحتيــه لأقْرأ الحسن من تلـك السـطور
بقيت مدى الدنيا وملكك راسـخ وطـودك ممـدود وبابـك عـامر
يود سناك البـدر والبـدر زاهـر ويقفو نداك البحر والبحـر غـامر
وهنئت أيامـا توالـت سـعودها كما تتوالى في العقـود "الجـواهر"

يقول مؤلفه: فرغت من تأليفه وترتيبه في ربيع الأول سنة ألف وثلثمائة وخمس عشر هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية